البحث العلمي
حول الاغتراب اللبناني
2019



الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم





هيئة تكريم العطاء المميّز

البحث العلمي
حول الاغتراب اللبناني
2019

هذا الكتاب يجمع بين صفحاته أبحاث المؤتمر الجنوبي الثالث (البحث العلمي حول الاغتراب اللبناني) الذي نظمته هيئة تكريم العطاء المميز، بالتعاون مع المجلس القاري الإفريقي، في قاعة قصر الملوك ـ النبطية بتاريخ 29 و30 تشرين الثاني، والذي كان مقررًا في 18 و19 تشرين الأول وتأجل بسبب الاوضاع الطارئة على الساحة اللبنانية، وقطع الطرقات بين المناطق اللبنانية.

مقدمة

إنّ دراسة تاريخ الهجرة اللّبنانيّة، تقودنا إلى الرّجوع أربعة آلاف سنة في غابر التّاريخ، وهو الزّمن الذي باشر فيه الفينيقيون "اللبنانيون الأوائل" مغامراتهم عبر البحار، والذين "وفق بعض المؤرخين" وصلوا إلى القارة الأميركيّة في أواسط القرن الثاني عشر قبل المسيح. ولقد استندت الدراسات في هذا الإطار وبصورة خاصة إلى الكتابات الفينيقية في حجارة غافيا وبارايبا في البرازيل. وإذ تابع المؤرخون تحرّياتهم فإنّهم يتأكّدون من حضور العرب في أميركا اللاتينية في القرن السابع بعد الميلاد، عندما وصل الحاكم بن براجيل من مراكش وقرطبة إلى جزيرة "الآسور" ثم حقّق بعد ذلك مأثرة اجتياز المحيط الأطلسي العام 705 بعد الميلاد، ووصل إلى مصب نهر "بارنايبا" في ولاية "بياوي" (الحالية)، وتنقّل على الشواطئ، ووصل إلى منطقة تسمى اليوم "إنفرا دوس ريس".

ولقد قام هذا الحاكم بوضع الخرائط للشّاطئ، ووضع خاتمة تحت عنوان «براجيل»، وأعطى راسمي الخرائط كلّ الشروحات اللازمة. وفي متابعتهم البحث تحقّق المؤرخون من الوجود العربيّ واللبنانيّ في أميركا اللاتينية، خلال التّوسع الإسبانيّ والبرتغاليّ، في القرنين الثّاني عشر والرّابع عشر بعد الميلاد.

وقد بدأت الهجرة اللبنانيّة والعربيّة الكبرى إلى العالم الجديد في القرن التاسع عشر، وذلك لأسباب عديدة، منها ما له علاقة بالوضع الداخلي في الشرق، ومنها ما له علاقة بالوضع في الغرب. ففي الشّرق لم تكن السّلطنة العثمانيّة تؤمّن الحرية أو الأمن. أما لبنان الحالي فقد كان في ذلك الوقت منقسمًا إلى منطقتين: جبل لبنان الذي تمتّع بإدارة ذاتيّة تحت الحماية الأوروبيّة، في حين كان القسم الأكبر من السّهول الواقعة في سهل البقاع، وكذلك الشّواطئ تحت السّيطرة التّركيّة. ولقد كثرت الاضطهادات، وبسبب فقدان الحرية والأمان والنّقص في المدى الجغرافي بسبب ضيق الأراضي وسيطرة الإقطاع كان الوضع الاقتصادي متردّيًا، الأمر الذي

دفع الكثير من اللبنانيين إلى الهجرة، فيمموا شطر البحر سعيًّا وراء أراضٍ جديدة ما شكّل بداية الهجرة الجماعيّة العام 1856 إلى الولايات المتحدة التي كانت تمارس سياسة هجرة، تستهدف جذب المهاجرين لملء الفراغ في أراضيها.

وقد أدت الحرب الأهليّة في لبنان العام 1860 إلى زيادة التعّصّب، وأدّت إلى دمار لبنان، وسقوط ألوف الضّحايا في مجازر رهيبة، ما زاد من عدد المهاجرين نحو مصر التي كانت توفّر مجالاً جيدًا للعمل الزراعيّ، ولا سيما في منطقة الاسكندرية. ثم أخذ هؤلاء يتّجهون من لبنان ومصر نحو أوروبا وأستراليا وآسيا الغربيّة وإفريقيا وجزر الباسيفيك وأميركا الشمالية. وقد كان هذا المقصد الأخير حلم اللبنانيين الكبير الذين كانوا يقولون دومًا أنهم يريدون الذهاب إلى "الأميركا".

وجدير بالملاحظة أنّ لبنان قد مرّ بعد حكم المتصرّف رستم باشا بمرحلة تميّزت بظلم الإقطاعيين للفلاحين، خصوصًا في سهل البقاع، فاضطر اللبنانيون إلى الهجرة بصورة جماعيّة منذ أواخر القرن التاسع عشر سعيًا وراء ظروف حياة أفضل في بلدان جديدة.

ولقد تميّزت الهجرة إلى البرازيل كونها استقطبت المزارعين وأفراد النّخبة السّياسيّة والثقافية. إذ كان من أهدافها ضمان الحياة الحرّة في المهجر، ثم العودة للعيش حياة أفضل في الوطن.

وقد أشار منير نجّار إلى هجرة اللبنانيين وعودتها من جديد مع نهاية الحرب العالميّة الأولى التي شهدت حصارًا خانقًا من السلطنة العثمانية لجبل لبنان ومجاعة كبيرة تسببت بها موجة الجراد، وبعد إيقاف حركة السفر بسبب الحصار، وإثر تدهور الأوضاع السياسية والأمنية مجددًا بحلول سنة 1975 تاريخ بداية الحرب الأهليّة، شهد لبنان مجدّدًا موجة هجرة أخرى استمرّت حتى نهاية الحرب والفترة التي تلتها أيضًا، نظرًا لبقاء تأثير تداعيات الحرب الاقتصادية والسياسية على الحياة الاقتصادية والمعيشية في لبنان، ومع استئناف اللبنانيّين هجرتهم إلى مختلف دول العالم بدأوا بتحويل الأموال إلى عائلاتهم في وطنهم الأم.

وإذا أردنا أن نعرّف "المهاجر اللبناني" وفق المراحل التّاريخية التي مرّت بها هذه الهجرة، فيمكننا الاستناد إلى أبرز التّعابير المتداولة:

ـ السّفير فؤاد التّرك الذي يرى أنّ المغترب هو اللبناني الذي ولد في لبنان

وهاجر منه، ويشكّل المغتربون في نظره نسبة غير كبيرة من المنتشرين. ويرى في مدلول المنتشرين أكثر شمولية وعمومية، إذ يشمل هؤلاء المغتربين والمتحدرين معًا. وتشمل عبارة المنتشرين في الخارج المغتربين والأجيال الصاعدة بعدهم. وقد اقترح إطلاق تسمية وزارة الخارجية والانتشار اللبناني على وزارة الخارجية والمغتربين (1983).

- أمّا رضا وحيد فيعتقد أن موجات الهجرة الأولى ولّدت ما يسمى بالمتحدرين الذين غادروا لبنان، يحدوهم الأمل بالعودة إليه يومًا ما. وأّن الهجرة التي حصلت بعد الحرب العالمية الثانية شهدت تحولاً نوعيًا في التّصنيف والهوية، فأصبحت انتشارًا.

- وقد ميّز الرئيس الياس الهراوي الذي اُستحدثت في عهده "وزارة المغتربين" بدقة بين مدلولي المغتربين والمنتشرين. فالمغترب في نظره شيء، واللبنانيون المنتشرون في أصقاع الدنيا شيء آخر، حيث أن للفئة الأولى علاقة وثيقة بلبنان أكثر من الذين اغتربوا وسمّوا مغتربين من أيام العهد العثماني.

- وهكذا يتدرّج تاريخيًا مفهوم المهاجر اللبنانيّ عند رضا وحيد من متحدّر إلى منتشر، ليصل إلى المغترب. في حين يتدرّج هذا المفهوم عند فؤاد التّرك من مغترب إلى متحدّر، ليشمل تعبير المنتشر عند جميع هؤلاء ويمكن القول: "إن الكلمة المثلى للمغترب وأبنائه وأحفاده هي المنتشرون اللبنانيون".

وعليه فإنّ الهجرة قد طاولت الجسد الاجتماعيّ اللبناني منذ مطلع القرن التاسع عشر، لدوافع اقتصاديّة وسياسيّة في بادئ الأمر، ثم عادت وارتأت دولة لبنان حسبانها "اغترابًا" لتمييزها عن حركات الهجرة العادية، بهدف إعادة بناء الصّلة مع "أبناء المهجر" بصورة منتظمة، بعد أن تحوّلت حركة الهجرة إلى جزء عضويّ من "الاقتصاد الوطنيّ" منذ الخمسينيات من القرن المنصرم. وهو ما حمل الدولة اللبنانيّة على تسمية وزارة خارجيتها بوزارة الخارجية والمغتربين.

وهكذا فقد أصبح للمغترب اللبناني حكاية في كل بيت. فذاك المغامر الأول لم تمنعه المسافات، منذ فجر التّاريخ، عن تحقيق أحلامه بالذّهاب بعيدًا، مهجوسًا بالحرية باحثًا عن الأمان أو عن لقمة العيش، أو تطويرًا لمسيرة نجاحه المهني، أو خوضًا لمغامرات جديدة. وقد برع اللبنانيّون في الخارج ضمن مختلف المجالات السياسيّة والأكاديميّة والاقتصاديّة...

ويتّفق المؤرّخون على أنّ حياة اللبنانيين في الخارج لم تكن دومًا عبارة عن غنى وجاه وثراء. بل هي على العكس من ذلك، شقّت طريقها في صعاب كثيرة، بدأت مع الابتعاد عن العائلة والوطن، مرورًا بالموت في حوادث سفر متنقّلة، وصولاً إلى الدول الجديدة التي استهدفوا وضع أقدامهم على ترابها، وبدء حياة مغايرة داخلها. لكن حتى هناك، واجه اللبنانيّون الصّعاب بأشكال مختلفة. فاضطرّوا للعمل بما أتيح لهم من فرص، كما تنقّلوا سيرًا على الأقدام من مدينة إلى أخرى، نظرًا لعدم توفّر وسائل النقل المختلفة في حينه. وكانوا عرضة بشكل شبه دائم لعمليّات النّهب والسّلب التي اتّخذت طابعًا ممنهجًا ضدّهم أحيانًا. وإن سلموا من البشر، فلم يسلموا من الحيوانات المفترسة، أو حتى الأمراض التي فتكت بعدد كبير منهم. ولم يستقبلهم السكّان المحلّيون دومًا بالورود، فقد نظر هؤلاء إلى اللبنانيّين بعين الريبة والحذر والكره أحيانًا لاعتقادهم بأنّ هؤلاء آتون لسلب ممتلكاتهم أو أعمالهم.

حين يعدّد اللبنانيّون مآثر المغتربين وتفوّقهم العلمي في الخارج، ينسون أحيانًا حجم التضحيات التي بذلها هؤلاء من مرض وجوع وعري ووحدة وخسارة لأهل وأصدقاء ورفاق درب. لكن بعد هذه المعاناة، بدأ نجم الاغتراب اللبناني بالسطوع فبرز الكتّاب والأدباء والأطبّاء والصناعيّون والسياسيّون والاقتصاديّون. ولعلّ درب المغتربين لم يكن مختلفًا كثيرًا عن درب اللبنانيّين أنفسهم داخل وطنهم، أكان من حيث المشقّات أو من حيث قطف ثمار النجاح الذي لم يُقدّم إليهم على طبق من الفضّة.

من خلال ما سبق يتبين لنا أنّ هناك عوامل عديدة شجّعت اللبنانيّين على الهجرة إلى الخارج، منها الهرب من الجوع أو الاضطهاد أو الرّغبة في عيش حياة كريمة حرّة مع "نفحة من البحبوحة والجاه"، ومنها العوامل المنبثقة من موقع لبنان الطّبيعي والجغرافي، وانفتاحه على حضارات العالم المختلفة، ولا يمكن إغفال المطامع الخارجيّة التي أدّت إلى انقسام الدول حول بسط نفوذها في لبنان، وإقامة علاقات مع طوائف مختلفة داخله... لكن يبقى جليًا للأذهان أنّ طموح اللبناني وإصراره على تحقيق طموحاته الخارجيّة وحبّه لخوض المغامرات، هي ما دفعت بالمغترب اللبناني إلى نحت اسمه في مختلف دول العالم.

هيئة تكريم العطاء المميز



افتتاح المؤتمر

عريف الافتتاح:

أ. ماهر الحاج علي



- حائز على دبلوم الدراسات المعمقة في العلوم الاجتماعية.
- أستاذ تعليم رسمي وخاص، تعاقد مع داري المعلمين في صيدا والنبطية.
- عيّن مديرا لمدرسة حومين التحتا الرسمية، ثم ناظرًا لثانوية الصباح الرسمية.
- درّب في الدورات التعليمية للاساتذة المتعاقدين.
- ذواقة أدب وشعر وفن، ارتقى المنابر في المناسبات لسنوات طويلة.
- عمل في تصميم الديكور، وفي التصوير الفوتوغرافي، ومثل لبنان في معرض عالمي في فرانكفورت (1999)، ونال عضوية البيت الاوروبي للصورة.
- لحّن قصائد وأناشيد لمدارس وجمعيات.

أيها الحفل الكريم

ـ لنا على البحرِ قصرٌ قديمٌ، شُيّدَ تحت عَراءِ السماءِ بالسواعدِ السمراءْ... أدراجُهُ من حجارِ اليواقيتِ، واستارُهُ من الأرجوانْ.... لا للملوكِ... بلْ لبحّارةٍ سمرٍ لهم على الممالكِ أبوّةْ... لبِسوا الريحّ وتعطّروا بماءِ المُزْنِ ليُلبِسوا الناسَ الحريرْ، وليوزّعوا العِطرَ بالقواريرْ، ثم ينقشوا على جبينِ الدنيا قبل تغضِينِها كلمةَ "الاغترابْ".

ـ الاغترابُ اللبناني اغترابُ جهابذةٍ كما واغترابُ علماءْ... فأسطورةُ الرُّقعةِ الضيّقةِ والمواسمِ القاحطةِ، الأيامَى الدامعاتْ، خُرافةُ عصرٍ قديم، هجرتُنا على اللوعةِ دانيةُ العهدِ، لكنها على الطموحِ بعيدةْ... فيؤتى الكبارُ المهاجرونَ كما تؤتَى رؤوسُ الينابيعِ لاستعادةِ العافيةِ البكرْ...

ـ إنهم وردوا صفاءَ الماءِ، ولربما زادوه صفاءً... هؤلاء الأوفياء لا يرَدُّ عليهم إلا بالوفاء... لقد مشوا كثيرًا في دروبِ الخيرِ ولم يتعبوا... مشوا عشراتِ السنواتِ في الجهادْ، ينثرونَ الفضلَ على أهلِهِ فكانوا ولمّا يزالوا الشجرةَ المُفَيّحَةَ يتحلّقُ حولَها الظامئون..

ـ ونحنُ هيئةُ تكريم العطاءِ المميّزْ، ومنذ انطلاقَتِنا الجديدة، إذ نعقدُ المؤتمرَ تلوَ المؤتمرِ، نعتبرُ أنَ عملنا هذا، وهذه المؤتمراتِ الحاشدةِ الغنيةِ بحضورِها المميّز، واجبٌ وطنيٌ تُحتِّمَهُ المسؤولياتُ الجسامُ التي آلينا على أنفسنا حمْلَها والتوجهَ بها نحو مساراتِ الحقيقةِ الواعيةِ المضمخةِ بحب الوطن... آملين بأن ما يلي هذا المؤتمرَ سيكونُ حتمًا أمرًا إيجابيًا لخيرِ ومصلحةِ الاغترابِ والمغتربينَ والوطنِ في آن...

ـ بمثْلِكُمْ أيها المغتربونَ الكرام يجدُ لبنانُ نفسَهُ: هو بكم مزهوٌ بعلمِهِ، مزهوٌ بماضيه، مرتاحٌ إلى مستقبلِهِ.... آمين.

كما أن العبقَ الشّذى يسافرُ مع المهاجرِ أينما اتّجَهَ، إلى الأمصارِ والمهاجرِ، إلى فنادقِ العواصم وخِيَم اللبنانيينَ في الغاباتِ البعيدة، قُربَ الناسِ البُسطاءِ البدائيينَ وضواري الطبيعةِ القاسيةِ، هكذا عرَكَ الرئيس فواز حياةَ مغتربي إفريقيا، فخَبِرَ الناسَ وطافَ في بلادٍ وطِئَها لبنانيونَ، فاذا ثقافتُهُ ثقافةُ حياةٍ وإنسان...

جزمَ بأن الاغترابَ لم يعدْ قصيدةَ حنينٍ ولا قصةَ بؤسٍ وحرمانٍ ولا نشيدَ بطولة، انه قضيةٌ بل قضايا... فكان عينًا على المقيمين وعينًا على المغتربين... كلامٌ صامتٌ وصدقٌ ناطقٌ في مواقفَ ثابتةٍ أمن بها واتخذها بعد درسٍ وتفهمٍ لمواقفَ الآخرينَ منطلِقًا من المسلَّماتِ الوطنيةِ التي عاشَها وعمِلَ من أجلِها.

أنه رئيسُ المجلس القاري الإفريقي سابقًا ورئيسُ الجامعةِ اللبنانيةِ الثقافيةِ في العالم حاليًا الرئيس عباس فواز بعينِهِ وفؤادِه...

كلمة رئيس الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم:

الأستاذ عباس فواز



إننا سعداء لتنظيم هذا المؤتمر بالتعاون مع هيئة تكريم العطاء المميز في النبطية مدينة العلم والعراقة والمقاومة، مدينة العالم الكبير المخترع حسن كامل الصباح، الشيخ عبد الحسين صادق، واحمد رضا وسليمان ظاهر ومحمد جابر، ال صفا وغيرهم من النخب من اعلامها اللامعة في مجالات الفقه والنشر والشعر والأدب والاقتصاد والاغتراب والسياسة والوطنية والتي بفضل ابداعهم النبطية ظلت منارة مشعة في لبنان والاغتراب.

ان انعقاد مؤتمر البحث العلمي حول الاغتراب اللبناني يشكل فعلاً محطة تحوُّل أساسية في التاريخ العلمي للهجرة، التي لم تنصفها الدولة بعهودهاوحكوماتها المتعاقبة وتعاطت معها باستخفاف ولا مبالاة، وكأن المهاجرين اللبنانين لا يحملون الهوية اللبنانية ولا ينتمون إلى وطن. وان ما ابدته كان خجولاً ومتواضعًا ومركزًا على الجانب العاطفي والحنين إلى الوطن بثلجه وبحره، وارزه، وإلى مراتع الصبا والطفولة، والتذكير في كل مناسبة بالكبة والتبولة والحمص ومرقد العنزة....

أن مؤتمرنا اليوم يشكل قفزة نوعية متقدمة ويستحق هذاالمستوى الراقي والمميز

من المشاركة والدراسات والابحاث التي ستكون حتمًا على درجة عالية من العلمية والموضوعية لتسليط الضوء على الهجرة اللبنانية عامة وإلى إفريقيا خاصة بأزمنتها وأمكنتها وأسبابها ودوافعها ونتائجها وتداعياتها السلبية والايجابية على لبنان بجناحيه المقيم والمغترب، وعلى الدول المضيفة. انه خطوة وبل فرصة مهمة وغير مسبوقة لاستكمال الابحاث العلمية حولها ولفتح طريق الانتقال من طابع العموميات ومخاطبة المغتربين بلغة العاطفة والحنين إلى الوطن الام، إلى لغة الحقائق، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ اللبناني الدكتور مسعود ضاهر "انه منذ العام 1960 وكتاب إيلي صفا "الهجرة اللبنانية" الصادر في بيروت باللغة الفرنسية يشكل نقطة أساسية في التاريخ العلمي للهجرة اللبنانية عبر العصور".

وعلينا ونحن نبحث ونغوص في قضية الهجرة الا نغفل ان أي دراسة أو بحث علمي على ضرورته لا بد ان يعتريه وجود ثغرات ونواقص تتمثل في افتقاره إلى الاحصائيات الدقيقة واحيانا عدم وجودها وهي مشكلة بحد ذاتها وتشكو منها الدراسات البحثية والعلمية السابقة والمعاصرة، وخاصة تلك المتعلقة بالهجرة اللبنانية الغارقة بالتاريخ، والتي لم تنحصر في زمان أو مكان وقد توسعت مروحتها ودائرة انتشارها لتشمل قارات العالم، وان حصلت فهي قليلة جدًا وقد تكون نادرة ولأسباب واهداف خاصة وعشوائية وتقريبية وعناوينها طائفية وسياسية ومناطقية لا تفي بالمطلوب ولا يمكن الاستناد إليها في أي دراسة أو بحث علمي، وهنالك العشرات من الاصدارات والابحاث والدراسات التي تناولت الهجرة اوالاغتراب والانتشارعلى اختلاف التسميات والتصنيفات بعناوينها ومضامينها ومقارباتها لأنها تحولت مع مرور الزمن وما رافقها واتصل بها إلى حدث فرض نفسه في لبنان وخارجه، إلى ظاهرة من الظواهر التي لا يمكن تجاهلها لاهميتها الكامنة في توزيعها الجغرافي الواسع على مساحة العالم وإلى كثافة المغادرين من مختلف طوائف لبنان وشرائحة الاجتماعية وهي للاسف إلى ازدياد لا سيما في العقود الأخيرة وللأسباب والظروف ذاتها التي دفعت باللبنانين إلى الهجرة الحديثة والمتمثلة بشح الموارد وانعدم الاستقرار السياسي والامني والاقتصادي في لبنان والتي بدأت في مطلع القرن التاسع عشر، خاصة فتنة 1860 وبعدها الحرب العالمية الأولى، وأضيفت إليها بعد استقلال لبنان عام 1943 والحرب اللبنانية عام 1975 هجرة الكفاءات حتى قيل "قلما يوجد بلد في العالم لم تطأه قدم إنسان من لبنان" ان افتقار ما كتب عن الهجرة إلى الاحصائيات العلمية اوحتى انعدامها له

مايبرره ومرده إلى التقصيرالواضح والفاضح الذي تتحمل مسؤوليته بالدرجة الأولى، الدولة في لبنان بوزاراتها واجهزتها وسفاراتها المنتشرة في العالم وضآلة وجودها في القارة الإفريقية، كذلك المؤوسسات الاغترابية كالجامعة اللبنانية الثقافية في العالم ومجالسها القارية والوطنية وروابط العلاقات اللبنانية الإفريقية والجمعيات والهيئات التي تزداد اعدادها لاهداف ومصالح خاصة.

أننا في المجلس القاري الإفريقي لدينا من الجرأة والشجاعة للاعتراف بأننا قصرنا في هذا المجال، الا اننا قمنا بخدمات ضرورية للمجتمع الإفريقي فبنينا الصروح العديدة، وشكلنا على الدوام الرافعة والدعم الأساسي لاقتصاد هذه الدول والحؤول دون سقوطها في المحظور المجهول. ان الاغتراب الذي تجذر في القارة الإفريقية بعد معاناة طويلة وقاسية استمرت لعقود، ولا يزال يعاني، ولكن الحافز ظل قائمًا امام المغتربين اللبنانين اوالذين يرغبون بالهجرة، وقد فتحت إفريقيا ابوابها على مصراعيها لهم، وهم الذين حملوا ريادتهم وأحلامهم واتجهوا إلى القارة الخضراء المعطاءة يحذوهم الامل بالنجاح والنهوض باقتصادها وتطورها وارتقائها وحققوا ما ارادوا بعد ان تقدموا في العمل والانتاج واكتساب الخبرات والمهارات والثبات في المجتمع الإفريقي الجديد، وباتوا قادرين على مساعدة دول وشعوب إفريقيا وبث الروح والحياة في مختلف القطاعات الانتاجية والتجارية والصناعية والزراعية وتشاركوا وتعاونوا مع المواطنين الافارقة ومتنوا العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والإعمارية. وشّدوا من عزيمتهم ووفروا لهم فرص العمل وتسلموا المسؤوليات في الشركات والمصانع اللبنانية، وبنوا أو ساهموا في بناء المدارس والمستشفيات والمستوصفات في القرى النائية ودعموا الجمعيات الخيرية والإنسانية والاجتماعية، وقدمواالمنح للمتفوقين من طلابهم فحظيواعلى ثقة وتقدير وترحيب القادة الافارقة في غير دولة فأحتضنوهم واشادوا بانجازاتهم ومشاريعهم التي عممت الفائدة على اللبنانين والافارقة، وهنا يحضرني كلام للرئيس السيراليوني ارنست كروما "لا اقتصاد في سيراليون من دون اللبنانيين، لذلك لا يمكنني ترحيلهم" ، وما قاله حكيم إفريقيا، رئيس شاطىء العاج هوفيت بوانييه "ان اللبنانيين هم هبة من السماء وبناة إفريقيا" والأمثلة كثيرة.

ان الاغتراب اللبناني في إفريقيا بنجاحه وتميزه اقتصاديًا واستثماريًا تحول إلى محط انظار الدول ورجال الأعمال العرب حيث باتت الحاجة ضرورية وملحة

للاستفادة من خبراته وامكانياته وخاصة ان للمغتربين اللبنانين امتداداتهم وعلاقاتهم فكان لابد من توظيفها واستثمارها في مشارق الأرض ومغاربها، وهم صمام امان لهذه العلاقات وترجمتها اقتصاديًا وتجاريًا واستثمارات متبادلة، ولتحقيق ذلك نظم المجلس القاري الإفريقي في العام 1991 وكنت رئيسًا له انذاك مؤتمرًا اقتصاديًا اغترابيًا في القاهرة لرجال اعمال ومغتربين لبنانين في إفريقيا ومشاركة وزراء في الحكومة المصرية ورجال اعمال ومستثمرين مصريين برعاية نائب رئيس مجلس الوزراء المصري انذاك بطرس غالي، والذي تسلم فيما بعد مهام الامين العام للامم المتحدة، واستفاض الحديث فيه حول امكانية نقل النجاح اللبناني في إفريقيا إلى مصر والتعاون والاستفادة من الطاقات الاغترابية اللبنانية ولتقوية اواصر الصداقة والشراكة الاقتصادية والاستثمارية من خلال اشراك اللبنانين في منظومة العلاقات الاقتصادية العربية الإفريقية التي كانت محورلقاءاتنا مع مسؤولي جامعة الدول العربية.

أيها الحضور الكريم

انه الاغتراب اللبناني المؤهل الذي تعملق واقتحم المجهول حاملاً معه رسالة المحبة والانفتاح والسلام إلى حيث حط رحاله في دول العالم منطلقًا بمبادرات فردية نتيجة لظروف خاصة ثم تطور طبيعيًا وحضاريًا مع شعوب الدول المضيفة، ولم يكن موجهًا من شركات قابضة ضخمة بل كان في رحلة شاقة وواجه الصعوبات واخترقها من دون ان يسبب الاذى لشعوب هذه الدول، أو استغلالها والتعالي عليها، بل عمل كأهل البلاد تمامًا وتأثر مثلهم بالتطورات الايجابية والسلبية وساهم معهم في مشاريع تنموية واجتماعية ولا تخلو دولة من دول الاغتراب من صرح أو مشروع بناه اللبنانيون الذين حملوا معهم عزيمة العمل ورسالة التعاون والتعاطي العلمي والحضاري وقد اثمرت علاقات جيدة وتفاهما مع الشعوب المضيفة وهي ثروة بحد ذاتها.

هذا الاغتراب ايها الاخوة المحصن برسالته السلمية والحضارية والتشاركية لم يترك الدول المضيفة وخاصة في إفريقيا حاملاً معه ماجناه وجمعه من مال عند حصول أي اضطراب امني أو سياسي أو اجتماعي وعندما فر الكثيرمن الشركات الدولية أو توجهت هي ورجال الأعمال الأجانب إلى أماكن أكثر أمنًا وربحًا، بل بقي فيها وعرض سلامته وعائلته لما تعرض له اهل البلد انفسهم ما ترك أثرًا كبيرًا

وطيبًا لدى هؤلاء، انه اغتراب صاحب هوية وانتماء ووفاء للدول التي استقبلته وحضنته كما لوطنه الام الذي دعمه اقتصاديًا واجتماعيًا من خلال التحويلات المالية والمساعدات والاستثمارات التجارية والصناعية والزراعية.

صحيح ان هذا الاغتراب بدأ افراديًا ونجح، لكنه من الخطأ القاتل ان يستمر كذلك، وقد انتشرت في أكثر من دولة يتواجد فيها مغتربون لبنانيون الجمعيات والنوادي والروابط بعناوين واشكال متعددة، مما حفز بعض المخلصين والحرصاء عليه في منتصف الخمسينيات إلى الدعوة لتأسيس رابطة أو جمعية اغترابية شاملة، وانتجت فيما بعد الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم عام 1960 في مؤتمر اغترابي موسع عقد في بيروت برعاية رئيس الجمهورية انذاك اللواء فؤاد شهاب. واستطاعت هذه الجامعة في بعض المراحل من الحفاظ على وحدة اللبنانين في الخارج ومد جسور الصداقة والتعاون مع شرائح اجتماعية مختلفة في دول الانتشار وفي تذكير المغتربين بانتمائهم الوطني والحضاري إلى وطن ودولة وامة، ولهذا السبب رفعت شعار وحدة المغتربين من اجل وحدة لبنان في مؤتمر باريس عام 1989، لكن سنوات الحرب في لبنان وما شهده من صراعات طائفية وسياسية انعكست على المغتربين وجامعتهم التي بدورها عانت من بعض الانقسامات ومن اختلالات رئيسية، ولا زالت تعاني رغم محاولتنا المتواضعة لانقاذها وتقديمنا أفكارًا لتطويرها وتحويلها إلى مؤسسة اغترابية عالمية بالتعاون مع شخصيات قادتها تحترم وتقدر تحملها للمسؤولية وترؤسها على مدى ستة عقود، وقد شاركت في هذه المحاولات من خلال تدرجي في اجهزتها على مدى اربعين عامًا من عضو فرع لها في ليبيريا إلى امين سر إلى رئيس للمجلس الوطني إلى رئيس للمجلس القاري الإفريقي للمرة الأولى عام 1993 ـ 1988، إلى رئيس لجنة الحوار انطلاقًا من التزامي بضرورة انتشالها وتفعيلها لتصبح بحق مؤسسة العصر ولتكون فعلاً الممثلة الشرعية الوحيدة للمغتربين في العالم، ولكن هذا لم يحصل ونحن بدورنا لم نيأس، ومستمرون في المحاولة وبذل الجهود إلى ان يتحقق حلم انقاذها ووحدتها.

انا في المجلس القاري الإفريقي ومنذ انتخابي رئيسًا له للمرة الثانية من نيسان 2015 وبالتعاون والانسجام مع اعضاء الهيئة الإدارية الكريمة ولجان المجلس قطعنا شوطًا كبيرًا في تحقيق الكثير من الانجازات، ونعمل على توحيد جهود المجالس الوطنية والاقليمية والفروع في إفريقيا والتواصل معها وفيما بينها وبين

الوطن الام. ويلتزم المجلس بتطبيق النظام الأساسي للجامعة وتعزيز التضامن بين مختلف اجهزتها والبت باي خلافات قد تعجز عن حلها المجالس الوطنية والاقليمية والفروع في القارةالإفريقية، وقد بدأت ورش عمل المجلس منذ لحظة انتخاب الهيئة الإدارية الجديدة، حيث قمنا بزيارات لعدة دول إفريقية وشارك المجلس في مؤتمرات اغترابية واقتصادية عقدت في لبنان ودول عربية، مصر والاردن، وكذلك رعى المجلس القاري الإفريقي مؤتمر" اندحار الارهاب في المنطقة وتأثيره على القارة الإفريقية" الذي عقدته المديرية العامة للامن العام في اوتيل Four Seasons وشارك فيه 13 دولة إفريقية، بحضور وفود اجنبية وامنية، ان الارهاب يشكل خطرًا على كل المجتمعات التي يتفشى بها وكون الجاليات اللبنانية منتشرة في عدة اماكن في العالم وخاصة لها انتشار قديم، اقتصادي واجتماعي، في إفريقيا منذ حوالي 150 عامًا فان الارهاب يشكل خطرًا مشتركًا على المواطن الإفريقي واللبناني سوية في القارة الإفريقية. ان نتائج المؤتمر الأول من نوعه في لبنان والمنطقة كانت محطة اعجاب المشاركين والمراقبين وكذلك التوصيات التي صدرت عن المؤتمر كانت أكثر من ممتازة.

وأخيرًا بعد انتخابي رئيسًا عالميًا للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم اود في هذه المناسبة ان اوجه شكري العميق للاخوة الزملاء في المجلس القاري الإفريقي لتعاونهم الدائم وحسهم العالي بالمسؤولية ودفعهم بالمجلس إلى أعلى المستويات، ولكم احترامي وتقديري ولن اتوانى يومًا وعند اللزوم ان اكون إلى جانبكم.

هذا قليل من كثير قد لا يتسع الوقت والمجال للاعلان عنها وآخرها بالطبع انعقاد هذا المؤتمر النوعي والمهم جدًا بالتعاون مع هيئة تكريم العطاء المميز الذي نتمنى له ولكم النجاح والتوفيق لخدمة الوطن بمقيميه ومغتربيه.

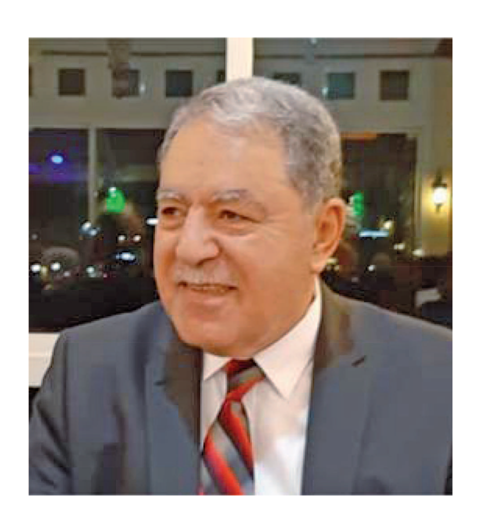
مُفْعَمٌ متيّمٌ بجلوةِ العلمِ والثقافة، فما ظُلِمَت الكلمةُ يومًا على فمِهِ... مشى كثيرًا في دروبِ الخيرِ ولم يتعبْ، وتعبُ الخيّرين عافيةٌ... نسجَ هيئةَ تكريمَ عطاءٍ مميزٍ من حريرْ، فانتظمَ الكُلُّ في ظلالِهِ... وإن لَمَحتَ يومًا بعضَ التغاضينِ على جبينِهِ الوضّاء، فأين التغاضينُ من نفسِهِ؟ إنه الفُتوّةُ الكبيرةُ والشبابُ الدائم... تمكّنَ من أن يكونَ مربيًا، شاعرًا وأديبًا.

ويومَ راحَ يعلمُ، ويومَ تسلمَ مقاليدَ إدارةِ معهدِ العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية ـ الفرع الخامس، سعى في إدارتهِ إلى طريقِ الذوق، فالتّفَ حولَهُ بالمحبةِ والاحترام الطلابُ وأساتذةُ المعهد... فيا حاملَ الذوقِ إلينا، الزميل الرئيس الدكتور كاظم نور الدين، حَمَلْنَا إليكَ السمعَ والأبصار.

(أ. ماهر الحاج علي)

كلمة رئيس هيئة تكريم العطاء المميز:

د. كاظم نورالدين



أسعد الله صباحكم

هـــو عـــامٌ يـــمـــرُ، يـــتـــلـــوهُ عـــامُ
وحـضـورُ الـجـنـوبِ فـيـنـا مـقـامُ

نـجـتـلـيـه بـكـلِ مـا فـيـه يـغـنـي
فـهـو لـلـمـجـدِ واحـةٌ وسـلامُ

كـلُ عـامٍ يـجـيء نُـبـصـرُ فـيـه
مـهـرجـانًا يـطـيـبُ فـيـه الـكـلامُ

بـحـضـورٍ مـشـرَّفٍ وجـمـيـلٍ
ومـكـانٍ مـن سِـمْـتِـهِ الاحـتـرامُ

تـتـجـلـى الـمـعـارفُ فـيـه ويـسـمـو
كـلُّ مـيـدانٍ يُـعـزَّهُ أعـلامُ

مـرّ عـامٌ وهـا هـيـئـةُ الـتـكـريـم
تـحِـثُـهـا الامـانـي لـلـعـلـى والـوئـامُ

ايها السادة، أهلاً وسهلا بكم في مؤتمرنا الثالث، تبزغ القاماتُ الشامخةُ، والوجوهُ النيّرةُ، ورجالُ الفكرِ والأدبِ والعلمِ والتاريخِ والجغرافيا... يفتخر بكُمْ الوطنُ بشكلٍ عام، والجنوبُ اليومَ بشكلٍ خاص، تعيشونَ مع وطنِنَا الحبيب في كلّ الميادينِ التي تتعلقُ بالاغتراب، كاشفينَ من مدخراتِهِ العلميةِ والفكريةِ والاجتماعية والاقتصادية والأدبية التي أغنتْ الوطنَ والمجتمع الإنساني بنتاجِ المغتربين.

ها هي عقاربُ هذا المؤتمرِ التاريخي تدقُّ لنعيشَ يومين منْ أغنى الايام، مع رجالٍ من ألمعِ الرجال، وسيداتٍ عالماتٍ مترعاتٍ بالمعارفِ في جميعِ المجالات. واليوم نحنُ في عالمِ الاغتراب لنكشُفَ بعضاَ من خفاياه ومؤثراتِهِ.

هـذي ربـانـا تـسـتـفـيـضُ مـن الـشـذى
وتـعـدُّ لـلآتـي بـخـيـر وصـالِ

عِـلْـمٌ وآدابٌ وتـكـريـمٌ جـامـعٌ
تـسـقـي مـع الـتـاريـخِ مـجـدَ جـبـالِ

فـي كـلّ عـامٍ لـلـتـواصـلِ بـهـجـة
رمـزيـةٌ تـرقـى بـخـيـرِ خـلالِ

وبـمـوطـنـيٍ تـاريـخُ فـكـرٍ نـابـضٍ
يـعـلـو عـلـى الازمـانِ والاجـيـالِ

مـن زنْـدِ فـلاحٍ زرعْـنـا ربـوةً
وأقـمـنـا فـوقَ الـنـهـرِ مـن عِـرْزالِ

وغـدا الـجـنـوبُ لـنـا بـمـا تـسـقـونَـهُ
حِـلْـمُ الـمـسـافِـرِ غـنـوةَ الآمـالِ

لا تعبأون بما تصابُ بلادَنا من فاقةٍ وتمزُّقٍ وضلالِ
لا بدّ أنْ تعلو الحقيقةُ وحدَها ويغيبُ رأسُ الشرِّ تحتَ نعالِ
الشمسُ مشرقةٌ وليسَ يُذِلُها عادُ ولا خِدَعٌ واكذوبَةُ المختالِ
وتظلُّ راياتُ الثقافةِ عاليًا تسمو بكلّ تطورٍ وجمالِ
ونظلُّ نجني كلَّ عام باقة من مجدِنا بمحبةٍ وجلالِ
ويظلُّ نورُ الاغترابِ يظلُّنا بحنينِ دفقٍ فيه مجدَ رجالِ

الحضور الكريم

لعل هذا اللقاء الذي اعتدنا عليه في أوقات محددة، جاء هذا العام ليكّون نشاطًا أظن أنكم أنستم به، لأنه يمثل إطلالةً كاملة على المهجر، وحياةِ المغتربين وعلاقتِهم بالمقيمين، ونشاطاتِهم المتنوعة والتي طالت كل الميادين التاريخية والجغرافية والتنموية والتجارية والثقافية والأدبية والشعرية... فالمهجر دولةٌ خارجَ الدولة، وأمةٌ رديفة للأمة المقيمة، علمًا أن ثراء المغتربين لا يُعدُّ في شتى الميادين، لقد أضاؤوا الوطن من البعيد، وأقاموا مجدًا للبنان وراء البحار.

السادة الكرام إن هيئة تكريم العطاء المميز آلت على نفسها أن تستمر في نشاطاتها التكريمية المميزة، والتي إنتقلت من تكريم البيئة الذي تمثل بمؤتمر البيئة والمجتمع في العام 2017، إلى تكريم جبل عامل من خلال جمع جزءٍ من تراثه الذي يتطلبُ عددًا من المؤتمرات، وكمًّا من المجلدات، وقد تمثلّ ذلك بالمؤتمر الذي انعقد في هذه القاعة العام الماضي في شهر ايلول (2018)، وها نحن اليوم نكرّمُ المغتربَ اللبناني عمومًا، ومغتربي جبلْ عامل خصوصًا، وأُعلنُ من هذا المكانِ أن الاغترابَ أيضًا يحتاج إلى مؤتمرات عديدة للتمكُّن من التعرّف على كافة خفاياه في كل الميادين، وأعدكم بأننا لن نَكِلُّ بل سنتابع المسيرة التكريمية بدعمكم العلمي، المعرفي وايضًا المادي لأن هكذا نشاطات تتطلب جهود الميسورين أصحاب الأيادي البيضاء، وخاصة أن إنتاجنا المعرفي في هذا المؤتمر، كما نشاطتنا السابقة، يوزع مجانًا ليطال أكبر عينة مثقفة من فئات مجتمعنا اللبناني.

الأخوات والاخوة الحضور: دائمًا أحب أن أكشف عن نشاطاتنا المستقبلية. وها هيئة تكريم العطاء المميز وبعد إنجاز المؤتمر وإصدار الكتاب الذي سيجمع أبحاثه في فترة زمنية خيالية لا تتعدى الشهر، والذي سيوزع في مهرجان تكريم

المغترب اللبناني في تاريخ نعلمكم به لاحقًا. ستحوّل جهودها إلى تأسيس مكتبة علمية ورقية والكترونية تسمح لطلاب الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه)، وللباحثين أن يلجأوا إليها للبحث والتنقيب، والذين سيتلقون مساعدة وتوجيهات من أساتذة جامعيين إختصاصيين يتناوبون على الحضور اليومي إلى مركز المكتبة في كفرجوز المقدم من الحاج حسيب عواضة حماه الله وأطال في عمره وأمده بالعون في عمل الخير الذي يتولاه. ونسأل الله التوفيق.

أما كيف إكتمل هذا المؤتمر، فإن هيئة تكريم العطاء المميز، التي وعدت بمؤتمرات عاملية أخرى، وكانت قد حددت عنوانًا لهذا المؤتمر الاغتراب العاملي. وفي يوم من الأيام تراءى أمامنا نور مبهج يشع، تبعناه فحط بنا في بلدة الغسانية في دارة رئيس المجلس القاري الإفريقي السابق، الحاج عباس فوازالذي استقبلنا ببسمته المعهودة. وبعد أن عرضنا عليه الفكرة رحّب وقال: لِمَا لا يكون هذا المؤتمر مؤتمرالاغتراب اللبناني ونركّز في بعض محاوره على الاغتراب في جبل عامل. وانتهى بنا المطاف إلى تبني رأيه الأكثر صوابية. وقد تكفل بتأمين كافة مطلبات هذا المؤتمر بما فيها السعي إلى إنجاحه، وها نحن اليوم وغدًا سنؤكد ذلك كوننا ركزنا على مجموعة كبيرة من الباحثين أصحاب الباع الطويل والخبرة في البحث العلمي، وهم يمثلون ينابيع معرفية متميزة في كل الإختصاصات. شكرًا لك حضرة رئيس الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم الحاج عباس فواز الذي نعتبرك ونعلنك رئيسًا فخريًا وحاضنًا لهيئة تكريم العطاء المميز.

السادة الحضور أسمح لنفسي أن أتطرق إلى موضوع يفرضه الاغتراب الا وهو علاقة الدولة اللبنانية بالمغتربين اللبنانيين والتي تتميز بما يمكن أن تحصّله أو يحصِّله القيمون على السياسة اللبنانية والمؤثرون فيها ماديًا منهم (العلاقة هي علاقة إستفادة)، اما الحماية فلم تلحظها حالات المصاعب التي تعترضهم، وحالات الخطف والقتل والنهب، والسرقة، واذا ما حصل ذلك فهو من باب حفظ ماء الوجه... وما حادثة رجل الأعمال الأستاذ حسن جابر ابن النبطية في الآونة الأخيرة الا نموذجًا لتأطير هذه العلاقة. فالحمد لله الذي قيّض له عاملين أساسيين لإعادته سالمًا إلى ربوع الوطن: الأول أنه يحمل الجنسية الغابونية، والثاني متابعة رئيس المجلس القاري الإفريقي الحاج عباس فواز للموضوع وبفعالية ومثابرة حيث وصل النهار بالليل من أجل ذلك، والأمثلة كثيرة... ومن هنا أعتبر ان أهم ما نطالب به من هذا المؤتمر هو تنظيم هذه العلاقة، والمتابعة الجديّة

لشؤون اللبنانيين، كل اللبنانين في الخارج أينما حلوا وإلى أي طائفة إنتموا، وإلى أي فئة اجتماعية، وتصنيف مادي... وكذلك تسهيل شؤون اللبنانيين الذين تسمح ظروفهم للاستثمار في الوطن.

الأحبة في الختام أتوجه بالشكر إلى:

- رئيس الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم الأستاذ عباس فواز متمنيًا له النجاح في مهامه الصعبة والتي تتمثل في بدايتها بوحدة المغتربين اللبنانيين وإلتفافهم حول الجامعة.
- المجلس القاري الإفريقي رئيسًا وأعضاء إداليين.
- إلى الخليّة الناشطة (أعضاء الهيئتين الإدارية والعامة لهيئة تكريم العطاء المميز) الذين أفخر بمستوى تعاونهم الذي يقتدى به.
- إلى رؤوساء الجلسات، والباحثين وأصحاب المداخلات القيّمة المحضرّة مسبقًا.
- إليكم جميعًا كل فرد بإسمه لأنكم اليوم تمثلون الملوك المتوجين في ميدان العلم والثقافة والمعرفة، حيث قلّ نظيرَكم وأنا من على هذا المنبر أعتز وأفتخر بكم. عشتم عاشت هيئة تكريم العطاء المميّز عاش المجلس القاري الإفريقي وعاش لبنان.

المحور الأول

تاريخ الاغتراب

تقديم اليوم الأول:

أ. ختام عبد الرضى فحص



- إجازة في الاقتصاد من الجامعة اللبنانية ـ إدارة أعمال 1982 ـ 1986.
- ماجستير في إدارة الأعمال ـ الجامعة الاميركية بيروت 1992
- مساعدة ادارية لرئيس المجلس القاري الإفريقي نيسان 2015 لتاريخه.
- مديرة مكتب لرئيس مجلس إدارة شركة كوميوم غروب هولدنغ 2005 ـ 2015.
- مسؤولة إدارية لشركة Vega Investment Group Holding Company

أسعد الله صباحكم

نفتتح جلسات مؤتمرنا الاغترابي بالجلسة الأولى تحت عنوان: "تاريخ الاغتراب".

تترأس هذه الجلسة سيدة نذرت حياتها سعيًا وراء العلم والمعرفة، فتألقت، واستخدمت هذا التألق في خدمة الآخرين، إن في القطاع العام ضمن وزارة الشؤون الاجتماعية، أو في الجامعة اللبنانية، وصولاً إلى الإدارة في معهد العلوم الاجتماعية، حيث ما زالت تصبو إلى الوصول إلى ما يخدم التربية والأجيال لتتبوء سلم المجد. إنها مديرة معهد العلوم الاجتماعية، الأستاذة الدكتورة مريانا الخياط الصبوري لك الكلام دكتورة.

رئيسة الجلسة الأولى:

مديرة معهد العلوم الاجتماعية الفرع الخامس:

أ. د. مريان الخياط الصبوري



- مديرة معهد العلوم الاجتماعية ـ الفرع الخامس (صيدا) حاليًا.
- رئيسة دائرة العلاقات العامة والمؤتمرات في وزارة الشؤون الاجتماعية سابقًا.
- أمينة سر اللجنة الوطنية الدائمة للسكان سابقًا.
- المدير التنفيذي للمسح اللبناني لصحة الأسرة، إضافة إلى قيامها بمهام التنسيق سابقًا بين وزارة الشؤون الاجتماعية والاسكوا وصندوق الأمم المتحدة للسكان ومجلس وزراء الشؤون الاجتماعية العرب.
- عضو مؤسس في جمعية ديموغرافية.
- عضو في الجمعية العربية لعلم الاجتماع.
- عضو في الجمعية اللبنانية لعلم الاجتماع.

- ريجة المعهد الوطني للادارة والانماء (مجلس الخدمة المدنية) بيروت 1998 ـ 1999.
- حائزة على رتبة بروفسور(أستاذ دكتور) في العلوم الاجتماعية ـ الجامعة اللبنانية).
- أستاذة جامعية منذ عام 2002 ولغاية تاريخه.
- رئيسة قسم السكان والتنمية في معهد العلوم الاجتماعية ـ الفرع الخامس عام 2018.
- لها العديد من الأبحاث في مجال التنمية والسكان.
- كما شاركت في العديد من الدراسات والدورات التدريبية والمؤتمرات داخل لبنان وخارجه.

الهجرة اللبنانية وتداعياتها

إن التساؤل الذي يحدّد إشكالية ارتباط الهجرة بالحالة اللبنانية تاريخيا، يتمحور حول الدور الذي تمثله الهجرة على المستويين الماكرو والميكرو اقتصادي اجتماعي، خاصة ان تيارات الهجرة تتخذ منحى تصاعديًا بشكل مطّرد، وتطال الفئات الناشطة اقتصاديا؟

ونظرًا للتعقيدات التي تتضمنها حركة الهجرة الخارجية، فقد تضاربت الآراء حيالها بين مؤيّد ومعارض، ليس على المستوى المحلي فقط بل على المستوى العام. ففي مجال بحوث محدّدات الهجرة، هناك مروحة واسعة ومتنوّعة من النماذج أو المنظورات النظريّة التي تستخدم مفاهيم وافتراضات وإطارات ومستويات للتحليل، مختلفة عن بعضها البعض .(Kurekova, 2011) وإذا كانت مدرسة شيكاغو قد اهتمت بشؤون الهجرة والمهاجرين في مطلع القرن الماضي (Safi, 2011) مع الموجات المتتالية للمهاجرين نحو الولايات المتحدة من أنحاء العالم كافة، بحيث كانت نتيجتها نشأة الأحياء الفقيرة حول المدن والمصانع، وبناء الغيتوهات الإثنيّة والعرقيّة للعمال المهاجرين من أنحاء العالم كافة، الأمر الذي سبّب الكثير من النزاعات بين المجتمع المضيف والمجتمع الوافد بسبب اختلاف الثقافات والانتماءات العرقيّة والإثنيّة وبسبب اختلاف الانتماءات الطبقيّة لهؤلاء المهاجرين، ما أدى إلى ظهور الحاجة الإبيستمولوجيّة لدراسة هذه المجموعات الوافدة والبحث في المشاكل التي تعترض سبل تكيّفها في المجتمعات المستقبلة وديناميّات اندماجها. وقد حقّق هذا العلم تراكمًا معرفيًا حسب (Andrea Maryse) أندريا وماريز "بسبب القلق المزعج للأجانب في بلد ما" (Andrea Maryse, 2008). ومنذ ذلك الحين، تراكمت النظريّات السوسيولوجيّة

المعالجة لظاهرة الهجرة، وإن كان العديد من العلماء سبق وتناولوها أمثال دوركايم (Durkheim) وماركس (Marx) وغيرهما.

وتنوعت الآراء والرؤى بين المشتغلين بظاهرة الهجرة ونتج عنها موقفان متباينان لتفسير أسبابها ونتائجها: فالأول حاول فيه الباحثون إيجاد حلول علميّة للآثار الناشئة عن الهجرة الوافدة، بحيث يعتبر أرنيست رافينستين (Arnist Raffinistine)، صاحب أول نظريّة في تفسير الهجرة في العام 1885، في مقال قدّمه بعنوان "قوانين الهجرة" حيث خلص من خلال تحليله لبيانات تعداد السكّان، أن الهجرة محكومة بعوامل الدفع والجذب، حيث تدفع الظروف الاقتصادية السيّئة والفقر الأفراد إلى ترك أوطانهم والانتقال إلى مناطق أكثر جاذبية (الكردي، 2015). وقد نتج عن تحليلاته آنذاك عدد من القوانين المفسّرة لظاهرة الهجرة، كما عالج عددًا من المفاهيم التي لا زالت تستخدم في سوسيولوجيا الهجرة، حتى يومنا هذا، كمفهومي الطرد والجذب (Ravenstein, 1885).

وانسحبت المواقف المؤيدة والمعارضة للهجرة على المجتمع اللبناني، بحيث اعتبر التيار المؤيد أن للهجرة مكاسب عديدة على لبنان من خلال تحويلات المهاجرين والتخلص من الضيق الاقتصادي والضغط الأمني (شيحا، 1962، ص. 4)، ودعا أهل الجبل إلى الهجرة لأنه لم يعد يستطيع تأمين قوت سكانه الذين لا مفر أمامهم سوى الهجرة إلى الخارج تماثلاً بأجدادهم الفينيقيين. وإذا كانت هذه الدعوة موجهة إلى السكان المسيحيين بشكل خاص، إلا أنها انعكست على مختلف الفئات اللبنانية لو أن ميزان الهجرة كان يميل في البداية لصالح المسيحيين. ويستند أصحاب هذا الاتجاه إلى أن المهاجرين يشكلون قوة اقتصادية وسياسية تقدم دعمًا اقتصاديًا للبنان من خلال التحويلات الخارجية من ناحية، ودعمًا سياسيًا من خلال تبوؤ اللبنانيين مناصب سياسية في الخارج يستطيعون دعم القضايا اللبنانية في المحافل الدولية وفي علاقات المهاجرين مع النخب السياسية في الخارج.

وإذا كان صحيحًا أن المهاجرين يساهمون في دعم الاقتصاد اللبناني من خلال التحويلات الخارجية، إلا أن استثماراتهم تتمركز بشكل أساسي في البلدان التي هاجروا إليها، وكلما ازدادت معدّلات استثماراتهم أصبحوا أكثر اندماجًا في المجتمعات المستقبلة لهم، وأن علاقتهم بوطنهم تتمثل بزيارات مؤقتة أو بناء

قصور و"فلل" لا يسكنها سوى الحجاب والخدم. أما على مستوى الدعم السياسي لقضايا لبنان في الخارج، فنعتقد أن هذا الأمر مبالغ فيه، باعتبار أن الولاء يكون للدولة التي يمارس فيها المهاجر مهامه السياسية وليس للبنان، ويبقى ارتباطه في لبنان آنيًا ولدواعٍ عاطفية حيث عاش آباءه وأجداده.

أما المعارضون لتيار الهجرة فيعتبرون أن مساوئ الهجرة تفوق مكاسبها نتيجة للخسائر المترتبة عليها جراء تفريغ المجتمع من الأيدي العاملة الناشطة اقتصاديًا، لا سيما الكوادر العليا المتخصصة في مختلف الميادين، والتداعيات التي تحدثها الهجرة على صعيد البنية الديموغرافية حسب النوع الاجتماعي والعمر للسكان المقيمين. إضافة إلى تأخر سن الزواج لدى الشباب المهاجرين وما ينتج عنها من تداعيات تتعلق بالعنوسة وانخفاض معدّلات الخصوبة والزواج من أجنبيات وغيرها، خصوصًا وإن الدول المستقبلة أعادت النظر في قوانين الهجرة ولم تعد تستقبل سوى الفئات الشابة والمدربة بما يتناسب مع حاجاتها. وإذا سلمنا بصحة هذا التحليل، كيف نفسر حالة مئات الشباب والمتعلمين الذين يعانون من البطالة السافرة أو المقنعة أو الذين يعملون في القطاع الهامشي؟ ألا تشكّل الهجرة حلاً للأوضاع السيئة التي يعيشها هؤلاء وتمكنهم من تأمين مستقبل لائق لهم؟

وفي ظل هذا التناقض في الرؤيا من ظاهرة الهجرة، فكيف يمكن التوفيق بين حاجات التنمية المحلية وتأمين مستوى معيشة لائق للأسرة في لبنان؟ ولما كانت هذه المعادلة تتجاوز قدرة السكان باعتبارها من اختصاص المؤسسات الرسمية المعنية، فتصبح الهجرة العشوائية تقع على عاتق كل فرد يشعر بالحاجة إليها.

1 - Ravenstein, E. G. (1885). The Laws of Migration, Blackwell Publishing for the Royal Statistical Society. Journal of the Statistical Society of London. Vol. 48. No.2. Tun.

2 - Andrea, R. Maryse, T. (2008). Sociologie de l'immigration. La Découverte. º Repères ª, 128 pages. ISBN: 9782707154736. https://www.cairn.info/sociologie-de-l-immigration--9782707154736.htm. (Retreived: 26 January 2017).

3 - Safi, M. (2011). ºPenser l'intégration des immigrés: les enseignements de la sociologie américaine ª. Sociologie ÜEn ligneï. N?2. vol. 2. http://journals.openedition.org/sociologie/964. (Retreived: 25 June 2017).

4 - Kurekova, L. (2011). Theories of migration: Conceptual review and empirical

testing in the context of the EU East West flows. Migration. Economic Change, Social Challenge. University College London.

5 ـ شيحا، م. (1962). لبنان في شخصيته وحضوره. دار الندوة اللبنانية. بيروت.

6 - Safa, E. (1960). L,emigration libanaise.

مفاهيم، مقومات ونظريات الهجرة:

أ.د. هويدا الترك



- أستاذ في الجامعة اللبنانية ـ معهد العلوم الاجتماعية، متخصصة في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتدرس في اختصاصي التنمية والعلوم الاجتماعية والموارد البشرية.
- حازت على شهادة الدكتوراه من الجامعة اللبنانية، بالإضافة لحيازتها الإجازة في الحقوق من الجامعة اللبنانية.
- مارست مهام إدارية عدة سابقًا ومنها مستشار وزير الداخلية والبلديات للشؤون الإنمائية في محافظة لبنان الجنوبي، قائمقام قضاء جزين، رئيس قسم البلديات في محافظة لبنان الجنوبي...،
- أصدرت عددًا من المؤلفات والدراسات ولها العديد من المشاركات العلمية...، وهي تشرف على طلاب دكتوراه وماستر في الجامعة اللبنانية...

ملخص

تمحورت هذه الورقة البحثية حول مفاهيم الهجرة التي تعد حركة سكانية يتم فيها انتقال الفرد أو الجماعة من وطنه الأصلي إلى وطن جديد يختاره نتيجة لأسباب عديدة كالبحث عن عمل أو عن مكان مناسب يتيح له الفرصة المؤاتية لعرض قوة عمله وتحسين واقعه المعيشي، أو نتيجة الاحتجاج على الأوضاع السائدة في وطنه الأصلي وعدم قدرته على التأقلم مع تلك الأوضاع...إلخ، فتصبح بذلك الهجرة إلى بلد آخر حلاً مناسبًا لضمان كسبه الرزق من ناحية، ولتحقيق أمنه الإنساني من ناحية أخرى. كما عالجنا خلالها مقومات الهجرة والنظريات المفسرة لها...إلخ.

الكلمات المفتاحية:

الهجرة ـ الهجرة الدائمة ـ الهجرة المؤقتة ـ الهجرة الشرعية ـ الهجرة غير الشرعية.

مقدمة

تعد الهجرة من أهم الحركات والظواهر الاجتماعية العالمية، لما لها من أبعاد تتجاوز حدودنا الوطنية أو القومية، وتؤثر بطريقة أو بأخرى على استقرار المجتمعات وأمنها، وتطال البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية للدول سواء المستقبلة أو المرسلة. وقد زاد في الآونة الأخيرة الاهتمام بعلم اجتماع الهجرة أو سوسيولوجيا الهجرة[1]، وهو فرع تشعب عن علوم

(1) علم اجتماع الهجرة: يتناول العديد من القضايا ذات الصلة بالهجرة والسكان، ويتطرق إلى الآثار الاجتماعية الإيجابية والسلبية المترتبة على الهجرة وآثارها على التركيب السكاني وعمليات التنمية في=

السوسيولوجيا المعاصرة، الذي ظهر في مطلع القرن الماضي مع مدرسة شيكاغو، ثم تطور من خلال الأبحاث التي أجريت في أوروبا خلال فترة سبعينيات القرن المنصرم لدراسة أثر وفود المهاجرين، وانعكاسات ذلك على المجتمعات المضيفة، ولمعالجة الاشكاليات التي يخلقها عدم التكيُّف بداية، ومن ثمّ عدم الاندماج.

تقع هذه الورقة البحثية ضمن نطاق اختصاصنا كباحثين ومهتمين في مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية، لما للهجرة من دلالات مرجعية وانعكاسات مجتمعية، تطال الفرد والجماعة وتؤثر في الاقتصادات سواء على مستوى بلد المقصد أو البلد الرافد للهجرة (المهاجر منه)، علاوةً على تأثيرها على المجتمعات المحلية واقتصادات الأسر...إلخ. وسنعالج الموضوع من خلال استخدامنا للمقاربة السوسيو-تنموية التي تقع ضمن منطوق انعكاسات الهجرة من الناحية النظرية على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتنموية.

لذا انطلقنا من التساؤل المركزي التالي: ما هو التأصيل النظري المفاهيمي والقانوني للهجرة؟ وما هي حدود مقوماتها والنظريات التي تؤطرها كظاهرة اجتماعية؟

1 ـ التأصيل النظري المفاهيمي والقانوني للهجرة ودوافعها

عرف العصر الحديث تفاقمًا لهذه الظاهرة من خلال تزايد أعداد المهاجرين، مثلما يشير إلى ذلك أنطوني غدنز: "ليست الهجرة ظاهرة جديدة، غير أنها أخذت بالتسارع المتزايد في العقود الأخيرة لتصبح جزءًا لا يتجزأ من عملية التكامل العالمي. وأصبحت أنماط الهجرة تعبّر عن التغيرات التي طرأت على

=البلدان المستقبلة أو المرسلة للمهاجرين، كما يتناول الهجرة الدولية ويطل على حالات الهجرة الداخلية التي نصطلح على تسميتها بالنزوح، وتأثيرها على عمليات التنمية ومتغيراتها الاجتماعية والاقتصادية وعلى آليات التخطيط الاجتماعي سواء في البلد المستقبل للمهاجرين أو المرسل لهم أيضًا، كما يدرس قوة الجذب والطرد التي ساهمت في حركة الهجرة بجانب آثارها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والديموغرافية، كما يعالج أنواع الهجرة وأقسامها والجماعات والأقليات المهاجرة وتفاعلها واندماجها في البلد المضيف، وأوضاعها الاجتماعية والعملية ومواقف المجتمعات المضيفة منها، علاوة على تعمقه بدراسة العلاقات التي تربط بين الظواهر السكانية في ضوء نظريات الهجرة والسكان والعوامل الاجتماعية الاخرى من معايير وثقافات وقيم وادوار وسياسات تشريعية ذات الصلة بالنمو السكاني...ألخ.

العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين دول العالم. وتشير بعض التقديرات إلى أنَّ عدد المهاجرين في مختلف أنحاء العالم عام 1990 بلغ نحو ثمانين مليون شخص، شمل نحو عشرين مليونًا من اللاجئين. ويُعتقد أنَّ هذه الأعداد ستتزايد في أوائل القرن 21، بل إنَّ بعض علماء الاجتماع يُطلقون على أيامنا هذه "عصر الهجرة" (غندز، أ، 2005، صفحة 331) في ما يلي سنتناول التأصيل النظري المفاهيمي لظاهرة الهجرة، تصنيفها ودوافعها، لاظهار أهميتها على مستوى البلد الأصلي والمستقْبِل.

1-1- التأصيل النظري المفاهيمي للهجرة:

تعد الهجرة البشرية ظاهرة قديمة العهد، تمتد إلى الفترات الأولى من تاريخ البشرية. ولا تزال الهجرة الخارجية والهجرة الوافدة في العصر الحديث، تتيح فرصًا كثيرة للدول والمجتمعات والمهاجرين. (وكالة الأمم المتحدة للهجرة، 2018، صفحة 13)

أمَّا الهجرة في عالم اليوم، باتت لا تشكل أحد مظاهر العولمة التي تنشر أبعادها على العالم فحسب، إنما أصبحت أيضًا حصيلة منطقية أفرزتها العولمة ذاتها. ومع هذا كله، بات من الملاحظ أنَّ أقلية ضئيلة من بني البشر تسلك مسافات بعيدة في هجرتها، أي أن فئة ضئيلة العدد تهاجر من قارة إلى أخرى، أو تهاجر لأمد طويل أو على مدى الحياة. (ديفيل، ف، 2006، صفحة 1 بتصرف)

الهِجْرَةُ هي الخروج من أَرضٍ إلى أُخرى، أو انتقال الأَفراد من مكان إلى آخرَ سعيًا وراءَ الرزق. أما في اللغة بحسب ما وردت في معجم المعاني الجامع، فهي مصدر الفعل هاجَرَ، وتُجمع على هِجرات، وهي خروج الفرد من أرض وانتقاله إلى أرض أخرى، بهدف الحصول على الأمان والرزق، أو هي انتقال المرء من بلدٍ إلى بلدٍ آخر، ليس مواطنًا فيه ليعيش فيه بصفةٍ دائمةٍ. (المعاني، بلا تاريخ)

من المنظور التنموي يمكن أن تعبر الهجرة عن حركة انتقال السكان من دولة إلى أخرى بغية العمل والإستقرار، يقدم عليها السكان طواعية من أجل البحث عن حياة أفضل، لعدم تقبلهم الحياة في دولتهم، وأملاً بالحصول على ارتياح اقتصادي أو نفسي، أو يقدمون عليها إجباريًا بسب الفقر المدقع في بيئتهم، أو بسبب ضغوطات سياسية أو عسكرية. وتعتبر الهجرة المصدر الرئيسي لتغيير الكثافة السكانية، عدا عن كونها عنصرًا هامًا من عناصر الزيادة الطبيعية بسبب زيادة

المواليد ما بين المهاجرين، وغير الطبيعية إذ تؤثر في النمو السكاني في دولة أو قارة دون غيرها. (وهب، ع، 1998، صفحة 57)

أمَّا الجغرافيون فيعتبرون أنَّ الهجرة عبارة عن عملية إعادة توزيع للموارد البشرية على المستوى المكاني. ويركزون منهجهم على دراسة تباين هذه العملية، وتأثيراتها في مناطق الأصل والاستقبال. كما يدرسون الهجرة باعتبارها أحد المكوّنات في عملية التغيير الإقليمي العام، ويعتمدون المنهج في جانبه التجريبي والواقعي، من حيث كون الأطر النظرية المتخصصة ملائمة للمشكلة قيد البحث. وهذه مسألة مهمة تساهم في الوصول إلى استنتاجات أكثر واقعية (فياض، هـ، العدد 26 خريف 2018).

وقد توصل عالم الاجتماع الجزائري "عبد المالك صياد" إلى مصطلحين في توصيفه لمفهوم الهجرة هما: émigrationو immigration، المصطلح الأول يمكن ترجمته إلى الهجرة، وهو انتقال من البلد الأصلي نحو بلد آخر. أما المصطلح الثاني، يمكن ترجمته إلى مصطلح الغُرْبة، ويعني التواجد والعيش في البلد المُستقبِل. إذن فالهجرة حسب صياد تكون دائمًا من البلد الأصلي نحو بلد الاستقبال، وتكون غُرْبَةً في بلد مُسْتَقْبِل، فيكون المُنتَقِلُ مهاجرًا من بلده الأصلي ليصبح مُغْتَرِبًا في بلد مُسْتَقْبِلٍ له.

1 - 2- تصنيف الهجرة:

هناك تصنيفات عديدة للهجرة، على سبيل المثال لا الحصر وفق الإرادة، المدة الزمنية، النطاق الجغرافي أو الأسباب، وسنفصّلها وفق الآتي:

1-2-1- بحسب الإرادة:

* **هجرة اختيارية:** حيث يكون الشخص هو صاحب الإرادة والقرار ويختار الهجرة بحثًا عن فرص أو حياة أفضل من وجهة نظره وإرادته. (الهجرة حول العالم- رحلة البحث عن وطن!، بلا تاريخ)
* **هجرة إجبارية أو قسرية:** وهنا ليس للشخص إرادة أو اختيار، وإنما هو مجبر ومكره على الهجرة كما هو الحال في حالات التهجير والنفي والابعاد القسري. (الهجرة حول العالم- رحلة البحث عن وطن!، بلا تاريخ) وقد عرفت الأمم المتحدة الهجرة القسرية بأنَّها "حركة السكان التي يتوفر فيها عنصر الضغط والإجبار، بما في ذلك الخوف من الاضطهاد والخطر على

الحياة والرزق، سواء كانت بفعل البشر أو بفعل الطبيعة مثل اللجوء أو الهجرة القسرية داخليًا، والهجرة القسرية بسبب الكوارث الطبيعية أو الكيميائية أو النووية أو بسبب المجاعة أو المشاريع التنموية. (فيحان، و، 2019)

1-2-2- بحسب المدة الزمنية:

* **الهجرة المؤقتة:** هي انتقال الشخص إلى مكان آخر بهدف محدد ولمدة محددة كالعمل أو كسب العيش أو اتمام مرحلة دراسية ثم يعود مرة أخرى لموطنه الأصلي بانتهاء المهمة التي هاجر من أجلها.

* **الهجرة الدائمة:** هي انتقال الشخص إلى مكان جديد بغية الاستقرار فيه بشكل نهائي، كأن يهاجر الشخص إلى دولة معينة بهدف الحصول على جنسيتها والاستقرار فيها. (الهجرة حول العالم- رحلة البحث عن وطن!، بلا تاريخ)

1-2-3- بحسب النطاق الجغرافي:

* **هجرة داخلية:** هي التي تكون داخل نفس الإقليم أو الدولة أو النطاق الجغرافي والسياسي الواحد. لهذا النوع من الهجرة آثار إيجابية لتوزيعها الموارد البشرية في الماكن التي توجد فيها موارد طبيعية أو نشاط اقتصادي، وهي تنشط الدورة الاقتصادية. (فيحان، و، 2019)

* **هجرة خارجية:** هي التي تتجاوز النطاق السياسي والجغرافي للدولة أو الإقليم.

1-2-4- بحسب الأسباب:

* **هجرة سياسية:** هي هجرة الأشخاص من بلد معينة بسبب المضايقات التي تمارسها السلطة الحاكمة تجاه من يختلفون معها في الأفكار أو التوجُّهات والآراء السياسية.

* **هجرة دينية:** هي التي يلجأ إليها أبناء طائفة أو ديانة أو معتقد ديني معين بسبب الممارسات التي توجه لهم ممن يختلفون معهم في الدين أو المذهب أو المعتقد.

* **هجرة مهنية أو عمالية:** منها هجرة العقول وأصحاب الكفاءات والتخصُّصات العلمية النادرة، حيث ينتقلون من بلد إلى آخر بهدف العمل وتقديم ما لديهم

من أفكار ومخترعات في بيئة علمية ومهنية تقدر ما لديهم وتساعدهم على تحقيقه.

* **هجرة العلم**: هو الانتقال من مكان لمكان بهدف استكمال الدراسة العلمية أو إجراء دراسات معينة تتوفر بشكل أفضل في بلد آخر.

* **هجرة وسائل الإعلام**: تعرَّف هجرة وسائل الإعلام كالصحف والمجلات والقنوات الفضائية بأنَّها هجرة الإعلاميين إلى بلد آخر لتبث أو تنشر محتواها وموادها الإعلامية من بلد آخر يقدم لها تقنيات أو حريات تمكنها من القيام بدورها وتقديم رسالتها الإعلامية. (الهجرة حول العالم- رحلة البحث عن وطن!، بلا تاريخ) (فيحان، و، 2019، صفحة 157 بتصرف)

1-2- التأصيل النظري القانوني للهجرة:

يعرف فقهاء القانون الدولي للهجرة، بأنها مغادرة الفرد لإقليم دولته نهائيًا إلى إقليم دولة أخرى.

ويعرّف بعض الفقهاء الهجرة أيضًا بأنها انتقال الأفراد من دولة لأخرى للإقامة الدائمة على أن يتم اتخاذ الموطن الجديد مقرًا وسكنًا مستديمًا. ومن هذا التعريف نجد أنَّ القانون الدولي قد اعتد بنية المهاجر، وعلى ذلك فإذا ترك الإقليم وفي نيَّته العودة إليه بعد أي مدة كانت طويلة أو قصيرة، فلا يعتبر ذلك من وجهة نظر هذا الفقه هجرة.

ويمكننا أن نتطرق ضمن هذه الفقرة لتأطير مفهوم الهجرة القانوني، فهي إما هجرة مشروعة أو منظمة أو قانونية، ويتم هذا النوع من الهجرة وفق المتطلبات والأعراف والقواعد الشكلية والموضوعية المعمول بها دوليًا وفق قانون كل دولة على حدة.

أما الهجرة غير المشروعة فيكون بموجبها المهاجر لا يحمل وثيقة سفر، ولا يتمتع بالإذن الشرعي للدخول إلى دولة المقصد، وقد شاع هذا النوع من الهجرة كثيرًا لارتباطه بمسألة الأمن الاجتماعي للدول المستقبِلة لوفود المهاجرين. وكان "سمير أمين" قد اعتبر أنَّ العالم مكون من دول المركز والمحيط، وأنَّ الهجرة بشقيها الشرعية وغير الشرعية عامل أساسي في فائض القيمة من دول المحيط إلى دول المركز، خاصة الكفاءات، على اعتبار أن دول المحيط هي التي تتحمل تكاليف التعليم والتكوين. (بومنجل، خ، 2016)

أشارت المادة 13 من الاعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنَّه: "لكل فرد الحق في حرية التنقل وفي اختيار محل إقامته داخل حدود الدولة، وان لكل فرد الحق في مغادرة أي بلد بما في ذلك بلده وفي العودة إلى بلده".

أما العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام 1966، فقد نص على حق كل فرد مقيم بصفة قانونية في الدولة في الانتقال وفي اختيار مكان إقامته ضمن ذلك الإقليم، وحق كل فرد في مغادرة أي بلد بما في ذلك بلاده.

كما أنَّ المادة 22 من الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان الصادرة عام 1969 المتعلقة بحرية التنقل والإقامة نصَّت على أنَّه:

1 ـ لكل شخص متواجد بصورة شرعية في أراضي دولة طرف، حق التنقل والإقامة فيها مع مراعاة أحكام القانون.

2 ـ لكل شخص حق مغادرة البلد المتواجد فيه بحرِّية، بما في ذلك مغادرة وطنه.

3 ـ لا يجوز تقييد ممارسة الحقوق المذكورة أعلاه إلا بموجب قانون وبالقدر الذي لابد منه في مجتمع ديمقراطي من أجل منع الجريمة أو حماية الأمن القومي أو السلامة العامة أو النظام العام أو الأخلاق العامة أو الصحة العامة أو حقوق الآخرين أو حرياتهم.

4 ـ يمكن أيضًا تقييد ممارسة الحقوق المذكورة في الفقرة (1) بموجب القانون في مناطق محددة ولأسباب تتعلق بالمصلحة العامة.

5 ـ لا يمكن طرد أحد من أراضي الدولة التي هو أحد مواطنيها ولا حرمانه من حق دخولها.

6 ـ لا يمكن طرد أجنبي متواجد بصورة شرعية على أراضي دولة طرف في هذه الاتفاقية إلا بموجب قرار صادر وفقًا للقانون.

7 ـ لكل شخص الحق في أن يطلب ويمنح ملجأً في قطر أجنبي، وفقًا لتشريعات الدولة والاتفاقيات الدولية، إذا كان ملاحقًا بجرائم سياسية أو جرائم عادية ملحقة بها.

8 ـ لا يجوز في أي حال من الأحوال ترحيل شخص أجنبي أو إعادته إلى بلد ما سواء كان بلده الأصلي أم لا، إذا كان حقه في الحياة أو الحرية الشخصية

معرضًا لخطر الانتهاك في ذلك البلد بسبب عرقه أو جنسيته أو دينه أو وضعه الاجتماعي أو آرائه السياسية.

9 ـ يمنع طرد الأجانب جماعيًا.

أيضًا نصَّ الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان الصادر عام 1986 على اعتراف النظام الإفريقي بالحاجة إلى الحماية، ليس فقط للاجئين، ولكن أيضًا للنازحين.

أما الاتفاقية الدولية للأمم المتحدة حول حقوق العمال المهاجرين وافراد أسرهم لعام 1990، فقد عرّفت العامل المهاجر بأنّه: الشخص الذي سيزاول أو يزاول نشاطًا مقابل أجر في دولة ليس من رعاياها، فضلاً عن أنّها حددت الشروط والضوابط التي تنطبق على العامل المهاجر، وبيان حقوقه والضمانات الخاصة به مع افراد أسرته.

كذلك اتفاقية الأمم لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية والبرتوكول الملحق بها لعام 2000، أنَّ الاتفاقية تهدف إلى تعزيز التعاون في مجال منع الجريمة المنظمة عبر الوطنية ومكافحتها، ويؤكد البروتوكول على معاملة المهاجرين معاملة إنسانية ومحاربة انشطة الجماعات الاجرامية المنظمة في مجال تهريب المهاجرين.

أما محكمة العدل الدولية التي تعد بمثابة الجهاز القضائي الرئيسي للأمم المتحدة، التي تتمتع بدور مزدوج في تسوية النزاعات القانونية المقدمة من قبل الدول وفقًا للقانون الدولي وتقديم آراء استشارية في المسائل القانونية. فقد ساهمت في تعزيز حقوق الإنسان من خلال تفسير وتطوير قواعد ومبادئ هذه الحقوق في الحالات التي تقدمت بها الدول أو الهيئات الدولية لمحكمة العدل الدولية، كما تناولت حقوقًا كحق تقرير المصير وعدم التمييز **وحرية التنقل** وحظر التعذيب وغيرها.

1-3- دوافع الهجرة:

تتعدد الدوافع التي تحدو بالفرد أو الجماعة للهجرة من موطنهم الأصلي تبعًا لاعتبارات عديدة، منها:

* "انعدام الاستقرار السياسي وغياب الديمقراطية، وارتفاع حدة القمع وانتهاكات حقوق الإنسان المدنية.
* انخفاض المستوى المعيشي والدخل.

* انعدام توازن النظام التعليمي وفقدان الارتباط بين أنظمة التعليم ومشاريع التنمية الوطنية.
* عدم الاهتمام بالعلم والعلماء وانخفاض الإنفاق على البحث والتطوير.
* فشل عملية التنمية وانتشار الفساد الإداري والبطالة". (الخطيب، ع؛، 2006، الصفحات 100-101)

2 ـ مقومات الهجرة ودور المنظمات الدولية المعنية بها

إنَّ الحصول على حياة مستقرة تتوفر فيها الخدمات المختلفة ومستويات عيش مقبولة، حيازة فرص عمل، تحقيق الأمن والاستقرار...إلخ، تعد من أهم المقاصد التي يسعى إليها الإنسان، ولكن ذلك لا يتحقق في عالمنا اليوم، إذا لم يكن هناك تحصين لحقوق الإنسان على المستوى الوطني أو العالمي.

تحظى الهجرة هذه الأيام بأهمية بالغة في المناقشات السياسية على الصعد المحلية والإقليمية والدولية. وقد دفع اتساعها وتعقيدها الدول والمؤسسات الدولية والمجتمع المدني إلى العكوف على دراسة التحديات والفرص التي تحتويها هذه الظاهرة الاجتماعية، وكذلك على الحلول الاجتماعية المناسبة التي يجب تقديمها (يوروميد للهجرة 2، 2012، صفحة 7 بتصرف). لذا سنتطرق في ما يلي إلى مقومات الهجرة ودور بعض المنظمات الدولية المعنية بالهجرة، ومنها:

2-1- مقومات الهجرة:

هناك العديد من المقومات الأساسية التي ينبغي التفكير فيها قبل اتخاذ قرار الهجرة، مثل:

- إتقان لغة البلد المهاجر إليها، سواء مقروءة و/أو مكتوبة، لأنَّ هذا الأمر يسهل على المهاجر فرصة متابعة دورات تعليمية متقدمة تؤهله للاستحصال على فرص فضلى في بلد المهجر.
- إتقان مهارات عملانية وتخصصية معينة؛ يساهم في الحصول على عمل بصورة أسرع وبدخل أعلى.
- حيازة قدر كافٍ من المال لتجاوز الشهور الأولى في البلد المهاجَر إليه، ريثما يستطيع المهاجر الحصول على فرصة عمل تلائمه، أو لحين حصوله على المعونات التي تقدمها بعض الدول للاجئين والمهاجرين.

ـ الحرص على توثيق أوراق المهاجر وعائلته والمستندات الرسمية، والتزود بكافة الشهادات والمؤهلات والخبرات التي حصل عليها.

ـ التزود بمعلومات تفصيلية عن البلد المُهاجر إليه.

"من خلال دراسة اجتماعية حول الاندماج في الدول الأوربية، أجراها كلّ من "المجلس البريطاني"، و"مجموعة سياسة الهجرة" شملت 25 دولة أوروبية إضافة إلى كندا؛ توصلت إلى أنّ اندماج الأجانب لا يمكن أن يتوقف عليهم فحسب، بل لابد للدولة أن تقدّم الدعم لهذا الغرض، ومن أهم العوامل التي تسهل عملية الاندماج حسب الدراسة هي: تسهيل دخول الأجانب نحو سوق العمل، تسهيل عملية التجنيس، منحهم حق الانتخاب...إلخ. كما خلصت الدراسة، إلى وجود تجارب شخصية عايشها الكثير من اللاجئين أو المهاجرين العرب تحديدًا نظرًا لموجات الهجرة الجماعية التي فرضت نفسها على كثير من مواطني الدول العربية على رأسها سوريا والعراق، وقد ساهمت هذه التجارب في الكشف عن الدور الحقيقي المفترض أن تقوم به دول اللجوء أو الهجرة، تتمثل في: تقنين عمل الأجانب في سوق العمل من خلال إصدار إقامة أو إذن عمل يضمن حقه من الضياع أو الاحتيال، تسهيل عملية تعليم اللغة وتقديم فرص مشجعة لهذا، مساهمة الإعلام في نقل الصورة الحقيقية عن ظروف اللاجئين والابتعاد عن التعميم السلبي، بهدف وضع المواطن الأصلي تحت الصورة، تسهيل عملية التجنيس للمواطن الأجنبي الصالح". (فرهود، م، 2018)

2-2- دور المنظمات الدولية المعنية بالهجرة:

اعترفت خطة التنمية المستدامة لعام 2030 لأول مرة بمساهمة الهجرة في التنمية المستدامة. ونلاحظ احتواء 11 من بين أهداف التنمية المستدامة الـ 17على مؤشرات ذات الصلة بالهجرة. وقد تمحور المبدأ الأساسي لجدول أعمال التنمية على ضرورة "عدم التخلي عن أحد" بما في ذلك المهاجرين. وتمَّ إدراج المرجعية المركزية لأهداف التنمية المستدامة في الهدف 10 المقصد 7 كالتالي: تسهيل الهجرة والتنقل المنظم والآمن والمنتظم والمسؤول للأشخاص من خلال تنفيذ سياسات الهجرة المخطط لها والمدارة بشكل مسؤول. فيما تشير الأهداف الأخرى مباشرة إلى الهجرة من خلال الاتجار والتحويلات المالية وحركة الطلاب الدوليين

والعديد من أبعاد الهجرة، كما ترتبط الهجرة بشكل غير مباشر بالعديد من الأهداف الأخرى. (الامم المتحدة;، 2017)

وقد قام الأمين العام للأمم المتحدة بتشكيل الفريق المعني بالهجرة في مطلع عام 2006 وذلك استجابة لتوصيات اللجنة العالمية المعنية بالهجرة الدولية الخاصة بتشكيل فريق مؤسسي رفيع المستوى مشترك بين الوكالات للمشاركة في الأنشطة المتعلقة بالهجرة[1]. يتألف هذا الفريق من 10 منظمات تشارك بفاعلية في المسائل المتعلقة بالهجرة الدولية وما يتصل بها، وهي:

* منظمة العمل الدولية (ILO)
* المنظمة الدولية للهجرة (IOM)
* مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) (UNCTAD)
* برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP)
* إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية التابعة للأمانة العامة للأمم المتحدة (UN-DESA)
* صندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA)
* المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان (OHCHR)
* المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR)
* مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة (UNODC)
* البنك الدولي

2-2-1- قضايا واهتمامات الفريق العالمي المعني بالهجرة:

يركز الفريق العالمي المعني بالهجرة في الوقت الراهن مناقشاته على عدد من القضايا المحددة، من بينها:

* ضمان المتابعة الفعالة للحوار الرفيع المستوى.

---

(1) تشكل الفريق عن طريق تعزيز فريق قائم مشترك بين الوكالات بعضويات محدودة من الفريق المعني بالهجرة في جنيف الذي تم تشكيله في إبريل/ نيسان عام 2003. يعقد الفريق المعني بالهجرة اجتماعات دورية. وتكون رئاسته بالتناوب حيث يتولاها الرؤساء التنفيذيون للمنظمات الأعضاء. وقد عقد أول اجتماع للفريق في 9 أيار عام 2006 وترأسه الأمين العام لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد). وقد شارك جميع الأعضاء في الفريق المعني بالهجرة مشاركة فعالة في الإعداد للحوار الرفيع المستوى حول الهجرة الدولية والتنمية بالجمعية العامة التي عقدت عام 2006.

* المشاركة في الاستعدادات للحوار الرفيع المستوى بالجمعية العامة التي عقدت في شهر أيلول 2006 حول الهجرة الدولية والتنمية.
* تبادل المعلومات ونتائج الأبحاث والبيانات الإحصائية، وخاصة فيما يتعلق بالقضايا ذات الصلة بالهجرة والتنمية.
* تشكيل شبكة مشتركة للأبحاث الخاصة بمسائل الهجرة والتنمية، مع التأكيد بصفة خاصة على بناء القدرات البحثية في البلدان النامية.
* البدء في تدريب مشترك وأنشطة بناء القدرات في مجالات مثل إدارة الهجرة وقانون الهجرة وحقوق الإنسان للمهاجرين، وحماية اللاجئين، ومكافحة الاتجار بالبشر، وكذلك الربط بين الهجرة والتجارة والتنمية. (المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2006)

2-2-2- المنظمات المعنية بقضايا الهجرة:

سنستعرض في ما يلي المنظمات الـ 10 المعنية بقضايا الهجرة عالميًا، وهي:

2-2-2-1- منظَّمة العمل الدوليّة "ILO"[1]:

تأسست عام 1919، مقرها مدينة جنيف في سويسرا؛ تأسَّست بعد الحرب العالمية الأولى، تعتمد على أنها ركيزة دستورية أساسية للسلام العادل والدائم في العالم، وبالتالي لن يتم تحقيقهما إلا إذا استند على العدالة الاجتماعية. وكانت هذه المنظمة اقد رسمت العلامات المميّزة للمجتمع الصناعي، مثل تحديد ساعات العمل في 8 ساعات، سياسات الاستخدام، سياسات أخرى تتعلق بالسلامة في مكان العمل، العلاقات الصناعية السليمة...إلخ. وهي بذلك تمتلك تفويضًا دستوريًا صريحًا، لحماية حقوق العُمّال في حالات الهجرة الدوليّة للأيدي العاملة.

انضم لبنان إلى منظمة العمل الدولية عام 1948 أي بعد 5 سنواتٍ على استقلاله. كان لبنان قد صادق على 50 اتفاقية من اتفاقيات منظمة العمل الدولية، ومنها 7 من

(1) (International Labor Organization) (ILO) مُنظَّمة العمل الدوليّة: تأسست عام 1919، مقرها مدينة جنيف في سويسرا؛ تأسست بعد الحرب العالمية الأولى، تعتمد على أنها ركيزة دستورية أساسية للسلام العادل والدائم، وبالتالي لن يتم تحقيقهما إلا إذا استند على العدالة الاجتماعية. وكانت هذه المنظمة اقد رسمت العلامات المميزة للمجتمع الصناعي، مثل تحديد ساعات العمل في ثماني ساعات، وسياسات الاستخدام، وسياسات أخرى تتعلق بالسلامة في مكان العمل، والعلاقات الصناعية السليمة...إلخ.

الاتفاقيات الأساسية الـ 8 التي تعالج قضايا حقوق الإنسان الرئيسية بما فيها العمل الجبري، وعمل الأطفال، والحرية النقابية، وتكافؤ الفرص، والمعاملة في العمل. وتستضيف العاصمة اللبنانية بيروت المكتب الإقليمي للدول العربية التابع لمنظمة العمل الدولية منذ عام 1976. مع الإشارة إلى أنَّه أغلق أثناء الحرب الأهلية اللبنانية (1975-1990)، ولكنه أعاد فتح أبوابه عام 1995. وقد وضعت منظمة العمل الدولية سلسلة تدخلاتٍ كجزءٍ لا يتجزأ من خطتها لمواجهة أزمة اللاجئين السوريين في لبنان. وتهدف تلك التدخلات إلى تعزيز قدرة المنتجين (الإفراديين والمجموعات) والعمال في ريف لبنان على مواجهة أزمة اللاجئين السوريين مع التركيز على سبل العيش والمجتمعات المضيفة والصمود في وجه الأزمات والحماية الاجتماعية. (منظمة العمل الدولية، 2014)

2-2-2-2- المنظمة الدولية للهجرة (IOM):

تلتزم المنظمة الدولية للهجرة بمبدأ أن الهجرة بطريقة إنسانية ومنظمة تعود بالفائدة على المهاجرين وعلى المجتمع. وهي تعمل بوصفها منظمة دولية حكومية، مع شركائها في المجتمع الدولي على: تقديم المساعدة في التصدي للتحديات التنفيذية التي تواجه الهجرة، وتعزيز فهم مسائل الهجرة، وتشجيع التنمية الاجتماعية والاقتصادية من خلال الهجرة، والعمل من أجل تحقيق الاحترام الفعال للكرامة الإنسانية للمهاجرين ورفاههم. (وكالة الأمم المتحدة للهجرة، 2018، صفحة 2)

2-2-2-3- مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) (UNCTAD):

يُعد مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) جهة التنسيق الأممية المعنية بالمعالجة المتكاملة للتجارة والتنمية بهدف أن تعمل الهجرة لمصلحة التنمية. وهو يقوم على 3 ركائز هي: البحث/ التحليل، والمساعدة الفنية، وبناء توافق الآراء الحكومية الدولية، لأجل تعزيز الترابط والفهم الشامل على نحو فعال، ويتضمن ذلك معالجة التفاوت في رأس المال العالمي وأسواق العمالة، وطرح خيارات للسياسة الإستراتيجية للهجرة والتجارة والتنمية، وذلك عن طريق عدة طرق من بينها عقد اجتماعات للخبراء وإصدار النشرات الأساسية. ويُعد المؤتمر رائدًا في مجال العمل التحليلي، كما قدم المساعدات الفنية والتدريب لصناع السياسات والمفاوضين التجاريين بأسواق الاقتصاديات النامية والانتقالية

بشأن العديد من المسائل المختلفة ذات الصلة بتحديات وفرص الهجرة المؤقتة، والمكاسب التنموية، والأهداف الإنمائية للألفية؛ الأمر الذي أدى إلى تحسين القاعدة المعرفية، والبيانات والمعلومات الخاصة باتجاهات هجرة ذوي الكفاءة واستقطابهم، والتحويلات المالية، وعقد صفقات لتبادل الخدمات المكثفة لليد العاملة، ومفاوضات طريقة الاتفاق العام المتعلق بالتجارة في الخدمات، وتنمية المهارات والمؤهلات المطلوبة، والترتيبات التجارية الإقليمية. (المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2006)

2-2-2-4- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP):

يهدف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي إلى تعظيم المزايا الإنمائية للهجرة بالنسبة للبلدان الفقيرة، والتخفيف من أي عواقب سلبية لها. تقدم مكاتب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي القُطرية إلى الحكومات الراغبة في تطوير إستراتيجيات مناصرة للفقراء ومؤيدة للتنمية وحقوق الإنسان الدعم لتنمية قدراتها، وذلك كجزء من إستراتيجيات التنمية الوطنية الأشمل القائمة على الأهداف الإنمائية للألفية. ويولي البرنامج فاعلية للتحويلات المالية واستخداماتها، الاحتفاظ بالمهارات الأساسية، تحسين مشاركة المشتتين، تعزيز الحوكمة المحلية والاستثمار في التعليم اهتمامًا خاصًا. وفي إطار النقاش الدولي للهجرة، يدعو هذا البرنامج إلى التركيز على التنمية البشرية المستدامة وحماية حقوق المهاجرين، فضلاً عن التقدم المحرز على صعيد المفاوضات الخاصة بطريقة الاتفاق العام المتعلق بالتجارة في الخدمات بشأن التنقلات المؤقتة لليد العاملة. (المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2006)

2-2-2-5- إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية التابعة للأمانة العامة للأمم المتحدة (UN-DESA):

إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية التابعة للأمانة العامة للأمم المتحدة هي المصدر الأول للمعلومات الخاصة بالهجرة الدولية والتنمية للجمعية العامة والمجلس الاقتصادي والاجتماعي ولجانه العاملة. تُعد أنشطة إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية في هذا المجال جزءًا من مسؤولياتها العامة حول تحليل آفاق التنمية على المستوى العالمي، وتهدف إلى توفير أساس لمناقشة سياسة تعظيم فوائد الهجرة الدولية العائدة على التنمية. ويتضمن ذلك تقديم تحليل

موضوعي لأسباب الهجرة الدولية وتَبِعَاتِهَا، وتجميع الإحصائيات الخاصة بالهجرة الدولية وتحليلها ونشرها، والعمل على تحسين توفر تلك الإحصائيات ومقارنتها، ومراقبة السياسات الوطنية والإقليمية الخاصة بالهجرة الدولية بالتعاون مع اللجان الإقليمية. (المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2006)

2-2-2-6- صندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA)

: للهجرة الدولية آثار مهمة على الديناميات الديمغرافية، ومن القضايا محل الاهتمام الخاص للصندوق تحديات هجرة الإناث، وتتضمن الاتجار بالبشر والتهريب، الهجرة وانتشار الأمراض مثل فيروس نقص المناعة البشرية/ الإيدز، تقديم الخدمات الاجتماعية الأساسية، وتشمل خدمات الصحة الإنجابية في المناطق التي يقصدها المهاجرون، وكذلك حماية حقوق الإنسان للمهاجرين. ويسعى الصندوق إلى تحسين البيانات والأبحاث والقدرة المؤسسية، وذلك لصياغة سياسات وبرامج الهجرة وتنفيذها. يكرس الصندوق جهوده لتقديم سياسة موجهة والتأييد والدعم الفني، وذلك لضمان أن الهجرة الدولية معترف بها كأحد العوامل المهمة للتنمية. (المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2006)

2-2-2-7- المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان (OHCHR):

تدعم المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان من خلال عملها نهجًا للهجرة يقوم على أساس حقوق الإنسان. وهي تدعم بصفة خاصة ولاية المقرر الخاص المعني بحقوق الإنسان للمهاجرين، وولاية المقرر الخاص المعني بالاتجار بالبشر، وتقوم بمساعدة اللجنة المعنية بالعمال المهاجرين؛ الهيئة المنشأة بموجب معاهدات للإشراف على الامتثال للاتفاقية الدولية الخاصة بحماية حقوق كافة العمال المهاجرين وأفراد أسرهم. كما تقوم المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان بتنفيذ مشروع للتعاون الفني بشأن الاتجار بالبشر. كما تخضع قضايا الهجرة والتنمية وحقوق الإنسان لمزيد من المعالجة والتحليل على المستويين الإقليمي والقُطري، عن طريق مجموعة من الولايات والبرامج الأخرى، كتلك التي لمؤسسات حقوق الإنسان الوطنية.

2-2-2-8- المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR):

تشارك المفوضية بفاعلية في مجموعة من الأنشطة ذات الصلة المباشرة بالهجرة، وذلك من أجل القيام بمهام ولايتها الخاصة بحماية اللاجئين وإيجاد

حلول دائمة لهم. من بين هذه الأنشطة المشاركة في أعمال المنتدى الإقليمي للهجرة واللجوء، مساعدة الدول في معالجة ظاهرة تحركات الهجرة المختلطة، بناء القدرات وتقديم الدعم المؤسسي فيما يتعلق باللجوء، جمع البيانات وتحليلها حول الهجرة القسرية والتحركات الثانوية للاجئين، الدعوات ذات الصلة باللجوء وانعدام الجنسية وظاهرة النزوح الداخلي، تقديم المساعدات للعودة الطوعية إلى الوطن وإعادة إدماج اللاجئين وعودة النازحين، الدعوة إلى حث مجتمع المعونات الإنمائية إلى إدراك الأثر التنموي لاستضافة أعداد كبيرة من اللاجئين أو عودة أعداد كبيرة منهم والتخفيف من هذا الأثر. (المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2006)

2-2-2-9- مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة (UNODC):

يقوم مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، بوصفه راعيًا لبروتوكول منع وقمع ومعاقبة الاتجار بالأشخاص، وبخاصة النساء والأطفال، وأيضًا بروتوكول مكافحة تهريب المهاجرين عبر البر والبحر والجو، والمكملين لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية، بمساعدة الحكومات في التصديق عليهما وتنفيذهما...إلخ. (المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2006)

2-2-2-10- البنك الدولي:

تركز مشاركة البنك الدولي في الهجرة الدولية على الأثر التنموي للهجرة والتحويلات النقدية إلى البلدان النامية. وهو يركز بدرجة كبيرة في الحصول على بيانات موثوقة وتعميق المعرفة الحالية بالمزايا المحتملة للهجرة وتكلفتها على المستويين الأسري والإجمالي. وقد أنتج هذا العمل عددًا من التقارير العالمية والإقليمية المهمة، وعمل على تحسين توفر البيانات الخاصة بالموضوعات ذات الأولوية وتحسين جودتها. وقد ركزت الأعمال التشغيلية حتى يومنا هذا على التقليل من تكاليف التحويلات والتوجيه الأفضل لهذه الموارد، وتعزيز قابلية نقل المعاشات وحماية العمال المهاجرين. كما يشارك البنك الدولي بفاعلية في محاولة تحقيق الترابط للسياسة الشاملة الخاصة بالهجرة الدولية وذلك عن طريق تقوية علاقات الشراكة والتنسيق. (المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2006)

3 ـ النظريات المفسرة للهجرة

هناك العديد من النظريات التي تناولت ظاهرة الهجرة، سنتناول بعضًا منها:

3-1- النظريات الاقتصادية:

تتطرّق النظريات الاقتصادية المتعلقة بالهجرة الدولية إلى تفسير مسألة الهجرة بالعوامل المرتبطة بالوظائف والأجور. تندرج هذه النماذج أحيانًا في إطار أوسع يتعلق بنمط الإنتاج أو بالتنمية المتفاوتة بين الدول. كان "أرنسترافينستين (Ernest Ravenstein)" وهو صاحب النظرية الأولى للهجرة (1885) قد قدَّم بعض القوانين من خلال تحليل بيانات تعداد السكان. وقد خلص إلى أن الهجرة محكومة بعوامل الدفع ـ والجذب، حيث تدفع الظروف الاقتصادية السيئة والفقر الناس إلى ترك بلدانهم الأصلية إلى مناطق أكثر جاذبية. وأضاف أنَّ الهجرة تتزايد مع تطور التكنولوجيا (يوروميد للهجرة 2، 2012، صفحة 25). (يوروميد للهجرة 2، 2012، صفحة 24)

3-2- نظرية الطرد والجذب Ivrit Leé (1966):

عرّفت هذه النظرية الهجرة الدولية اعتمادًا على عوامل الجذب في الدولة المستقبلة وعوامل الطرد في الدول الباعثة. ويمكن تقسيم عوامل الطرد إلى نوعين هما:

- عوامل الطرد القوية مثل: المجاعات، الحروب، الكوارث الطبيعية والبيئية، وهي تختص بالهجرات الجماعية.
- عوامل الطرد البسيطة مثل: الهجرة الفردية ومنها الفقر، البطالة، الاضطهاد والعزلة الاجتماعية.

أما عوامل الجذب، فتتمثل في:

- وجود فرص عمل أو دخل في مكان المقصد أفضل مما هو متاح في مكان المنشأ.
- وجود فرص تعليمية أو تدريبية أفضل للمهاجر في مكان المقصد.
- وجود عوامل بيئية مفضلة مثل الطقس المعتدل وعدم تلوث البيئة.
- وجود مستوى معيشي (إسكان، مرافق وخدمات عامة...) في منطقة المقصد أفضل من منطقة المنشأ. (علي، س وآخرون، 2017)

3-3- نظرية ازدواجية سوق العمل:

رأى Pior في كتابه The Dual Labour Market Theory (1979) أنَّ الهجرة ليست ناتجة عن عوامل الطرد في البلد الأصل، ولكنها تعود إلى عوامل الجذب في الدول المستقبلة. وقد ركَّزت النظرية على ملاحظة تدفقات الهجرة في مدة أطول والتي تميزت بالطلب على العمل في الدول المستقبلة، هذا المفهوم يفسر أنَّ اليد العاملة المهاجرة ضرورية لاقتصاد الدول المستقبلة. تبرر هذه النظرية تجزئة سوق العمل، حيث أنَّ العمال المهاجرين يقبلون بعمل أدنى من الدولة الأصل، وذلك حسب التسلسل الهرمي للأجور في الدولة المستقبلة، مما يجعل العمال المحليين يتوجهون لوظائف أكثر جاذبية عكس المهاجرين الذين يمارسون وظائف صعبة وأكثر خطورة. (علي، س وآخرون، 2017)

3-4- النظرية النيوكلاسيكية:

من رواد المدرسة النيوكلاسيكية Toradoو Harris (1969) حيث جاءت أول مساهمة للنظرية التقليدية في ضبط محددات الهجرة ومضموها، أنَّ الهجرة تعتمد بالدرجة الأولى على الفروق في الأجور بين كل من البلدان الأصلية والبلدان المستقبلة. (علي، س وآخرون، 2017)

3-5- نظرية رأس المال البشري:

من رواد هذه النظرية Schulisو Becker، لا يختلف مضمونها عن مضمون النظرية السابقة. وتعتبر أنَّ الهجرة استثمار في رأس المال البشري، وبالتالي إنَّ قرار الهجرة يعتمد على العائد. هذا العائد يرتبط بالفرق في الأجور بين الدول الأصلية والدول المستقبلة، كما يعتمد على عمر المهاجر، حيث كلَّما كان المهاجر أصغر سنًا، كلَّما كان عائده من الهجرة أكبر. يضاف إلى ذلك أنَّ الهجرة تعتمد على المستوى التعليمي والتأهيلي للمهاجر. (علي، س وآخرون، 2017)

3-6- نظرية النظام العالمي:

ركزت هذه النظرية على أنَّ الهجرة الدولية تعد نتاجًا للنظام الأرسمالي، وأنَّ نماذج الهجرة المقدَّمة تميل إلى تأكيد تقسيم العالم إلى مركز الدول الغنية، ومحيط الدول الفقيرة. كما يسبب التطور الصناعي في الدول الأولى من إحداث مشكلات هيكلية في اقتصاديات الدول النامية، مما يشجع على الهجرة. يرى

أنصار هذه النظرية أنها من نتائج تأثيرات العولمة التي من شأنها ترك اقتصادات العالم الثالث معتمدة على الزارعة وتصدير المواد الخام، وهذا ما يفسر تأخرها وتوجه الهجرات نحو دول المركز. (علي، س وآخرون، 2017)

3-7- النظرية الحديثة:

تضم بدورها العديد من النظريات نذكر منها:

- **نظرية الاختيار الذاتي:** من روادها Borjasالذي توصل من خلال دراسة أجراها أنَّ حجم الهجرة يزداد بارتفاع الدخل في البلدان المستقبِلة للهجرة.
- **نظرية ميزة تكاليف الهجرة:** يزيد حجم الهجرة نحو الدول التي تقل فيها تكاليف الهجرة، تضم هذه الأخيرة التكاليف المادية المتعلقة بالتنقل إلى الدول المستقبِلة، إضافة إلى التكاليف الحدودية وتكاليف غياب الشبكات الاجتماعية. (علي، س وآخرون، 2017)

خلاصة:

من خلال هذه الورقة البحثية، تبيَّن لنا أهمية ظاهرة الهجرة كحركة سكانية وتعديها للحدود الوطنية نحو العالمية، وتأثيرها على استقرار المجتمعات وأمنها، كما تمَّ إبراز أهمية سوسيولوجيا الهجرة الذي ظهر في مطلع القرن الماضي. وقد تناولنا التأصيل النظري المفاهيمي والقانوني للهجرة ودوافعها، من مختلف المنظورات اللغوية، الجغرافية، التنموية...إلخ، وبينّا تصنيفات الهجرة، علاوةً على التأصيل النظري القانوني للهجرة، بحسب النصوص والاعلانات والعهود العالمية التي تطبق في غالبية دول العالم كالاعلان العالمي لحقوق الإنسان، العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان، الاتفاقية الدولية للأمم المتحدة حول حقوق العمال المهاجرين وافراد أسرهم، اتفاقية الأمم لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية ومحكمة العدل الدولية...إلخ. كما تناولنا دوافع الهجرة المختلفة ومقوماتها ودور المنظمات الدولية المعنية بها بشكل مفصَّل، وقضايا واهتمامات الفريق العالمي المعني بالهجرة. ومن ثمَّ استعرضنا عددًا من النظريات التي تناولت ظاهرة الهجرة.

خلاصة القول على الرغم من سلبيات وإيجابيات الهجرة على الصعيد الوطني محصلة عوامل طرد وجذب مختلفة، وسواء كانت شرعية أم غير شرعية، إلا أنَّها تفتح أبوابًا أمام الشباب ومن ضاقت بهم سبل العيش في مواطنهم الأصلية. وباتت

تتنامى في عصرنا الحديث، وتؤثر في اقتصاداتنا الوطنية والمحلية، وهي من الظواهر التي تستحق البحث المعمق من جانب الباحثين من مختلف التخصصات السوسيولوجية لاسيّما التنموية والديمغرافية...إلخ.

لائحة المراجع:

- الامم المتحدة (2017). *https://www.un.org/ar/sections/issues-depth/migration/index.html.* تم الاسترداد من الهجرة.
- الخطيب، ع؛. (2006). *مقالات في الاقتصاد والسياسة: هجرة الأدمغة ومخاطرها على بلادنا*. بيروت: دار الهادي.
- *المعاني*. (n.d.). Retrieved from https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/.
- المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. (1 أيلول، 2006). *https://www.unhcr.org/ar/4be7cc27677.html.* تم الاسترداد من الفريق العالمي المعني بالهجرة.
- *الهجرة حول العالم ـ رحلة البحث عن وطن!* (بلا تاريخ). تم الاسترداد من http://www.holol.net/files/migration/index.htm.
- بشير، ح؛. (2000). *التنمية المحلية المفهوم والخيارات*.
- بومنجل، خ. (22 أيلول، 2016). النظريات المفسرة للهجرة غير الشرعية. *الحوار المتمدن*، صفحة 5.
- ديفيل، ف. (2006). *الهجرة في العالم- الهجرة إلى أوروبا*. تم الاسترداد من https://ar.qantara.de/content/frnk-dyfyl-mtkhss-fy-lm-ljtm-wbshwwn-lhjr-wlmhjryn-lhjr-fy-llm-lhjr-l-wrwb.
- علي، س وآخرون. (2017). *مجلة شعاع للدراسات الاقتصادية- الجزائر*، 163. تم الاسترداد من http://www.cuniv-tissemsilt.dz/telechargements/250920171415.pdf. ظاهرة الهجرة الدولية، محاولة نمذجة حالة الجزائر.
- غندز، أ. (2005). *علم الاجتماع ترجمة فايز الصباغ*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- فرهود، م. (18 تموز، 2018). *https://blogs.aljazeera.net/blogs/2018/7/18/*. تم الاسترداد من عوامل وعقبات الاندماج في بلاد المهجر.
- فياض، هـ. (العدد 26 خريف 2018). مفاهيم نظرية في الهجرة السكانية: دراسة تحليلية مقارنة. *عمران*، 25.

- فيحان، و. (2019). الأبعاد الاقتصادية للهجرة والنزوح "العراق نموذجًا" .*المجلة الدولية للدراسات الاقتصادية- مجلة دورية علمية محكَّمة* ، 157.
- منظمة العمل الدولية. (2014) *https://www.ilo.org/beirut/countries/lebanon/WCMS_561694/lang--ar/index.htm.* تم الاسترداد من منظمة العمل الدولية في لبنان.
- وكالة الأمم المتحدة للهجرة. (2018) .*تقرير الهجرة في العالم لعام 2018*. تم الاسترداد من https://publications.iom.int/system/files/pdf/wmr_2018_ar.pdf: www.iom.int
- وهب، ع. (1998). *جغرافية الإنسان والنشاطات البشرية في البيئات*. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- يوروميد للهجرة 2 . (2012) .*الهجرة النسائية بين دول البحر المتوسط والاتحاد الأوروبي* GIZ.

الهجرة اللبنانية إلى الولايات المتحدة الأميركية
(انموذج هجرة أهالي بنت جبيل إلى مشيغان):

أ.د. مصطفى بزي



- أستاذ الدراسات الاسلامية في الجامعة اللبنانية (1980 - 2014).
- مشرف على رسائل ماجستير وأطاريح دكتوراه في الجامعة اللبنانية.
- له خمسة عشر مؤلفًا في التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافة الشعبية في جبل عامل.
- له عدد من الابحاث والمقالات المنشورة في المجلات.
- شارك في عدد من المؤتمرات داخل لبنان وخارجه.

مقدمة

تمثل الهجرة حركة الإنسان من موطن إقامته الأساسية، حيث ولد وعاش ونشأ، وأصبح عنصرًا حيويًا فاعلاً عاملاً في مجتمعه، إلى موطن آخر، حيث يتفاعل فيه مع بنية اجتماعية جديدة، ويحاول أن يصبح جزءًا من هذا المجتمع، من خلال علاقات اجتماعية واقتصادية وخدماتية ومعيشية مع مكوناته البشرية، بانيًا هناك مستقبله، ومحققًا آماله وطموحاته.

إن هذه الحركة يعقبها إستقرار أو لا إستقرار، حيث يكون البقاء طويلاً، نظرًا لظروف اقتصادية واجتماعية وبيئية وثقافية وخدماتية معينة، أو يكون ذلك البقاء قصيرًا، تبعًا لظروف أخرى معاكسة، غير مؤاتية للإستقرار والصمود، وهناك حالة يمكن أن تكون فيه الهجرة متقطعة، بحيث يقضي الشخص المعني فترة في ديار الاغتراب، وفترة أخرى في الموطن الأصلي، وفي هذه الحالة، فإن الهجرة تكون في معظم الأحيان فردية، وليست أسروية، وهنا تبرز ملاحظة، وهي أن معظم الذين هاجروا قديمًا، وتوجهوا إلى بلاد اغتراب عديدة، أكثرها إلى أميركا الجنوبية، كانوا غير متزوجين، وهم في سن العشرين، أو أن بعضهم كانوا في بداية حياتهم الزوجية، وتركوا إلى ديارالاغتراب، مخلفين وراءهم زوجات، وأحيانًا أولادًا صغارًا، بعض هؤلاء كانوا يعودون، والبعض الآخر استقروا هناك، تزوجوا زواجًا آخر، وقطعوا صلاتهم بالوطن والأهل، وهناك حالات شاهدة على ذلك، لا تزال ماثلة أمام الأعين حتى اليوم[1].

إذن الهجرة تمثل أحد أشكال الإنتقال من أرض إلى أرض أخرى، من مجتمع

(1) هناك مهاجرون في أميركا الجنوبية لا يزالون أحياء، وأعمارهم بين التسعين والمئة، ولم يعودوا إلى الوطن أبدًا، وبعضهم ترك أبناء أصبحوا آباء لعائلات

إلى مجتمع آخر، من بيئة إلى بيئة أخرى، بشكل نهائي أو مؤقت، ولأسباب عديدة، وهذه الظاهرة الاجتماعية، والتي لها بُعد تاريخي ينظر إليها كجغرافيا سكانية، لها جوانب متعددة لا يمكن أن ينظر إليها، ولا يمكن أن تنجز وتعلل دون الأخذ بعين الإعتبار الإطار التطوري التاريخي، ودون إجراء مقارنة بين الواقع الذي كان يعيشه الذين هاجروا من موطنهم الأصلي، والواقع الذي وجدوا أنفسهم في خضمه في أماكن الإنتشار.

وعند الحديث عن الهجرة يتبادر إلى الذهن مجموعة من الأسئلة التي لا بد منها، ومن الطبيعي أن الإجابة عليها كفيلة بإظهار الكثير من الأمور المتعلقة بهذا الموضوع، ومنها علاقة الأوضاع المادية والمعيشية، مسألة الإستقرار النفسي والسياسي والعائلي والديني والبيئي والصحي وغير ذلك... فضلاً عن موضوع التفاعل في المجتمعات الأخرى، والأعمال التي تمت ممارستها، ومدى تماهيها مع تلك الموجودة في الوطن (زراعة، حرف يدوية، خدمات مختلفة، بيع وشراء...)، وما هي مصادر الثروة التي جناها المهاجرون، وهل كل المهاجرين حققوا نجاحات، وكيف ينظر إليهم، إلى ما هنالك من أسئلة أخرى.

أيضًا هناك أسئلة تتعلق بالمعاناة والصعوبات المعيشية والعائلية التي عانى منها المهاجرون الشباب في أول هجراتهم، والصعوبات المماثلة التي عانى منها الأهل في الوطن جرّاء غياب أولادهم... وما كان تأثير هجرة هؤلاء الشباب بشكل عام على الوطن، وهم الذين يشكلون النسبة الأعلى من اليد العاملة والكفوءة، وذلك على وضع الإنتاج والإنتاجية....

وما هو تأثير ذلك أيضًا على تغير وضع الديموغرافيا والولادات والإنجاب، وزيادة مشاركة المرأة في القوة العاملة والفاعلة، حيث أنها حلّت في مكان ما محل الشباب المهاجرين، وأيضًا كيف أثرت الهجرة في اختلال التوازن بين الجنسين، وتأثير ذلك على معدلات الزواج..

فضلاً عن تأثير الهجرة على صعيد التنمية الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية والثقافية وغيرها...

إضافة إلى ذلك هناك أسئلة حول المجالات التي عمل بها المهاجرون في ديار الاغتراب. وهل كان هناك عمليات استثمار في الخارج أو في الوطن، وما هي نسب الذين تعلموا هناك، أو الذين وصلوا إلى مراتب عليا في السلم السياسي أو

الاقتصادي أوالاجتماعي أو الثقافي، (مهندسون، نواب، أطباء، صيادلة، رؤساء بلديات، حكام ولايات، كتّاب، إعلاميون). وما هي نسبة الذين تزوجوا من أجنبيات، وعلاقة ذلك بالجنسية.

وأخيرًا وليس أخرًا تأثير الهجرة على الوضع في الوطن خاصة على الملكيات العقارية، على الأوضاع المعيشية، التعليمية، العمران، على الوضع الثقافي التربوي، وموضوع التكافل الاجتماعي.

بدايات الهجرة اللبنانية إلى الولايات المتحدة الأميركية:

بشكل عام، الهجرات اللبنانية الكبيرة مثّلت سمة أساسية للمجتمع خلال الأحداث الطائفية والمذهبية والسياسية التي كانت تحصل، هكذا كان عليه الوضع سنة 1840 وسنة 1860... حيث نمت النزاعات والصراعات الطائفية، واضطر عدد كبير من ابناء مناطق معينة إلى ترك قراهم وبلداتهم، والتوجه نحو أماكن أكثر اطمئنانًا وهدوءًا، ويكفي أن نقول أنه "في سنة 1859 بلغ عدد الذين هاجروا من لبنان خمسة آلاف فلاح"[1].

وحتى إن كانت الهجرة الأولى متواضعة، لكن وتائرها تسارعت تدريجيًا، ويذكر بطرس لبكي في هذا المجال أن "الهجرة بدأت منذ ستينات القرن الماضي (التاسع عشر) بوتائر متواضعة، لكنها تسارعت في العقود التالية، نتيجة نجاح الروّاد الأوائل من المهاجرين في تشكيل ثروة مادية ملموسة، فرغبوا ذويهم وأصدقاءهم ومعارفهم في خوض مغامرة الهجرة، وترافق ذلك مع تدني الأجور في الريف منذ سنة 1883"[2].

وقد بلغ عدد المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأميركية بين عامي 1883 و1913 7938 مهاجرًا"[3]، لكن يلاحظ في تلك الفترة أن اتجاه الهجرة كان بشكل كبير نحو أميركا الجنوبية وليس الشمالية (خاصة البرازيل والأرجنتين) حيث ذهب إلى البرازيل 36412 مهاجرًا، فيما ذهب إلى الأرجنتين 136659 مهاجرًا"[4].

بين سنة 1900 و1914 إزدادت وتيرة الهجرة نظرًا للممارسات التي كانت تتخذها

(1) فيليب حتي: "تاريخ لبنان" ترجمة أنيس فريحة، طبعة 1982، دار الثقافة بيروت ص 577
(2) بطرس لبكي: "الهجرة اللبنانية والدمج في الاقتصاد العالمي" ندوة وزارة المغتربين ص 87
(3) ماهر الخير "الاغتراب اللبناني بشكل عام" ندوة وزارة المغتربين 1995 ص 17
(4) نفس المرجع

السلطة العثمانية، وهي في أواخر سنوات حياتها (تجنيد إجباري، سخرة، ضرائب....)، وعندما نشبت الحرب جمّد قطار الهجرة موقتًا، لكنه عاد وأقلع بعد إنتهاء الحرب، خاصة أن الأوضاع السيئة في الوطن لم يطرأ عليها أي تغيير أو تعديل، فقد انتقلت المنطقة من التبعية للسلطة العثمانية، إلى تبعية أخرى للإنتداب الفرنسي[1].

نشير أنه خلال السنوات الأخيرة التي تقدمت الحرب الأولى سنة 1912 ـ 1918 بلغ عدد المهاجرين من 8 إلى 10 آلاف مهاجر، وثلث هؤلاء المهاجرين استوطن الولايات المتحدة الأميركية[2].

هناك ملاحظة وهي أنه لا يوجد إحصائيات دقيقة لأعداد الذين كانوا يهاجرون إلى أميركا الشمالية أو الجنوبية في تلك الفترة، والسبب أن المهاجرين الأوائل يسجّلون على أنهم سوريون أو أتراك (تيركو Turco).

سنة 1921 صدر تشريع أميركي حصري "حدّد عدد المهاجرين الوافدين على أساس الأرقام التي بلغتها المهاجرة سنة 1890، وهذا التشريع أغلق، أو كاد يغلق أبواب الولايات المتحدة الأميركية في وجه اللبنانيين، ولم يستثنِ سوى عدد ضئيل قوامه بعض فئات من المهاجرين سنويًا"[3].

ولذلك فإنه منذ سنة 1925 توجّه معظم المهاجرين باتجاه أماكن أخرى غير الأميركيتين، خاصة وأن الولايات المتحدة الأميركية وضعت قيودًا على المهاجرين، وكذلك فعلت استراليا.

في السنوات 1929 ـ 1931 حصل هبوط في نسبة المهاجرة بسبب الأزمة الاقتصادية العالمية، خاصة وأن البلدان الأميركية أصابتها الأزمة، فأغلقت أبوابها في وجه المهاجرين، أو حدّدت عددهم، ثم جاءت الحرب فسجّلت وقفًا للهجرة يكاد يكون كاملاً"[4].

---

(1) بطرس لبكي: "l'emigration libanais sous le mandat francais" مجلة حنون، العدد 1، سنة 1982 ـ 1984

يشير بول سانلافيل أن الهجرة في تلك الفترة كانت نهائية، فلاحون مطرودون بفعل البؤس والصراعات الطائفية".

راجع: paul sanlaville "le personnalité géographique du Liban" Hannoun T44 1969 p:383

(2) جبرائيل منسى: "التصميم الإنشائي للاقتصاد اللبناني وإصلاح الدولة" بيروت 1948 ص 420 ـ 421

(3) نفس المرجع: ص 421

(4) نفس المرجع ص 422

لقد طالت الأزمة لبنان، وخاصة في محاصيله الزراعية، وبعد أن كان هاجر منه سنة 1928 14288 نسمة من أبنائه "[1]، فإن الأزمة العالمية حدّت من الهجرة.

ويلاحظ أن عدد العائدين من ديار الاغتراب سجل زيادة على أعداد المهاجرين، "ففي سنة 1932 بلغ عدد الذين هاجروا 1640 شخصًا، بينما بلغ عدد العائدين 2744 "[2]

ويرى البعض أن الهجرة تزايدت بعد سنة 1932، ويذكر ايلي صفا في هذا المجال، وحول أعداد المقيمين والمغتربين وطوائفهم أن إجمالي الموجودين 793426 نسمة، وإجمالي المغتربين 254386 نسمة، وأن أكبر عدد من هؤلاء المهاجرين ذهبوا إلى الولايات المتحدة الأميركية، وهم الأقدم في المهاجرة، وكانت نسبة المهاجرة حسب الطوائف كما يلي: 48٪ موارنة، 22٪ روم أرثوذكس، 11٪ روم كاثوليك، 6٪ مسلمون سنيّون، 4٪ شيعة و3٪ دروز "[3].

منذ النصف الثاني من الثلاثينات ازدادت وتيرة الهجرة باتجاه إفريقيا، بسبب نجاح المواسم الزراعية في إفريقيا الغربية، حيث ذهب عدد من اللبنانيين إلى تلك البلاد، وعملوا فيها في شتى الميادين.

في تلك الفترة بالذات أيضًا، حصل ضغط فرنسي، خاصة سنة 1935 ـ 1936، وخاصة من قبل إدارة حصر التبغ والتنباك (الريجي)، زراعة، وتجارة وتصنيعًا واحتكارًا، مما أثر على الفلاحين والمزارعين، فإزدادت الهجرة، وترافق ذلك مع تراجع اقتصادي، وفرض ضرائب، واحتكار، وتدهور للنقد (الورق السوري).

سنة 1936 بلغ عدد اللبنانيين الذين هاجروا إلى أميركا الشمالية 200 ألفًا "[4].

ويلاحظ جبرائيل منسى أن عدد المسيحيين الذين حافظوا على جنسيتهم اللبنانية هو أكثر من عدد المسلمين بكثير، وهذا شيء طبيعي، على إعتبار أن عدد المهاجرين من المسيحيين يفوق بكثير عدد المهاجرين المسلمين "[5].

ثم كان الإستقلال، وبقيت وتيرة الهجرة مرتفعة وذلك لأسباب عديدة أهمها:

(1) نفس المرجع

(2) سعيد حمادة: "النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان" المطبعة الأميركانية، بيروت سنة 1936 ص 21

(3) Elie Safa "OP,at" p:25

(4) تقويم البشائر للعام 1936 ص 139

(5) جبرائيل منسى: "المرجع السابق" ص 426

ضيق مجالات العمل، خاصة وأن الدولة كانت لا تزال حديثة العهد من حيث استقلالها، وبالتالي "فهي لا تستطيع تأمين الفرص اللازمة والمطلوبة للعمل بصورة تتناسب مع الأعداد العمالية الكبيرة، وغير الماهرة بمعظمها، فظلّت بعض المصالح العامة للدولة في أيدي العمال الأجانب، من مهرة وأنصاف مهرة وعاديين"[1].

في الأربعينات ازدادت الهجرة إلى الأميركيتين، وبلغ عدد المهاجرين إلى هناك 970000 نسمة من أصل 1,120,000 نسمة"[2].

الهجرة طالت في تلك الفترة معظم العاطلين عن العمل، وأصبحت الهجرة عائلية، أي أنها أصبحت تضم جميع أفراد العائلة (لمّ الشمل)، فبعد أن كان الأب هو الذي يهاجر، فإنه راح يؤمن هجرة العائلة، خاصة أن المهاجرين أصبحوا يتعاطون الأعمال التجارية التي تتطلب مزيدًا من المهاجرين.

هناك بعض المهاجرين لم يطلبوا من زوجاتهم المهاجرة، والسبب أنه سبق لهم وتزوجوا هناك، وقطعوا صلاتهم بالوطن والأهل، وهنا بدأت مأساة صعبة عاشتها بعض الزوجات اللواتي كان عليهن القيام بمهمة الأب والأم في الوطن ذاته.

بعض الذين هاجروا في سن ما بين العشرين والخامسة والأربعين من العمر، وكانوا يفكرون بهجرة مؤقتة، ومن ثم العودة لاحقًا إلى الوطن بعد زوال الظروف التي فرضت الهجرة، لم يعودوا، لأن الأحوال في ديار الاغتراب أغرتهم وبقوا هناك، من كان أعزبًاتزوج من أجنبية، وبعض من كان متزوجًا وترك زوجته في الوطن تزوج من أجنبية كزواج ثانٍ، والقليل من هؤلاء عاد إلى الوطن.

يلاحظ أن العديد من الذين عادوا وكان لديهم بعض الأموال، فإنهم سخروا هذه الأموال إما في بناء منازل حجر متميزة، أو في شراء منازل في بيروت...

تجدر الإشارة أنه أعقب فترة الإستقلال وحتى بداية الحرب الأهلية اللبنانية، فترة إزدياد في مسار الهجرة، حيث سجّلت نسبة مهمة في عدد المهاجرين، رغم أن لبنان نعم بشيء من الإستقرار والهدوء، وبعض الإزدهار الاقتصادي، وتظهر الإحصائيات ذلك:

---

(1) Clie Safa: "OP-cit" p : 198 -199

(2) منسى: "المرجع السابق" ص 423 ـ 424

السنة	عدد المهاجرين	الوتيرة السنوية
بين سنتي 1945-1950	21000	3000 نسمة سنويًا
بين سنتي 1951-1959	25566	2750 نسمة سنويًا
بين سنتي 1960 -1969	85560	8566 نسمة سنويًا
بين سنتي 1970 - 1974	50000	10000 نسمة سنويًا

هناك ملاحظة، وهي أنه في هذه الفترة التي نتحدث فيها، أي بعد الإستقلال حتى بداية الحرب، حصلت هجرة مؤقتة جديدة باتجاه عالم النفط (السعودية، ليبيا وغيرهما)، بالمقابل تراجعت نسبة الهجرة إلى الولايات المتحدة الأميركية.

ابتداءًا من سنة 1960 بدأ تيار الهجرة إلى الولايات المتحدة الأميركية يتسع، واستفاد المهاجرون من القانون الأميركي للهجرة والجنسية سنة 1965، والذي فضّل المهنيين والمدربين وأصحاب الإختصاص على غيرهم، مما أدى إلى تغيير نوعي في المستوى الثقافي للمهاجرين، وهو ما يعرف ب "هجرة الأدمغة"، وخير ما يدل على ذلك الإحصائيات التي تظهر عدد المهاجرين الذين قبلوا في الولايات المتحدة الأميركية حسب مهنهم بين عامي 1960 و1971، حيث كانت أكثرية المهاجرين إلى هناك، وفي فترات لاحقة من أصحاب الكفاءات، كما ورد في بيانات الولايات المتحدة الأميركية"[1].

إن معدل صافي الهجرة اللبنانية يشير حتى سنة 1970، قبل إندلاع الحرب، إلى تزايد عدد الوافدين الأجانب الباحثين عن العمل والمأوى في لبنان، ويلاحظ أنه بين سنتي 1963 و1969 بلغ عدد الوافدين الأجانب إلى لبنان ما يعادل خمسة أضعاف عدد المهاجرين اللبنانيين إلى الخارج خلال تلك الفترة"[2].

وجرّاء تزايد الإعتداءات الإسرائيلية في نهاية الستينات وما بعد على المناطق اللبنانية، وخاصة الجنوبية، اتسع نطاق المهاجرة، وتشير بعض الإحصاءات أنه هاجر خلال تلك الفترة ما بين 475 و500 ألف نسمة، أي بمعدل وسطى بلغ

(1) ماهر الخير: "الاغتراب اللبناني بشكل عام" وزارة المغتربين سنة 1995 ص 20
نقلاً عن: النهار العربي والدولي للعام 1985، بالإستناد إلى معلومات مستقاة من وزارة العدل الأميركية

(2) علي فاعور: بيروت 1975- 1990 التحولات الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية، ط1، المؤسسة الجامعية بيروت 1991 ص 21

حوالي 33000 مهاجر سنويًا، وما نسبته 17 بالمئة من سكانه المقيمين البالغ عددهم حوالي ثلاثة ملايين نسمة "[1].

تطور الوضع بعد الحرب:

خلال السنتين الأوائل من الحرب سنة 1975 ـ 1976 هاجر عدد كبير من اللبنانيين إلى عدة بلدان، قريبة (قبرص) وبعيدة (الولايات المتحدة الأميركية تحديدًا، كندا وأستراليا)، وقدّر الأمين العام لجمعية المصارف في لبنان د. بيار نصرالله عدد العمال المهاجرين بثمانين ألفًا خلال أحداث السنتين المذكورتين 75-76، أي حوالي 16، 7 بالمئة من عدد العمال في لبنان، وأغلب المهاجرين من الفئات الشابة، بأعمار تتروح بين 18 و45 سنة "[2].

بين سنتي 1975 و1980 هاجر من لبنان إلى الخارج حوالي 276000 لبناني، أي أن الهجرة التي طالت اللبنانيين إلى الخارج، والتي لم تتجاوز قبل الأحداث العشرة آلاف نسمة في السنة، بلغت خلال هذه المدة، في أوائل الثمانينات 50 ألف نسمة في السنة على الأقل "[3]، ومعظمها كان باتجاه الولايات المتحدة الأميركية. وهناك ملاحظة مهمة وهي أن البعض حينما اعتبر أن 400 ألفًا هاجروا من لبنان خلال تلك الفترة، لم يذكروا أن أقل من نصف هذا العدد ذهب إلى مناطق قريبة مثل سوريا، الأردن، قبرص وغيرها، وهؤلاء عادوا بعد استقرار الوضع في البلد، إلى حدّ ما.

بين عامي 1978 و1979 حصلت هجرة كثيفة، حيث عادت الحرب واستعرت مجددًا، و"تبين أن صافي عدد اللبنانيين إلى الخارج ارتفع إلى 86 ألف نسمة، ثم عاد وتراجع بين عام 1979 و1980 إلى 49 ألف شخص "[4].

القارة الأميركية استوعبت 97000 نسمة، بينهم 63 ألفًا ذهبوا إلى أميركا، والباقون إلى أستراليا وإفريقيا[5].

---

(1) أسعد الأثاث: "المشكلات الاجتماعية للأسرة" وقائع مؤتمر انماء السكان 15- 16 ت2 سنة 1991 المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ص 258

(2) المؤتمر الوطني الثاني للسياسات السكانية في لبنان "بيروت 1-3 نيسان 1982 الجامعة اللبنانية معهد العلوم الاجتماعية، بيروت ص 96

(3) نفس المرجع ص 43

(4) نفس المرجع ص 34

(5) نفس المرجع ص 35

إن تطور وضع الأحداث الأمنية جعل معظم الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأميركية (فضلاً عن كندا واستراليا) يستقرون هناك نهائيًا، ونالوا الجنسية، ودخلوا في أسواق العمل، وكان اهتمام هذه الدول بأولاد المهاجرين بالدرجة الأولى، على إعتبار أن هؤلاء الأولاد هم عماد اليد العاملة المستقبلية الفنية والعلمية...

وتشير البيانات أن نسبة المهاجرين اللبنانيين إلى الولايات المتحدة الأميركية من فئتي المهنين والإداريين بلغت خلال الأعوام من 1975 حتى 1980 ما يقارب ال 48٪ من مجموع الناشطين اقتصاديًا.

هذه الهجرة كانت عائلية بكل معنى الكلمة، كما أن أسرًا كانت في الوطن التحقت برب الأسرة، الذي كان قد ثبّت أوضاعه في الولايات المتحدة الأميركية وغيرها...

بعد 1987 وحتى 1989 تزايدت وتيرة الهجرة، خاصة مع ازدياد الإنهيار الاقتصادي منذ منتصف 1987، وبلغ عدد المهاجرين سنة 1989 400 ألف مهاجر إلى بلدان مختلفة "[1].

وتبين النتائج الإحصائية أن أغلب الهجرات هذ كانت بعيدة، "بحيث أن 66٪ من هؤلاء المهاجرين توجهوا نحو القارتين الأميركية والأوروبية، إذ أن الولايات المتحدة الأميركية وكندا استقطبت بمفردها حوالي 27٪ منهم "[2].

يلاحظ أن هذه الهجرة كانت الأقسى في لبنان، خاصة وأن الأوضاع في الوطن تراجعت نحو الأسوأ، فالحرب كانت لا تزال مندلعة، وهذا يعني أن الأسباب الطاردة كانت لا تزال تساهم في تفاقم وتيرة الهجرة، كما أن الأسباب الجاذبة في البلدان المضيفة صبّت في اتجاه زيادة الهجرة. وزاد في ذلك، أن الذين استقروا في أميركا (واستراليا وكندا) وجدوا هناك كل ما هم محرومون منه في الوطن، من أمن واستقرار وخدمات، وتعليم وصحة ومعيشة جيدة، وفرص عمل مؤمنه، وإحترام لإنسانية الإنسان وحريته، كما وجدوا النظام والقانون واحترام المرأة ودخولها مع زوجها في سوق العمل، والمساعدات الاجتماعية وقروض السكن والتعليم وغير ذلك...

(1) مجلة الشراع، تحقيق حول الهجرة من لبنان، عدد 419 نيسان 1990 ص 13

(2) أسعد الأثاث: "المرجع السابق" ص 258

وقد تبين في تلك الفترة، من خلال بعض الإحصائيات أن حوالي 27، 5٪ من الشباب في لبنان صرّحوا بأنه يوجد شخص واحد على الأقل من أفراد أسرهم في بلاد الاغتراب، وأن حوالي 62٪ منهم لديهم أقرباء مهاجرون"[1].

لقد ساعد على ذلك اختلال سوق العمالة في لبنان، وانهيار البنى الاجتماعية، واستمرار اللااستقرار الأمني، والفوضى التي سادت في البلاد، فضلاً عن التوترات التي شملت معظم الأراضي اللبنانية.

منذ بداية الحرب وحتى أوائل التسعينات بلغ عدد المغادرين من لبنان حوالي 729000 لبنانيًا، استقطبت العدد الأكبر منهم الدول التالية: الولايات المتحدة الأميركية 144342 مهاجرًا (الأولى)، ثم استراليا 109350 مهاجرًا، فكندا 107892 مهاجرًا، ثم فرنسا 91854 مهاجرًا، والباقون توزعوا ما بين الدول العربية الأوروبية، إفريقيا وأميركا الجنوبية[2].

اما نسبة المهاجرين من الجامعيين فكانت 32٪، أما الجامعيون المقيمون فكانوا 23٪ من السكان.

لقد توزع المهاجرون على المناطق اللبنانية على النحو التالي:

مغتربون من الجنوب 150173 بنسبة 19,3٪

مغتربون من بيروت 150903 بنسبة 19,6٪

مغتربون من جبل لبنان 124 136 بنسبة 17,3٪

مغتربون من الشمال 169128 بنسبة 22,2٪

مغتربون من البقاع 124659 بنسبة 16٪

ويشكل هؤلاء جميعًا 19,8٪ من سكان لبنان و24,7٪ من السكان المقيمين.

أما طائفيًا، فقد توزع المهاجرون كما يلي: كاثوليك 19٪، شيعة 15,9٪، دروز 9,5٪، موارنة 22,9٪، أرثوذكس 25,4٪، سنّة 26,9٪[3].

(1) نفس المرجع

(2) انيس فرح جريدة النهار حزيران 1997

(3) أنيس ابي فرح: "عودة الكفاءات اللبنانية المهاجرة" ندوة لوزارة المغتربين، الجامعة الأميركية، 1996 ط2 سنة 2000 ص 158 وص 163 ـ 164

الهجرة بعد الطائف حتى التحرير 2000:

حتى بعد إعلان الطائف، فإن الهجرة لم تتوقف، كما أن المهاجرين في ديار الاغتراب، وخاصة في أميركا (وكندا واستراليا)، لم تبرز منهم حماسة في العودة إلى الوطن، لأنه لم يكن لديهم الثقة بأن الحرب قد انتهت، مع العلم أن الإحتلال "الإسرائيلي" كان لا يزال جاثمًا على جزء من الوطن، ويؤثر سلبًا على الوضع، ليس في الشريط الحدودي المحتل فقط، وانما على المنطقة المحاذية من جهة، وعلى الوطن بشكل عام من جهة أخرى.

واستمر النزف العائلي، فمنذ سنة 1993 بلغ عدد المهاجرين حتى سنة 2000 23501 مهاجرًا بينهم 19973 من الذكور (الفئة الشابة العاملة)، ويشكلون 85٪ من المهاجرين، و3528 من الإناث ويشكلن 15٪ منهم.

أما المستوى الجامعي فيشكل الجامعيون نسبة 33,6٪[1].

تبرز خطورة هذه النسبة لأن معظم المهاجرين كانوا من المتعلمين تعليمًا عاليا، هم يبلغون أكثر من ثلث المهاجرين كما نلاحظ.

السؤال هو أنه لماذا بقيت وتيرة الهجرة مرتفعة رغم اتفاق الطائف؟

هناك أسباب عديدة نوجزها ب: تعثر النمو، عدم توفر فرص العمل، جمود الوضع الاقتصادي، غياب البرامج التنموية، عدم الإهتمام بالشباب وغير ذلك.

إن الصافي السلبي للمغادرين اللبنانيين تطور من 48050 سنة 1993، إلى أكثر من 272299 نهاية التسعينات، كما تشير الإحصائيات أنه من سنة 1980 حتى 1995 بلغ عدد المغادرين اللبنانيين ما بين 700 و750 ألفًا من أصل إجمالي سكان لبنان البالغ 3,850 مليون نسمة سنة 1995 "[2].

وخلال خمس سنوات، وتحديدًا من سنة 1995 حتى 1999 كانت الإحصائيات مقلقة، فخلالها هاجر من لبنان نفس عدد ال 15 سنة الماضية (أي بين 1980 و1995)[3].

---

(1) جريدة النهار 15 تشرين الأول سنة 1991 ص 9

(2) ريما زهّار: "الأدمغة اللبنانية هاجرت ولم تعد "جريدة الأنوار" 1999/6/17

(3) جريدة السفير 7 نيسان 2000

وحتى تلك الفترة فإن الإحصائيات تشير وتؤكد أن الولايات المتحدة الأميركية تستقبل العدد الأكبر من المهاجرين "[1].

وحتى فترة قبيل التحرير تكشف إحصائيات الأمن العام اللبناني حركة الدخول والخروج سنة 1999، بإستثناء الشهر الأخير (كانون الأول) من ذلك العام، وتؤكد أن النسبة المئوية للمهاجرين زادت عن سنة 1998 بما يقارب ال 70٪، والأسباب هي هشاشة الوضع الاقتصادي، استمرار تعثر النمو، ارتفاع معدلات البطالة، تقلص فرص الوظائف..[2]..

بعد التحرير شهدت المناطق اللبنانية عودة كثيفة للمهاجرين لزيارة الوطن فقط، وليس للإقامة فيه، ومن ارادوا الرجوع نهائيًا كانوا قلة قليلة، لأن الأسباب التي دعت إلى الهجرة سابقًا كانت لا تزال موجودة، بإستثناء الإحتلال الذي زال عن معظم الأراضي المحتلة.

واستمر الوضع مقبولاً حتى سنة 2006، حيث كانت فترة عصيبة جدًا، حصل خلالها نزوح كثيف إلى الجوار اللبناني، خاصة سوريا، كما ترك معظم أبناء الجنوب إلى مناطق في الجبل وكسروان...

لكن فترة إعادة الإعمار في لبنان، وخاصة في الجنوب، فرضت عودة مؤقتة للمغتربين حيث أعادوا اعمار منازلهم.

لكن تفاقم الوضع الاقتصادي، وعدم أستقرار الأوضاع السياسية في لبنان جعلت العديد من أبناء البلد يفضلون الهجرة، والإلتحاق بأقاربهم وعائلاتهم.

إن حصيلة أربع سنوات قبل العام 2019 تظهر أن مئة ألف لبناني سافروا إلى الخارج، وهذا أمر مخيف جدًا.

لكن مقابل هذا النزف إلى الخارج، فإن أوضاع المغتربين في ديار الاغتراب تراجعت خاصة بعد أحداث 11 أيلول في الولايات المتحدة الأميركية، وانعكاس تلك الأحداث على الجاليات العربية والإسلامية هناك، ومنها الجالية اللبنانية، حيث أصبح هناك مشاكل في التحويلات المالية.

وزاد في الأمر سوءًا أن لا خطط في لبنان لمكافحة البطالة، ولا خطط للتنمية

(1) مجلة الأسبوع العربي عدد 1920/ 29 تموز سنة 1996 ص 17

(2) جريدة السفير المرجع السابق

على الصعيد الاقتصادي، ولا فرص للعمل، خاصة وأن الحكومات المتعاقبة لم تعط يومًا اهتمامًا بهذا المجال، فضلاً عن أنه لا إهتمام بالزراعة، ولا بحماية الصناعة الوطنية من المنافسة الأجنبية، ولا إهتمام بالسدود، وإنشاء البرك الإصطناعية، ولا بالري في وقت يرزح فيه الوطن سنة بعد أخرى تحت عجز الديون المتراكمة، وتحت خدمة الدين العام، حتى يمكن القول أن الدّين العام وصل في آخر ميزانية سنة 2019 إلى حوالي 90 مليار دولار.

عوامل الهجرة العاملية:

إذا كانت الإحتياجات الفردية غير متوفرة، أو غير مشبعة في المكان الذي يستقر به الفرد، فعندها يراوده التفكير المستمر في الإنتقال إلى مكان آخر، حتى ولو كان الفرد على قناعة تامة من موقعه الحالي، أي مكان استقراره الأصلي والبقاء فيه.

ويمكن تلخيص العوامل المؤثرة بالهجرة العاملية بـ:

- **العوامل النفسية**: والتي تتعلق بالشعور بالقلق والفراغ وانسداد أبواب الرزق، إضافة إلى الطموح، واعتزاز الإنسان العاملي بنفسه، وايمانه بمواجهة الحياة بصلابة وارادة لا تتزعزع، رغم الصعوبات والمعاناة التي يعيشها المغترب في بلاد الاغتراب، وخاصة في بدايات القرن العشرين وما بعدها، حيث لم تكن الأمور مهيأة للإستقرار والبقاء في الوطن.
- **العوامل الاقتصادية**: والتي تلعب دورًا مهمًا في عملية الهجرة والإنتقال إلى بلاد أخرى، فجبل عامل عاش في ظل الدولة العثمانية نظامًا اجتماعيًا مقاطعجيًا، يعتمد على الإلتزام، أي التزام الضرائب من الولاة والحكام، وإسقاطها على الفلاحين والمزارعين الفقراء، حيث كان الظلم يحلق بهؤلاء، إضافة إلى أعمال السخرة التي كانت تفرض عليهم، فضلاً على أنواع القهر والتخلف والإستعباد.

الفلاح لم يكن يستغل إلا الجزء القليل من انتاجه، وهناك جزء كان يستخدمه من أجل إعادة الإنتاج، والقسم الثالث يسرق منه أو يغتصب اغتصابًا قسريًا، وهنا يأتي دور المرابين الذين كانوا يتحكمون بالفلاحين، ويأخذون منهم أرضهم، حيث أنهم لا يستطيعون سداد الديون التي على كواهلهم[1].

---

(1) راجع نهدي الحمصي: "أضواء على الاغتراب العالمي اللبناني" بيروت سنة 1998 ص 13. =

أما القطاع الحرفي فكان بسيطًا، يدويًا ضعيفًا، ونسبة العاملين فيه لا تتجاوز ال 15٪، والإنتاج محدود، منزلي، ورأسمال العمل ضعيف، والأدوات المستعملة بسيطة، وتقسيم العمل بدائي، والعاملون في هذا القطاع يتحملون أيضًا دفع الضرائب.

واستمر القطاع الحرفي الصناعي محدودًا خلال فترة طويلة، لأن المجتمع العاملي كان مجتمعًا إستهلاكيًا بشكل أساسي، لا يصنّع إلا الأدوات البسيطة التي يستعمل معظمها في الزراعة، ولا نستغرب ذلك إذا علمنا أن الطاقة الكهربائية لم تصل إلى المنطقة إلا بعد منتصف الستينات، مع ما لهذا الأمر من أثر سلبي في التطور الصناعي والتقني.

أما القطاع التجاري في المنطقة فكان الأفضل لأن جبل عامل وغيره من المقاطعات اللبنانية لم يكن يفصلها فاصل عن الجوار العربي، وخاصة الفلسطيني والسوري، وللمفارقة نلاحظ أن كل المقطاعات التابعة للدولة العثمانية كانت موحدة، فلا تفصل بينها حواجز أو حدود، والأسواق فيها كانت تتكامل على بعضها البعض، حيث كان هناك تكامل اقتصادي، فطرق المواصلات مفتوحة، وهناك شبكة علاقات تجارية، وخاصة بين المنطقة الحدودية من لبنان مع فلسطين وكذلك مع سوريا، والقوافل التجارية كانت تجوب هذه المناطق، ومئات المكارية كانوا يتنقلون بين جبل عامل وسوريا، وكانت الغلال الزراعية وخاصة التبغ، والماشية وبعض منتوجات الحرف اليدوية هي أهم البضائع التي يتاجر بها.

وبالرغم من ازدهار التجارة، فإن المزارعين والفلاحين الذين كانوا يتاجرون بفائض انتاجهم كانوا يرهقون بدفع الضرائب، وتشير جريدة المرجع المرجعيونية إلى هذا الأمر فتقول: "إن سبب هذا الوضع هو كثرة الضرائب وطريقة جبايتها التي اثقلت كاهل البائعين في سوق النبطية، مع أنه لم تكن مسجلة في قانون، أو شارك فيها سوق النبطية أحد الأسواق"[1].

= ومحمد الزغبي: "حول التخلف والطريق غير الرأسمالية" مجلة دراسات عربية، العدد 11، أيلول سنة 1974 ص 27.

راجع أيضًا أحمد رضا: "المتاولة أو الشيعة في جبل عامل" العرفان مجلد 2 ج7 سنة 1920 ص 335

(1) جريدة المرجع المرجعيونية 10 و25 شباط 1919

راجع: كمال حمدان: "التطور الرأسمالي وموقع الجنوب والبيئة الاجتماعية اللبنانية" مجلة الطريق، العدد 5 و6 آب 1977 ص 26

هذا ولعب تجار المناطق العاملية، وخاصة من خلال الأسواق الرئيسية دورًا مهمًا في الحركة التجارية، وسيطروا على الشبكات التجارية والاجتماعية والثقافية، التي كانت بمثابة المواصلات التي وصلت الفلاحين الذين ينتجون البضائع "[1].

نشير إلى مسألة مهمة أن المدن الرئيسية نمت سريعًا وحصريًا على حساب المناطق الريفية، ولذلك فإن الإهتمام كان منصبًّا على بيروت بشكل أساسي، فضلاً عن طرابلس وإلى حد ما صيدا، أما المناطق الجنوبية العاملية، وأمثالها من المناطق الأخرى فلم تنلْ أي إهتمام من الدولة.

إضافة إلى ذلك كانت هناك ممارسات ساعدت في سوء الحالة الاقتصادية والمعيشية، ومنها مصادرة المواد الغذائية والإحتكار أثناء الحرب، الغلاء الفاحش، الحصار البحري، انزال عملة ورقية تحل محل النقد الذهبي الذي تم الإستيلاء عليه، حيث ساووا بين العملة الورقية (لا قيمة فعلية لها) والعملة الذهبية.

العوامل الأمنية والطائفية:

هناك عوامل أمنية وطائفية لعبت دورًا في موضوع الهجرة من جبل عامل، ففي سنة 1914 نشبت الحرب الأولى، وثم تجنيد عدد كبير من العامليين بالقوة، وسوقهم إلى خارج البلاد، ومعظم هؤلاء لم يعد، وفي سنة 1920 وبعد حملة نيجر الفرنسية، التي حصلت بعد الأحداث المذهبية والطائفية في المنطقة الجنوبية، والتي خربت البلاد وصادرت الغلال والمواشي والأرزاق، ترك العديد من أبناء المنطقة إلى الجوار (فلسطين خاصة) أو إلى البعيد (أميركا)، وزاد في الطين بلّة حوادث سنة 1936 في فلسطين والجنوب.

وفي سنة 1948 سقطت فلسطين، وأقفلت أبواب الرزق أمام العامليين، خاصة وأن اسواق فلسطين ومدنها كانت هي المكان الرئيسي الذي يجد فيه العامليون ضالتهم الاقتصادية والمعيشية، فإضطر أكثرهم للعودة إلى الوطن، ومن هناك إما إلى بيروت، أو إلى الخارج وخاصة أميركا، وتعددت الأزمات السياسية من سنة

(1) نقلاً عن بشارة دوماني: "إعادة إكتشاف فلسطين"، ترجمة حسني زينة ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت سنة 1959 ص 14

1958 والحرب الأهلية التي حصلت، وشارك فيها العامليون مشاركة فعلية، أو أحداث سنة 1969 ـ 1970، ثم الإجتياحات الصهيونية المتكررة سنة 1972، 1978، 1982، وما رافقها من أحداث أمنية في المنطقة، خاصة سنة 1975 و1976، وهكذا حتى اتفاق الطائف الذي أوقف الحرب، لكنه لم يوقف تيار الهجرة، لأن الأوضاع، وخاصة في المنطقة الحدودية المحتلة، أو المحاذية لها، لم يتغير عليها أي شيء.

وحتى بعد التحرير، فإن معظم ما كان يتأمله المواطن من الدولة لم يتأمن، وكان هناك فترة إستقرار أمني وسياسي استمرت حتى سنة 2006، حيث اندلعت الحرب، وحصل ما حصل من دمار وخراب وتهجير مستجد، وأكثره كان باتجاه الولايات المتحدة الأميركية.

وحتى منتصف 2019 لا تزال الأوضاع السياسية في البلد غير مؤاتية، وبالرغم من القدرة التي ابدتها المقاومة في ترسيخ معادلة القوة مع العدو الصهيوني، وبعد الإنتصار الذي حصل على الجماعات الإرهابية التكفيرية، فإن عدم الإستقرار السياسي يلعب دورًا أساسيًا في ابقاء المشاكل، ومما يزيد في الأزمة الديون المتراكمة على الدولة، والإضرابات في مختلف القطاعات، مما يجعل الوضع أكثر سوءًا.

عامل الفقر والحاجة واللاتنمية:

تاريخيًا، لا اهتمام من قبل الدولة، وحكوماتها المتعاقبة بالأطراف، ومنها جبل عامل، ولولا علاقات المنطقة الاقتصادية بفلسطين من جهة، وحوران وباقي سوريا من جهة أخرى لكان الوضع مأساويًا، فلا طرقات، ولا مستشفيات ولا مستوصفات، ولا ري، ولا كهرباء، حتى سنة 1966، ولا مدارس إلا في مراكز القصبات الرئيسية[1].

مرّت على الجنوب فترة قصيرة جدًا، عندما حضرت بعثة ارفد في نهاية

(1) وصفت مجلة آسيا الفرنسية حال الناس والجوع الذي كان يفتك بهم فقالت على لسان ارشيد بريان في المجلس النيابي الفرنسي: "إن اللنانيين طيلة فترة الحرب كانوا يتحملون عبء الإبتزاز المخيف، فعندما ذهبنا إلى هناك، مدعوين من قبلهم، وجدنا مواطنين قد هلكوا من الجوع لاستحالة الحصول على المؤونة في ظروف من البؤس الفظيع".

Aristide Briand: "les affaires du levant" supplement de l'Asie francaise n de février 1922 p.3-4

الخمسينات، ودرست الأوضاع الاجتماعية عن كثب، في الجنوب وغيره، ورسمت خططًا معينة للتنمية، وشهدت فترة الحكم الشهابي[1] بصيص نور وأمل لتغيير الأوضاع المعيشية والاجتماعية والإنمائية في المنطقة الجنوبية، وغيرها، وحصلت إصلاحات إدارية مهمة، لكن كل ذلك لم يترافق مع اصلاحات سياسية، ولذلك، بعد أن انتهت الفترة الشهابية عادت الأمور إلى سابق عهدها، وانقلب البعض على الإنجازات التي تحققت خلال تلك الفترة.

بشكل أساسي إن الدولة اللبنانية لم تكن تنظر للجنوب كإمتداد جغرافي وسياسي اجتماعي لبناني، بل كان ينظر إليه على أنه شبه "مستعمرة" للبنان، فكان همّ المسؤولين في ذلك الزمن أن لا يعيش، بل أن يكون نسخة من الاستثمار والإستعمار، ولذلك حرمت أبناء جبل عامل النور والماء، وعزلوه عن بقية المناطق ليوهموا سكانه أن هذا الجبل خطر عليهم، وليتركوا ابناءه خطرًا على أنفسهم"[2]، ومن المعروف أن الدولة جعلت من الجنوب منطقة عسكرية، يمنع على أحد من خارجه أن يأتي إليه إلا بعد الحصول على تصريح من الجيش في صيدا.

على صعيد الجنوب، ورغم ما لحقه من "تنمية بسيطة" جرّاء الإصلاحات الإدارية التي طبعت العهد الشهابي، فإن الهجرة استمرت منه، خاصة أن العامل الاقتصادي بقي ضاغطًا، ولا شك أن ازدياد وتيرة الإعتداءات الصهيونية على المنطقة، خاصة بعد عدوان حزيران سنة 1967، وتطور الأوضاع الأمنية في المنطقة نحو الأسوأ، دفع أكثر باتجاه الهجرة الزائدة.

انهيار الاقتصاد خلال الحرب وازدياد وتيرة الهجرة:

حتى بدء الأحداث، كان الاقتصاد في المنطقة الجنوبية يعتمد على التجارة (من خلال الأسواق)، وعلى زراعة التبغ بشكل رئيسي وعلى بعض الحرف اليدوية، والخدمات، لكن يلاحظ أن القطاعات المنتجة بقيت متخلفة وبسيطة، إن من حيث الموارد الأولية، أو من حيث اليد العاملة الفنية، أو من حيث الإنتاج وكمية التصريف وأسواقه، وزاد في الطين بلّة، أنه مع الحرب، فإن الدولة لم يعد

(1) راجع: باسم الجسر: "فؤاد شهاب" مؤسسة فؤاد شهاب، بيروت 1998 ص 103 وMission IREFED:"Liban, documentation 1961- 1964 ministere du plan

(2) فرحان صالح: "جنوب لبنان، واقعه وقضاياه" دار الطليعة، بيروت 1973 ص 92

بإستطاعتها دعم أي قطاع إنتاجي أو أي سلعة ضرورية، فكيف بالمنطقة الجنوبية التي هي أصلاً خارج نطاق الإهتمام الحكومي.

لقد ازدادت عمليات التهريب عبر المرافئ غير الشرعية، وعبر الحدود البرية، من خلال البوابات التي فتحت بين لبنان وفلسطين المحتلة، وعبر مرفأ الناقورة، ومرفأ صور اللذين كانت قوى الأمر الواقع تسيطر عليهما، وتهرب عبرهما الكثير من السلع...

هناك فئات إستفادت من الأموال المتدفقة من الخارج (من ليبيا والعراق خاصة)، ووقع الكثير من المواطنين تحت عجزاقتصادي كبير، ولولا أموال المغتربين التي كانت تتدفق من الخارج، وخاصة من أميركا، لكان الوضع كارثيًا، فهذه الأموال سدّت العجز، وركّزت الوضع المعيشي.

ورغم كل ذلك بقيت وتيرة الهجرة سريعة نحو الخارج، وخاصة نحو الولايات المتحدة الأميركية، حيث أن عائلات بكامل أفرادها تركت الوطن إلى هناك..

في تلك الفترة قفزت الأسعار، وتغيّر سعر صرف الليرة اللبنانية أمام الدولار، حتى أن بعض الموظفين في المنطقة الجنوبية تركوا وظائفهم وهاجروا إلى أميركا (أو كندا وأستراليا)، وبعضهم بقوا في الوطن، تعلّقوا به وبأهلهم وبوظائفهم، وهناك فريق كان يذهب إلى أميركا لعدة أشهر، مستخدمًا طريقة "الإستيداع الوظيفي"، والتقارير الطبية، ثم يعودون لأشهر مماثلة إلى كنف عائلاتهم، وإلى وظائفهم، واستمر تراجع الوضع الاقتصادي مع اتساع وتيرة الإجتياحات والإعتداءات الإسرائيلية، امتدادًا إلى الإحتلال، وانخفض الحدّ الأدنى للأجور بسبب تدني سعر صرف الليرة اللبنانية مقابل الدولار، فقد "تدنى هذا الأجر من 243 دولارًا سنة 1983 إلى 39 دولارًا في 14 كانون الثاني سنة 1987، ثم إلى 19 دولارًا في كانون الأول سنة 1987"[1].

في تلك الفترة هاجر عدد كبير من العاملين إلى الخارج، وخاصة إلى الولايات المتحدة الاميركية، حيث تشير بيانات هذه الأخيرة أن "نسبة المهاجرين اللبنانيين من فئتي المهنيين والإداريين بلغت خلال المدة بين 1975 ـ 1980 ما يقارب ال 48٪ من مجموع الناشطين اقتصاديًا، مما يشكل 7 اضعاف البنية ذاتها بين اللبنانيين

(1) راجع: جريدة الديار 10 كانون الثاني سنة 1990

العاملين في لبنان، وحوالي ضعفي تلك البنية في الولايات المتحدة الأميركية نفسها "[1].

هذا الوضع دفع بعدد مهم من الموظفين الجنوبيين إلى ترك وظائفهم نهائيًا، والهجرة خاصة إلى أميركا، وكلما كان يشهد لبنان تآكلاً لقاعدته الاقتصادية، ازداد الضغط باتجاه ترك البلد، وحدثت أضرار بالغة في الأوضاع الاجتماعية والموارد البشرية، بحيث لم يتعد معدل الدخل الفردي الحقيقي مع حلول عام 1990 ثلث ما كان عليه سنة 1975 "[2].

بعد توقف الحرب إثر إتفاق الطائف بدأت الحركة الاقتصادية تنتعش تدريجيًا، لكن ذلك لم يحصل في كل مناطق الجنوب، فبينما انعكس الوضع إيجابًا على المناطق المحررة، حيث تراجعت وتيرة الهجرة بعض الشيء، فإن الوضع في المنطقة المحتلة لم يتغير كثيرًا، وأفضل دليل على ذلك بلدة بنت جبيل، في النصف الثاني من التسعينات لم يتجاوز عدد المقيمين الأربعة آلاف شخص من أصل حوالي خمسة وأربعين ألفًا، والمتواجدون في الولايات المتحدة الأميركية فقط يتجاوزون الستة عشر ألفًا، واستمر الأمر على هذا النحو حتى بعد التحرير، حيث أن الضائقة الاقتصادية في المنطقة دفعت بالعديد من العائلات الجنوبية للهجرة إلى أميركا وغيرها...

هجرة أهالي بنت جبيل إلى الولايات المتحدة الأميركية تحديدًا إلى "ديربورن":

بكّر أهالي بنت جبيل بالنزوح والهجرة، وبدأ سعيهم الدؤوب إلى السفر منذ أكثر من مئة وثلاثين عامًا، يوم فرّ كثيرون من شباب البلدة هربًا من التجنيد الإجباري في "الجندرمة" التركية، وسوقهم إلى الحرب، وكانت الخدمة هذه تسمى ب "الرديف"، كما أن الظروف المعيشية الصعبة في المنطقة والأمراض والسخرة وغيرها لعبت كلها دورًا في انتقال أهالي هذه البلدة إلى الخارج مضطرين.

(1) النهار العربي والدولي سنة 1985 بالإستناد إلى معلومات مستقاة من وزارة العدل الأميركية
(2) السفير 23 تموز سنة 1999

بدايات الهجرة:

وصل المهاجرون إلى ديربورن Dearborn، التابعة لمدينة ديترويت، في ولاية ميشيغين التي يبلغ عدد سكانها حوالي 10 مليون نسمة، أما مدينة ديربورن فكان عدد سكانها حوالي 120 ألف نسمة سنة 2000، وفي ذلك التاريخ كان فيها ما بين 35 و40 ألف عربي، يعني حوالي الثلث، أما اللبنانيون فيعدون في ذلك التاريخ حوالي 25 ألفًا، بينهم ما بين 12 إلى 13 ألفًا من بنت جبيل وحدها"[1].

هجرة أبناء بنت جبيل إلى تلك المدينة كان منذ نهايات القرن التاسع عشر، وازدادت في بدايات القرن العشرين، خاصة بين سنة 1900 و1914، وهنا لعبت الحرب دورًا مهمًا في الهجرة. يبدو من خلال البحث والتدقيق أن العام 1890 كان هو العام الأساسي لهجرة أهالي بنت جبيل، ويقول منذر جابر أنه "يرد في مأثورات بنت جبيل أن المهاجر الأول، أو المغامر الأول من ابنائها جاء قريبًا من هذا التاريخ... ويرجّح أنه "حسن حمود"، وتنقل روايات أخرى أنه جاء إلى هذه البلاد مع ثلاثة آخرين، على إعتبار أن شواهد القبور في مقبرة ديترويت القديمة تحمل أسماء جنوبيين بنت جبيليين، تعود تواريخ وفاتهم إلى عام 1921 مثل خليل هيدوس، أي قبل حسن حمود المتوفي سنة 1922، كما هو مكتوب على شاهد قبره، ثم محمد علي الحاج سنة 1922، وأسعد فردوس سنة 1923، ويبدو أن القبر الأقدم الراقد في تلك المقبرة يعود ل: "محمد ابن عبد الحسن الحوراني، تولّد بنت جبيل ـ ولاية بيروت"، أي أنه يعود إلى ما قبل سنة 1920، ويشير جابر أيضًا إلى أن "هذه القبور ليست الأقدم لأموات جنوبيين في ديترويت، بإعتبار أن مقبرة "روزلاند بارك"، المقبرة الأولى التي تعاملت معها الجالية الجنوبية، إذ كان الدفن يتم قبل ذلك في المقبرة اليهودية في هذه المدينة، ونزل حسن حمود مع معاصرين في الهجرة في "سولت ليك سيتي" Salt Lake City في ولاية يوتاه UTAH، متعاطين الزراعة وتربية الماشية"[2].

لكن في مقابلة لي مع الحاج محمد طرفة (والده الحاج يوسف طرفة أحد أوائل المهاجرين إلى ديربورن)، قال أن "أول مهاجر من بنت جبيل هو "حسين

(1) مركز دراسات الوحدة العربية: "العرب في أميركا" ص 233

(2) منذر جابر: "الشريط اللبناني المحتل، مسالك الإحتلال، مسارات المواجهة، مصائر الأهالي، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت سنة 1999 ص 727

حمود"، وأن الحاج يوسف طرفة هاجر تحديدًا سنة 1908 وسكن في ميشيغين سيتي، واشتغل بتعبئة الفحم لنقله إلى المصانع، قبل أن ينتقل في فترة لاحقة إلى ديربورن"[1].

ثم ان افواجًا متلاحقة من بنت جبيل هاجرت إلى الولايات المتحدة الأميركية منذ بداية القرن، فهناك فوج سافر سنة 1906 وآخر سنة 1912، هذا الفوج الذي غرق منه في باخرة التايتانك، ليل 14- 15 نيسان من ذلك العام أربعة من بنت جبيل هم:

أسعد حسن طرفة، خليل حسين سعد، أمين حسين سعد ورشيد الحاج عبد بزي[2].

وهناك أفواج أخرى سافرت في فترات لاحقة أخرى، إنما ليس باتجاه الولايات المتحدة الأميركية فقط، وانما باتجاه بلاد أخرى مثل البرازيل، الأرجنتين، فنزويلا، كوبا وغيرها...

لماذا إختار المهاجرون ديربورن؟

أما لماذا كان الإختيار، فلأن موضع الولاية كان له أثر في ذلك، فهي قريبة من كندا (هناك نهر يفصل بينها وبين كندا، يتم قطع الجسر فقط، ويصل الشخص من ديترويت إلى وندسور في كندا)، وهي على تواصل مع المحيط الأطلسي من خلال بحيراتها الكبرى، وأرضها خصبة، وفيها وفرة من الغابات والأخشاب ومناجم الحديد والطاقة، وكل ذلك جعل منها مدينة ذات أهمية اقتصادية مميزة.

هذا و"المرويات المتداولة لدى مهاجري بنت جبيل أن أوائل الوافدين من أبنائها حلّوا في ميشيغن سيتي، وفي ولاية انديانا الزراعية، ثم ما لبثوا أن عملوا بين سنتي 1900 و1914 في مصنع لصناعة عربات القطار، يعرف بإسم "شركة هسكل للسكك الحديدية"، والإنتقال من ولاية أنديانا إلى ولاية ميشيغن تمّ عام 1914، بعد أن أتم "فورد" بناء أول مصنع لصناعة السيارات له"[3].

---

(1) مقابلة مع الحاج محمد طرفة في 2005/7/12 (توفي في أوائل 2019)

(2) وثائق محكمة صور الشرعية التي ورد فيها بيانات توكيل من ابناء المتوفين لوكلاء لملاحقة الموضوع وقبض التعويضات. وميشال كرم: "اللبنانيون في التيتانيك بالوثائق والصور" ط1، قرطبا، 20 أيلول سنة 1999 ص14

(3) المقابلة المشار إليها سابقًا مع الحاج محمد طرفة.

في السنوات الأولى كانت الهجرة إفرادية، حيث كان رب الأسرة يهاجر وحده، أو يصطحب معه ولدًا من أولاده، لكنها تحولت فيما بعد إلى هجرة، "أسروية" أو "عائلية"، حيث كان هناك صدى كبير لأخبار نجاح المغتربين الأوائل الذين يرجعون إلى البلاد مؤقتًا أو نهائيًا، أو عند ارسالهم الأموال لأهاليهم في الوطن، وهذا كان السبب الرئيسي الذي ولّد في نفوس الآباء الرغبة في الهجرة، فراح هؤلاء يتسابقون على تشجيع أولادهم على السفر، وهم في ريعان الصبا ومقتبل العمر، وكما يقول مراسل جريدة جبل عامل في نيويورك، فإن مجموع المهاجرين من جبل عامل عام 1330هـ، أي حوالي سنة 1912 كان خمسة وعشرين ألفًا"[1].

هناك عدد مهم من ابناء بنت جبيل غادروا إلى الولايات المتحدة الأميركية في الربع الأول من القرن العشرين[2]، كما أن منذر جابر أحصى أسماء 115 شابًا من أبناء بنت جبيل، كانوا غادروها باتجاه الولايات المتحدة الأميركية حتى أواسط العشرينات، وآخرين باتجاه كوبا و28 باتجاه الأرجنتين"[3]، ويقال أنه في سنة 1910 هاجر من بنت جبيل إلى أميركا كل من عبد الكريم بزي ونجيب بزي، أما سنة 1913 فهاجر سعيد بزي.

ومن أوائل الذين هاجروا أيضًا يوسف طرفة الذي "أقام في منطقة سالت لاك Salt Lake إحدى مدن ولاية يوتا UTAH الأميركية، وكذلك مهاجر آخر إسمه حسين بزي (شقيق الشيخ خليل بزي) الذي أقام في مدينة هايلز بارك Hight Land Park بولاية ميشيغين Michigan الأميركية.

كما هاجر كل من حسين طرفة (شقيق يوسف طرفة) مع الشيخ خليل بزي، وذلك بمساعدة أحد عملاء شركة من شركات النقل البحري، يدعى قسطنطين صالحة، وتوجه الرجلان أولاً إلى مدينة مرسيليا الفرنسية"[4]، حيث كان يتم فحص عيون الذين ينوون الهجرة إلى أميركا، وقد عمل معظم هؤلاء في مصنع

---

(1) جريدة جبل عامل سنة 1912

(2) أسماء بعض هؤلاء موجود في: مصطفى بزي: "تطور النزوح والهجرة من لبنان خلال القرن العشرين" ط1، دار المحجة البيضاء، بيروت سنة 2008، ص 165

(3) منذر جابر: "المرجع السابق" ص 728

(4) يحيى شامي وكامل بزي: "الشيخ خليل بزي، 75 عامًا في خدمة المغتربين، ط1، دار المحجة البيضاء، بيروت سنة 2012 ص 27-29

فورد للسيارات، وكانت أجرة العامل "دولارين وسبعة وستين سنتًا عن كل يوم عمل ساعاته عشر، قبل أن يخفض لاحقًا هنري فورد مؤسس تلك المصانع عدد ساعات العمل إلى ثمان، وذلك مقابل خمسة دولارات يوميًا"[1].

إن معظم مهاجري بنت جبيل انتقلوا إلى ديربورن التي تحتوي على نحو 60 إثنية، تعيش حول مصنع "الروج" للسيارات في منطقة يطلق عليها إسم ديكس Dex، وهو إسم أحد شوارعها.

كان عدد اللبنانيين في المدينة سنة 1940 مئة شخص، ثلثهم من بنت جبيل، وحي ديكس في السبعينات كان يبدو عليه أنه حي عربي بشكل كامل، حيث أن الجامع في وسطه، وقد بني سنة 1952، وخمسة حوانيت بقالة، يمتلك أبناء بنت جبيل اثنين منها، تبيع المنتوجات اللبنانية والأميركية.

وكان في حي ديكس أربع مقاهي حتى السبعينات، واحدة لبنت جبيل (صاحبها نمر هيدوس)، قبل أن تنتقل ملكيتها إلى آخرين... تقدّم كعادات مقاهينا الشاي والقهوة العربية، والقهوة الأميركية والمرطبات، ومن برامجها "لعب الورق" و"طاولة الزهر"، وشرب الأركيلة (النارجيلة)، وأحاديث السياسة، وأخبار الوطن، والمقهى هي المحطة الأولى لأي قادم جديد، أو أي غريب بحاجة إلى مساعدة.

إن إنتقال أهالي بنت جبيل إلى ديربورن لم يأت دفعة واحدة، وإنما جاء تدريجيًا من ميشيغين سيتي (أنديانا)، ثم إلى هيلاند بارك، ثم إلى ديكس.

ثم انتقل هؤلاء من ديكس في شرق ديربورن إلى وسط المدينة حول شارع "وورن" Warren.

تطور وثائر هجرة أبناء بنت جبيل:

تطور وضع الهجرة من بنت جبيل باتجاه الولايات المتحدة الأميركية في مطالع الستينات، حيث بدأت الفبارك والمصانع، خاصة تلك المنتجة للسيارات، ومعامل ذبح وسلخ وتعليب اللحوم، وغيرها من المعامل الأخرى، تتطلب أيد عاملة كثيرة، فبدأت هجرة جديدة من بنت جبيل باتجاه تلك البلاد.

منذ سنة 1967 حصل تطور جديد في وتيرة المهاجرة من بنت جبيل، وذلك بعد

(1) نفس المرجع ص 30

أن فتحت الولايات المتحدة الأميركية أبواب الهجرة إليها بشكل واسع، وكانت فرصة لذهاب عدد مهم من أبناء البلدة إليها، وظل الإقبال على الهجرة إلى أميركا يزداد، خاصة بعد دخول المقاومة الفلسطينية إلى البلدة، وإلى المنطقة، ثم بعد الإعتداءات الإسرائيلية التي ازدادت في تلك الفترة، وهي لم تتوقف أساسًا في أية فترة من الفترات، وهي التي طالت بنت جبيل، أكثر من مرة، فهدمت بيوت، وأزهقت أرواح، ووقعت خسائر فادحة، وجرح كثيرون، وطرأ تراجع كبير على صناعة الأحذية، وهي الصناعة الرئيسية في بنت جبيل، ما جعل كثيرين من اصحاب المعامل وعمالها يسافرون إلى الولايات المتحدة الأميركية، مستفيدين من أجواء صدور قوانين أميركية تسمح بالهجرة...

في تلك الفترة طرأ تطور مهم أيضًا، ساهم في ازدياد الهجرة إلى أميركا، ذلك أن المشاكل التي شهدتها معظم الدول الإفريقية مثل ليبيريا، سيراليون، شاطئ العاج، الزائير وغيرها، دفعت بالعديد من أبناء بنت جبيل الموجودين في تلك البلاد للإنتقال إلى الولايات المتحدة الأميركية.

تجدر الإشارة إلى أنه في العام 1969 تمت عقود عمل عديدة، ومعاملات زواج من اشخاص في المنطقة مع فتيات مهاجرات يحملن الجنسية الأميركية، وهذه الأمور طوّرت مسار الهجرة، وتشير الإحصاءات أنه في سنة 1974 هاجرت إلى الولايات المتحدة الأميركية350 أسرة، معظم أفرادها أصحاب معامل وعمال أحذية في بنت جبيل على وجه التحديد.

هاجر هؤلاء بدون عائلاتهم، على إعتبار أن الهجرة مؤقتة، لكن في فترة لاحقة تغير الوضع. ففي سنة 1975 إندلعت الحرب الأهلية في لبنان، حصلت حركة نزوح معاكسة من الضاحية الشرقية لبيروت، التي كانت تسكنها أكثرية شيعية، جنوبية وبقاعية إلى الجنوب من جهة، وإلى البقاع من جهة أخرى.

لكن فترة الهدوء والإستقرار في الجنوب، وخاصة في المنطقة الحدودية، لم تستمر أكثر من عام واحد، حيث ساء الوضع سنة 1976 بعد أن تحولت المليشيات المسيحية من الضاحية الشرقية باتجاه المنطقة الحدودية، واستغل العدو الصهيوني الوضع واحتضن الحالة الميلشياوية هذه، وحدثت بعض المجازر، وتحولت المنطقة إثرها إلى مسرح للعمليات العسكرية، والعدو دخل بقوة على الخط من خلال التدريب والتسليح والدعم اللوجستي، وأصبح هناك جبهات عسكرية شارك

فيها من جهة المقاومة الفلسطينية تؤازرها الأحزاب الوطنية والقومية والأممية، ومن جهة أخرى الأحزاب اليمينية يؤازرها العدو الصهيوني.

هذا الأمر أثر بشكل قوي على موضوع الهجرة، حيث حصلت هجرة كثيفة من بنت جبيل، ويقال أن عدد المهاجرين من البلدة في أوائل الثمانينات بلغ في أميركا حوالي ستة آلاف.

ساعد على ذلك الإستقرار السياسي والتطور الاقتصادي وارتفاع المداخيل ومستوى المعيشة ووجود فرص عمل كثيرة في الولايات المتحدة الأميركية (واستراليا وكندا)، فضلاً عن التقديمات الصحية والتعليمية التي تقدّمها تلك البلاد للمهاجرين، وكلما ارتفع عدد أفراد الأسرة كانت التقديمات الاجتماعية أكثر.

يضاف إلى ذلك تلقف الولايات المتحدة الأميركية (وكندا وأستراليا) لعنصر الشباب والصغار، فهؤلاء هم الذين تريدهم مؤسسات أميركا ومعاملها ومصانعها، وبالفعل شكل هؤلاء عصب المجتمع الاغترابي البنتجبيلي هناك، هؤلاء "غريبون" إلى حدّ ما عن مجتمع البلدة والوطن، آباؤهم وأمهاتهم يحضرون إلى الوطن، لكن من الصعب إقناع الجيل الثالث والرابع بالعودة، وحتى بالزيارة، وهناك شباب في أميركا أعمارهم حوالي أربعون عامًا لا يعرفون بنت جبيل ولا لبنان، حتى الذين هم في بنت جبيل، من الصعب جدًا على أي إنسان أن يعدل عن السفر مع عائلته، أو على أي شاب، وهويرى بأم عينيه ما يفعله العدو من اعتداءات، ودور الدولة الضعيف، وما أفرزته الأحداث من مشاكل لا تعد ولا تحصى، فضلاً عن الأزمات المادية والمعيشية وعدم توفر فرص العمل...

هكذا نرى أن الهجرة منذ سنة 1975 كانت الأكثر نزفًا من بنت جبيل ـ وغيرها ـ لأن المنطقة مثلث خط المواجهة الأساسي مع العدو، وهي التي كانت تتلقى الضربات والإعتداءات اليومية والقتل والتدمير والخطف...

في تلك الفترة أهالي بنت جبيل وجدوا أنفسهم أمام خيارين، كلاهما مرّ، إما البقاء في البلدة وهذا يعرضهم يوميًا للإعتداءات الصهيونية، ولتوقف الأعمال الزراعية والحرفية وتراجع التجارة والخدمات، أو الإنتقال إلى بيروت (وتحديدًا إلى الضاحية الجنوبية أو بيروت الغربية) وهناك حرب أهلية، أو الإنتقال إلى مناطق أكثر أمنًا في صور، صيدا، الزهراني، النبطية والبقاع، أو الهجرة إلى الخارج، ولما كان عدد من المغتربين السابقين في أميركا قد تقدّموا بطلبات

لعائلاتهم في الوطن للهجرة ولمّ الشمل، فإن الهجرة ازدادت وتطورت، وقد استفاد المهاجرون من بنت بيل في تلك الفترة من مسألتين مهمتين هما:

ـ حق اللجوء السياسي، حيث أن هناك عددًا مهمًا من أبناء البلدة أستفادوا من ذلك الحق، خلال فترة الحرب الأهلية وما بعدها، وحصلوا على اللجوء السياسي، إلى الولايات المتحدة الأميركية، وإلى غيرها من الدول الأخرى (كندا، أستراليا، وأوروبا، وخاصة إلى فرنسا، ألمانيا، هولندا، الدانمارك، النمسا وغيرها).

قانونيًا، تنص المادة 14 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على ما يلي:

"لكل إنسان أن يطلب ويتمتع بحق اللجوء إلى البلدان الأخرى، وأن الدول اعترفت بهذا الحق والتزمت به، علمًا بأن تقديم البراهين على أن المهاجر معرّض في بلده للإضطهاد، إما بسبب دينه أو عرقه أو لونه أو معتقداته السياسية على عاتقه، وللسلطة المضيفة أن تقتنع أولاً بهذه البراهين"[1].

ـ الأمر الثاني حق لمّ الشمل، فقد استفاد أهالي بنت جبيل من هذا الحقّ في توسيع نطاق هجرتهم إلى الولايات المتحدة الأميركية، وغيرها، وأن شمل عائلة المهاجر هو حق منبثق من حق أعم وأشمل، وهو الحق الأساسي لكل إنسان في أن يتمتع بحياة عائلية، وبموجب ذلك لا يحق لأي دولة أن تمنع أفراد عائلة المهاجر من الإلتحاق بربّ الأسرة، خصوصًا الزوجة والأولاد القاصرين.

على المستوى العلمي هذا الحق يختلف تطبيقه من بلد إلى آخر، لكن يمكن القول أن عددًا كبيرًا من أبناء بنت جبيل هاجروا إلى أميركا بطريقة لمّ الشمل.

هناك مسألة مهمة بالنسبة للمهاجرين تتعلق بحق طرد الأجنبي، فقد عانى أبناء بنت جبيل، كالعديد من أبناء الجنوب وغيره من المناطق الشيعية عامة من هذا الأمر.

من الناحية القانونية، لا توجد قاعدة قانونية تلزم الدولة المضيفة بالإمتناع عن طرد الأجنبي، ففي هذه الحالة سيادة الدولة هي مطلقة، إلا أنه من جهة أخرى هناك بعض الإتفاقيات الدولية، خصوصًا الإتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسية (المادة 13)، حاولت أن تضع قيودًا على سلطة الدولة في طرد الأجنبي

(1) نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المادة 14 ص 199

من أراضيها، فنصّت على أنه "لايجوز هذا الطرد إلا بإجراء قانوني، وأنه من واجب الدولة أن تفسح المجال أمام الأجنبي المطرود لمراجعة السلطات المختصة"[1].

هكذا كنا نرى أنه بمجرد أن يوفّق الشخص من بنت جبيل بتأشيرة دخول إلى أميركا، أو بمجرد أن تنجح العائلة بتأمين كل مستلزمات الهجرة، فإن ذلك يكون بمثابة عيد لدى العائلة، وهناك مفارقة أن الذين كانوا يسافرون في الماضي كانوا يودّعون بالنحيب والبكاء، على إعتبار أن المهاجر ربما لا يعود مرة أخرى إلى أرض الوطن، لأن النتائج غير معروفة، أما بعد الذي حصل من تطورات في المنطقة، فإن الهجرة أصبحت الشغل الشاغل للأشخاص والعائلات، لأنه إذا تأمن ذلك فالعائلة تتخلص من تداعيات الحرب، وتنقل من مجتمع إلى آخر مختلف كليًا، يؤمن لها كل سبل العيش الكريم، ويتغير مستوى المعيشة، وتتأمن فرص العمل، والوضع الصحي والتعليمي وغير ذلك...

خلال فترات الحرب، كانت تمر فترات هدوء في الوطن، فيجمّد الراغبون بالهجرة طلباتهم، حتى إذا حصل أي تبدل نحو الأسوأ، يعمد هؤلاء فورًا إلى تحريك هذه الطلبات مجددًا والعزم على السفر للإلتحاق بالمهاجرين هناك، حتى أن البعض، ولأن تكاليف السفر على العائلة كانت كبيرة، فإنهم إما استدانوا أموالاً أو أنهم باعوا أراضٍ لتأمين تذاكر السفر ومتطلبات الإنتقال...

هناك العديد من الشباب الذين سدّت في وجههم الأبواب، اضطروا لإتباع أساليب غير مشروعة ليهاجروا، كشراء "فيزات" مزورة، وهناك شباب دخلوا إلى أراضي الولايات المتحدة الأميركية عن طريق التهريب من دول الجوار، واستخدم ذووهم في أميركا طرقًا للدفاع عنهم، حيث أمنوا لهم محامين لتبرير مسألة الدخول بشكل غير شرعي.

هناك شباب من بنت جبيل وصلوا إلى مطارات أميركا، ثم أعيد تسفيرهم إلى لبنان فورًا، البعض لم ييأس وأعادوا المحاولة مرة وإثنتين، منهم من نجح ومنهم من فشل فعاد خائبًا.

وهناك أمر مهم، وهو الهجرة عن طريق الزواج، بعض الشباب ثبتوا أنفسهم في

(1) الإتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسية المادة 13

أميركا عن طريق الزواج من أميركية لديها جنسية، والبعض أمنوا زيجات مرتبة وهم في الوطن، وسافروا على هذا الأساس، وهذا النوع من الزواج كان عرضة للفشل، لأن الهمّ الأول لدى الشباب المهاجرين هو الوصول إلى الولايات المتحدة الأميركية، والحصول على الجنسية والتثبت هناك، ثم يلجأ البعض إلى الطلاق، وهذه المسألة سبّبت مشاكل اجتماعية كثيرة...

الوضع بعد سنة 1982:

استفاد مهاجرو بنت جبيل، وغيرها - خاصة أولئك الذين وصلوا إلى ديربورن بطرق غير قانونية - من قرار صدر سنة1982، يسمى TPS، وهو يسمح للبنانيين بالبقاء في الولايات المتحدة الأميركية ريثما يستقر الوضع في لبنان، وتنتفي المبررات الأمنية الموجبة، وهذا القرار ألغي سنة 1991، (بعد اتفاق الطائف)، على اعتبار أن الأوضاع استقرت في لبنان، وأن الحرب قد توقفت، وتمّ انتخاب رئيس جمهورية، وأن الأمور سائرة نحو الأفضل والأحسن.

لكن القرار شيء وتطبيقه شيء آخر، فالقانون لم ينفّذ بشكل صارم، وهناك حالات معينة كان يتم بعدها تسفير المهاجر...

بعد الإحتلال الصهيوني الذي حصل سنة 1982، فإن أهالي بنت جبيل الذين كانوا يحصلون على تأشيرات دخول إلى أميركا عبر سفارات أميركا في بيروت، ثم في دمشق، وأحيانًا في قبرص، أصبحوا يحصلون على تأشيرات من فلسطين المحتلة. حيث كانوا يذهبون إلى "بوابة رميش"، ومن هناك ينتقلون بسيارات أجرة من بوابة العبور إلى تل أبيب، وكان العدو يستفيد من هؤلاء، من سيارات النقل، إلى الإقامة في الفنادق وغير ذلك، وقد يبقى المسافر أحيانًا عدة أيام قبل أن تتأمن أموره، ويضطر أحيانًا للذهاب أكثر من مرة إلى فلسطين المحتلة لإنجاز معاملاته قبل السفر... العدو كان يسهل هذه الأمور، هو يستفيد أولاً من الأموال الصعبة التي تدخل إلى كيانه، وثانيًا هو يساهم، في تفريغ المنطقة من سكانها، فهدف العدو بعيد المدى كان "استعمار" المنطقة وتحويلها إلى ما يشبه ما قام به في الضفة الغربية والجولان، فضلاً عن مسألة أساسية كان يطمح إليها العدو وهي التطبيع الكامل مع لبنان، اقتصاديًا واجتماعيًا وصحيًا وتربويًا، ومن ثم سياسيًا.

وهناك أمر مهم، وهو نشوء شبكات تسفير في المنطقة المحتلة، كانت تساعد

على الهجرة، الدكتور منذر جابر، أجرى إحصائية في تلك الفترة عن أعداد الجالية البنتجبيلية في ديترويت، فتوصل إلى الأرقام التالية:

1407 أسر الأب والأم والأولاد

194 أسرة مفتقدة ركنًا من أركانها، موتًا أو طلاقًا

(2?1407) +194 = 3002 أفراد أرباب الأسر

أبناء مولودون في لبنان: 1107

أبناء مولودون في أميركا: 3398

أبناء مولودون في غير مكان 76

المجموع 7589 فردًا موزعين على 1601 أسرة، أي أن المعدل هو 4,74 فردًا للأسرة الواحدة، وهذا الرقم يشكل 27-28 بالمئة من مجموع الجالية العربية، قياسًا إلى نسبة طلاب بنت جبيل الثانويين من مجموع الطلبة العرب في مدينة ديربورن هايتس، ويذكر أن عدد الجالية العربية في المدينة هو 27- 28 ألفًا"[1]، ويشكل أبناء بنت جبيل في تلك الفترة (الثمانينات) في ديربورن 6,4 بالمئة من مجموع سكان المدينة العام، و32 بالمئة من مجموع الجالية (أي حوالي الثلث).

يذكر رئيس نادي بنت جبيل الاسبق عارف سعد، (1999- 2000)، أن محاولة جرت لإحصاء عدد مهاجري بنت جبيل في ديترويت، وأن استمارات خاصة أعدّت لهذا الأمر، وان بعض الإستمارات نظمت بالفعل، وكانت تتضمن إسم رب العائلة، اسم الزوجة، الأولاد (شباب، صبايا) مستواهم العلمي، الواقع الاجتماعي، نوع العمل، محل السكن، ورقم الموبايل والهاتف العادي، لكن المسألة لم تتابع لأسباب عديدة، وغير مبررة، وبقيت الإستمارات في النادي حتى اليوم دون استكمال.

لكن اول رئيس لنادي بنت جبيل الحاج محمد طرفة (رئيسًا للنادي من سنة 1996 حتى سنة 1998) يقول أن أحصاءًا تمّ سنة 2000 لمغتربي بنت بيل في ديترويت، بيّن أن هناك أشخاصًا من 96 عائلة بنت جبيلية موجودون في المدينة، تمّ إحصاء 46 عائلة منها فتبين أن عدد أفرادها هو 6500 نسمة، وأن ال 50 عائلة الأخرى عدد أفرادها مقارب، ولذلك فإن عدد أبناء بنت جبيل في ديربورن سنة

(1) منذر جابر: "المرجع السابق" ص 751

2000 هو بحدود 13 ألفًا، وإذا زدنا على هذا العدد ألفي نسمة في نيويورك وكاليفورنيا وبوسطن وأماكن أخرى، يصبح العدد 15 ألفًا.

ويقول عدد من المغتربين اليوم (سنة 2019) أن العدد هو بحدود 20 ألفًا، مع العلم أن هناك عددًا لا بأس به من الأطفال والأولاد غير مسجلين...

الأعمال التي مارسها مغتربو بنت جبيل في ديربورن:

من الطبيعي أن يعمل معظم الذين وصلوا إلى الولايات المتحدة الأميركية في فبارك، وخاصة فبركة صناعة السيارات، وكان الهمّ الأول لدى المهاجرين الأوائل هو الحرية التي افتقدوها في الوطن، والهرب من الظلم والإستعباد والسخرة، وبالرغم من أن مغامرة الهجرة كانت غير معروفة النتائج، فإن الهجرة أصبحت "تمثل باب الخلاص من الإستبداد والظلم، وخاصة في العهد التركي"[1] امتدادًا حتى فترة الإنتداب الفرنسي...

هناك عدد كبير من الأعمال التي مارسها اللبنانيون بشكل عام، ومن بينهم الجنوبيون، ومن ضمن هؤلاء مهاجرو بنت جبيل، وهي تندرج تحت عناوين: الخدمات، مخازن البيع، مخازن البيع بالمفرق للعائلات الصغيرة، المطاعم، محلات القصابة، الخبز، الحلاقة، الأحذية، عمال النظافة، أصحاب محلات بيع التبغ، الصاغة، محلات الحلاقة والخياطة، القهوة، مال الفاتورة، فضلاً عن الباعة المتجولين.

في ديترويت بالذات التي يسكنها أكثرية جنوبية، برزت المزاحمة والمحاكاة في إختيار الأعمال التي يشتغل بها المهاجرون، وهذان الأمران" يفسران حتى درجة كبيرة اشتراك جماعة اثنية في تجارة واحدة في بعض الجاليات، وأصبحت أعمال البقالة بصورة متزايدة القاسم المشترك للسوريين الذين بدأوا بإفتتاح البقاليات في ديترويت قبل الحرب العالمية الأولى"[2].

وعلى ما يبدو فإن هذه المنطقة كانت مكانًا رحبًا للباعة المتجولين، حيث يجد هؤلاء كثافة سكانية تتلاءم أوضاعها الاجتماعية ومتطلباتها، مع ما يحمله الجوّالة من بضائع وأغراض مختلفة.

---

(1) المجلس الثقافي للبنان الجنوبي: "جنوب لبنان خط المواجهة الأول" ط1، آذار سنة 1980 ص 57

(2) اليكسانيف: "المغتربون، تجربة الهجرة الباكرة إلى أميركا، ط1، دار دمشق للطباعة والصحافة والنشر سنة 1988 ـ 1989 ص 306

يذكر معظم أبناء المهاجرين الأوائل، أن آباءهم اشتغلوا في مصنع فورد للسيارات، الذي اشتهر في مدينة ديربورن المعروفة ب "عاصمة السيارات"، ويذكر أن مصانع فورد انتقلت سنة 1916 من منطقة هايلاند بارك إلى ديربورن، وكان العرب أقلية هناك، لم يكونوا يشكلون أكثر من 1٪ من السكان في ديربورن، وكان يطلق عليه سابقًا إسم "تركو"، وبعد الحرب أطلق عليهم "السوريون" وذلك حتى ما قبيل 1950 حيث بدأ التمييز بين سوري ولبناني.

الذين عملوا في فبارك السيارات، وحتى بأجر محدود، كان ذلك طمعاً بالضمانات الصحية والاجتماعية، وهذا الأمر كان يشجع الكثيرين منهم على البقاء في الفبارك.

في الواقع، المهاجرون كانوا يجدون ضالتهم في هذه الشركات، هؤلاء استسهلوا العمل في مصنع فورد، وفي الأعمال التي لا تحتاج للغة إنكليزية بشكل مهم، هكذا كان العمل في حفر الطرقات وتعبيدها، وفي أفران المصانع وفي مسالخ اللحم (أكثرها مسالخ لحم خنزير)، بعد أن تعاطى المهاجرون الأوائل بتجارة الكشّة"[1]، ويذكر الكساليف أنه "حين بدأ مشروع دفع الخمسة دولارات يوميًا (أجرة العامل)، اندفع الجميع إلى هناك، وكان فورد يستطيع أن يستخدم أي شخص يأتيه، لأن الشباب كانوا مطلوبين، وهكذا دخل جميع هؤلاء السوريين إلى فورد... يمكنني أن أقول صادقًا: مائة منهم، ثم تدفّقوا من أماكن أخرى، وهذا هو السبب في أن سكان ديترويت من السوريين زادوا كثيرًا"[2].

أثناء الأزمة الاقتصادية العالمية سنة 1929، المهاجرون اشتغلوا بنفس الأعمال (تجارة، فبارك سيارات، مسالخ لحوم وغيرها)، وبشكل عام فإنهم انخرطوا في سوق العمل الأميركي بكل اتجاهاته وميادينه، وهذا الإنخراط كان له كبير الأثر على أبناء الجالية، حيث أحدث تغييراُ في المواقع الاقتصادية والاجتماعية للمهاجرين وعائلاتهم.

هؤلاء المهاجرون مثّلوا الجيل الثاني في مسار الهجرة، هم مهاجرون جدد، أو زوجات الفوج الأول وأولادهم، هؤلاء كانوا أكثر تعلمًا من الفوج الأول، اشتغلوا في التجارة وفي فبارك السيارات ومصانع اللحوم وغيرها...

بالنسبة للفوج الثالث الذي سافر في نهاية الأربعينات وحتى أواخر الستينات،

(1) نفس المرجع ص 306

(2) نفس المرجع

حيث دخل إلى الولايات المتحدة الأميركية 26361 مهاجرًا لبنانيًا (بينهم عدد مهم في بنت جبيل بالذات) فإنهم اشتغلوا في نفس الأعمال التي ذكرنا، والعديد من هؤلاء تقاعدوا بعد أن كانوا يوفون ما عليهم من ضرائب، تقاعدهم كان براتب كامل، تأتيهم الأموال من الشركات ومن الضمان....

أهالي بنت جبيل اشتغلوا في كثير من الأعمال الحرّة، حيث امتلكوا عشرات ثم مئات محطات الوقود، التي ارتفعت أسعارها بشكل جنوني، حيث وصل ثمن المحطة إلى أكثر من مليون دولار أميركي، ويرتبط بالمحطة "ستور" تباع فيه اشياء كثيرة، ويدر أرباحًا مهمة على أصحابه، وأحيانًا أكثر من محطة الوقود، حيث أن أسعار الوقود محددة، بينما أسعار السلع الأخرى متحركة...

يشتهر شارع "وورن" في ديترويت باللافتات العربية، التي تختزل حقيقة أن هناك بلدة تكاد تكون عربية بالكامل، فالعديد يقولون أن "بنت جبيل" هي هناك، وليس في لبنان"، لأن معظم أهالي هذه البلدة هم في تلك المنطقة بالذات.

هناك بعض المهاجرين نجحوا في إنشاء "مسالخ لحوم" يتم فيها الذبح على الطريقة الإسلامية، بعد أن كان المسلمون هناك يعتمدون على إنتاج المسالخ اليهودية، التي تستخدم نفس الطريقة الشرعية في الذبح، وبعض هؤلاء الذين فتحوا مسالخ هناك، هم في الأصل كانوا يعملون في المصلحة في الوطن الأم"، وفي مقدمة هؤلاء الذين نجحوا نجاحًا كبيرًا في هذا المجال "عارف سعد" الذي يملك أهم مؤسسة قصابة وتوزيع لحوم على كثير من المطاعم والمؤسسات وغيرها...

حاليًا هناك مئات ومئات المحلات لأبناء بنت جبيل، ومئات المؤسسات والشركات، والمصانع والمعامل ومحطات المحروقات والستورات ومحلات السمانة والفواكه والخضار والسوبر ماركت وغيرها.

ولا بدّ من التنويه بدور المرأة في العمل، فمعظم نساء مهاجري بنت جبيل عملن في أكثر من مجال، وساهمن مع أزواجهن في تأسيس قواعد رئيسية لأسر ناجحة في أميركا.

نقطة مهمة جدًا، وهي أن العديد من أبناء بنت جبيل يشغلون مناصب مميزة في دوائر البلديات والقضاء والمحاكم والوظائف العليا، وفي مصالح أخرى خدماتية وانتاجية.

هناك عدد كبير من أبناء بنت جبيل من الأطباء، الصيادلة، المحامين، القضاة، وغيرهم، كما أن عددًا من المعلمين الذين تركوا بنت جبيل إلى الولايات المتحدة الأميركية اشتغلوا بالتعليم، وخاصة تعليم اللغة العربية، كما أن بعضهم تابع دراساته العليا وحمل شهادة الدكتوراة في أكثر من مجال...

انعكاسات الهجرة إلى ديربورن على مهاجري بنت جبيل وعلى بنت جبيل بالذات:

للهجرة في بنت جبيل إلى ديربورن في الولايات المتحدة الأميركية، بشكل خاص، انعكاسات عديدة اجتماعية واقتصادية وثقافية، بعضها ايجابي والآخر سلبي.

الآثار الاجتماعية: طرأت تغييرات كثيرة على البنى الاجتماعية في البلدة بما في ذلك:

العلاقات الأسروية، علاقات المهاجرين بأبناء البلاد المضيفة (خاصة الأميركان)، العلاقات بين المهاجرين أنفسهم، تأثير المسألة السياسية على العلاقات، تأثير الموضوع الطائفي المذهبي، والتغيير في الهيكل الاجتماعي العام الناتج عن مجموع التغيرات الجزئية.

يرتبط بذلك التأثير الديمغرافي، وهو من أهم الآثار، حيث أن الهجرة أحدثت تأثيرًا مباشرًا في التركيبة الديمغرافية في بنت جبيل، فالإنتقال من البلدة إلى ديربورن (وغيرها) أثر في معدلات النمو السكاني، وفي معدلات نمو القوى العاملة والتركيب المهني والعلمي للعاملين، وفي التوزيع العمري، وفي نسبة الذكور المتواجدين، وفي معدلات الخصوبة، وفي دور المرأة.

ومن الآثار على بنت جبيل تراجع عملية التنمية المرتبطة بشكل أساسي بتجريد البلدة من قطاعات كبيرة من السكان النشيطين، فقد خسرت بنت جبيل جزءًا مهمًا وأساسيًا من مواردها البشرية وطاقاتها الإنتاجية، ولا شك أن الأحداث الأمنية كان لها الدور الأول في خسارة البلدة لأبنائها الشباب، الذين هربوا من التجنيد الإجباري والعمل بالسخرة، والإبتزاز، والضغط، والزجّ في سجن الخيام.

أما الذين بقوا في بنت جبيل فكان عددهم حتى سنة 1996، 3748 نسمة، وهؤلاء هم:

طلاب وتلامذة صغار، كبار السن من الرجال والنساء، مجموعة من الفتيات العازبات وهن غير عاملات، بعض التجار والحرفيين ومقدمي بعض الخدمات.

الإنصهار في المجتمعات الأخرى:

يقول أحد مسؤولي دائرة الهجرة في كندا (كما في الولايات المتحدة الأميركية):

"أنهم لا يتوقعون للجيل الأول أو الثاني من المهاجرين أن يتأقلم ويذوب في المجتمع الجديد، إلا أنهم متيقنون أن الجيل الثالث على الأقل (والرابع) سيكون نسخة طبق الأصل عن الواقع والحياة والتقاليد والعادات الكندية (الاميركية طبعًا)"[1]، ويلاحظ أن الجيل القديم قد أصبح بالفعل نسخة طبق الأصل للجيل الأميركي، لأن معظم أفراده كانوا غير متزوجين، تزوجوا هناك من أميركيات، ونالوا الجنسية وأصبحوا مواطنين أميركان...

إن الذين هاجروا في الستينات وما بعد من بنت جبيل ما زالوا يرتبطون بالوطن الأم، هؤلاء يحضرون سنويًا إلى البلدة، مرة أو أكثر أحيانًا، بنوا منازل، إشتروا أراضٍ في بنت جبيل والجوار، وآخرون بالمقابل عادوا إلى بنت جبيل، باعوا أراضيهم وبيوتهم وعادوا إلى أميركا...

إن العديد من أبناء هذه الأجيال لا يعرفون شيئًا عن لبنان وعن بلدتهم، وخاصة قبل التحرير، وأكثرهم لا يتكلمون اللغة العربية.

هناك ملاحظة أن الذين كانوا يحضرون من ديربورن إلى البلدة، وهم معروفون لدى أبنائها (لأنهم من الجيل الثالث وما بعد)، كانت تحصل عملية ابتزاز مالية تجاههم من قبل المليشيات العميلة "لإسرائيل"، ولذلك فإنهم كانوا يعودون إلى ديربورن غير مؤملين بالعودة ثانية إلى الوطن.

تغير في مزاج المغتربين:

لقد حصل تغير واضح لدى أكثر المغتربين في نظرتهم إلى أميركا، التي كانت تمثّل إليهم زعيمة العالم الرأسمالي مقابل العالم الإشتراكي، وكانت لدى هؤلاء خلفية يسارية (قومية أو أممية)، هاجروا منذ أواخر الستينات، ثم عادوا إلى لبنان،

---

(1) اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا (الأسكوا)، الأمم المتحدة: "هجرة الكفاءات العربية، بحوث ومناقشات الندوة التي نظمتها اللجنة في 4-8 شباط 1980 ص 79

وعندما يسأل هؤلاء إن كانوا لا يزالون يحملون نفس الفكر العقائدي أو أنهم تغيروا، وببساطة يجيب هؤلاء على هذا التساؤل قائلين: "نحن ذهبنا إلى أميركا في ذروة الطفرة اليسارية، كنا نناضل في صفوف الحركة الوطنية اللبنانية، وننسق مع المقاومة الفلسطينية وندعمها، كنّا نحمل هموم العمال والفلاحين والطلاب والمعلمين وصغار الكسبة، وندعو إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والإهتمام بالطبقة العاملة، ونطالب بحرية الفرد والتعبير والرأي، ونقف في وجه السلطة الجائرة التي تقمعنا وتسجننا وتضّيق علينا، إلى ما هنالك من الأمور الأخرى، وصلنا إلى الولايات المتحدة الأميركية، تفاعلنا مع المجتمع هناك، تشاركنا مع غيرنا من المهاجرين والمواطنين حياتهم، أصبحنا عنصرًا أساسيًا في التركيبة الاجتماعية هناك، تأثرنا ببعض العادات والتقاليد والتزمنا بالقوانين والأنظمة المرعية، وجدنا أنفسنا بالتالي ضمن مجتمع جديد يؤمن بحرية الفرد في عمله وتفكيره وآرائه، ومكانة الإنسان منوطة بتحصيله العلمي والعملي وليس بالوراثة أو بالواسطة، مجتمع يؤمن لأبنائه كل أبنائه (من السكان الأصليين والمهاجرين إلى حدّ سواء) أبسط القواعد الرئيسية للعيش الكريم، للتعليم، للطبابة، للخدمات الاجتماعية كافة، وبعبارة مختصرة، فإن ابن بنت جبيل في أميركا كما غيره، وجد هناك كل ما افتقده في وطنه، فإرتبط بالمجتمع الجديد ارتباطًا كاملاً".

فضلاً عن ذلك، لا نقول أن أهالي بنت جبيل في أميركا ذابوا في المجتمع الجديد، فقد حملوا معهم إلى هناك عاداتهم وتقاليدهم، وحتى عائليتهم، ولا نغالي إذا قلنا أن بعض النسوة حملن معهن إلى هناك "الصاج" ليخبزن عليه، وبقين يأخذن معهن مونة السنة من (سميد للكبة، سميد فلفلي للطبيخ، كمون، يانسون، دقّة الكعك، فريك، كشك، زعتر، سماق، سمسم، أما زيت الزيتون فتم شحنه بكميات إلى هناك، وتحول لاحقًا إلى تجارة).

إن تأقلم الكثير من مغتربي بنت جبيل بالمجتمع في ديربورن والتأثر به بشكل كبير، ومع نجاح المغتربين هناك وتحصيلهم في مجالات عديدة، تجارية، خدماتية، فنية، علمية، في الطب، الهندسة، الصيدلة، المحاماة، القضاء وغير ذلك، جعل مسألة العودة النهائية إلى الوطن مستحيلة تمامًا، وخاصة بالنسبة للأجيال الشابة والصغار، وأكثر ما يمكن تصوره هو قيام المغتربين بزيارات موسمية، وحدهم أو مع عائلاتهم، مستفيدين من التخفيضات التي تطرأ على تأشيرات السفر خلال فترات معينة من السنة.

الزواج من أجنبيات:

إذا لم يكن المهاجر متزوجًا، فإما أن يتزوج هناك من فتاة "أميركية" أو غير أميركية لديها جنسية، وهنا تحدث بعض المخاطر، فإذا كان الزواج بهدف التثبيت والحصول على الجنسية فقط، فإن المسألة قد تفشل فيما بعد، وإذا كان الزواج نابعًا من نوايا حسنة فإنه يستمر.

هناك شباب من بنت جبيل كانوا يحاولون، وهم في البلدة، تأمين زواج من فتيات لديهن جنسية أميركية، ويتم السفر، وهناك ونظرًا لظروف عديدة، إما أن يكون النجاح حليف هذا الزواج (المدبّر)، أو يكون الفشل...

وحول زواج أبناء بنت جبيل في أميركا نلاحظ ما يلي:

- هناك زواج بنتجبيلي داخلي، ضمن العائلات الواحدة، أربع عائلات أخرى من البلدة، لا همّ.
- هناك زواج من فتيات من جاليات أخرى (لبنانية، عربية).
- هناك زواج من أميركيات، وتحفل سجلات نفوس بنت جبيل بأسماء العديد من الزوجات الأميركيات.
- معلوم من سجلات النفوس أيضًا وجود زوجات من طوائف ومذاهب أخرى لشباب من بنت جبيل، والعكس صحيح، حيث أن بعض فتيات من بنت جبيل تزوجن من شباب من غير طائفة أو مذهب.

من خلال إحصائية أجريتها خلال فترات متعددة قبل 2000 لمئة مهاجر من بنت جبيل في ديربورن، تبين لي ما يلي:

- هناك عشرون شابًا تزوجوا أثناء وجودهم في أميركا.
- ثمانية وثلاثون شابًا تزوجوا قبل ذهابهم إلى أميركا.
- خمسة أشخاص تزوجوا هناك، ثم طلّقوا، ثم عاد إثنان وتزوجا ثانية.
- سبعة وعشرون شابًا كانوا لا يزالون بدون زواج

بالنسبة لجنسية الزوجات، فإنهن كما يلي:

- 58٪ زوجة من لبنان 58٪
- 4 زوجات من جنسيات عربية 4٪
- 11 زوجة أميركية 11٪
- 27 بدون زوجات

مسألة اللغة العربية:

معظم أبناء المهاجرين لا يتداولون في أميركا اللغة العربية (كما نرى في أستراليا وكندا)، حتى أن مدير عام المغتربين السابق هيثم جمعة يشير إلى ذلك فيقول: "إننا وفي كل زيارة إلى بلدان الاغتراب نكتشف الغربة بين اللغة العربية الأم وما بين مجتمعاتنا الاغترابية، هذه الغربة التي تكلفنا خسارة كبيرة من اللبنانيين، بحيث يصبحون بعيدين عن وطنهم وعن تراثهم وعن عاداتهم، وبالتالي فإن علاقتهم بالوطن تصبح بحاجة إلى وسيط للترجمة، وهذه التجربة تصبح عائقًا للتواصل[1].

معظم الذين هاجروا إلى ديربورن في الولايات المتحدة الأميركية، من بنت جبيل، امتدادًا حتى بداية الحرب الأهلية وما بعدها، يرون أن مسألة اللغة العربية لدى أبنائهم هي معضلة أساسية، بالرغم من أن هنالك مدارس تهتم بتدريس اللغة العربية، لأيام معدودات في الأسبوع...

والواقع كما نعرفه أن الأهل هناك يتناسون دورهم في المنازل مع أولادهم[2]، حيث أن أكثرهم لا يلزمون أولادهم بالتحدث باللغة العربية، ويتركون هؤلاء على راحتهم وعلى هواهم ومزاجهم، مع الأخذ بعين الإعتبار البيئة التي يعيش فيها هؤلاء الأولاد (غير البيت)، أي في المدرسة وأماكن اللهو واللعب والتسلية وفي المنتديات وغيرها، حيث أن التداول هو بالإنكليزية فقط.

في هذا الخصوص يشير ريمون شبلي خلال محاضرة له حول موضوع الهجرة أن "اللبنانيين الذين هاجروا في القرن التاسع عشر، ولم يرجعوا، تركوا خلفهم أبناء، على العموم، وأحفادًا على الخصوص، لا يعرفون اللغة العربية، وربما يجهلونها، وكذلك فعل مهاجرو القرن العشرين (وبينهم مهاجرو بنت جبيل)، وقد يجهل لغة ما، لا شيء يشدّه إلى شعبها وأرضها إلا المصالح المادية، وهذه تتبدل حسب الظروف، وحسابات الربح والخسارة، لذا لا بدّ من أن يظل اللبنانيون في

---

(1) هيثم جمعة: "مداخلة في ندوة بعنوان: "الأهمية الوطنية لتدريس اللغة العربية في المغتربات" وزارة المغتربين ت1 سنة 1998 ص 109

(2) لقد لمست هذا الأمر شخصيًا لدى زيارتي إلى أوستراليا سنة 1998، حيث وجدت أن معظم أولاد المهاجرين لا يتحدثون في منازلهم مع أهلهم إلا بالإنكليزية

المغتربات مشدودين إلى لبنان، واللغة قد تشكل أهم رابط بينهم وبين وطنهم الأم"[1].

وتأكيدًا على الفكرة يعتبر علي محسن السبيتي خلال ندوة عن "الهجرة الإلتزام والإنحراف"، أن "الجيل الثاني من المغتربين قد دخل التأقلم والتغرّب، وإلا فبماذا نفسّر افتقار الحديث باللغة العربية وسط الجيل المفترض فيه اتقانًا أبًا عن جدّ؟، وأكثر من ذلك، فإن الأبناء جرّوا آباءهم، ونجحوا في ذلك، إلى التكلم باللغة الأجنبية، من فرنسية وإنكليزية وغيرهما".

هناك ملاحظة وهي أنه بالرغم من كل ذلك، فإن النظرة ليست سوداوية بالكامل، فالمغتربون في أميركا (وكذلك في كندا واستراليا) وفّروا مدارس لتدريس اللغة العربية، وعلى سبيل المثال فإن أبناء بنت جبيل في ديربورن قاموا بهذا العمل، واستفادوا من وجود بعض المدرسين الذين تركوا وظائفهم في لبنان وهاجروا إلى ديربورن واشتغلوا بالتدريس، وخاصة تدريس اللغة العربية.

في هذا الخصوص يذكر أحد هؤلاء الذين تركوا مهنة التعليم في لبنان وهاجروا إلى الولايات المتحدة الأميركية، وتحديدًا ديربورن، أن "كل المؤسسات في منطقة ديربورن، في ولاية ميشيغن، من اجتماعية وإعلامية وثقافية ودينية، تمارس، أو تدعو إلى تعليم الأبناء اللغة العربية. وعلى صعيد الحياة اليومية، ففي المناطق التي تسكنها الجالية في ديربورن، تجد نفسك وكأنك في مدينة عربية، واجهات المحلات التجارية بخطوطها العربية، وموظفون يتكلمون العربية في المؤسسات العامة والخاصة (دوائر الشرطة، بلدية، مصلحة السيارات، المحكمة، البنوك، المدارس والمستشفيات)، وكلها مؤشرات تدل على أن الجالية اللبنانية في ديربورن (وأكثرها من بنت جبيل) أصبحت من القوة العددية على الأقل، في فرض نفسها ولغتها في الحياة اليومية والعامة"[2].

وفي نفس الموضوع يضيف المغترب حسن بزي أنه "في مجال تعليم اللغة العربية لأبناء الجالية، هناك ستة مراكز دينية تعلّم ميادين اللغة في ديربورن، وذلك يوم السبت من كل أسبوع، وتستوعب حوالي 1450 طالبًا وطالبة، ويقارب هذا

---

(1) ريمون شبلي: "مداخلة في ندوة" الأهمية الوطنية لتدريس اللغة العربية في المغتربات" وزارة المغتربين، ت1، سنة 1998 ص 173

(2) حسن بزي: "مداخلة في ندوة حول: "الأهمية الوطنية لتدريس اللغة العربية في المغتربات" ص 165

العدد الطلاب الذين يتعلمون في مؤسسات نظامية، تدرّس اللغة العربية بمعدل ساعة يوميًا...

لكن من خلال تدريس اللغة العربية في ديربورن، نجد أن تعليم هذه اللغة لم يصل إلى الحدّ الأدنى المطلوب، تبعًا لظروف ذاتية وموضوعية عديدة "[1].

هذا وفي إظهار الفارق بين صمود اللغة قديمًا وحديثًا، وبين مكان وآخر يقول المغترب نفسه أن "إمكانية العربية في الصمود أمام لغة البلد المهاجر إليه، اختلفت حسب الزمان والمكان، وحسب كثافة التواجد العربي، أو اللبناني.

المهاجرون الأوائل ذابوا في كل المجتمعات التي عاشوا فيها، واكتسبوا لغة جديدة على حساب لغتهم الأم، بغية التكيّف مع الواقع، أو الحماية لأنفسهم من ظروف التمييز العرقي العنصري من قبل السكان الأصليين، ولم يقتصر الذوبان على عدم استعمال اللغة بل تعدّاها إلى تغيير الأسماء والعادات والروابط العائلية والمعتقد الديني في كثير من الحالات "[2].

بالنسبة لبنت جبيل بالذات، نشير أن ازدياد عدد أفراد الجالية في ديربورن، وترابط سكن هؤلاء في منطقة واحدة تقريبًا ساهم إلى حد كبير في حماية اللغة العربية من النسيان، وفي التأثير إلى حدّ ما على الأجيال الجديدة.

حصول العديد من أبناء بنت جبيل على الجنسية الأميركية:

يذكر كبار السن من بنت جبيل أن معظم الذين سافروا قديمًا، قبيل وفي أوائل القرن العشرين، كانوا يحملون جوازات سفر عثمانية (تركو) وكانوا يسمّون "سوريون".

بعض هؤلاء عادوا إلى لبنان، وكانوا في ربوعه خلال فترة الإحصاء السكاني الذي تمّ سنة 1932، فسجّلوا كلبنانيين، أما من لم يكن قد عاد من المهجر، فإنه بقي على جنسيته القديمة العثمانية.

معظم الذين هاجروا وبقوا هناك وتزوجوا من أميركيات، حصلوا على الجنسية الأميركية، حتى أن بعض هؤلاء تركوا في الوطن زوجات وأولادًا، وغادروا، ثم تزوجوا في الاغتراب طمعًا بالتثبيت هناك بعد الحصول على الجنسية.

---

(1) نفس المرجع

(2) نفس المرجع

يرتبط بالموضوع هذا مسألة إزدواجية الولاء لدى المهاجرين، وأحيانًا مشكلة أن الولاء للوطن الجديد تصبح أقوى من الولاء الأساسي، خاصة وأن الذين يحصلون على الجنسية الأميركية ينالون حقوق المواطنة في البلد الجديد، بشكل كامل.

أما في البلد الأصلي، فإن أمورًا عديدة تتحكم بمسيرة الإنسان مثل: التمييز المناطقي، الطائفي، المذهبي، وهذا ما جعل لدى المهاجر ازدواجية في الولاء، وتكبر المشكلة إذا إرتبط المهاجر بزواج من أميركية، وشيئًا فشيئًا يحصل الإختلال في التوازن لمصلحة البلد المضيف.

الذين يولدون في أميركا، يحملون حكمًا الجنسية الأميركية، ويصبحون مواطنين أميركيين بكل معنى الكلمة، يحصلون على أعمال وهذا يزيد الإرتباط بالبلد المضيف، الذي يؤمن لهم فرص العمل ويؤمن لهم مستقبل أولادهم.

لذلك فإن معظم الذين نقابلهم من مغتربين في ديربورن وغيرها، يصرون بشكل واضح ومؤكد أن أولادهم ليسوا على استعداد أبدًا للعودة إلى الوطن، أقصى ما يمكن أن يقوم به هؤلاء مجرد زيارات لأيام أو أسابيع، وهم يسألون باستمرار عما يلبي رغباتهم الخاصة لقضاء فترة في بنت جبيل، هم يريدون المسابح والملاعب والملاهي والمقاهي والمطاعم وأمكنة الإنترنت والكمبيوتر وغير ذلك...

معظم هذه الأمور لم تكن مؤمنة في بنت جبيل سابقًا، لكن بالمقابل، وبعد التحرير، ثم بعد حرب تموز ـ آب 2006، أقدمت البلديات المتعاقبة على تأمين كثير من متطلبات الشباب، من مسابح وملاعب رياضية وغيرها، فيما المتطلبات الأخرى متواجدة في المنطقة أو قريبًا منها (الناقورة، الخردلي، الحاصباني، الوزاني، قعقعية الجسر، صور...) وغيرها...

ولأن أبناء المهاجرين كلهم يحملون الجنسية الأميركية، فإنهم يفضلون عدم المجيء إلى بنت جبيل، وقد صرّح لي أحد المغتربين بما حرفيته فقال: "إن إبنه لا يريد أن يأتي إلى لبنان أبدًا، فهذا البلد لا يعني له شيئًا"، ورغم كل الإغراءات التي يقدمها الآباء للأبناء، من شراء شقق في بيروت، أو صور، وتأمين زيارات لأولادهم إلى الجبل حيث المصايف الجميلة، وتأمين كل وسائل الراحة لهم لجذبهم إلى الوطن، وإلى بنت جبيل، فإن ذلك لا يفيد إلا بحدود قليلة، وهذه المسألة تتطور ايجابًا عامًا بعد عام.

إن المغتربين يعبّرون عن مأساتهم حيال هذه المسألة، يقولون أن لديهم منازل فخمة، وأراضٍ وبساتين مزروعة بأنواع الفواكه والأشجار، ولكن لمن كل ذلك؟ يسألون ذلك بمرارة ولديهم هاجس دائم أن كيف العمل لحل هذه المعضلة؟

وهناك مغترب قال ما حرفيته: "مع الأسف، لقد خسرت أولادي، ماذا تفيدني الأموال التي جمعتها في بلاد المهجر، كل شيء لا يعوضني خسارة الأولاد الذين لم يعودوا لي أبدًا!!!".

هجرة الكفاءات:

أثبت الواقع، أن الطلاب الجنوبيين هم من أنجح الطلاب في لبنان، ونتائج الإمتحانات الرسمية تبرهن باستمرار أن الأوائل هم جنوبيون، وأكثر من ذلك، معظم الإمتحانات التي جرت عن طريق مجلس الخدمة المدنية أثبتت أن الأوائل هم من الجنوب، ومعروف ماذا يعني الجنوب؟ ولذلك فإن نتائج عديدة لإمتحانات مختلفة ألغيت بحجة عدم التوازن الطائفي أو المذهبي!!!

كذلك على صعيد الجامعات، فالأوائل جنوبيون، في مختلف الإختصاصات العلمية والأدبية والتكنولوجية وغيرها، إنما ما ينقص هؤلاء هو احتضان الدولة لهم، واهتمامها بأوضاعهم ومستقبلهم، وتأمين الظروف المناسبة لهم لإتمام تعليمهم العالي، ثم مساعدتهم ليكون لهم مستقبل في سوق العمل.

إن هذا لم يحصل أبدًا، فإضطر معظم هؤلاء للهجرة إلى الخارج، وخاصة إلى أميركا، وتحديدًا إلى ديربورن (وأستراليا، وكندا)، حيث يجدون هناك ضالتهم، وإهتمام الدولة المضيفة بهم، وهي التي تفتش عنهم وتنتظرهم لتستثمرهم في مؤسساتها ومصانعها ومعاملها المختلفة، وكل الدلائل تشير إلى أن هناك من بنت جبيل في ديربورن مئات الأشخاص الذين يتمتعون بكفاءات عالية، بعضهم ذهبوا من بنت جبيل لأنهم لم يجدوا فرص عمل،[1] أو لم يوفقوا لإمكانية متابعة اختصاصاتهم، والبعض الآخر ولد هناك، ووجد كل الظروف السانحة لمتابعة

---

(1) مع الأسف الشديد، مع العلم أن التوازن الطائفي الوظيفي ينحصر في وظائف الفئة الأولى فقط، بينما الكفاءة هي معيار التوظيف عن طريق مجلس الخدمة المدنية في وظائف الفئات الثانية والثالثة والرابعة، ولما كان هذا الأمر مكرّسًا بالدستور، فإن البعض يحاول القفز فوق هذه المسألة بحجة ضرورة أن يكون هناك توازن طائفي في الوظائف من أجل العيش المشترك وهذا غير موجود في الدستور بل هو مخالف له.

التعليم، ثم التخصص، ثم العمل الذي لا يمكن إلا أن يؤمن، لأن المؤسسات الخاصة في أميركا تهتم بالحصول سنويًا على أسماء الطلاب الذين يتقدمون للإمتحانات النهائية، وعلى اختصاصاتهم حتى تحجز هؤلاء لمصلحتها...

هناك أمور ثلاثة ساهمت في تشجيع هجرة الكفاءات إلى الخارج، وخاصة إلى أميركا وهي:

- الظروف الأمنية والسياسية في لبنان والتي كانت تدفع باستمرار إلى الهجرة.
- الأحوال المتسارعة نحو ارتفاع مستوى الدخل وزيادة الأموال والمشاريع في أميركا.
- رغبة أبناء البلدة في تحسين أوضاعهم، والإنتقال إلى موقع يعمل فيه هؤلاء بحرية، ويطوّرون أنفسهم في أكثر من مجال، هكذا أصبحت هجرة الكفاءات، وكأنها مسألة حتمية نظرًا لأن الظروف في بنت جبيل وفي لبنان لا تسمح لهؤلاء بالبقاء في الوطن.

سياسيًا:

إن هجرة أبناء بنت جبيل إلى أميركا (وغيرها)، أفرغ البلدة، تدريجيًا من الفئات الشابة العاملة، خاصة تلك التي كانت تحمل لواء المعارضة، إن في فترة الإنتداب الفرنسي أو بعد الإستقلال، امتدادًا إلى الفترة اللاحقة.

إن الدولة والحكومات المتعاقبة بالذات لم تحاول برمجة طموح أبناء المنطقة بشكل عام، وبينهم أبناء بنت جبيل، وأكثر من ذلك، فإن الدولة كانت تحاول وبكل الوسائل المتاحة لديها قتل طموح هؤلاء، وهي كانت تشجع على الهجرة كسبيل للتخلص من تأثير الواقع الاجتماعي الاقتصادي المتردي، الذي كان الجنوبيون بشكل عام يعيشون في ظله.

خلال الفترة الفرنسية كانت السلطة تحاول إبعاد اللبنانيين عن أي جوّ سياسي، وكانت الدبلوماسية الفرنسية ـ كما يذكر جبرائيل منسّى ـ "تبعد بإنتظام المهاجرين اللبنانيين عن الإشتراك في الحياة السياسية اللبنانية، وقد اعتبر المهاجرون هذا العنصر الحرّ المناوئ للإنتداب غير مرغوب فيهم، وقد خصّت جريدة "الطان" الفرنسية هذه القضية بمقال رئيسي خلال شهر نيسان سنة 1927"[1].

(1) جبرائيل نسى: "المرجع السابق" ص 427

هكذا نلاحظ أن الإستعمار الفرنسي كان يخاف من اللبنانيين الذين يعملون بالسياسة، خاصة العامليين الذين كانوا متنورين، وكانت لهم تطلعات قومية عروبية، ولهم علاقات هامة مع محيطهم العربي، خاصة مع سوريا ومع فلسطين قبل سنة 1948، وهذا ما برز بشكل أساسي لدى أبناء بنت جبيل في أواخر الستينات حيث كانت المسألة واضحة بشكل أكبر، بعد أن دخلت القضية الفلسطينية مرة جديدة كنقطة صراع أساسية في المنطقة، وكانت الإنطلاقة الرئيسية من بنت جبيل، التي وقفت كعادتها موقفًا مهمًا شديد التأييد للمقاومة ضد الصهاينة، فجاءت الإغراءات الأميركية لأرباب العمل والعمال في بنت جبيل ـ ومعظمهم حزبيون قوميون وأمميون مؤيدون للثورة الفلسطينية ولسوريا ـ للهجرة إلى أميركا.

نجحت الولايات المتحدة في هذا المجال، وأحد الدلائل على ذلك، أن عددًا كبيرًا من الذين كانوا متحمسين جدًا للعمل الحزبي والنضالي وللقضية الفلسطينية وللشعارات المعروفة هاجروا إلى أمريكا، مستفيدين من تلك الإغراءات التي تحدثنا عنها، وأن عددًا من هؤلاء عادوا بعد سنوات عديدة من الهجرة إلى لبنان في زيارات مؤقتة، وكانوا يتغنون بما شاهدوه وعايشوه في أميركا من حرية وعدالة وديمقراطية، وتعليم وطبابة مجانية، إلى غير ذلك من الأمور المماثلة.

بالمختصر حصل تغيير شبه جذري لدى البعض في نظرتهم السياسية لأميركا، مع العلم أن قسمًا من هؤلاء يحاولون التفريق أو التمييز بين سياسة الولايات المتحدة في الداخل وسياستها الخارجية...

إيجابيات هجرة أبناء بنت جبيل إلى ديربورن:

ـ الإنفتاح على مجتمعات جديدة:

إن ذهاب أبناء بنت جبيل إلى الولايات المتحدة الأميركية منذ نهايات القرن التاسع عشر، وحتى اليوم، ونحن في القرن الحادي والعشرين، فتح عيون المهاجرين على مجتمعات جديدة تختلف من حيث اللغة والعادات والتقاليد والدين والمواقف السياسية والإيديولوجية الفكرية، ورغم كل ذلك، فإن معظم هؤلاء المهاجرين من بنت جبيل لم يتخلوا عن عاداتهم وقيمهم، لكن يمكن القول أنه حصل نوع من التفاعل والتأثير، حتى أن بعض المهاجرين انضموا إلى أحزاب سياسية وتنظيمات وجمعيات هناك.

هذا وساهم أبناء بنت جبيل، خاصة بعد أن ازدادت نسبة هجرتهم إلى الولايات المتحدة الأميركية، في تكريس واقع جديد في المنطقة التي عاشوا فيها، حيث أن المحلات والمؤسسات والشركات تحتل مكانة مهمة في الواقع الاجتماعي هناك.

ـ الإلمام الجديد باللغة الإنكليزية:

يبرز بشكل واضح المام أهالي بنت جبيل ـ حتى الذين ذهبوا قديمًا، وكانوا أميين أو شبه أميين ـ باللغة الإنكليزية، فقط كبار السن هم الذين لا يتقنونها جيدًا وإن كان اتقان اللغة الإنكليزية كان على حساب اللغة العربية، فإن الواقع هناك يفرض على المهاجرين تعلم اللغة أولاً، لأنها لغة التخاطب، والمصالح، والتجارة والخدمات والتعامل والمدارس والجامعات...

وقد اضطر العديد من الذين هاجروا من بنت جبيل الدخول في مدارس لتعلم اللغة الإنكليزية، التي بدونها لا يستطيع الشخص المهاجر الدخول في سوق العمل، وفي الوظائف...

ـ التعليم العالي:

هناك عدد كبير من أبناء بنت جبيل في الولايات المتحدة الأميركية ـ كما في غيرها، من الذين هاجروا بعد أن قطعوا مرحلة في دراستهم في الوطن، أو من الذين ولدوا وتعلموا هناك في ديربورن ـ تابعوا دراستهم التخصصية، حيث يوجد في ديربورن مئات الأشخاص من بنت جبيل هم أطباء أو مهندسون أو صيادلة، أو محامون، أو متخصصون في مجال المعلومانية، الفيزياء، الكيمياء، الرياضيات، العلوم الاقتصادية، العلوم الاجتماعية، المحاسبة والعلوم المالية وغير ذلك.

ويمكن القول حسب العارفين بالوضع عن كثب، أنه لا يوجد عائلة من العائلات البنت جبيلية المهاجرة إلى ديربورن إلا وفيها واحد أو أكثر من حملة الإختصاصات العالية، وبعض هؤلاء وصلوا إلى وظائف عليا في الإدارة والمؤسسات الرسمية أو الخاصة،

وهناك أسماء عديدة عن شخصيات (رجال ونساء)، وصلوا إلى مراكز مهمة، وفي أكثر من مجال.

ـ التأثير الثقافي:

فيما يتعلق بأبناء بنت جبيل في ديربورن، يمكن القول أن معظم الذين يحضرون إلى لبنان، وإلى بنت جبيل بالذات، في زيارات موسمية يؤكدون على الدور

الثقافي الذي يلعبه مثقفو بنت جبيل في ديربورن، هم كتّاب، مؤرخون، شعراء، أدباء، إعلاميون، يشاركون في تحرير الصحف والدوريات والمجلات، يساهمون في تنظيم الندوات والمحاضرات والاجتماعات واللقاءات.

وهناك إهتمام كبير، وخاصة منذ أواخر الثمانينات بالكتب الدينية، فمعظم المهاجرين المثقفين يقتنون مكتبات، وعندما يحضرون إلى أرض الوطن يهتمون بشراء بعض الكتب، ويأخذونها معهم إلى هناك.

ومعظم المهاجرين لديهم إهتمامات سياسية، وكانت الظروف سابقًا أفضل من حيث التعبير عن الآراء والمواقف، حتى المتعارضة مع السياسة الأميركية، لكن المسألة تراجعت بعد أحداث "أيلول، حيث أن السلطات الأميركية راحت تلاحق، حتى أولئك الذين كانوا يجمعون تبرعات لإرسالها إلى الفقراء والأيتام في بنت جبيل، وبالرغم من قوننة الجمعيات المسؤولة عن هذا الأمر، إن في أميركا أو في بنت جبيل، فإن عوائق لا تزال توضع في طريق إرسال الأموال.

المهم أن معظم مهاجري بنت جبيل منفتحون ثقافيًا على محيطهم في ديربورن، وعلى ما يحصل من أحداث وتطورات، وهم يلاحقونها باستمرار، الأمر الذي شكّل نسبة عالية من الملمّين بالشؤون العامة بمختلف نواحيها، خاصة أن المجلات التي تصدر تهتم بالكتابة عن كل الأمور المحلية والإقليمية والعالمية، وتكتب في السياسة والأدب والشعر والدين، والإختراعات والأبحاث العلمية والمقابلات، مما يجعل المغترب البنت جبيلي على صلة مباشرة ودائمة بالتطورات، خاصة بعد الإنفتاح الذي حصل، ومواقع التواصل الاجتماعي المتطورة جدًا.

الآثار على الملكيات والعمران في بنت جبيل:

من الملاحظ، وبشكل عام، أن الملكيات العقارية والتطور العمراني في المنطقة بكل عام يتقاسمان صرف معظم رؤوس الأموال الاغترابية، مع استثمار محدود في المشاريع الصناعية أو الزراعية، وكذلك استثمار حديث في بعض الأماكن في المجالات السياحية.

هكذا هو الوضع في بنت جبيل، حيث أن المال الاغترابي الأول، الذي كان نتاج الهجرة إلى الولايات المتحدة الأميركية في بدايات القرن العشرين، وإلى إفريقيا منذ منتصف الثلاثينات وما بعد، تمّ تسخيره بشكل أساسي في العمران،

حيث أن معظم "فيلات الحجر الأصفر القديمة كانت بهذه الأموال، كما أن عددًا من المغتربين استغلوا بعض أموالهم في شراء أراضٍ في أكثر من مكان. خلال الفترة اللاحقة، وبعد التطورات الأمنية في الجنوب، وتحديدًا في بنت جبيل وجوارها، وهجرة أعداد كبيرة من أبناء البلدة إلى أميركا تحديدًا، وبعد تدفق الأموال من هناك، سُخّر جزء مهم من هذه الأموال في شراء أراضٍ جديدة.

واستفاد المهاجرون من رخص الأراضي في ظلّ الإحتلال، لكن سرعان ما ارتفعت الأسعار بعد أوائل التسعينات واتفاق الطائف، فمن ثلاثة آلاف دولار ثمن الدونم الواحد سنة 1980 إلى ثلاثين ألفًا في التسعينات، وفي بعض الأماكن إلى أكثر من ذلك.

وبعد التحرير تغير الوضع بشكل جذري، حيث أن نهضة عمرانية كبيرة نشطت في المدينة، وقد أحصينا من سنة 2000 حتى 2006 أكثر من 500 منزلاً جديدًا، معظمها على شكل فيلات، وأكثرها لمغتربين في ديربورن (فضلاً عن مغتربين في أستراليا وكندا).

ونتيجة هذا الوضع إرتفعت أسعار العقارات، حيث بيع دونم الأرض على طريق صف الهوا في أوائل التحرير بأكثر من ثلاثماية ألف دولار، وهكذا بقي الارتفاع سيد الموقف حتى تموز ـ آب 2006، حيث جمدت الأسعار وكانت حركة إعادة الإعمار التي استمرت لعدة سنوات.

بعد إنتهاء حركة الإعمار كليًا إلى حدّ ما، حصل بعض الجمود في حركة البيع والشراء، ولكن منذ فترة تحركت الأسعار مجددًا، وتحديدًا في بعض الأماكن الهامة كصف الهوا، طريق عين إبل، القلاع، خلة المشتى، طريق عيترون، مطلّ يارون، تحت مارون، والأسعار اليوم حسب العرض والطلب، وهي تتراوح بين خمسين ألف وخمسماية ألف دولار، حسب الموقع والعرض والطلب...

التحويلات المالية إلى بنت جبيل:

يرتبط موضوع الملكيات وزيادة وتيرة العمران وغيرهما بمسألة التحويلات المالية إلى ذوي المغتربين وأقاربهم، والتي بقيت مستمرة رغم الحرب الدائرة، ورغم الظروف الصعبة، وهذه الأمور كانت إما من أجل مساعدة الأهالي في تأمين حياة معيشية مقبولة في ظروف اقتصادية وسياسية ضاغطة، أو من أجل شراء أراضٍ وشقق في بيروت أو غيرها.

إن الأموال التي ترسل إلى بنت جبيل كانت تحرّك العجلة الاقتصادية فيها، والواقع أن أهالي البلدة لم يشعروا بثقل الأزمة الاقتصادية، بسبب الأموال التي كانت تتدفق من أميركا خاصة.

هنا لا بدّ من التنويه بمشروع رائد، لم يسبق أحد أهالي بنت جبيل على مثيل له، ألا وهو "مشروع الخمسة دولارات" منذ 1983 وهو مشروع متواضع تم بمبادرة من مجموعة من الخيّرين الذين كانوا يأخذون على عاتقهم جمع أموال من أهالي بنت جبيل في ديربورن (خمسة دولارات من كل عائلة شهريًا)، فإذا كان عدد العائلات التي تدفع خمسمئة، فيعني أنه كان يجمع شهريًا 2500 دولار تقريبًا، يضاف إلى هذا المبلغ ما يجمع في الأعراس وفي أسابيع المتوفين، وهذه المبالغ موثّقة من حيث أسماء المتبرعين وكمية الأموال، والجهة التي تصل إليها، وهي لجنة في بنت جبيل برئاسة السيد علي الحكيم، وأسماء الذين كانوا يتلقون المساعدات.

خلال عشرين عامًا تلقت اللجنة ما يزيد على مليون ومئتي ألف دولار، أي من سنة 1976 حتى 1996.

استمر المشروع حتى بعد التحرير، لكن أحداث أيلول 2003 ضغطت على أصحاب الشأن، تراجع البعض ولم يبق حاليًا إلا شخص واحد تقريبًا يقوم بجمع بعض الأموال، حيث يتم ارسالها إلى السيد علي الحكيم، حيث تستخدم في مسائل استشفاء وأدوية وتموين وغير ذلك.

المؤسسات التي هي لأبناء بنت جبيل في ديربورن أو ينشطون من خلالها:

ـ حزب سورية الجديد:

أدخله إلى ديربورن عبد الرحمن صالح الشهبندر[1] وهو خطيب الجمعية العلمية العربية بدمشق، وخريج الجامعة الأميركية سنة 1901 في بيروت، وهو مصري قاوم سياسة جمال باشا وقمع السلطة العثمانية، وكان أول من دعا إلى التطوع في جيش الشريف حسين، وأحد من عمل في تنظيم الأعمال السياسية

(1) راجع: موسوعة رجالات من بلاد العرب لصالح زهران، ط1، المركز العربي للأبحاث، بيروت 2001 ص385 ـ 393

راجع أيضًا، يحيى شامي وكامل بزي: "المرجع السابق" ص 67-68

لمقاومة الإحتلال الفرنسي، وأحد من زار العديد من الدول الأوروبية والأميركية من أجل طرح قضية الوطن في شتى المحافل الدولية.

زار ديربورن، ودعا إلى تأسيس حزب عربي بإسم حزب سورية الجديد، وكان الشيخ خليل بزي ومعه إثنان آخران من ممثلي الجالية السورية التي عقدت مؤتمرها الأول للحزب، ثم الثاني سنة 1926 ثم سنة 1927.

هدف الحزب كان العمل على نصرة القضية العربية والسورية، ومساعدة المنكوبين الذين تضرروا من جرّاء حملات القيادة العسكرية الفرنسية على أحرار الثورة السورية، التي كانت انطلاقتها الأولى في حوران، وتحديدًا في جبل الدروز.

ولا بدّ من التنويه بالدور المهم الذي لعبه الشيخ خليل بزي في هذا المجال وفي غيره من المجالات الأخرى، والرسائل المتبادلة بينه وبين المخترع العالم حسن كامل الصباح شاهدة على ذلك.

ـ جمعية النهضة العربية الهاشمية:

من المعروف أن المنطقة العربية، خاصة بلاد سوريا شهدت في وجه العثمانيين، نشوء جمعيات سرية وعلنية، كانت تنادي إما بإنشاء حكم ذاتي ضمن الخلافة الإسلامية، أو "الإستقلال" عن هذه الدولة أو غير ذلك.

وكان هناك جهد في الولايات المتحدة الأميركية لتأسيس جمعيات مماثلة أهمها:

جمعية النهضة العربية الهاشمية، التي إتخذت مقرًا لها في محلة ديكس Dex، بديربورن، وهي أول جمعية عملت على لمّ شمل المهاجرين السوريين (أي السوريين واللبنانيين، فكلهم كانوا يعرفون بإسم السوريين).

كان للشيخ خليل بزي الدور الأبرز في تأسيبس هذه الجمعية ذات الملامح العربية الهاشمية، وبدئ بتأسيسها سنة 1930، وقد تبوأ الشيخ مركز رئاستها عدة مرات، ثم تعاقب على رئاستها أشخاص آخرون منهم: محسن أسعد (بعلبك)، علي سمحات (عيناثا)، محمد فرج ومحمد طرفة (بنت جبيل)، عبدالله برّي، علي منصور، حسين رستم، أحمد عباس فواز، أحمد حمزة فواز (تبنين)، أما آخر رئيس للجمعية التي أصبحت رسمية منذ سنة 1932، وانتهت سنة 1964 فهو علي أسعد فواز من تبنين"[1].

---

(1) منذر جابر: المرجع السابق" ص 780 ويحيى شامي وكامل بزي: "المرجع السابق" ص 89

من مؤسسي هذه الجمعية من بنت جبيل في تلك الفترة كل من: الحاج عبد مصطفى، الحاج حسن حمود، خليل جابر، نجيب بزي، عبدالله بيضون، سعيد العبد بزي، عبد الكريم داغر، محمد شرارة، عبد بيضون (الإجي)، وهناك أعضاء عاملون من بنت جبيل منهم: عبد الحسن سعد، عبد الحسين سعد، محمد فرج وعقيلته[1] فضلاً عن مهاجرين آخرين.

كانت تقام مراسيم الأيام العشرة من المحرم، خلال فترة الشيخ خليل في المنازل، وفي سنة 1942 أصبحت المناسبة تقام في مركز الجمعية الذي تمّ بناؤه في تلك الفترة.

ـ النادي العربي الهاشمي:

الشيخ خليل بزي كان في مقدمة من سعى لتتويج الإنجازات بعمل آخر، فكان تأسيس النادي العربي الهاشمي سنة 1936، وهو نادٍ كانت جمعية النهضة العربية الهاشمية عقدت العزم على المضي قدمًا في تأسيسه، وذلك حفاظًا على شؤون الجالية العربية والإسلامية، ورعاية لأمورهم الدنيوية والأخروية، وإعلاء لكلمة العرب والمسلمين في المحافل العربية، هكذا نرى أن هدف المشروع اجتماعي ثقافي وديني، هذا وحثّ الشيخ خليل أفراد الجالية للتبرع بالأموال لهدف أساسي، وهو العمل على وحدة المهاجرين العرب والمسلمين، وبعد جهد 4 سنوات على تأسيس الجمعية العربية، وتحديدًا سنة 1936، وعلى انقاض بناء قديم، اشترته الجمعية العربية الهاشمية بأموال جمعت، إما على سبيل الهبة، وإما عن طريق القرض الحسن، شارك فيه أفراد الجالية العربية مسلمين ومسيحين، وأبصر النادي النور، متخذًا من محلة ديكس مقرًا له.

هذا وجعل الشيخ خليل بزي من الطابق الثاني من مبنى النادي العربي الهاشمي مسجدًا إسلاميًا تقام فيه الصلوات والإحتفالات الدينية، وأسس المسجد سنة 1937.

ونشرت إحدى الصحف Frée Press في عددها الصادر 31 آيار 1937 مقالاُ شرحت فيه كيف أن جهود عقدين من الزمن أثمرت افتتاح أول مسجد للمسلمين في الولايات المتحدة الأميركية، وحصل بالمناسبة إحتفال حضره العديد من

(1) راجع يحيى شامي وكامل بزي: "نفس المرجع" ص 91-93

الشخصيات البارزة في المجتمع، بالإضافة إلى حضور ما يناهز الألف من المغتربين.

هذا واثنت الصحيفة على جهود كل من الشيخ خليل بزي الشيعي، وزميله السنيّ الآخر الشيخ حسين خروب (الذي كان له الدور الفاعل في تأسيس أول مسجد للسنّة في محلة هايلند بارك القريبة من مجلة ديكس، وكان ذلك في سنة 1925، أي قبل تأسيس المسجد التابع للنادي الهاشمي، ذي الصبغة الشيعية بحوالي اثني عشر عامًا"[1].

المسجد يضم قاعة للصلاة ومركزًا للنشاطات الاجتماعية والثقافية، حيث تدرس اللغة العربية في خمس أمسيات أسبوعيًا، وتنظم برامج لحفظ القرآن وقراءته.

ونشرت الصحيفة أسماء عديد من الأشخاص ساهموا في تشييد هذا الصرح ومنهم:

محمد فرج، محمد علي بزي، حسن سعد، محمد صعب (من بنت جبيل) ومحسن أسد ووسام غازي ومحمود درويش وإبراهيم علوان...

ـ المركز الإسلامي الأميركي:

وصل إلى ديترويت سنة 1949 الشيخ محمد جواد شرّي (من بلدة خربة سلم)، أقام في النادي العربي الهاشمي لفترة ثلاث سنوات، وفي سنة 1952 انتقل هذا العلامة ذو الثقافة المتميزة إلى مدينة ميشيغن سيتي في ولاية أنديانا Indiana، فأقام فيها حتى سنة 1955.

وقبل أن يعود إلى مدينة ديربورن ليعمل على إنشاء مركز جديد، قام بحملة تبرعات مالية ليستطيع إتمام المشروع، وكان للرئيس جمال عبد الناصر شرف الإسهام في التبرع له بالمال، وانتهى الشيخ من بناء المركز سنة 1964، ليصبح المركز الإسلامي الأميركي Islame Center Of America، ومن مؤسسي المركز من بنت جبيل الحاج محمد طرفة.

وقد إنتقل المركز للبناء الجديد في قلب المدينة، وذلك سنة 2005، وبلغت

(1) نفس المرجع ص 98

كلفة البناء ما يزيد على ال 15 مليون دولار، وهو من بين 1209 مساجد منتشرة في أميركا، ويتّسع لمئات المصلين، بالإضافة إلى قاعات واسعة للمناسبات.

نشير أن موقع المسجد هو شارع فورد في مدينة ديربورن، وهناك من بنت جبيل عدد من الأشخاص ينتسبون إلى هذا المركز، الذي يحتل الدكتور نور الدين صعب مركز عضو الهيئة الإدارية فيه، من أعضائه عماد توفيق بيضون وموسى الحاج توفيق بزي وعبد المنعم بزي. تجدر الإشارة إلى أن مراسم إحياء ذكرى عاشوراء تتم في هذا المركز. لقد تسلم مسؤوليته بعد وفاة الشيخ شرّي عدد من المشايخ منهم: الشيخ هايل الأتات، الشيخ محمد علي إلهي، الشيخ محمد علي برو وآخرون...

ـ نادي بنت جبيل الثقافي الاجتماعي:

يقول أحد مؤسسي النادي الأوائل، عارف سعد، أنه "بعد عامي 1970 و1980 كانت هناك نقلة نوعية ومهمة في واقع الجالية الإسلامية في ديربرون بشكل عام، وفي واقع الجالية البنت جبيلية هناك بشكل خاص، حيث أن أغلبية المهاجرين في الولايات المتحدة الأميركية، وتحديدًا في ديربورن، وبشكل أساسي عنصر الشباب، كانوا بعيدين إلى حدّ ما عن التديّن، وأمورهم الخاصة وأوضاعهم في مجالات عملهم تأخذ منهم معظم نشاطاتهم وإهتماماتهم، وكان الجهد منصبًا من قبل مجموعة من المهاجرين القدامى على فئتي الشباب الذين ولدوا في الولايات المتحدة الأميركية، أو أولئك الذين هاجروا من لبنان خلال الفترة بعد سنة 1965 ـ 1967، وهؤلاء كانوا أفرادًا بدون عائلات، لأن أكثرهم كانوا غير متزوجين، لذلك فإن العمل معهم كان من الصعوبة بمكان.

بدأ العمل بجمع مجموعة من هؤلاء، فتح نقاشات مهمة معهم، تثقيفهم، إرشادهم للتقيد بالنظام والقوانين المرعية الإجراء، والتركيز على الناحية الأخلاقية والعلاقات وغير ذلك، ولم تمر فترة حتى أصبح بعض الأشخاص الواعين المتنورين من هؤلاء يحاضرون في الاجتماعات واللقاءات التي كانت تضم فئات الشباب".

تمّ تتويج هذا النشاط بقيام مجموعة من المهتمين بشؤون الجالية البنت جبيلية، بالتفكير بإنشاء نادٍ ثقافي اجتماعي، وبدأت التبرعات من بعض الخيرين لبناء مقر للنادي، وبلغت الدفعة الأولى ما يقارب ال 160 ألف دولار، وكرّت سبحة

التبرعات، على أن تعاد كل المبالغ لأصحابها بعد أن ينشأ النادي، ويصبح مؤسسة إنتاجية استثمارية يغذي نفسه بنفسه.

قوام النادي كان في البداية مئة عضو، ساهم بعضهم بعشرين ألف دولار أو أكثر، والآخرون بمبالغ تتراوح بين ثلاثة وخمسة آلاف دولار، ووصل ما تم جمعه إلى 450 ألف دولار، كانت المنطلق لشراء العقار والبدء بإنجاز المشروع.

ويذكر معظم المغتربين أن الحاج محمد طرفة لعب دورًا أساسيًا ومهمًا في مدّ يد العون للمشروع وجعله يبصر النور، كما أن عارف سعد نشط من أجل تأليف فرقة كشفية، وفريق لكرة القدم، وآخر للقيام بشعائر ذكرى عاشوراء، حيث كان يحضر تلك الذكرى أكثر من 1200 شخصًا يوميًا، وهذا دليل على الإلتزام الديني والإيماني لدى هؤلاء.

في بداية التسعينات كان المخاض الأخير لولادة النادي، الذي تمّ كبناء وتجهيز في شهر نيسان سنة 1994، ليأخذ دوره في الحياة الاجتماعية الاغترابية البنت جبيلية في أميركا.

يقع النادي على شارع 62، Miller Rol 220 في ديربورن ـ ميشيغين. سنة 1998 قدّرت قيمة النادي بحوالي مليوني دولار، ومنذ تلك الفترة كان العمل منصبًّا باتجاه أن يلعب النادي دورًا مهمًا على الصعيد الاجتماعي، بعد أن تتم دفع كل الديون المستحقة عليه خلال سنتين، وهكذا حصل.

والنادي منذ تلك الفترة يعتبر من المؤسسات المهمة جدًا لأبناء بنت جبيل، وهناك هيئة إستشارية للنادي مؤلفة من رؤساء النادي الذين تعاقبوا على تحمل المسؤولية.

وهناك مجلس أمناء للنادي مؤلف من الأشخاص الذين تعاقبوا على رئاسته، إضافة إلى كل من: كامل بزي، أحمد شامي، القاضي دايفيد طرفة الذي تسلم رئاسة مجلس الأمناء بعد وفاة والده الحاج محمد طرفة.

ويتسلم كامل بزي مسؤولية أمين السجلات منذ تأسيسه حتى اليوم، وهو الذي ينظم أرشيف النادي (أمين سر إذا جاز التعبير) منذ سنة 1994.

الأشخاص الذين تسلموا رئاسة النادي: محمد طرفة، نزيه بزي، عارف سعد، ذيب مصطفى، علي حمود، علي عصام بيضون، نعيم بزي، زياد ناصر، وأخيرًا د. شادي فرج الله الصغير.

الهيئة الإدارية للنادي مؤلفة من: رئيس النادي د. شادي الصغير، حنان شرارة (نائبة الرئيس)، والأعضاء: رلى سعد، مايكل سعد، خليل عبد الرازق بيضون (المسؤول المالي)، الهيئة العامة للنادي تجتمع كل ثلاثة أشهر.

يتبع النادي فرقة كشفية كبيرة تضم حوالي سبعماية شاب وصبية، وهي بقيادة الحاج خليل عبد الرزاق بيضون، وتعتبر من أرقى الفرق الكشفية في الولاية، كما أن هناك فريقًا رياضيًا يتبع للنادي.

ـ مركز بنت جبيل للخدمات الاجتماعية:

هو فرع انبثق عن نادي بنت جبيل الثقافي الاجتماعي، وهو قيد الإنشاء، وقد بدأ به مؤسسه الحاج محمد طرفة، الذي توفي قبل اتمامه، حيث يكمّل مسيرته ولده القاضي دايفيد محمد طرفة.

المركز عبارة عن بناء ضخم يضم قاعات للإحتفالات ونادٍ حسيني ومكتبة، وقاعات هي عبارة عن صفوف لتعليم اللغة العربية، ومغسل للأموات. المركز سوف يكون جاهزًا مع بداية العام 2020، وسيحمل إسم مؤسسه تقديرًا وعرفانا بالجميل له، أي: "مركز محمد طرفة للخدمات الاجتماعية" وكل خدماته سوف تكون مجانية.

سوف تبلغ تكاليف المشروع حوالي تسعة ملايين دولار.

ـ رابطة القلم العربية الأميركية:

كانت تصدر مجلة "صفحات" فصلية، رئيسة تحريرها الشاعرة إباء إسماعيل، ومن أعضائها الرئيسيين المحررين فيها من بنت جبيل د. عدنان مكي ود.نزيه مكي، فضلاً عن عفيف شقير، لكن معظم هؤلاء توقفوا عن نشاطهم في الرابطة.

ـ المجمع الثقافي الإسلامي:

يرأسه منذ تأسيسه الشيخ عبد اللطيف برّي، وكان عدد من أبناء بنت جبيل من أعضاء هذا المجمع والناشطين فيه، وعلى الصعد كافة، تتبعه مدرسة لا تزال عاملة حتى الآن. هناك ملاحظة وهي أن أهالي بنت جبيل في ديربورن لم يعد لهم النشاط المعتاد في النادي أو التأثير في سير أعماله...

من أعضاء هيئته الإدارية من أبناء بنت جبيل سابقًا: علي أحمد بزي، فوزي شرارة، نزيه حميّد ويوسف عبد الله.

ـ المنتدى الثقافي في ديربورن:

يهتم بالأمور الثقافية لدى أبناء الجالية، تأسس منذ حوالي سنتين، ولجنته الإدارية مؤلفة من: وسام شرف الدين، د. علي عجمي (السفير السابق)، د. حسن يوسف بزي، الشاعر علي السندي، حنان شرارة، عدنان محمود شرارة (فنان)، كامل بزي، د. هاني بواردي وزياد نصر (فنان)، ورفعت المندوي (هو عراقي من الصابئة).

ـ تجمع أبناء بنت جبيل الخيري في أميركا:

أسسه عدد من أبناء بنت جبيل في ديربورن، لأهداف خيرية واجتماعية تهمّ أبناء الجالية هناك، ومن الأعمال التي كان يقوم بها، تشجيع الطلاب على متابعة تحصيلهم العلمي، ومنحهم شهادات تقدير للطلاب المتفوقين.

مؤسسات إعلامية ينشط من خلالها بنت جبيليون:

ـ **"صدى الوطن"**: تأسست سنة 1984 على يد أسامة سبلاني، تصدر باللغتين العربية والإنكليزية، يكتب على صفحاتها عدد من أبناء بنت جبيل، كان من بينهم عدنان بيضون، د. عدنان مكي، الحاج كامل بزي وغيرهم.

ـ **"مجلة الإيمان"**: وتصدر بإسم نادي بنت جبيل، ورئيس تحريرها هو الدكتور حسين السيد علي الحكيم، وهي مجلة تعنى بالأمور الدينية والاجتماعية.

ـ **"العصر الإسلامي"**: مجلة تعبّر عن الفكر الإسلامي وأنشطة المجمع الإسلامي الثقافي، يشارك في الكتابة فيها بعض الأشخاص من بنت جبيل.

ـ **"مجلة أصول الدين وفروعه"**: تصدر هذه المجلة في مدينة ديربورن، ومن خلال استعراض أسماء الأعضاء والذين يشاركون بالإشراف عليها والإهتمام بها، يتبين أن عددًا من هؤلاء الأعضاء هم من بنت جبيل، فأعضاء المجلة هم: الإمام محمد جواد شرّي وهو مرشد الحركة الإسلامية في أميركا (قبل وفاته في التسعينات). الشيخ حسن الحبحاب مساعد مرشد المركز الإسلامي، ومن بنت جبيل هناك: د. نور الدين صعب وهو رئيس مجلس الأمناء، عبد المنعم بزي نائب رئيس ثاني، عماد بيضون (أمين السر)، موسى الحاج توفيق بزي".

ـ **"مجلة السبيل" The Best Way**: هي مجلة شهرية شاملة، تعني بشؤون ثقافية،

دينية وأدبية، ويساهم بعض أبناء بنت جبيل بتحريرها، من خلال ما نرى في بعض أعدادها...

المؤسسات التي يشارك في نشاطها أهالي بنت جبيل في ديربورن:

يشارك أهالي بنت جبيل المتواجدون في الولايات المتحدة الأميركية، وتحديدًا في مدينة ديربورن ولاية ميشيغين في عدد من الجمعيات الخيرية والإسلامية والثقافية، وتبرز هذه المشاركة من خلال المسؤوليات التي تحمّلها بعضهم في هذه الجمعيات، ومن خلال الدعم المقدم، وكذلك الدعم المعنوي.

فالمركز الإسلامي في الولاية، والذي كان من مؤسسيه نسيب فواز من تبنين، والذي تسلّم مسؤوليته الشيخ محمد علي إلهي، يشارك فيه أبناء البلدة بشكل فاعل، ففي هيئته الإدارية عدد من أبناء بنت جبيل بينهم: موسى الحاج توفيق بزي، عبد المنعم بزي، والدكتور نور الدين صعب.

أما المجمع الثقافي الإسلامي الذي يرأسه الشيخ عبد اللطيف برّي، من تبنين، ففي هيئته الإدارية عدد من أبناء بنت جبيل أيضًا منهم: علي أحمد بزي، فوزي شرارة، نزيه حميّد ويوسف عبد الله...

كذلك المجلس الإسلامي الذي يرأسه الشيخ محمد برّو، والذي يعتمد في تمويله على الإكتفاء الذاتي، وهو غير مرتبط بأية جهة معينة، فإن بعض أهالي بنت جبيل في ديربورن منتسبون إليه، ويساهمون بفعالية في تمويله ونشاطاته....

وهناك مؤسسات أخرى يساهم أبناء بنت جبيل بتمويلها ونشاطاتها، وأهمها:

- الجامعة الإسلامية في ديربورن التي يرأسها حمود عسيف
- مركز كربلاء الذي يرأسه الشيخ هشام الحسيني
- دار الحكمة الإسلامية ويرأسه الشيخ محمد علي إلهي.
- مركز الزهراء(ع) يرأسه السيد باسم الشرع
- مكتب المبرّات الخيرية التابع للمرجع الإسلامي المقدس السيد محمد حسين فضل الله.
- مؤسسة "إمام" التابعة للمرجعية الدينية في النجف الأشرف، برئاسة المرجع السيد علي السيستاني، ويديرها في ديربورن السيد محمد باقر الكشميري، وهي من أكبر المؤسسات الدينية الاجتماعية الثقافية في ولاية ميشيغين، ولها فروع خارج هذه الولاية.

إن آخر ما تم إفتتاحه في ديربورن هو "بيت الأحزان"، الذي قام بإنشائه أبناء المرحوم جميل المير بزي: كايد بزي وإخوته عن روح والدهم، وهو مؤسسة مجانية تستخدم من قبل أهالي بنت جبيل هناك.

ما أنجزه مغتربو أميركا في بنت جبيل:

فضلاً عن الأموال التي يرسلها المغتربون من بنت جبيل في ديترويت لأهلهم وذويهم في الوطن، وفي البلدة تحديدًا، فإنهم قاموا بما يلي:

ـ جامع بيت جمعة:

أعيد بناؤه قديمًا بأموال مغتربين في أميركا، وقد أرسلوا في تلك الفترة أربعين ليرة إنكليزية للغاية، وجُمعت أموال أخرى لنفس الموضوع، وفي سنة 1332هـ أي منذ حوالي 106 سنوات تمّ تجديد الجامع بمساهمة خيّرة ومهمة من المغترب في ديربورن الشيخ خليل بزي، ومساعدة من المغتربين الحاج عبد مصطفى والحاج حسن صالح.

ـ مشروع الخمسة دولارات:

وهو تجربة ناجحة ورائدة، قام بها أبناء بنت جبيل المغتربون في ديربورن، وتم البدء بهذا المشروع في شهر كانون الثاني سنة 1983 (أي منذ 36 عامًا)، بنواة صغيرة من ثلاثة أشخاص، ثم تطور الأمر ليشمل أكثر من أربعمئة أسرة من البلدة هناك. ملخص الفكرة هو أن يدفع كل سخص خمسة دولارات أميركية شهريًا، تجمع من قبل لجنة مؤلفة من عدة أشخاص، لكل منهم دوره في الإتصال والجمع وتنظيم الجداول وأرشفتها، ويستفيد من هذه الأموال الأيتام أولاً والفقراء والمعوزون.

يضاف إلى أموال مشروع "الخمسة دولارات" ما يقدمه أهالي البلدة في ديترويت من نذورات وهبات عن أرواح الموتى، وتقديمات أثناء حفلات الأعراس، فضلاً عن الكفاءات والصدقات. بلغ مجموع ما أرسله أبناء بنت جبيل حتى أواخر سنة 1997، 686477 دولارًا، وحتى حوادث أيلول في أميركا، بلغ مجموع ما أرسل إلى بنت جبيل حوالي مليون و200 ألف دولار.

ـ القصر البلدي في بنت جبيل:

مشروع بدئ بتنفيذه بجهود لجنة من المغتربين في ديترويت، وعلى نفقتهم الخاصة، وتبلغ تكاليفه المحتملة مليون ونصف مليون دولار.

جمع جزء من الأموال وحوّلت إلى بلدية بنت جبيل عن طريق رئيسها يومذاك المرحوم فياض شرارة، ووضعت قواعد الخرسانة الأولى، لكن حرب تموز ـ آب 2006 قضت على كل شيء، وتوقف المشروع، لكن البلدية لم تستكن وأخذت على عاتقها إكماله، وكان الطابق الأول أو الأرضي وهو عبارة عن محلات تم تأجيرها من قبل البلدية.

مشروع البئر الإرتوازي:

تحسسًا من مغتربي بنت جبيل، في ديترويت لحاجة أهالي بنت جبيل الماسة للمياه، (لا يوجد ينابيع ولا جداول، ومياه الشركة كانت معطلة...)، تمّ تشكيل لجنة في أميركا، وقامت بجمع التبرعات لحفر بئرً ارتوازي في الوادي، وبلغت قيمة التبرعات 31500 دولارًا أميركيًا، أرسلت لسماحة السيد علي الحيكم، حيث تمّ تشكيل لجنة في البلدة للإشراف على تنفيذ المشروع.

وذكرت صحيفة صدى الوطن الصادرة في ديربورن أنباء الإحتفال الذي أقامه أهالي بنت جبيل في قاعة أوبرا كلوب، الواقعة على شارع شايفر، لجمع التبرعات لحفر بئر ارتوازي في البلدة أولاً، وثانيًا لإعلان ولادة تجمع أبناء بنت جبيل في أميركا، وحضر الحفل ما بين 1400 و1500 شخصًا، وتم الإتفاق على توثيق الصلات والروابط بين جناحي بنت جبيل، المقيم والمغترب، وعلى رفع مستوى أبناء بنت جبيل في الوطن والمهجر، وذلك على الصعد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية كافة، وأخيرًا إقامة مشاريع خيرية في بنت جبيل، ومساعدة أبنائها الذين يعانون من أزمات اقتصادية.

المشروع لم يتم لأسباب عديدة، أهمها عدم وجود كميات مياه في معظم نواحي بنت جبيل، تسمح بحفر آبار ارتوازية، جلّ ما هو موجود، حسب أكثر من مهندس هو كميات من المياه متجمعة في أكثر من مكان، وهي ليست مياه جارية بكميات وفيرة.

ـ المساهمة في تغطية تكاليف بعض تجهيزات مركز المطالعة في بنت جبيل:

قام عدد من مغتربي بنت جبيل في ديربورن، ومن منطلق إهتمامهم بمركز المطالعة والتنشيط الثقافي في بنت جبيل وغيرتهم الصادقة عليه، واعجابهم بنشاطاته، بتغطية تكاليف بعض التجهيزات فيه وأهمها:

ـ تجهيز قاعة المربي المرحوم محمد خليل عجمي من قبل ابن أخيه المغترب خليل عجمي.

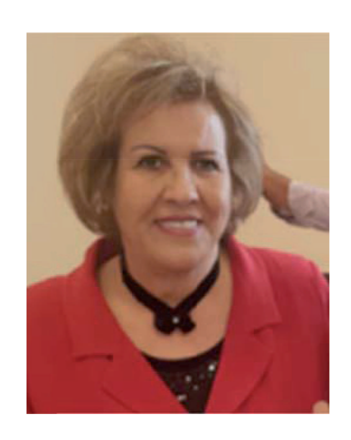
ـ تأمين 24 كرسي جديد لقاعة المطالعة من قبل المغترب عارف سعد.

ـ تجهيز مكتبة بديكور خشب لقسم الأطفال من قبل المغتربين: د. عدنان مكي، الحاج إسماعيل بيضون ود. نزيه مكي.

الهجرة اللبنانية إلى إفريقيا الغربية

(أنموذج وصول اللبنانيين إلى ساحل العاج):

أ. د. دنيا فياض طعان



- انصرفت دنيا فياض طعان (أنصار) إلى التخصص الاكاديمي في الأدب العربي وعلم الاجتماع، والاثنيات، والابحاث المتخصصة، والتعليم الجامعي، والعمل التطوعي، دون ان تهمل هوايتها في نظم الشعر...
- من مؤلفاتها باللغة الفرنسية: كتاب اللبنانيون في ساحل العاج بين الامس واليوم - دراسة مقارنة لمكانة المرأة العربية قبل الاسلام وبعده - شعر الخنساء وليلى الأخيليّة.
- وباللغة العربية: مجموعتين شعريتين (مجامر العيون ومياسم النوى) - دراسة: اللبنانيون في ساحل العاج 1900 - 1986.
- باحثة في المركز اللبناني لدراسات الهجرة والانتشار في جامعة سيدة اللويزة (Ndu).
- عضو في المجلس الاستشاري لمعهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف (Usj).
- رئيسة اللجنة القانونية في المجلس النسائي اللبناني.
- أنشأت جائزة سعيد فياض للابداع الشعري.
- صاحبة منحة أفضل دراسة جامعية.

إضاءة على تاريخ الجالية اللبنانيّة في ساحل العاج[1]

1 ـ الوجه الاقتصاديّ

أ ـ التجارة:

تعاطى اللبنانيّ تجارة المقايضة، يدفعهُ استعداد فطريّ وظروف مؤاتية، وهي تجارة تسير في اتّجاهَين متعاكسين، مفادها أن يُبادل التاجر المنتوجات المصنّعة التي يشتريها من شركات أوروبيّة كبيرة بالمحاصيل المحلّيّة المعَدَّة للتصدير (كولا، فستق، بنّ، كاكاو، خشب، زيت البلح، عُصارات نباتيّة...) ليُعيد بيع هذه المحاصيل إلى كبرى المؤسّسات الأوروبيّة المهيمنة على 95٪ من هذه التجارة. اللبنانيّ تاجر محترف، يَقنع بالربح القليل، وهذا ما وضعه في صلب العلاقات التجاريّة، وجعله صلة الوصل بين الأوروبيّين والأفارقة. فالإفريقي يرتاح للتعامل مع اللبنانيّ، إذ يدخل دكّانه المتواضع المليء بالبضائع الإستهلاكيّة "حيث يناقش الأسعار ويشتري السلع بالتقسيط، كما يحصل على تسهيلات تتمثّل بالسلفة على موسم المحصول"[2].

قبل أن يتبوّأ اللبنانيّون المكانة المُشار إليها، عمل قسم كبير منهم لمدّة طويلة، لدى شركات الإستيراد والتصدير الكبرى، للقيام بعمليّات المقايضة وتحقيق مزيد من الأرباح، فاكتسبوا مع الوقت ثقة أرباب العمل، الذين فضّلوهم على السكّان المحليّين، وعلى الأوروبيّ المتطلبّ، الذي لا يقنع بالأجر الذي يتقاضاه اللبنانيّ ولا يتفانى في العمل مثله.

"ترتكز تجارة المقايضة على مبدأ دفع ثمن المحاصيل نقدًا للمنتج، كما تستلزم

(1) د. دنيا فيّاض طعّان، اللبنانيون في ساحل العاج، 1900 ـ 1986، ص 87.
(2) رينيه شاربونّو، المرجع السالف، ص 59.

إعطاء سلفات ماليّة، لا تقدّمها الشركات للزنوج، لعدم ثقتها بهم، إذ أنّه من الممكن أن يتواروا في أيّ لحظة عن الأنظار، لتضيع آثارهم في خضمِّ الناس. بالمقابل، فاللبنانيّ مزوّد ببطاقة هويّة ومحلّ إقامته معروف، ممّا يوفّر ضمانات قانونيّة تبعث على الإطمئنان، فتزدوج فائدة العنصر الأبيض المذكور، ويصبح موضع ثقة توفّر له التسليف الماليّ، والإمداد بالبضائع المستوردة التي توفّر له الرّبح المضمون. أضف إلى ذلك أنّ اللبنانيّ اجتماعيّ يتقرّب من السكّان المحليّين، فيجهد لتعلّم لهجاتهم، ويبحث عن الزبائن في أقصى البلاد، ويكتسب المؤهّلات لتجارة المقايضة، من دون أن يخشى مزاحمة الأوروبيّين الذين هم أقلّ صلابة منه وأكثر تطلّبًا".

بالإضافة إلى الوسطاء، كان بين اللبنانيّين تجّار جملة، يسكنون الأدغال (غير بعيد عن محاصيل التصدير)[1]، بخاصّة في موسم القطاف، كما كان تجّار نصف الجملة والمفرّق يعيشون في العاصمة والمدن الكبرى. ومع الزمن أصبح بعضهم، بفضل الرساميل التي جمعوها، يتعاطون الاستيراد والتصدير، ويتحكّمون مباشرة بالمحاصيل المصنّعة في أوروبا وأميركا واليابان، كما صاروا يزوّدون تجّار الجملة والمفرق بالبضائع المستوردة، فأنشأوا مكاتب دائمة في باريس ومرسيليا ومانشستر إلخ...

تجدر الإشارة إلى أنّ نجيب عكر[2]، إبن دير القمر، هو مؤسّس أوّل شركة تجاريّة في إفريقيا الغربيّة، تحديدًا في سان لويس في السنغال عام 1897.

وإذا ما عرفنا أنّ الشركات الأوروبيّة كانت تمسك بنسبة 95٪ من صادرات ساحل العاج ووارداته، أدركنا بسهولة أنّ نشاط اللبنانييّن الاقتصاديّ كان ثانويًا.

في هذه الأثناء، يجب أن لا يغيب عن بالنا أنّ البضائع كانت تمرّ في يد اللبنانيّين، ساعة دخولها إلى العنابر وخروجها منها، لتباع فيما بعد إلى السكّان الأصليّين الذين يعيش قسم كبير منهم في الأدغال.

فاللبنانيّ كان يقوم بدور المحرّك لنشاطات الشركات وتنميتها.

(1) إنّ تصدير هذه المحاصيل كان يتمّ بواسطة الشركات الغربيّة الكبرى التي تضع يدها على كلّ سلع التجارة، باستثناء محصول الكولا.

(2) إيلي صفا، المرجع السابق، ص 127.

إنّ امتياز تجارة الكولا فقط كان حكرًا على اللبنانيين[1]، الذين كانوا يشترون كلّ الإنتاج من السكّان الأصليّين في ساحل العاج وسيراليون، ويرسلونه إلى عملائهم في السنغال، نيجيريا وغينيا، ليطرحه هؤلاء في الأسواق المحليّة أو يرسلونه إلى الخارج، محقّقين الأرباح الطائلة من دون تدخّل من الشركات الأجنبيّة.

يضاف إلى المحاصيل الآنفة الذكر، البضائع المستوردة من لبنان كالزيت والحبوب والسكاكر.

إنّ 90٪ من المغتربين تعاطوا التجارة ونجحوا فيها؛ فهم بالإضافة إلى ما حبتهم إيّاه الطبيعة من جرأة وتصميم، يتميّزون بمرونة عالية في تعاطيهم التجارة الميدانيّة وببساطة كبيرة في نمط عيشهم، ممّا يقرّبهم من السكّان المحلّيين، إلى جانب قدرتهم على التكيّف بسرعة مع المتغيّرات الاجتماعيّة وتقلّبات المناخ. لقد قنعوا في البدء بالتجارة الخفيفة وبتقليص هامش الأرباح، وفقًا لقاعدة الربح القليل من أجل مبيع أكبر. ثمّ منحوا المزارعين قروضًا بلا فائدة، يستوفونها في موسم القطاف:

"ساعدت القروض كثيرًا على تنمية تجارة اللبنانيّين، ولاسيّما القروض التي يمنحونها للمزارعين؛ ذلك أنّ مشتريات الزنوج للمحاصيل المصنّعة، كانت تجري عادة طوال الموسم، في حين أنّ وفرة الغلال توفّر لهم المبالغ الطائلة. فالمغترب الذي يقدّم لهم التسهيلات، نقدًا وبضائع مصنّعة، خارج الموسم، ليستردّها في الموسم التالي، إمّا محاصيل زراعيّة أو نقدًا، كان عرضة لاحتمال الخسارة فيما لو أتى الموسم ضحلاً، ممّا يضطر المغترب لتوسيع نشاطه الاقتصاديّ على مدار السنة والعمل على زيادة عدد زبائنه ومضاعفة مبيعاته، وبالتالي تأمين المحصول المقبل بأسعار أدنى، الأمر الذي يضمن له في نهاية المطاف الأرباح الطائلة[2]. يتحلّى اللبنانيّ بالصبر والتفهّم، فيتكيّف مع الوضع الاجتماعيّ المستجدّ، ويتعامل بسهولة مع زبائنه. لذلك يصبح اللبنانيّ المموّل الوحيد للفلاّحين، يلجأون إليه للحصول على قروض ماليّة لعدّة أشهر، خارج

(1) كان ذلك قبل انتقال تجارة هذا المحصول كليًّا إلى الأفارقة.

(2) إيلي صفا، المرجع السابق، ص 130.

الموسم، فيصير عنصرًا حيويًّا في حياة الأفارقة، يؤمّن حاجاتهم الاستهلاكيّة، التي لا غنى لهم عنها إطلاقًا"[1].

ب ـ الزراعة:

يتحدّر المغتربون اللبنانيّون في غالبيّتهم من عائلات تمتهن الزراعة. وقد هجروا الأرض لقلّة عطائها، فلم يعيروا خصوبة الأرض الإفريقية أيّ اهتمام، وانصرفوا بأغلبيّتهم إلى التجارة التي وفّرت لهم الربح السريع بعكس القلّة المنصرفة إلى الزراعة. كذلك اتّجه بعضهم إلى تربية الحيوانات الداجنة، فأدخل اللبنانيّ "عُتيّق" تربية الخنازير إلى ساحل العاج. ولم يتعاطوا إلا مؤخّرًا تصنيع الأخشاب المندرج في الحقيقة ضمن النشاطات التجاريّة. كما انصرف قسم منهم إلى زراعة البنّ والكاكاو في مناطق ثلاث: غنوا، أوميه ومان.

ج ـ العقارات:

التأقلم لا يتمّ في بلاد الاغتراب بين ليلة وضحاها. لذا سعى اللبنانيّ إلى الاندماج في عمليّة التكامل الاقتصاديّ، في البلد الذي اختاره ليعيش فيه. وفي غياب إمكانيّة الاستثمار الصناعيّ، وظّف اللبنانيّ أمواله في قطاع البناء للمردود المجزي الذي يؤمنّه، كما فعل روّاد الاغتراب الأوائل في إفريقيا الغربيّة، وبخاصّةٍ في غينيا والسنغال.

وإذا كان الاستثمار العقاريّ قد اجتذبهم، على غرار "برجي وحدرج" وغيرهم من روّاد هذا القطاع فلأنّ الإيجارات كانت مرتفعةً جدًا.

لقد شُيّدت بفضل جهودهم جادَّات بأكملها، كجادَّة ولِيّم بونتي وغامبيتا في دكار...

وإلى جانب ملكيّة الأبنية في المدن والقرى الإفريقية الكبرى، فهم يمتلكون غالبيّة الأبنية والمؤسسات في المناطق الداخلية"[2].

نورد في هذا السياح الجدول الذي وضعه ج.ج. ديبورد عام 1938:

- تملّك اللبنانيّون 30٪ من مباني دكار وحدها، منها 80٪ للتجارة المتوسّطة والصغيرة، 20٪ للمؤسّسات و5٪ لتجارة الجملة.

---

(1) جوزيف أشقر، "اللبنانيّون في إفريقيا والعالم"، ص 63.

(2) إيلي صفا، المرجع السالف، ص 122.

- أكثر من 25٪ من بيوت السكن وأكثر من 90٪ من المحالّ التجاريّة في كوناكري، بالإضافة إلى ما يزيد على 70٪ من المنازل و90٪ من المحالّ التجاريّة في مناطق غينيا الداخليّة، علمًا بأنّ الممتلكات الحكوميّة لا تدخل في هذه التقديرات.
- أكثر من 25٪ من المنازل السكنيّة و75٪ من المحالّ التجاريّة في سيراليون.
- أكثر من 30٪ من بيوت السكن و70٪ من الأماكن المعدّة للتجارة في لاغوس، إلى جانب ما يربو على 15٪ من الأبنية المشيّدة في مناطق نيجيريا الداخليّة.
- ما يزيد عن 5٪ من ملكيّة المساكن و60٪ من ملكيّة المؤسّسات التجاريّة في أبيدجان وغران بسّام، إلى جانب ما يزيد على 50٪ من المساكن و90٪ من المحالّ التجاريّة، في مناطق ساحل العاج الداخليّة.
- غالبيّة أبنية باماكو العاصمة بشكل خاصّ، والسودان الغربيّ بشكل عامّ.
- ما يزيد على الـ 70٪ من الأبنية المشيّدة في مناطق غينيا البرتغاليّة الداخليّة، وتشمل ملكيّتهم، بالإضافة إلى ذلك، عددًا كبيرًا من الأبنية الفخمة في ساحل الذهب (غانا) وأكرا وكوماسي[1].

2 ـ الوجه الاجتماعيّ:

أ ـ المناخ:

انعكس اختلافُ المناخ سلبًا على اللبنانيّ، كما على الفرنسيّ، فأصبح عُرضةً لضربة الشمس والملاريا ووباء الحُمَّى الصفراء القاتل في أغلب الحالات. فقضى جرّاء ذلك العديد من مغتربينا الشباب[2]، قبل أن يتوصّل الطُّبّ إلى التغلّب على هذه الأمراض الاستوائيّة وتقليص آثارها. مع بداية القرن، ترك سوء المناخ بصماته في ذاكرة المستعمر الفرنسيّ عبر صورة مأساويّة مرعبة، لا تزال مطبوعةً في ذهن المسنّين اللبنانيّين.

"في بداية القرن العشرين وحوالي سنة 1925، كانت هذه المستعمرة تبدو بلدًا

(1) إيلي صفا، المرجع السالف، ص 123.

(2) في زياراتنا الدوريّة للبنان، كان من النادر أن نلتقي في قرانا، عجوزًا لا ترثي أخًا أو ولدًا أو قريبًا قضى في بلاد الاغتراب، وقد هاجر شابًا يضجّ بالعافية، ليقضي هنالك باكرًا، متأثّرًا بضربة شمس لا ترحم.

يرفض استضافة الغرباء القادمين لاقتحامه. هذه الصورة القاتمة التي نقلها البحّارة الإنجليز في القرن التاسع عشر، ترسّخت بفعل ظاهرة الأوبئة التي انتشرت في غران بسّام عام 1899. هذه الغابة الكثيفة، المرعبة، القاتلة... ذات القبضات الصلبة المتشابكة تلتف كالأفاعي حول الجذوع الضخمة، تقهر الإنسان وتمنعه من التقدّم... مسرح (الصراع حتّى الموت) بين مختلف الفصائل النباتيّة فيها... يريد البعض خنق العمالقة، فتصمد الغابة وتنفث السمّ، وتستوجب ممّن يعيش في أعماقها بذل طاقة هائلة في جحيمٍ من الرطوبة ونقصٍ في الغذاء...".

هذه الصورة القاتمة للغابة العاجيّة، التي نقلها أندريه دي ميزون في "مذكرات مزارع"، هي الصورة عينها التي عاشها الناس وتردّدت أصداؤها في الربع الأول من القرن العشرين... فنشأت أسطورة جنائزيّة في ذهن سكّان فرنسا، جعلت من ساحل العاج بأكمله موطنًا للموت، حيث لو تجاسر الإنسان على البقاء، فإنّه يسعى وفقًا للتصوّر العامّ، إلى حتفه...

جنوبيّ ساحل العاج، يشعر الأوروبيّ أنّه مهدّد في حياته كلّ يوم، بسبب "ضغط" الحرارة ورطوبة الهواء: حرارة "مضنية وقاتلة"، شمس "محرقة" حتّى حين نحتجب منها، ورطوبة مفرطة.

كلّ هذا أسهَمَ في إضعاف الإنسان الأبيض وتخاذل قواه، البدنيّة منها والنفسيّة على حدّ سواء... عند حلول موسم الأمطار من كلّ عام وفي نهايته كان يهيمن مناخ من القلق يفوق الخوف من الملاريا، إنّه التخوّف الدوريّ من عودة الوباء (فوميتو نغرو) أو الحمّى الصفراء، التي يرعب خطرها أبناء الجالية، ويبعث خبر تفشّيها كلّ المخاوف... وسرعان ما يوقظ الذكريات الهاجعة في أذهان المسنّين ورؤوسهم التي يكلّلها الشيب. هذا ما نشر في ساحل العاج وحتّى العام 1936، هلعًا نفسيًّا يتجدّد كلّ عام.

إنّ برنار دادييه في كتابه كلمبييه يعطينا شاهدًا حيًّا على ذلك بقوله: "... تقيّأ مفوّض الشرطة!... لقد أصيب بالفوميتو نغرو، الحمّى الصفراء، الشرسة التي لا تعرف الرحمة. إنّها مصدر الرعب الأكبر للجالية الأوروبيّة بكاملها"[1].

(1) آلان تيرفور، "الزمن الجميل"، ص 18-23.

ب ـ المسكن:

يترك اللبنانيّ مسقط رأسه، ككلّ مهاجر في العالم، تحدوه الرغبة في الإقامة المؤقّتة[1] في بلد اختاره مغتربًا، لتحسين وضعه الماديّ وجمع ثروة تتيح له ارتقاءً مرجوّا، في السُلّم الاجتماعيّ لدى عودته إلى الوطن الأمّ. ومن أجل تحقيق هذه الغاية كان المغترب المعدم يكدّ ويشقى، فيعيش في ظروف غير مستقرّة، ويستأجر منزلاً من غرفة واحدة، ونادرًا من غرفتين، فوق دكّانه أو بالقرب منه[2]، وكثيرًا ما كان يأكل وينام في حانوته، حيث يستخدم "الكونتوار"، تارّةً طاولة للأكل وطورًا سريرًا للنوم.

"إنَّ الاعتياد على تحمّل المصاعب بمرونة، تميّز المغترب اللبنانيّ، المهيّأ لمواجهة أصعب الظروف[3]".

ففي الأدغال كان يقطن كوخًا سقفه من الخشب أو الألواح المعدنيّة، أمّا الذين يسكنون الدارات الفخمة والشقق الكبيرة فهم قلّة، علمًا بأنّ الأغنياء كانوا يعيشون حياة متواضعة، إلى درجة التقتير، فيحرمون أنفسهم من وسائل الرفاه طوال إقامتهم في المغترب، كي يتمكّنوا لاحقًا من التنعّم بعيش رغيد لدى عودتهم إلى مسقط رأسهم.

ج ـ الزواج:

لم تكن تشكّل نسبة النساء بين المغتربين الأوائل أكثر من 30٪، بحيث تتدنّى هذه النسبة أحيانًا إلى 5٪، لأنّ المغترب كان يترك زوجته وأولاده في قريته، في عهدة ذويه حيث تكاليف المعيشة أقلّ. وحالما يتمكّن من إرسال تذكرة السفر لزوجته (ناولون)[4]، كان يستدعيها للإلتحاق به ومساعدته في عمله، خاصّة في المناطق الداخليّة، أمَّا العازب الذي يجني بعض المال، فيعود إلى لبنان ليتزوّج

(1) يفكّر المغترب ويخطّط لمستقبله، وهذا ما يحثّه على الرحيل، وذلك خلافًا لرأي إيلي صفا القائل "بأنّ المحيط الجديد الذي يعيش فيه المغترب يقلب تفكيره مع الزمن رأسًا على عقب. ولدى عودته إلى مسقط رأسه، يرى نفسه في الغالب في موقع المتفوّق على أبناء بلده الذين لا زموه، ويجد صعوبة في التكيّف من جديد مع مجتمعه القديم الذي ارتحل عنه منذ أمدٍ بعيد.

(2) لا يزال بعض المغتربين يعيش اليوم وضعًا مشابهًا.

(3) جوزيف أشقر، المرجع السالف، ص 61.

(4) تذكرة السفر في السفينة أو الطائرة.

فتاة من قريته[1] ويسافر بصحبتها. في غضون ذلك، كان يلتمس منه الإخوة وأبناء العمّ والجيران والأصدقاء تسهيل سفرهم، لأنّهم يتطلّعون للهجرة بأيّ ثمن، سعيًا وراء مستقبل زاهر وثروة طالما حلموا بها.

د ـ المدارس:

يلتحق الأطفال عند بلوغهم سنّ الدراسة، بأقرب مدرسة من مساكنهم. أمّا العائلات الميسورة، فكان أطفالها يلتحقون بالمدارس الخاصّة، وأحيانًا بالمدارس الداخليّة في لبنان. فإذا ما التحقوا بالمدارس الرسمية في المغتربَات كانوا ينشأون ويشبّون، جاهلين لغتهم الأمّ جهلاً تامًّا.

هـ ـ المؤسسات (الجمعيّات):

تفكّكت الجمعيّة اللبنانيّة ـ السوريّة عام 1928 في غران بسّام بعد مضيّ شهرين على تأسيسها، لعدم الاتّفاق على شخص الرئيس. وعند إعادة تأسيسها عامي 1930 و1937 لم تستطع أن تصمد هذه الجمعيّة في كلّ مرّة أكثر من سنة واحدة، لأنّ الخلافات على اختيار الرئيس ونائبه، كانت لا تزال قائمة.

لم تتحسّن الأمور إلاّ عام 1967، حين أنشأت الجامعة اللبنانيّة الثقافيّة في العالم، فرعًا لها في أبيدجان، أمّا في ميدان الرياضة، ففي عام 1936، بدأت طلائع فريق رياضيّ، وتبرز في ساحل العاج.

و ـ الحملات المناهضة للّبنانيّين:

كسب اللبنانيّ عطف السكّان الأصليّين وثقتهم، فانخرط في مختلف الأعمال التجاريّة ونجح فيها، ممّا أثار استياء التاجر الفرنسيّ الذي رأى في اللبنانيّ غريبًا ينافسه في مجاله وعلى أرض يعتبرها أرضه؛ سرعان ما نتج عن التوتّر بين الفريقين ظهور حملات مناهضة للبنانيّين، في الصحافة[2] وغُرف التجارة، في كلّ أنحاء إفريقيا الغربيّة الفرنسيّة.

غير أنّ هذه الحملات لم تحقّق أهدافها على الرغم من حدّتها والمشكلات الناجمة عنها، وبالتالي لم تثر سخط الحكّام وكبرى الشركات التجاريّة، ضدّ

---

(1) أحيانًا كان بعضهم يكلّفون ذويهم اختيار شريكة حياتهم وتأمين التحاقها بهم.

(2) أشهرها حملة التجريح التي قادها موريس فوازن، رئيس تحرير الصحيفة السنغاليّة "أصداء إفريقيا" عام 1947.

هؤلاء اللبنانيّين الناشطين "الذين لا عيب فيهم سوى أنّهم نجحوا حيث أخفق الآخرون، وربحوا معركة البناء والتنمية، كما ربحوا معركة تداول الثروات وارتياد المناطق الداخليّة وأقاصي الأدغال"[1].

يكفي أن نطَّلع على بعض محاضر غرفة التجارة[2] في أبيدجان وعلى بعض المقالات لنقدّر المعاناة التي قاساها روّاد الاغتراب اللبنانيّ؛ فالتجريح الحاقد المُغْرض كان يتجاوز ميدان العمل ليطال نمط عيشهم وأوضاعهم الاجتماعيّة، ممّا يكشف مدى التحامل عليهم، لأنّهم تميّزوا بتفوّقهم التجاريّ، وبروح الجدّ والتسامح، وقابليّتهم لاستيعاب التيّارات الخارجيّة والتفاعل معها:

"لا أحد يجهل أنّ الجاليات السوريّة تشغل قسمًا من منازل أبيدجان، مدينتنا الجميلة... ونحن إذ نكنّ لضيوفنا الإحترام الكلّيّ، نسارع إلى القول أنّهم لا يراعون قواعد الصحّة إجمالاً، خاصّة النظافة، كما نراعيها نحن".

"يجب أن تبقى إفريقيا حديقة لأوروبا... لا تستثمرها وتستنفدها جحافل الآسيويّين الطفيليّين الذين كان الفينيقيّون بالمقارنة معهم أسيادًا كبارًا في هذا المجال.

"إنّهم لا يراعون أنظمة الإدارة. ونتساءل عمّا إذا كانوا فعلاً، كما تتهمّهم محاضر غرفة التجارة، لا يدفعون رسوم التصدير... ولا يتقيّدون بالأنظمة التجاريّة المرعيّة الإجراء، إمّا لكونهم غير مسجّلين قانونيًّا وإمّا لأنّهم لا يراعون أصول المحاسبة.

أن يكون لهم مكان بيننا لا يعني على الإطلاق أن يأخذوا مكاننا. ولكي ننافسهم، علينا أن نخفض مستوى معيشتنا، وأن نتحوّل من شعب مستعمِر إلى شعب كادح، فيزول عندها مبرّر وجود المستعمرات"[3].

نورد نصّ المذكّرة التي رفعتها غرفة التجارة في أبيدجان إلى السيّد موتيه وزير المستعمرات بتاريخ 1937/4/6 وأقرّتها بالإجماع في جلستها المنعقدة بتاريخ 25/ 1936/10:

(1) جوزف أشقر، المرجع السابق، ص 95.

(2) نشرة غرفة تجارة أبيدجان، "محاضر 6 نيسان 1912 إلى 24 آذار 1924، ملف رقم 2894 ـ 1932" الأرشيف الوطني في ساحل العاج.

(3) عن صحيفة "مستقبل ساحل العاج"، آب 1936. (الأرشيف الوطنيّ في ساحل العاج).

1 ـ يجب أن يطبّق وبحزم المرسوم الصادر بتاريخ 9 كانون الثاني 1932، المتضمّن شروط قبول الغرباء في إفريقيا الغربيّة الفرنسيّة.

2 ـ يجب أن تُدفع فعلاً قيمة الكفالة، وهي بدل تذكرة العودة إلى الوطن الأمّ، وتُرفض كلّ صيغ الكفالة العاديّة.

3 ـ يجب أن لا تبقى قرارات الطرد من دون مفاعيل، ولا يُمنح أيّ كان فرصة وقف التنفيذ.

4 ـ على كلّ مؤسّسة أن تمسك دفاتر المحاسبة التي نصّ عليها القانون.

5 ـ لا يسمح بالتجارة إلاّ في أوقات الدوام. وتمنع ليلاً وفي أيّام الأعياد.

6 ـ يجب أن تفرض على الوافدين جميع القوانين الاجتماعيّة التي ستوضع موضع التنفيذ.

7 ـ لا يُسمح بتسجيل أيّ أجنبي في غرفة التجارة ما لم يخضع مسبقًا لتحقيق دقيق، يتناول سلوكه ومداخيله الماديّة. كما عليه أن يبرز سجلّه العدليّ خاليًا من أيّ حكم.

8 ـ لا يحقّ لأيّ أجنبيّ أن يمارس التجارة إلا بإسمه الخاص، مع إلزامه بذكر جنسيّته على أوراقه التجاريّة الثبوتيّة.

9 ـ لا يحقّ للغرباء الذين دخلوا إلى إفريقيا الغربيّة الفرنسيّة بصفة عمّال، أن ينشئوا مؤسّسات تجاريّة إلاّ بعد مدّة أدناها خمس سنوات، تبدأ من تاريخ إنتهاء عقد العمل الذي دخلوا البلاد بموجبه.

10 ـ في حال توقّف أيّ تاجر غريب عن تأدية ديونه، تعلن المحكمة إفلاسه، بناءً على طلب الدائنين. إنّ المفلسين والمحكومين بأيّ جرم، يجب أن يُطردوا من البلاد بصورة آليّة وجازمة.

11 ـ تطبّق على الغرباء المشرقيّين القواعد الصحيّة للبلدان الاستوائيّة، والتي تطبّق على الفرنسيّين أيضًا، مثل نظافة المكان والسكن الصحّيّ.

12 ـ أخيرًا، ومن أجل توفير العمل للشبّان الفرنسيّين، يجب أن يفوق عددهم بكثير عدد اللبنانيّين ـ السوريّين[1] العاملين في المجال الاقتصاديّ في إفريقيا الغربيّة الفرنسية"[2].

---

(1) وهذا غنيّ عن البيان لأنّ جميع التظلّمات ترمي إلى تحقيق هذا الهدف.

(2) آلان تيرفور، "الزمن الجميل"، ص 205 ـ 206.

من الصعوبة بمكان أن نغفل ذكر الحملة المغرضة التي شُنَّت ضدّ اللبنانيّين ـ السوريّين. في ما يلي نورد نموذجًا منها وهو ليس أقلّها حدّة... "بتاريخ 7/9/1936، طرحت صحيفة "نور إفريقيا الغربية" غران بسّام، صيغة استقصاء في صفحتها الأخيرة على الجالية الأوروبيّة:

رأيكم؟

نطلب من قرّائنا أن يعطوا رأيهم هنا باللبنانيّين ـ السوريّين، خاصّة فيما يتعلّق بوجودهم في المستعمرات الفرنسيّة.

هل أنت مع الطرد؟ مع الأمر الواقع؟ مع سنّ أنظمة جديدة؟ ما هي؟ الإسم؟ العنوان؟ ترسل الإجابة إلى السيّد مدير صحيفة النور. ص.ب. رقم 10، غران بسّام ساحل العاج"[1]. ليس هدفنا أن نثير الحقد ضدّ الأجانب، ولا أن نحرّض ضدّ السوريّين المطلوب فقط تحديد عددهم بنسبة معقولة حيال السكّان الوطنيّين...

إنّ اليوم الذي سيحجب فيه ضيوفنا من آسيا الصغرى الفرنسيّ والملوّن من أهل البلاد ليس ببعيد.

"هم يعيشون في بُؤس... مكدّسين بين أبناء البلاد"[2].

احتجّ التجّار الأوروبيّون في دالوا عام 1932، لدى المحاكم المنطقة لأنّ: "السوريّين المقيمين بصورة مؤقّتة في قرية دالوا لَم يُجبَروا على شراء أرض مفرزة لإقامة بناء حجريّ عليها، كالأوربيّين"[3].

ماذا بقي الآن من حملات الذمّ والقدح هذه، بعد أربعة وسبعين عامًا[4] على بدئها، غير ذكريات أليمة، وأدلّة على وجودٍ لبنانيٍّ مُجْدٍ، لا يزال يناقض النظريّات المطالبة بالإبعاد، كما يتحدّى كلّ الصعوبات التي تواجه هذا الوجود المفيد، المرتكز في بقائه على قدرة التكيّف مع الأوضاع المستجدّة.

هذا ويجدر بنا التوقّف قليلاً مع الجالية اللبنانيّة ـ السوريّة، التي يثير وجودها تفسيرات أوروبية خالية من الودّ من قبل الأوربيّين.

تتكوّن تلك الجالية، في نظر هؤلاء، من أشخاص غير منتجين، طفيليّين،

(1) آلان تيرفور، المرجع السابق، ص 202.

(2) آلان تيرفور، "اللبنانيّ" المنتج أو غير المحبوب"، ص 11.

(3) ناكي بوازو، المرجع السابق، ص 27.

(4) يعود تاريخ أوّل وثيقة اطّلعنا عليها في هذا الموضوع إلى العام 1912.

يفسدون الأعمال التجاريّة. وأغلب الظنّ أنّهم في طريق الإقصاء بمقدار ما يتعمّق التعاون بين النخبة الإفريقية والتقنيّة الأوربيّة...

واللبنانيّون بقدر ما هم مستبصرون حاذقون، يفتقدون إلى المرتكزات العالميّة والوسائل الماديّة التي تدرأ عنهم خطر الضربات[1] المفاجئة. إنّهم على أهبة الاستعداد للمناورة في إطار نظام ليبراليّ وقواعد ماليّة مرنة يمسكون بخيوطها، لكنّهم سيجدون أنفسهم يومًا ما عاجزين عن الحركة، بفعل الثورة المزدوجة التي بدأت في الستّينات[2].

والمقصود هنا تدخّل الدولة أو أجهزة رديفة لها في عمليّة الإتجار بالمحصولات التصديريّة (بنّ، كاكاو، فستق، مطّاط، قطن...)، التي قلّصت أرباح الوسيط لجهة النقل.

يضاف إلى ذلك أنّ العاجيّين وضعوا أيديهم على تجارة العديد من الموادّ والسلع الضروريّة، كالسمك واللحوم والأرزّ، والملح والكولا... لكن على الرغم من تقلّص الأرباح والتغيّرات السياسيّة وولوج الأفارقة ميدان التجارة، استطاعت الجالية اللبنانيّة، لا أن تصمد فحسب، بل أن تنمو بتكيّفها مع الأوضاع المستجدّة، واستجابتها لمتطلّبات التحديث والتصنيع في البلد المضيف. إنّ جدارة اللبنانيّ تنبع أساسًا من حذق تجاريّ لا مثيل له ومعرفة عميقة بالسوق الإفريقية: "كانوا يعرفون تمامًا كيف يتكيّفون مع الظروف ويقنعون دون ريب بأرباح أقلّ من أرباح الماضي..."[3]. "هذه الكفاءة التجاريّة ليست أمرًا ولّى زمنه، بل هو موضوع يدرَّس في كلّياتنا، وتُعمّمُ فاعليّته في برامج السوق المشتركة... واللبنانيّ امتلك هذه الكفاءة بالفطرة، فطبّقها واستثمرها في تجارته منذ مدّة"[4].

لقد أثار نجاح اللبنانيّين الشعور لدى التاجر الفرنسيّ بأنّ منافسه هذا سلبَهُ امتيازه. هذا الشعور بالغبن هو أساس الحملات الحاقدة، الآنفة الذكر، التي تردّدت أصداؤها، وتسبّبت من دون شكّ في إثارة المتاعب في وجه اللبنانيّين،

(1) التأميم المفاجئ لتجارة الجملة وهبوط قيمة العملة في غينيا ومالي.

(2) رينيه شاربونّو، المرجع السابق، ص 57 ـ 58.

(3) النشرة الاقتصاديّة: 1932، العدد 5014، منطقة دكار الأرشيف الوطني لساحل العاج.

(4) رينيه شاربونّو، المرجع السابق، ص 65.

غير أنّها لم تؤثّر سلبًا في موقف الإدارة منهم، فهي تقدّر مدى إسهامهم في إنعاش اقتصاد البلد.

أفادنا بعض المسنّين اللبنانيّين الذين قابلناهم أنّ هذه الحملات لم تكن تعكس العلاقات اليوميّة بينهم وبين الأوروبيّين لا من قريب ولا من بعيد.

إنّ الهجرة حركة كونية طالت وتطال منذ الازل عناصر الطبيعة كافة، من رياح وأمطار ونبات وحيوان وصولاً إلى الإنسان. وما اكتشاف العالم الجديد وتعريفه على زراعة القمح والشمندر السكري وتربية الخيول مقابل نقل زراعة البطاطا والذرة وتربية فصائل جديدة من الضأن والبقر إلى أوروبا، وكذلك إدخال محاصيل جديدة إلى إفريقيا مثل البنّ والكاكاو والمنيهوك إلا نتيجة مباركة لحلقة تندرج في سياق هذه الحركة.

وقد اضطرت شعوب كثيرة للنزوح عن أوطانها في حقبات معينة من تاريخها، بسبب الكوارث الطبيعية مثل: الفيضانات أو البراكين أو الجفاف أو لأسباب أخرى لازمت الإنسان منذ انتظامه في الحياة الجماعية، كالرقّ والحروب والاضطهاد العرقيّ أوالدينيّ أوالسياسيّ أو البحث عن ظروف معيشية أفضل يسودها الإستقرار والرفاه.

إذًا الهجرة ظاهرة عالمية يصعب ضبطها وحصرأسبابها في أبواب مستقلة، لأنها حركة تلقائية مرتبطة بردّات الفعل الفردية والعفوية حين يواجه الإنسان ظروفًا معينة طاردةً كانت أم جاذبة. فالهجرة (برأي لويس دولّلو) هي حق ملازم للإنسان في حرية الذهاب والإياب، ما يطرح أمامنا فكرتين متناقضتين علينا التوفيق بينهما، بين حرية الفرد في التصرف بشخصه وبين حق الدولة في منع إفراغ أرضها .**حق الفرد هو المقدّم** وقد كرسه الإعلان الفرنسيّ لحقوق الإنسان والمواطن، ثُمّ الإعلان العالميّ لشرعة حقوق الإنسان ليرسّخ المفهوم السابق ويوسّع نطاقه.

ولأنّ مشاكل الهجرة باتت، منذ أواخر القرن الماضي، في طليعة اهتمامات الدول وهيئة الأمم المتحدة فقد أُعلن يوم **20 حزيران** من كل عام "**يومٌ عالميٌّ للاجئين**" **ويوم 18 كانون الأول** "**يومٌ دُوليٌّ للمهاجرين**" تنبيهًا للرأي العامّ العالميّ إلى جدية الموضوع وأهميّته.

وقد برزت الهجرة في الآونة الأخيرة كمحرك للدينامية الاجتماعية الحديثة،

وكعامل فاعل في مجال العلاقات الدولية، بحيث أصبح التواصل بين الشعوب من خلالها هو القاعدة السائدة في هذا العصر.

كما تندرج الهجرة ضمن مجموعة معقّدة من العلاقات الإنسانية لأنّ وجودها يفترض حصول حاجتين: أولاهما تتمثل بنقص يعاني منه البلد المضيف في ميدان اليد العاملة اوالإختصاصيين وفي نقطة ضعف ديمُغرافية في هذا المجال أو ذاك. وتتمثل الثانية منهما في البلد المصدّر للعنصر الإنسانيّ بوجود عوامل هي بالنتيجة نقيض العوامل الآنفة الذكر، فينشأ عن هذا التداخل تكامل حيويّ بين البلدين يشوبه أحيانًا توتر في العلاقات، مردّه إلى سوء التفاهم أو اختلاف الدوافع. في هذا الإطار **يمكن اعتماد الهجرة بما تطرحُه من مشكلات كمقياس اجتماعيّ مهمّ، لاسيما على صعيد التعدديّة الإثنيّة والثقافيّة .**

وإذا كنّا بصدد تقديم لمحة تاريخية عن الهجرة اللبنانية فلا بُدّ لنا من التذكير بأنه إذا كانت جبال لبنان قد جعلته ملاذًا آمنًا للمضطهدين اللاجئين إليه من كل حدب وصوب، فإن انفتاح واجهته على البحر قد قرنت اسمه بالخير الوفير والثراء. وقد كتب المستشرق لامنس بهذا الخصوص: **"إبّان القرن الخامس عشر ولدى خروج جحافل تيمورلنك أصبحت بيروت ملتقى شعوب حوض البحر المتوسط كافة، كما أصبحت خليطًا من البشر يصعب وصفه، فيها كل لغات المتوسط وكل أجناسه البشرية... زبد الحضارات المتنافسة وافضلها يتدافع إلى هذه الزاوية من الساحل الفينيقيّ، بفعل حاجات مُلحّة، تتجاوز عوامل العرق والدين" .**

هذا البلد (نقطة الإلتقاء بين قارات ثلاث) الذي اجتذب الغرباء في أحلك الظروف هو أيضًا، وللمفارقة، أرض ينزح عنها ابناؤها ويجوبون العالم بموجات هجرة لا تنقطع. فهل نبالغ إذا قلنا إنّ الهجرة لم تشكّل طابعًا مميّزًا لشعب ما، كما ارتبطت بتاريخ الشعب اللبناني الذي ما برح على مر العصور مُصدّرًا للهجرة، كما لو ان أقدار أبنائه تدفعهم طوعًا أو قسرًا للرحيل؟ وذلك لأنّ لبنان بلدٌ صغيرٌ يقع في منطقة جغرافية واستراتيجية مهمة، وهو منفتحٌ على محيطه ما يجعله عُرضةً للأطماع والتأثر بمشاكل الدول المجاورة له.

والملفت في الأمر أنّ لبنان، على هشاشة تركيبته السياسية وواقعه الجيوستراتيجي غير المستقر، يمسك في الوقت عينه بقُطبي الهجرة السالب والموجب.

السنغال باب الولوج إلى إفريقيا الغربية

لقد بدأ عصر الكفاح الاغترابي اللبناني الحديث الذي اتجهت طلائعه نحو مصر وأميركا في أوائل القرن التاسع عشر لأسباب نوجزها بما يلي:

- الأسباب الطاردة أي المنفّرة من البقاء في لبنان مثل جدب الارض، ضيق ذات اليد، انتشار الملاريا والحُمى الصفراء والمجاعة (1916 ـ 1917) بالإضافة إلى وصول موجات الأقليات العرقية الغريبة من أكراد (1915) وأرمن (1919 ـ 1939)، وسعي البعض للإفلات من الاضطهاد العثماني ومن بعده من سطوة الإنتداب الفرنسي، والفتن الطائفية والسياسية التي تسببت بحروب توالت فصولاً على لبنان لتشكل كوابيس ضاغطة على ابنائه الذين وجدوا الخلاص بالهجرة إلى بلاد أرحم وآفاق ارحب.
- نذكر من أسباب الهجرة الجاذبة الطموح إلى تحسين الوضع الاقتصاديّ والارتقاء الطبقيّ والاجتماعيّ، التسهيلات المالية التي قدمها مندوبو وكالات السفر البحري للساعين إلى الهجرة والمساعدات المالية الواردة من المهاجرين إلى ذويهم والمراسلات التي تحمل نداء الأخ والأقارب، وكذلك أصداء النجاح والثروة المحققة في المغتربات، وتأثير السياحة الدينية إلى الأراضي المقدسة ودور الإرساليات الأجنبية.

مع نهاية القرن التاسع عشر حوّل التشدد في الشروط الصحية المطلوبة للدخول إلى الولايات المتحدة الأميركية مسار الهجرة اللبنانية (التي نشطت إلى العالم الجديد منذ سنة 1863)، ودفعه عن طريق مرسيليا نحو إفريقيا الغربية خاصةً السنغال الذي اعتبر بوابة عبور اللبنانيين إليها.

ولا نخال أنّ السبب الوحيد لوصول اللبنانيين إلى إفريقيا الغربية هو استحالة ذهابهم إلى أميركا، فالسلطات الفرنسية المستعمرة كانت تُشجع الهجرة إليها بقصد تنمية العمل في قطاع المحاصيل الزراعية المُعدّة للتصدير مثل جني الفستق (الفول السوداني) في السنغال والبُنّ والكاكاو في ساحل العاج. وحين خضع لبنان للإنتداب الفرنسيّ صدّر إلى إفريقيا الغربيّة الكثير من الطاقات البشرية التي تحتاجها. إذ عمدت القنصلية الفرنسية في بيروت إلى تقديم المزيد من التسهيلات، دعمًا لحركة الهجرة، مما لاقى صدىً إيجابيًا في نفوس اللبنانيين الباحثين عن مستقبل أفضل.

وقد ظل التاريخ الدقيق لوصول المشرقيين إلى إفريقيا الغربية مجهولاً، إلى أن أكد كامل مروّة (في كتابه الصادر سنة 1938) أنه بدأ عام 1880 وهو تاريخ تُرجّح صحته المصادر التي اطّلعنا عليها؛ وقد ذكر أيضًا أنّ عدد المغتربين اللبنانيين قد بلغ 400 نسمة عام 1900 منهم 276 نسمة في السنغال وغينيا والسودان الفرنسي مُقدّرًا أن يكون عددهم قد تجاوز العشرة الآف نسمة سنة 1938.

أمّا رينيه شاربونّو فقد ذكر أنّ اللبنانيين ـ السوريين وصلوا في مطلع القرن العشرين إلى السنغال دون غيره من بلدان إفريقيا الغربية وارتفع عددهم هنالك من 99 نسمة عام 1900 إلى 2088 نسمة عام 1929.

شروط الدخول إلى إفريقيا الغربية الفرنسية

ـ في بداية عهد الإستعمار الفرنسيّ وفيما كان الحكام منصرفين إلى توطيد الأمن وترسيم الحدود. كانت القارة الإفريقية تستقبل الوافدين إليها من كل الاتجاهات.

غير أنّ السلطات المستعمرة سرعان ما فرضت شروطًا مُشددة على الوافدين فانعكس ذلك سلبًا على اللبنانيين السوريين الذين كانوا أكثرية آنذاك.

ـ سنة 1917 حرّمت نصوص القانون رقم 1727 الذي أصدره لويس الرابع عشر، على الغرباء ممارسة التجارة في مستعمرات فرنسا الأميركية، وقد طُبق هذا القانون أيضًا في مستعمرات فرنسا في إفريقيا الغربية حتى سنة 1925 ليُلغى ويحل محله قانون آخر يضمن حقوق المهاجرين المدنية بما فيها حق ممارسة التجارة.

ومنذ ذلك الحين ظلت قيود تفرض أو تلغى وفقًا للمصلحة العليا، تارةً لتشجيع وصول المهاجرين وطورًا لوقف تدفقهم أو للحد منه على الأقل.

ولا بأس من التذكير بأن القرارات والمضايقات وإن أثارت مخاوف اللبنانيين في بادئ الأمر، إلا أنهم سرعان ما تجاوزوا مفاعيلها بالعمل الدؤوب والخضوع للقوانين المرعية الإجراء.

وقد أُلغيت القوانين الصارمة مع إنتهاء الحرب العالمية الأولى فلم يعُد الوافد الجديد مُجبرًا على تأمين مبلغ ماليّ يضمن عودته إلى فرنسا أو إلى وطنه الأم بل بات يكفي أن يقدّم أحدُ التجار كفالةً لمصلحته.

وصول اللبنانيين إلى ساحل العاج

يشكل الوجود اللبناني في إفريقيا الغربيّة، مسألةٌ نموذجيّةٌ في علم الاجتماع، هي مسألة التعايش بين أقليّة وافدة من منطقة الشرق الأوسط، مهد الفن الحرفيّ والحضارة التقنيّة والتجارة، وبين أكثريّة غرب إفريقية عرفت بلادها، لثمانية عقود خلت، نموًا يسترعي الإنتباه. وقد أثارت الهجرة إلى ساحل العاج، التي تميزت بالكثافة السكانية والزخم الاقتصادي، الإهتمام ودارت حولها تفسيرات عدّة من قبل المهتمّين الذين رأَوا أنه قد جرى تخطّي عتبة التساهل التي حدّدها علماء الاجتماع لعدد الغرباء المسموح بوجودهم في بلد ما؛ علمًا بأن هذا التجاوز قد حصل من جرّاء توافد ملايين الغرباء، من أفارقة وأجانب ولبنانيين، شّكلوا سنة 1985 أكثر من ثلث عدد سكان هذا البلد الذي بدا بوطقة انصهار إنسانيّ قد يخرج منها يومًا ما، ما أَمل بتحقيقه رئيس البلاد الراحل **هوفويه بوانيي**: "ساحل العاج الوطن المتعدد الثقافات والأعراق، ليصبح بذلك نموذجًا إفريقيا لأرض الملاذ التي تستضيف جميع الوافدين إليها دونما تمييز في اللون والعرق والدين".

ـ لمحة تاريخيّة

لقد أورد الان تيرفور في كتابه الزمن الطيّب "إن ازدياد الطلب العالميّ على المحاصيل الاستوائيّة حرّكت باعث الهجرة ودفعته قُدمًا نحو المستعمرات الفرنسية والإنجليزية في إفريقيا الغربية. وكان ساحل العاج من بين هذه المستعمرات التي عرفت منذ سنة 1924 نموًا لا سابق له، وعكست صورة روض جميل حافل بأغنى البشائر".

ويذكر مدير المستعمرات ل.م. سيمون أنّ نفرًا من اللبنانيين قد جاءوا إلى ساحل العاج منهم: خليل شاوول وسعيد وأسعد منصور المتحدّرين من دير قوبل سنة 1907، وميشال نعمة وغنمي وصعب وبرجي قبل عام 1923، وعبد اللطيف فخري سنة 1926 آتيًا من السنغال، وعقيل برّو من السودان الفرنسيّ (مالي) وسبيريدون حداد ونعمان قُبطي (1930) وأبو جودة وكذلك محمد مكّي وخليل السبع (أشهر قناص للفيلة) بين عامي 1930 ـ 1945.

ـ الإستقرار والتضامن

يصل المهاجر بمفرده سعيًا وراء عمل مُجز، وحالما كان يلمس أي تحسن في

ظروفه الاقتصادية كان يستدعي زوجته أو أخاه أو أحد أقاربه لمؤازرته في العمل، فكان نجاحه مُحفّزًا لإبناء بلدته على الإلتحاق به.

هذا المسار العفوي للأمور أدّى إلى خلق تكتلات إقليمية، حدت بالوافدين من البلدة نفسها إلى التجمع في بلد واحد أو حتى في مدينة واحدة، والجدول التالي (ص 83 من الدراسة) يوضح الصورة.

على الرغم من المساعدات المقدمة إلى الوافدين الجدد فإن إستقرارهم لم يكن بالأمر اليسير، وبالتالي لم يصبح اللبنانيّ الوسيط التجاريّ الذي لا غنى عنه، بين الأوروبيين وسكان البلاد الأصليين، إلا بعد جهود مُضنية في العمل والإقامة في الأدغال الإفريقية في ظروف معيشية صعبة تنعدم فيها أدنى وسائل الراحة.

إن تكيّف اللبنانيين مع المتغيّرات السياسيّة والاقتصاديّة في مغترباتهم جعل من وجودهم ضرورةً لإزدهار اقتصاد هذه البلاد ونهضتها. وقد بدا تطورعمل اللبنانيين متوازنًا ومنسجمًا مع تقدم سكان البلاد الأصليين.

لقد أثرى لبنانيّو ساحل العاج إبّان الحرب العالمية الثانية وبعد انتهائها، لأنّ التضخم المستمرّ وارتفاع أسعار المحاصيل الإستوائية الذي بلغ ذروته عام 1953 فتح أبواب المضاربة، والتاجر الذي أُتيح له ان يتحكّم في مداخل العرض والطلب قُدّر له تحقيق الارباح الوفيرة. لكنّ هذه الصورة المُضيئة والتضامن الذي اتّسمت به علاقات اللبنانيين فيما بينهم، وكذلك التعاون المُثمر لا تحجب رؤية الجانب المظلم من الصورة، المتمثل باستغلال بعض قُدامى المهاجرين للوافدين الجدد، مما أوجد حالات كثيرة لمُغتربين يجهلون لغة البلد المضيف وعاداته، فيسعى الواحد منهم إلى كسب لقمة العيش بصعوبة لكي لا يعود أدراجه إلى الوطن صفر اليدين.

بالطبع اليوم اختلفت الأمور وما كان يصحّ في الماضي لم يعُد كذلك في ظلّ العولمة وتداعي الحواجز المعرفيّة والسياسيّة والاقتصاديّة.

الهجرة إلى أميركا اللاتينية

(نموذج مدينة النبطية):

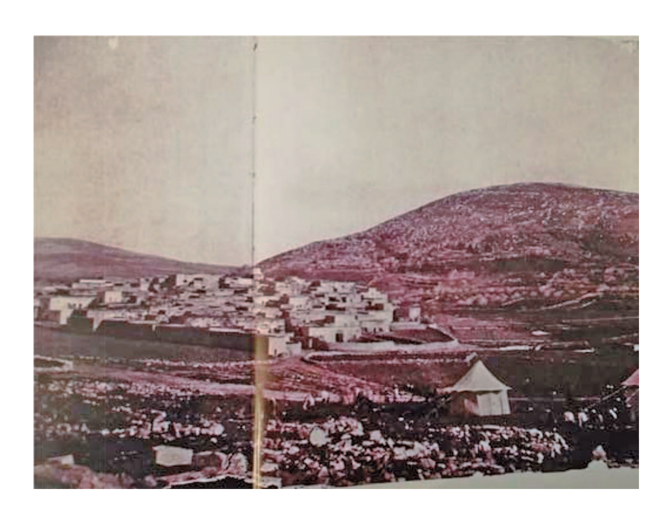
نائب رئيس الاتحاد العالمي لأندية اليونيسكو:

د. مصطفى بدر الدين



- طبيب اختصاص قلب وشرايين من جامعة مونبيلييه في فرنسا.
- رئيس سابق لبلدية النبطية (1998- 2010).
- عضو مؤسس للمركز الثقافي البلدي (مجمع الدكتور علي بدر الدين).
- عضو مؤسس ورئيس سابق لهيئة تكريم العطاء المميز وعضو اداري حالي(امين شؤون اللجنة الصحية).
- رئيس نادي اليونسكو في النبطية. ونائب رئيس الاتحاد العالمي لأندية اليونيسكو.
- عضو الاتحاد العربي لاندية اليونيسكو حاليًا.

دور الاغتراب في إنماء مدينة النّبطيّة حاضرة جبل عامل



عاصمة المحافظة السادسة إبان الحقبة الزمنية للحكم العثماني وما بعده (1880 - 1929)

النّبطيّة معقل العلماء، ومزار الأنبياء، ومدينة الحسين(ع)، مدينة ملتقى القوافل على طريق الحرير، مقصد التجار المنطلق لآخر محطة لمن أراد السّفر إلى فلسطين وبلاد الشّام مرورًا بالجزيرة العربيّة ليصل إلى بلاد المشرق والهند والصين والغرب.

مدينة التّاريخ المتجدّد دائمًا، حسب الظّروف والمراحل والأحداث التي عاشها الأجداد والآباء من حروب واحتلالات، تخلّلها الحرمان وحياة الجهاد والقلة والإضطهاد.

مدينة صمدت رغم ثقل المصاب بفضل الإيمان والانفتاح والعلم لتتحوّل من قاعدة تجاريّة إلى مركز ثقافة جامعيّ ودينيّ وسياسيّ. وهذا ما حوّل أيضًا كل دسكرة وقرية ومدينة من أجل البنيان والبناء للتّاريخ المعاصر والمستقبليّ ترثه الأجيال لتنعم بشرف العيش بعزّة وكرامة.

هذه الروح التي نلمسها اليوم لها تاريخها المجبول بعرق الجبين وبذل الدماء، هي سلسلة التواصل بين الأجيال لشريحة أمّنت استمرارية العيش بعزم ونضال وعطاء/ من أجل النّهوض بالمدينة وأهلها.

من قلب وعمق الوجدان، ومن هذه الأرض وترابها، أنبثقت المجموعات الاغترابية التي أعطت الزخم والنكهة والتجدد والمعاني قيمة معنوية ومادية لموطن الأهل وتواصله في العالم...

وهذا مع الحرص على بقاء التّواصل بالدّعم المادي والمعنوي، والتّأكيد على حبّ الأرض، لينهل الأبناء من كل الحضارات وإن هاجروا إلى بلاد الشّرق (بلاد الفرس أو الرافدين) أو للغرب وباقي القارات ليصبحوا رسل المحبّة والسّلام في كل الحقول الاقتصاديّة والعلميّة والثقافيّة الاجتماعيّة.

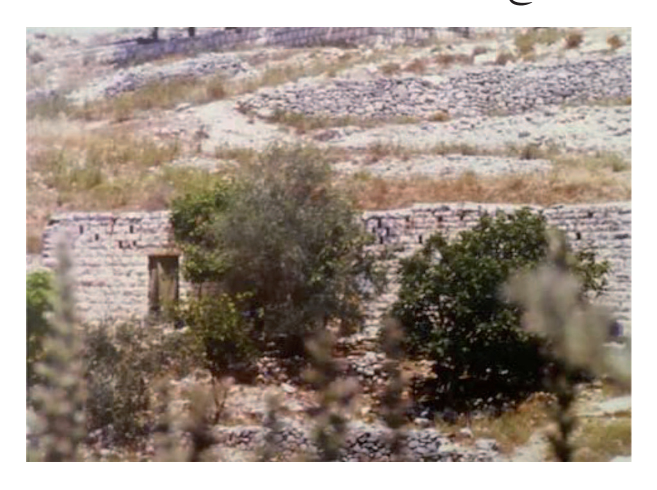
ومنذ تلك الحقبة لم يبخل الأبناء بتأمين استمرارية الحياة لمدينتهم، وإنمائها والنّهوض بها، ببذل الغالي والنّفيس يعملون على تنميتها بكل مقومات التنمية.

واللبنانيّ يجمع الحضارات ويمزج الثّقافات ويرى تراث الشّعوب بكل صوره، فيه كل الأديان، فيه الرّسالة الإنسانيّة بإنسانها وأصولها وجذورها، إنّه اللبنانيّ في الوطن كما في المهجر يذكرنا بتاريخه من جيل إلى جيل وأن لم يستطع مرة فهو استطاع مرارًا بأن يؤكّد أنّه باق على مبادئه وقناعاته واخلاصه للوطن الأم والوطن المهجر.



بعزيمة وإرادة وتصميم جاهد اللبنانيّ منذ بدء الهجرة والاغتراب، خصوصًا في حقبة السلطنة العثمانية فنتلمّس تداعياتها وانعكاساتها التي نقرأها في مقالات مهمة، ومنها وثيقة تاريخيّة السفير (8-5-1985) التي تتحدّث عن جبل عامل الذي كان مسرحًا للعديد من الأحداث الدمويّة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وبلغت هذه الاضطرابات ذروتها سنة 1781 بالحملة التي قادها والي صيدا أحمد باشا الجزار واستطاع خلالها احتلال البلاد العامليّة بعد قتل بعض زعمائها (الشيخ

ناصيف النصار..) واعتقل وشرّد آخرين. وعلى إثرها نظّم العامليون مقاومة وبقيت الحال إلى أن كانت النّتائج منها مرة لمصلحة العامليين ومرارًا للولاة والأتراك.



وهنا تبدأ مسيرة الاغتراب بعد أن كانت رحلات إلى بلاد النجف وإيران.. لطلب العلم والدراسة الدينية، فبدأت السلطات العثمانية بتشديد الحجز على الشّباب العاملي وأرغمتهم إمّا الالتحاق بالجيش التركي أو التضييق عليهم وتهديدهم بلقمة عيشهم، وبقي الحال هكذا حتى سنة 1860 ونشوب الحروب الأهلية. وما كان أمام العامليين سوى أخذ القرار للسّفر بعيدًا عن الوطن.

أما مدينة النّبطيّة آنذاك فقد كانت تمثّل قرية كبيرة بيوتها ترابيّة الأسقف، وفيها السوق التجاري من مئة وستين عاما قبل سنة 1852.





ومن أقدم البيوت فيها في اواخر القرن الثامن عشر دار آل فخر الدين والحاج أحمد موسى صباح.

ومع تطوّر المجتمعات تغيّرت المظاهر المدنيّة والمعماريّة في المدينة بفعل عوامل متعددة منها العامل الاغترابيّ الذي نلحظ من خلاله مسيرة النّبطيّة وتطورها، ونقف على آثارها وذكرياتها وذاكرتها العريقة، وذلك بفضل إنسانها الذي اضطر للسّفر في أواخر 1880 وعليه سنلاحظ الأثر الإيجابي للاغتراب من خلال رؤية المنازل التي بنيت منذ أوائل القرن العشرين بعد أن عاد أهلها من بلاد المهجر.





ونذكر هنا أن الاغتراب الأمريكي اللاتيني المكسيكي الأرجنتيني والتشيكي سبق الاغتراب الإفريقي وهذا ما نلحظه في الحقبة ما بين 1885 ـ 1929.

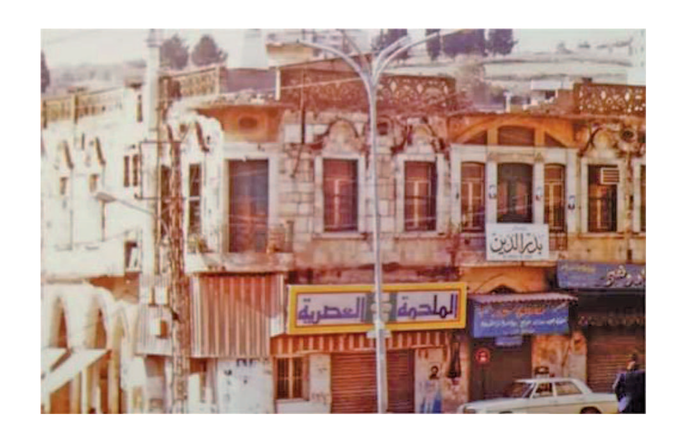
ففي سنة 1885 سافر العديد من شباب عائلات آل شاهين وصباح ووهبي وفران والصّباغ وبخدود وحمدان والحاج علي وحامد وضاهر... وقد حملتهم باخرة من مرسيليا إلى أمريكا اللاتينية وكانوا يعتقدون بأنّهم ذاهبون إلى إفريقيا، وكان ما كان وبقيوا ليعيشوا ويتفاعلوا مع المجتمع المضيف حتى في أحلك الظّروف والثّورات في تلك البلاد، وقد استشهد منهم شباب وتحمّل الباقون التّداعيات الاغترابيّة السّلبيّة لصعوبة الظّروف الحياتية. كما وإنهم تحمّلوا المسؤوليات لمساعدة بعضهم البعض، ينظرون إلى الوطن وفيه الحروب الكبرى (الحرب العالمية الأولى) واضطهاد الأتراك للأهالي (سفربرلك، المجاعة، وهجوم الجراد...).

وقد عاش الأبناء الأحداث الخطيرة، يراقبون الوطن أرض الأباء والأجداد يتشوقون العودة إلى أحضانه، حتى يحكى أنّه في سنة 1917 بعض الأبناء لحقوا

آباءهم، وسافروا للعودة بأبائهم الذين تركوهم أطفالاً، مثل الحاج أمين شاهين وولده توفيق وهذا ما حصل وكان لهم ما أرادوا سنة 1919 بعد سقوط السلطنة العثمانية.



وعاد الشّباب إلى الوطن سويًا وقد حملوا معهم حصاد السّنوات من ثروة ماديّة تقاسموها بالتّساوي ويحكى أنّه بعد أن هاجمتهم عصابة قطّاع طرق في السّعديات فنهبت أحدهم ونجا الآخرون، أبى الود والتّآذر والمحبة بينهم إلا أن يساعدوا ابن بلدتهم الذي سُلب ماله بتعويضهم عليه وإعطائه حصّة ليعود مثلهم غانمًا إلى مسقط رأسه، وهكذا بدأ التّاريخ العمرانيّ للمدينة وبدأوا ببناء الدّور الجميلة ذات الطّابع المكسيكي الأمريكيّ اللاتينيّ.



مبنى عيادة الدكتور بدر الدين

وعمرت الدّيار بأبنائها وعائلاتها، وتجدر الإشارة إلى أنّ منهم رجالاً قد تزوجوا من سيدات أجنبيات، وكنّ امهات فاضلات عشن وشاركن أزواجهن حياة النّبطيّة الكريمة، وما زلنا نتذكر الأسماء حتى اليوم... نينا... بيشا... جولندا.. كارلوس.. برنا.



وهكذا منذ 1917 لعبت تلك الشريحة الاغترابية وأجيالها دورًا مهمًا كبيرًا في الحياة التنمويّة للمدينة ودعم مشاريعها وبلديتها والتكوين العائلي والبلدي لها..

النهضة (العلميّة الثقافيّة والاجتماعيّة والوطنيّة والدينيّة) بدأت تتطوّر في ذلك الحين فنشطت البلديات وكان من بين الشّباب المغتربين رؤساء بلديات على التّوالي بعد آل الحاج علي وآل حمدان وبعدها آل شاهين والصّباح الذين شاركوا في الحياة السّياسيّة والإنمائية في دعم بناء الحسينيّة الأولى في لبنان، كما دعموا الجمعيات كجمعية المقاصد الخيريّة الإسلاميّة في النّبطيّة والحوزات العلميّة فتخرّج الأطباء والمربون والعلماء ورجال الدين آنذاك...





فازدهرت الحياة في المدينة ببناء المدارس والأسواق التجارية والبنية التحتيّة والطّرق والسّاحات الجميلة. كما ننوه -من باب التذكير- بأنّ من حسنات تلك الحقبة التي عمرت بالعمران والبناء ما كسبه الإنسان العاملي من الحرية، فقد بعثت فيه الحمية والرّوح والوطنية، إذ أن وادي الحجير ومؤتمره شاهدان على الوقفة المشرفة العامليّة ضد الاستعمار والمحتلين في ذلك الحين، وهكذا تُرجم الاغتراب في مدينة النّبطيّة الذي بدأ بسقوط الدولة العثمانية ولحقه الاغتراب الإفريقي مباشرة أثناء الضائقة الاقتصاديّة

العالمية 1928 ـ 1929، فهجر الفوج الثاني من الشّباب إلى بيروت وإفريقيا وانتشرت الهجرة اللبنانيّة إلى العالم وبرز فيها العلماء والمثقفون والاقتصاديون.

إذا -كما ترون- إنّ التّاريخ في إعمار الشّعوب لا يبنى بلحظة، وهو الشّاهد على دور أبنائه في بنائه وكتابته، وكلّ حقبة لها دورها وفعلها وذكرياتها التي تضاف ويحافظ عليها في ذاكرة الأجيال ومن لا ماضٍ له لا مستقبل له.

وما أجملك أيتها الذّكريات إن حافظت الأجيال عليك فالتّاريخ لا يكتبه شخص واحد ولا يمكن لإنسان أن يتنكّر له، إنّه الشّعور الصّادق وحبّ الإنتماء إلى بقعة الأرض وهي الوطن فيه تتكامل الهمم وتُحفظ القيم، ويبقى الإنسان إنسانا يحفظ تراثه وثقافته ومسقط رأسه، ويعترف كل جيل بالجيل السّابق، وبفضله هنا تكمن الأصالة وهنا يُحترم المجتمع، فالنّضال والبناء والسّعي في بناء الامم لا تبنى إلا بالصّدق والوفاء والعطاء، وتلك هي جسور الإنسانية بين الشّعوب، والتّاريخ ملك للجميع وعلى ممر العصور.

أخيرا ما أروع وأجمل الاغتراب الودود الغيور، وما أجمل الاعتراف بالجميل للبنان والأوطان في الاغتراب، والأرض الأم:

ـ معًا سنتذكر الأباء والأجداد

ـ معًا سنبقي هذا الحس والوجدانيّ العاطفيّ.

ـ معًا سنبقي المشاركة الصّادقة.


عليّة السيد مصطفى موسى بدرالدين (١٨٨٠-١٩٤٧م).
وقد أزيلت لاحقاً ليُشاد مكانها مركز تجاري.

وما أحوجنا اليوم لأن نحافظ على هذه الرّوح الطيبة بين الأبناء وأن نبقي هذا الشّعور من أجل البقاء للعيش الرّغيد وحفظ الكرامات، وما نلحظه اليوم ما هو إلاّ نتيجة هذا الإحساس الذي يتجلى بالمواقف المشرفة من الاستشهاد إلى بناء الإنسان.

ـ وهكذا ستبقى الروح في الجسد مغتربينا في قلوبنا.

ـ كما ونحن الأهل في ضمائرهم وسنبقى.

ـ وكل هذا لنكون الرسالة والمثال والقدوة في حياة الشّعوب ولم لا فإن أهلنا وشعبنا هم من الأصالة وهم أعرق من التّاريخ.

أول لبناني مغترب:

أ. أسد زين غندور



- كاتب وباحث ومحلل سياسي.
- ناشط اجتماعي وثقافي ونقابي وبيئي.
- حاصل على اجازة في إدارة الاعمال.
- عمل في الحقل التربوي تعليمًا وإدارة.
- شغل منصب رئيس بلدية النّبطيّة الفوقا، وأمين سر اتحاد بلديات الشقيف.
- مؤسس ورئيس وعضو إداري في العديد من الجمعيات والاندية والهيئات المحلية والوطنية والقومية.
- له مقالات عديدة، وشارك كمحاضر في محاضرات وندوات سياسية وبلدية وبيئية...
- يشغل حاليًا موقع رئيس مجلس المندوبين ورئيس المكتب التنظيمي في حركة الشعب في لبنان وأمين سر الجبهة العربيّة التقدمية على مستوى الوطن العربي.

مقدمة:

عندما نقول اغتراب، فإننا نفرّق بذلك بين من يسافر خارج البلاد بهدف الكسب وتأمين مصادر لحياة سعيدة، ثم يعود إلى بلاده التي ارتبط بها وعشق أرضها، وأحب ناسها، ولديه الرغبة بتحقيق حلمه فيها، وبين من يهاجر خارج البلاد ويقضي بقية العمر في الخارج، أو بالكاد يعود في آخر العمر، وتنحصر علاقاته مع الأهل والمعارف في المناسبات الضيقة، هذا إذا أبدى استعدادًا للتواصل والحفاظ على شيء من العلاقة معهم.

والمعروف عن اللبناني، منذ القدم، عشقه للمغامرة ودقّ أبواب موصدة لاكتشاف سبل جديدة تساعده على العيش الكريم والرّفاهية. والتقدّم، إضافة إلى حبّه للتّعرف على الآخر وإقامة أوثق العلاقات معه لتحقيق أهداف شتى.

وللهجرة اللبنانية حكاية كتبها التّاريخ سطورًا لا تمحى، معاناة، أسفارًا، تعبًا، شوقًا إلى وطن غابوا عنه تاركين أحبة. كان الدافع الأساس، وبشكل دائم، البحث عن فرص عمل.

لقد ساعدت الظروف الاجتماعيّة والاقتصاديّة الصعبة التي عاشها اللبناني، عبر التّاريخ، على البحث عن مصادر ومواقع للعمل والمغامرة والوصول إلى أهداف محتلفة. وبما أنّ اللبناني، كان ولا يزال، متعلّقًا بالأرض، وحيث كانت الأرض تشكّل المصدر الأساس للعمل والإنتاج والرّزق الحلال والعيش الرّغيد. فعندما شحّت الأرض، وأصبح عطاؤها، لأسباب شتى، دون الحاجة المطلوبة لحياة متوازنة، بدأ اللبناني يبحث عن أماكن أخرى، ولو بعيدة جدًا، علّه يتمكن أن يحقّق فيها ما خسره من الأرض، وما فرضته عليه الظّروف الصّعبة، وأحيانًا هربًا من الممارسات السّلطوية المتحكّمة بالأرض ومصادر العيش وبالإنسان، ناهيك

عن النّزاعات الضّيقة الأفق التي يتخبط بها لبنان منذ تكوينه ولغاية اليوم، التي ساهمت إلى حدٍ بعيد في تشتيت الناس وتفريقهم عن بعضهم البعض وفصلهم عن أرض الأهل والأجداد، والبدء بالتأسيس من جديد في أرض لم تطأها أرجلهم من قبل.

لقد بدأ الاغتراب اللبناني والهجرة اللبنانية مع الفينيقيين الذين يقال أنهم اكتشفوا أميركا قبل كريستوف كولومبوس منذ أربعة آلاف سنة. باشر الفينيقيون مغامراتهم عبر البحار، وأكَّد بعض المؤرخين أنهم وصلوا إلى القارة الأميركية في أواسط القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

وقد استندت الدّراسات في ذلك على ما تم اكتشافه من كتابات فينيقية على حجارة غافيا وباريبا في البرازيل. وقد تابع المؤرخون كتاباتهم ليتأكدوا من حضور العرب بشكل عام، واللبناني بشكل خاص، في أميركا اللاتينية في القرن السابع ميلاديًا، عندما وصل الحاكم "بن براجيل" من مراكش وقرطبة إلى جزيرة الآسور، ثم اجتاز المحيط الأطلسي في العام 705 م. ووصل إلى مصب نهر بارنايبا في ولاية بباوي (الحالية)، وتنقل على الشواطئ وصولاً إلى منطقة تسمى اليوم "دانفرا دوس ريس"، حيث قام هذا الحاكم بوضع الخرائط للشاطئ، ووضع خاتمة تحت عنوان "براجيل" وأعطى راسمي الخرائط كل الشروحات وفي متابعتهم البحث تحقق المؤرخون من الوجود العربي في أميركا اللاتينية خلال التوسع الإسباني والبرتغالي في القرنين الثاني عشر والرابع عشر بعد الميلاد.

كان السّفر بشكل أفراد في بداية الأمر، وما لبث أن تحوَّل إلى جماعي، أما طريقته فكانت عبر بواخر تشقّ عباب البحر حاملة معها مغتربين من لبنان إلى مختلف أنحاء العالم، ويذكر الكاتب والمؤرخ فيليب حتي أنّ الأب الياس حنا الموصلي الكلداني قام برحلة إلى العالم الجديد استغرقت 23 سنة (1660-1683م)، زار خلالها عددًا كبيرًا من بلدان أميركا الشمالية والوسطى والجنوبية، ثم رجع إلى بغداد وألف كتابه المشهورر "رحلة أول سائح شرقي إلى أميركا". تحدّث فيه عن البلاد التي زارها وعن ثرواتها وسكانها وطبائعهم وغير ذلك. وقد قيمت صحف المغتربين فيما بعد رحلته وسمتها الشرارة الأولى التي دفعت المهاجرين إلى ارتياد بلاد المغرب.

ولأن العالم الجديد كان مهيئًا لاستقبال الملايين من المهاجرين إليه لأسباب

اقتصاديّة وسياسيّة، اتّجه اللبنانيون الأوائل بشكل أساسي نحو العالم الجديد بالدّرجة الأولى، واستقر العدد الأكبر منهم في الولايات المتحدة وكندا ومكسيكو والجزر الكاريبية، كما في البرازيل والأرجنتين ودول أميركا الجنوبيّة، وكذلك في أستراليا ونيجيريا وغانا والسنغال والعديد من دول إفريقيا الغربية.

العرب في البرازيل:

تتحدّث وثائق تاريخيّة عن العرب في حملة "بدر الفاريس كابرال" التي اكتشفت خلالها البرازيل عام 1500م. وكانت المراكز البحرية في "ساغر" و"بالوس" والبندقية تستعمل خرائط بحريّة عربيّة، وذلك لكون العرب بحارة ممتازين يجيدون معرفة علم الفلك، ومن هنا جاء القول الشهير بأنّ "العرب ولدوا في البرازيل مع اكتشافها".

ويروي المؤرخ "أولفو بيزيرا" أن لبنانيًا يسمى أنطون إلياس لُبس، عاش سنوات في البرتغال، وغير اسمه هناك ليصبح أنطونيو لويس، سافر إلى ريودي جانيرو وملك أرضًا في منطقة "برانيا". وعندما قدم ملك البرتغال "دون جوان السادس إلى البرازيل، وهب منزله إلى الملك، وكان هذا المنزل واحدًا من أكثر البيوت الجديرة بالملك. ثم حوَّله إلى القصر الإمبراطوري البرازيلي، وأطلق عليه اسم "باسودي سان كريستوفاد" حيث ولد "دون بدرو" الثاني. أما اليوم أصبح مقرًا لمتحف "كينا دابوا فيستا".

بين الشرق والغرب:

بدأت الهجرة اللبنانية الكبرى إلى العالم الجديد في القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك لأسباب عديدة، بعضها ذات صلة بالوضع الداخلي في الشرق، والبعض الآخر له صلة بالوضع في الغرب.

ففي الشّرق لم تكن السّلطنة العثمانية تضمن الحرية والأمن للناس. وحيث كان لبنان ينقسم إلى منطقتين: جبل لبنان الذي تمتع بإدارة ذاتيّة تحت الحماية الأوروبيّة. والسّهول الواقعة في منطقة البقاع والشواطئ على البحر المتوسط التي كانت خاضعة للسيطرة التركية.

إن غياب الحرية والأمان والنّقص في المدى الجغرافي بسبب ضيق الأرض وسيطرة الإقطاع عليها، ناهيك عن الاضطهادات التي مارسها دفع بالعديد من اللبنانيين إلى الهجرة، فيمموا شطر البحر سعيًا وراء أرض جديدة مما شكل بداية

الهجرة الجماعية في العام 1856م. إلى الولايات المتحدة الأميركية، التي كانت تمارس سياسة تشجيع الهجرة إليها وجذب المهاجرين لملء الفراغ في أراضيها.

وعندما وقعت الحرب الأهلية الطائفية في لبنان عام 1860 م. كان من نتائجها سقوط آلاف الضحايا في مجازر رهيبة، مما شدّد التعصب وخلَّف الدمار في القسم الأكبر من لبنان، الأمر الذي دفع باللبنانيين إلى الهجرة إلى مصر أولاً التي كانت توفر مجالاً حيويًا وحيدًا للعمل الزراعي ولا سيما في منطقة الإسكندرية. ثم بدأ اللبنانيون يتجهون من لبنان ومصر نحو أوروبا واستراليا وآسيا الغربية وإفريقيا وجزر الباسفيك وأميركا الشمالية التي كانت حلم اللبنانيين الكبير.

وقد زادت الهجرة بشكل كثيف بعد حكم المتصرف "رستم باشا" وظلم الإقطاعيين للفلاحين في سهول البقاع، مما اضطر اللبنانيون إلى الهجرة بصورة جماعية منذ أواخر القرن التاسع عشر سعيًا وراء الأمان والبحث عن حياة أفضل في بلدان أخرى. ولم تقتصر الهجرة على الفلاحين فقط بل شملت نخب سياسية وثقافية وتجار الذين بقوا على تواصل ببلادهم ويسعون للعودة إلى أرض الوطن والعيش حياة أفض.

أول مغترب لبناني إلى الولايات المتحدة:

في عام 1854م، أقدم إبن بلدة صليما أنطونيوس بشعلاني إلى السّفر إلى الولايات المتحدة، وأجزم فيليب حتي أن بشعلاني هو المغترب الأول إلى العالم الجديد، وكرّت بعد ذلك سبحة الاغتراب في مطلع عهد المتصرفية. فمن هو أنطونيوس بشعلاني؟

إنه أنطون بن يوسف ظاهر أبو عطالله البشعلاني. ولد في قرية صليما في آب 1827م. والدته من آل حسان كساب، له ستة أخوة توفوا كلهم دون خلف. في الثانية عشر من عمره هبط أنطون إلى بيروت، واشتغل مع شقيقه داود في معمل حرير في منطقة الطيونة قرب الشياح.

ومن خلال مهنته إتصل بالفرنج وكان يرافقهم في رحلاتهم وسفراتهم، وعمل في خدمتهم بصفة طاهٍ ثم بصفته ترجمان ودليل بعدما أتقن اللغة الإنكليزية واللغة الإيطالية.

وفي أحد الأيام، عاد إلى بلدته صليما ومعه مبلغًا من المال. وتعرّف على إبنة أحد أنسبائه وتدعى "شمونة" وهي ابنه يوسف نصرالله أبي عطالله. طلبها من

والدها، ورضيت الفتاة به عندما رأته شابًا غضًا وصاحب أدب ومال. إلاّ أن أهله رفضوا زواجه منها"، فقرر السّفر إلى أميركا.

انطلق من بيروت مع بعض السّياح حيث وصل إلى لندن عام 1854، ثم انتقل على مركب شراعي إلى الولايات المتحدة، وألقى عصا التّرحال في مدينة "بوسطن ماس"، وبعد أيام سافر إلى نيويورك مع أحد الأصحاب، حيث دخل الجامعة، ولقبه أستاذه "بطل" المدرسة لشدة ذكائه ووداعته ولطفه الأنيس. ولبس في تلك المدينة الثياب اللبنانية العادية المعروفة في ذلك الوقت مع طربوش مغربي.

بعد سنتين من إقامته في نيويورك، توفي أنطون بمرض السّل. والغريب أنه توفي في اليوم الذي وُلد فيه. وقد كتب رئيس الكلية سيرته الذاتية بالإنكليزية، وتضمن الكتاب رسمًا له وتحت الرسم اسمه وبعض كلمات بخط يده. أما ضريحه في هذه الأيام موجود في مدينة "بروكلين" بولاية نيويورك، وكتب على بلاطة الضّريح اسمه وتاريخ ولادته ووفاته، ورسم صورة لأسد وحية وحمل. وقد زار ضريحه عدد من الأصدقاء سنة 1919 م، وهم من آل البشعلاني، وكتبت جرائد بيروت آنذاك "تذكروا ذكاءه واقتداره".

وأصدر الرئيس الراحل سليمان فرنجية في 26 حزيران 1970م. مرسومًا حمل الرقم "1322" اعتبر فيه أن أعمال ترميم منزل المهاجر الأول في صليما تعدّ من المنافع العامة. وفي عام 1972 أقيم في صليما احتفالاً للمغتربين الذين قاموا بزيارة منزل البشعلاني بحضور رئيس الحكومة آنذاك المرحوم صائب سلام.

أول مغترب لبناني إلى البرازيل:

ثمة خلافات حول أول مغترب لبناني هاجر إلى البرازيل، إلاّ أن العديد من الإستقصاءات تشير إلى أن المواطن "يوسف موسى" من مواليد بلدة مزيارة في لبنان الشمالي، كان أول من وصل إلى البرازيل عام 1880م، خرج من لبنان متجهًا رأسًا إلى البرازيل بخلاف الذين ذهبوا أولاً إلى مصر وأوروبا ثم اتجهوا إلى البرازيل. وبعده بوقت قليل وصلت أول مجموعة من المهاجرين من بلدة السلطان يعقوب في سهل البقاع، أعقبتها مجموعات أخرى، وابتدأت قصة الهجرة إلى البرازيل.

كان المهاجرون اللبنانيون، سواء منهم المزارعون أو المثقفون، يصلون إلى

البرازيل، وبصورة خاصة من خلال مرفأي "سانتوس" و"ريودي جانيرو"، وهم صفر اليدين... وكان عليهم أن يبدأوا من حيث وصلو.. غير أن روح الشجاعة التي كانوا يتحلون بها دفعت بهم إلى البحث عن لقمة العيش في إطار الحرية وذلك في مناطق برازيلية ثلاث: المنطقة الشمالية حيث إنتاج المطاط، والوسطى حيث وجود المناجم، والجنوبية حيث إنتاج البن، وهناك كانوا يكافحون في سبيل حياة أفضل، وأصبحوا جنبًا إلى جنب مع البرازيليين والإيطاليين والإلمان مكتشفي هذه المناطق ومعمريها. وقد إنطلق اللبنانيون بصورة خاصة في التجارة المتجولة يبيعون الخرضوات، حيث كانوا يحملون صناديق يعرضون فيها الأمشاط والمرايا والعطور وغير ذلك. وبما أنهم يعرفون أن الشعب البرازيلي هو شعب متدين، فقد كانوا يعرضون أشياء جاؤوا بها من بلادهم وقيل عنها يومها أنها "مقدسة" لكونها قادمة من الأراضي المقدسة كصور القديسين وذخائر القناني المعبأة بمياه من نهر الأردن. وكانوا يبيعون كل ذلك في الشوارع والقرى والدساكر، لذلك أُطلق عليهم في البداية اسم "كاشيروس" وباللغة العربيّة "أهل الكشة" (أهل الصندوق) وبعد مدّة كانوا يزيدون من كميات البضاعة ويسافرون بين المدن المجاورة فيصبحون "تجار شنطة". حيث قال فيهم الدّيبلوماسي والمؤرخ البرازيلي "دولفو مينازس" إنّ تاجر الشنطة كان ينتسب بنسب إلى الغزاة المستكشفين الأوائل (البانديراتش) وفي الواقع فإن تجار الكشة هؤلاء قد أدوا دورًا تاريخيًا في تطور مناطق الداخل في البرازيل، إذ أنهم كانوا يصلون إلى حيث لا يصل البريد في ذلك الوقت وينقلون إلى تلك المناطق أحداث المدن الكبرى وأخبارها، مساعدين في ذلك على توثيق الصّلة بين الأرياف والدّساكر والمدن.

وانطلاقًا من "الكشة" التي كانوا يحملونها على ظهورهم، فإنهم فتحوا دكاكين صغيرة تحوّلت مع الوقت إلى محلات تجاريّة كبيرة. ثم عندما شعروا بالاستقرار الاقتصاديّ والاندماج الاجتماعيّ، أخذوا يتعاطون بأمور الثّقافة والعلوم السياسيّة ويؤسسون النّوادي والجمعيات والمدارس ودور الأيتام والمستشفيات والصحف. وقد صدرت أول صحيفة في البرازيل باللغة العربيّة في مدينة "كاميناس" عام 1895 م. على يد "سليم باليش" اللبناني الذي يعود بأصله إلى مدينة زحلة.

منذ حوالي عام 1910 م، بدأت تتبلور مرحلة الاستقرار التي اتسمت بهجرة المزيد من النّساء اللبنانيات وتكوين الأسر في المواطن الجديدة، وتحوّل الإستيطان المؤقت شيئًا فشيئًا إلى جاليات دائمة تمارس مختلف الأعمال، وانتقل

كثير من المغتربين تدريجيًا إلى صفوف الطبقة الوسطى، وبدأوا يندمجون في المجتمع ويؤسّسون النوادي والمنظمات الخيريّة في مواطن تجمعهم.

وتوجد بعض المعلومات عن هذه المنظمات الأميريّة ـ العربيّة وغيرها من المنظمات في كتاب "تقويم الأميركيين العرب" عام 1948، الذي يضم تعريفًا بمئتي شخصية أميركية بارزة من أصل عربي، ومنهم: جورج قاسم، الذي كان أوّل عربي يدخل مجلس النّواب، فيكتور عطية أول شيخ من أصل عربيّ في مجلس الشّيوخ، جورج سنونو الذي تولى منصب رئيس هيئة العاملين في البيت الأبيض في عهد الرئيس جورج بوش، وجورج ميشال الذي أصبح زعيمًا لنواب الأغلبية في مجلس الشيوخ، وغيرهم...

لقد تبين لنا أن البلدان الأميركية وخاصة اللاتينية كانت الهدف الأساسي للمغترب اللبناني. وقد بدأت الهجرة ما قبل عام 1860 م. إلى البرازيل وسائر المناطق الأميركية.

وعلى أثر الأحداث المتكررة في لبنان، ونتيجة الظّروف الاقتصاديّة السيئة وعدم الاستقرار، وحيث أنّ الأرض هي المصدر الأساس للرّزق والعيش. وحيث فقد الأمان في أغلب المناطق اللبنانية، بدأ المنحى باتجاه الغربة. مستخدمين "البابور" قاصدين أميركا أو البرازيل. وحيث أن البابور يتوقف للراحة وتعبئة الوقود عند أول يابسة، فكان المسافرون يظنون أنفسهم قد وصلوا إلى البلد المقصود، ولكن يتفاجأون أنهم في السنغال. وهكذا بدأ الاغتراب إلى إفريقيا.

ونتيجة الذكاء و"الحربقة" التي عرف بها اللبناني. وبما أنّه وصل إلى منطقة غير التي يقصدها. حاول أن يتأقلم مع الوضع الجديد، ويتعلّم اللّغة السّائدة، واشتغل في البداية لدى المستعمر، إنكليزيًا كان أم فرنسيًا، حيث كان المستعمر يضع يده على كل مصادر الدولة المستعمرة من قبله.

عمل اللبناني في إفريقيا بالزراعة، الكاكاو، الفستق، ثم بالتجارة بعد أن تعرف على أبناء البلد وأقام علاقات جيدة معهم، وبدأ يساهم في تنمية البلد التي يقيم فيها، ومنها إلى بلده الأم، حيث لعب، ولا يزال، دورًا بارزًا في التنمية المحلية.

أسماء لأوائل المغتربين إلى بعض الدول:

- في بريطانيا = عبدالله طراد عام 1862.
- في الأرجنتين = سمعان إدلبي وزوجته عام 1855م.

وتبعه حبيب النشابي من بشري عام 1868، ثم أنطونيو عوالد ومخايل ملحم السمعاني واسكندر كرم ويوسف رفول.

- في كندا = إبراهيم أبو نادر من مدينة زحلة، وسليم الياس الأشقر وجوزيف جباعي، عام 1880م. وتبعهم أسد سويد وأديب فرج الله وحنا المظلوم عام 1881م.
- في المكسيك = رشيد كامل من بكفيا عام 1880م، ويعقوب صوما عواد من حصروت عام 1882م.
- في تشيلي = نخول سرور من طرابلس ـ ميشال شيخاني من بكفيا، عام 1981م.
- في كولومبيا = عقل سكر وفريد شاكر عام 1880م.
- في كوبا = أنطون فرج من بلدة عابا في الكورة عام 1879م. وتبعه ابنه نسيم عام 1884، ونوردان كرم أبو أحمد عام 1885م.
- في أستراليا = نخلة ناصيف ومسعود النشابي وميشال يزبك ورشيد عريضة ورفول واكيم وكلهم من الشمال. وحنا عبود من راشيا الوادي، وطانيوس أبو خطار من زحلة، وقد هاجروا عام 1876م.
- أوائل المغتربين إلى إفريقيا، حيث حطوا في البداية في السنغال، ثم في مختلف الدول الإفريقية، وهم من عائلات: برجي ـ عمر ـ شقير ـ ثابت ـ بارود ـ طراف ـ معتوق ـ عازار ـ خوري ـ ياسين ـ سعد ـ حدرج ـ وهبي ـ غندور ـ جابر ـ صالح ـ عساف ـ حب الله ـ طراف... وعملوا أغلبيتهم في التجارة.
- أول محل تجاري في سان لويس كان لنجيب عكرا عام 1897 م.
- أول من حط رحاله إلى كندا عام 1890 هو اللبناني سعيد شحادة عيد، الذي كان يرتدي لدى وصوله إلى مرفأ فانكوفر الزي اللبناني التقليدي: السروال والطربوش. ثم تبعه إبراهيم أبو نادر والآخرون واستقر جميعهم في مونتريال.
- عدد المسجلين في دوائر الهجرة الكندية من لبنان بلغ عام 1890 خمسين شخصًا، بينما من منطقة الشرق الأوسط مجتمعة حوالي 2000 شخص.
- أول صالتين للسينما في مدينة أوتاوا ومونتريال عام 1910 للأخوين الياس وجوزيف لاوند.

ـ أول الواصلين إلى نيجيريا هو الياس خوري عام 1886م. وإلى سيراليون عبدالله قدور، وإلى غينيا يعقوب البيطار عام 1893، والحاج أحمد زهر عام 1907.

وهكذا، توالى وصول المغتربين إلى مختلف بقاع العالم، وقد دفع الوضع المتردي الذي يمر به لبنان خلال هذه الحقبة التّاريخية بعشرات الآلاف من الشباب إلى السّفر ومعظمهم من أصحاب الكفاءات وحملة الشهادات العليا. وبات أي مواطن لبناني ينتظر الفرصة المؤاتية التي تسمع له بمغادرة لبنان والعمل في الخارج هربًا من سياسة النهب والفساد السائدة، وعدم توفر فرص العمل، وغياب الأمان الاجتماعي والاقتصادي وبالتالي السياسي.

أرقام تقريبية بعدد المغتربين في بعض الدول:

ـ في البرازيل = 8 ملايين، منهم 2 مليون يتواصلون مع أهلهم.
ـ في الولايات المتحدة = 5,3 مليون، 3,1 منهم يتواصلون.
ـ في الأرجنتين = 2,1 مليون، 400 ألف منهم يتواصلون.

وبعد ذلك تأتي أستراليا ـ إفريقيا ـ أميركا الجنوبية والوسطى ـ كندا ـ المكسيك ـ كولومبيا ـ دول التعاون الخليجي.

بعض المراجع:

ـ كتاب عالم التّاريخ البرازيلي "برناردو دي أزفيد" بعنوان: كتابات في أميركا قبل التّاريخ.
ـ كتاب روبرتو خطاب "البرازيل ولبنان، صداقة تتحدى المسافات".
ـ وثائق موجودة في متحف الماريشال روندوف.
ـ كتاب قيصر معلوف "ذكرى المهاجر".
ـ كتاب فجر الهجرة: مأسي ونوادر للدكتور جهاد نصري العقل، الذي يتحدث عن الهجرة اللبنانية الحديثة وتعاطي المؤسسات الرسمية والأهلية معها.
ـ منشورات: لبنان في العالم، العدد 31، تشرين الثاني 2011.

المحور الثاني

جغرافيا الاغتراب

دائمًا مع رجالات العلم والمعرفة الذين يقضون حياتهم بين صفحات الكتب والبحث العلمي والمعرفي.

المحور الثاني في هذا اليوم يعالج: "جغرافيا الاغتراب". ويترأسه أستاذ جامعي وباحث راقٍ، تعتلي أبحاثه ومؤلفاته قمة مجد المعرفة، فتصول وتجول في كل ميادين العلم، ويتألق...

من منا لايعرف الباحث في الشؤون الاقتصادية والهجرة الأستاذ الدكتور بطرس لبكي.

ختام فحص

رئيس الجلسة: الباحث في شؤون الاقتصاد والهجرة:

أ.د. بطرس لبكي



- مهندس مدني.
- دكتور بالاقتصاد، دكتور بالتاريخ الاقتصادي.
- متخصص في شؤون التنمية والهجرة.
- عمل في وزارة التصميم العام.
- نائب اول لرئيس مجلس الإنماء والإعمار 1991-2000.
- رئيس مركز الابحاث في معهد العلوم الاجتماعية، وأستاذ متقاعد في معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية والجامعة الاميركية في بيروت وجامعة القديس يوسف في بيروت. ومدير ابحاث في نفس الجامعة.
- استشاري لدى مؤسسات لبنانية وعربية واوروبية ودولية. له مؤلفات عديدة وآخرها: "هجرة اللبنانيين: 1850- 2018 - مسارات عولمة مبكرة".

تسجّل الإحصاءات ارتفاعًا متواصلاً في أعداد المهاجرين اللبنانيين، في مقابل اهتمام متزايد بمؤتمرات «الطاقة الاغترابية» و«الانتشار اللبناني». لكننا لم نلاحظ تغييرًا يذكر في المقاربة الرسمية للملف الاغترابي كما هي سائدة لعقود طويلة.

فالتفاعل بين العوامل الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية يؤثّر على عدد المهاجرين ويحدّد، بخلاف الاختيارات الفردية، محاورها الرئيسة في كل فترة، والعائدات المحتملة للبلاد. ويقيس الباحث نجاح تجارب اللبنانيين في المهجر بناء على معايير متعدّدة. في أميركا اللاتينية مثلاً تميّز المغتربون اللبنانيون تاريخيًا بالاندماج وبالدور السياسي الكبير الذي لعبه عدد كبير منهم، وبنسبة أقلّ في اقتصادات تلك الدول. أما في الولايات المتحدة، فبرعوا في المجالات العلمية والثقافية. وفيما حقّق المغتربون اللبنانيون في إفريقيا والخليج العربي ثروات وعائدات مالية كبرى، اتّسمت الهجرة إلى أوروبا بالاندماج المجتمعي والثقافي.

الهجرة اللبنانية انتقلت تدريجًا أثناء الحروب المتعددة الجنسيات على أراضي لبنان (1975 ـ 1990) وبعدها، من هجرة ذات طابع إقليمي مشرقي عربي غالب إلى هجرة أكثر عولمة تطاول الدول الصناعية في أوروبا وأميركا الشمالية وأستراليا ودول الكتلة السوفياتية السابقة، وتتجدّد إلى بعض بلدان أميركا اللاتينية، بينما تنحسر الهجرة التقليدية إلى دول النفط العربي ودول إفريقيا... ومنذ عام 1991 تطوَّرت الهجرة اللبنانية للتعَوْلُم بطريقة لم يسبق لها مثيل.

الهجرة اللبنانية: خريطة الشتات:

العميد أ.د. علي فاعور



- أستاذ الجغرافيا وعميد كلية الآداب، والعميد المؤسس لكلية السياحة والفنادق في الجامعة اللبنانية (سابقًا)
- عضو مجلس إدارة المجلس الوطني للبحوث العلمية.
- عمل خبيرا ومستشارا لدى عدة هيئات عربية ودولية.. ونشر عدة كتب وأبحاث واطالس جغرافية منها "أطلس لبنان".

نقاط البحث

1 ـ خريطة الشتات والهجرة اللبنانية، والهجرات الحديثة.

2 ـ السياسات الملائمة لإدارة الهجرة... تجارب عالمية.

3 ـ كيفية إشراك المهاجرين في عملية التنمية.

أولاً ـ خارطة الشتات[1]، والإنتشار اللبناني في العالم

يتراوح عدد المهاجرين اللبنانيين والمغتربين من أصل لبناني المنتشرين خارج لبنان في بلدان العالم ما بين 8 و10 مليون نسمة، أو ما يزيد على ضعف عدد اللبنانيين المقيمين في لبنان، ويشمل هذا العدد المهاجرين منذ القِدم مع أنسبائهم وأحفادهم، من جميع الطوائف وبخاصة من المسيحيين الذين كانوا يشكلون الأغلبية في الهجرات القديمة.

أما بلدان الهجرة والاغتراب اللبناني، فهي تتوزع وفق الآتي:

* **المنطقة الأولى:** تشمل بلدان أمريكا اللاتينية، حيث تكوَّن أكبر تجمّع للمهاجرين من أصل لبناني في البرازيل، وهناك أيضًا عدة بلدان في أمريكا اللاتينية إستقطبت اللبنانيين، وهي: الأرجنتين والمكسيك والإكوادور وفنزويلا وجمهورية الدومينيكان.. التي تضم أكبر جاليات للمغتربين اللبنانيين في الخارج.

* **المنطقة الثانية:** تشمل بلدان العالم الجديد، خارج أمريكا اللاتينية، وذلك

---

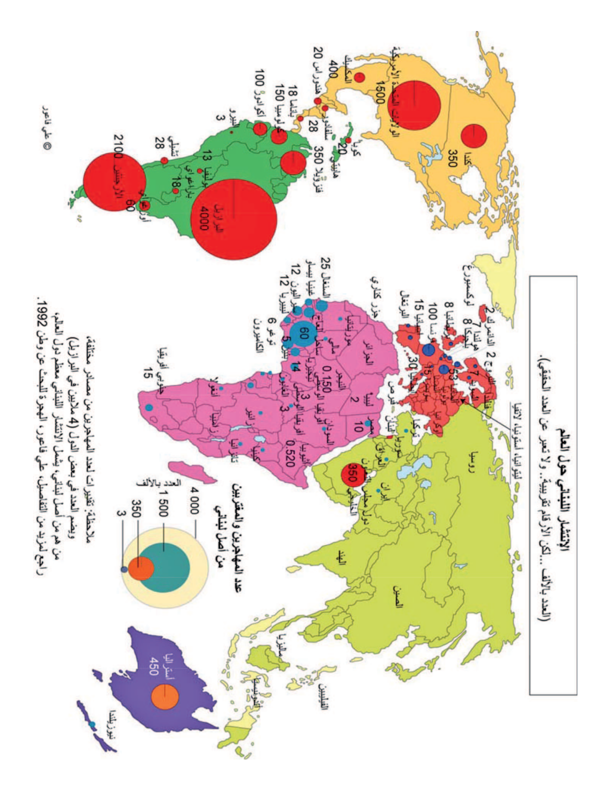
(1) د. علي فاعور: "جغرافية الشتات، الهجرة وشبكات الشتات في بلدان الاغتراب" (Geography of Diaspora)، كتاب صادر عن دار المؤسسة الجغرافية، عام 2015، 429 صفحة.

في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا، والتي كانت مُلتقى موجات الهجرة اللاحقة، وبخاصة أثناء الحرب الأهلية وبعدها.

* **المنطقة الثالثة:** تشمل بلدان قارة أوروبا وهي التي إستقبلت الهجرات الحديثة أيضًا، وبخاصة في المانيا وفرنسا والسويد وإيطاليا وأسبانيا، وبلجيكا، والدانمرك وغيرها..

* **المنطقة الرابعة:** تتمثل في بلدان الخليج العربي، وهي عبارة عن دول مجلس التعاون الخليجي الست، وهي: المملكة العربية السعودية، دولة الإمارات العربية المتحدة، قطر، الكويت، البحرين وسلطنة عُمان.. وهي تضم مجتمعة أكثر من 500,000 لبناني.

* **المنطقة الخامسة:** تشمل بلدان غرب إفريقيا، وتضم 15 دولة، وبخاصة في ساحل العاج، والسنغال، ونيجيريا، وغينيا، وسيراليون، وغانا، وليبيريا، ومالي، والكاميرون..



الإنتشار اللبناني في العالم: خريطة الهجرات الدولية الحديثة (منتصف عام 2013)

يمكن بحسب التقديرات الأخيرة الصادرة عن شعبة السكان في الأمم المتحدة[1] منتصف عام 2013، معرفة الاتجاهات التي سلكتها موجات الهجرة اللبنانية الحديثة في الخارج، مع تقديرات عامة لعدد المهاجرين وتوزيعاتهم بحسب البلدان المستقبِلة (الجدول رقم...). وفي حين يبلغ إجمالي عدد المهاجرين في العالم نحو 232 مليون نسمة، يُقدَّر عدد اللبنانيين منهم بـ683,067 فردًا ينتشرون بحسب الخريطة المرفقة (خريطة رقم...) في مختلف القارات والبلدان حول العالم، حيث تكوّنت شبكات واسعة من الاغتراب اللبناني بدأت تتوسع لتشمل الجزر البعيدة ما وراء البحار، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً وصلت قوافل المهاجرين إلى جزر هاواي، وحتى المناطق النائية في شبه جزيرة آلاسكا...

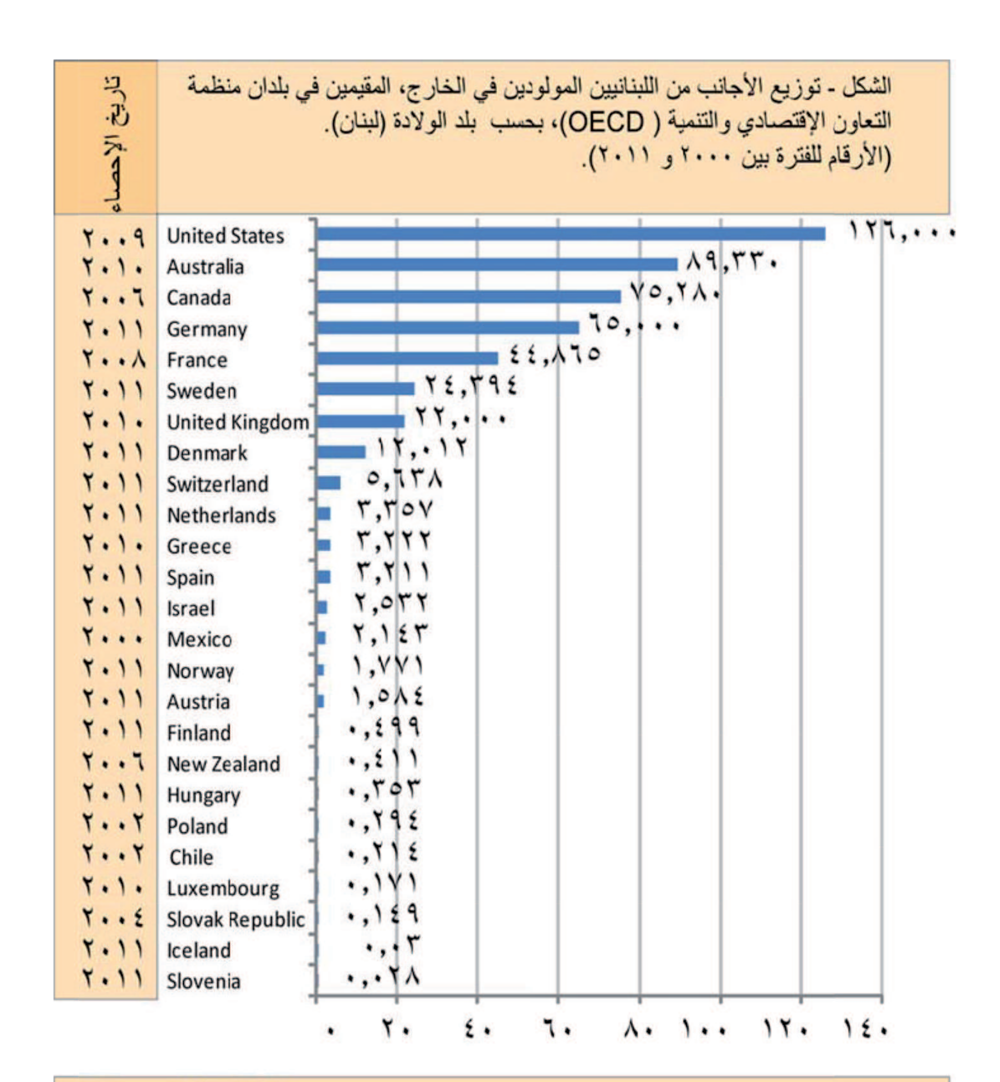
وبينما تبدو الأعداد صغيرة إجمالاً، فهي تتناول فقط توزيعات المهاجرين الأجانب، بحسب بلد المولد (Foreign born)، أي أنها لا تشمل جميع اللبنانيين من مختلف الأجيال، بل تقتصر على أفراد الجيل الجديد الذين ولِدوا في لبنان، كما أنها لا تضم أبناءهم المولودين في المهجر. وفي الواقع، إن أحصَيْنا كلّ اللبنانييّن في المهجر، يتراوح عددهم بين 8 و10 مليون كما أشرنا سابقًا.

ويأتي لبنان بالمقارنة مع بقية البلدان العربية في المرتبة السادسة من حيث عدد المغتربين في العالم، وفق التوزيع الآتي: مصر (3,470,627)، المغرب (2,871,663)، العراق (2,318,622)، الجزائر (1,767,050)، السودان (1,158,880)... وكذلك بالنسبة للهجرة من سورية (683,746)[2]، والأردن (639,315)... كما يُلاحَظ أن حركة الهجرة تشمل بلدان الخليج العربي الغنية بالنفط مثل المملكة العربية السعودية (265,801)، والكويت (323,271)، وحتى قطر (19,912)، والإمارات العربية (153,806)، وذلك لأنّ أسباب الهجرة لا تقتصر على البحث عن عمل بل هناك دوافع اجتماعية وسياسية وأمنية، باتت تشكل عوامل أساسية في حركة الهجرة الدولية.

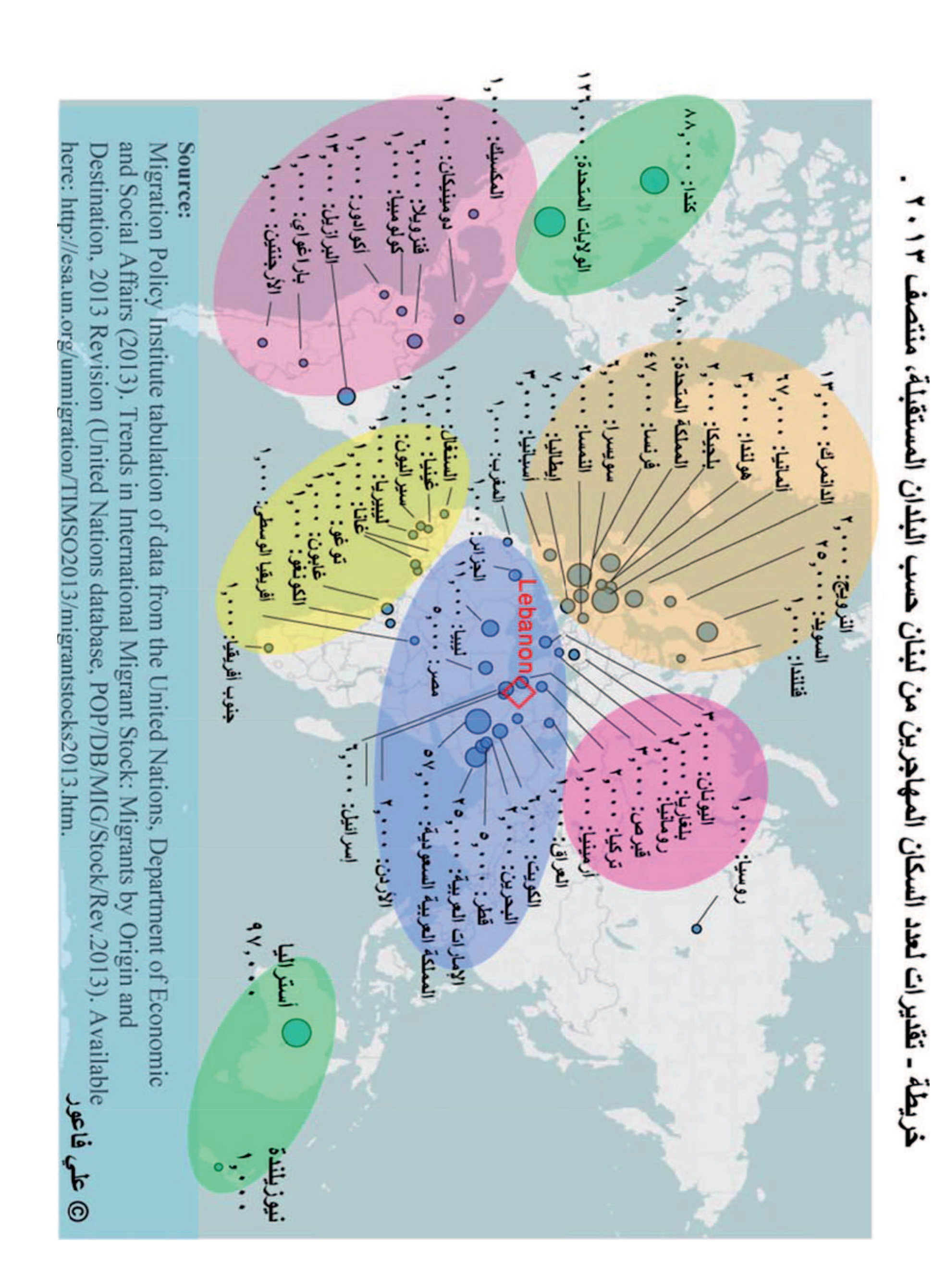
---

(1) المصدر: الأمم المتحدة، شعبة السكان التابعة لإدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية. اتجاهات المهاجرين الدوليين: المهاجرين عن طريق المنشأ والوجهة. الجدول 10.

(2) ولمزيد من التفاصيل حول تزايد أعداد المهاجرين من سوريا للفترة الأخيرة منذ عام 2011، راجع للدكتور علي فاعور: كتاب "الإنفجار السكاني، هل تبقى سوريا، وهل ينجو لبنان"، دار المؤسسة الجغرافية عام 2015.



أما بالنسبة لاتجاهات الهجرة اللبنانية (منتصف عام 2013)، فتأتي الولايات المتحدة الأمريكية في مقدمة بلدان الإستقبال (126,355 مهاجر)، تليها أستراليا (96,800)، ثم كندا (87,526)، وألمانيا (67,031)، والمملكة العربية السعودية، وفرنسا والسويد.. (الشكل أعلاه)



خريطة - تقديرات لعدد السكان المهاجرين من لبنان حسب البلدان المستقبلة، منتصف ٢٠١٣ .

شبكات الاغتراب اللبناني في العالم

أدى الإنتشار اللبناني في العالم منذ القديم إلى إنشاء جاليات كبرى، أخذ يتزايد عدد أفرادها نتيجة عدم الإستقرار الأمني في لبنان، وتجدد النزاعات الأهلية، وبروز الأزمات الاقتصادية وإنتشار البطالة، مما أدى إلى نشوء شبكات واسعة من

المغتربين، أخذت تنمو وتتوسع في مختلف القارات. ويمكن نتيجة توفر الإحصاءات تحديد مناطق الحضور اللبناني والثقل الذي تمثله الجاليات اللبنانية المتواجدة في الخارج، وبخاصة في المدن العالمية الكبرى، وفق التوزيعات الآتية:

1 ـ الولايات المتحدة الأمريكية

2 ـ أستراليا

3 ـ كندا

4 ـ بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية

الشتات اللبناني في الولايات المتحدة

يتبيّن بحسب نتائج تعداد عام 2000، أن 440,279 شخص من العرب الأمريكيين في الولايات المتحدة هم من أصل لبناني. أما المدن التي تضم ألف شخص أو أكثر قي لائحة الأنساب وتزيد فيها نسبة من هم من أصل لبناني على 1,5 في المائة، فهي تشمل نحو 59 مدينة وناحية، وتأتي في المرتبة الأولى ولاية ميشيغان التي تضم أكثر من 10 مدن ترتفع فيها نسبة اللبنانيين، وتأتي في المقدمة مدينة ديربورن (Dearborn) حيث كانت تبلغ نسبة اللبنانيين 15,7 في المائة (عام 2000)، غروس بوينت 6,7 في المائة (Grosse Pointe)، غروس بوينت شورز 6,6 في المائة (Grosse Pointe Shores)، وديربورن هايتس.

بدأت موجات الهجرة العربية إلى الولايات المتحدة بأعداد كبيرة منذ العام 1880، أما اليوم فتشير التقديرات إلى أن ما يقرب من أربعة ملايين من الأمريكيين تعود جذورهم إلى بلد عربي، حيث تنتشر الجاليات العربية الأمريكية في جميع الولايات، لكن دراسة التوزيعات الجغرافية تبيّن أن نحو ثلثي هذا العدد يعيش في عشر ولايات، هي الولايات الكبرى من حيث عدد السكان، وتضم: كاليفورنيا، ميتشيغان، نيويورك، فلوريدا، تكساس، نيو جيرسي، إلينوي وأوهايو وبنسلفانيا، وفرجينيا. كما أن ثلث هذا العدد يعيش في ثلاث ولايات، هي: كاليفورنيا، نيويورك، وميشيغان.

أما على مستوى المدن، فيلاحظ أن حوالي 94 في المائة منهم يعيشون في المناطق الحضرية، في مدن ديترويت ولوس انجليس ونيويورك، وشيكاغو، واشنطن العاصمة، وشمالي شرقي نيوجرسي، وهي أعلى ستة مجمعات متروبولية

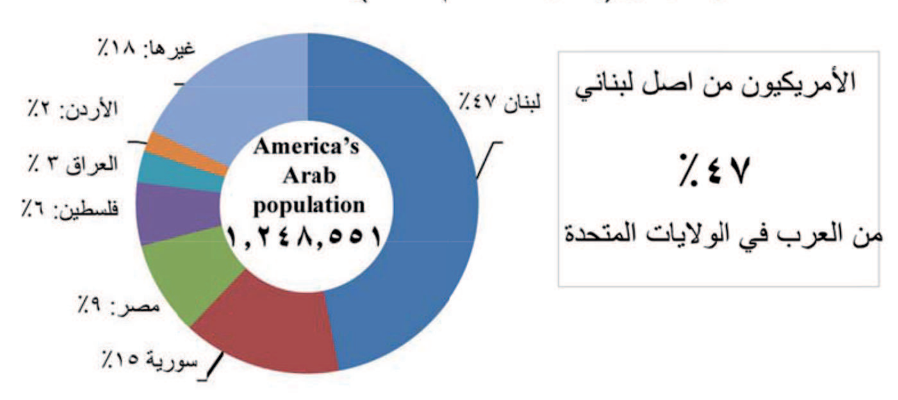
تضم التركيز الأميركي العربي، بحيث أن المدن الثلاث الأولى هي موطن لثلث السكان العرب.

وتتنوّع الهجرات العربية بحسب البلدان الأصلية، حيث توجد تجارب غنية وفريدة من نوعها في الولايات الأمريكية، إذ لا زالت الجاليات العربية متمسكة بهويتها العرقية، كما أن غالبية الأمريكيين العرب ترجع في أصولها إلى الموجات الأولى من المهاجرين من دول جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، ومعظمهم من المسيحيين والمسلمين الذين تركوا بلدانهم أثناء النزاعات، مما أدى إلى نمو المجتمع العربي الأمريكي.

وعلى عكس الإفتراضات الشائعة، نجد أن الغالبية العظمى من العرب الأمريكيين هم من المولودين في الولايات المتحدة، من أحفاد المهاجرين الأوائل والمهاجرين الجدد العاملين في جميع قطاعات المجتمع، وفي مواقع رائدة في العديد من المهن والمنظمات، ولديهم إلتزام قوي بالأسرة ومساهمات فعّالة في مختلف جوانب الحياة الأمريكية، بحيث أن التراث العربي يعكس ثقافة واسعة عمرها آلاف السنين، كما أن ما يقرب من 82 في المائة من العرب في الولايات المتحدة هم مواطنون لديهم الجنسية الأمريكية، كذلك فالجاليات العربية تعود جذورها إلى البلدان الأصلية، وهي لا زالت لديها علاقات مع بلد المنشأ في لبنان وسورية وفلسطين ومصر والعراق..

ويشكل الأميركيون من أصل لبناني الجزء الأكبر من إجمالي عدد العرب الأميركيين المقيمين في معظم هذه الولايات، باستثناء ولاية نيو جيرسي، حيث تشكل الجالية المصرية الأمريكية أكبر مجموعة عربية، أما بالنسبة للأمريكين العرب من أصل سوري فهم يشكلون غالبية العرب الأمريكيين في ولاية رود آيلاند، في حين أن أكبر عدد من السكان الفلسطينيين يوجد في إلينوي، وتتركز الجاليات العراقية والآشورية / الكلدانية في ولاية إيلينوي، ميتشيغان، وكاليفورنيا.

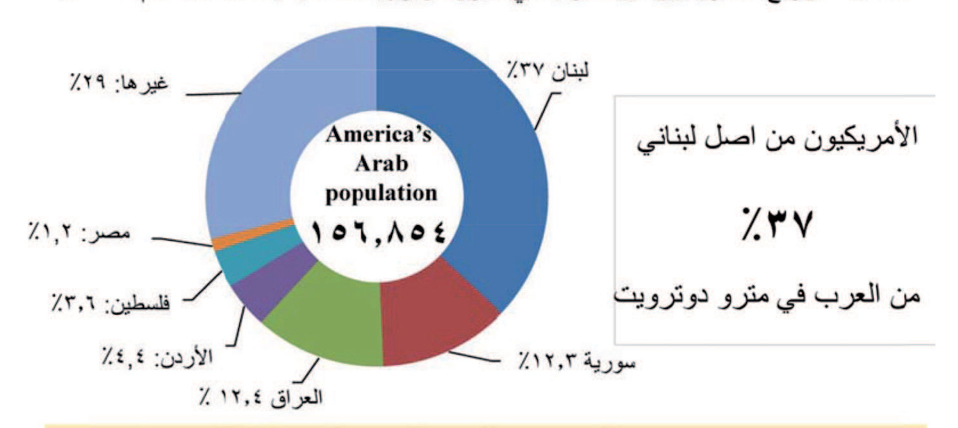
الشكل - توزيع الأمريكيين من العرب في الولايات المتحدة حسب بلد الأصل (بحسب تعداد عام ٢٠٠٠).



في مسح المجتمع الأمريكي عام ٢٠١١، فقد ذكرمكتب الإحصاء الأميركي أن هناك ما يقرب من ١,٨ مليون من العرب الأميركيين الذين يعيشون داخل الولايات المتحدة، بزيادة حوالي ٤٧٪ عن حجم السكان عام ٢٠٠٠، لكن بحسب المعهد العربي الأمريكي، فإن العدد أكبر بكثير نتيجة تزايد عدد العرب الأمريكيين، بحيث يُقدر عددهم بنحو ٣,٧ مليون نسمة.

U.S. Population with Arab Ancestry the U.S. Census Bureau since 1980

الشكل - توزيع الأمريكيين من العرب في مترو دوترويت حسب بلد الأصل عام ٢٠٠٠.



Source: U.S.Census Bureau, Detroit News research.

U.S. Census Bureau. "2011 American Community Survey 1-Year Estimates." 2011.

©Ali Faour

أما مصادر المعطيات الديموغرافية المجمّعة حول جذور العرب الأمريكيين، فهي حصيلة مكتب الإحصاء، وبيانات مسح المجتمع الأمريكي، أما التوقعات فهي تستند إلى دراسات إستقصائية متنوّعة أخرى من عمل الباحثين والمنظمات المختصة، مثل مؤسسة زغبي الدولية، ومراكز مختارة أخرى.

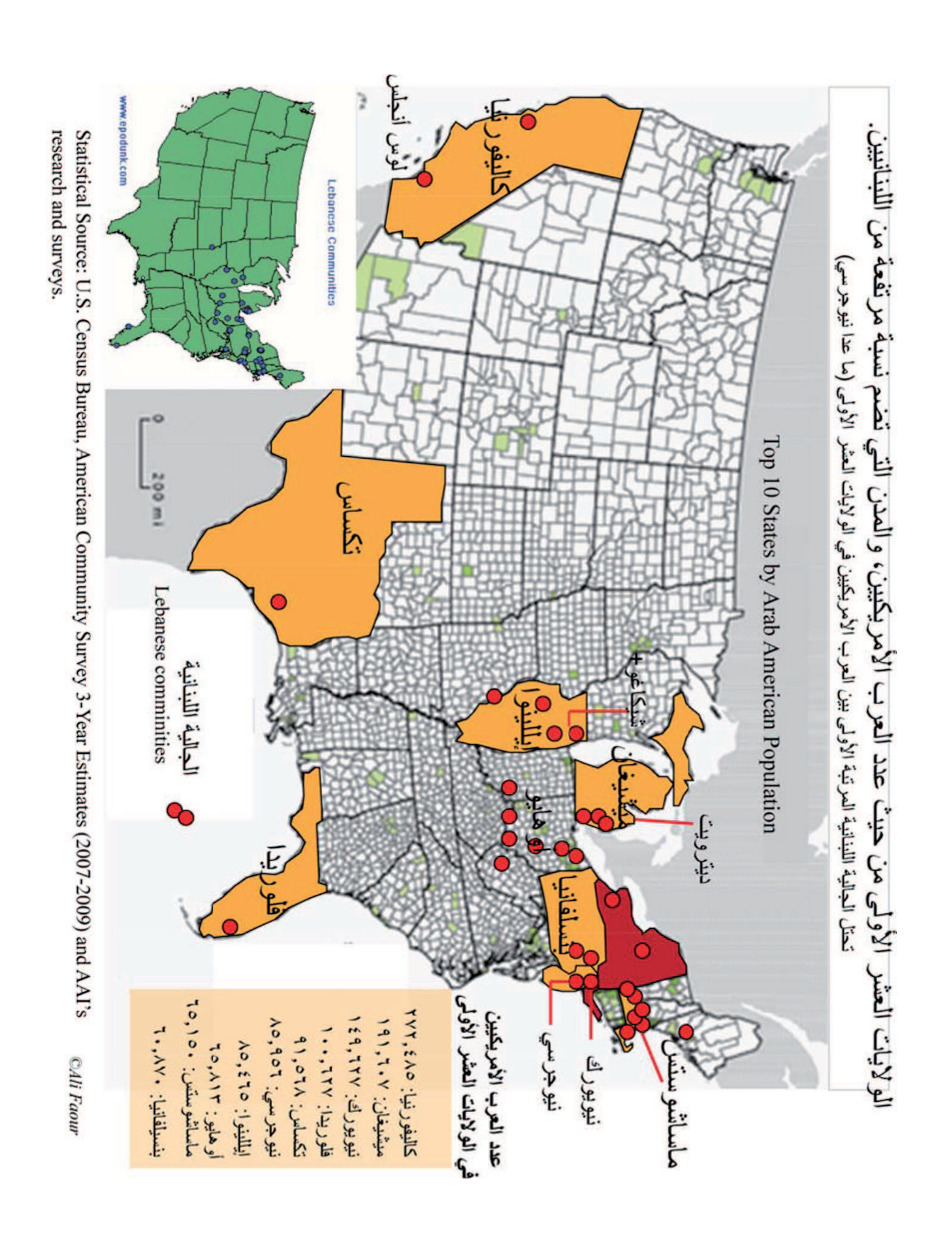
وبحسب تقديرات مكتب الإحصاء الأمريكي، نجد أن 1,9 مليون على الأقل من الأميركيين هم من أصل عربي. وتقدر المؤسسة العربية المعهد الأمريكي (AAIF) أن الرقم أقرب إلى 3,5 مليون نسمة (الشكل).

أما أكبر جالية أمريكية عربية في ولاية اريزونا فهي المغربية (34 في المائة من مجمل العرب الأمريكيين)، بينما في ولاية رود ايلاند فيوجد عدد وافر من الأمريكيين من أصل عربي سوري (الجالية السورية 40 في المائة، بعدها اللبنانية 37 في المائة)، وعدد وافر من السودانيين في نبراسكا وساوث داكوتا.

في حين أن أكبر عدد من السكان الفلسطينيين يوجد في كاليفورنيا (الجالية الفلسطينية 7 في المائة مقابل 22 في المائة للعرب من أصل لبناني)، وأكبر تجمع للفلسطينيين يمكن العثور عليه في إلينوي (الجالية اللبنانية 12 في المائة وتليها الفلسطينية 11 في المائة). وهناك أيضًا جالية عربية كبيرة من العراقيين الذين يعيشون في ميشيغان، كما يرتفع عددهم في ولاية كاليفورنيا (يمثلون نحو 7 في المائة في مقابل 22 في المائة للجالية اللبنانية)، على الرغم من أن ولاية كاليفورنيا هي أكبر بثلاث مرات من ميشيغان[1].

ولمزيد من التفاصيل حول تزايد أعداد المهاجرين من سوريا للفترة الأخيرة منذ عام 2011، راجع للدكتور علي فاعور: كتاب "الإنفجار السكاني، هل تبقى سوريا، وهل ينجو لبنان"، دار المؤسسة الجغرافية عام 2015..

(1) بالنسبة لعدد المهاجرين الجدد، نجد أن ما يقرب من ثلث العرب الأميركيين في ولاية مشيغان هم من المولودين في الخارج، وكثير منهم وصل من العراق بعد حرب الخليج لعام 1991، وحرب العراق عام 2003، وتعتبر كاليفورنيا، وكذلك ميشيغان، بمثابة الوجهة المفضلة للمهاجرين الجدد إلى الولايات المتحدة، ويتوزع المهاجرين الجدد حسب بلد المنشأ وفق الآتي: العراق 36,727، لبنان 20,319، اليمن 11,463، الأردن 3,797، سوريا 3,343 (حتى ما قبل الأزمة الأخيرة عام 2011).



ومنذ عام 2003 أصبحت البيانات متوفرة حول الأنساب المتاحة من خلال مسح المجتمع الأميركي (*ACS*). وذلك بإختيار عيّنة تستخدم لطرح هذا السؤال حول "النسب" ، لتحل محل دراسة "مطوّلة" أثناء التعداد كل عشر سنوات. في حين أن المقصود في التعداد كل عشر سنوات أن تتم معرفة الخصائص الاجتماعية

والديموغرافية للسكان، من خلال أسئلة متنوّعة ومتعددة تتراوح بين التعليم والدخل ثم اللغة والنسب.

اتجاهات النمو بحسب الولايات الأمريكية الكبرى

إرتفع عدد السكان الناطقين بالعربية وهم من أصل عربي في الإحصاء الأميركي بأكثر من 72 في المائة بين عامي 2000 و2010. كما تضاعف عدد العرب (وبخاصة في ميشيغان)، والذين هم من أصل عربي بنحو ثلاث مرات تقريبا منذ التعداد الأول لتصنيف الأنساب والأصول العرقية في عام 1980، وتعتبر الجالية العربية من بين الأسرع نموا بين السكان في مختلف الولايات، بحيث تشير التقديرات[1] إلى أن عدد السكان العرب (بحسب مسح الأنساب Ancestry) على مستوى الولاية في كاليفورنيا يصل إلى أكثر من 500,000 شخص[2].

أما بالنسبة لعدد المهاجرين الجدد فقد جاء أكبر عدد من المهاجرين العرب إلى نيويورك في السنوات الأخيرة من مصر واليمن والمغرب. بحيث يتوزع عدد المهاجرين الجدد بحسب بلد المنشأ وفق الآتي: مصر 19,477، اليمن 10,539، المغرب 8,838، لبنان 7,646، سوريا 5,531.

كما يلاحظ في نيويورك، وفقا لتعداد عام 2010، أن ما يقرب من 21 في المائة من العرب الأمريكيين في الولاية لهم جذور لبنانية، وهم ينتشرون في مختلف الأماكن. ومنذ عام 1990، بدأت تظهر زيادة كبيرة في عدد سكان نيويورك الذين هم من أصل مصري ويمني. وقد تضاعف عدد السكان العرب أيضًا منذ العام 1980، لكن البعض من المشاركين العرب (نحو 17 في المائة) في المسح السكاني حول النسب لم يحدد بلد المنشأ، واختار أصل الهوية العامة "العربية / العربية"، وتشير التقديرات أيضًا إلى أن عدد السكان العرب الأمريكيين في نيويورك يصل إلى نحو 449,187 شخص[3].

---

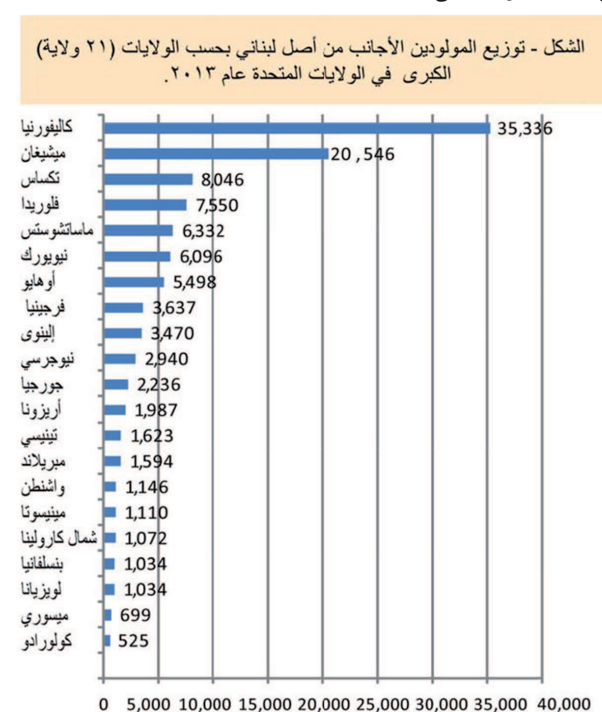
(1) تقديرات من إعداد المعهد العربي الأمريكي، راجع: Arab American Institute Foundation 2011.

(2) أنظر مسح المجتمع الأمريكي: U.S. Immigrant Population by Metropolitan Area http://factfinder.census.gov/faces/nav/jsf/pages/index.xhtml

(3) تشير الأبحاث التي أجراها المعهد العربي الأميركي (*AAI*) ومؤسسة زغبي الدولية، إلى أن التقدير الأخير في المسح والبالغ 149,720 شخص من أصل عربي، هو على الأرجح أقل بكثير من العدد الفعلي=

نسبة اللبنانيين بين الأجانب المولودين في الخارج:

التعاريف: إن مصطلح "المولودين في الخارج" يشير إلى الناس المقيمين في الولايات المتحدة في وقت إجراء المسح السكاني، من الذين كانوا لا يحملون الجنسية الأمريكية عند الولادة. ويشمل أيضًا السكان المتجنسين في الولايات المتحدة، والمهاجرين بصفة قانونية (أو أصحاب البطاقة الخضراء)، واللاجئين وطالبي اللجوء، وبعض المهاجرين بطرق غير قانونية (بما في ذلك الموجودة بالنسبة للطالب، والعمل، أو بعض التأشيرات المؤقتة الأخرى)، والأشخاص الذين يقيمون في البلاد من دون ترخيص..



الشكل - توزيع المولودين الأجانب من أصل لبناني بحسب الولايات (٢١ ولاية) الكبرى في الولايات المتحدة عام ٢٠١٣.

ملاحظة: بلغ عدد المولودين الأجانب من أصل لبناني في الولايات المتحدة عام ٢٠١٣، نحو ٣٦٢,٣٠٩ نسمة. وهم يمثلون نحو ربع مجمل المولودين العرب (*foreign-born*) والبالغ ١,٤٤٧,٨٢٢ شخص.

ويتبين من التوزيعات الجغرافية أن المولودين الأجانب من أصل لبناني، يتواجدون أيضاً في مختلف الولايات الأمريكية (٥٢ ولاية)، وعلى سبيل المثال في نيفادا (وعددهم ١,٣٨٨)، ونيوهامبشاير (٤٨٤ مولود في لبنان)، وميسيسيبي (٢٨١)، وأيوا (٢٣٢)، وكذلك في ألاسكا (١٣٩).

©Ali Faour

Sources:

Migration Policy Institute, U.S. Census data on U.S. immigrants and the native born. State Immigration Data Profiles.

أما مصطلح "المولودين في الولايات المتحدة"، فهو يشير إلى الناس المقيمين في الولايات المتحدة الذين يحملون الجنسية الأمريكية، في واحدة من ثلاث فئات: الأشخاص الذين ولدوا في واحدة من 50 ولاية أو مقاطعة كولومبيا. والأشخاص الذين ولدوا في مناطق تابعة للولايات المتحدة، مثل: الجزر مثل بورتو ريكو أو

=للأميركيين العرب في الدولة. ذلك أن التعداد الذي ينفذ كل عشر سنوات لا يشمل سوى جزء من السكان العرب، وذلك من خلال سؤال حول "الأصول" وبناء على استمارة التعداد الطويلة. =

جوام، أو الأشخاص الذين ولدوا في الخارج وأحد الوالدين على الأقل مواطن أمريكي الأصل.

أما بالنسبة للمهاجرين، من المولودين في الخارج (Foreign born)، بحسب بلدان المنشأ وبحسب بيانات مكتب الإحصاء الأمريكي، حول مسح المجتمع الأمريكي، اعتبارا من عام 2013، كان ما يقرب من 1,020,000 من المهاجرين من منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (MENA) يقيمون في الولايات المتحدة، وهو ما يمثل 2,5 في المئة من مجمل 41,3 مليون مهاجر في البلاد.

وتأتي الجالية اللبنانية في المرتبة الثالثة من حيث العدد (بالنسبة لبلدان الشرق الأوسط وشمالي إفريقيا، الجدول 1) بعد مصر والعراق، كما يبرز دور المهاجرين من المملكة العربية السعودية في المرتبة الرابعة، كما تزايد عدد السوريين بعد الأزمة التي بدأت منذ منتصف العام 2011 ولا زالت مستمرة.

وتأتي في مقدمة أسباب الهجرة من منطقة الشرق الأوسط إلى الولايات المتحدة، حالة إنتشار النزاعات والحروب، وعدم الاستقرار السياسي في المنطقة، وتوفر الفرص الاقتصادية في الخارج.

الجدول 1 ـ توزيع المهاجرين من بلدان منطقة الشرق الأوسط وشمالي إفريقيا المقيمين في الولايات المتحدة، عام 2013.

البلدان والمنطقة	عدد المهاجرين	نسبة مئوية	المرتبة
بلدان الشرق الأوسط	695,000	68,3	
العراق	201,000	19,8	الثانية
الأردن	66,000	6,5	السادسة
الكويت	23,000	2,2	
لبنان	126,000	12,2	الثالثة

= وتعود اسباب النقص في الأعداد إلى طريقة السؤال حول أصل السكان (تمييزا لها عن العرق والإثنية)؛ ثم تأثير منهجية العينة التي تضم مجموعة عرقية صغيرة موزعة بشكل غير متساو. كما توجد مستويات عالية من الزواج والإختلاط بين الجيل الثالث والرابع، بالإضافة إلى عدم الثقة / وسوء الفهم حول نطاق الاستطلاعات الحكومية بين المهاجرين الجدد.

العربية السعودية	89,000	8,7	الرابعة
سورية	79,000	7,8	الخامسة
اليمن	41,000	4,0	الثامنة
بلدان شمالي إفريقيا	322,000	31,7	
مصر	176,000	14,7	الأولى
المغرب	64,000	6,3	السابعة
السودان	41,000	4,0	الثامنة
بلدان أخرى في شمالي إفريقيا	41,000	4,0	الثامنة
مجموع الشرق الأوسط وشمالي إفريقيا	1,017,000	100,0	

المصدر: معهد سياسات الهجرة (MPI) تبويب البيانات من مكتب الإحصاء الأميركي، عام ACS 2013.
Migration Policy Institute (MPI) tabulation of data from U.S. Census Bureau, 2013 ACS.
MPI tabulation of data from the U.S. Census Bureau pooled 2009-13 ACS.

ملاحظة: تم تحديد بلد المنشأ للمهاجرين بحسب مكان الميلاد (إحصاء المهاجرين من المولودين في الخارج (Foreign born).

وبما أنه من غير الممكن تحديد جميع البلدان بحسب مكان الميلاد في مسح المجتمع الأميركي، الذي يعده مكتب الإحصاء الأميركي (ACS). فقد تم تصنيف بعض الردود في فئات عامة (على سبيل المثال، تونس والصحراء الغربية يتم تجميعها معا تحت فئة "شمال إفريقيا، وهي غير مصنفة في مكان آخر"). كا تم الإقتصار على ذكر البلدان الرئيسة من حيث أعداد المهاجرين.

الشتات اللبناني في أستراليا

يعود تاريخ الهجرات الأولى من لبنان إلى أستراليا[1] إلى الربع الأخير من القرن

(1) بلغ عدد سكان استراليا المقيمين حتى 17 تموز /يوليو 2015 نحو 23,834,374 نسمة، وذلك بزيادة بلغت=

التاسع عشر، حيث وصل أول مهاجر لبناني للإستيطان عام 1876، وبحلول عام 1947 بلغ عدد السكان من المولودين في لبنان والمولودين في سورية نحو 1886شخص، حيث كانت الغالبية العظمى من الموارنة، ثم الروم الكاثوليك والأرثوذكس، بالإضافة إلى عدد قليل من الدروز الذين إستقروا في جنوب أستراليا.

ويمكن التمييز بين ثلاث "موجات" رئيسية من الهجرة اللبنانية والاستيطان في أستراليا، وهي قد توزعت على مراحل زمنية وفق الآتي:

* المرحلة الإستكشافية القديمة، تمتد الفترة بين 1880-1947،

* المرحلة الثانية، بين 1947-1975،

* والمرحلة الثالثة ما بين 1975-2000؛

* المرحلة الرابعة، بدأت منذ العام 2000 ولا تزال التدفقات متواصلة...

وقد تفاوتت نسبة الزيادة في أعداد المهاجرين من فترة لأخرى، فقد شكلت السنوات 1947-1961 بداية زيادة صافية في عدد المهاجرين في أستراليا، من المولودين في لبنان بلغت حوالي 400 شخص سنويًا، ثم تضاعفت إلى 800 شخص سنويا خلال الفترة 1961-1966. لكن الحرب العربية-الإسرائيلية عام 1967 وعدم الإستقرار في المنطقة بشكل عام، أدت إلى حركة هجرة ضخمة أثناء الفترة 1966-1971 وصلت إلى مستوى 3000 مهاجر سنويا قبل أن تنخفض إلى حدود 2200 سنويا حتى عام 1976.

ونتيجة الارتفاع المستمر في حركة الهجرة اللبنانية، فقد تزايد عدد المهاجرين اللبنانيين (من المولودين في لبنان) في استراليا في الفترة من 10,688 شخص في عام 1966 إلى حوالي 33,424 شخص في عام 1976.

كما أدى اندلاع الحرب الأهلية في لبنان في عام 1975، إلى زيادة موجات الهجرة اللبنانية إلى أستراليا أثناء المرحلة الثالثة لكن الحكومة الأسترالية فرضت

=نحو 2,3 مليون عن عام 2011، وذلك بحسب بيانات المركز الإحصائي الأسترالي.
Australian Bureau of Statistics. Australian Demographic Statistics, *This projection is based on the estimated resident population at 31 December 2014. http://www.censusdata.abs.gov.au/census.*

قيودًا جديدة بإعطاء الأولوية لأفراد الأسرة من المهاجرين في استراليا، حيث هاجر نحو 16,000 لبناني حتى عام 1981.

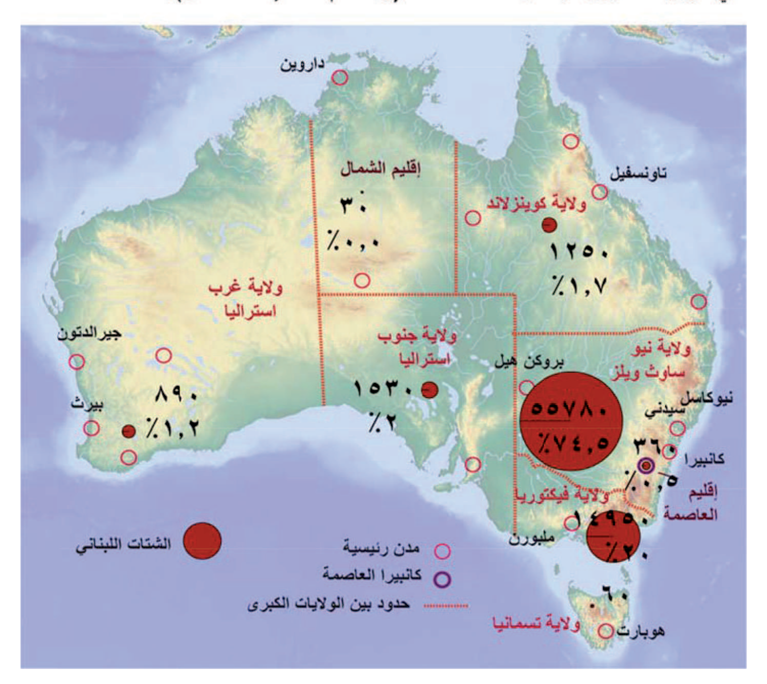
وحتى إجراء التعداد عام 2001، فقد بلغ عدد المهاجرين من المولودين في لبنان نحو 71,310، يمثلون نحو 1,7 في المائة من المولودين خارج أستراليا، و0,4 في المائة من مجموع عدد سكان أستراليا.

أما بحسب التعداد الذي جرى في استراليا عام 2006 فقد إرتفع العدد ليبلغ نحو 74,850 شخص من الذين ولدوا في لبنان، وذلك بزيادة قدرها 5 في المائة عن تعداد عام 2001. أما التوزيع الجغرافي بحسب الولايات فيُبين أن مقاطعة نيوساوث ويلز في الجنوب تضم نحو 75 في المائة (55,780 شخص) من المولودين في لبنان، تليها فيكتوريا بنسبة 20 في المائة (14,950 شخص)، ثم مقاطعة جنوب أستراليا (1530 شخص)، وكوينزلاند (1250 شخص)..

والبارز بالنسبة لحركة الهجرة اللبنانية أن المسح المتعلق بالأنساب (*Ancestry*) في المجتمع الأسترالي عام 2006، والذي شمل مختلف الأنواع والأنساب البشرية، يوضح أن أستراليا هي بحق خزان التنوّع البشري حول العالم، حيث جرى تصنيف العديد من الأنساب والأصول البشرية، التي لجأت إلى أسترليا وإستقرت فيها منذ عشرات السنين، وعبر أجيال متلاحقة، حيث تكوّن منها النسيج البشري للمجتمع الأسترالي، الذي كان يضم عام 2006، نحو 25,451,000 نسمة، وقد جاء ترتيب الشتات اللبناني في المرتبة 11 بين أكبر الشتات في أستراليا، وقد بلغ عدد أفرادها نحو 181,751 شخصًا، بينما بالمقابل بلغ عدد أفراد الشتات المصري 31,786، ثم أخيرًا فئة جاليات عربية مختلفة وعددها 19,970 شخص، وذلك وفق التوزيعات الكبرى الآتية[1]:

(1) إن معرفة أصل الشخص بحسب بلد المنشأ، وذلك بالاقتران مع بلد الميلاد، وسواء ولد والديّ الشخص في أستراليا أو في الخارج، يوفر مؤشرًا جيدًا على خلفية عرقية لتصنيف الجيل الأول والجيل الثاني من الأستراليين. كما أن أصل الشحص مفيد بشكل خاص للتعرف على المجموعات العرقية أو الثقافية داخل أستراليا، مثل الماوري أو الأسترالية جنوب البحر، والجماعات التي تنتشر في جميع أنحاء البلاد مثل الأكراد أو الهنود.. هذه المعلومات أساسية في وضع السياسات التي تعكس احتياجات المجتمع الأسترالي، ومدى فعالية تقديم الخدمات للمجتمعات والجماعات العرقية الخاصة. راجع موقع: http://factfinder.census.gov/faces/nav/jsf/pages/index.xhtml

خريطة - أستراليا: توزيع المهاجرين من المولودين في لبنان بحسب أماكن إقامتهم في الولايات الكبرى، بحسب تعداد ٢٠٠٦ (وعددهم ٧٤,٨٥٠ شخص).



الجدول 2 - فئات الشتات الأسترالية موزعة بحسب النسب والعرق، وترتيب الشتات اللبناني بالنسبة للفئات الكبرى التي يبلغ تعدادها 18,458 نسمة وأكثر، بحسب تعداد السكان والمساكن عام 2006

المرتبة	الفئات السكانية	العدد
1	الاسترالية	7,491,264
2	الإنجليزية	6,283,642
3	الأيرلندية	1,803,740
4	الاسكتلندية	1,501,204
5	الايطالية	852,417
6	الألمانية	811,541
7	الصينية	669,896
8	اليونانية	365,145

9	الهولندية	310,089
10	الهندية	234,718
11	اللبنانية	181,751
12	الفيتنامية	173,663
13	البولندية	163,802
14	النيوزيلندية	160,679
15	الفلبينية	160,377
مجموع السكان لجميع فئات المجتمع الأسترالي		**25,451,000**

المصدر: تعداد السكان والمساكن عام 2006، معرفة الأصول العرقية والنسب (قائمة تصنيف كاملة)، كومنولث أستراليا 2. (ولمزيد من التفاصيل راجع كتاب جغرافية الشتات، الصادر عن دار المؤسسة الجغرافية، صفحة 377-378) عام 2015.

Australien Bureau of Statistics.2006 Census of Population and Housing, Cat. No. 2068.0 - 2006 Census Tables. ANCESTRY (FULL CLASSIFICATION LIST) BY SEX. Australia.

اللبنانيون في مدينة سيدني

تضم مدينة سيدني الكبرى تجمعات كبيرة من الجماعات المهاجرة، وتصنف كلاً من الجاليات اللبنانية والفيجية والكورية والنيبالية، بين المجموعات الكبرى من السكان في سيدني، وعلى سبيل المثال فإن نحو سبعة من اصل كل عشرة من المهاجرين اللبنانيين في استراليا يعيش في سيدني..

كما تستقطب المدينة المهاجرين اللبنانيين الجدد، من المولودين في لبنان، الذين يتجمعون في وسط العاصمة، وفي أحياء بانكستاون بما في ذلك جبل لويس (18في المائة)، وبانشبول (16 في المائة)، وكذلك في الضواحي، مثل جنوب غرانفيل وغيلدفورد[1]...

(1) راجع مكتب الإحصاءات الأسترالي، أين يعيش المهاجرين؟ الاتجاهات الاجتماعية الأسترالية، 2014؛
Australian Bureau of Statistics,Where do migrants live? Australian Social Trends, 2014.
"..The suburbs where Lebanese migrants made up the largest proportion of the population were situated in the Bankstown area including Mount Lewis (18%), Punchbowl (16%), and Greenacre (15%). Suburbs north-west of these, such as South Granville (15%), Old Guildford (14%) and Guildford (13%), also had relatively large Lebanese-born populations.."

الجدول 3 ـ موقع اللبنانيين بين الجماعات العرقية والأنساب الرئيسية للسكان في سيدني الكبرى (كما شملهم الاستطلاع الشامل حول النسب والجدودية في عام 2011)

أو الأنساب الأكثر شيوعًا في سيدني (المنطقة الحضرية) (إسستطلاع عام 2006)	عدد السكان	النسبة إلى مجموع السكان في سيدني نسبة مئوية
أسترالية	999,000	27,4
أنكليزية	840,118	23
صينية	287,952	7,9
أيرلندية	277,545	7,6
أسكتلندية	202,938	5,6
إيطالية	157,765	4,3
لبنانية	125,257	3,4
يونانية	106,003	2,9
هندية	90,944	2,5
ألمانية	86,721	2,4
المجموع	3,641,424	100

المصدر: المركز الإحصائي الأسترالي، إحصاء عام 2011. إستطلاع حول توزيع الأنساب والمجموعات العرقية الكبرى.

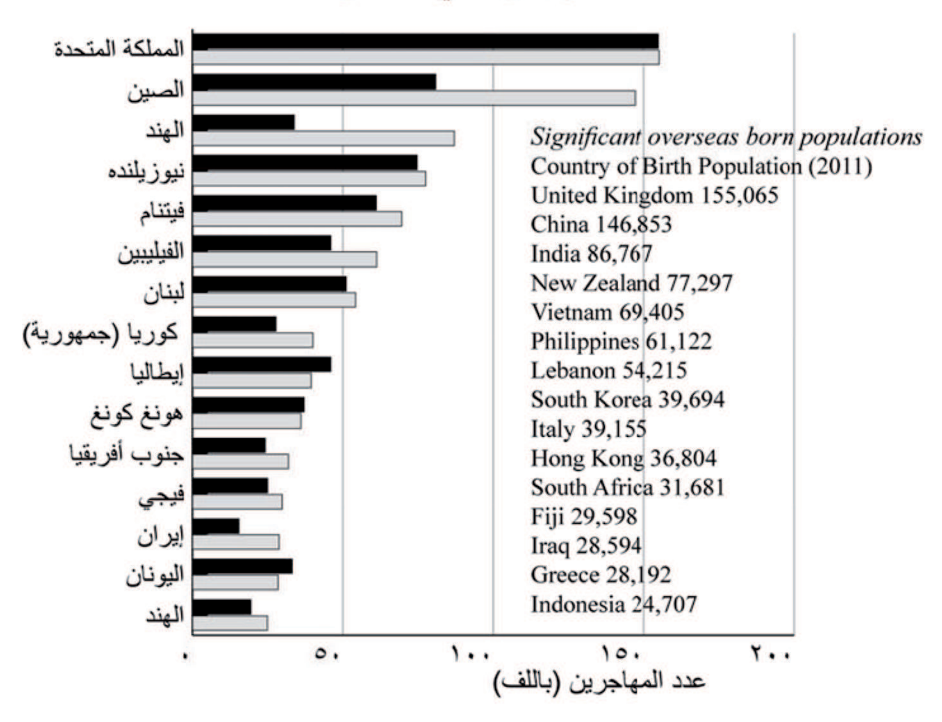
http://www.censusdata.abs.gov.au/census

Ethnic groups: The principal ancestries of Greater Sydney's residents (as surveyed in 2011)

Who are Sydney's largest migrant groups?

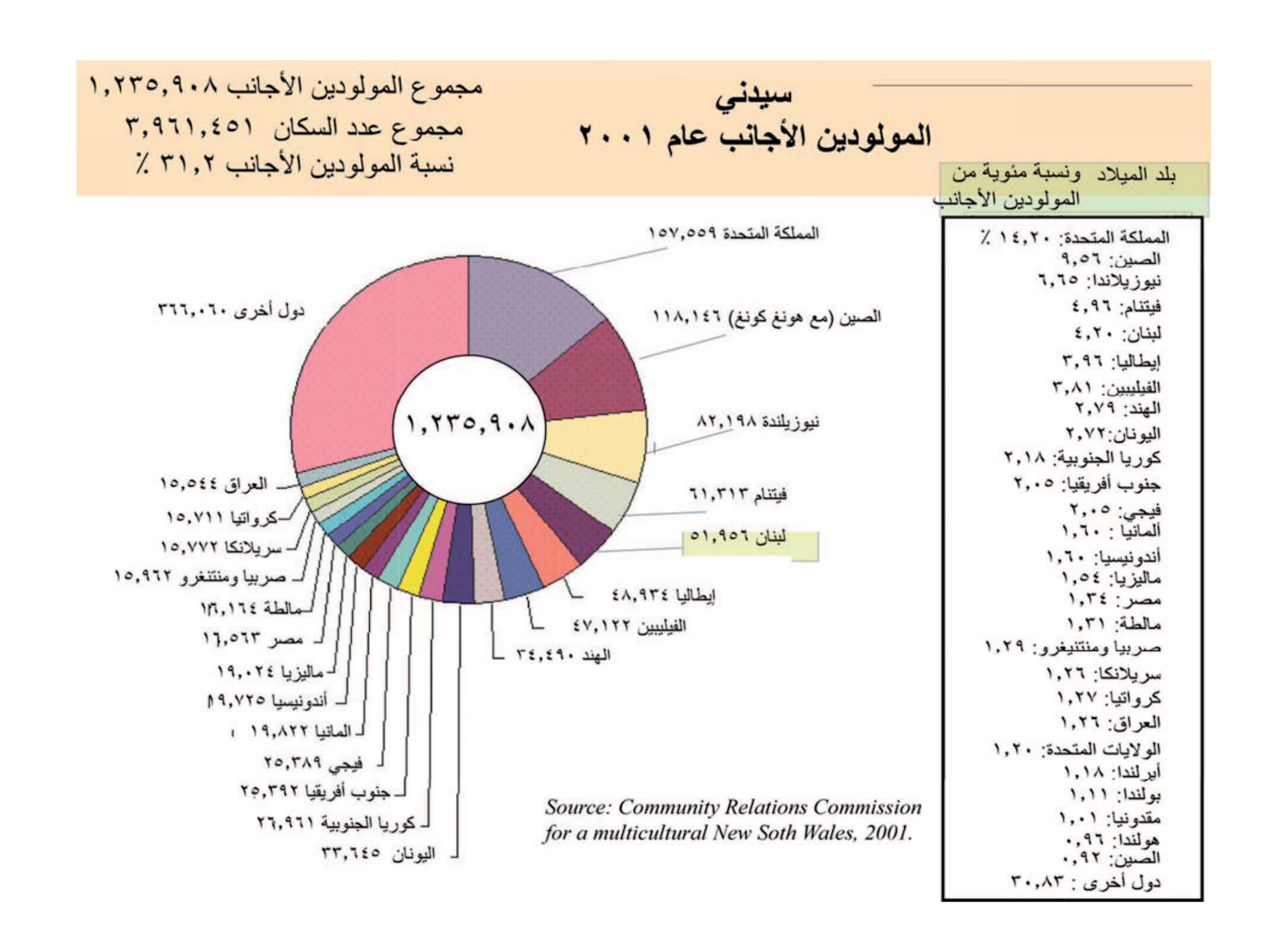
MIGRANTS IN SYDNEY BY COUNTRY OF BIRTH - 2001 AND 2011

سيدني (أستراليا): توزيع المهاجرين من المولودين الأجانب بحسب بلدان المنشأ
ال ١٥ الكبرى بين عامي ٢٠٠١ و ٢٠١١.



Source(s): ABS Census of Population and Housing, 2001 and 2011

Footnote(s): Countries of birth with the highest numbers of residents in Sydney


سيدني
المولودين الأجانب عام ٢٠٠١
مجموع المولودين الأجانب ١,٢٣٥,٩٠٨
مجموع عدد السكان ٣,٩٦١,٤٥١
نسبة المولودين الأجانب ٣١,٢ ٪
١,٢٣٥,٩٠٨
المملكة المتحدة ١٥٧,٥٥٩
الصين (مع هونغ كونغ) ١١٨,١٤٦
نيوزيلندة ٨٢,١٩٨
فيتنام ٦١,٣١٣
لبنان ٥١,٩٥٦
إيطاليا ٤٨,٩٣٤
الفيليبين ٤٧,١٢٢
الهند ٣٤,٤٩٠
دول أخرى ٣٦٦,٠٦٠
العراق ١٥,٥٤٤
كرواتيا ١٥,٧١١
سريلانكا ١٥,٧٧٢
صربيا ومنتنغرو ١٥,٩٦٢
مالطة ١٦,١٦٤
مصر ١٦,٥٦٣
ماليزيا ١٩,٠٢٤
أندونيسيا ١٩,٧٢٥
المانيا ١٩,٨٢٢
فيجي ٢٥,٣٨٩
جنوب أفريقيا ٢٥,٣٩٢
كوريا الجنوبية ٢٦,٩٦١
اليونان ٣٣,٦٤٥
Source: Community Relations Commission for a multicultural New Soth Wales, 2001.
بلد الميلاد ونسبة مئوية من المولودين الأجانب
المملكة المتحدة: ١٤,٢٠ ٪
الصين: ٩,٥٦
نيوزيلاندا: ٦,٦٥
فيتنام: ٤,٩٦
لبنان: ٤,٢٠
إيطاليا: ٣,٩٦
الفيليبين: ٣,٨١
الهند: ٢,٧٩
اليونان: ٢,٧٢
كوريا الجنوبية: ٢,١٨
جنوب أفريقيا: ٢,٠٥
فيجي: ٢,٠٥
ألمانيا: ١,٦٠
أندونيسيا: ١,٦٠
ماليزيا: ١,٥٤
مصر: ١,٣٤
مالطة: ١,٣١
صربيا ومنتنيغرو: ١,٢٩
سريلانكا: ١,٢٦
كرواتيا: ١,٢٧
العراق: ١,٢٦
الولايات المتحدة: ١,٢٠
أيرلندا: ١,١٨
بولندا: ١,١١
مقدونيا: ١,٠١
هولندا: ٠,٩٦
الصين: ٠,٩٢
دول أخرى: ٣٠,٨٣

في نيوزيلندة

بدأت الهجرة إلى نيوزلندة منذ بداية القرن العشرين، ففي عام 1936 بلغ عدد اللبنانيين نحو 1261 شخص، وفي عام 1980 إرتفع عدد المهاجرين اللبنانيين ومن هم من أصل لبناني ليبلغ نحو 5,000 شخص[1].

الشتات اللبناني في كندا

بدأت الهجرة من المواطنين اللبنانيين إلى كندا في عام 1882 ولا زالت مستمرة حتى الوقت الحاضر، بحيث تعتبر كندا وجهة مفضّلة وجذابة للمهاجرين من الشباب اللبناني، الباحثين عن عمل، أو بسبب تردي الأوضاع السياسية والنزاعات الداخلية، ويمكن التمييز بين عدة موجات رئيسية من الهجرة اللبنانية، وفق المراحل الآتية:

- 1882-1936: شملت المهاجرين من القرى والأرياف وبخاصة في وادي البقاع وقد عمل هؤلاء كباعة متجولين، بالإضافة إلى العمال والعاملين في التجارة في مونتريال.
- 1962 -1974: تميزت هذه المرحلة بهجرة الطلاب وقد إستقر معظمهم في كيبيك.
- 1975-1978: غالبية المهاجرين هم من اللاجئين. كما هاجر الكثير منهم أيضًا لأسباب اقتصادية وللإلتحاق بأفراد الأسرة، كما شملت موجات الهجرة المتعلمين وذوي المهارات التقنية؛
- 1987-1991: هي مرحلة هجرة الشباب بحيث أن أكثر من ثلثي المهاجرين كانت أعمارهم فوق 15 سنة، وذلك بالإضافة إلى الهجرة لأسباب اقتصادية ولطلب اللجوء السياسي..
- 1991-1996: معظم المهاجرين إنتقلوا من بلدان أخرى إلى كندا، حيث لجأوا من قبرص وفرنسا والولايات المتحدة. كما تزايد عدد المهاجرين لأسباب اقتصادية، مع تزايد نسبة اللاجئين بسبب الحرب الأهلية.
- 1997-2001: إرتفعت نسبة المهاجرين اللبنانيين لأسباب اقتصادية، وكانت الغالبية من فئة الشباب وأصحاب الشهادات العليا...

---

(1) راجع حول توزيعات المهاجرين العرب واللبنانيين:
Joshua Project. "Arab, Lebanese of New Zealand Ethnic People Profile". Joshuaproject.net. Retrieved 2013-11-18.

ـ 2007- 2010: هجرة اللبنانيين من الشباب الجامعيين والمهنيين (وبخاصة بعد عدوان إسرائيل في تموز 2006)، مع نسبة كبيرة من جنوب لبنان.

ويتبيّن بحسب تعداد 2001 أن عدد المهاجرين اللبنانيين في كندا، أو الذين هم من أصل لبناني يبلغ نحو 143,600 شخص[1]، كما أن ما يقرب من نصف الكنديين ممن هم من أصل لبناني، قد ولدوا في لبنان (49 في المائة)، كما أن غالبية المهاجرين من أصل لبناني هم من الوافدين الجدد، بحيث أن نحو 37 في المائة قد هاجروا إلى كندا بعد الحرب الأهلية وللفترة بين 1991 ـ 2001، كما أن 36 في المائة قد هاجروا أثناء الحرب الأهلية (خلال الثمانينات 1980)، بحيث أن نحو 10 في المائة فقط هاجروا قبل عام 1971[2].

ويتركز السكان اللبنانيين في كندا في المقام الأول في أونتاريو وكيبيك. ففي عام 2001، كان 41 في المائة من المهاجرين اللبنانيين في كندا يعيشون في أونتاريو، فيما يقيم 34 في المائة أيضًا في كيبيك. وفي الوقت نفسه، كانت هناك جماعات أصغر من اللبنانيين في ألبرتا، وهي تمثل 12 في المائة من اللبنانيين عموما، ونوفا سكوتيا (5 في المائة) وكولومبيا البريطانية (4٪) ونيو برونزويك (2٪).

أما من حيث توزيعات أعداد المهاجرين فقد كان هناك ما مجموعه 59,000 من الكنديين من أصل لبناني مقيم في أونتاريو في عام 2001، في حين كانت هناك 49,000 في كيبيك، و18,000 في ألبرتا، و7,000 في نوفا سكوتيا، و6,000 في كولومبيا البريطانية، و2,000 في نيو برونزويك. وفي الوقت نفسه، كانت هناك مجتمعات أصغر من اللبنانيين في المقاطعات والأقاليم الأخرى[3].

أما على مستوى المدن والتجمعات الحضرية الكبرى ففي عام 2001 كانت منطقة مدينة مونتريال تضم أكبر الجاليات اللبنانية في كندا، وكان ما يقرب من 44,000 شخص من أصل لبناني يعتبرون مونتريال وطنهم. حيث كانت تعتبر موطن نحو 45 في المائة من المهاجرين من أصل لبناني (الشكل).

(1) راجع تعداد السكان في كندا عام 2001: .Statistics Canada, 2001 Census of Canada

(2) إن جميع المعلومات الإحصائية حول أعداد اللبنانيين والجالية اللبنانية، وتشمل الكنديين من أصل لبناني، أو الأشخاص الذين ذكروا أنهم من أصل لبناني، وذلك ردا على سؤال حول الأصل العرقي في 2001، وكذلك خلال تعداد أو مسح التنوع العرقي عام 2002.

(3) أنظر دراسة: Colin Lindsay 2001. Profiles of Ethnic Communities in Canada,The Lebanese Community, Social and Aboriginal Statistics Division.Ottawa, 2001. P. 10.

ويتبيّن من مقارنة بين الجالية من أصل لبناني وغيرها في قائمة الجماعات الإتنية في مونتريال، أن المجتمع اللبناني يأتي في المرتبة التاسعة (بعد إستبعاد الجماعات من أصل كندي، وفرنسي، وأنكليزي)، كما تأتي في المرتبة الأولى بالمقارنة مع غيرها من العرقيات في الشرق الأوسط، وهي تساوي تقريبًا حجم الجالية اللبنانية في كيوبيك (44,965 مقابل 43,740). ويتبيّن من دراسة جرت في وسط مونتريال وشملت الفئة العمرية بين 18 - 44 سنة، أن الجالية من أصل لبناني تمثل نحو 4 في المائة من السكان وبالتالي فقد جاء تصنيفها بين أكبر أربع مجتمعات جنبًا إلى جنب مع الصينيين، واليونانية، والجالية من هاييتي.

وفي نفس الوقت، كانت تورونتو موطن نحو 20,000 شخص من أصل لبناني، أو 14 في المائة من مجمل اللبنانيين، في حين كان هناك عدد مماثل من الأشخاص اللبنانيين يعيشون في أوتاوا، كما كانت الجالية اللبنانية تمثل أكبر حصة بين السكان في أوتاوا بالمقارنة مع بقية المناطق الحضرية (الجدول 4).

الجدول 4 - التوزيع الجغرافي للمهاجرين الذين يعتبرون أنفسهم من أصل لبناني بحسب أماكن إقامتهم في المدن الرئيسية الكبرى في كندا. (Number of individuals identifying themselves of Lebanese origin). **تعداد عام 2001**

المدن الرئيسية Canadian cities		عدد الذين يعتبرون أنفسهم من اصل لبناني
سانت جون	St. John's	230
هاليفاكس	Halifax	3,995
سانت جون	Saint John	885
ساجوينى	Saguenay	85
كيبيك	Québec	595
تروا ريفيير	Trois-Rivières	120
مونتريال	Montreal	43,740
أوتاوا جاتينو	Ottawa-Gatineau	21,115

4,025	London	لندن
6,985	Windsor	وندسور
7,405	Calgary	كالجاري
7,845	Edmonton	ادمونتون
97,025		**المجموع**

المصدر: إحصاءات كندا، تعداد السكان. السكان حسب الأصول العرقية المحددة، والمناطق الحضرية (تعداد عام 2001).

Ministère des Relations avec les citoyens et de l'Immigration, October 2004. Employment integration of Lebanese immigrants and Canadians of Lebanese origin in Quebec's labour market. October 2004. Tabl.1. P.4.

إستقصاء عام 2006:

بحسب إستقصاء حول الأصول العرقية وتصنيف المجموعات الإثنية للمقيمين في كندا (Total - Ethnic origin)، وتشمل المواطنين والمهاجرين والمقيمين بصفة دائمة ومؤقتة وفق إحصاء عام 2006، فقد بلغ عدد المهاجرين والمواطنين الكنديين من أصل لبناني 165,180 شخص، وذلك مقابل 22,065 من أصل سوري، و15,500 من أصل جزائري.. أما بالنسبة لمجموع المواطنين الكنديين المولودين في لبنان، فقد تزايدت أعدادهم وفق التوزيع الآتي:

* عام 1991 بلغ العدد 60,020 نسمة.
* عام 1996 بلغ العدد 64,835 نسمة.
* عام 2001 بلغ العدد 68,510 نسمة[1].

أما عام 2006 وبحسب تعداد السكان، فقد بلغ مجموع المهاجرين الأجانب بحسب بلد الميلاد نحو 6,186,950 نسمة، وقد جاء ترتيب الجالية اللبنانية في المرتبة الأولى بين المجموعات العربية، وفق الآتي:

(1) أنظر نتائج التعداد السكاني عام 2006: Source: *Statistics Canada, 2006 Census of Population.* *http://www.statcan.ca*

الجدول 5 ـ تزايد عدد أفراد الجاليات العربية في أستراليا،
والجالية اللبنانية في المرتبة الأولى عام 2006

بلد الميلاد	المجموع	قبل 1991	1995-1991	2000-1996	2006-2001
لبنان	75,275	41,320	15,790	6,815	11,355
مصر	40,575	21,975	5,990	5,740	6,875
المغرب	39,055	14,460	3,555	6,240	14,800
العراق	33,545	6,420	8,210	8,930	9,980
الجزائر	32,255	3,615	3,165	9,245	16,235

المصدر: نتائج التعداد السكاني عام 2006:

Statistics Canada, 2006 Census of Population.

http://www.statcan.ca

وفي عام 2011 بلغ عدد المواطنين من المولودين الأجانب 6,775,800 شخص، وهم يمثلون نحو 20,6 في المائة من مجموع السكان (مقارنة مع 19,8 في المائة عام 2006).

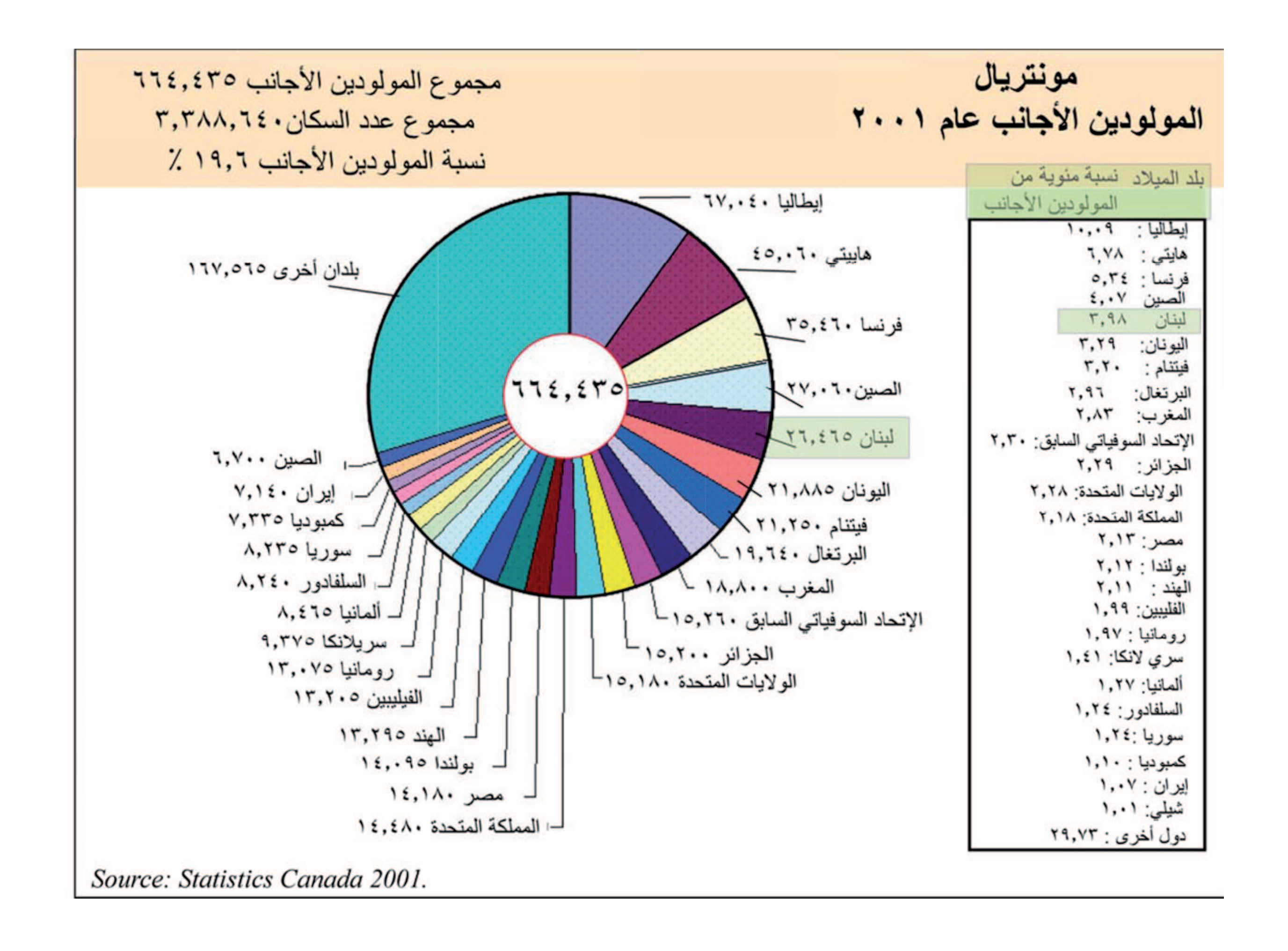
أما توزيعات المهاجرين فيلاحظ أنه من بين 6,8 مليون مهاجر في كندا، فإن 91 في المائة منهم يعيشون في المدن الكبرى، وبخاصة في المراكز المدينية الكبرى، وهي تضم:

تورنتو (يعيش فيها نحو 37,4 في المائة من مجمل الأشخاص المولودين في الخارج في كندا)، وقد بلغ عدد المهاجرين فيها نحو 2,5 مليون شخص عام 2011، وهم يمثلون 46 في المائة من سكان تورنتو.

فانكوفر، وهي تضم نحو 913,300 مهاجر، أو نحو 13,5 في المائة من مجمل المهاجرين في كندا، وهم يمثلون نحو 40 في المائة من جميع سكان فانكوفر.

مونتريال، وهي تضم 846,600 مهاجر، أو نحو 12,5 في المائة من مجمل المهاجرين، وهم يمثلون نحو 22,6 في المائة من مجمل سكان مونتريال.

أوتاوا، وتضم 3,5 في المائة من مجمل المهاجرين المولودين في الخارج، أو نحو 235,300 مهاجر..



Source: Statistics Canada 2001.

أما بالنسبة لأفراد الجالية اللبنانية[1]، فقد تزايد عدد المهاجرين اللبنانيين في كندا بنسبة 9 في المائة بين عامي 1996 و2001، أو أكثر من ضعف معدل النمو في عدد السكان الإجمالي[2]..

* إن ما يقرب من نصف السكان اللبنانيين الذين يعيشون في كندا هم من المولودين خارج البلاد. ذلك أن غالبية المهاجرين الكنديين من أصل لبناني قد جاءت إلى كندا في العقدين الماضيين.

* في عام 2001، كان 75 في المائة من الناس الذين عرفوا أنفسهم كلبنانيين يعيشون في مقاطعتي كيبيك أوأونتاريو. لكن برغم ذلك فإن أكبر مجموعة في الجالية اللبنانية في كندا، تعيش في مدينة مونتريال.

* ومن الخصائص البارزة في التركيب السكاني للجالية اللبنانية، أن أفرادها هم صغار السن نسبيًا. ففي عام 2001، كانت نسبة من هم دون سن 25 تمثل نحو 45 في المائة من الجالية اللبنانية في كندا، وذلك مقارنة مع 33 في المائة من إجمالي عدد السكان.

* ومن الخصائص البارزة أيضًا، أن جميع الكنديين تقريبًا من أصل لبناني يمكنهم إجراء محادثة باللغة الإنجليزية أوالفرنسية في عام 2001، كما أن 37 منهم يتقنون اللغتين معًا، مما يوضح أن غالبية المهاجرين اللبنانيين هم من المتعلمين وأصحاب الشهادات الجامعية العليا، حيث ترتفع نسبة خريجي الجامعات لتبلغ 21 في المائة من الكنديين من أصل لبناني ممن تبلغ أعمارهم 15 سنة وما فوق، كما أن نسبة 60 في المائة منهم كانت لديهم وظائف، وهي نسبة مساوية لغيرهم من السكان الكنديين...

(1) إن غالبية الكنديين من أصل لبناني هم من الطائفة المسيحية. ففي عام 2001، كانت نسبة 42٪ من الجالية اللبنانية في كندا من الكاثوليك، في حين ينتمي 11٪ إلى طائفة المسيحية الأرثوذكسية وينتمي 10٪ إلى المذهب البروتستانتي أو غيرها من الجماعات المسيحية. في الوقت نفسه، كانت نسبة 30٪ من الطائفة الإسلامية.

من ناحية أخرى، فإن عددا قليلا نسبيا (6٪ فقط) من المهاجرين من أصل لبناني ليس لديهم انتماء ديني، مقارنة مع 17٪ من إجمالي عدد السكان في كندا. (نفس المصدر السابق، *Colin Lindsay 2001..* صفحة 12).

(2) أنظر حول الجالية اللبنانية في كندا، دراسة تحليلية: Colin Lindsay 2001. Profiles of Ethnic Communities in Canada,The Lebanese Community. Social and Aboriginal Statistics Division.Ottawa, 2001. 18 p.

الهجرات الحديثة إلى بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)[1]

بلغ عدد المهاجرين اللبنانيين، من المولودين في لبنان، للفترة 2005-2006، بحسب بيانات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية نحو 379,800 نسمة منهم 339,600 مهاجر في بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية[2] (OECD)، وبينهم هجرات حديثة في العام الأخير بلغت 44,100 نسمة، بينما بالمقابل وبحسب البيانات، فقد بلغ عدد المهاجرين السوريين 147,900، والأردنيين 81,100، والعراقيين 526,100 (بسبب غزو العراق)، ومن تونس 513,000، وإيران 833,000. مما يوضح العدد المرتفع للمهاجرين من لبنان بالنسبة لعدد سكانه.

ولا تقتصر الهجرة على هذه البلدان فهناك عدد كبير من المهاجرين من بلدان الخليج مثل العربية السعودية 55,800، والكويت 46,700، والإمارات العربية 22,300.

وتتميز حركة الهجرة من لبنان بأنها تضم الشباب من أصحاب المهارات والشهادات الجامعية العليا، بحيث بلغت نسبة من هم في الفئة العمرية بين 25-64

(1) تضم منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (*Organisation for Economic Co-operation and Development (OECD)*) اليوم 34 عضو تغطي معظم مناطق الكرة الأرضية، من أمريكا الشمالية والجنوبية، إلى أوروبا وآسيا والمحيط الهادئ. وهي تشمل العديد من الدول الأكثر تقدمًا في العالم ولكن أيضًا الدول الناشئة مثل المكسيك وتشيلي وتركيا. وهي:

أستراليا، النمسا، بلجيكا، كندا، تشيلي، الجمهورية التشيكية، الدنمارك، استونيا، فنلندا، فرنسا، ، ألمانيا، اليونان، هنغاريا، أيسلندا، أيرلندا، فلسطين، إيطاليا، اليابان، كوريا، لوكسمبورغ، المكسيك، هولندا، نيوزيلندا، النرويج، بولندا، البرتغال، جمهورية سلوفاكيا، سلوفينيا، إسبانيا، السويد، سويسرا، تركيا، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة.

(2) جميع الأرقام مأخوذة من تقرير "التواصل مع المغتربين..." لمحة عالمية حول المغتربين، ويتضمن هذا التقرير المشترك الصادر عن منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، مع وكالة التنمية الفرنسية، (*OECD / AFD*)، مذكرات قطرية تشمل 140 دولة تتضمن ملخص عن أحجام الشتات، وخصائص السكان المهاجرين، والطلاب المهاجرين..

Connecting with Emigrants. A Global Profile of Diasporas.. OECD/AFD publication includes 140 country notes summarising diaspora sizes, the characteristics of emigrant populations. the numbers and main destinations of international students; recent migrant flows to OECD countries; and more.

سنة نحو 80 في المائة، كما إرتفعت نسبة من لديهم مستوى تعليم عالي لتبلغ حوالي 40 في المائة، وهي تبدو مرتفعة جدًا بالمقارنة مع غيرها من البلدان العربية، بحيث بلغت نحو 16,4 في المائة للمهاجرين من المغرب، ومن تونس 12,6، ومن سوريا 12,9، والعراق 8,3، وإيران 6,9، والأردن 5,8، والسعودية 1,4، والإمارات العربية 1,4..

أما حركة الطلاب الدوليين من اللبنانيين[1]، فهي أيضًا تكاد تنحصر في بلدان المنظمة، حيث يبلغ عدد الطلاب 10,309 طالبًا، يتوزعون على البلدان الرئيسية عام 2009، وفق الآتي: فرنسا (5,254)، الولايات المتحدة (1,793)، أيطاليا (783)، كندا (686)، ألماني (648)..

الهجرات الحديثة: البلدان العشر الأولى المستقبلة للمهاجرين اللبنانيين عام 2010

تتواصل موجات الهجرة اللبنانية إلى الخارج، وهي قد شكلت في الفترة لأخيرة حالة إستنزاف للموارد البشرية، وبخاصة من الشباب المتعلمين وحملة الشهادات الجامعية، وتوضح التدفقات السنوية إلى بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية أن عدد المهاجرين سنويًا للفترة بين 2000-2012، بات يزيد على 12,000 مهاجر سنويًا كمتوسط عام، حيث بلغ العدد 13,683 عام 2006 (الشكل)، وذلك نتيجة الإعتداءات الإسرائيلية على لبنان (12 تموز-14 آب) والتي استمرت نحو 33 يومًا، مما سرّع موجات الهجرة وبخاصة من الشباب إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وألمانيا..(الشكل).

أما توزيع المهاجرين من لبنان بحسب البلدان الرئيسية للهجرة، فيتبيّن أن الهجرات الحديثة للفترة 2005-2006، كانت نحو بلدان المقصد التي تستقطب المهاجرين، وتأتي الولايات المتحدة الأمريكية في المقدمة تليها كندا، وألمانيا، وأستراليا، وفرنسا، وهي التي تتجه إليها موجات الهجرة من لبنان، وذلك وفق التوزيعات الآتية:

(1) راجع أيضًا نفس التقرير السابق، صفحة 286: Connecting with Emigrants.. "International student from Lebanon in OECD countries. 2009".p.286..

الجدول 6 - دول المقصد العشر الرئيسية للمهاجرين بشكل قانوني في عام 2010

بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية	عدد المهاجرين اللبنانيين عام 2009
الولايات المتحدة	3487
كندا	2450
ألمانيا	2118
أستراليا	1177
فرنسا	935
السويد	421
أيطاليا	314
بلجيكا	262
المملكة المتحدة	243
تشيكيا	209

المصدر: راجع تقرير "التواصل مع المغتربين..." لمحة عالمية حول المغتربين، ويتضمن هذا التقرير المشترك الصادر عن منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، مع وكالة التنمية الفرنسية، (OECD / AFD)، مذكرات قطرية تشمل 140 دولة تتضمن ملخص عن أحجام الشتات، وخصائص السكان المهاجرين، والطلاب المهاجرين..

Connecting with Emigrants. A Global Profile of Diasporas.. OECD/AFD publication includes 140 country notes summarising diaspora sizes, the characteristics of emigrant populations

السياسات الملائمة للهجرة

المواقف من الهجرة:

يلاحظ من دراسة البنك الدولي أن العمال المهاجرين في الخارج يرسلون مبالغ نقدية كبيرة من المال إلى أسرهم وبلدانهم الأصلية كل عام حيث يتم تحويل أكثر من 351 مليار دولار إلى البلدان النامية عام 2011 (من مجمل التحويلات العالمية البالغ نحو 483 مليار دولار).

وبحسب إستقصاء أجراه معهد بيو (في عام 2007) للمواقف العالمية من

الهجرة[1]، وشمل السكان في 36 دولة من البلدان النامية حيث تبيّن أن لبنان قد جاء في المرتبة الأولى، ذلك أن 47 في المائة من الذين شملهم الإستطلاع يتلقون المال من أقاربهم[2]، تليه بنغلادش (45 في المائة)، وكذلك بالنسبة لبلدان في إفريقيا، حيث تقول أقليات كبيرة في مالي (42٪)، ونيجيريا (38٪)، والسنغال (37٪)، وإثيوبيا (35٪)، وغانا (33٪) وساحل العاج (27٪)، أنها تتلقى المال من اقارب يعملون في بلدان أخرى، وتأتي المكسيك في المرتبة الأولى (23 في المائة) بين بلدان امريكا اللاتينية.. (الشكل).

أما حول مستويات الهجرة والمواقف العالمية من المهاجرين، فقد بدأت تبرز مواقف سلبية في بعض البلدان الأوروبية، مثل ألمانيا وأسبانيا وإيطاليا، حيث "يجب علينا تقييد ومراقبة دخول الأشخاص إلى بلدنا أكثر مما نقوم به الآن"، بينما يرى غيرهم في كندا والولايات المتحدة مواقف إيجابية تجاه الهجرة، ذلك "انه أمر جيّد أن المهاجرين الآسيويين، والمكسيكيين، ومن أمريكا اللاتينية، يأتون للعيش والعمل في بلدانهم"، وكذلك بالنسبة للأغلبية في فرنسا والمملكة المتحدة، تجاه المهاجرين من الشرق الأوسط وشمالي إفريقيا.

أما لماذا يترك الناس بلدانهم للعيش في بلد آخر فإن أغلبية كبيرة من المهاجرين في بلدان أمريكا اللاتينية، وأوروبا الشرقية، وإفريقيا من البلدان التي شملتها الدراسة، وكذلك في العديد من دول الشرق الأوسط، وآسيا، يقولون أن السبب الأول هو البحث عن فرص العمل. وهذا الرأي هو بالإجماع تقريبا في السنغال وبوليفيا وبولندا، والمغرب وبنغلاديش وبيرو وساحل العاج والبرازيل وسلوفاكيا،

---

(1) راجع موقع "مركز بيو "للأبحاث، المشاهدات، المواقف العالمية، واتجاهات الهجرة عام 2007:
Pew Research Center, Views of Immigration, Chapter 2. Octobre 4, 2007. http://www.pewglobal.org/2007/10/04/chapter-2-views-of-immigration/ 1/8 Global Attitudes Trends.

(2) يعتبر الحصول على المال من الخارج من العوامل الإيجابية في المواقف من الهجرة، وذلك وفق الإستقصاء الذي أجراه معهد بيو، من حيث أسباب الهجرة والحصول على المال (وقد شملت السئلة البلدان النامية فقط).

Pew Researdh Center, Global Attitudes trends, Pew Global Attitudes survey, Chapter 2. Views of Immigration.

"Many Receive Money from Abroad.. do you receive money from relativ living abroad?.

ومالي، حيث يرى أكثر من تسعة من كل عشرة، أن فرص العمل هي السبب الرئيسي للهجرة.

أما في لبنان فتبلغ نسبة المهاجرين للبحث عن عمل نحو 53 في المائة، بينما يهاجر 28 قي المائة بسبب الأوضاع الأمنية (وتأتي بعد لبنان فنزويلا 16 في المائة، وجنوب إفريقيا 15 في المائة والمكسيك 10 في المائة)، وللبحث عن الإستقرار والسلامة، وبخاصة من الشباب الذين يهاجرون للبحث عن وطن، وتشمل موجات الهجرة مختلف الطوائف وبخاصة من المسيحيين حيث يهاجر نحو 37 في المائة منهم للسلامة ولأسباب أمنية..

تجربة الهند في إشراك الشتات

يشير تعبير الشتات في الخارج إلى جميع الأشخاص من أصل هندي، ممن يحملون الجنسية الهندية، وممن لا يحملونها. وقد تم تغيير السياسة الهندية المعتمدة تجاه الهجرة منذ العام 1986، حيث تم إنشاء دائرة لتقديم الحدمات للمهاجرين، ولتسهيل إجراءات الاستثمار في الهند.

1999 : إنشاء بطاقة للأشخاص غير المقيمين من أصل هندي، بما في ذلك تسهيل إجراءات تملك المنازل لهؤلاء المغتربين، ومنحهم تأشيرة دخول لفترة طويلة.

2000 : إنشاء المجلس الأعلى لل "الشتات الهندي".

2002 : الهدف الرئيسي "تحويل أفراد الشتات إلى سفراء الهند في الخارج".

2003 تعديل قانون الجنسية لخلق المواطنة في الخارج، للرعايا من أصل هندي المقيمين في دول أخرى.

2003 : وضع تصميم جديد تم إنشاؤه خصيصًا لأعضاء الجالية الهندية في الخارج.

2005 : رئيس الوزراء الهندي يدعو لمنح جنسية مزدوجة لأعضاء الجالية الهندية في الخارج.

2008: جائزة برواسي بهارتيا (أو يوم المغتربين الهنود).

... أثناء إفتتاح الذكرى السادسة من يوم المغتربين الهنود في نيودلهي عام 2008، حول موضوع "تطبيق إلتزام الشتات: الطريق إلى الأمام" (إشراك الشتات: الطريق إلى المستقبل، Engaging the diaspora the ways a head)، حيث

تسلّم رئيس حكومة موريشيوس "جائزة برواسى بهاراتيا"، أو يوم المغتربين الهنود[1]، وهي أكبر جائزة لمساهمته "الإستثنائية" في دعم الشتات، باعتباره ابن مهاجر هندي.

عام 2004 تم إنشاء وزارة الشؤون الهندية في الخارج (MOIA)، وذلك بهدف بناء شراكة كاملة مع الشتات.

عام 2001، اللجنة الرفيعة المستوى المعنية بتوزيعات الشتات الهندي، فقد بلغ عدد المهاجرين في الشتات مع المقيمين في الخارج نحو 22 مليون نسمة (بما في ذلك أحفاد المهاجرين الهنود)، وهي تضم شبكات مختلفة تتوزع على نطاق واسع في جميع القارات، وبحسب تقديرات الحكومة الهندية، تتوزع مجتمعات الشتات في بلدان متفرقة، تضم نحو 205 بلدًا منتشرة حول العالم، كما ترى الحكومة الهندية في مجال آخر، أن أرقام الشتات الهندي قد باتت تقارب اليوم ال 25 مليون نسمة.

إنشاء صندوق "برافاسي بانذو للرفاه" Pravasi Bandhu Welfare Trust مقره في الشارقة لتقديم المشورة المالية للهنود.

تقرير اللجنة الرفيعة المستوى المعنية بالشتات الهندي، من قبل وزارة الشؤون الخارجية في عام 2003..

دور الشتات الهندي والسياسة تجاه الشتات

* صناعة تكنولوجيا المعلومات الهندية: الاستفادة من خبرات العائدين إلى بلدانهم.

* ومنذ العام 2003، بدأت الحكومة الهندية تنظيم المؤتمر السنوي حول الشتات الهندي، وذلك ليكون بمثابة منصة للتفاعل بين الهنود المنتشرين في الخارج، والحكومة الهندية، والقطاعات المهتمة في المجتمع الهندي، مثل رجال الأعمال، والجمعيات الخيرية الثقافية، والمنظمات الأهلية.

* وفي عام 2004 تم إنشاء وزارة الشؤون الهندية، وذلك لتنسيق مختلف

---

(1) 2003: إعتماد أول يوم للمغتربين الهنود *(Pravasi Bharatya Divas)*، الذي يحتفل به سنويًا (يوم 9 كانون الثاني 2003، بحضور نحو 2,000 مندوبًا من 61 بلدًا)، ويتزامن هذا التاريخ مع ذكرى الاحتفال بالعودة النهائية لغاندي من جنوب إفريقيا إلى الهند في عام 1915.

الأنشطة في الخارج، خصوصًا التي تهدف إلى الوصول إلى الشتات، وهي تشمل "برنامج التعرّف إلى الهند"، لتوثيق العلاقات مع الشباب في الشتات، حيث يتم تقديم الحوافز، والجوائز السنوية للشخصيات البارزة في الشتات.

* وفي عام 2009، قامت الحكومة الهندية أيضًا بإنشاء المجلس الاستشاري العالمي لرئيس الوزراء، وهو يتكوّن من الباحثين في الشتات، والعلماء، والسياسيين، ورجال الأعمال.

أما في عام 1999، فقد قدمت الحكومة الهندية لكل شخص من أصل هندي بطاقة (بطاقة *PIO*)، أو شخص من أصل هندي (*person of indian origin,*).

* وفي عام 2005 أيضًا قدمت بطاقة "ما وراء البحار والمواطنة في الهند" أو (*OCI*). وهي تتيح التكافؤ العملي مع المواطنين الهنود، ولكن لا تسمح بالتصويت، أو الترشح للانتخابات، أو التوظيف الحكومي[1].

* واعتبارا من آذار/ مارس عام 2009، فقد منحت الحكومة الهندية نحو 400,000 من هذه البطاقات، في عام 2007: تم تأسيس مركز تسهيل الأعمال الهندي لما وراء البحار..

السياسات الملائمة لإدارة الهجرة، وكيفية إشراك الاغتراب اللبناني في عملية التنمية

* نحن نعيش في عالم تسوده التغيّرات في مختلف المجالات، وفي عصر جديد بالغ التعقيد، حيث تتسارع التحولات الاجتماعية والديموغرافية، وتتفاقم الأزمات الاقتصادية في مواجهة تحديات العولمة، والتي تطرحها قضايا الهجرة على مختلف الأصعدة.

* وقد تكوّن الهجرة بمثابة الاستثمار الأهم في بناء المستقبل، على مستوى الأفراد والدول، كما أن التحدي الأساسي بالنسبة للمستقبل، سيكون في كيفية ووسائل إدارة الهجرة وتنظيمها.

---

(1) بطاقات "بيو"، فهي تقدم للمواطنين من أصل هندي في السابق، مع أحفادهم المولودين من غير الهنود (وهي تصل إلى أربعة أجيال)، بينما بطاقة (*OCI*) تقتصر على أولئك الذين من أصل الآباء، أو الأجداد، ممن كانوا مؤهلين لمرة واحدة، للحصول على الجنسية الهندية يوم 26 كانون ثاني/يناير 1950، وهي أيضا، تمنح تأشيرة مدى الحياة.

وعلى مدى عقود، فقد تم في عام 1973، تأسيس "**نظام الإبلاغ المستمر عن الهجرة الدولية**"[1]، المعروف إختصارًا بـ (*SOPEMI*)، وذلك برعاية الفريق العامل والمعني في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (*OCDE*)، بالإضافة إلى خبراء وطنيين ومراسلين، لرصد الاتجاهات حول حركات الهجرة وسياساتها، ثم تبادل المعلومات بشأن الهجرة الدولية، لتعزيز التعاون الدولي في هذا المجال، وتزويد البلدان الأعضاء بتقارير إلى الأمانة العامة، عن حالة الهجرة في بلدانهم على التوالي، بهدف رصد القضايا المتعلقة بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية للهجرة، والصلات بين الهجرة والتنمية. ثم جمع الاحصاءات المتعلقة بالهجرة، وجعلها أكثر قابلية للمقارنة.

وتعتبر هذه المساهمات، كأساس لتحليل المعطيات السكانية والبيانات المتعلقة بالهجرة الدولية، ثم إصدار التقرير السنوي حول "توقعات الهجرات الدولية" *Perspectives des migrations internationales de l'OCDE*، من قبل منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، وقد صدر التقرير الأخير لعام 2011، والذي يضم بيانات ومعطيات للعديد من البلدان في العالم. وتعتبر هذه الشبكة بمثابة مؤسسة فريدة من نوعها في جميع أنحاء العالم، حيث تشارك فيها كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا، ونيوزيلدا وكندا، وذلك لتوسيع عملية جمع البيانات الإحصائية، ثم جعلها قابلة للمقارنة بين البلدان، بهدف التعاون الدولي مع المنظمات الدولية الأخرى، وبخاصة في مجال جمع البيانات وتحليل مواضيع محددة، كمحاولة لمنع الازدواجية والتركيز على تطوير مناهج متكاملة.

ونظرًا لأهمية الهجرة على الصعيد العالمي، ولكونها تمثل ظاهرة فريدة من نوعها، فقد رأت الدول المشاركة في منظمة التعاون والتنمية، **السعي لعقد مؤتمرات وندوات دولية لتبادل الأفكار والخبرات**، وأفضل الممارسات بشأن الهجرة الدولية، وفي الوقت نفسه، دراسة كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للهجرة، ثم إعداد بيانات إحصائية متكاملة عن الهجرة، وذلك لتحسين وسائل الإتصال والمقارنة، ثم تتبع التغيرات الناجمة عن التحركات السكانية، مما يساعد الدول الأعضاء والمنظمات غير الحكومية، على وضع السياسات الملائمة لإدارة

---

(1) يعتبر "نظام الإبلاغ المستمر" والمعروف بتسمية (*SOPEMI*)، بمثابة إطار تنظيمي عام، لرسم السياسات السكانية المتعلقة بالهجرة بين الدول الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

الهجرة[1] ومعالجة المخاوف القائمة لدى البعض، وتعزيز الجهود المبذولة للإستفادة من الفوائد الناجمة عن الهجرات الدولية، لهذا فقد تم منذ العام 1986، عقد لقاءات في إطار مجموعة العمل الدولية حول الهجرة، وذلك وفق الآتي:

أما بحسب دراسة حديثة صادرة عن مركز التنمية في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، يمكن أن" تعتبر السياسات المنظمة للهجرة بمثابة وسيلة فعّالة لمكافحة الفقر"، ذلك أن الهجرات الدولية يمكن أن تساعد في إنماء البلدان الفقيرة.

جمع البيانات

إن جمع البيانات الدقيقة عن الهجرة والسكان، يعتبر الآن في مقدمة الأولويات المطلوبة، فالأرقام التي تتضمن توزيعات المهاجرين، وتصاريح الإقامة، أو تصاريح العمل، وأعداد طالبي اللجوء، أو اللاجئين المعترف بهم، لا تستخدم فقط للبحث أو التحليل، ولكن أيضًا للتخطيط لتطوير البنية التحتية (الطرق والمدارس والمستشفيات والمساكن..) ومعالجة قضايا الهجرة من خلال التعاون الدولي، وتطوير القدرات الوطنية، وبخاصة وضع السياسات المتعلقة بالهجرة واللاجئين

تشجيع ودعم تشكيل شبكات الهجرة في الخارج

لكن حتى أيامنا هذه، ونتيجة إنخفاض تكاليف النقل والاتصالات، وسرعة التواصل، فقد بات من السهل لهذه الجماعات، البقاء على إتصال وثيق وبشكل أكثر تماسكًا، وتشكيل ما يسمى "المجتمعات عبر الوطنية". وفي حال كانت بلدان الإرسال والإستقبال قريبة، يمكن للمهاجرين السفر بانتظام ذهابًا وإيابًا، وهذا النوع من الهجرة الدائرية شائع جدًا بين المكسيك والولايات المتحدة مثلاً، وكذلك بين بلدان غرب إفريقيا، أما في الطرف الآخر من السلّم، فتوجد الجالية الصينية، والتي تمثل ظاهرة "رواد الفضاء" للهجرة حول العالم.

لقد أغفلت بعض البلدان المرسلة الإنتباه إلى قضايا المغتربين في الشتات، لكن بعض الدول اليوم، مثل الهند التي عادت عن سياستها للاهتمام بالمهاجرين والتواصل معهم، وذلك لتسهيل عمليات تحويل الأموال، وتشجيع حركة العودة إلى البلاد.

---

(1) أنظر الدراسات التي أعدتها مديرية الشؤون الاجتماعية والعمل والتوظيف، في المنظمة الاقتصادية للتعاون والتنمية، حيث تم وضع شعار "نحو سياسات أفضل لحياة أفضل"، وهو الآتي: " Des politiques meilleurs pour une vie meilleure". *http://www.oecd.org/document/40/0,3746,f.*

إنشاء مشروع المركز اللبناني للهجرة والشتات

Center for Migration and Lebanese Diaspora (CMLD)

كما وتوجد في المنطقة العربية، بعض مراكز الدراسات حول الهجرة والسكان والتنمية، منها: في المغرب والجزائر ومصر وتونس...

إن مساهمات الشتات يمكن أن تتخذ أشكالاً عديدة، أهمها إرسال التحويلات إلى بلدانهم الأصلية، والتي بلغت قيمتها أكثر من 400 مليار دولار[1] عام 2010 (منها ما يقدر ب 325 مليار ذهبت إلى البلدان النامية)، وهي تعادل تقريبًا أكثر من ضعف حجم المساعدات الإنمائية الرسمية، كما أن أعضاء الشتات أيضًا هم كبار المستثمرين في الأسواق الناشئة، والقطاعات الحيوية في الاقتصاد، ومنهم أيضًا العملاء الكبار لصناعة السياحة الناشئة، والمحسنين لتنفيذ المشاريع الخيرية، وفقًا للتقديرات الأولية من قبل البنك الدولي، فإن الوفورات التي تحققت من قبل دول الشتات تبلغ حوالي 400 مليار دولار سنويًا.

إن تعابير "خسارة الكفاءات"، و"خزان المواهب"، و"إنتقال الكفاءات"، قد دخلت المعجم لدى الاقتصاديين، وهي تؤكد قيمة المؤهلات، وأهمية شبكات المعرفة ودور الشتات، التي يمكن أن يستفاد منها لتطوير الاقتصاد الحديث القائم على المعرفة.

إنشاء خارطة طريق لمشاركة فعّالة ومستدامة مع الشتات

يقترح كتاب "كيفية إشراك الشتات في التنمية"[2]، عناصر خارطة طريق لإشراك الشتات، وهو يتكوّن من ثلاثة أقسام وفق الآتي:

وضع خارطة طريق للمشاركة بطريقة مجدية ودائمة، وفق خطة عمل استراتيجية للحكومات الراغبة في إشراك الشتات والتكامل معها، حيث يتم وضع السياسات المطلوبة، وتحديد البرامج وبناء المؤسسات وتفعيلها، ثم إختيار

---

(1) راجع كتاب: *Dovelyn Rannveig Agunias et Kathleen Newland, "Comment associer les diasporas au développement", Migration Policy Institute, Organisation internationale pour les migrations (OIM), p. 13.*

(2) راجع مصدر سابق، كتاب حول: كيفية إشراك الشتات في التنمية، "معهد سياسات الهجرة"، و"المنظمة الدولية للهجرة، وفق الآتي: *Dovelyn Rannveig Agunias et Kathleen Newland*، *"Comment associer les diasporas au développement"*، *Migration Policy Institute*، *Organisation internationale pour les migrations (OIM), pp.266.*

الوسائل لتحقيق الأهداف، وهي العناصر الأساسية لنجاح الخطة، وإشراك الشتات، وتتلخص وفق الآتي:

- **بناء القدرات من أجل التنفيذ الفعّال:** أن عملية بناء القدرات ينبغي أن تستهدف الحكومات والجهات الفاعلة الأخرى المؤثرة في إدارة المؤسسات وتنفيذ المبادرات، مع التأكيد على إشراك الشتات أنفسهم والمنظمات التي تمثلهم.

- **متابعة التقدم المحرز وقياس الأثر:** إن عمليات الرصد الدقيق لبعض المبادرات، ثم التقييم لآثارها، والتعديل لمسارها من أجل إدخال التحسينات اللازمة، وهذا يرتبط أيضًا بأدوات الرصد والتقييم المختلفة، التي تعتمدها الحكومات وشركائها، وبعضها بسيطة وغير مكلفة، والبعض الآخر متطورة ومفيدة للغاية.

- **تعزيز المؤسسات وإزالة العقبات:** ثم وضع الأطر القانونية والمؤسسية بشأن إشراك الشتات؛ وهي تتكون من فصلين:

* بناء أجهزة إدارية فعّالة داخل الجهاز الحكومي، وتضم مكاتب ووكالات، هيئات ومراكز تخلقها الحكومات لتنظيم العلاقات مع الشتات.

* التغلب على الحواجز، وإلغاء غالبية الأنظمة والقوانين التي تقيّد أو تعرقل التنقل بين بلدان المنشأ والمقصد.

- **إنشاء بوابات العبور:** وتحديد ستة مجالات عمل لإشراك الشتات، ثم تحليل المجالات الرئيسية، التي تؤمن للشتات المشاركة المركزية والإنتاجية، وأهمها: التحويلات والاستثمار الأجنبي المباشر، ونقل رأس المال البشري، والتبرعات الخيرية، والاستثمار في الأسواق المالية، والاستثمار في السياحة.

إن دعوة الشتات قد أصبحت اليوم أكثر إلحاحًا وأكثر وفرة في عصر الاتصالات الإلكترونية، كما أن سهولة تنظيم أعضاء الشتات، عبر الجاليات والجمعيات الاغترابية وبرغم بعد المسافات، قد أزالت القيود القديمة، فالمواقع الحديثة، ومجموعات التواصل، والشبكات الاجتماعية بين الأفراد في الشتات قد تكاثرت، مما أدى إلى تزايد دورها وتأثيرها في عملية التنمية[1].

---

(1) لمزيد من التفاصيل راجع: د. علي فاعور: "جغرافية الشتات، الهجرة وشبكات الشتات في بلدان الاغتراب" (Geography of Diaspora)، كتاب صادر عن دار المؤسسة الجغرافية، عام 2015، 429 صفحة.

الهجرة اللبنانية إلى إفريقيا:

أمين عام المجلس القاري الإفريقي: أ. إبراهيم فقيه



- أمين عام المجلس القاري الإفريقي، المنبثق عن الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، منذ ثلاثين سنة حتى اليوم.
- عضو مجلس الامناء.
- ناشط اجتماعي ـ عضو هيئة ادارية للحركة الثقافية في لبنان- عضو هيئة حماية البيئة ـ عضو في نادي الشقيف وعضو هيئة ادارية في هيئة تكريم العطاء المميز...
- مجاز في العلوم الاجتماعية.
- غادر إلى الغابون بعد عشر سنوات تدريس في التعليم الرسمي، حيث تولى مسؤوليات عديدة في الجالية اللبنانية في الغابون.
- ساهم في اعداد أكثر مؤتمرات الجامعة الثقافية اللبنانية والمجلس القاري الإفريقي.

عالجت هذه الورقة الموضوعات التالية:

1 ـ مفهوم الهجرة:

ـ تاريخها وجغرافيتها.

2 ـ الهجرة اللبنانية:

ـ أسبابها ـ تاريخها وتطورها ـ إنتشارها في العالم ـ نجاحات المغتربين ـ ودورهم في تطوير البلاد المضيفة لهم. وفي وطنهم الأم لبنان.

3 ـ الهجرة إلى القارة الإفريقية:

ـ تاريخها ـ إنتشارها ـ أسبابها.

ـ البلاد الأكثر استقطابًا للمغتربين اللبنانيين.

ـ سكان المناطق الأكثر هجرة من بلاد المنشأ.

ـ النجاحات التي حققها للمغتربون في إفريقيا.

ـ دورهم الريادي في تنمية تلك الدول المقصد.

ـ دور المغتربين الأفارقة في مجالات التنمية في لبنان.

ـ دورهم في صمود أهلهم في الجنوب والبقاع وفي مواجهة الإحتلال الإسرائيلي.

ـ الجمعيات التي يعمل في ظلها المغتربون.

ـ قدر اللبناني على التأقلم مع الأفارقة والإنسجام معهم.

ـ أسماء عريقة في الاغتراب ـ نجاحات كبيرة حققوها.

ـ النشاطات الاجتماعية والثقافية والفنية لدى المغتربين.

ـ أسماء أدباء وشعراء في المهجر وفي إفريقيا.

ـ الجامعة اللبنانية الثقافية بالعالم: دورها ومستقبلها.

ـ دور المجلس القاري الإفريقي.

الهجرة ظاهرة بشرية منذ وجود الإنسان ومنذ بداية التاريخ ومنذ بدايات انتقال الإنسان من منطقة إلى أخرى سعيًا وراء تأمين متطلبات الحياة، وكانت حركة الناس تزداد تنقلاً عبر الحدود، حيث زادت وتيرتها مع تقدم وسائل النقل في المماية عام الأخيرة، متلازمة مع تطور الاقتصاد العالمي حيث فاق عدد عابري الحدود المايتين والخمسين مليون نسمة منهم من هاجر طوعًا بملئ إرادته ومنهم من هاجر هاربًا من الصراعات والحروب والفقر والكوارث الطبيعية.

وانتقل نصف المهاجرين من الدول النامية نحو الدول المتقدمة حيث ساهموا بالإنتاج المحلي العالمي وشكلوا قوة عاملة وفاعلة في تحسين اقتصاد دول المقصد وقد زاد عدد المهاجرين في العقود الخمسة الأخيرة حوالي ثلاثة أضعاف، كما شكلت الهجرة بالنسبة لبلدان المقصد بديلاً للنمو البشري ذي النسبة الضعيفة في الدول المستقبلة للمهاجرين الذين شكلوا حركة إنتاجية عالمية اقتصاديًا واجتماعيًا، وهذا ما أثر سلبًا على اقتصاد دول المنشأ أي المرسلة التي خسرت طاقات فاعلة من أبنائها الكفوئين وكذلك ما سمي بهجرة الأدمغة التي فقدتها الدول النامية التي تداعت فعقدت اجتماعا في القاهرة عام 1994 سعت خلاله الأمم المتحدة لإيجاد حلول تدعم هذه الدول مصدر المهاجرين وذلك بمساعدة فاعلة من أمين عام الأمم المتحدة آنذاك كوفي أنان، وذلك دعمًا للمنتدى الدولي للتنمية والهجرة وهذا ما أدى إلى عقد اجتماع برعاية الأمم المتحدة عام 2006 لمناقشة الهجرة الدولية وسبل إعداد وسائل التطور المستدامة ولا زالت تنعقد هذه الاجتماعات سنويًا حيث ترفع تقاريرها للأمم المتحدة عن تأثيرات الهجرة واللجوء وانعكاساتها على التطور الاقتصادي والاجتماعي ومكافحة تهريب البشر والإتجار بهم وحقوق المهاجرين وسبل حمايتهم. وصولاً إلى إتفاق عالمي للهجرة واللجوء بتنظيم عناصر عديدة وتنظيم الهجرة كونها ذات أهمية في تنمية بلدان المنشأ والعبور والمقصد وتمكين المهاجرين من حياة أفضل.

أخيرًا، الهجرة ظاهرة بشرية منذ وجود الإنسان ومنذ بدء التاريخ ترتبط بعوامل اجتماعية، اقتصادية، بشرية وأمنية، والبعض يعتبرها طريقة جذب وطرد، حيث أن الجذب ناتج عن وجود فرص عمل وبيئة أفضل ومعيشة لائقة، أما الضرر فناتج عن تدهور الاقتصاد أو البطالة، والكوارث الطبيعية لذا لم تعد الهجرة العالمية مجرد ظاهرة إنسانية بين الشعوب بل أصبحت إحدى السمات الرئيسية الهامة في المجتمعات، حيث تستند على نقاشات واسعة متعلقة بسياسات الدول الاقتصادية

والسياسية والاجتماعية والتنموية واستحوذت على أبحاث علماء الاجتماع حول تأثير الهجرة على أسواق العمل.

أصبحت الهجرة اللبنانية هجرة ومعرفة انطلق روّادها من شواطئنا إلى العالم بعد أن كانت لأسباب أمنية هربًا من الظلم والخوف والإضطهاد كما كانت أيام العهد العثماني، ثم كانت لأسباب معيشية. ومرة جديدة هربًا من الحروب الداخلية، آخرها تلك التي استغرقت خمسة عشر عامًا، ومرة هربًا من جور الإحتلال الإسرائيلي، دون أن ننسى دور الإنتداب الفرنسي. وفي كل هذه الحالات بقي الاغتراب اللبناني معجزة كل حالات الشتات في العالم بل وأنبلها لأنه لم يكن يومًا اغترابًا استعماريًا بالرغم من صعوبة رحلته التي كانت عبر الباخرة تدوم شهورًا حتى يجابه تحديات موجعة كاللغة والعادات والتقاليد عند تلك الشعوب ناهيك عن المشاكل الصحية والأمراض التي فتكت بالعديد منهم خاصة بالقارة الإفريقية. أما الذين كانوا يتمكنون من الوصول إلى أميركا والأرجنتين والبرازيل فكانوا يعتبرون محظوظين.

أما الاغتراب اللبناني فله خصوصيته وفلسفته الإنسانية الخاصة في التأقلم مع المجتمعات المضيفة له وإقامة علاقات طيبة قائمة على الصداقة والأخوة والإنسجام والمساعدة والتعاون مساهمًا في تنمية وتطوير البلاد التي يلجأ إليها اللبناني داعمًا اقتصادها وتنميتها، مساهمًا في ثقافة مجتمعها، لذلك فإن الهجرة اللبنانية تعتبر فريدة في عالم الشتات، والمعروف أن عدد المغتربين اللبنانيين والمتحدرين من أصل لبناني يفوق عدد المقيمين في الوطن، ويعود تاريخ الهجرة اللبنانية إلى منتصف القرن الثامن عشر، حيث صعد أنطون مشعلاني السفينة المتجهة إلى أميركا عام 1854 وذلك بعد أقل من أربعماية عام من إكتشافها عبر "كريستوف كولومبوس".

كما يذكر التاريخ أن الفينيقيين كانوا قد وصلوها قبل خمسماية عام قبل الميلاد. والمشعلاني المهاجر اللبناني الأول استطاع بصلابة إرادته وقدرته أن يطور ذاته علمًا ومعرفة ودراسة في كلية نيويورك وأتقن اللغة الإنكليزية خطابة وتدريسًا كذلك اللغة العربية فأرسى منهجًا تعليميًا مهمًا لنهج اغترابي مشرف.

ترك الاغتراب اللبناني بصماته المشرقة في العالم أجمع فكان المغتربون اللبنانيون رسل الخير إلى الشعوب كما سماهم حكيم إفريقيا رئيس ساحل العاج

والمهاجر اللبناني لم يعرف نسيان وطنه فحنينه إلى بلده وأهله متجذر في وجدانه، كما يعبر جبران خليل جبران قائلاً: "إن شوقي إلى وطني يكاد يذيبني".

ومن الذين وصلوا إلى القارة الإفريقية: إلى السنغال ـ جورج عكر 1880 ـ غينيا ـ يعقوب بيطار 1983 ـ أحمد زهر 1902 ـ سيراليون ـ عبدالله قدورة 1890 ـ شاطئ العاج ـ فؤاد الياس 1885 ـ ليبريا.

أصبحت الهجرة اللبنانية نموذجًا للفلسفات الاغترابية وصياغة خططها ورسم استراتيجياتها وذلك لما وصلت إليه الهجرة اللبنانية من عراقة في التاريخ ولما وصلت إليه منذ منتصف القرن الماضي من انتشار عالمي على مساحة الكرة الأرضية وذلك خلال مراحل زمنية عديدة متلازمة مع تاريخ الكيان اللبناني منذ عهد المتصرفية حتى اليوم مع تعدد وجهات المقصد حيث كانت البداية نحو الأماكن البعيدة، وما وراء البحار والمحيطات، أي في أميركا الشمالية والجنوبية ثم في قارات أميركا وأستراليا وأوروبا وآسيا وخاصة في دول الخليج العربي.

واستمرت الهجرة أيام الانتداب الفرنسي وكذلك ما بعد الإستقلال.

وتكثفت بشكل واسع خلال الحرب التي استمرت منذ 1975 حتى عام 1990 وكذلك حتى عام ألفين هروبًا من العدوان الصهيوني.

ألبيرت حوراني في كتابه "اللبنانيون في العالم، قرنًا من الهجرة" حيث يوزع الهجرة من لبنان إلى أربع مراحل:

1 ـ منذ القرن السابع عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر إلى مصر وبعض مدن أوروبا والشرق الأوسط.

2 ـ من منتصف القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين إلى الأميركيتين.

3 ـ بعد الحرب العالمية الأولى إلى المستعمرات الإفريقية التي كانت تحت وصاية فرنسا وإيطاليا.

4 ـ في ستينات القرن الماضي واندلاع الحرب في لبنان في 1975 تزامنت مع نمو الاقتصاد في دول الخليج وسافر عدد كبير إلى الولايات المتحدة وإفريقيا ملتحقين بأهلهم وجلهم من المتعلمين والمهنيين والمثقفين، كذلك نحو كندا واستراليا وأميركا اللاتينية وأوروبا الغربية.

والملاحظ أن المراحل الاغترابية أيًا كان تقسيماتها منهجيًا متداخلة مع بعضها البعض لذا لا يمكن التركيز على دراسة مرحلة اغترابية مجردة بحد ذاتها. ويعتبر

لبنان من الدول الرئيسية المصدرة للكفاءات ولهجرة الأدمغة. دون أن تسعى الدولة اللبنانية منذ ماية عام على إعلان دولة لبنان الكبير بشكل جدي لتعزيز المواطنة والأنسنة لا بل حتى القيام بأقل الواجبات المترتبة عليها في بناء المؤسسات، سواء على صعيد الإدارة أو على مستوى التربية والتعليم لتثبيت المواطن في أرضه وبلده لتتمكن الكفاءات من تحقيق دورها المطلوب على صعيد التنمية والتحديات والتطوير على كافة المستويات في كافة المجالات.

إذا كان الاغتراب صوتًا صارخًا في كافة المنافي يبشر بلبنان الحضارة ولبنان الإزدهار والثقافة والمال، فإنه ومنذ أكثر من قرن، حمل اللبناني معه لبنان فزرعه في كل بقعة حبًا وعطاءًا، شوقًا وحنينًا، عمرانًا وازدهارًا، شعرًا ولوحةً حيث أن لبنان نصفه في الوطن ونصفه الثاني في المغترب، يوم قال عنهم جبران خليل جبران: "أبناء لبنان هم الذين يتغلبون على محيطهم أينما كانوا ويجتذبون القلوب إليهم أينما حلوا وهم الذين يولدون في الأكواخ ويموتون في قصور العلم".

نعم إن الاغتراب اللبناني زرع جذوره في كافة القارات، وهو لا يزال يمثل الصورة الحقيقية عن اللبناني الفذ. إنبثقت من رسالته المعرفة والحضارة والعلم والإرادة، هم هكذا من استقلوا السفن من بيروت إلى القارة الأميركية عبر مرسيليا أو الإسكندرية مرورًا بالموانئ الإفريقية في داكار عاصمة السنغال وأكرا عاصمة غانا وكوناكري عاصمة غينيا والكثير منهم نزلوا تلك البلاد واستمروا فيها مع كل المعاناة والمخاطر وصعوبة الحياة وقساوة الطبيعة متجاوزين كل ذلك محققين أحلامهم من خلال العمل في شتى المجالات والنشاطات الاقتصادية المتاحة أمامهم بدءًا بالزراعة والتجارة حتى دخلوا مجال الصناعة والعمران وشق الطرقات وبناء الجسور مساهمين في تطوير تلك البلاد وبناها التحتية وكافة المشاريع الإنمائية وبناء المدارس والمستشفيات ودور العبادة والأندية ودعموا المؤسسات الاجتماعية والخيرية. خاصة في القارة الإفريقية حيث تقاسموا الحياة مع شعوب دولها أفراحًا وأتراحًا واستطاع المغترب اللبناني في إفريقيا أن يتفهم عادات الأفارقة وتقاليدهم وأنماط عيشهم مما مكنه من كسب ثقتهم والتفاعل معهم فنجح في كسب ودهم قادة ومسؤولين وشعوبًا مما أتاح لهؤلاء المغتربين من أن يحققوا نجاحًا باهرًا على كافة الأصعدة وفي كافة مجالات العمل حتى وصلوا إلى ما هم عليه اليوم فأصبحوا من أهم الجاليات المنتشرة في العالم وهذا ما أتاح لهم أن

يلعبوا دورًا في تقارب تلك الأنظمة مع الدولة اللبنانية والوقوف إلى جانبها في المحافل الدولية.

وكما نجحوا في العمل والاقتصاد كذلك نسجوا علاقات اجتماعية وثقافية وصحية ورياضية وأدبية مع شعوب الدول المضيفة وكان للبعض منهم إنتاجًا مميزًا في الشعر والرواية والفن والأدب والمسرح، والأسماء كثيرة سواء في ساحل العاج أو في السنغال وليبريا وغيرها.

والميزة الفريدة للجاليات اللبنانية أنها لا تتدخل في الشأن السياسي والحزبي لتلك الدول ولا تدعم حزبًا في وجه آخر، فتقيم أفضل العلاقات مع السلطة والمعارضة في آن، محترمة دستور البلاد وقوانينها المرعية الإجراء، ولطالما قدّر الأفارقة المغترب اللبناني بسخائه وكرمه واحترامه للشعوب المضيفة ولطموحاتها وأحلامها وهذا ما خفَّف الآثار السيئة عن اللبنانيين أثناء أحداث الشغب التي حصلت في عدة دول إفريقية مطلع تسعينات القرن الماضي.

واستمروا في تحقيق النجاحات مثلهم مثل باقي الرواد في العالم وأصبحوا الذخر الذي لا ينضب الذي كتب عنه الرئيس سليم الحص عام 1991 بمناسبة انعقاد المؤتمر القاري الإفريقي في القاهرة فقال: "عندما انطلقت شرارة الحرب في لبنان وشهدنا جموع اللبنانيين وبخاصة من شبابهم يغادرون بلدهم إلى بلاد الاغتراب في مشارق الأرض ومغاربها قلنا "أي الرئيس سليم الحص" يخشى على لبنان ولا يخشى على اللبناني". ذلك لأن اللبناني الذي هجر أرض وطنه إلى الخارج طلبًا للأمان وسعيًا وراء الرزق الحلال سجل نجاحًا باهرًا وأعطى الأرض التي استضافته أقصى ما تيسر له من ثمار عقله ويده".

أما وزير خارجية مصر الأسبق بطرس غالي، فقد عبر تعبيرًا صادقًا آنذاك وأثناء إنعقاد المؤتمر القاري الإفريقي في مصر مخاطبًا المؤتمرين من اللبنانيين المغتربين قائلاً: "سيبقى دوركم نبراسًا لكل مخلص شريف يسعى بصدق لخدمة القارة الإفريقية التي يريد لها البعض أن تبقى دائمًا رازحة تحت نير الإستغلال والتبعية، إن تاريخ أجدادكم تاريخ عطاء متصل ونقل دائم لرسالة حضارية أساسها الخلق والإبداع، فما دخلتم دارًا إلاّ وزاد فيها الخير وانتشر العلم ومصر الحديثة مدينة في جزء من بناء صرحها الثقافي والمسرحي والفني والصحفي والسياسي لهؤلاء العظماء الأوائل الوافدين والمهاجرين من أرضكم المعطاءة".

أذًا الاغتراب اللبناني حمل هويته وقضيته مع الهجرات المتلاحقة عبر العقود المتعاقبة فكان رسالة لبنان النور والإشعاع إلى دنيا الإنتشار، كما كان جسرًا للدول العربية إلى دول العالم، إذن هو اغتراب له هوية وملتزم بقضيته الوطنية والقومية، قادر على مخاطبة الشعوب المضيفة والتعامل معها طارحًا قضيته بإطارها وصدقها، فهو ساهم بالحفاظ على لبنان أثناء أزمته فقدم الدعم الاقتصادي والاجتماعي ودعم وحدته.

كما ساهم في تنمية الدول التي يتواجد فيها المغترب اللبناني فهو لم يترك تلك البلاد أثناء تعرضها للأزمات والإضطرابات السياسية والاجتماعية بل بقي مع تلك الشعوب متحملاً ومشاركًا معها معاناتها وهذا ما أكسبه ثقة تلك الشعوب وحكوماتها. لذا فلا نجد دولة من دول الإنتشار تخلوا من المشاريع الكبيرة والصروح اللبنانية لأن الاغتراب اللبناني لم يحصل برعاية دولة أو شركة قابضة ترسل مواطنيها وموظفيها للعمل وتؤمن لهم العمل والحماية والحوافز المادية بل كانت مغامرة فردية حملت التضحيات ومواجهة المصاعب الكبيرة والكثيرة.

هذا الاغتراب اللبناني الذي بدأ إفراديًا، ارتأى أن لا يستمر كذلك، فبدأ المغتربون بتوحيد أنفسهم ضمن نوادي وجمعيات وروابط بأشكال مختلفة منها الفكرية والثقافية والأدبية حيث كانت الرابطة القلمية التي أسسها جبران خليل جبران وميخائيل نعمية وفوزي المعلوف وغيرهم.. من الجمعيات، بعدها تنادى بعض المخلصين في خمسينيات القرن الماضي لتأسيس رابطة اغترابية تشمل جميع المغتربين. وبعد عدة لقاءات ومؤتمرات تم الاتفاق علىء تأسيس جامعة تمثلهم وتجمعهم، حيث تمت ولادة الجامعة اللبنانية، الثقافية في العالم عام 1960، نتيجة ثمرة هجرة اللبنانيين منذ ما قبل منتصف القرن التاسع عشر وصولاً إلى قناعة بضرورة إيجاد مؤسسة عالمية تشكل المظلة الحامية للمغتربين وملجًا وملاذًا لكل تائه أو قادم جديد يتعرض لمشاكل الغربة ولأهمية توفير مقومات الترابط والتواصل والتعاون، وبالتالي من أجل الحفاظ على الهوية اللبنانية والتواصل مع الوطن الأم.

البداية كانت في هافانا عاصمة كوبا ومع لاناتا أبو شدياق الذي التقى عام 1948 بوزير خارجية لبنان آنذاك حميد فرنجية وفتح طريقًا لإنشاء، مؤسسة تضم كافة المغتربين وصولاً إلى مؤتمر عام 1960 وتأسيس جامعة اللبنانيين في العالم، تمثل إفريقيا إحدى الوجهات المفضلة للهجرة اللبنانية تشير بعض الإحصاءات أن

حوالي أربعماية ألف لبناني منتشرون عبر القارة وتمثل ساحل العاج والسنغال ونيجريا أهم الدول المستقطبة للجاليات اللبنانية وهناك آلاف اللبنانيين يقيمون في كل دولة من الدول الإفريقية الأخرى. وهذه الجاليات تلعب دورًا هامًا في اقتصاد تلك البلاد وهي أساسية ومنافسة لكثير من باقي الجاليات حيث تبلغ قيمة الاستثمارات اللبنانية في إفريقيا مليارات الدولارات وربما لا تسبقها في هذا المجال سوى الصين.

ومعظم المغتربين اللبنانيين كانوا يمارسون أنشطة تجارية ثم تطور عملهم في مجال البناء والصناعات وكافة مجالات الحياة.

ويقال أنه في السنغال التي تعود بداية الهجرة اللبنانية إليها إلى عام 1870، أن اللبنانيين هناك أنشأوا أكثر من 65000 فرصة عمل، حسب إحدى الوثائق حيث يشكلون الجيل الرابع من السنغاليين ذوي أصول لبنانية، وأن العديد من اللبنانيين أندمجوا بصورة كاملة في السنغال فمنهم رئيس الضمان الاجتماعي السنغالي، فالإندماج الثقافي واسع جدًا بين اللبنانيين والسنغاليين.

كذلك في الكونغو الديمقراطية وسيراليون وغينيا وإفريقيا الوسطى وغيرها وكذلك في غانا والغابون حيث أصبحت فيها الجاليات اللبنانية واعدة وكبيرة.

وفي كثير من دول غرب إفريقيا جرت محاولات لترجمة النقل الاقتصادي للجالية اللبنانية إلى دور سياسي من خلال دخول بعض الأفراد ذوي الأصول اللبنانية إلى البرلمان الوطني في بعض الدول على نحو ما حصل في جنوب إفريقيا وغينيا بيساو وبينما وصل بعضهم إلى منصب مستشار، يضاف إلى ذلك العلاقات الوطيدة بين كثير من رجال الأعمال اللبنانيين بكبار المسؤولين ورجال الدولة بالرغم من أن معظمها تتم على أسس فردية لأن القاعدة العامة التي تلتزم بها الجاليات اللبنانية في إفريقيا هي الابتعاد عن الدخول في العمل السياسي المباشر والعلني ضمن احترام قوانين البلاد ودساتيرها وأنظمتها المرعية الإجراء وذلك خوفًا من انعكاس حالات الفوضى على مصالحهم، فلطالما دفع اللبناني ضريبة حالات الشغب التي كانت تعم البلاد المضيفة، فقد واجهت الجاليات اللبنانية في إفريقيا نكبة حقيقية بدأت من العام 1989 في ليبريا وغيرها، ترافقت مع حربي الخليج 1990 و1991 وما رافقها من عودة قسرية للبنانيين العاملين هناك، مما أسفر عن قطع مورد مالي هام كان الوطن بأشد الحاجةّ إليه لإنمائه وإعماره بعد توقف حرب الخمسة عشر عام 1975 ـ 1990.

أما في الدول الإفريقية التي كانت خاضعة للإستعمار البريطاني يُروى أن أول مهاجر لبناني وصل إلى سيراليون عام 1880 م. ويرى البعض أن أول موطئ قدم للبنانين في المستعمرات البريطانية في إفريقيا كانت في غانا عام 1870م. وسيراليون كانت نقطة توقف للسفن المتجهة من مناطق المستعمرات الإنجليزية حتى ليقال أن المهاجرين اللبنانيين كانوا قد سبقوا المهاجرين الأوروبيين حيث كان قد انحصر تواجدهم في الأساس في المدن الساحلية لغرب إفريقيا، حيث كان المهاجرون اللبنانييون ينتقلون بالسفن من بيروت إلى مرسيليا ومنها إلى دكار ثم كوناكري وفريتاون بعدها إلى لاغوس عاصمة نجيريا، وكانت الرحلة تستغرق أكثر من شهر وفي بعض الحالات عدة أشهر، لذا كانت المدن الساحلية غرب إفريقيا بمثابة معابر وجسور لهجرة اللبنانية إلى داخل مناطق غرب إفريقيا.

لقد استمر المغتربون في نشاطهم التجاري واستمرت الهجرة تأثرًا بالأحداث التي تشهدها البلاد والتي كانت سببًا أساسيًا في الهجرة ويمكن تقسيم هجرة اللبنانيين في العصر الحديث إلى مراحل أساسية هي:

1 ـ المرحلة الأولى: ابتدأت في أواسط القرن التاسع عشر وانتهت مع بداية الحرب العالمية الأولى واتسمت هذه الهجرة بالفردية وخاصة الشباب سواءً هروبًا من التجنيد الإجباري للسلطة العثمانية أو هربًا من البطالة والمجاعة وانتشار الأمراض في متصرفية جبل لبنان في ظل الدولة العثمانية. لذا شكل الشباب نسبة كبيرة في موجات الهجرة العربية الأولى إلى إفريقيا، وغيرها من بقاع الأرض خاصة أميركا الشمالية وأميركا اللاتينية ومنهم من اختار الهجرة إلى الأقاليم القريبة مثل مصر. وتميزت الهحجرة اللبنانية إلى مصر بسمة العائلة وتمكن اللبنانيون بجهودهم ونتيجة مناخ الحرية والاستعمار المؤاتي في مصر من تكوين ثروات عبر نشاطهم الثقافي والصناعي والتجاري والإعلامي لخلق رأي عام مؤيد للقضايا القومية والوطنية وما زالت الصحف المصرية كالأهرام والأخبار وروز اليوسف تشهد على ذلك ونشطت خلال تلك الفترة عملية تهريب البشر عبر سفن الشحن لقاء مبالغ من المال في ظروف صعبة نتج عنها هلاك واختفاء العديد من المسافرين وانقطاع اخبارهم عن أهاليهم وما مأساة الباخرة "تايتانيك" إلاّ واحدة من تلك المآسي. وقد نتج عن الهجرة الأولى هذه ما يعرف اليوم بالمتحدرين من أصل لبناني لأن معظمهم تجذر في مغتربه وأسسوا عائلات حمل أفرادها جنسية هذه المغتربات لا سيما غير الإفريقية وانخرطوا في مجتمعاتها.

2 ـ أما المرحلة الثانية: وهي تمتد ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ما بين 1914 و1945 وهي هجرات متلاحقة شجعتها سلطات الإنتداب الفرنسي خاصة نحو مستعمراتها في إفريقيا وقد حافظت هذه الفئة على جنسيتها اللبنانية ساعد في ذلك تطور قطاعات النقل وكذلك أن تلك الدول الإفريقية لم تكن بعد قد نالت استقلالها.

3 ـ المرحلة الثالثة: تمتد من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى بداية الحرب اللبنانية 1945 حتى 1975 حيث انطلق تيار جديد للهجرة باتجاه إفريقيا حتى يقال أن 46 بالمئة من الأسر عندها فرد مهاجر وقد تختلف هذه المرحلة بمفاهيم وثقافات جديدة للهجرة وكان هناك مستوى ثقافي للمهاجرين حيث تزايدت نسبة المتعلمين والمهنيين والفنيين.

4 ـ المرحلة الرابعة: تمتد من بداية الحرب اللبنانية عام 1975 حتى نهايتها 1990 حيث قدر عدد المهاجرين بـ 800000 وكانت النسبة الكبيرة منهم تتوجه إلى دول الخليج بفعل الإكتشافات النفطية وحاجة دول الخليج للعمران والتنمية.

5 ـ المرحلة الخامسة: تبدأ من انتهاء الحرب الأهلية حيث شهدت مرحلة استقرار سياسي واقتصادي في الساحة اللبنانية إلاّ أن النقص في فرص العمل دفع الكثير من أصحاب الكفاءات للبحث عن مجالات عمل في المهجر.

أخيرًا، ترى هل تدرك الدولة اللبنانية أهمية الاغتراب اللبناني في الاستثمار والتنمية ودعم لبنان اقتصاديًا واجتماعيًا وفي كافة مجالات الحياة وهل يأتي اليوم الذي تستفيق السلطة السياسية على تقدير أهمية هذا الكنز البشري الثمين؟ وهل تستعيد دورها في حماية الاغتراب ورعايته وإنشاء وزارة هامة بكامل مؤسساتها تستطيع أن تلبي الدور المطلوب؟

ومن الان وحتى إنشاء وزارة المغتربين هل ستدرك الدولة اهمية دعم وتوحيد الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم بعدما صرحوا وغردوا كثيرًا ان لبنان يحلق بجناحيه المقيم والمغترب ومن أجل أن يحيا الأغتراب ويحيا لبنان.

الاغتراب والعمران، نموذج جبل عامل:

م. نبيل مكي



- نبيل مكي مهندس معماري، حائز على ماجيستير في الهندسة المعمارية من معهد الفنون الجميلة- الجامعة اللبنانية.
- عضو في فرع المهندسين الاستشاريين المعماريين.
- عضو في هيئة المعماريين العرب.
- صاحب ومؤسس مكتب نورم للهندسة والمقاولات.
- شارك في عدة تصاميم معمارية محلية وعالمية.
- قام بتنفيذ العديد من المشاريع العامة والخاصة وبالأخص في الجنوب اللبناني.

1 ـ طريقة عيش الإنسان

الإنسان هو كائن من الكائنات الحية التي تعيش على كوكب الأرض، ويمتلك القدرة في التأقلم، والتعايش مع الظروف المحيطة فيه ويرتبط وجوده مع بداية ظهور الحياة، بأشكالها القديمة ووجود الكائنات الحية الأخرى، كالحيوانات والنباتات.

عمِل الإنسان البدائي على تكييف جميع الوسائل الموجودة عنده مع حاجاته, حتى يتمكن من الإستفادة منها بشكل مناسب، ليحقق الإكتفاء الذاتي له ولعائلته، من حيث وفرة الطعام والماء واللباس والمسكن.

2 ـ مساكن الإنسان القديم / تطور المسكن:

تطور مسكن الإنسان مرورًا بالمراحل التالية:

أ ـ الكهوف

اتخذت بعض القبائل قديمًا الكهوف الموجودة في الجبال، أو التي عملوا على حفرها بأنفسهم، وقد وفرت لهم المسكن المناسب للعيش، وساعدت على حمايتهم من عوامل الطقس المختلفة، ومن هجوم الحيوانات المفترسة. وفي هذه المرحلة الزمنية لم يتمكن الإنسان من إكتشاف اماكن بديلة للعيش.

ب ـ الخيم

عندما بدأ الإنسان يهاجر من مكان إلى آخر، من اجل البحث عن الماء والطعام، صار يفكر بوسيلة جديدة للعيش فيها، ويتمكن من أخذها معه في تنقلاته، فإخترع الخيم من جلود وشعر ووبر الحيوانات، والتي كانت تساعده على السكن في الأماكن التي يجدها مناسبة له. كما كانت توفر له الحماية من الأمطار

في الشتاء، ومن أشعة الشمس في الصيف وقد سمّي الأشخاص الذين ما زالو يعيشون في الخيم بالبدو الرحّل.

ت ـ البيوت الخشبية

هي بيوت مصنوعة من خشب الأشجار القوية، والتي تعتبر الشكل الأولي للبيوت المعروفة حديثًا، وكانت تُبنى على شكل مربع، أو دائري, بحسب نوع الأشجار المستخدمة في تصميمها، وطبيعة المنطقة التي تتواجد فيها.

وكانت تقترب البيوت الخشبية من بعضها البعض. الامر الذي أدى إلى تشكيل قرية صغيرة، يعيش فيها مجموعة من الناس، وما زالت تستخدم هذه الأنواع من البيوت في بعض بلدان العالم.

ث ـ البيوت الطينية

هي بداية عمل الإنسان في البناء، فقد تمكن من خلال الطين وبعض الحجارة، من بناء بيوت خاصة به، تكون ذات قوة، ومتانة مقارنة بأنواع المساكن السابقة، لتحمَلها عوامل الطقس المختلفة، واتساع مساحتها لتحتوي أفراد العائلة الواحدة داخلها, كما تمَكّن الإنسان من تقسيمها لمجموعة من الغرف لإستخدامها كأماكن للجلوس والنوم وغير ذلك....

3 ـ الإلفة بين الإنسان والمكان

ليس هناك - في الحياة اليومية - مكانًا أكثر ألفة والتصاقًا بالمعاني الإنسانية للمرء، من المسكن (المنزل).

وقد وصفه العالم غاستون باكلارد بأنه « أحد أعظم قوى تكامل أفكار الإنسان وذكرياته وأحلامه».

والمنزل أشمل في معناه من البيت أو المسكن أو الدار لأنه يدل على المكان الذي يقيم فيه المرء إقامة طويلة أو عابرة.

وتبدأ علاقة الإنسان بهذا المكان من خلال المعرفة المرتبطة به، وهناك نوعان من المعرفة التي يكتسبها المرء من خلال وجوده في المحيط المكاني وهما:

معرفة داخلية وأخرى خارجية.

وحينما نتأمل الأماكن التي نزلنا فيها في حياتنا نجدها متنوعة، ولكل نوع منها خصائص تنعكس على علاقتنا بالمكان، فعلاقتنا بالبيت تختلف عنها مع الشقة

المستأجرة أوالفندق أوالسكن الداخلي أو الغرفة، والبيت الذي عاش فيه المرء طفولته يختلف عن البيت الذي انتقل فيه بعد الزواج أو جاء إليه بعد التقاعد. وإضافة إلى العمر، هناك عناصر أخرى كثيرة تؤثر على العلاقة بيننا وبين المكان، منها حالة المرء في بداية علاقته بالمكان من الناحية المادية والوظيفية والاجتماعية ومن الناحية النفسية.

حيث يسجل الدماغ أقوى الذكريات للإنسان مع المكان.

فإذا حصل للمرء حدث معين ورافقه تأثير نفسي بارز، فإن الذاكرة تستعيد الحدث مربوطًا على الدوام بالمكان نفسه مهما طال الزمن.

ويجد المرء ذاكرته مليئة بالمواقف والأحداث والأفكار، وكلها تأتي في سياق يضع المكان إطارًا يُمسك بتلك الذكريات، والملاحظ أن المكان الأول الذي سكنه المرء في حياته، وغالبًا ما يكون طفولته، هو النموذج الذي تتشكل من خلاله الأمكنة.

ويؤكد فرويد على أن مكان الطفولة هو الإطار الطبيعي للقصص التي تظهر للمرء في أحلامه مهما بلغ به العمر، ومهما كثرت تجاربه وتعددت خبراته في الحياة. ويعود السبب في ذلك إلى أن العلاقة بالمكان تضع صيغة للخبرة قي الدماغ، وتكون الصيغة الأولى (إذا توافرت لها عوامل الإستقرار والوعي) وهي الأكثر رسوخًا.

4 ـ الحنين الدائم إلى المسكن الأول (الطفولة)

من الطبيعي أن يكون حنين الإنسان لموطنه الأول غالبًا على أي موطن آخر، كما عبّر عن ذلك الشاعر أبوتمام، حين قال:

"كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدًا لأول منزل"

ما سبق يصلح أن يكون تعريفًا نظريًا عن تأثير المكان في رؤيتنا للعالم، وعن قدرة المكان المسجل في ذاكرتنا على تشكيل صورة بقية الأمكنة التي نتخيلها، ودور الخبرات السابقة في السيطرة على خيالنا بوضعه في حدود معينة يدور في خانتها.

على أن طبيعة المكان نفسه تلعب دورًا مهمًا في تشكيل المزاج النفسي والذهني للشخص في لحظة معينة.

وهنا نرى ضرورة طرح العلاقة مع المكان المفتوح والمكان المغلق وتأثير هذه

الأمكنة على سلوكنا وخاصة بعد إنتقال الناس من القرى والأرياف والصحراء إلى المدن ومدى تكيُّف الناس مع الفلل والشوارع والأحياء والعمارات لنتعرف من خلال الأمثلة على تأثير المكان على الشخصية.

5 ـ المهاجر الجنوبي وارتباطه بالوطن

منذ نكسة فلسطين زادت الهجرة الجنوبية (التي كانت قد بدأت مع الإحتلال العثماني لبلادنا) هذه الهجرة المريرة تحولت إلى اغتراب وكانت وجهتها في الأغلب إلى (أميركا اللآتينية ـ إفريقيا ـ الخليج) وتأثر بها أولاً أهالي البلدات المتاخمة للحدود الفلسطينية اللبنانية مثل يارون ـ مارون الراس ـ عيتا الشعب وصولاً إلى الناقورة غربًا وبنت جبيل شرقًا.

وإزدادت هذه الهجرة مع سوء الأحوال الاقتصادية والأمنية وذلك بسبب العدوان الإسرائيلي المتكرر على الجنوب مما جعل أكثر الطاقات البشرية في مجتمعاتنا بالتفكير بالهجرة. فأصبح الشاب الجنوبي يتطلع إلى تحسين وضعه الاقتصادي وتوفير الأمن له ولعائلته ولم يرَ أمامه سوى طريق الاغتراب كما حصل مع العديد منّا. وكان هدفه الأول بناء منزل في ضيعته رغم عدم وجود إستقرار أمني، وهذا ملفت للغاية ودليل على تشبث المواطن الجنوبي في بلاده, وكانت هذه الظاهرة بمثابة أسلوب أو معنى آخر للمقاومة (التشبث بالأرض)، مما أثمر ثورة معمارية وإزدهار القطاع العمراني، وإنعكس ذلك على تحسين أوضاع المقيمين في هذه البلدات الجنوبية (كثرة الأموال التي كانت تضخ لبناء المنازل أو القصور والتي تبلغ ملايين الدولارات كما سنرى لاحقًا).

وهذا تعبير عن إصرار الجنوبي للتواجد في أرضه ولو كان غائبًا عنها جسديًا، كما أنه تعبير عن حنين الإنسان الجنوبي إلى موطنه الأم.

6 ـ التأثير الإيجابي للعمران الاغترابي

بدأ التأثير الإيجابي للاغتراب وبدأت تتصاعد تدريجيًا هذه الطفرة المعمارية بالتزامن مع الإتفاقات الدولية لحفظ أمن الجنوبي تحت تأثير ضغط المقاومة منذ 1996 وصاعدًا (بعد حرب 1996).

وأصبح العامل الأساسي الوحيد الذي حسّن أحوال المقيمين في الجنوب هو العمران الاغترابي بحيث إحتل أكثر من 80٪ من العمران بشكل عام.

إن رغبة أبناء القرى والبلدات، الزراعية سابقًا، في بناء القصور، تعود إلى «مرارة عيش هؤلاء أيام الزراعة والفقر، عندما كانوا يسكنون في بيوت صغيرة، عبارة عن غرفة أو غرفتين، مع عائلاتهم الكبيرة» يقول المغترب علي غشام، إبن بلدة يارون الحدودية، يذّكر بأن «معظم المغتربين، من كبار السن اليوم، هاجروا ليس فقط بسبب الحرب، بل بسبب الحرمان أيضًا». «كانو ينظرون إلى بيوت الإقطاعيين الكبيرة، ويحلمون ببناء أجمل منها، وهذا ما حصل. وأصبحت ظاهرة بناء القصور طريقة للتباهي بين الأغنياء، وحتى بين متوسطي الدخل، الذين دفع بعضهم الجزء الأكبر من أموالهم لبناء القصور».

خلال هذه الطفرة المعمارية أصبح لازمًا على المقيمين من مهندسين ومتعهدين بتحسين أوضاهم لتلبية حاجات المغترب الجنوبي وتنفيذ حلمه الأول (بناء منزل). وتطورت المنازل مع تحسُّن أحوال المغتربين ماديًا وأصبحنا نشاهد القصور والفلل في مختلف المناطق الجنوبية وعلى مستوى عالٍ من الفخامة من الخارج والداخل.

ولا اخفيكم سرًا بأن عامل الغيرة بين المغتربين زاد من فخامة الفلل والقصور كما سنشاهد معًا بعد قليل.

7 ـ التأثير السلبي للعمران الاغترابي

إن اصحاب هذه القصور هم مغتربون وللأسف أصبحت قصورهم مساكن النواطير.

«قصر الناطور السوداني» هذا هو الإسم الذي يُعرف به أحد قصور بلدة مركبا الحدودية. الأهالي هناك لا يعرفون أولاد صاحب القصر. فهم مغتربون، قلّما يأتون إلى القصر الكبير الذي بناه والدهم المتوفى وتكلّف على بنائه أكثر من ثلاثة ملايين دولار. لذلك ارتبط إسم القصر، بإسم ناطوره السوداني الجنسية، المقيم فيه مع زوجته، ينعم بجماله وخيرات ثمار الأرض الكثيرة المحيطة به.

في بلدة مركبا عشرات القصور الفخمة، لكن فارغة، معظمها بني بعد التحرير ولا يقصدها أصحابها إلاً في المناسبات، باستثناء قصر واحد يعود إلى شخص من آل مسلماني. وهو الأمر نفسه في معظم القرى المشهورة باغتراب أبنائها، ولا سيما يارون الحدودية، إذ يتوزّع أكثر من نصف أبنائها على أميركا واستراليا وكولومبيا وباناما. وقد بنى هؤلاء أكثر من 300 قصر بملايين الدولارات. ولكن اللاّفت أنها فارغة من أصحابها، ولا يسكنها إلاّ النواطير من الجنسيات العربية، ما

يشير إلى أن مئات الملايين من الدولارات باتت مجمدة في أماكن هي أشبه بلوحات فنية جامدة، يشاهدها أصحابها لأيام قليلة كل عام.

في أحد قصور بلدة شقرا (بنت جبيل) التي تضمّ وحدها أكثر من مئتي قصر للمغتربين، فيما تقفر أحياء بكاملها معظم أيام السنة ، يلعب الطفل السوري قصي الجاسم (6 سنوات) مع أخوته الأربعة، في حديقة مجهزة بكل ما يلزم لرفاهية الأطفال. هولا يمزح عندما يقول لا أريد العودة إلى سوريا، أنا ألعب هنا كثيرًا، وكل شيء مؤمن لنا، فيما يقوم والده بقطاف وتشحيل الأشجار المثمرة، مقابل بدل مالي يعادل 400 ألف ليرة، مع السماح له بالعمل خارج القصر. يرى الأخير أن «العمل في خدمة القصور فرصة استثنائية للنازحين السوريين، فنحن بذلك نوفر أكثر من 300 ألف ليرة كنا سندفعها مقابل أجرة منزل خاص بنا» ويؤكد أن «عشرات النازحين يعملون في قصور المنطقة الفارغة، يعتنون بحدائقها، ويؤمنون حراستها، ويأخذون حاجاتهم من ثمار الأشجار المزروعة، بانتظار قدوم أصحاب القصور، الذين لا يأتون إلا صيفًا ولأيام قليلة فقط».

يعبّر أحد المغتربين في جويا عن ندمه لبناء قصره الكبير، الذي كلّفه مئات الآلاف من الدولارات. يقول «أنا اليوم أسكن فيه مع زوجتي والخادمة. أما أولادي فمسافرون، ويفضلون الإقامة في بيوت مستقلة، لذلك كان الأجدى بي أن أبني منازل صغيرة لهم بدل هذا القصر الضخم الذي لا نستطيع الإعتناء بتنظيفه كل يوم، ولذلك اخترنا بعض الغرف للسكن فيها وتركنا الغرف الباقية مقفلة».

وهذا ما يؤكده أحد الوجهاء في بلدة شقرا، يقول «أحد المغتربين دفع مليوني دولار على بناء قصره، وهو اليوم يقيم في الغرف السفلية المعدّة أصلاً للناطور،

فهولا يستطيع مع زوجته الاعتناء بطوابق القصر الثلاثة، لأن أولاده بنوا منازلهم

في أماكن أخرى، ولا يقصدون البلدة إلا لأيام» وينصح جميع الأغنياء ب «بناء منازل صغيرة، من طبقة واحدة، والاعتناء بالحدائق الخارجية التي ثبت انها الأكثر حاجة واستخدامًا».

عندما قرر عبدالله فرحات، بناء قصره الجديد، قبل أن تتراجع أحواله المادية، لم يكن يفكر سوى «ببناء بيت جميل يضاهي في جماله قصور أبناء بلدته» كان يعلم أنه لن يقيم فيه إلاّ لأيام قليلة كل عام، لكنه اليوم وبعدما أعاد حساب الكلفة المالية التي تكبدها على بنائه، اكتشف أن هذه الكلفة كانت ستتيح له الإقامة في

أفخم فنادق لبنان طيلة أيام حياته الباقية، أو تؤمن العيش الرغيد لأولاده خلال سنوات طويلة.

الرأي الشخصي

في المقابل، لم يعمد أحد من أصحاب هذه القصور إلى بناء مصنع أو معمل، هنا لا بد من الإشارة إلى أن القوانين المرعية الإجراء في لبنان بالنسبة للمناطق الصناعية محددة وبشكل محصور بمناطق معينة.

وكان على المغتربين الضغط على السياسيين لإستحصال قانون لتوسعة الأماكن الصناعية ورفع تصنيفها في المناطق الجنوبية لتسهل على المغتربين وبتشجيع من المقيميين بإنشاء مصانع أو معامل لتشغيل ما تبقى من المقيمين في تلك البلدان بعد أن تم الإنتهاء من بناء المنازل وضمن فترة اكثرها ثلاث سنوات.

مشاهدة

حول دكان صغير في يارون، يتناوب على الجلوس على ثلاثة مقاعد خمسة شبان صغار، لا يتجاوز عمر أكبرهم 25 عامًا. أفكار وأحلام كثيرة تراودهم، تتعلق بالهجرة أو الوظيفة «الميؤوس من الحصول عليها». «لا أمل في العمل هنا» يقول أحدهم بحسرة، «البلدة تزينها القصور الفخمة، لكنها تخلو من المعامل وفرص الانتاج، حتى ان أعمال البناء توقفت، وأصبحت الأيدي العاملة الأجنبية الرخيصة هي المطلوبة لإنجاز بعض الأعمال المتعلقة بورش البناء».

السؤال: هل أخذنا الدرس المفيد؟

هل هناك إمكانية إصلاح الوضع؟

إلى أن يأتي الجواب، سوف نبقى نردد قولوا الله بعدنا طيبين!

مع تحياتي لكم جميعًا.

عرض الإحصاءات

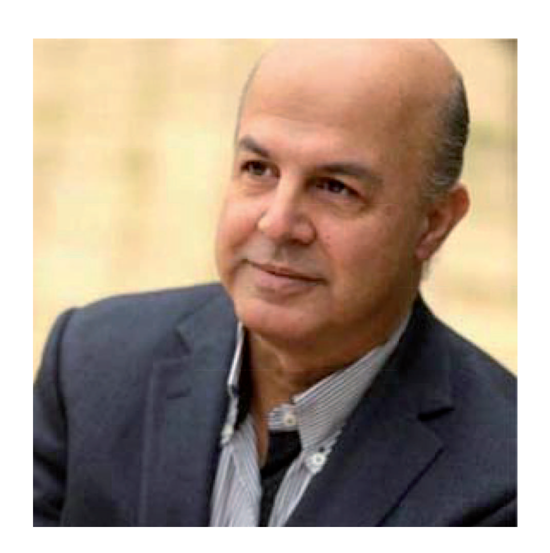
إحصاءات في بعض البلدان الجنوبية

المنطقة	عدد سكانها	عدد المغتربين	أماكن الاغتراب
النبطية	85000	30,000	معظم دول إفريقيا
الزرارية	18000	6000	ابي جان

مارون الراس			إفريقيا+أميركا
يارون	12000	نصف السكان	أميركا اللاّتينية ـ استراليا (اكثر من 300 شخص) اوروبا ـ كولومبيا (اكثر من 200 شخص)
جويا	24000	5000	
شقرا	18000	6000	الكويت - إفريقيا- أميركا
حاريص	17000	8000	إفريقيا
قبريخا	8000	2500	البرازيل + إفريقيا
مركبا	12000	5600	أميركا اللاّتينية ـ إفريقيا

الانتشار اللبناني في بلاد الاغتراب:

د. شادي مسعد



- مهندس معماري (الجامعة الامريكية بيروت).
- حائز على ماجستير في العمارة السياحية (بربنيون، فرنسا).
- حائز على دكتوراه في تخطيط المدن.
- أستاذ في كلية الفنون في الجامعة اللبنانية.
- رئيس مجلس إدارة مجموعة شركات مسعد الهندسية في لبنان والعديد من الدول.
- رئيس سابق للصندوق المركزي للمهجرين، ومستشار سابق لرئيس الجمهورية للشؤون الاميركية.
- رئيس مجلس امناء جمعية كهف الفنون.
- رئيس رابطة المبدعين العرب.
- له العديد من المؤلفات السياسية والاقتصادية والهندسية.
- نال العديد من الأوسمة والجوائز التقديرية.

ارتبطت الهجرة بحياة اللبنانين منذ زمن بعيد وكانت على مراحل مرتبطة بشكل أو بآخر بالوضع السياسي الاجتماعي Socio-politics أو بالوضع الامني. وفي بعض الحالات بالوضع الاجتماعي الديموغرافي بحيث أصبحت الهجرة مصنفة على أنها من المؤشرات المهمة التي تعبر عن استقرار لبنان اقتصاديًا وسياسيًا وأمنيًا.

ابتدأت الهجرة من لبنان باكرًا منذ بداية القرن التاسع عشر، فقد قام رواد الاغتراب بالمخاطرة والمغامرة إلى بلاد لم يكن مسموعًا بها وفي احيان كثيرة كانوا ينزلون من البواخر في بلدان لم يقصدوها اصلاً.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر تتزايد موجات الهجرة المغادِرة ويتواصل معها الانتشار اللبناني في بقاع جديدة من العالم. فالتجارب الناجحة التي قادها المهاجرون الاوائل شكلت في الأساس جسورًا تعبر فوقها العمالة اللبنانية الشابة.

مع نشوب الحرب اللبنانية عام 1975 كانت الهجرة اسهل لشبابنا وعائلاتنا من قبل، فالدروب حاليًا مفتوحة بوجود عائلات واقارب في الاغتراب فاستدعوا اهاليهم من لبنان خوف المخاطر فكانت المساعدة والاقامة مؤمنة لهم.

مع اشتداد وتيرة العنف في لبنان ارتفعت وتيرة الهجرة ومع العنف الطائفي ارتفعت الهجرة طائفيًا ومع العنف الاقتصادي وتدمير مصالح المواطن الاقتصادية، وجد ان لا بد من الهجرة خاصة وان اللبنانين في اوقات عصيبة اعتبروا ان الوطن انتهى وعلينا ان نؤمن أنفسنا واولادنا في الخارج.

ومن هنا ابتدأ التحول من هجرة إلى تهجير سكاني.

تطورت الاحداث الدامية في لبنان وطالت واخذ التناحر الطائفي مداه وادى إلى عمليات فرز سكاني في بعض المناطق مما أدى إلى رحيل الجماعات التي شعرت ان وجودها في خطر خاصة مع غياب الدولة ومؤسساتها الحكومية.

كل هذا أدى إلى انحصار الدافع الرئيسي للمهاجرين في البحث عن الامن ولقمة العيش باللجوء إلى الوطن البديل خارج لبنان.

وقد ترافقت هذه الهجرة مع حركة انتقال واسعة للشركات والمؤسسات التجارية والسياحية والمصارف الي انتقلت بدورها إلى الخارج لمتابعة العمل، هذه الهجرات ابتدأت عادية ومؤقتة وانتقلت إلى جماعية ودائمة ويخشى في حال استمرارها، افراغ البلاد من ثرواتها البشرية والاقتصادية.

الانتشار اللبناني في العالم:

منذ أكثر من مئة وخمسين عامًا يتواصل الانتشار اللبناني وتتواصل الهجرات خارج الوطن، واذا كانت الهجرة إلى البلدان العربية والاوروبية والإفريقية قد تميزت بأنها هجرة مؤقتة، فان الهجرة إلى أميركا الشمالية والجنوبية وإلى استراليا قد اتخذت شكلاً اخرًا حيث اتسمت بصفة الهجرة الدائمة.

ولا بد من التمييز بين مناطق الاغتراب:

- الاغتراب اللبناني إلى دول أميركا واستراليا، هو اغتراب يكاد يكون نهائيًا ودائمًا.
- الاغتراب اللبناني إلى إفريقيا هو اغتراب مؤقت حتى ولو طالت فترة الاقامة.
- الوجود اللبناني في اوروبا مرتبط بالاعمال والتجارة والدراسة.
- الوجود اللبناني في دول الخليج العربي هو عملية انتقال للقوى العاملة ولا يمثل هجرة دائمة، بل حركة مؤقتة لتأمين العمل وتحسين مستوى المعيشة.

وتوزيع المهاجرين يختلف بحسب القارات والدولة المستقبلة، إذ يوجد:

- 45٪ من المهاجرين في دول القارة الاميريكية خاصة في البرازيل والولايات المتحدة والارجنتين وكندا.
- 27٪ في اوقيانيا خاصة في اوستراليا ونيوزيلاندا.
- 17٪ في قارة آسيا خاصة في دول الخليج العربي: السعودية، الكويت والامارات.
- 9٪ في اوروبا خاصة فرنسا بريطانيا وايطاليا.
- 2٪ في القارة الإفريقية.

ويتبين من دراسة اعدتها الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم ان عدد اللبنانين

والمغتربين من أصل لبناني في نهاية العام 1988 هم 13,307,878 نسمة منهم 4,5 مليون نسمة ما زالوا مرتبطون بوطنهم بشكلٍ أو بآخر أو انهم إما يحملون الجنسية اللبنانية أو يزورون لبنان بصورة مستديمة بجوازاتهم الاجنبية. وبحسب الدراسة عينها يتوزع المغتربون كما يلي:

في المرتبة الأولى تأتي البرازيل مع وجود 5,800,000 متحدر منهم 2,000,000 يتواصلون مع الوطن، وفي الولايات المتحدة 3,500,000 منهم 1,300,000 مرتبطون ببلدهم، وفي الارجنتين 1,200,000 منهم 400,000 ما زالت لديهم روابط مع الوطن.

ومن ثم تأتي دول الكاريبي واستراليا وفنزويلا في المرتبة السادسة، ثم كندا والمكسيك، ثم كولومبيا وفي المرتبة العاشرة المملكة العربية السعودية.

ويلاحظ ان أرقام الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم لا تتطابق مع غيرها وحتى انها في بعض الاحيان لا تتطابق مع احصاءات الجامعة نفسها من سنة إلى أخرى ومثال على ذلك ان احصاء الجامعة لعام 81 اورد عدد اللبنانيين المهاجرين بـ6,612,000 فيما احصاء الـ88 بينها على انها 13,300,000.

الآثار الاجتماعية والاقتصادية للهجرة اللبنانية: بايجابياتها وسلبياتها، فالهجرة لا تقتصر على ايجابياتها وتقدير الفوائد المتمثلة بالعائدات والأموال التي يرسلها المهاجرون إلى ذويهم، بل يجب التركيز على السلبيات والخسائر الجسيمة التي يفتقدها بلد المنشأ في اعداد الكوادر البشرية ثم خسارتها دون مقابل عند تحولها إلى قوى عاملة ومنتجة مما يعرقل مخططات التنمية ويفرغ البلاد من الخيرات والطاقات القادرة على تحقيق النهوض الاقتصادي والاجتماعي وهي أكثر العناصر ديناميكية في المجتمع. ولقد جاءت الاحداث لتزيد من خسارة لبنان الكفاءات المدربة والممتازة.

وعليه فمطلوب اليوم اعادة صياغة رؤية جديدة شاملة وكاملة تضع الهجرة في اطارها الصحيح وصياغة الوسائل الكفيلة بحماية الموارد البشرية، حيث انه في لبنان أصبحت الهجرة ظاهرة شاملة ينظر إليها إلى انها موردًا هاماُ من موارد الدعم لاقتصاديات الدولة دون التنبه للاخطار الناجمة عن خسارة أكثر العناصر حيوية في المجتمع، بل أن تصدير القوى البشرية بات امرًا عاديًا يضاف إلى قائمة الصادرات الأكثر جودة ونوعية.

وقد حملت تيارات الهجرة معها معظم الكفاءات من مهندسين واطباء وعمال مهرة فأحدثت فراغًا كبيرًا في قطاعات اقتصادية هامة (النزوح الزراعي) مما أدى إلى تدهور في اقتصاديات الارياف.

السبب الرئيسي للهجرة هو بهدف تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وترتكز على اهداف رئيسية كوجود عمل ومدخول جيد، ثم وجود استقرار ووجود أمن، وكذلك تأمين مسكن مناسب وفرص ترفيه الخ... بحسب الدكتورة هدى زريق في كتابها "عملية صنع القرار في الهجرة من لبنان". اما خلال الاحداث اللبنانية فالهجرة أصبحت طريق خلاص للهروب من جحيم الحرب حتى اننا وصلنا إلى ان غالبية الامهات بتن يبحثن عن وسائل ومساعدات لتأمين هجرة اولادهن إلى الخارج لتخليصهم من الوضع الامني بعدما كانت الأم سابقًا هي المانع الرئيسي، بسبب عاطفتها، لهجرة اولادها.

ومن التاثيرات الاجتماعية الرئيسية للهجرة من لبنان: كما وردت في دراسة للدكتور علي فاعور بعنوان "الهجرة للبحث عن وطن".

1 ـ انخفاض عدد السكان المقيمين:

إذ هاجر من لبنان خلال حرب السنتين (1975-1976) حوالي 22٪ من السكان حيث بلغ عدد المهاجرين 625,000 نسمة من اصل عدد سكان لبنان البالغ في حينه 2,800,000 نسمة وقد استقر خارجًا من الذين هاجروا 43,5٪ أي 271,875 نسمة.

بين سنتي 1978-1984 هاجر إلى امريكا وإفريقيا ما يقارب 325,000 الف لبناني معظمهم بشكل دائم وتميزت هذه الهجرة بانها هجرة اسر.

بين عامي 1975-1982 أيضًا هاجر 170,000 نسمة إلى دول الخليج العربي معظمهم من العمال المهرة والمهنيين واصحاب الكفاءات.

وفي دراسة للدكتور أنيس ابي فرح اجريت في 13 مارس 1989 بينت ان عدد سكان لبنان المقيمين انخفض بين سنة 1982 و1987 نتيجة الهجرة من 2,916,000 إلى 2,684,000 نسمة.

2 ـ تأخير الزواج وانخفاض معدل الخصوبة:

اذ برزت فجوة عميقة في وسط الهرم السكاني نتيجة اختلال التوازن في اعداد الذكور والاناث وارتفعت هذه النسبة لتصل في بعض الحالات إلى 17٪ في الفئات العمرية بين 30 و34 سنة.

3 ـ إعادة توزيع السكان:

الهجرة ارتبطت خلال الحرب بتهجير السكان وغالبًا ما يعتبر التهجير السكاني سببًا رئيسيًا للهجرة فبعد مرحلة الاقتلاع والتهجير المناطقي تأتي الهجرة كمرحلة مكملة مما احدث تغييرًا ديموغرافيًا خطيرًا.

4 ـ ازدواجية الولاء عند اللبنانين:

الهجرة المؤقتة إلى الاميريكيتين واستراليا وإلى اوروبا تتحول إلى دائمة وبالتالي يحصل اللبناني على جنسية البلد الجديد وينال حقوق المواطنية بينما يعاني في بلده الام نتائج التمييز والنزاعات الطائفية، فتبرز عنده وتنمو ازدواجية الولاء التي تتغذى تدريجيًا وبمرور الزمن، بحيث تذوب وتتلاشى الهجرات في اماكن الانتشار الجديد بعد جيل أو جيلين بينما تفتر العلاقات وتنقطع مع البلد الام.

الاثار الاقتصادية للهجرة:

1 ـ التركيبة الاقتصادية: التحول عن الأرض والزراعة والانتاج إلى الهجرة بحيث يتم النزوح من القرية إلى المدينة ثم الهجرة من القرية والمدينة إلى الخارج. بحيث جرى التحول تدريجيًا عن تصدير الحمضيات والتفاح والخضار إلى تصدير الادمغة والكفاءات والعمال المهرة فأضحت الزراعة خارج التركيبة الاقتصادية اللبنانية.

2 ـ التحويلات المالية للمهاجرين: تكاد تنحصر ايجابيات الهجرة الدولية في تحويلات المغتربين، منها للأهل لمساعدتهم في تجاوز المحن الاقتصادية التي يمر بها الوطن ولاسيما التضخم المالي ومواجهة الازمة المعيشية، ومنها التوظيف في المشاريع الاستثمارية، ولعل التحويلات المالية التي يرسلها المغتربون إلى ذويهم (وخاصة من دول الخليج) أصبحت خلال الحرب المورد الأساسي لقيمة النقد. كما ذكر الدكتور رياض طبارة في دراسته "التنمية العربية والموارد البشرية اللبنانية" إذ بلغت عام 1979 أكثر من 55٪ من المجموع الصافي للانتاج الداخلي في لبنان وتجاوزت باكثر من 15٪ النقص الحاصل في الميزان التجاري.

3 ـ استنزاف الموارد الاقتصادية: يعتبر لبنان من الدول الرئيسية المصدرة للكفاءات، بالرغم من قلة عدد سكانه، إذ بينت دراسة اعدتها الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، أن الهجرة اللبنانية خلال الحرب قد شملت نسبة مرتفعة من

العاملين في القطاعات الحيوية وقد توزعت 50٪ في حقل الطب، 48٪ في حقل الهندسة، 45٪ في المحاماة، و70٪ في الصناعة.

وقد ذكرت جريدة الانوار بتاريخ 1978/3/9 في مقال لها عن توزع اللبنانيين في الخارج إلى وجود 15,000 طبيب من اصل لبناني و14 الف مهندس و22 الف محام و11 الف مدرس وأستاذ، و1200 نائب مغترب من اصل لبناني، و700 مارشال وجنرال وعقيد في الجيوش الاجنبية.

ويتبين من المعلومات التي تعدها المؤسسة الاميركية للعلم في مسحها للكفاءات العالية من العلماء والمهندسين والاطباء الاجانب ان نسبة اللبنانين سنة 1977 كانت تمثل 23,9٪ (عددهم 401) من مجموع المهاجرين العلماء الذين دخلوا الولايات المتحدة في ذلك العام، وعام 1976 فقط وعلى سبيل المثال هاجر 152 طبيبًا إلى كندا، هذا اضافة إلى تدفق العلماء والمهندسين والاطباء اللبنانين إلى فرنسا التي منحتهم تسهيلات استثنائية للعمل، وكذلك هجرة القوى العاملة اللبنانية التي ارتفعت وتصاعدت لتصل بحسب دراسة للدكتور نديم خلف عن "التحركات السكانية والمشكلة اللبنانية" إلى 200,000 عامل عام 1979 منهم 59٪ في الدول العربية. ولاسيما الممكلة العربية السعودية، 35٪، كما يتبين من دراسة اجرتها منظمة العمل الدولية عام 1981 ان نحو 250,000 لبناني يعملون في البلدان العربية النفطية.

4 ـ هجرة القوة البشرية الشابة: من الطبيعي ان تكون هجرة القوة البشرية الشابة هي البحث عن المستقبل، فان تقسيم الدولة والغاء دورها لمصلحة الدويلات وانتشار الفساد في الادارات واستغلال الشركات والاطراف المتحكمة بمصادر التموين، كل هذا أدى إلى حالة يأس في نفوس العناصر الشابة، إذ وجدت كل الابواب مقفلة في وجهها، فاختارت الهجرة وسيلة جيدة لصنع المستقبل فهاجر مئات الاف الشباب اللبنانين. وبنتيجة بعض الدراسات الاولية التي اجريت، يسود اعتقاد واسع لدى الجغرافيين والديموغرافيين ان لبنان يواجه اليوم مرحلة الخطر الكبير المتمثل بفقدان رأسماله البشري بحيث أصبح مستقبله الاقتصادي ودوره الريادي مرتبطًا بعودة المهاجرين ويكفي ان نذكر هنا كمثال، عودة العناصر الشابة التي تعمل في صناعة السيارات في الولايات المتحدة من ديترويت ـ ميشغن والتي

تقدر بـ150,000 شخص بينهم 15,000 من مدينة بنت جبيل و8,000 من بلدة تبنين إلى بلداتهم الفارغة حاليًا تقريبًا من جيل الشباب.

5 ـ توظيف الأموال المهاجرة في المدن وليس في القرى: لم توظف أموال المهاجرين، المستثمرين في وطنهم، في مشاريع انمائية منتجة في القرى وخاصة الزراعية والصناعية، بل وظف معظمها في قطاع البناء الاستثماري وهذا القطاع، من الطبيعي ان يكون في المدن، فتزايد عدد سكان الضاحية الجنوبية من 50 الف عام 1965 إلى حوالي 600,000 شخص حاليًا، حيث ان المهاجرين الذين اسهموا في بناء الضاحية الجنوبية هم من اصول ريفية.

وكخلاصة نسأل، هل أضرّت الهجرة بلبنان أم ان لها ايجابيات كثيرة؟

من المؤكد ان الهجرة قد ساعدت لبنان في تحمل الاثار التدميرية التي خلفتها النزاعات والحروب وكذلك التضخم وزيادة أعباء المعيشة، ولكنها تبدو وقد أفرغت البلاد من قدراتها البشرية. ان الهجرة هي عملية خطف للثروة البشرية وهي ما يحتاج إليها لبنان حاليًا.

برغم الافتقار إلى الدراسات الاحصائية، لكن يمكن القول ان الاحداث المتعاقبة اظهرت ان ما يحتاج إليه لبنان لاستعادة ابناءه هو استتباب الامن والاستقرار المبني على قواعد وفاقية ثابتة تسمح بالعيش الهنيء وبالاستثمار دون مخاطر وكذلك الثقة بالقضاء والعدالة.

من المهم الابتداء بالخطوة الأول في مواجهة هذه الوقائع وهي تكون في فتح الابواب للاستفادة من الهجرة العائدة بكافة اشكالها، والنجاح يكمن في محاولة استيعاب الثروات التي جُمعت بعرق الجبين في بلاد الاغتراب وتوجيهها للعمل في مجالات مجدية وبالاخص في القطاعات الزراعية والصناعية المنتجة وكذلك توفير مجالات العمل للمهاجرين العائدين مما يسهل اندماجهم في بيئتهم ومجتمعهم.

كيفية المواجهة:

يجب التسليم اولاً ان لبنان بعد استنزاف موارده البشرية النادرة قد انحدر بعيدًا إلى مستوى البلدان المتخلفة ويظهر ذلك من خلال انخفاض الدخل الفردي وتفكك التجهيزات الأساسية والشلل الذي اصاب الادارات والمؤسسات الحكومية وانتشار الفوض في التعامل بين المواطنين.

إذا ما اتفق اللبنانيون فيما بينهم على ثوابت اجتماعية، اقتصادية وسياسية، وتتأمن السيادة، بما يكفل استعادة ما يكفي من العناصر الشابة والمتعلمة، يبنى المجتمع، بالتشارك مع ما تبقى من موارده البشرية. ويكفي ذكر ان لبنان خسر نصف مليون نسمة من ابناءه في هجرتهم خلال الحرب.

لبنان قد اهمل منافع هذا الانتشار الحيوي لمغتربيه ولم ينظم العلاقة المطلوبة بين المهاجرين واهلهم المقيمين، بل لقد تأخر إنشاء وزارة للمغتربين حتى عام 1992 ثم عادت والغيت هذه الوزارة.

وما يلفت النظر عدم الاستفادة من الانتشار اللبناني أو الاستعانة بهذه الثروة البشرية الاقتصادية والسياسية الهائلة في دعم لبنان في مواقفه وعلاقاته الخارجية.

ان الحاجة ماسة لتنظيم هذا الانتشار وايجاد الوسائل الفعالة لاشراك المغتربين في إعادة إعمار بلدهم والتقديرات تؤكد أن لديهم الإمكانات المطلوبة.

التوزع الجغرافي للمهاجرين في قضاء النبطية:

د. دانا سرحان



- مواليد النبطية.
- حائزة على شهادة الجدارة في علم اجتماع التربية من الجامعة الليبنانية.
- حائزة على شهادة الماجستير في علم اجتماع العمل من الجامعة اللبنانبة.
- حائزة على شهادة الدكتوراه اللبنانية في العلوم الاجتماعية ـ اختصاص تنمية اقتصادية واجتماعية.
- أستاذة جامعية في جامعة الرسول الاعظم.

مقدمة

كان المهاجرون اللبنانيون الأوائل يصلون إلى البرازيل وبصورة خاصة من خلال مرفأي سانتوس وريو دي جانيرو وهم صفر اليدين حيث كان عليهم أن يبدأوا من حيث وصلوا، غير أن روح الشجاعة التي كانوا يتحلّون بها، كانت تدفع بهم إلى التفتيش عن لقمة العيش في إطار الحريّة وذلك في مناطق برازيليّة رئيسيّة ثلاث: المنطقة الشمالية حيث إنتاج المطاط (الكاوتشوك)، والوسطى حيث المناجم والجنوب حيث إنتاج البن. وهناك كانوا يناضلون في سبيل أيام أفضل، وأصبحوا جنبًا إلى جنب مع البرازيليين والإيطاليين والألمان مكتشفي هذه المناطق ومعمّريها. وقد انطلق اللبنانيّون، بصورة خاصة في التجارة المتجولة يبيعون الخرضوات، فكانوا يحملون صناديق يعرضون فيها الأمشاط والمرايا والعطور... ولذلك فقد أطلق عليهم في البداية إسم «كاشيروس» وباللغة العربية «أهل الكشة» (أهل الصندوق).

وإنطلاقًا من «الكشّة» التي كانوا يحملونها على ظهورهم، إستطاعوا فتح دكاكين صغيرة تحوّلت مع الوقت إلى محلات تجاريّة كبيرة، ثم عندما شعروا بالإستقرار الاقتصادي والإندماج الاجتماعي، أخذوا يتعاطون بأمور الثقافة والعلم والسياسة ويؤسّسون النوادي والجمعيّات والمدارس ودور الأيتام والمستشفيات والصحف. وسوف نحاول توصيف حالة المهاجرين وتوزعهم الجغرافي على مختلف دول العالم ويمكننا توزيع الهجرة على عدّة مراحل تاريخية إنطلاقًا من الأحداث التي حصلت في لبنان وشكّلت دوافع مهمّة للهجرة إلى الخارج وهي:

1 ـ المرحلة الأولى: 1860- 1943

لم تكن هجرة اللبنانيين بين العام 1860 و1900 ثابتة وموثّقة بشكل واضح، بل

اعتراها العديد من التدخّلات لا سيما في صعوبة تحديد اللبنانيين عن غيرهم من المهاجرين. وقد سجّلت الهجرة إلى الولايات المتّحدة الأمريكية 2200 مهاجر من الترك بين عامي 1880 و1890، إضافة إلى 3708 مهاجرًا سوريًا عام 1899، إلا أن مكرزل يعتبر أن غالبيّة هؤلاء هم من اللبنانيين[1]. أما المهاجرون إلى البرازيل، فقد قدّر عددهم بحوالي 7214 مهاجرًا بين عامي 1894 و1903، وقد كان يُطلق على هؤلاء إسم الترك في حين أن غالبيّتهم أيضًا من اللبنانيين[2]، كما وتعود الهجرة إلى الأرجنتين إلى عام 1880 حيث وصل العدد إلى حوالى مئتي ألف مهاجر عام 1900، في حين أن الموجة الأولى من الهجرة إلى أستراليا قد حصلت في الفترة الممتدة بين عامي 1882 و1910[3]، وفي عام 1929 دخلت أكبر موجة هجرة آتية من الولايات المتّحدة الأمريكية إلى المكسيك نتيجة للأزمة الاقتصادية العالميّة التي حدثت عام 1928[4].

وقد توقفت وتيرة الهجرة إبان الحرب العالميّة الأولى، ووقع لبنان خلالها تحت وطأة المجاعة جرّاء الحصار البحري الذي فُرض عليه، وانتشرت الأمراض، وخصوصًا مرض التيفوئيد الذي أودى بحياة حوالى 150 ألف شخص[5].

وبعد الحرب العالميّة الأولى، فقد وضعت الولايات المتّحدة وبلدان أميركا الجنوبيّة الحواجز والعراقيل في وجه المهاجرين، واستُبدل قانون الهجرة القائم على الحصص (الكوتا) بقانون آخر يتطلّب كفاءات وخبرات محدّدة للمهاجرين بما يتطلّبه سوق العمل الأمريكي. وفي هذه الحال، إنخفضت نسبة الأموال المرسلة إلى الوطن لسببين: السبب الأول هو الأزمات الاقتصادية التي مرّت بها الولايات المتّحدة وغيرها من دول أميركا الجنوبيّة، والسبب الثاني هو إستدعاء العديد من المهاجرين أسرهم للعيش معهم في أماكن تواجدهم في الخارج، بحيث استقرّوا

(1) مكرزل، ج، تاريخ التجارة السورية في المهاجر الاميركية، 1920-1929، المطبعة السورية الاميركية، نيويورك، ص8.

(2) afa, E, L Emigration, Libanaise, 1960, p8.

(3) Safa, 1960, p18.

(4) حتي، ف، لبنان في التاريخ. ترجمة انيس فريحة. بيروت، 1959 .
1922، ص9. (إن أول مهاجر لبناني إلى المكسيك يدعى يعقوب صوما عواد من حصرون، وصل إلى المكسيك عام 1882).

(5) LAMENS, H. La syrie, précis historique, imprimerie catholique. Beyrouth 1921, p.p. 121-220.

نهائيًّا في تلك الدول. فقد بدأ المهاجرون يتّخذون اتجاهات جديدة في العمل، لا سيما في مجال التوسّع في التجارة، خصوصًا في العالم الجديد ما حقق لمعظمهم نجاحًا كبيرًا شجّعهم على البقاء والإندماج في المجتمع المستقبل.

كما ارتفعت وتيرة الهجرة في فترة الإنتداب الفرنسي على لبنان، حيث بلغ المعدّل السنوي حوالى 4400 مهاجر سنويًا، إلا أنها تراجعت في أوائل الثلاثينيّات جرّاء الأزمة الاقتصادية العالميّة. وهكذا يبدو أن وتيرة الهجرة، صعودًا أو هبوطًا، تتحكّم بها عوامل متعدّدة يمكن أن تكون داخليّة أو خارجيّة.

وقد توزّع المهاجرون في تلك المرحلة على مختلف القارات على الشكل الآتي:

جدول رقم 1: توزّع المهاجرين اللبنانيين وفقًا للقارات خلال فترة الإنتداب

القارة	العدد	النسبة٪
أميركا الشمالية	30544	7
أميركا الجنوبية	230928	52
إفريقيا السوداء	180186	41
المجموع	441658	100

المصدر: حرفوش، ن، الحضور اللبناني في العالم. مطبعة كريم، جونية، 1974.

يتضّح من خلال بيانات الجدول رقم 1، أن أميركا الشمالية سجّلت نسبة متدنيّة في أعداد المهاجرين اللبنانيين (7٪) مقارنة بالقارّات الأخرى. وهذا الإنخفاض يعود إلى تأثّرها بالأزمة الاقتصاديّة العالميّة، وإحجام اللبنانيين عن التوجّه إليها لحالة الكساد التي انتابتها وارتفاع معدّلات البطالة وانخفاض القدرة الشرائيّة للاقتصاد الكلّي. وهذا لا يعني أن الدول الأخرى التي لجأ إليها المهاجرون كانت بمنأى عن هذه الأزمة وتداعياتها، إلا أن غالبيّة هذه الدول لم تكن في مستوى التصنيع والإنتاج التي كانت تحتلّه الولايات المتّحدة، وبالتالي فإن آثارها لم تكن على قدر كبير من الأهمية، إذ أن الأزمات الاقتصاديّة تؤثّر عادة في الاقتصادات الكبرى القائمة على الصناعات الثقيلة.

2 ـ المرحلة الثانية: خلال الفترة 1943-1975

جدول رقم 2: توزّع المهاجرين اللبنانيين بين عامي 1956 و1969

الدولة	عدد المهاجرين	النسبة٪
الولايات المتحدة الأمريكية	26732	20,7
كندا	20575	15,9
أستراليا	18845	14,6
برازيل	14322	11,1
أرجنتين	10861	8,4
فنزويلا	10574	8,2
المكسيك	3077	2,4
جزر الكاريبي	2945	2,3
ليبيريا	2573	2
كولومبيا	2488	1,9
كوت ديغوار	2476	1,9
أونتيل	2068	1,6
نيجيريا	2019	1,6
سيراليون	1918	1,5
سنغال	1898	1,5
غانا	1728	1,3
إكوادور	951	0,8
شيلي	866	0,7
غينيا	779	0,6
بوليفيا	490	0,4
مالي	442	0,3
أوروغواي	389	0,3
المجموع	**129016**	**100**

المصدر: حرفوش، مرجع سابق، ص 5.

إن غالبيّة المهاجرين اللبنانيين توجهوا إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة بنسبة 21٪، تليها كندا بنسبة 16٪ تقريبًا، ثم أستراليا بنسبة 15٪، والبرازيل بنسبة 11٪، ثم الأرجنتين وفنزويلا بنسبة 8٪ لكليهما حسب الجدول رقم 2، إذ أن هذه الدول تستوعب أكثر من ثلاثة أرباع المهاجرين، إلا أن اللافت في توجّه بعض المهاجرين إلى دول فقيرة ومتخلّفة أكثر من لبنان.

ولهذا يمكننا القول: إن الهجرة اللبنانيّة إتخذت خلال فترة الخمسينيّات اتجاهين أساسيين:

الأول باتجاه الدول الغربيّة، والثاني باتجاه دول الخليج. وإن هذين الاتجاهين إتخذا منذ عام 1975، منحى تصاعديًا بشكل كبير حيث تحوّل لبنان من بلد يستقبل المهاجرين إلى بلد يدفع بأبنائه إلى الخارج بمختلف الوسائل، نظرًا لما تعرّض له من حروب وتهجير طالت مختلف المناطق اللبنانيّة.

جدول رقم 3: توزّع المهاجرين اللبنانيين بين عامي 1966 و1971 في الولايات المتحدة الأميركية حسب نشاطهم الاقتصادي

المهنة / السنة	1966	1967	1968	1969	1970	1971
علوم فيزيائية	91	133	123	157	225	229
كادر إداري	32	29	41	59	72	76
كادر زراعي	1	3	2	21	7	9
مجموع الإختصاصيين	124	165	166	237	304	314
النسبة إلى المجموع العام	53,6٪	52,8٪	46,6٪	48٪	42,3٪	40٪
أمين سر	25	27	35	44	50	70
بائع	10	14	11	21	34	29
عامل ومهني	39	57	72	104	213	207
مستخدم	16	28	47	49	73	85
أمن وحماية	17	21	25	38	44	79
مجموع العاملين	107	147	190	256	414	470
المجموع العام	231	312	356	493	718	784

المصدر: حرفوش، مرجع سابق، ص 36.

3 ـ مرحلة الحرب اللبنانية 1975- 1990

تصاعدت وتيرة الهجرة بشكل مطرد إبان الحرب اللبنانيّة، بسبب بروز عاملين أساسين وهما: عامل خارجي جاذب، تمثل في بدء عمليات تصحيح أسعار النفط الأمر الذي شجع اللبنانيين على التوجه نحو البلدان الخليجية، وعامل داخلي طارد، تمثل بالحرب اللبنانية وما أفرزته من تدهور في الأوضاع الأمنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية[1].

جدول رقم 4: صافي هجرة اللبنانيين السنوية من العام 1975 إلى العام 1990

السنة	صافي الهجرة السنوية
1975	400,000
1976	297,000
1977	38,000
1978	76,000
1979	49,000
1980	33,000
1981	33,000
1982	33,000
1983	33,000
1984	61,605
1985	70,201
1986	73,907
1987	67,000
1988	67,000
1989	85,000
1990	71,804
المجموع	894,717

المصدر: لبكي، ب، الهجرة كتحدٍّ للاقتصاد اللبناني: الجذور التاريخية، الوضع الراهن، آفاق المستقبل، 2011 .https://www.lebarmy.gov.lb (تاريخ الدخول في 13 آذار 2017).

(1) نوفل، حلا، تقرير الهجرة الدولية وانعكاساتها على لبنان، ورقة مقدمة بمناسبة اليوم العالمي للسكان إلى اللجنة الوطنية الدائمة للسكان، وزارة الشؤون الاجتماعية، بيروت، 2006، ص 10.

وقد قدر صافي الهجرة خلال الفترة الممتدة في هذه المرحلة بنحو 900,000 لبناني حسب الجدول رقم 4، أي ما يعادل ثلث مجموع السكان، نصفهم توجه إلى البلدان النفطية الخليجية وسوريا والأردن، والنصف الآخر إلى أوروبا وأميركا وإفريقيا وأستراليا. وارتفع عدد المهاجرين من القوى العاملة ما بين العام 1975 والعام 1979 من 100,000 مهاجر إلى 210,000 مهاجر، ليصل العدد إلى حوالى ربع مليون مهاجر في العام 1982. وقدرت نسبة الذين هاجروا إلى البلدان الخليجية بـ 59,7٪ حتى العام 1982، كما اقتصرت هذه الهجرة على الذكور الشباب أو الرجال المتزوجين دون أسرهم، معظمهم من رجال الأعمال والتقنيين. في حين طاولت الهجرة إلى أميركا الشمالية والجنوبية وأستراليا وأوروبا الغربية أسرًا بكاملها، وتمتع هؤلاء المهاجرون بمؤهلات محدّدة، حيث استقطبت أميركا الفئات المهنية والتخصصات العليا، وأوروبا رجال الأعمال والطلاب. أما الهجرة إلى إفريقيا فقد تحدّدت بعائلات المهاجرين المقيمين الذين يتمتعون بمستوى متدن من المهارات[1].

جدول رقم 5: حركة الهجرة اللبنانيّة بين عامي 1991 و1999

السنة	العدد	النسبة٪
1991	50,000	4,6
1992	38,445	3,5
1993	48,050	4,4
1994	56,754	5,2
1995	106,812	9,9
1996	186,990	17,2
1997	152,047	13,9
1998	173,190	15,9
1999	276,676	25,4
المجموع	1,088,991	100

المصدر: الجمهورية اللبنانية، رئاسة مجلس الوزراء، إدارة الإحصاء المركزي، النشرة الإحصائية، بيروت، 2000.

(1) نوفل، مرجع سابق، 2006، ص 11.

جدول رقم 6: حركة الهجرة بين عامي 2000 و2006

السنة	العدد	النسبة٪
2000	191,394	18,4
2001	259,292	24,9
2002	144,263	13,9
2003	221,286	21,2
2004	147,613	14,2
2005	28,731	2,8
2006	47,947	4,6
المجموع	1,040,526	100

المصدر: لبكي، ب، الواقع السياسي للفقر الريفي في لبنان بعد 1990: النتائج 2007 //:https www.lebarmy.gov.lb. (تاريخ الدخول في 13 آذار 2017

يتبيّن من خلال الجدول أعلاه أن مجموع المهاجرين من العام 2000 وحتى العام 2006 بلغ أكثر من مليون شخص بمعدّل سنوي بلغ 148646 مهاجرًا. وقد وصل أقصاه عام 2001 إذ بلغ العدد 259,292 مهاجرًا، وقد يعود ذلك إلى عدّة عوامل حدثت في تلك المرحلة منها ما يتعلّق بالظروف الاقتصادية التي مرّ بها لبنان على الرغم من الإستقرار الأمني الذي حصل جرّاء الإنسحاب الإسرائيلي من لبنان الجنوبي. أما ارتفاع وتيرة الهجرة عام 2006 فتعود إلى تداعيات حرب تموز حيث ارتفعت نسبة المهاجرين، وخصوصًا في المناطق التي تعرضت للإعتداءات والخراب والدمار والتي بلغت أقصاها في الضاحية الجنوبيّة لبيروت بنسبة 22٪ تليها المناطق الأقل تضرّرًا في الجنوب 14,9٪ ثم بيروت بنسبة 14,6٪[(1)].

وتوضح لنا بيانات الجداول السابقة، توزّع المهاجرين اللبنانيين خلال فترات زمنية متلاحقة، إذ شكلت الفترة (1975-2006) فترة تصاعد لتيارات الهجرة إلى

(1) الجمهورية اللبنانية. رئاسة مجلس الوزراء. إدارة الاحصاء المركزي. (2007). الأحوال المعيشية للأسر. بيروت، ص39.

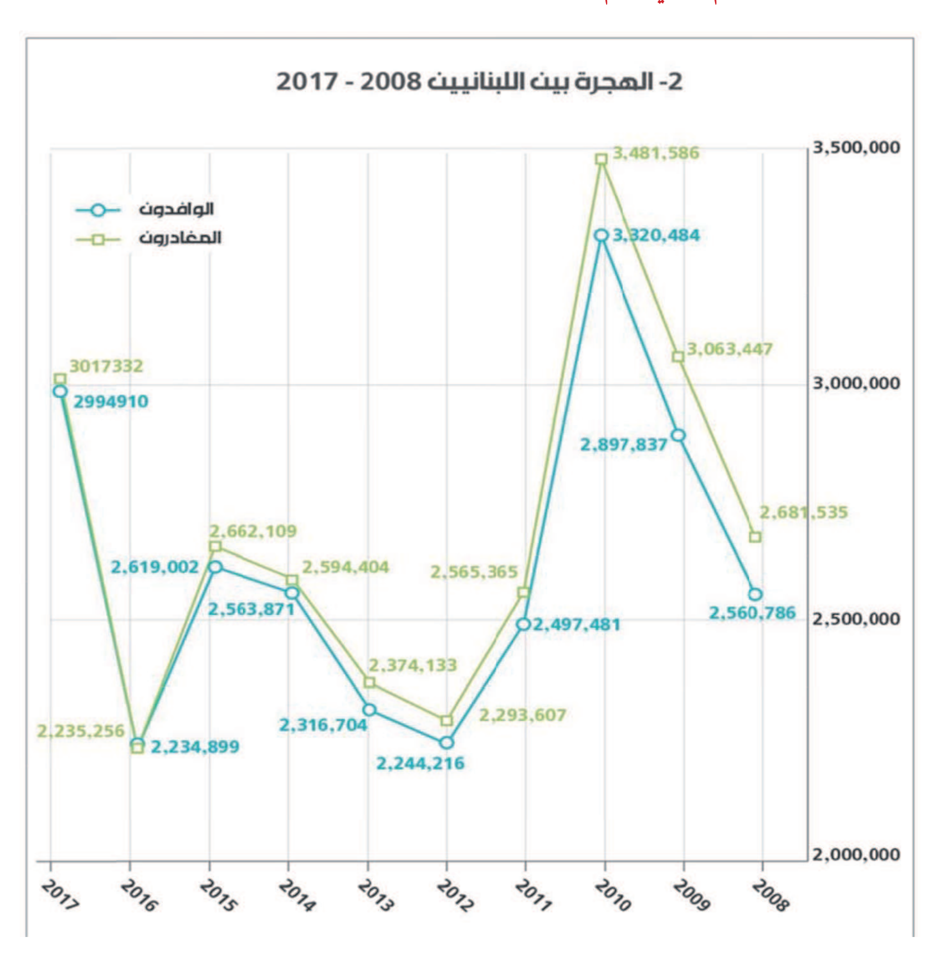
مختلف دول العالم. إلا أن ما يعيب هذه الإحصاءات هو تناقضها بشكل كبير ما يوقع القارىء والمتتبع لظاهرة الهجرة في حيرة من الجهة التي يعتمد عليها، وخصوصًا أن أي من هذه الدراسات لم تعلن عن استخدامها لتقنية واضحة في جمع المعلومات. فعلى سبيل المثال تبين من خلال إحصاءات الأمن العام أن هناك "3,2 مليون مهاجر من لبنان منذ عام 1975 وحتى العام 2006" والتي جمعها الدكتور بطرس لبكي أي بمعدّل سنوي مقداره 153 ألفًا. بينما قدّر الدكتور جواد عدرة المتوسط السنوي للمهاجرين للفترة نفسها بحوالى 20 ألفًا سنويًّا، في حين كان التقدير السنوي للدكتور رياض طبّارة متقاربًا مع تقديرات الأمن العام إذ بلغ المعدّل السنوي 150 ألفًا. أما دراسة كسباريان فقد قدّرت مجموع المهاجرين للفترة الواقعة بين 1975 و2001 بـ 600 ألف مهاجر أي بمعدّل وسطي بلغ 23 ألف مهاجر سنويًّا، في حين سجّلت دراسة أنيس أبي فرح معدّلا سنويًّا بلغ 136 ألفًا للفترة نفسها[1].

وقد استطاع د. أسعد الأتات احتساب عدد المهاجرين ما بين عامي 2008 و2017 من خلال إقامة تقاطعات بين عناصر النمو الديموغرافي (ولادات ووفيات وهجرة) خلال هذه الفترة، ونتائج المسحين الإحصائيين بالعيّنة عامي 2007 و2012، اللذان أجرتهما إدارة الإحصاء المركزي حول الأحوال المعيشية للأسر في لبنان. وتوصل إلى أن حجم الهجرة الخارجية بين اللبنانيين وصلت في السنوات العشر الأخيرة إلى 718,584 لبنانيًا، بمتوسط 72 ألف مهاجر سنويًا، وهو ما لم يعرفه لبنان في تاريخه، إذ لم يتجاوز المتوسط السنوي للهجرة الخارجية كافة 60 ألف مهاجر حتى في فترة الحرب الأهلية (1975 ـ 1990)، ونحو 40 ألفًا خلال فترة 1992 ـ 2007[2].

(1) الدولية للمعلومات، في دراسة عن واقع هجرة اللبنانيين من 1991- 2000، جريدة النهار، بيروت، الاثنين 2001/11/26.

(2) الاتات، اسعد نزيف الهجرة المتواصل ـ اللبنانيون المقيمون يتناقصون. جريدة الأخبار. بيروت https://al-akhbar.com/Capital. (تاريخ الدخول في 17 كانون الثاني 2019

رسم بياني رقم 1: الهجرة بين اللبنانيين 2008 ـ 2017



المصدر: الأتات، مرجع سابق، 2019.

4 ـ توزّع المهاجرين حسب المحافظات والفترات الزمنيّة للهجرة:

إن للفترات الزمنية أثرًا واضحًا في حجم الهجرة، حيث تزيد مع حدوث الأزمات في مراحل معينة، كالحروب أو المجاعات، وتنخفض في مراحل الرخاء الاقتصادي والسلم الأهلي. كما أن عدم التوازن الاجتماعي والاقتصادي والأمني بين المحافظات اللبنانية يؤدي إلى تفاوت حجم الهجرة.

جدول رقم 7: توزّع نسبة المهاجرين اللبنانيين حسب المحافظات والفترات الزمنيّة للهجرة

المحافظة / السنة	بيروت	ضواحي بيروت	جبل لبنان	الشمال	الجنوب	النبطيّة	البقاع	المجموع
1990-1975	63	57,7	53,9	53,4	40,4	52,7	49,3	54,4
1995-1991	14,6	17,5	17,8	18,7	20,8	23,2	20,9	18,4
2001-1996	21,6	24,2	27,4	27,4	38,1	23,4	29,4	26,6
المجموع٪	14	27	12	22	12	8	5	100
النسبة إلى المقيمين حسب المحافظات 2001-1975	20,7	12,4	-	28,9	23,4	-	18,8	21,4

المصدر: الدولية للمعلومات، في دراسة عن واقع هجرة اللبنانيين من 1991- 2000، مرجع سابق.

5 ـ توزّع المهاجرين في أستراليا في بعض السنوات حسب التنوع الطائفي:

جدول رقم 8: توزّع المهاجرين اللبنانيين في أستراليا
في بعض السنوات حسب التنوع الطائفي

الطائفة / السنة	1971	1976	1981
كاثوليك	56,2	43,2	23,7
أرثوذكس	14,3	15,7	27,9
مسيحيون آخرون	4,4	7,3	7,5
مجموع المسيحيين	74,9	66,2	59,1
مسلمون	14,1	20,9	31,4
غير مسيحيين	1,4	1,7	1,5
مجموع غير المسيحيين	15,5	22,6	32,9
لا جواب	9,6	11,2	8
مجموع النسب	٪100	٪100	٪100
العدد الإجمالي	24218	33423	49623

المصدر، لبكي، مرجع سابق.

بلغت نسبة مجموع المسيحيين بالإجمال للعام 1976 : 66,2٪ وحوالي 59,1٪ للعام 1981 أما نسبة المسلمين فقد بلغت 21٪ للعام 1976 و31,4٪ للعام 1981 حسب الجدول رقم 8، مما يعني أن هناك تفاوتًا واضحًا في معدّلات الهجرة بين المسيحيين والمسلمين، فما هي أسباب هذا التفاوت؟ إن الزيادة في أعداد المهاجرين المسيحيين على سواهم يعود إلى أقدميّة الهجرة المسيحيّة إلى أستراليا ووجود أقارب لهؤلاء منذ أواسط القرن التاسع عشر، الأمر الذي دفع بذويهم إلى الإلتحاق بهم نظرًا لتسهيل أمورهم وفتح مجالات أوسع لهم للحصول على إقامة وعمل. وعلى الرغم من التحديد السنوي لحركة الهجرة إلى أستراليا، إلا أن هناك تناقضًا في ما يتعلق بالمعطيات الإحصائيّة للهجرة إليها. ففي حين يحدّد بطرس لبكي عدد المهاجرين بـ 24218 لبنانيًا عام 1971[1]، فإن نبيل حرفوش يعطي رقمًا مختلفًا تمامًا للفترة نفسها ليرتفع العدد إلى 29425 مهاجرًا لبنانيًا أي بفارق 17,6٪[2].

6 ـ الهجرة إلى دول الخليج

تصاعدت تيّارات الهجرة إلى الدول الخليجيّة بين عامي 1975 و1982 بمعدّل سنوي بلغ 27571 شخصًا، إلا أنه تراجع بعد العام 1983 جراء الأزمة الاقتصادية التي أصابت تلك الدول وأجبرت عددًا من الشركات على فسخ العقود مع كثير من العمّال الذين أجبروا بدورهم على العودة إلى لبنان.

جدول رقم 7: توزّع المهاجرين اللبنانيين في دول الخليج لعام 1980

الدولة	العدد
المملكة العربية السعودية	33000
ليبيا	6000
الامارات العربية	7000
الكويت	8000
العراق	5000
قطر	1000
عمان	1000
المجموع	61000

المصدر: SECOMBRE,J. 1988, P. 198

(1) لبكي، المشرق، السنة الرابعة والسبعون، الجزء الأول، 2000 .https://www.lebarmy.gov.lb تاريخ الدخول في 2 كانون الأول 2016.

(2) الدولية للمعلومات، مرجع سابق.

7 ـ الهجرة إلى إفريقيا

وصلت الدفعة الأولى من المهاجرين اللبنانيين إلى السنغال عن طريق مرسيليا بين عامي 1876 و1880، وبدأ المهاجرون يستقرّون في سيراليون منذ العام 1890، ومع نهاية القرن التاسع عشر كانت أكثرية اللبنانيين قد انتشروا في دول إفريقيا الغربيّة وغيرها.

ومع توارد الأخبار عن النجاحات التي بدأ يحقّقها المهاجرون اللبنانيون في إفريقيا، بدأت تيّارات الهجرة تتزايد من قبل بعض الراغبين بالهجرة نتيجة لعاملين أساسيين: الأول تمثل في سهولة الحصول على تأشيرة دخول إلى إفريقيا، والثاني في عدم وجود أقارب لهم في أمريكا، حتى أن بعض المقيمين في أمريكا إنتقل للعمل في إفريقيا الغربيّة[1]. ويؤيد د. لورنز ديرلان في محاضرته حول المهاجرين اللبنانيين إلى إفريقيا بقوله "هناك جاليات لبنانيّة في كل دول إفريقيا الغربيّة، ومن الخطأ الظن أن كل هؤلاء اللبنانيين جاؤوا مباشرة من لبنان، بل أن بعضهم عاش في أكثر من دولة قبل الإستقرار في غرب إفريقيا، وذلك بعد مقارنتهم فرص نجاحهم في بلدان أخرى قبل انتقالهم"[2].

ويبدو أن الهجرة إلى دول غرب إفريقيا في أواخر القرن التاسع عشر تزامنت مع التحوّلات الاقتصادية والاجتماعية في جبل لبنان، والتي ساهمت فيها عوامل متعدّدة منها اختراق المصالح الفرنسيّة التجاريّة والصناعّية والماليّة، والنمو السكاني السريع، وتنامي التعليم وأحادية إنتاج الحرير والحروب الأهلية وغيرها، بحيث توزّع المهاجرون على مختلف الأقاليم في إفريقيا، وقد وصلت نسبة تحويلات المهاجرين من إفريقيا في تلك المرحلة إلى 40٪ من مداخيل المقيمين في المتصرفيّة العثمانيّة[3].

وفي عهد الإنتداب الفرنسي، وإن كانت وتيرة الهجرة قد تباطأت في البداية،

---

(1) esbordes, J.GL,emigration Libano-Syrienne en Afrique Occidental Francaise, Imprimerie Moderne. Poitier. (1938).

(2) روكز، يوسف، إفريقيا السوداء، سياسة وحضارة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1986، ص 118 ـ 131.

(3) لبكي، مرجع نفسه.

إلا أنها استأنفت في منتصف العشرينيّات نظرًا للتسهيلات التي منحتها السلطات الفرنسيّة للراغبين بالهجرة إلى إفريقيا الغربيّة، حيث تراجعت الهجرة إلى أمريكا وأوروبا بفعل الأزمة الاقتصادية التي حدثت عام 1929، إلا أنها اتسعت باتجاه إفريقيا جنوب الصحراء، وبدأ المهاجرون الأوائل الذين نجحوا في أعمالهم يستقدمون أقاربهم ومعارفهم من لبنان. وبعد الحرب العالميّة الثانيّة، تواصلت تيّارات الهجرة إلى إفريقيا جراء القوانين الصارمة التي فرضتها دوائر الهجرة في أمريكا على المهاجرين، وجراء افتتاح خط جوّي موسمي يربط لبنان بإفريقيا الغربيّة الفرنسيّة، وقد "وصل عدد المهاجرين اللبنانيين في إفريقيا الغربيّة الفرنسيّة عام 1949 إلى 8398 مهاجرًا 75٪ منهم في السنغال"[1].

أما إنتشار اللبنانيين في دول إفريقيا، جنوب الصحراء، فقد بدأ منذ العام 1960، أي بعد حصول هذه الدول على إستقلالها، كما تعتبر هذه الهجرة حديثة نسبيًّا مقارنة بباقي الهجرات إلى إفريقيا الغربيّة. وعلى الرغم من قلة عدد الجاليات اللبنانيّة في هذه الدول وحداثة هجرتها، فهي تعتبر جماعات فاعلة على الصعيد الاقتصادي والسياسي أيضًا[2]. إلا أن وتيرة الهجرة في هذه الدول كانت معرضة للتقلّبات بين المد والجزر، وكانت ترتبط إلى حدٍ بعيد بالتغيّرات الداخليّة والخارجيّة التي كان يشهدها لبنان من ناحية، وبالاضطرابات السياسيّة والأمنيّة التي كانت تحصل في إفريقيا بين فترة زمنيّة وأخرى.

8 ـ توزّع المهاجرين اللبنانيين حول العالم لعام 2017

تشير دراسة المنظمة العالمية للهجرة إلى أن لبنان هو البلد الأول في العالم من حيث كثافة الهجرة مقارنة بعدد سكانه، بحيث ينتشر اللبنانيون على جميع القارات الخمس.

(1) Gayet, propos d'un liberal,paris, 1953, p163.

(2) بغدادي، إبراهيم، الجماعات العربية في إفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص، 678 25 يونيو 2006.

جدول رقم 8: توزّع عدد المهاجرين اللبنانيين في العالم لعام 2017

القارة	البلد	أرقام وزارة الخارجية	أرقام الدراسات
أميركا الشمالية	الولايات المتحدة الأميركية	1,500,000	5,300,000
	كندا	350,000	
أميركا الوسطى	المكسيك	60,000	400,000
	دول أخرى	58,000	
أميركا الجنوبية	البرازيل	4,000,000	8,000,000
	الأرجنتين	2,100,000	1,000,000
	دول أخرى	722,000	
أوروبا	الدول الأوروبية	196,700	
أستراليا	أستراليا	400,000	
إفريقيا	نيجيريا	14,000	75,000
	ليبيريا	12,000	20,000
	سيراليون	12,000	20,000
	بنين	5,000	20,000
	دول أخرى	150,450	
آسيا	دول مجلس التعاون الخليجي	350,000	

المصدر: وزارة الخارجية والمغتربين، 2017.

وقد قدرت هذه المنظمة أن عدد اللبنانيين يقارب 15 مليون نسمة، منهم أكثر من 10 ملايين نسمة في بلدان الاغتراب وأقل من 4 ملايين مواطن مقيمين في لبنان[1]. إلا أن هذه الأرقام تبقى تقديرية ولا تعود إلى دراسات إحصائية دقيقة، بحيث تتبين الفوارق في أعداد المهاجرين المسجلين لدى وزارة الخارجية والمغتربين وبعض الدراسات التي تناولت توزّع المهاجرين، كما يتبين من خلال

(1) وزارة الخارجية والمغتربين، 2017.

الجدول رقم 8، حيث ترتفع بشكل لافت أعداد المهاجرين إلى أكثر من الضعفين لدى الدراسات مقارنة بأرقام وزارة الخارجية والمغتربين.

9 ـ التّوزع الجغرافي للمهاجرين في قضاء النّبطيّة

الهجرة عند اللبنانيين في قضاء النبطية كثيرة المعاني، فهي بداية تاريخ، ونهاية تاريخ قبله، هي اضطرار واختيار، وشرط لفتح الأوطان المهاجَر منها كما الاوطان المهاجر اليها، والمهاجر دائم السّعي للعودة إلى وطنه الأول والبقاء في وطنه الثّاني فلا يعود غريبًا في أيّ منهما بعد ان كان غريبًا عن كليهما.

هي هجرة تُغني المجتمعات بما تحمله من إثراء ثقافي وتكامل اقتصادي، تكون للبلدان المضيفة وسيلة لتحقيق الازدهار، ولبلدان المنشأ محركًا للتنمية ولتخفيف حدّة الفقر، ومُصدرًا هامًا للموارد يساهم في تحقيق الرفاه الإنساني.

ولكنْ للهجرةِ في بلادنا وجهًا آخر، اغتراب خارج الوطن هربًا من الاغتراب داخله، خلاصًا من البطالة وقلّة فرص العمل وغياب أنظمة الحماية الاجتماعيّة وحروب أهليّة وإسرائيليّة.

للهجرة اللّبنانيّة حكاية لا تنتهي ومقولة: "أنا مهاجر إذًا أنا لبناني" شعار حمله اللّبنانيون على مرّ السنين، فالهجرة مأساة مزمنة يتعامل معها اللّبنانيون منذ وجودوا، فقد كتبها التاريخ سطورًا لا تمحى، معاناةً، أسفارًا، تعبًا، حبًّا، شوقًا إلى وطن غابوا عنه تاركين أحبة، الدافع كان فرص عمل وأمل، وتحمل حكاية المغترب في طياتها صفحات من الغربة، طبعتها الهجرة بمراحل.

ولأنّ العالم الجديد كان مهيئًا لاستقبال عشرات الملايين من المهاجرين إليه من اوروبا وآسيا لأسباب اقتصادية وسياسية في الدرجة الأولى، اتجه اللبنانيون الاوائل بشكل أساسي نحو العالم الجديد واستقر العدد الاكبر منهم في الدول الامريكية كالولايات المتحدة، كندا، البرازيل، وكذلك في الدول اوروبا كفرنسا والمانيا وغيرهم من بلدان العالم...

إن هجرة اللبنانيين نحو الخارج إلى ازدياد لاسيما وهم يتسمون بالمهارات المتوسطة والعالية حيث يتمتع ما يقارب 50٪ من المهاجرين بالتعليم الثانوي واكثر، في حين 37,8٪ حصلوا على التعليم العالي ما يمثل مسألة أساسية لهجرة الادمغة.

أما في ما يتعلق بالمنحى الجندري، يشكل الرجال النسبة الاكبر من المهاجرين

بمعدل 53,6٪ مقابل 46,6٪ من النساء ومعظم اللبنانيين المهاجرين يعملون في القطاعات التالية: الخدمات المعرفية والمالية، الطب، الصحافة والإعلام، الهندسة، القطاع الفندقي وغيرها من المهن الحرة.

وفقا لتقرير الدولية للمعلومات[1]، فإن 34 ألف و502 لبناني غادروا لبنان عام 2018 من دون عودة وذلك يعني ان 9 اشخاص من كل الف لبناني يغادرون بلدهم من دون عودة، كما توقع التقرير أن يصل عدد المهاجرين اللبنانيين الذين تقل أعمارهم عن أربعين سنة إلى 56 ألفا بحلول نهاية العام 2019.

ويقول المدير العام السابق في وزارة الخارجية ورئيس المنتدى اللبناني للتنمية والهجرة "هيثم جمعة" لـ "الشرق الاوسط"[2]: "إنّ أعداد المهاجرين اللبنانيين طبيعية نظرا إلى الظروف التي يعيشها لبنان في ظل منع التوظيف في القطاعات العامة الرسمية وغياب خطة وطنية لتوجيه الموارد البشرية بالاضافة إلى نمو عدد المتخرجين من الجامعات والمعاهد المهنية وتناقص عدد المؤسسات في القطاعات الانتاجية واقفال العديد من الشركات بسبب الركود الاقتصادي ونقل الرساميل إلى خارج لبنان حيث ان نسبة النمو لا تتخطى 1٪ ونسبة البطالة تخطت 35٪.

10 ـ التوزع الجغرافي لمهاجري قضاء النبطية حول العالم

قضاء النبطية:

قضاء النبطية هو أحد اقضية محافظة النبطية الأربعة، يشتمل على 40 بلدة، تتجاوز مساحته 8 كيلومتر مربع ويقدر عدد سكانه بـ 111,000 نسمة[3].

لقد تبين من خلال تحقيق ميداني قامت به جريدة الاخبار "أن نسبة الهجرة للأسر في قضاء النبطية تضاعفت بعد حرب تموز وبعد الازمة الاقتصادية التي يعاني منها لبنان بشكل عام من 3,5٪ إلى 7,4٪، بينما ارتفعت نسبة الاسر التي يرغب أحد أفرادها في الهجرة من 8,1٪ إلى 13,5٪[4]".

---

(1) تقرير سناء الجاك، مجلة الشرق الأوسط، رقم العدد 14801، بيروت، الجمعة 7 يونيو 2019.

(2) مرجع نفسه

(3) مرجع نفسه

(4) التحقيق الميداني حول أثر العدوان الاسرائيلي على الأحوال المعيشية بعد حرب تموز، 2006 https:// al-akhbar.com.Arab.

لقد تم اختيار 4 بلدات من بين بلدات قضاء النبطية تمثلت بـ:

(الدوير/ القصيبة/ جرجوع /الكفور) نسبة إلى اختلاف عدد السكان بين البلدات المذكورة أعلاه، وقد تم إجراء مقابلات مع مخاتير البلدات لدراسة التوزع الجغرافي للمهاجرين.

التوزع الجغرافي لمهاجري البلدات حول العالم (النسمة)

البلدات	عدد السكان			أوروبا	أميركا	إفريقيا	آسيا	الدول العربية	أستراليا
الدوير	15000	عدد المهاجرين	1349	313	321	166	45	434	70
		النسبة (٪)	100	23,2	23,8	12,3	3,33	32,17	5,18
القصيبة	8400	عدد المهاجرين	804	284	152	108	25	214	21
		النسبة (٪)	100	35,3	18,9	18,4	3,1	26,6	2,6
جرجوع	5000	عدد المهاجرين	393	123	102	66	14	70	18
		النسبة (٪)	100	31,2	26	16,7	3,56	17,8	4,5
الكفور	4000	عدد المهاجرين	297	69	97	36	11	69	15
		النسبة (٪)	100	23,2	23,6	12,1	3,7	23,2	5

المصدر: نتائج الدراسة الميدانية التي أعدت من خلال إجراء مقابلات مع مخاتير البلدات بتاريخ 9/16/ 2019، وهم: صالح قانصو (الدوير)، حسن مهدي (القصيبة)، صبحي درويش (جرجوع)، الياس ميلاد فاضل (الكفور).

من خلال ما تقدم، يتبين لنا أن نسبة المهاجرين من بلدة الدوير إلى الدول العربية هي الاعلى بين الدول المهاجر إليها حيث تبلغ 32,17٪ وتتقارب إلى حد ما نسب المهاجرين إلى أميركا واوروبا، بينما في بلدة القصيبة فإن القارة الاوروبية تحتل المركز الأول في الدول المهاجر إليها بنسبة 35,32٪ تليها الهجرة إلى الدول العربية، أما في بلدة جرجوع فإن الهجرة إلى الدول الاوروبية عالية حيث بلغت 31,2٪ تليها الدول الامريكية بنسبة 25,25٪ في حين أنه في بلدة الكفور فإن الدول الامريكية هي الاعلى في اعداد المهاجرين إليها فتبلغ 32,6٪ وتتساوى فيها الهجرة في كل من الدول العربية والاوروبية بنسبة 23,2٪.

ومع الأخذ بعين الاعتبار لإيجابيات الهجرة التي أصبحت قليلة نسبة لمعدلات الهجرة السلبية الكثيفة في لبنان، على الدولة القيام بما يتطلب لدرء أخطار الهجرة المتزايدة يوما بعد يوم.

11 ـ تأثير الهجرة على لبنان

لا يمكننا قياس التأثير الكمّي للهجرة على لبنان، كما لا يمكننا قياس مدى مشاركة المهندسين أو الأطباء أو العلماء في وطنهم، إلا أنه بمقدورنا أن نقيس نمو الاقتصاد في لبنان في العقود السابقة ودور المهاجرين في هذا النمو، ومن مؤشرات هذا الأخير الاستثمار الأجنبي المباشر، سياسة الحكومة الضرائبية، دعم بعض القطاعات، والاستثمار في البنى التحتية إلى ما هنالك.

كما أن معرفتنا بمقدار عجز الميزانية، والمديونية العامة، ونسبة التضخم، والنمو في قطاعي الصناعة والزراعة، ونسبة الدخل الفردي... تمكِّننا من تحديد حالة الاقتصاد ومدى قوته أو ضعفه، كذلك تساعدنا معرفة مستوى التعليم ونسبة الأمية ونمو قطاع الخدمات والبطالة والفساد إلى ما هنالك، وحتى معرفة ديناميكية سوق العمل. فإذا ما طبّقنا هذه المعايير نجد أن النمو المتعسّر في لبنان على امتداد الظروف الصعبة التي مرّ بها منذ العام 1975، والمتواصل حتى الان، لم يكن ليوقف الهجرة بل ليدفع أصحاب الكفاءات إلى البحث عن ملاذ لاستثمارها.

لكن هذا ليس كل شيء، فللهجرة تأثيرات إيجابية أيضًا إضافة إلى تلك السلبية على صعيد الوطن والمجتمع والعائلة، ونراها كما يأتي:

* التأثيرات الإيجابية

إن إسهامات المهاجرين عامة هي نتيجة تفاعل الرأسمال البشري المهاجر مع ما تقدمه الدول المستقطبة من بيئة قابلة ودعم ومختبرات وإمكانات وتقنيات، ما يفسح المجال أمام المهاجرين لتحقيق اكتشافات علمية، أو المساهمة في تطوير أساليب حديثة في إدارة المؤسسات، وهي تنعكس إيجابًا على لبنان إن مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، فمن بين الانعكاسات الإيجابية المباشرة تحسين سمعة العامل اللبناني، وزيادة الطلب عليه، والزيادة في التحويلات المالية من المهاجرين إلى أهلهم في لبنان.

أما التأثيرات غير المباشرة فنشهدها في زيادة نسبة الرأسمال البشري اللبناني بعد عودة المهاجر مع ما يحمله من رأسمال مالي وخبرات وتقنيات وعلاقات

وتواصل، كما نلمسها في تحويل المهاجر العائد للمعلومات والمكتسبات الفكرية والاجتماعية إلى المواطنين اللبنانيين عبر التحادث والتعامل، ومنها مثلاً المعلومات المتعلّقة بأمور الصحة والطب والبيئة.

أما أهم التأثيرات المباشرة فهي التحويلات المالية التي يورّدها المهاجرون إلى أهلهم في الوطن الأم، وعلى الرغم من أن هذه التحويلات لا تستثمّر في أعمال أو مشاريع إنمائية أو استثماريةً لكي تخلق فرص عمل وتؤدي إلى تطور الاقتصاد، فإن الجزء الأكبر منها ينفق لتأمين ظروف معيشية أفضل لذوي المغتربين، وفي تأمين الدراسة والطبابة، كما أن جزءًا منها يوضع في حسابات التوفير وآخر يوجّه إلى قطاع العقارات، فتدوّر هذه التحويلات الحركة الاقتصادية في القطاع الاستهلاكي.

ـ التحويلات البشرية

ليس كل ما يحوّله المهاجر هو المال فحسب، فهناك تحويلات بشرية ينقلها المهاجر إلى ذويه وأقاربه وأصدقائه، أو يجلبها معه عند عودته وتشمل المهارات والإمكانات الشخصية والخبرات واللغات والتقدم في طرق التفكير.

ـ التحويلات الاجتماعية

تشمل هذه التحويلات القيم والهوية وقواعد السلوك والتصرف والثقة وطرق التواصل بين الفرد والآخرين، وبين الفرد والمجتمع، إلى جانب احترام القوانين، واحترام البيئة، والتقدم في معرفة الأشخاص وفي الاتصالات والمعارف، ويمكن الإشارة هنا إلى الدور الذي يضطلع به المهاجرون في قطاع السياحة، وفي تفعيل تجارة السلع المحلية، أو السلع ذات الخصوصية اللبنانية مثل الحلوى والمأكولات والنبيذ، إلى جانب مساندة ما يعتقدونه مناسبًا للبنان سياسيا بتفعيل دور اللوبي في عواصم القرار وفي تأمين المساعدات والإغاثة في أثناء الأزمات والمصائب.

*** التأثيرات السلبية**

أما التأثيرات السلبية للهجرة فمنها تلك التي تؤدي إلى توسيع الهوة بين البلدان المتقدمة والنامية، كما هو الوضع في لبنان مثلاً، حيث أن الهجرة المتمثلة في أصحاب الكفاءات تعطي الدول المتقدمة فوائد كبيرة ذات مردود اقتصادي مباشر،

مقابل خسارة صافية للدول النامية التي هاجر منها أصحاب الخبرات والكفاءات خصوصا في ميادين التقنيات والاختراعات والتطور الطبي.

ولا يمكننا هنا سوى تكرار ما بات يعرف عن ثروات لبنان الطبيعية والتي تتقدمها الثروة البشرية، هذه هي الثروة التي يخسرها لبنان عبر نزف الأدمغة من جهة، وعبر عدم إدارتها واستثمارها بشكل بناء وهادف.

ـ التأثيرات الديمغرافية

تطال الهجرة الشباب بالدرجة الأولى الذين يعّول عليهم ليس فحسب في تفعيل الحركة الاقتصادية بل أيضًا في تفعيل الحركة الديموغرافية عبر التزاوج والإنجاب. ويدل كل ذلك على أن الهجرة هي خطر متواصل آخر يحدق بلبنان، وهذا الخطر هو واحد لكن له وجهين:

* الوجه الأول هو في انعدام توافر نسبة الشباب التي تساعد لبنان على المنافسة الاقتصادية وعلى التنمية المستدامة.

* والوجه الثاني هو في انخفاض نسبة الشباب بحيث يصبح الهرم العمري في لبنان ما دون العشرين وما فوق الخامسة والستين، ما يؤثّر سلبًا على تمويل صناديق الطبابة والشيخوخة والتعليم والمساعدات الاجتماعية. فالأجيال الشابة هي التي تعمل وتموّل الطفولة والشيخوخة، وإذا ما تضاءلت نسبة الشباب تتضاءل معها التمويلات فينتج عن ذلك انخفاض في إمكانات التجاوب مع متطلبات هذه الفئات من المواطنين.

مما لا شكّ فيه أن أولئك الذين يدعمون التحويلات المالية ويفرحون بكميتها يغفلون نقطتين أساسيتين هما:

* أن الهجرة الدائمة تفقد لبنان بنيته الديموغرافية الشابة.

* كما ستفقده أيضًا إنتاج الفئة المادية والمعنوية والديمغرافية من المواطنين أي الأطفال الذين سيولدون خارج الأراضي اللبنانية.

ـ التأثيرات الأخرى

يمكننا هنا الإشارة إلى تأثيرات بعض الكفاءات على العرض والطلب. لأنه هناك نخبة من المتعلمين وذوي الخبرة في مجالات الهندسة والمعلوماتية والتصميم التصويري والتسويق والاتصالات قد هاجرت، ما يسبب صعوبة للمؤسسات العاملة في لبنان على استقطاب هذه الكفاءات. كذلك هناك تأثيرات

على الاقتصاد والتنمية من حيث فقدانها لمردود الملكية من الاختراعات والبراءات التي تدرّ أموالاً طائلة على الدول التي تتم فيها، ويتأثر الاقتصاد والتنمية مباشرة بفقدان الأدمغة والعنصر الشاب في الوطن فيتدنَّى النمو ويتراجع الإنتاج ويزداد التضخم وتتراجع المنافسة والتصدير، خصوصًا وأن الاقتصاد اليوم يقوم، ليس، فحسب، على المنافسة التكنولوجية، بل أيضًا على المنافسة في استقطاب هذه الأدمغة التي تطور التكنولوجيا.

الخاتمة

إن مشكلة الهجرة، أصبحت ظاهرة عامة، ومعالجتها تحتاج إلى وقفة جادة وموضوعية، ويستهدف الإحاطة بكل تناقضاتها، ومن ثم وضع الحلول الناجحة المتعلقة بهذه الظاهرة كونها تعكس خطرًا متواصل التأثير، وهو مرشح في ظل تأثيرات العولمة نحو التزايد.

وعلى أهمية تحديد الدوافع المختلفة لهذه الظاهرة، سواء أكانت السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفكرية وغيرها، إلا أن العوامل الاقتصادية كانت ولا تزال، تحتل الأولوية في التأثير المباشر على العقول والكفاءات اللبنانية، ولاسيما أن الأشخاص الأكثر تأثرا بهذا العامل هم الأشخاص الأفضل إعدادًا والأكثر كفاءة لتسيير أجهزة الإنتاج والتعليم، مما يتطلب إيجاد سبل علمية لصيغ التعامل الإنساني والحضاري مع الكفاءات العلمية وبحرص وطني وعلى اقل تقدير تقليل هجرة العقول وإزالة قسم من العقبات التي تواجهها، ومن ثم معالجة المشاكل التي تعترض مسيرتها العلمية، عبر إجراءات عملية عديدة في مقدمتها:

* إجراء مسح شامل لإعداد الكفاءات المهاجرة بهدف التعرف على حجمها ومواقعها وميادين اختصاصاتها وارتباطاتها وظروف عملها.

* وضع البرامج الوطنية لمواجهه هجرة العقول وإنشاء مراكز للبحوث التنموية والعلمية والتعاون مع الهيئات الدولية والإقليمية المعنية لإصدار الوثائق والأنظمة التي تنظم أوضاع المهاجرين من العلماء أصحاب الكفاءات.

* حث الحكومة على تكوين الجمعيات والروابط لاستيعاب أصحاب الكفاءات المهاجرة وإزالة جميع العوائق التي تعيق ربطهم بوطنهم، ومنحهم الحوافز المادية وتسهيل إجراءات عودتهم إلى وطنهم للمشاركة في عملية التنمية والتحديث.

* الاستمرار بتنظيم مؤتمرات للمغتربين اللبنانيين، وطلب مساعداتهم

والاستفادة من خبراتهم سواء في ميادين نقل التكنولوجيا أو المشاركة في تنفيذ المشروعات.

* التعاون مع منظمة اليونسكو لإقامة مشروعات ومراكز علمية لاجتذاب العقول المهاجرة للإشراف على هذه المراكز والإسهام المباشر في أعمالها وأنشطتها.

* إعادة النظر جذريًا في سلم الأجور والرواتب التي تمنح للكفاءات العلمية، وتقديم حوافز مادية ترتبط بالبحث والانتاج ورفع الحدود العليا للأجور لمكافأة البارزين من ذوي الكفاءات وتقديم الحوافز التشجيعية.

في ضوء ما تقدم، فإن معضلة الهجرة، أضحت مشكلة مزمنة يعاني منها لبنان، وتضيف هذه المعضلة عبئًا جديدًا لتداعيات وتأثيرات استمرارها، مما يتطلب من جهات صنع القرار العلمي والسياسي والاقتصادي في لبنان أن تعمل ما بوسعها لتقليل تأثير هذه الظاهرة آخذين بعين الاعتبار أن هذه المعضلة مستمرة ويصعب إيقافها بقرار سياسي، ولكن قد يتم تقليل تأثيراتها بشكل تدريجي بتظافر جهود المؤسسات العلمية سواءً أكان ذلك في المدى المنظور أم على الصعيد الاستراتيجي.

ملخص

شهد العالم، ومنذ أوائل القرن العشرين، تطورات متسارعة في كافة مجالات الحياة العلمية والأدبية، وهكذا أصبحت النهايات مفتوحة لقنوات التطور العلمي لتستوعب كل ما هو جديد ومبتكر، بل وتتطلع نحو الأفضل باستمرار، كما وتزداد شراهة لجذب الكفاءات من العقول العلمية التي تتقدم بإمكانياتها الذهنية المتفردة على سلم التقدم المتوفر آنيا في شتى بلدان العالم.

إن عمر الهجرة اللبنانية من عمر تاريخ لبنان، إنها قصة شعب طالما شعر بالتهديد، الحرب، الجوع والقلق من المستقبل، فأرقام الهجرة من لبنان فاضحة وخطيرة جدا، أكثر من 42 في المئة من اللبنانيين هاجروا ومثلهم هم من الفئة العمرية الفتية ومتخرجي الجامعات ينتظرون فرصتهم، والرغبة بالهجرة لا تقتصر على طائفة في لبنان، بل أصبحت تشمل كل الطوائف اللبنانية.

ومما زاد من خطورة الهجرة، أنها أصبحت من أهم العوامل المؤثرة على تطور الاقتصاد الوطني والتركيب الهيكلي للسكان والقوى البشرية في المجتمع اللبناني،

وذلك بسبب تزايد أعداد المهاجرين من العلماء والمفكرين والاختصاصيين، وبالتالي حرمان الدولة من الاستفادة من خبراتهم ومؤهلاتهم العلمية المختلفة، فضلا عن الخسائر المالية والاقتصادية التي تتحملها الدولة جراء استمرار هذه الظاهرة.

المراجع

- أبي فرح، أ، السكان والبطالة والهجرة في لبنان 1982- 2001، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 2005.
- بغدادي، ع، (2005). الجماعات العربية في إفريقيا، دراسة أوضاع الجاليات والأقليات العربية في إفريقيا جنوب الصحراء. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.
- الأتات، أ. (2019). نزيف الهجرة المتواصل ـ اللبنانيون المقيمون يتناقصون. جريدة الأخبار. بيروت .https://al-akhbar.com/Capital (تاريخ الدخول في 17 كانون الثاني 2019).
- الجمهورية اللبنانية. رئاسة مجلس الوزراء. إدارة الاحصاء المركزي. (2007). الأحوال المعيشية للأسر. بيروت.
- الجمهورية اللبنانية. رئاسة مجلس الوزراء. إدارة الإحصاء المركزي. (2000). النشرة الإحصائية. بيروت.
- حرفوش، ن، الحضور اللبناني في العالم. مطبعة كريم، جونية، 1974.
- حتي، ف، لبنان في التاريخ. ترجمة انيس فريحة. بيروت، 1959.
- روكز، ي. (1986). إفريقيا السوداء، سياسة وحضارة. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت.
- سمعان، م، الهجرة، تحول لبنان إلى بلد يعتاش من غربة أبنائه، 2007 http:// . www.khiyam.com/news/article.php?articleID = 2374. (تاريخ الدخول في 9 تشرين الثاني 2016).
- فخري، غ، لبنانيو القارة السوداء متمسكون بوجودهم، الشرق الأوسط، 1997.
- لبكي، ب، المشرق، السنة الرابعة والسبعون، الجزء الأول، 2000 https:// www.lebarmy.gov.lb. تاريخ الدخول في 2 كانون الأول 2016.
- لبكي، ب، الواقع السياسي للفقر الريفي في لبنان بعد 1990 : النتائج 2007https:// www.lebarmy.gov.lb. (تاريخ الدخول في 13 آذار 2017).

ـ لبكي، ب، الهجرة كتحدٍّ للاقتصاد اللبناني: الجذور التاريخية، الوضع الراهن، آفاق المستقبل، https://www.lebarmy.gov.lb. 2011 (تاريخ الدخول في 13 آذار 2017).
ـ مكرزل، ج، تاريخ التجارة السورية في المهاجر الأمريكية (1920-1921)، المطبعة السورية الأمريكية. نيويورك، 1929.
ـ نوفل، ح، الهجرة الدولية وإنعكاساتها على لبنان، "ورقة مقدمة بمناسبة اليوم العالمي للسكان إلى اللجنة الوطنية الدائمة للسكان"، وزارة الشؤون الاجتماعية، بيروت، 2006.

المراجع الأجنبية

- Desbordes, J.GL,emigration Libano-Syrienne en Afrique Occidental Francaise, Imprimerie Moderne. Poitier. (1938).
- Gayet, G. Les Libanais et Les Syriens dans l, uest African. Paris. (1953).
- Kasparian, C. L,entrée des jeunes libanais dans la vie active et L,emigration. USJ. tomeIII. (200).
- Kasparian, C "L'entrée des jeunes dans la vie active et l'émigration des Libanais, depuis 1975". Observatoire universitaire de la réalité socio-économique. Université St-Joseph de Beyrouth.. (2003).
- LAMENS, H. La syrie, précis historique, imprimerie catholique. Beyrouth. (1921).
- Labaki, B. Lebanese Emigration during war, 1975-1989. Hourany, A. Shehabi, N. The Lebanese in the world a Century of Emigration. London. Centre for Lebanese Studies in association with I.B Tauris. (1992).
- Safa, E, L,emigration libanaise, 1960.

المحور الثالث

الاغتراب والتنمية

تعايش مع الرقم منذ نعومة أظافره، وبقي مصممًا على ان يجعل منه فائدة اجتماعية من منطلق مفهوم عنده (من ملك الرقم، ملك التخطيط والتنظيم).

بقي هذا الحلم يراوده إلى أن أسس المركزالاحصائي الاستشاري (ماء -داتا)، وانطلق المشوار مع استطلاعات الرأي العام التي طالت معظم المناسبات، وعلى رأسها الانتخابات النيابية التي كانت نتائجها تظهر بدقة لا يتجاوز الخطأ فيها 2٪. وكان الاستطلاع ينجز في يوم واحد وينتهي قبل منتصف الليل.

طاول عمله في هذا الموضوع جميع المناطق اللبنانية، والجنوب بشكل خاص وقد تعاون مع مستشارين في المركز هما د. كاظم نورالدين ود. ناهض قديح.

ها هو اليوم يتراس الجلسة الثالثة في مؤتمرنا، والتي يتحدث الباحثون فيها عن الاغتراب والتنمية. إنه الأستاذ الدكتور مصطفى سليمان.

ختام فحص

رئيس الجلسة:

مؤسس ورئيس المركز الاحصائي الاستشاري (ماء داتا):

أ.د. مصطفى سليمان



- حائز على شهادة دكتوراه في الرياضيات الاحصائية (1981) من باريس 6.
- حائز على الدكتوراة اللبنانية في المنهج العملاني واستطلاعات الرأي العام (1999).
- مؤسس ورئيس المركز الاحصائي الاستشاري (ماء داتا) في العام 1988، ومجلة العالوم 1992.
- له العديد من الابحاث والمؤلفات في التنمية، واستطلاعات الرأي العام في كافة الاستحقاقات والمناسبات.
- قال له سماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله (نظرًا لدقة الاحصاءات في الاستطلاعات): انتم شركاء في التحرير لانكم باستطلاعاتكم المنشورة قي الصحف سددتم عنا جبهة تمتد من طوكيو إلى واشنطن.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة﴾، وقال رسول الله(صلعم) «أن الله جعل لي الأرض مسجدًا»

وكيف لا نسعى في مناكبها، ونأكل من رزقها، ونسجد في منبسطاتها؟

والله هو الرزاق الكريم. والرزق هو نتاج التنمية والعمل. وبهذا الاطار سيتحدث خمسة أفذاذ باحثون كرام، اجتهدوا في تحضير أبحاثهم كما اجتهدوا في حياتهم لتنمية المجتمع من باب العلم والمعرفة هم:

ـ أ.د. معضاد رحال / د. سناء كيَّال (بحث مشترك)

ـ د. أمين صالح

ـ د. كاظم نور الدين

ـ د. علي السيد

ـ وقبل أن أطلب اليهم التفضل بالكلام أود أن أشير إلى أمرين بسيطين لتوثيق الهجرة ووضعها على سكة الأمان في أسرع قطار للتنمية وهما:

1 ـ إحصاء المغتربين في كافة أنحاء العالم، أغنياء وفقراء ومن انقطعت أخبارهم... وهو أمر علمي ووطني بسيط يمول نفسه وهو غير مكلف.

2 ـ إحصاء المواطنين البارين (العائدين والرايحين جايين) وما فعلوه في تنمية البلاد، عرفانًا وتوثيقًا ولدفع التنمية قدمًا باطراد.

واذا كانت الدولة لا تعترف بسكانها ولا تحصيهم منذ العام 1932. ولا تريد إحصاء مغتربيها رغم أنها قادرة على انجاز ذلك، وفيه الكثير من محفزات التنمية وتنظيمها واستثمار الطاقات الاغترابية.

فالقرار الصحيح بالرقم الصحيح، ومن يمتلك الرقم يمتلك القرار. واذا كانت الدولة عاجزة وعاكفة عن امتلاك الرقم والقرار فإن المنظمات الاغترابية والعلمية قادرة إن ارادت ذلك.

وهنا أدعوكم لمتابعة الموضوع الأول في هذه الجلسة.

مفاعيل الهجرة وتأثيراتها الاقتصادية:

أ.د. معضاد رحال / د. سناء كيال

أ.د. معضاد رحال



- حائز على شهادة الدكتوراه من فرنسا.
- أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ويشرف على أطاريح الدكتوراه.
- له مؤلفات عديدة في تشريعات وقضايا العمل في لبنان والبلدان العربية.
- متخصص في قضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وله أبحاث متعددة في هذا المجال.
- شارك كباحث في عدد من المؤتمرات داخل لبنان وخارجه.

د. سناء كيال



- باحثة ومعالجة بيانات إحصائية عبر استخدام برنامج الـ SPSS
- خبرة بالعمل في الدراسات الميدانية منذ العام 2009.
- حائزة على الدكتوراه اللبنانية في العلوم الاجتماعية في العام 2019.
- مجالها البحثي يقع في إطار علم السكان وتحديدًا في ميداني الأسرة الهجرة إضافة إلى المشاركة في دراسات مختلفة.

مستخلص

يهدف هذا البحث إلى تحليل دوافع الهجرة الاقتصادية وانعكاساتها على الأسرة في لبنان (حالة بلدتي العين ورأس بعلبك في محافظة بعلبك الهرمل). باعتبار أن دوافع الهجرة الرئيسة تعود لأسباب اقتصادية وأمنية، بحيث ترتبط الأخيرة بمفاعيل إقتصدادية تتمثل بتدني معدلات الاستثمار الذي ينعكس سلبا على فرص التشغيل وارتفاع معدلات البطالة. وإذا كانت ظاهرة الهجرة اللبنانية تعود في بداياتها إلى اواسط القرن التاسع عشر لأسباب اقتصادية وأمنية، إلا أن هذه الأسباب لا زالت تتكرر وتتفاعل في المجتمع اللبناني وتزداد معها تيارات الهجرة إلى مختلف دول العالم. وللدخول في عمق تحليل هذه الظاهرة فقد اعتمدنا على دراسة ميدانية تمثلت ببلدتين إحداها غالبية سكانها من الطائفة الاسلامية وهي بلدة العين وأخرى سكانها من الطائفة المسيحية وهي بلدة رأس بعلبك، اعتقادا منا بأن ظروف الهجرة كانت ولا زالت مهيأة للمسيحين أكثر من المسلمين، خصوصا أن هاتين البلدتين يجمع بينهما قواسم مشتركة متعددة فالهجرة المبكرة لسكان رأس بعلبك أحدث فجوة كبيرة على مستوى المعيشة للأسر بين البلدتين، . واعتمدنا في تحقيق البحث الميداني على البحث الكمي من خلال استبيان بواسطة الاستمارة تم ملؤه مع عينة من الاسر في البلدتين بلغ عددها 600 أسرة منها 122 أسرة مهاجرة أو لديها ولد أو أكثر مهاجرا، وبحث نوعي تمثل باجراء مقابلات مع مجموعة من الأسر المهاجرة أو لديها احد الأفراد المهاجرين بلغ عددها تسع مقابلات. واعتمدنا في تحليل البيانات على برنامج SPSS لتحديد مستوى الترابط والعلاقة بين المتغيرات التي جرى استخدامها.

تعتبر الهجرة إحدى الظواهر التي رافقت المجتمعات البشرية من أجل تحقيق غايات مختلفة تتعلق بمجملها بتحسين ظروف الحياة للفرد والمجتمع. ولم يخرج المجتمع اللبناني عن هذه القاعدة، بل كان سبّاقًا إليها. سواء حينما كان تابعا لإحدى الولايات العثمانية أم بعد فصله عنها وأعلان دولة لبنان الكبير أم بعد نيله الاستقلال عام 1943. وخلال هذه المراحل كانت تيارات الهجرة تتسارع باتجاه دول العالم كافة. إذ كانت عدوى الهجرة تنتقل بين المدن والقرى في مختلف المناطق اللبنانية ولو كانت بنسب مختلفة حسب ظروف كل أسرة والحالة التي تعيشها، أكان ذلك على المستوى الاقتصادي أم على المستوى الأمني. وتعتبر بلدتا رأس بعلبك والعين الواقعتين في قضاء بعلبك من البلدات التي اصابتها العدوى بينسب مختلفة بحيث أحدثت تغيرات واختلافات في مستويات المعيشة بين الأسر التي هاجر أحد افرادها والأسر التي لم تحدث فيها حركة الهجرة. لذلك اعتمدنا في منهجية البحث على اجراء مقارنة بين الأسر التي هاجرت وأخرى لم تهاجر لتبيان مدى الفوارق التي أحدثتها الهجرة بين الأسر في البلدتين، معتمدين في ذلك على دراسة ميدانية كمية ونوعية من خلال عينة من الأسر في البلدتين المذكورتين. وذلك انطلاقا من اشكالية رئيسة تتمحور حول العلاقة الجدليبة بين تردي الحالة الاقتصادية للاسرة والهجرة، واعتبارها دافعا مهما لتحسين مستوى المعيشة للأسرة.

أولاً: العلاقة بين العامل الاقتصادي والهجرة:

اعتمدت الدولة اللبنانية بعد الاستقلال نظامًا مفرطًا في الليبرالية، بحيث أصبح دور القطاع العام هامشيًا ولم يعد باستطاعته ضبط الهدر والفساد بل أصبح جزءًا منه، في ظل نظام ضرائبي غير عادل بحيث يتساوى أمامه الفقير مع الغني، "فاستبيحت القوانين للتهرب من الضرائب على الأعمال، الأمر الذي أدى إلى تململ بين أصحاب الرواتب الذين ليس في وسعهم التهرب من الضريبة". (صايغ، 1982، ص. 196) وقد نتج عن هذه السياسة بروز أنشطة اقتصادية ذات الربح السريع كالخدمات والبناء على حساب الصناعة والزراعة وتمركز الأنشطة الاقتصادية في المدن مقابل تخلع في بنية القطاع التقليدي في الريف، ما دفع بأعداد كبيرة من المزارعين وصغار الحرفيين بالتوجه نحو المدن الداخلية أو

الهجرة نحو الخارج. ورافق ذلك "لجوء الرأسمال إلى إغراق السوق المحلي بالسلع الغذائية المستوردة ما ساهم في خراب حيازات عائلية كبيرة في الزراعات البعلية ما أدى إلى هجرة أبناء الريف وزيادة نسبة الأراضي البور". (بعلبكي، 1985، ص. ص. 7 ـ 8)

وإذا كانت وتيرة الهجرة قد انخفضت نسبيًا في ستينيات وأوائل سبعينيات القرن الماضي حيث كان لبنان حينها بلدًا يستقبل المهاجرين، فذلك لأن الاقتصاد اللبناني شهد مرحلة من الازدهار حيث ارتفعت معدّلات الاستثمار في القطاع الصناعي بنسبة 25٪ أوائل عام 1975 مقارنة بعام 1971، وازداد عدد العمال في هذا القطاع من مئة ألف عامل إلى 150 ألف عامل ما أدى إلى إنخفاض معدّل البطالة بشكل ملموس. (أرزوني، 1994، ص. 109) كما ارتفع دخل الفرد في لبنان في تلك الفترة إلى 1189 دولارًا أمريكيًا، حيث شكل أعلى دخل آنذاك مقارنة بمستوى المداخيل في الدول العربية باستثناء المملكة العربية السعودية والكويت وليبيا. (الصايغ، 1982، ص. 496)

ويعود هذا التحسن في الوضع الاقتصادي إلى عدة أسباب هي:

أ ـ تحول الأموال العربية الناجمة عن الثروة النفطية إلى لبنان والانقلابات العسكرية في سوريا والعراق ومصر، جراء النظام النقدي والمصرفي الذي اعتمده لبنان.

ب ـ تطور السياحة حيث أصبح لبنان بلدًا جاذبًا للسياح بسبب طبيعة مناخه الساحلي والجبلي وحالة الانفتاح والحرية التي يتميز بها السكان.

ت ـ تحوّل التجارة الدولية إلى مرفا بيروت بعد حرب عام 1967 وإقفال قناة السويس، إضافة إلى تزايد حركة النقل البري بين لبنان وسوريا باتجاه دول الخليج.

إلا أن عام 1975 وما حمله من أحداث طالت مختلف المناطق اللبنانية على مدى خمسة عشر عامًا أدت إلى تدهور الاقتصاد اللبناني وانخفاض قيمة العملة الوطنية، ما جعل الهجرة منفذًا لمختلف الفئات الاجتماعية بحيث ارتفعت وتيرتها في مختلف المناطق، سواء على مستوى الأسرة بكاملها أم على مستوى الفرد. وقد كان لبلدتي العين ورأس بعلبك نصيبًا كبيرًا في ارتفاع نسبة الهجرة بين الأسر والشباب منذ تلك الفترة.

وارتفع عدد المهاجرين بعد العام 1990 ليفوق المليوني شخص، كما ارتبطت هذه الهجرة بانهيار النمو الاقتصادي في لبنان بعد العام 1994 بسبب السياسات المالية والنقدية والتجارية التي اعتمدتها الحكومات المتعاقبة منذ العام 1993، حيث تدنت نسبة النمو الاقتصادي من 8٪ في العام 1994 إلى 0,0٪ في العام 2000، ومع نمو سلبي بنسبة ناقص 0,5٪ في العام 2001. (لبكي، 2011)

كما أن فشل السياستين التجارية والإنمائية التي اعتمدتها الحكومات اللبنانية المتعاقبة في عدم تحسين إنتاجية الصناعة والزراعة والخدمات اللبنانية لتتمكن من منافسة القطاعات العربية الموازية بعد فتح الأسواق في العام 2005 أدى إلى تراجع القطاعات الاقتصادية اللبنانية وإلى دفع القوى العاملة في القطاعات كافة للهجرة (لبكي، 2011).

ويظهر الجدول رقم 1 ترابط نمو الهجرة وتأثره بوتائر تراجع النمو الاقتصادي بين العامين 1994 و2004، في حين تراجعت في العام 2005 لترتفع إبان حرب تموز في العام 2006، لتعود فتنخفض في العام 2007 بسبب عودة قسم من المهاجرين بعد الحرب. إلا أن ارتفاع أسعار النفط في دول الخليج أدى إلى زيادة الطلب على القوى العاملة اللبنانية برواتب مرتفعة ما زاد في تسارع وتيرة الهجرة.

جدول رقم 1: العلاقة بين النمو الاقتصادي وحركة الهجرة اللبنانية بين عامي 1991 و2008

السنة	نسبة النمو الناتج الوطني٪	عدد المهاجرين
1991	2,5	50,000
1992	4,5	38,445
1993	7	48,050
1994	8	56,754
1995	6,5	106,812
1996	4	90,000
1997	4	152,704
1998	3	173,190
1999	1	276,676

2000	0	187,017
2001	0,5-	259,292
2002	1,9	144,263
2003	3	221,286
2004	5	147,613
2005	1	28,731
2006	6	47,947
2007	1,7	-38,330
2008	8	61,535

المصدر : لبكي، 2011.

لا شك في أن هناك علاقة طردية بين النمو الاقتصادي وحركة الهجرةن بمعنى أنه كلما ارتفعت معدلات النمو أدى ذلك إلى استثمارات جديدة وتشغيل ايدي عاملة الأمر الذي يخفف من حدة البطالة ويخفض معدلات الهجرة إلى الخارج.

أما على مستوى دوافع الهجرة في بلدتي العين ورأس بعلبك، فتعود بغالبيتها إلى التفتيش عن عمل ولو ان نسبا قليلة من المهاجرين كانت بدوافع امنية أو طلبا للعلم والزواج. كما يتبين من خلال بيانات الجدول الآتي.

جدول رقم 2: توزّع المهاجرين حسب دوافع الهجرة والبلدة

سبب الهجرة / البلدة	العين٪	رأس بعلبك٪
العمل	84,2	81,6
الأوضاع السياسية والأمنية	8,8	0
الدراسة	3,5	18,4
الزواج	3,5	0
المجموع	100	100

المجموع الكلي = 133 مهاجرًا من أصل 122 أسرة لديها مهاجر أو أكثر.

المصدر : نتائج البحث الميداني.

ونستطيع من خلال بيانات الجدول رقم 2 إبداء الملاحظات الآتية:

ـ يبدو واضحًا أن السبب الأول للهجرة في هاتين البلدتين هو العامل الاقتصادي، الذي يتمثل في الهجرة من أجل العمل، بحيث بلغت النسبة 84,2٪ في بلدة العين و81,6٪ في بلدة رأس بعلبك، وبالتالي فان التوجه نحو العمل في كلا البلدتين يعتبر مرتفعًا. ولا شك هنا، أن الدولة مقصرة في تعاطيها مع حالة التهميش الاقتصادي التي تعانيها المنطقة لعدم إقدامها على خلق استثمارات تمكن الناس من العمل. وإذا كانت الحجة بأن الأهالي يقومون بزراعة الممنوعات، فليس صحيحًا أن كل الناس تتجه نحو هذه الزراعة، كما أن ممارسة هذه المهنة من قبل البعض كانت بفعل الحاجة وكانت خيارًا أخيرًا أمامهم للخروج من مأزق الفقر.

ـ لقد رافق الدافع الاقتصادي مراحل الهجرة كافّة، حيث كان هاجس تأمين المعيشة لدى اللبنانيين، منذ بداية الهجرة إلى يومنا هذا، الهمّ الأكبر لهم. ففي المراحل الأولى للهجرة كان معظم المهاجرين إلى دول أميركا اللاتينية من الطبقة الفقيرة، حيث كان السفر إلى هذه الدول محفوفًا بالمخاطر الكبيرة التي قد تودي بحياة المهاجرين، الأمر الذي لم يكن ليتكبّده أحد من الطبقة الغنيّة أو الميسورة.

ـ يتبين في بيانات الجدول الفارق الكبير بين نسبة المهاجرين من أجل متابعة الدراسة في البلدتين حيث بلغت في بلدة رأس بعلبك 18,4٪ مقابل نسبة 3,5٪ في بلدة العين. وهذا الفارق يعود في تقديرنا إلى عدة أساب هي:

أ ـ حرص الأسرة في بلدة رأس بعلبك على تعليم أبنائها من أجل الحصول على وظائف مرموقة في الدولة أو التخصّص في الخارج، ما يساعد في تسهيل الحصول على تأشيرة دخول من قبل الدول المقصودة ولا سيما إلى أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية وكندا. أما في بلدة العين فإن الحصول على تأشيرة دخول إلى أوروبا هو أمر صعب المنال نتيجة المواقف السياسية، وخصوصًا أن الأهالي في تلك البلدة ينتمون إلى الديانة الإسلامية حيث تعتبر تلك الدول أن المسلمين يشكلون حالة من الارهاب، وبالتالي فإن استقبالهم يثير الكثير من القلق والمشاكل، الأمر الذي دفعها إلى التشدد في دخول السلمين إلى أراضيها.

ب ـ إتاحة فرص عمل أمام الشباب في بلدة العين الشيعية من خلال الانخراط في صفوف المقاومة ضد إسرائيل ولاحقًا ضد الجماعات التكفيرية في سوريا، إذ

إن معظم سكان البلدة إما ينتمون إلى المقاومة أو يؤيدونها، الأمر الذي يدفع بأعداد كبيرة من الشبّان إلى التفرّغ بصفوفها. وبما أن هذا الانتساب لا يستدعي الحصول على شهادات جامعية، نلاحظ بأن معظم هؤلاء الشبان يتركون المدرسة في سن مبكرة، في ظل تشجيع ومباركة من ذويهم بسبب معتقداتهم الدينيّة التي تحفّز على القتال بوجه إسرائيل وغيرها من الجماعات الإسلاميّة المتشدّدة. أما السكان في بلدة رأس بعلبك، فلو كانوا يؤيدون المقاومة ضد إسرائيل، فإن مسألة الدخول في صفوفها لا تعنيهم كما هو الحال لدى أهالي بلدة العين. (م. ناصر الدين، مقابلة، 29 حزيران 2016)

ت ـ أما السبب الثالث للهجرة فهو الأوضاع السياسية والأمنية في بلدة العين فقط، إلا أن نسبتها قليلة جدًا مقارنة بالعمل حيث بلغت 8,8٪.

ث ـ ونلاحظ أن السبب الرابع للهجرة هو الزواج، كما يبرز هذا السبب في بلدة العين فقط. وحسب المقابلات، فإن معظم المهاجرين من بلدة العين لم يؤيّدوا فكرة الارتباط بفتاة غير لبنانية، حيث يعتقدون أن المرأة الأجنبية سوف تبعد أبناءهم عن البلدة وبالتالي سوف ينتفي حسّ الإنتماء إليها. كما حرص هؤلاء على أن يربوا أولادهم على العادات والتقاليد التي نشأوا عليها، وذلك خوفًا عليهم من التماثل بعادات وتقاليد الدولة التي يعيشون فيها. وقد شكل العامل الديني سببًا مهمًا في الزواج من البلدة حيث خافت معظم الأسر على أولادها، وخاصة الإناث، من كسر القيود المفروضة عليهم شرعًا، وعليه فإن العامل الديني هو الضمان أو الحاجز ضد هذا التفلت. (ع. دبّوس، مقابلة، 22 أيار 2017)

1 ـ الفقر

يشكّل الفقر أحد الأبعاد الأساسية المعوّقة لتحقيق التنمية في أي مجتمع، لذلك فإن ألأهداف الإنمائية التي تطلقها الأمم المتحدة في برامجها تضع في أولوياتها القضاء على الفقر الذي يتم تأجيله من فترة زمنية إلى أخرى، (أهداف الألفية الأولى والثانية والثالثة للأمم المتحدة). ولما كانت حالة الفقر في لبنان تأخذ منحى تصاعديًا، بحيث بلغت نسبة الأسر الفقيرة حوالى 32٪ (أي الأسر التي لا يتجاوز دخل الفرد فيها دولارين يوميًا)، ما يدعو الجماعات التي لم تعد تستطيع تأمين الحد الأدنى من معيشتها إلى الانتقال إلى أماكن أخرى تجد فيها ظروفًا معيشية أفضل، وبالتالي يصبح الفقر أحد العوامل المحفزة للهجرة.

وقد كان الفقر ملازمًا لسكان بلدتي العين ورأس بعلبك كباقي قرى المحافظة، حيث رزحت هذه القرى تحت الحكم الإقطاعي فترة طويلة، وكان الأهالي يعملون لدى الإقطاعيين ويعيشون على زراعة أراضي العائلات الإقطاعية والعمل عندها بقوتهم اليومي. كما كان للضغط العثماني والحربين العالميّة الأولى والثانية والمجاعة والأوبئة دور كبير في زيادة الفقر والعوز في هذه القرى. وفي عهد الإنتداب الفرنسي أُعطيت بعض العائلات المسيحيّة إمتيازات عديدة ما أدّى إلى تفاوت في الوضع الاقتصادي والمعيشي بين المسيحيين والمسلمين.

ففي بلدة العين المسلمة بمعظمها، عمدت السلطات الفرنسيّة إلى فرض ضريبة على الفلاحين، وهي عبارة عن أخذ معظم محاصيلهم، حيث لا يبقى لهم سوى كميّة قليلة لا تكاد تكفيهم لمقاومة جوع الشتاء. كما أعطت السلطة الفرنسية آل مراد (العائلة المسيحية) إمتيازات حيث عيّنتهم وكلاء لديها لجباية الضرائب، الأمر الذي ساعدهم على شراء الأراضي من الفلاحين بأسعار زهيدة جدًا وبطرق غير مشروعة، ما زاد في غنى الملاكين وأعطاهم قدرة على التحكّم بالفلاحين ومعاملتهم كعبيد عندهم. (الجمال، د.ت، ص. ص. 34-35)

في حين تميزت بلدة رأس بعلبك عن غيرها من القرى بحيث أصبحت محميّة من قبل السلطات الفرنسية، ما أعطاها ميزة بعدم إعتماد التصنيف الطبقي أو التفاوت الكبير في الدخل أو في ملكيّة الأرض. إلا أن سكانها عانوا من الفقر بسبب قلّة الموارد الطبيعيّة، حيث يوجد نبع ماء واحدة تجمّع حوله سكّان البلدة وعملوا في الزراعة والرعي. وبما أن الأسرة في ذلك الوقت كانت كبيرة (أي ستة أشخاص وأكثر) وبسبب التزايد السكاني لم تعد هذه الموارد كافية لتأمين المعيشة، ما اضطّرهم للبحث عن موارد جديدة للعيش. (غضبان ومشرف، د.ت)

إذا ومنذ القدم، كان الفقر والظلم محدّدان أساسيان لهجرة سكان البلدتين إلى الخارج من أجل تأمين المعيشة ومساعدة أسرهم في البلدة، وذلك ابتداءً من أواخر القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا. إلا أن الأمر اختلف بين البلدتين إختلافًا كليًا، في ما بعد حيث بدت وتيرة الهجرة مرتفعة في بلدة رأس بعلبك، وضعيفة جدًا في بلدة العين.

2 ـ تدني معدّلات الاستثمار

يشكّل الاستثمار أحد الأبعاد الرئيسة في خلق فرص عمل والحدّ من الهجرة لا

سيما هجرة الشباب، حيث تشكل الاستثمارات حصانة لتثبيت الناس في أرضها. فتخلف القطاع الزراعي وتدني إنتاجيته، خصوصًا أن غالبية الأهالي في المنطقة هم من المزارعين، يحفز الناس على الهجرة أو النزوح نحو المدينة، ولا سيما الشباب الذي لم يعد يتقبل العمل في الزراعة. وفي ظل غياب الإنماء لهذه المنطقة من قبل الدولة، حيث لم تعمد إلى إنشاء مصانع أو معامل (تصنيع منتجات زراعيّة أو حيوانيّة) بهدف تشجيع الزراعة وتطويرها، بقي المزارع يصارع وحده لتأمين تصريف إنتاجه والذي غالبًا ما نراه يرميه في الطرقات بسبب عدم قدرته الماديّة على تخزينه في برادات خاصة لارتفاع التكلفة.

ولذلك فإن إهمال الدولة لمنطقة بعلبك ـ الهرمل على مستوى البنى التحتية وعدم العمل على تنمية القطاعات الإنتاجيّة فيها من ناحية، وغياب المشاريع الاستثمارية من ناحية ثانية، أديا إلى إحداث ضغوط اقتصادية على السكان ودفعهم للهجرة.

3 ـ البطالة السافرة والمقنعة

إذا كانت البطالة السافرة تعني توقف الناشطين اقتصاديًا عن العمل لأسباب مختلفة، وبالتالي فإن هؤلاء يسعون بشكل أو بآخر لإيجاد عمل، فإن البطالة المقنعة تعتبر أخطر وأشد قسوة من البطالة السافرة، باعتبار أن الذين يصنفون ضمن هذه الفئة هم يعملون في مجالات لا تتناسب ومؤهلاتهم وتخصّصاتهم، وبالتالي يعتادون على هذا العمل حيث لم يعد لديهم الوقت الكافي للتفتيش عن عمل جديد. وهذه الظاهرة متفشية في لبنان أكان على مستوى الدوائر الرسمية التي تضم فائضا من الموظفين، أم على مستوى العاماين في نشاطات لا تتناسب مع اختصاصاتهم. ويبقى هؤلاء رهينة هذا الوضع حتى تتسنى لهم ظروف الهجرة إلى الخارج. لذلك فإن العلاقة بين النمو الاقتصادي والبطالة والهجرة هي علاقة عكسيّة، حيث تنخفض البطالة مع ارتفاع هذا النمو، وترتفع مع انخفاضه، وبالتالي فإن الهجرة ترتفع عند ارتفاع نسبة البطالة وتنخفض بانخفاضها. وقد ارتفعت نسبة البطالة في لبنان في العام 2015 حسب دراسة الأحوال المعيشيّة للأسر، لتصل إلى 11,9٪، وهي قد ازدادت 1,5 مرّة عما كانت عليه في العام 2004 (8٪)، و1,3 مرّة عما كانت عليه في العام 2007 (9,2٪) (الأحوال المعيشيّة للأسر في لبنان 2015، ص. 158). كما تلعب دول المقصد دورًا في زيادة البطالة في لبنان، حيث تتأثّر حركة الهجرة بالحواجز التي قد تضعها هذه الدول أمام

الهجرة لأسباب سياسيّة أو أمنيّة أو اقتصادية، كما حدث في أميركا بعد حوادث 11 أيلول 2001 والتي أدّت إلى ارتفاع نسبة البطالة في لبنان بشكل لافت بسبب تراجع الهجرة إلى أميركا وبعض البلدان الأوروبيّة. (طبارة، 2013)

أما على مستوى الدراسة الميدانية، فقد تبين أن هناك فارقًا في نسبة الناشطين اقتصاديًا الذين يمارسون مهنًا معينة بين بلدتي العين ورأس بعلبك، وبالطبع فإن هذا الفارق سوف ينعكس على نسبة البطالة في البلدتين كما تظهر بيانات الجدول الآتي:

جدول رقم 3: توزّع أفراد العينة حسب العلاقة بقوة العمل والبلدة

العلاقة بقوة العمل / البلدة	العين٪	رأس بعلبك٪
يعمل	40,7	58,4
سبق له العمل ويبحث عن عمل حاليًا	8,8	1,8
يبحث عن عمل لأول مرّة	5,2	0,8
توقف عن العمل نهائيًا أو متقاعد	2,2	3,3
متفرّغة للأعمال المنزلية	29,1	10,9
تلميذ / طالب	14	24,8
المجموع	100	100

المجموع الكلي = 936 من مجموع أفراد العينة المقيمين والذين هم في عمر النشاط الاقتصادي (15 ـ 64)

المصدر: نتائج البحث الميداني

أ ـ نلاحظ أن نسبة 58,4٪ تعمل في بلدة رأس بعلبك، أي أكثر من نصف العيّنة، في حين أن نسبة 40,7٪ فقط تعمل في بلدة العين. أي يبلغ معدّل البطالة في رأس بعلبك 4,3٪، في حين يبلغ في بلدة العين 25,8٪. (معدّل البطالة = عدد العاطلين مقسوما بعدد القوة العاملة[1] × 100).

(1) القوة العاملة = عدد العاطلين عن العمل (15-64) / الذين يعملون + من يبحث عن عمل لأول مرة + من كان يعمل وترك ويبحث عن عمل × 100.

ب ـ يوضح الجدول أيضًا، أن نسبة 10,9٪ من النساء يتفرغن للأعمال المنزلية في بلدة رأس بعلبك، في حين تبلغ هذه النسبة 29,1٪ في بلدة العين، أي أن مشاركة النساء في القوى العاملة في بلدة رأس بعلبك هي أعلى بكثير من نسبتها في العين.

ويمكننا تفسير هذا الاختلاف بين البلدتين بالآتي:

ساهمت الهجرة في بلدة رأس بعلبك التي وصلت نسبتها إلى 35٪ في الحدّ بشكل كبير من ظاهرة البطالة. كما شكلت الإمتيازات التي يتمتع بها سكان هذه البلدة عاملاً إضافيًا بذلك، حيث لاحظنا بأن معظم أبناء البلدة هم موظفون في القطاع العام. فبحكم أنها بلدة مسيحية، فلأبنائها الحظ الأكبر في الحصول على الوظيفة العامة بسبب المحاصصة الطائفية في التوظيف، إضافة إلى وجود المدارس الرسمية والخاصة في البلدة، الأمر الذي أمن العديد من فرص العمل. ففي بلدة رأس بعلبك هناك حوالى 250 شخصا يعملون في التعليم الرسمي والخاص، وحوالى 300 موظف في السلك العسكري، بينهم 45 ضابط. (ك. دروبي، مقابلة، 21 أيلول 2016)

أما في بلدة العين فالأمر يختلف كليًا، حيث نجد أن نسبة الهجرة بلغت 13٪ فقط، مع العلم بأنها بلدة كبيرة نسبة لبلدة رأس بعلبك حيث يبلغ عدد المقيمين فيها حوالى 6000 نسمة ما يزيد من الطلب على العمل. كما أن هذه البلدة لا تحظى بإمتيازات توظيفية حيث أن ساكنيها هم من الطائفة الإسلامية، إضافة إلى تدني مستوى التعليم العالي فيها لتصل نسبته إلى 11,5٪ فقط.

إذًا، يمكننا القول بأن الهجرة تلعب دورًا كبيرًا في الحدّ من ارتفاع نسبة البطالة في لبنان، وهي تشكّل صمّام الأمان لارتفاعها.

أما على مستوى الهدف من الهجرة في البلدتين، فتشير بيانات الجدول أدناه إلى ارتفاع نسبة الذين هاجروا بقصد العمل على الذين هاجروا بقصد الدراسة. كما يظهر أن نسبة الذين هاجروا من أجل إكمال الدراسة الجامعيّة إرتفعت في رأس بعلبك لتصل إلى 18,4٪ مقابل 3,5٪ فقط في العين. ويعود السبب في ذلك أولاً إلى ارتفاع المستوى التعليمي وزيادة الهجرة في رأس بعلبك بشكل عام، وثانيًا إلى الإصرار الكبير لدى الأهالي في البلدة على تخصّص أولادهم في الخارج.

جدول رقم 4: توزّع المهاجرين حسب العلاقة بقوة العمل والبلدة

العلاقة بقوة العمل / البلدة	العين٪	رأس بعلبك٪
يعمل	96,5	81,6
تلميذ / طالب	3,5	18,4
المجموع	100	100

المجموع الكلي = 133 مهاجرًا من أصل 122 أسرة لديها مهاجر أو أكثر.

المصدر: نتائج البحث الميداني

ثانيًا: الإنعكاسات الاقتصادية للهجرة على الأسرة

يمكننا القول أن إنعكاسات الهجرة الاقتصادية تصب بمجملها في خانة الإيجابية على المستويين الجزئي (الميكرو) والكلي (الماكرو) اقتصادي اجتماعي. فعلى المستوى الفردي، جنى اللبنانيون أموالاً طائلة من بلدان الاغتراب وخصوصًا من الدول الغنية في إفريقيا ودول الخليج. وقد لمعت أسماء عديدة في مجال الثراء كما تم استثمار هذه الأموال في شراء العقارات وتشييد الأبنية وبناء القصور الفخمة. وأسهم بعض المغتربين في بعض المشاريع الإنمائية ودعم المؤسسات والجمعيات الخيرية وتحويل الأموال إلى الأهل والأقارب.

أما على المستوى الكلي فقد ساهمت الهجرة، إلى حد بعيد، في دعم الاقتصاد الوطني من خلال التحويلات الخارجية والتي تبلغ حوالى 20 ـ 52٪ من الناتج المحلي، ناهيك عما تحدثه من تحسين مستويات المعيشة وتخفيض معدّلات البطالة. ويمكننا تحديد إنعكاسات الهجرة على الشكل الآتي:

1 ـ الإنعكاسات الإيجابية

إن الإنعكاسات الايجابية للهجرة على المستوى الاقتصادي تتمثل في المسائل الآتية:

أ ـ تحويلات المهاجرين: يواجه تحديد تحويلات المهاجرين صعوبتين أساسيتين: الأولى تتمثل في صعوبة فصل تحويلات المهاجرين عن بعضها البعض، أكان على مستوى توزّعهم في الغربة، أم على مستوى توزّعهم حسب المناطق اللبنانية. والثانية تتمثل في التضارب في تحديد حجم التحويلات والتي

تتراوح بين 4 و7 مليارات دولار أمريكي سنويًا، وتشكل بين 20 و25٪ من الناتج المحلي الإجمالي (خليل، 2010). وهذا التناقض يرتبط إلى حد بعيد بتقدير عدد المهاجرين من قبل الباحثين والمهتمين بموضوع الهجرة، فعلى سبيل المثال يقدر علي فاعور المهاجرين اللبنانيين إلى إفريقيا بحوالى 400 ألف مهاجر (فاعور، 1993، ص. 25)، فإذا احتسبنا أن نصفهم على الأقل يقدم مساعدة إلى ذويه بحوالى 400$ دولار شهريًا فقط، فيبلغ مقدار التحويلات الشهرية من إفريقيا إلى لبنان حوالى 160 مليون دولار أمريكي شهريًا، ولا شك في أن هذا المبلغ مبالغ فيه بشكل كبير، ويبين هشاشة الأرقام وعدم صدقيتها وخطورة البناء عليها. وهذا التناقض في الأرقام يعود إلى المصادر التي يعتمدها كل طرف، فمنهم من يعتمد على النشرات الإحصائية لمصرف لبنان، ومنهم من يعتمد على نشرات المصارف التجارية أو على نشرات المؤسسات المصرفية والمنظمات غير الحكومية والتي تنشر أرقامًا لغايات سياسية. إلا أنه مهما تضاربت الأرقام فإن تحويلات المهاجرين تشكل دعمًا للاقتصاد الوطني، ويرتبط حجمها بمجموعة من الأبعاد يأتي في مقدمها قدرة المهاجرين المالية ومستويات أجورهم، وعدد المهاجرين وارتباطهم بوطنهم. ويتمثل هذا الدعم بمجموعة من التدخلات أهمها:

*** على المستوى الكلي (الماكرو) اقتصادي:**

- تسهم التحويلات في سد جزء من النقص في العملة الوطنية.
- سد العجز في القدرة على الإدخار.
- تحسين ميزان المدفوعات.
- إمكانية تحويل جزء من التحويلات إلى قطاعات استثمارية.
- المساهمة في حماية الاقتصاد الكلي في ظل تنامي مستويات غلاء المعيشة بشكل مطّرد.

*** على مستوى الجزئي (الميكرو) اقتصادي:**

تسهم تأثير التحويلات على المستوى الجزئي في رفع مستويات المعيشة للأفراد والأسر: ويقول أحد أرباب الأسر المهاجرة في بلدة العين:

"لقد سافر ولدي إلى إفريقيا منذ عشر سنوات تقريبًا، والحقيقة لا أخجل فيها كانت حالتنا المادية عدمًا، وكنا نعمل جميعنا في الزراعة لكن نجد أنفسنا آخر الموسم تحت الاستدانة وبالكاد نستطيع تأمين معيشتنا. لدي ولد دخل إلى الجيش

لكن معاش الجندي بالكاد يكفيه، فإبني هاجر إلى إفريقيا واستطاع أن يعمل لدى أشخاص لبنانيين وكان طبعًا يعرف وضعنا، فبدأ يرسل إلينا شهريًا مبلغًا محترمًا لم نكن نحلم به، واستطعنا بناء منزل جديد واشتريت له قطعة أرض أقام بناءً جيداً عليها وتزوج ولديه حاليًا ثلاثة أولاد، وهو يأتي لزيارتنا في كل مناسبة أو أيام الأعياد. لكن المشكلة أنه بعيد عن عائلته وعن أولاده، إنما كل شيء وله ثمن، وعائلته مقتنعة بوضعها أفضل من أن يبقى في بلدته في حالة فقر. وهكذا تغيرت حالتنا رأسًا على عقب، فلولا الهجرة لكان وضعنا أسوء مما كنا عليه لأن حاجات البشر تزداد يومًا بعد يوم. وهذا ليس وضعنا فقط، فكل الذين هاجروا يساعدون أهلهم وأقاربهم، وأنا من جهتي لولا هذه المساعدات كنت سأجبر أبنائي القاصرين على العمل". (م. الجمال، مقابلة، 1 تموز 2016)

نلاحظ من خلال هذه المقابلة ارتفاع معدل الرضا عن الهجرة الذي استطاع أن يكوّن ثروة يغير بها حياة أسرته بالكامل، وأن يبني أسرة جديدة تتمتع بمستوى معيشي لائق ولو كان على حساب إبتعاده عنها. فالبعد الجغرافي عن الأسرة يقابله الغنى والحياة الرغيدة.

أما تحويلات المهاجرين في رأس بعلبك فيعبر عنها أحد الأشخاص بقوله:

"كثيرًا ما يرسل أبناء البلدة المهاجرين أموالاً إلى ذويهم، سواء عن طريق التحويلات المصرفية أو مع مهاجرين عائدين لقضاء العطلة في لبنان. ويوجد في البلدة بعض الأسر التي لا معين لها، فهؤلاء لهم معاشات شهرية من بعض المهاجرين، كما يساهم المهاجرون كثيرًا في دعم المشاريع الخيرية للجمعيات والكنيسة وغيرها من التبرعات التي تساهم إلى حد كبير في تنمية البلدة وفي تحسين المستوى المعيشي للأسر المحتاجة. وفي هذه الأزمة التي مرت بها البلدة مع الإرهابيين وتعطل العمل، كان الإتكال على المهاجرين في إرسال الأموال إلى غالبية الناس التي ليس لديها معاشات مستمرة وكانت البلدية هي التي تشرف على تحديد الأسر المحتاجة". (و. العرجا، مقابلة، 10 كانون الثاني 2016)

إضافة إلى ذلك، تُستهلك بعض تحويلات المهاجرين في بناء المنازل الفخمة لهم أو لأسرهم، حيث نلاحظ ارتفاع نسبة المساكن التي تزيد مساحتها على 210 م^2 وأكثر لدى الأسر التي لديها مهاجر حسب الجدول رقم 5 لتبلغ 13,9٪، في حين تتدنى إلى 5,6٪ لدى الأسر التي ليس لديها مهاجر.

جدول رقم 5: توزّع مساحة المسكن للأسر التي لديها مهاجر والأسر التي ليس لديها مهاجر

الهجرة / مساحة المسكن	أسر لديها مهاجر٪	أسر ليس لديها مهاجر٪	المجموع٪
أقل من 90 م^2	12,3	33,7	29,3
90 م^2 - 210 م^2	73,8	60,7	63,3
210 م^2 وأكثر	13,9	5,6	7,4
المجموع	100	100	100

المجموع الكلي = 600 أسرة

المصدر: نتائج البحث الميداني

ب ـ التبدل في أنماط المعيشة: يتوجه أفراد أسر المهاجرين، عادة نحو الإستهلاك التفاخري، ويعود هذا التوجه إلى عاملين: الأول مادي، بمعنى أن زيادة مداخيل الأسرة سوف تنعكس إيجابًا على مصاريف الأولاد اليومية أو الشهرية وعلى المصاريف الخاصة لربة الأسرة. والثاني، معنوي ويتعلق بالدلالات الرمزية لموقع الأسرة الاقتصادي والتي بتقديرها، يعطيها مركزًا اجتماعيًا مميزًا، حيث برزت ظواهر متعدّدة حول التبدّل في أنماط الإستهلاك، أكان على مستوى الأولاد والتردّد إلى المطاعم والمقاهي والنوادي واستبدال طعام المنزل بالوجبات السريعة، أم على مستوى ربة المنزل من خلال إستقدام عاملة للمنزل، في الوقت الذي لا تمارس فيه أي عمل مأجور، أم من خلال قيامها بعمليات التجميل وتغيير أثاث المنزل واقتناء السيارات الحديثة وما إلى ذلك من حالات الإزدهار المظهري.

أما على مستوى نتائج البحث الميداني، فقد تبين أن مداخيل الأسر التي لديها مهاجر أو أكثر مرتفعة عما هي عليه لدى الأسر التي ليس لديها مهاجرون، وهذا ما ينعكس على مصاريف الأسرة كما يتبين من خلال الجدولين رقم 6 و7.

قد يتبادر إلى الذهن أن الفوارق في مداخيل الأسر المقيمة في بلدتي العين ورأس بعلبك، سواء كان لديها مهاجرون أو ليس لديها مهاجرون، لا يعكس الأثر الذي تحدثه الهجرة على مستوى دخل الأسرة، إلا أننا نوضح أنه طالما أن هذه الأسر مقيمة في البلدتين وتعيش ظروفًا اقتصادية متشابهة نسبيًا، وأن زيادة

المداخيل يتركز بشكل أساسي لدى الأسر التي لديها مهاجرون، فيصبح باستطاعتنا القول أنه لولا الهجرة لما استطاعت هذه الأسر أن تحقق هذه الزيادة في مداخيلها. وعلى هذا الأساس، كما يبدو من بيانات الجدول رقم 6، فإنه في الوقت الذي تنخفض فيه نسبة الأسر التي لديها مهاجرون وتتقاضى أقل من 700 ألف ل. ل. إلى 12,2٪ ترتفع نسبة الأسر التي ليس لديها مهاجرون إلى 35,1٪، والعكس تمامًا فحينما يتعلق الأمر بالمداخيل العالية حيث ترتفع نسبة الأسر التي تتقاضى أربعة ملايين ل. ل. وما فوق إلى 19,7٪ للأسر التي لديها مهاجرون مقابل 5,2٪ للأسر التي ليس لديها مهاجرون.

وبقطع النظر عن ارتفاع المداخيل وإنخفاضها في الأسر التي لديها مهاجرون، فإننا نتحفظ على البيانات الواردة في الجدول أدناه للشك بصدقيتها، إذ كيف يمكن لمهاجر أن يتقاضى أجرًا شهريًا يبلغ 700 ألف ل.ل.، أي ما يعادل الحد الأدنى للأجور في لبنان؟ فمهما كانت المهنة التي يمارسها المهاجر سوف تكون مداخيلها أعلى من هذا المبلغ. حتى أن الدخل الأعلى البالغ أربعة ملايين ل.ل. فأنه مشكوك فيه، وإذا كانت هذه الارقام صحيحة، فإنه لم يعد باستطاعتنا الحديث عن الإستهلاك التفاخري لأسر المهاجرين ولا إقتناء السيارات الفخمة وغيرها. إلا أننا نعتقد أن الإفصاح عن الأجر يشوبه بعض التحفظ لدى أفراد العينة، سواء كانوا مهاجرين أم مقيمين دائمين في البلدتين. ويعود هذا التحفظ إلى الذهنية لدى غالبية الناس في عدم التصريح عن إمكانياتهم المالية بشكل واضح لأسباب خاصة، إذ لكل أسرة خصوصياتها في هذا المجال.

جدول رقم 6: توزّع الدخل الشهري للأسر التي لديها مهاجر والأسر التي ليس لديها مهاجر حسب البلدة

الهجرة / الدخل الشهري للأسرة بآلاف الليرات اللبنانيّة	أسر لديها مهاجر٪	أسر ليس لديها مهاجر٪	المجموع٪
أقل من 700	12,2	35,1	30,5
701 ـ 1400	11,5	29,3	25,7
1401 ـ 2400	28,7	17,6	19,8

15,8	12,8	27,9	**4000 ـ 2401**
8,2	5,2	19,7	**4001 وأكثر**
100	100	100	**المجموع**

المجموع الكلي = 600 أسرة

المصدر: نتائج

وبطبيعة الحال، فإن من الأهداف الأولى للهجرة، هي تحسين الوضع الاقتصادي للأسرة، الأمر الذي يشجّع الكثيرين على الهجرة. ويقول أحد مهاجري بلدة رأس بعلبك:

"لقد تحوّلت الهجرة منذ ثمانينيات القرن الماضي من دول أميركا اللاتينيّة بسبب هبوط عملتها النقديّة أمام الدولار الأميركي واليورو الأوروبي، مما جعل معظم المهاجرين يتوجّهون إلى أميركا الشماليّة وكندا وأستراليا ودول الخليج".
(ج. العرجا، مقابلة عبر شبكات التواصل الاجتماعي، 11 أيار 2017)

ويعني هذا بأن المهاجرين يفتشون دائمًا عن المصادر التي تدر الثروة وتحقق لهم جمع مبالغ عالية من الأموال. وما يدحض الأرقام التي وردت في الجدول أدناه أيضًا، هو التصريحات التي أدلى بها ممعظم المهاجرين أو أرباب الأسر: "لولا الهجرة لما استطعنا ان نحقق آمالنا ونبني بيتًا وأسرة"، "الهجرة فتحت لنا أبوابًا جديدة في تحسين أوضاعنا"، "الحمدلله الأولاد يعيشون براحة وأحوالهم المادية جيدة وعندما نحال إلى التقاعد سوف نلحق بهم"، وغير ذلك من الشواهد التي تؤكد على الإنعكاس الاقتصادي للهجرة على مختلف نواحي الحياة الاجتماعية. وهنا، نشير إلى أهمية المقابلات في الحصول على معلومات لم يوفرها الإستبيان المحقق بواسطة الإستمارة، إذ لاحظنا أثناء ملء الإستمارات حالة المراوغة من قبل غالبية المستجوبين في إعطاء الإجابة الدقيقة حول المدخول الشهري خوفًا منهم بأن تكون الدراسة تابعة لإحدى الجهات التي ستفرض عليهم تسديد مستحقات ماليّة معيّنة. فالبعض ظن بأننا تابعين لوزارة الماليّة، أو للبلديّة، أو حتى لجهة غير حكوميّة سوف تقوم بتقديم مساعدات للأسر الفقيرة. ولذلك كانوا يعمدون دائمًا إلى زيادة نسبة المصروف عن المدخول، خوفًا أو طمعًا، خاصة عند الأسر التي تكون مداخيلها مرتفعة.

ومما لا شك فيه أن العلاقة بين الدخل والمصروف علاقة دائرية من حيث التأثير ببعضهما البعض، والمفهوم الاقتصادي يؤكد هذه العلاقة باعتبار أنه كلما زاد دخل الأسرة كلما إرتفع معدّل مصروفها وإدخارها أيضًا، وبالتالي فإن مداخيل الأسر في البلدتين سواء التي لديها مهاجرين أم الأسر التي ليس لديها مهاجرون سوف ينعكس على مستوى المصروف والإدخار. كما أن تدنّي الحدّ الأدنى للأجور في لبنان بشكل عام، وانخفاضه إلى أدنى مستوياته في محافظة بعلبك ـ الهرمل، إضافة إلى الضائقة الماديّة التي تلم بمعظم سكان هذه المنطقة، أدّت إلى عجز هذه الأسر عن إستطاعتها المواءمة بين الدخل وحاجاتها المعيشيّة. ولذلك نلاحظ أنه لم يختلف وضع الأسر التي لديها مهاجر عن تلك التي ليس لديها مهاجر حول زيادة المصروف عن الدخل، إلا في حالات الأسر التي يزيد دخلها على مليوني ل. ل. وخلال الاستيضاح من أحد المهاجرين العائدين حول إمكانياته المادية ومستوى مصروفه أجاب:

" عادة عند الأجانب وخاصة الإنكليز ممنوع السؤال عن موضوعين، ماذا تعمل وما هو معاشك؟ لكن عندنا أهم شيء كيف أحوالك المادية وما هي ثروتك؟ وسوف أكون صريحًا معك، أنا هاجرت من البلدة منذ أكثر من 25 سنة وتزوجت فتاة أجنبية وأنجبت منها ولدين ولم أوفق معها، فتكبدت مصاريف طائلة حتى تم الطلاق. ثم عدت وتزوجت من البلدة وعدت حيث كنت في ألمانيا، أعمل بشكل مستقل بكل المجالات، بالتجارة وبالسيارات وبكل شيء، وحاليًا عندي ولدان يتخصصان هناك في الهندسة. وجمعت مبلغًا من المال إستطعت من خلاله أن أغير حياتي، واليوم لم أعد بحاجة إلى العمل حيث أصبح عندي محلات في بيروت أستثمرها وعندي شقق مؤجرة ولدي مبلغ من المال في المصرف ودائمًا أزور أولادي وأطمئن عنهم وأبقى إلى جانبهم حتى لا يندمجوا في المجتمع الألماني بالكامل. والآن كل همي أن يتخرجوا ويتزوجوا من فتاة من البلدة أو من لبنان مهما كانت طائفتها. ورداً على سؤالنا حول إستفادته من الهجرة، قال: طبعًا هذه الثروة من أين كانت ستأتي لولا الهجرة، إنما بشرط، أن الذي يهاجر وخاصة في البداية عليه أن يتعب ويكافح أكثر مما كان في لبنان. فالإنسان الذي يهاجر يعمل بجهد وتعب أكثر مما كان يعمل في لبنان، لكن الفرق أنه في المهجر يتعب ويجني مقابل تعبه، يعني آخر النهار يجد أنه حصل على مبلغ محترم، كما وأن كل شغل يوم هناك مقابل شهر هنا. أما لجهة المصروف سوف أعطيكٍ مثلاً كيف كان

مصروفي في بداية الهجرة وحاليًا، في البداية كنت أسجل كل يوم ماذا صرفت وماذا ادخرت، وحينما بدأت تتحسن أحوالي المادية لم أعد أعطي للمصروف أهمية، يعني لم أعد احتسب ماذا صرفت، وكلما تحسنت أحوالي المادية كلما ازداد مصروفي وازادت الإدخارات عندي. وكنت أرسل الأموال إلى لبنان مع بعض الأشخاص المقربين أو الأصدقاء وكان والدي يشتري لي شققًا ومحلات ويستثمرها، وبذلك أصبح لدي مدخولان، من شغلي ومن الإيجارات" . (ح. ناصر الدين، مقابلة، 10 تموز 2017)

إن هذه المقابلة وغيرها تدل على إنعكاس الهجرة على مستوى زيادة المداخيل وزيادة المصروف أيضًا.

وتبين نسب الجدول رقم 7 التناقض الواضح بين دخل الأسرة ومصروفها، حيث بلغت نسبة الأسر التي تتقاضى أقل من 700 ألف ليرة لبنانية 30,5٪ في الجدول السابق (رقم 6)، في حين أن الأسر التي بلغ مصروفها أقل من 700 ألف ليرة لبنانية بلغت نسبتها 21,5٪ فقط في الجدول رقم 7. وتنسحب هذه التناقضات على مختلف مستويات الدخل والمصروف للأسر.

جدول رقم 7: توزّع نسبة الأسر التي لديها مهاجر والأسر التي ليس لديها مهاجر حسب المصروف الشهري

الهجرة / المصروفالشهري للأسرة بآلاف الليرات اللبنانيّة	أسر لديها مهاجر٪	أسر ليس لديها مهاجر٪	المجموع٪
أقل من 700	7,4	25,1	21,5
701 ـ 1400	26,2	42,5	39,2
1401 ـ 2400	32	20,1	22,5
2401 ـ 4000	26,2	8,6	12,2
4001 وأكثر	8,2	3,7	4,6
المجموع	100	100	100

المجموع الكلي = 600 أسرة

المصدر: نتائج البحث الميداني.

ج ـ تأمين فرص عمل: إن تدهور الأوضاع الاقتصادية والأمنية في لبنان أحدثا تراجعًا في الاستثمارات التي إنعكست سلبًا بدورها على سوق العمل، حيث ارتفعت معدّلات البطالة وبالتالي تراجعت إمكانيات تحقيق فرص عمل للخريجين الذين يتزايدون سنويًا إلى سوق العمل من عمال مهرة وغير مهرة وذوي كفاءات. ويقول أحد المهاجرين في بلدة رأس بعلبك:

"لو بقيت عشر سنوات إضافية في لبنان، لكنت خسرتهم من عمري، لأنني لم أتقدم خطوة إلى الأمام ولكانت أحوالى المادية تعيسة لا أدري ماذا كنت أعمل الآن. ومن جهتي كنت أحب كثيرًا أن أبقى في بلدي إلى جانب أهلي وأصدقائي ولا أرغب بالهجرة، وكنت أحلم أن أتزوج وأبني أسرة صغيرة وأبقى إلى جانبها وإلى جانب أولادي وأعيش حياة عادية وبسيطة جدًا، لكن وجدت أن في لبنان هذا حلم من الصعب تحقيقه ومتطلبات الحياة أصبحت ضاغطة. وما كنت أرضاه لنفسي سابقًا لم يعد إبني يرضاه ولم أعد أنا أرضاه له، هناك مسؤوليات في التعليم والطبابة والسكن اللائق واللباس وما إلى ذلك من المستلزمات الضرورية، وهذه الحاجات من الصعب تأمينها في لبنان في ظل هذه الأوضاع الضاغطة، لذلك كانت الهجرة التي أخرجتني من النفق الذي كنت أعيش فيه". (أ. غضبان، مقابلة عبر شبكات التواصل الاجتماعي، 3 تموز 2017).

د ـ على مستوى الاستثمار: إن المهاجرين لم يعمدوا إلى استثمار أموالهم في مشاريع كبيرة في بلداتهم من شأنها خلق فرص عمل لأبناء المنطقة، إذ انحصرت الاستثمارات بشراء بعض الشقق أو المحلات التجارية في المدن وتأجيرها. أما سبب إحجام المهاجرين وذويهم عن القيام بمشاريع كبيرة في المنطقة فيعود إلى عدة أسباب أبرزها:

ـ تقف الأوضاع الاقتصادية المترديّة في المنطقة حائلاً ضد إنشاء مشاريع تجاريّة كبيرة، وذلك بسبب سياسة الاستدانة التي يعتمدها معظم سكان هذه المنطقة، ما يؤدّي إلى إفلاس معظم هذه المشاريع وإغلاقها.

ـ إن عدم تأمين الدولة تصريف المنتجات الزراعيّة أو الصناعيّة، أعاق قيام معامل أو مصانع تهتم بتصنيع المنتجات الزراعيّة والحيوانيّة وغيرها. وقد أجمعت مقابلات المهاجرين على عدم تحمسّهم القيام بهذه المشاريع خوفًا من كساد منتجاتهم وبالتالي خسارة أموالهم التي تعبوا وشقوا لجمعها طوال سنوات غربتهم.

وفي مقابلة أحد المهاجرين في بلدة رأس بعلبك، علمنا بأنه فضّل إنشاء مشروعه الخاص في كندا ليقينه بنجاح هذا المشروع مسبقًا. (ج. العرجا، مقابلة عبر شبكات التواصل الاجتماعي، 11 أيار 2017)

ـ يشكّل الوضع الأمني أيضًا عائقًا ضد إنشاء مشاريع استثماريّة في المنطقة، وخاصة السياحيّة منها، كالمطاعم والمنتزهات الكبيرة، حيث تبيّن أن معظم المهاجرين لا زالوا يخافون من خسارة أموالهم بسبب المشاكل الأمنيّة التي تحدث في المنطقة بين العائلات تارة، وبين الأحزاب تارة أخرى. فالسياحة في هذه المنطقة متدنيّة، خاصة في فصل الشتاء، حيث تكثر عمليات النهب والسلب على الطرقات في ظل غياب شبه كامل للقوى الأمنيّة لحماية المواطنين. وحسب المقابلات مع أحد المهاجرين العائدين في بلدة العين (صاحب منتجع سياحي)، أخبرنا بأنه نادم على الاستثمار في هذا المشروع بسبب الخسارة التي يتكبّدها مع كل حدث أمني يضرب المنطقة. (أ. حوري، مقابلة، 5 حزيران 2017)

ـ إن إهمال الحكومات المتعاقبة لمنطقة بعلبك ـ الهرمل، وعدم دعم القطاع الزراعي فيها، بل وعدم تأمين زراعات بديلة بعد توقّف الزراعات الممنوعة في بداية تسعينيات القرن الماضي، إضافة إلى عدم تنفيذ مشاريع في المنطقة من قبلها للمحافظة على الطاقات الشابة المتخصّصة والعاملة، أدّى إلى زيادة نسبة الهجرة لدى الشباب في منطقة بعلبك ـ الهرمل من أجل تأمين فرصة عمل. فحسب أحد المهاجرين في بلدة رأس بعلبك:

"لو أن الحكومة أنشأت مشروعًا لتكرير النفايات في المنطقة، كانت ستشغل 300 شاب على الأقل، أي أن 300 أسرة ستستفيد من المشروع، وبالتالي سوف تحافظ على هؤلاء الشباب في المنطقة وتحدّ من هجرتهم". (ج. العرجا، مقابلة عبر شبكات التواصل الاجتماعي، 11 أيار 2017)

2 ـ الإنعكاسات السلبية للهجرة على الأسرة

صحيح أن للهجرة إيجابيات متعدّدة، إلا أنها تتضمن سلبيات أيضًا يمكن تلخيصها على الشكل الآتي:

أ ـ استنزاف القوى الناشطة اقتصاديا: تعتبر هذه الفئة من الفئات الناشطة اقتصاديًا والتي تتميز بقوة إنتاجيتها، ويتعرض لبنان منذ زمن طويل إلى عملية استنزاف واسعة لمختلف الفئات العمرية، ولكن هذه الفئة تشكل الشريان الحيوي

للاقتصاد الوطني في مختلف القطاعات الإنتاجية. وحينما تعود هذه الفئة إلى لبنان تكون أصبحت في سن التقاعد واستنزفت كل قوتها وجهودها ومعارفها في الخارج.

ب ـ خسارة الكفاءات العلمية والمهنية: تزداد مسألة الهجرة تعقيدًا وخسارة حينما ترتفع نسبة المهاجرين من الكفاءات العلمية العالية والإختصاصيين في الطب والهندسة والإلكترونيات وغيرها، وخصوصًا أن هذه الفئة تندمج بسرعة في المجتمع المستقبل وتصبح عودتها إلى لبنان صعبة للغاية نظرًا لمواكبتها للتطورات العلمية والتكنولوجية. ففي دراسة أعدها د. أنطوان زحلان حول هجرة اللبنانيين المتخرجين من الجامعة الأميركية، وجد أن 77٪ يبقون في لبنان، وأن 90٪ من الذين يتركون لبنان للتخصّص لا يعودون إليه. كما وجد أن النسبة نفسها تقريبًا من خريجي الجامعة اليسوعية لا يعودون إلى لبنان بعد إنهاء التخصّص في الخارج. (زحلان، 1979). ولا شك في أن ذوي الكفاءات يعودون إلى أسر تحملت الكثير من المشقات حتى توصلوا إلى هذا المستوى من الكفاءة العلمية، وكانت امنية تلك الأسر أن تجد أبنائها بقربها كلما تقدم بها العمر لدعمها ومساندتها ماديا ومعنويا.

ج ـ الحنين إلى الوطن وصعوبة التكيّف مع المجتمع: يشكو غالبية المهاجرين من صعوبة الغربة والبعد عن الأهل والوطن، وصعوبة التكيّف مع المجتمع المحلي. ويزداد هذا الشعور لدى المستخدمين والعمال غير المهرة كونهم من ذوي المداخيل الدنيا، الأمر الذي يضطرهم إلى التقشف من أجل الإدخار لتأمين مستقبلهم أو إرسال قسم من الأموال إلى ذويهم لمساعدتهم على تأمين حاجاتهم، وخصوصًا عند حصول أزمات أو مشاكل أمنية. ويعبر أحد المهاجرين في بلدة العين عن شعوره تجاه ذويه بالقول:

" حاليًا تعودت على الحياة في الغربة خصوصًا بعد أن تزوجت وأصبح عندي أسرة. أما في بداية وصولي إلى سويسرا منذ 30 سنة تقريبًا عن طريق التهريب، فقد مرت علي أيام عصيبة وكانت المرة الأولى التي أترك فيها بلدي وأهلي، فكنت دائم التفكير بأهلي وإخوتي وأصدقائي. وعندما بدأت بالعمل لم أعد أشعر بالملل وبقيت فترة طويلة، أكثر من خمس سنوات، حتى استطعت أن أعود إلى لبنان بإجازة. ولكن الآن تعودت على هذه الحالة وأصبح الإنتقال عندي من لبنان إلى سويسرا شيئ طبيعي، إلا أنني أبقى على تواصل يومي مع أهلي وإخوتي وأصدقائي بفضل الواتس آب". (ح. مطر، مقابلة، 5 تموز 2017)

وربما يختلف الأمر مع المستثمرين الكبار الذين يعودون إلى لبنان ساعة يشاؤون أو يرسلون وراء أسرهم لقضاء فترة زمنية معهم، ويشغلون أنفسهم بمشاريع كبيرة وبشبكة من العلاقات لا يستطيع صغار العمال التماثل بهم.

ويبين الجدول رقم 8 معدّل زيارة المهاجرين إلى لبنان على الشكل الآتي:

إن غالبية المهاجرين، أي بنسبة 63,2٪ يزورون لبنان مرة في السنة، وهذه النسبة موزعة بين 70,2٪ في بلدة العين ونسبة 57,9٪ في بلدة رأس بعلبك، وهذه الزيارة عبارة عن قضاء العطلة الصيفية والإجازة في لبنان. وإذا كانت نسبة الزيارات السنوية ترتفع في بلدة العين عما هي عليه في رأس بعلبك فإن السبب في ذلك، في تقديرنا، هو زيارة أهالي رأس بعلبك أولادهم في المهجر أثناء الإجازة أو العطلة، أو السفر إلى مناطق ودول أخرى للاستجمام والراحة. أما الذين يزورون لبنان عدة مرات في السنة، فتبلغ نسبتهم 8,3٪ وهؤلاء يمكن أنهم يرتبطون بعلاقات شخصية أو أسرية، أو لديهم مشاريع تجارية يرغبون في الاطلاع على سير العمل فيها، أو لاستطاعتهم تحمل تكاليف السفر بسبب وضعهم الاقتصادي الجيد. إلا أن نسبة 28,6٪ لا يزورون لبنان إلا في فترات طويلة بين سنتين وخمس سنوات وهؤلاء يكونون قد بدأوا الإستقرار في الخارج بشكل تدريجي مع أسرهم إلا أنه في كل الحالات لا يوجد أي مهاجر ينقطع كليًا عن زيارة أهله وأقاربه في لبنان بحيث أن صلة التواصل تبقى مستمرة سواء طالت فترة الزيارة أم قصرت.

جدول رقم 8: توزّع المهاجرين حسب عدد المرات التي يزورون فيها لبنان والبلدة

البلدة / عدد المرات التي يزور المهاجرون فيها لبنان	العين٪	رأس بعلبك٪	المجموع٪
عدة مرات في السنة	10,5	6,6	8,3
مرة في السنة	70,2	57,9	63,2
مرة كل 2 ـ 5 سنوات	19,3	35,5	28,5
المجموع	100	100	100

المجموع الكلي = 133 مهاجر من 122 أسرة لديها مهاجر أو أكثر.

المصدر: نتائج البحث الميداني.

حينما نلاحظ ان غالبية المهاجرين لا يعودون سوى مرة واحدة إلى وطنهم وإلى أهلهم وأقاربهم، فإن لذلك انعكاسات سلبية على المستوى المعنوي للاسرة، وهذا ما يحد من العلاقات بين أفراد الأسرة ويجعل المهاجرين منها يعيشون على هامشها، ما يشعر الأهل بحالة من الاحباط.

خلاصة البحث: لقد استنتجنا من خلال هذا البحث ان دوافع الهجرة تعود بمجملها إلى نواحي اقتصادية، ولو شكّلت العوامل الأخرى دوافع ثانوية، وبالتالي فإن انعكاساتها سوف تكون اقتصادية على الأسرة سواء كانت في لبنان ولديها بعض الأفراد المهاجرين أم في بلدان المهجر. وقد تبين بشكل واضح أن الأسر التي هاجرت أو لديها احد مهاجرين سواء في بلدة العين أم في رأس بعلبك فإن ظروفها المعيشية افضل من الأسر التي ليس لديها مهاجرين. وهذه الظروف تنعكس على مختلف مكونات الحياة من السكن إلى تعليم الأولاد والعناية الصحية والاستثمارات وغيرها. إلا أن مقابل هذه الانعكاسات الايجابية هناك سلبيات بدت واضحة على مستوى الأسرة ولا سيما تلك التي لا يزورها أبناؤها إلا نادرا، وهذا ما ينعكس سلبا على العلاقات الأسرية وعلى تحمل الزوجة المسؤوليات الكاملة لتربية الأولاد، كم تبدو انعكاساتها السلبية واضحة على المستوى النفسي والمعنوي لأفراد الأسرة وللمهاجر أيضا. وبالتالي فإن الهجرة ليست نعمة بالكامل ولا نقمة بالكامل.

قائمة المراجع

1 ـ أرزوني، خ. (1994). الهجرة اللبنانية إلى الكويت، مكتبة الفقيه. بيروت.

2 ـ بعلبكي، أ. (1985). القطاع الزراعي في لبنان. دار الفارابي. بيروت.

3 ـ الجمال، م. (د.ت). التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لبلدة العين ـ 1915 ـ 1975.

4 ـ زحلان، أ. (1979). هجرة الكفاءات العربية. اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا. العدد 16. بيروت.

5 ـ صايغ، ي. (1982). اقتصاديات العالم العربي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

6 ـ فاعور، ع. (1993). الهجرة للبحث عن وطن. المؤسسة الجغرافية. بيروت.

7 ـ المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق. (2017). الأحوال المعيشية للأسر في لبنان 2015. الطبعة الأولى. بيروت. لبنان.

ندوات ومؤتمرات وورش عمل

8 ـ خليل، ي. (2010). رئيس قسم الاقتصاد في مصرف لبنان. ندوة منظمة من قبل المجلس الثقافي للبنان الجنوبي. 2010/2/4.

مواقع إلكترونية

9 ـ طبارة، ر. (2013). سبب الهجرة تحسين المستوى المعيشي أولاً... وغياب الأمن ثانيًا 43٪ من المهاجرين جامعيون و54٪ منهم لا يفكرون في العودة https:// newspaper.annahar.com/.../56988. (تاريخ الدخول 5حزيران 2019).

10 ـ غضبان، ش. ومشرف، ج. (د.ت) تاريخ رأس بعلبك: رأس بعلبك عريقة في الدم. http//www.dawlati.gov.lb/directory.../municipality-of-ras-baalbeck. (تاريخ الدخول في 8 حزيران 2019).

11 ـ لبكي، ب. (2011). الهجرة كتحدٍّ للاقتصاد اللبناني: الجذور التاريخية، الوضع الراهن، آفاق المستقبل. https://www.lebarmy.gov.lb (تاريخ الدخول في 13 إذار 2019).

الطاقة الاقتصادية للاغتراب اللبناني:

الخبير المالي: د. أمين صالح



- مواليد عدشيت ـ النبطية ـ الجنوب.
- مدير عام المؤسسة اللبنانية للخدمة الضريبية.
- رئيس الهيئة الاهلية لمكافحة الفساد.
- أستاذ جامعي سابقا.
- النقيب الأسبق لخبراء المحاسبة المجازين في لبنان.
- المدير السابق للمحاسبة العامة في وزارة المالية.
- عضو في اتحاد الكتاب اللبنانيين، وعضو في الحركة الثقافية اللبنانية، كذلك عضو في الملتقى الثقافي اللبناني، وأيضًا عضو اتحاد المحاسبين والمراجعين العرب، وعضو جمعية الضرائب العربية.
- زميل جمعية الضرائب المصرية.
- كاتب ومؤلف، له عشرة مؤلفات والعديد من المقالات والأبحاث والمحاضرات.

المقدمة

قال الله تعالى في محكم كتابه ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ سورة الكهف: 62.

﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ سورة الملك آية 15.

قال الشاعر صالح عبد القدوس (أحد شعراء الدولة العباسية):

إذا رأيت الرزق عزّ ببلدةٍ   وخشيتَ فيها أن يضيقَ المذهبُ
فارحل فأرضُ الله واسعةُ الفضا   طولاً وعرضًا شرقُها والمغربُ

منذ القدم كانت الهجرة محاولة لكسب العيش، ثم أصبحت بداية المغامرة البشرية.... التي غيرت معالم وجه الأرض، وأحدثت تحولات كبرى في العالم...

ونظرًا لأهمية الهجرة فقد تم تنظيم عدة لقاءات بين دول العالم للتنسيق بين مواقف البلدان من الهجرة الدولية وعلاقتها بالتنمية وذلك على مستوى رفيع لمناقشة مختلف عناصر الهجرة باعتبارها عنصرًا رئيسيًا من عناصر العولمة، سواء في بلدان المقصد أم المنشأ، ومنها على سبيل المثال الحوار الرفيع المستوى الذي عقدته الأمم المتحدة عام 2006، حيث تم التركيز على تعزيز التعاون الدولي، واعتبار الهجرة كقوة للتنمية، ثم تطوير سياسات الهجرة من خلال التنمية المشتركة، والحد من مكافحة الاتجار بالبشر وتهريبهم، ثم تشجيع روح المبادرة لدى المهاجرين، وتحسين البيانات والمعلومات المتعلقة بالهجرة والتنمية.

لقد باتت قضايا الهجرة اليوم، تحتل الأولوية عند وضع السياسات السكانية سواء بالنسبة للبلدان النامية أم المتقدمة، وفي مختلف المجالات، مما يحتم التخطيط وصياغة استراتيجيات ملائمة، لتخصيص الموارد الكافية للتنمية والتعليم

والبحث العلمي، والقيام باستثمارات جادة في قضايا الهجرة، لكن حتى الان لم تثمر جميع المحاولات في وضع السياسات المناسبة لإدارة الهجرة بالرغم من إنفاق مئات الملايين من الدولارات لتعزيز قدرة الدول على مواجهة التحديات، وذلك بنتيجة التناقض القائم بين البلدان المستقبلية، وبخاصة بلدان الاتحاد الأوروبي من جهة، والولايات المتحدة الأميركية وكندا واستراليا. من جهة أخرى، وذلك لاستقطاب المهاجرين من ذوي المهارات العليا.

لهذا تأتي السياسة المتبعة تجاه الهجرة في راس قائمة الأولويات التي حددها برنامج الاتحاد الأوروبي، وذلك لأهمية دور الهجرة في توفير قوة العمل، وتعديل التوازن في التركيبة السكانية، سيما وأن علامات الشيخوخة قد أصبحت واضحة لدى غالبية الدول الأعضاء، مما يحتم اتخاذ تدابير لمواجهة التحديات الديموغرافية، وهذا ما شجع الدول الأعضاء على التعاون والتبادل ووضع سياسة موحدة تجاه الهجرة، ولمواجهة التدفقات السكانية والحفاظ على الأمن الاجتماعي.

في أواخر القرن العشرين تحولت الهجرة إلى ظاهرة عالمية وأصبحت موجودة في نطاق دولي واسع من حيث العدد أو تنوع الدول المرسلة والمسقبلة للمهاجرين.

ومع بداية القرن الواحد والعشرين، أصبحت جميع الدول المتقدمة بلدانا تخطط لاستقبال المهاجرين، وأصبحت الهجرة كظاهرة سكانية هي الأولى بين القضايا الإنسانية.

وهي تأتي في المقدمة بالنسبة لاهتمامات الدولة المتقدمة، والنامية على السواء، وذلك كونها حقيقة جغرافية تكونت منذ انتشار الإنسان في جميع انحاء العام، واليوم تزداد الحاجة لدراسة هذه الظاهرة بكافة ابعادها، من حيث خصائصها وانماطها ثم تحركات السكان، واعدادهم واتجاهات الهجرة، ثم السياسات المطلوبة لتنظيم أوضاع المهاجرين، ولفهم مختلف جوانب الهجرة الدولية.

وتزداد أهمية الهجرة اليوم، سواء بالنسبة للدولة المرسلة أو المستقبلة للمهاجرين، وهي تشكل تحديا عالميا بارزا، من حيث تزايد موجات الهجرة المغادرة من الدولة النامية، ومن ناحية أخرى، حاجة الدول المتقدمة والصناعية

إلى اليد العاملة، والكفاءات المتعلمة، حتى باتت هجرة الأدمغة بمثابة استنزاف للموارد البشرية، والعائق الرئيسي للتنمية في الدولة الفقيرة.

لقد بات من الضروري، البدء بإجراء التقييم الذاتي لسياسة الهجرة في كل دولة، حيث يتم تقييم نقاط القوة والضعف في التركيب الديمغرافي للدولة.

وذلك لتعزيز التكامل في ضوء تزايد تدفقات الهجرة، مما يساعد في رسم سيناريوهات المستقبل، لتحديد القدرات التي ستكون مطلوبة، من قبل الدول والمنظمات الإقليمية والدولية والمجتمع المدني والقطاع الخاص، لإدارة الهجرة بنجاح على مدى العقود المقبلة[1].

ـ "هجرة اللبنانيين مشكلة وعودتهم مشكلة أحلاهما.......... مر.

يهاجر اللبنانيون هربًا من أزمات سياسية وأمنية واقتصادية، وبحثًا عن لقمة العيش. وثمن هجرتهم، مثل ثمن عودتهم، باهظ على لبنان.

ـ "خيار الاغتراب هو الأول في مفكرة اللبناني"[2].

"الغربة...... أو الاغتراب عن الوطن، هو اقتلاع المرء من جذوره ومحيطه، إلى بيئة أخرى.....".

ـ وصف فيليب حتي البدايات الأولى للاغتراب اللبناني في كتابه لبنان في التاريخ..

"كان معظم الرواد المهاجرين أناسًا فقراء معدمين أميين يجهلون لغة البلاد التي كانوا يأتونها، وكانوا يلاقون ضروبًا من الشقاء، ويكابدون أنواعًا من شظف العيش، كان الواحد منهم يحمل صندوقًا خشبيًا صغيرًا فيه طرائف وبضائع من البلاد المقدسة وقطع قماش مطرزة، وقد يصبح أحد هؤلاء الباعة المتجولين بعد حين تاجر يستورد ويورد وينشئ المكاتب الكبرى في مختلف القارات.

أما بالنسبة إلى الهجرة الجديدة فقد تمثلت في مجموعة 26 خريجًا من الجامعة الأميركية في بيروت ووصلت إلى الولايات المتحدة سنة 1906، ثم ما لبثت أن لحقت بها مجموعات أخرى من المثقفين والأدباء. فتأسست حلقات أدبية ذات منحى سياسي لبناني، أشهرها على الإطلاق:

(1) الهجرات الدولية ـ الهجرات البشرية منذ فجر التاريخ ـ د. علي فاعور.

(2) من مجلة مقاربات: العدد 23 ـ تموز آب 2013.

ـ الرابطة العلمية التي كان من أبرز وجوهها جبران خليل جبران وأمين الريحاني وميخائيل نعيمه وقد أسهمت بشكل فعال في النهضة الأدبية الحديثة وفي نشر الاستقلالية عند اللبنانيين المغتربين وفي نشر قضية لبنان في المحافل الدولية بسبب التطورات الاقتصادية والسياسية التي حصلت في لبنان".

أولاً: الاغتراب اللبناني وانتشاره:

اللبنانيون والهجرة قصة طويلة تضرب جذورها عميقا في التاريخ منذ أيام الفينيقيين وصولاً إلى اعتاب القرن الواحد والعشرين، وأسبابها كثيرة ونتائجها مختلفة، تعود الهجرة إلى العام 1859 ومنذ ذلك الوقت كانت قوافل المهاجرين ولا سيما إبان فترات الحروب في العام 1860 والعام 1914 والعام 1975، ومنذ انتهاء الحرب في العام 1990 شهد لبنان هجرة مستمرة لأسباب اقتصادية.

يبلغ عدد اللبنانيين المقيمين في الخارج بحسب بعض التقديرات نحو 1,300,000 شخصا يتوزعون جغرافيًا كما يلي:

300 الف في الدول العربية الخليجية (البعض يقدرهم بنصف مليون لبناني ويمثلون حوالي 80٪ من اصل تحويلات اللبنانيين إلى وطنهم الام).

120 الف في فرنسا.

250 الف في كندا.

100 الف في استراليا.

150 الف في أميركا.

200 الف في إفريقيا.

130 الف في دول أوروبية ودول أخريوالباقي في دول مختلفة ويقتضي التنويه هنا بأن غالبية المهاجرين هم من سن 24 إلى 45 وهم بالتالي الأكثر خصوبة ديمغرافيًا والأكثر إنتاجًا اقتصاديًا.

إن التحقق الفعلي من عدد المهاجرين اللبنانيين في العالم ليس متيسر، ويرد السبب في ذلك إلى:

ـ تقصير السفارات والمغتربين على حد سواء.

ـ الكلفة المرتفعة لتنظيم إحصاء شامل لكل اللبنانيين في العالم، إذ لا يستطيع لبنان بإمكانيته تنفيذ هذا الإحصاء.

ـ عدم تعاون بعض الدول مع السفارات اللبنانية في حال قررت إحصاء اللبنانيين لأنها لا تعترف بحمل جنسيتين، وهذا ما يؤثر في دقة الإحصاء متى حصل.

ـ عدم مبادرة المغتربين اللبنانيين إلى الاتصال بسفارة بلادهم لاعلامها بوصولهم واستقرارهم فيها وزواجهم وانجابهم، خصوصًا بعد اكتسابهم جنسيتها وقرارهم بعدم العودة.

لذلك يتم الإكتفاء بالتقديرات المختلفة عن أرقام المغتربين اللبنانية.

إذا لبنان لا يحصي مغتربيه بل يعدهم بمقدار ما يحولون من ألأموال إلى أهلهم في البلد سنويا. وإمكانات الدولة قاصرة عن التدقيق في أرقام مواطنيها خارج حدودها الطبيعة

توقعت شركة «الدولية للمعلومات» أن يصل عدد المهاجرين اللبنانيين الذين تقل أعمارهم عن أربعين سنة إلى 56 ألفا بحلول نهاية العام 2019، مشيرة في دراسة أصدرتها أن 34 ألفا و502 لبناني غادروا لبنان في العام 2018 ولم يعودوا.

وفي حين تربط بعض الدراسات الهجرة باستفحال ظاهرة الفساد ونهب المال العام، تحمل تصريحات معظم السياسيين تحذيرًا من مخاطر الهجرة ليس على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فحسب، وإنما على المستوى السياسي أيضًا، لناحية إعادة إنتاج أدوات السلطة لما تسببه من خلل ديموغرافي.

في متابعة لملفّ المهاجرين اللبنانيين، صنفت مجلّة الشؤون الخارجية الأميركية لبنان منذ العام 2011 في دائرة «التحذير العالي جدًّا». فالهجرة الخارجية تعدّ القضية الاجتماعية الأكثر بروزًا في المجتمع اللبناني، لا سيّما أن نحو 30 في المائة من المقيمين على أراضيه هم من غير اللبنانيين، وقد وصلت هذه النسبة إلى مستوى لم يعرفه أي بلد آخر.

ويقول المدير العام السابق للمغتربين في وزارة الخارجية ورئيس «المنتدى اللبناني للتنمية والهجرة» هيثم جمعة لـ«الشرق الأوسط» إن "أعداد المهاجرين اللبنانيين طبيعية نظرًا إلى الظروف التي يعيشها لبنان في ظل منع التوظيف في المرافق الرسمية وغياب خطة وطنية لتوجيه الموارد البشرية. بالإضافة إلى نمو عدد المتخرجين من الجامعات والمعاهد المهنية وتناقص عدد المؤسسات المستقرة في

القطاعات الإنتاجية وإقفال الشركات بسبب الركود الاقتصادي ونقل الرساميل إلى خارج لبنان".

إنّ نظام الاقتصاد اللبناني الحالي، ليست لديه القدرة على خلق فرص العمل، ما يؤدي إلى تصدير الطاقات الشبابية إلى الخارج، والهجرة اللبنانية قديمة العهد وليست جديدة. في السابق كانت إمكانات الاغتراب والهجرة إلى الدول العربية عمومًا، والخليجية والإفريقية خصوصًا، متاحة جدًا بشكل أكبر وأوسع، أمام الشباب اللبناني الذين شاركوا في النهضة الاقتصادية والعمرانية لهذه الدول، فيما بات العمل في هذه الدول، صعبا جدًا وبعيد المنال، ومقيّدًا بشروط قوانين العمل، في هذه المرحلة الراهنة.

منذ أواسط تسعينيات القرن الماضي، تتواصل الهجرة الخارجية المُغادرة، لا سيّما بين الشباب. ومن المفارقات، أن حجمها تعاظم باستمرار بعد عام 1990، أي بعد انتهاء، ما يسمّيها بعض الباحثين، فترة الاحتراب الأهلي (1975 - 1990). لقد استتبّ الأمن، إنما فُقد الأمان، واستفحلت ظاهرة الفساد، ولا سيّما نهب المال العامّ، إلى درجة أن حتى المتورّطين والمشاركين وحماتهم من السياسيين باتوا يستفظعون ما وصلت إليه أحوال البلاد والعباد، في السياسة كما في الاجتماع والاقتصاد.

خلافًا لما كان متوقّعًا بعد اتفاق الطائف، فقد تزايد عدد المهاجرين باطراد خلال العقدين الأخيرين، وشكّل ذلك، إلى جانب خصائص المهاجرين الاجتماعية، عنصرًا مُستجدًّا على هذه الظاهرة التاريخية، إذ أن جزءًا هامًّا من أكثر عناصر المجتمع اللبناني كفاءة، علمية ومهنية، وخصوصًا من الشباب، يغادرون الوطن، لا على قاعدة العرض والطلب في السوقين الإقليمية والدولية فقط، وليس تطلّعًا إلى تحسين أحوالهم الاقتصادية أو أحوال عوائلهم، كما درجت عليه عادة التفسيرات الاجتماعية -الجغرافية في محاولاتها الرامية إلى فهم هذه الظاهرة، وإنّما أيضًا اعتراضًا على ما وصلت إليه الأوضاع السياسية والاجتماعية من تراجع وتدنٍّ، سواء في الممارسة أو في الخطاب أو في العلاقات، وهذا لم يكن غالبًا في السابق، فقد باتت الهجرة حلمًا يراود غالبية الشباب، ووصلت نسبة المهاجرين بعمر 20-40 سنة إلى نحو 69٪ من مجموع المهاجرين اللبنانيين (1992-2007 د. كاسباريان)، ما أدّى إلى فقدان المجتمع اللبناني جزءًا متزايدًا من قواه العاملة الموصوفة ومن نخبه الشبابية الفاعلة، وبات مجتمعًا ينعدم فيه النموّ الديموغرافي بعد عام 2007.

في هذا السياق، يتبيّن أن عدد المهاجرين اللبنانيين تراجع في الحقبة الزمنية التالية (2013-2017) إلى نحو 209,532 مهاجرًا، وقد يعود ذلك إلى درجة الإشباع في سوق العمل الخليجية نتيجة الانخفاض الحادّ بأسعار النفط منذ عام 2014، أضف إلى ذلك ما تكون قد تركته الحرب في سوريا واليمن من مفاعيل مالية سلبية على دول الخليج. وما تركه هذا التراجع، وما سيتركه أيضًا، من آثار سلبية على الأوضاع المعيشية والاقتصادية للأسر. وقد تمّ التعبير عنها بمعدّل البطالة لعام 2015 (36٪)، بينما سجّل رصيد الولادات والوفيات نحو 322,627 شخصًا، ما أدّى إلى زيادة سكانية قدرها 113,095 نسمة، وهكذا يكون عدد المقيمين اللبنانيين وصل إلى نحو 3,546 مليون نسمة في بداية عام 2018، بينما لم يتجاوز 3,617 مليونًا عام 2007. أمّا الترجمة الفعلية فهي معدّلات نموّ تلامس حدود الصفر خلال السنوات العشر الأخيرة.

عمومًا، يتبيّن أن حجم الهجره الخارجية بين اللبنانيين وصل إلى 718,584 مهاجرًا خلال العقد الأخير (2008-2017)، أي بمتوسّط سنوي وصل إلى نحو 72 ألفًا، وهو ما لم يعرفه لبنان في تاريخه، إذ لم يتجاوز المتوسّط السنوي حافة 60 ألفًا خلال فترة الاحتراب الأهلي (1975-1990) ونحو 40 ألفًا خلال فترة 1992-2007.

وصل عدد المقيمين من غير اللبنانيين في بداية عام 2018، إلى 1,398 مليون شخص، أي ما يشكّل نحو 39٪ من المقيمين اللبنانيين، و28٪ من مجموع المقيمين كافة، وذلك وفق البيانات الرسمية، غير الفعلية، التي تُغفل أعداد السوريين والفلسطينيين الذين يقيمون خارج المخيّمات أو التجمّعات الخاصّة بهم، بالإضافة إلى العمّال الأجانب من المقيمين بصورة غير شرعية.

واذا كان البعض من الخبراء قد يسارع للقول إن الهجرة عنصر تكويني عمره من عمر الكيان اللبناني لا بل سابق له، وإن الهجرة تشكل أحد ركائز الاقتصاد اللبناني، غير أن الأمر أشد خطورة عندما يتبين لنا أن حوالي 46 في المئة من المهاجرين هم متخرجون جامعيون وحوالي 83 في المئة هم من الشباب، ما يعني أن الجامعيين الذين سافروا في ثلاث سنوات يوازي عددهم إجمالي المتخرجين الجامعيين في ثلاث سنوات، الأمر الذي يقود للاستنتاج بأن جميع المتخرجين قد غادروا لبنان! واللافت للانتباه في مسار الهجرات اللبنانية، منذ العام 1975 حتى يومنا هذا، فقد إرتفعت وتيرة الهجرة ارتفاعًا ملحوظًا، فمنذ العام 1992 حتى شهر

أيلول 2014 بلغ عدد اللبنانين الذين غادروا لبنان 508,407 لبناني أي ما يشكل 38٪ من اللبنانيين الموجودين في الخارج وقد إرتفعت وتيرة الهجرة خلال السنوات 2011-2013، إذ تجاوز عدد من تركوا لبنان، سواء بصورة دائمة أو مؤقتة، 174,704 لبناني أي بمتوسط سنوي مقداره 58,234 لبنانيًا. في حين ان المتوسط خلال السنوات الماضية (1995 ـ 2010) كان 14,560 لبنانيًا. أي بارتفاع مقداره 43,674 لبنانيًا ونسبته 300 في المئة، وهذا مؤشر خطير في حال استمرار الهجرة والسفر بالوتيرة المرتفعة نفسها في السنوات المقبلة. وبما أن نحو 83 في المئة من المهاجرين هم من الشباب، فهذا يعني أن نحو 25 في المئة من شباب لبنان قد هاجر، خصوصا أن عدد المهاجرين سنويًا قد يساوي نسبة الزيادة في السكان، علما أن بعض الدراسات تشير إلى أن عدد سكان لبنان يتناقص سنويا بسبب تناقص الولادات. ومن الملاحظ أن الفئة العمرية الشابة (20-44) تشكل 38,1 في المئة من الشعب اللبناني، أما لدى المهاجرين فإن هذه الفئة تشكل 82,6 في المئة منهم، مما يحمل دلالات خطيرة في المستقبل لجهة تناقص السكان المقيمين وشيخوختهم .

وتأتي كندا في طليعة الدول التي يرغب اللبنانيون في الهجرة إليها، إذ هي مقصد 13 في المئة من المستطلَعين الراغبين بالهجرة، وتأتي بعدها استراليا (8 في المئة)، الدول الأوروبية (7 في المئة)، الولايات المتحدة (7 في المئة)، ألمانيا (5 في المئة)، فرنسا (4 في المئة)، السويد (3 في المئة)، ودول أخرى (13 في المئة) ولم تحدد نسبة 40 في المئة أية وجهة للهجرة.

ـ في غياب الاحصاءات والأرقام الدقيقة تشير التقديرات إلى أن عدد اللبنانيين العاملين في بلدان الخليج العربي يتراوح بين 350 ألف و400 ألف وهم يشكلون ثلث القوى العاملة الفاعلة في لبنان منهم نحو:

110 آلاف في الكويت

50 ألف في الإما رات العربية المتحدة

ـ أثناء إفتتاح منتدى تحصين الاقتصاد اللبناني، تحدث د. طلال مقدسي عن هجرة اللبنانيين إلى الخارج فقال إن 540 ألف لبناني يعملون في الخليج، وأن العديد من اللبنانيين يستثمرون في الخارج، وأكد أن غالبية العاملين في الخارج، على الاستعداد للعودة بعد الاستقرار، واعتبر أن جذب الاستثمارات يتطلب

تحديث القوانين التجارية، ، قيام قضاء مستقل، تسهيل إنشاء الشركات، تقديم الحوافز إلى المستثمرين[1].

ـ ارتفعت وتيرة الهجرة إلى الخارج ولا سيما للعمل في دول الخليج(إمارة دبي) ثم السعودية، البحرين، قطر، العراق،...) وذلك بنتيجة:

ـ استمرار الأزمة الاقتصادية.

ـ ضيق السوق المحلي.

ـ عدم توفر خدمات الكهرباء والمياه.

ـ تأخر المعاملات.

ـ ارتفاع أكلاف تخليص البضائع في المرافئ.

ـ التهديدات الصهيونية.

ـ أدى الطلب على الأيدي العاملة في أسواق الخليج إلى اجتذاب أصحاب الكفاءات.

ـ تركزت استثمارات اللبنانيين في الخارج في: الصناعة، السياحة، الإعلام، الاتصالات، المصارف، الفنادق والتعليم.

ـ توسع الاقتصاد اللبناني في الخارج ليجذب القسم الأكبر من موارد اللبنانيين واستثمارتهم بشكل يفوق مجمل النشاطات الاقتصادية في الداخل من حيث حجم الاستثمارات وتعددها وتنوعها وقد تركزت استثمارات اللبنانيين في القطاعات التالية:

الاستثمارات الصناعية: الصناعات الغذائية والكيميائية، الصناعات الورقية، الألبسة، منتجات التجميل.

الاستثمارات الخدماتية/ الفنادق، الاتصالات، الإعلام، التعليم.

الانتاج الزراعي: على اختلاف أنواعه، الصناعات الزراعية.

ثانيًا - عدد سكان لبنان المقيمين وغير المقيمين:

وصل عدد اللبنانيين المسجلين (أي كل من يحمل جنسية لبنانية سواء كان مقيمًا في لبنان أو في الخارج) حتى نهاية عام 2014 إلى 5,227,000 نسمة. وبالرغم من

(1) مجلة الاقتصاد اللبناني والعربي ـ العدد 541- أيار 2011

عدم توفر إحصاءات دقيقة حول عدد اللبنانيين الذين يحملون الجنسية اللبنانية ويقيمون في لبنان، فإن التقديرات تصل إلى نحو 3,9 مليون لبناني مقيم أي ما يشكل نسبة 74,6٪ من اللبنانيين الحائزين الجنسية اللبنانية.

وعليه فإن عدد اللبنانيين الحاصلين على الجنسية اللبنانية المقيمين في الخارج يصل إلى 1,327,000 مليون نسمة أي ما يشكل 25,4٪ من اللبنانيين.

أي أن ربع اللبنانيين يقيمون في الخارج إما بصورة دائمة أو مؤقتة، والحديث عن وجود عشرات ملايين اللبنانيين في الخارج غير صحيح لا سيما في أميركا الجنوبية فهؤلاء من أصول لبنانية لكنهم لا يملكون الجنسية اللبنانية، فأباؤهم أو أجدادهم هاجروا من لبنان منذ مئات السنين، وانقطعت علاقتهم بوطنهم الأم[1].

ثالثًا ـ فئات المهاجرين اللبنانيين:

يتوزع اللبنانيون المغتربون على شرائح اجتماعية وثقافية وطائفية متعددة تعكس صورة حقيقية عن واقع تركيبة المجتمع اللبناني.

ويتوزع المهاجرون على الشكل التالي:

1 ـ المهاجرون وفقًا للعمر:

يتوزع المهاجرون على مختلف الفئات العمرية فتأتي في المرتبة الأولى الفئة (25 -29) بنسبة 32٪ وبعدها الفئة (30 ـ 34) بنسبة 28٪....

وبحسب إدارة الإحصاء المركزي فإن الفئة العمرية الشابة (20 ـ 44) تشكل 39,1٪ من الشعب اللبناني. (في العام 2007)، أما لدى المهاجرين فإن هذه الفئة تشكل 82,6٪ منهم، وهذا يحمل دلالات خطيرة في المستقبل لجهة تناقص وشيخوخة السكان المقيمين.

وتظهر الإحصاءات في الولايات المتحدة الأميركية وكندا توزع المهاجرين اللبنانيين تبعًا للفئة العمرية المذكورة أعلاه على التوالي 53,8٪ و58٪.

2 ـ المهاجرون وفقًا للمستوى التعليمي:

يتوزع المهاجرون اللبنانيون وفقًا للمستوى التعليمي كما يلي: (1) "استطلاع الدولية للمعلومات":

---

(1) الشهرية الصادرة عن الدولية للمعلومات- عدد رقم 135- كانون الثاني 2015.

جامعي	٪46,1
ثانوي	٪30,4
متوسط	٪15,2
ابتدائي وما دون	٪5,1
تعليم مهني	٪1,6
دراسات عليا	٪1,6

يتبين من الجدول أعلاه بأن الجامعيين يشكلون النسبة الأعلى بين المهاجرين (٪46,1).

ويأتي في المرتبة الثانية المهاجرون في المرحلة الثانوية وتنخفض النسبة إلى ٪1,6 للحائزين على التعليم المهني، وبما أن دراسة الأوضاع المعيشية للأسر في العام 2007 أظهرت أن نسبة الجامعيين في مجموعة السكان الذين يزيد عمرهم عن 20 عامًا تبلغ ٪15,8 بينما تبلغ هذه النسبة ٪46,1 مما يؤثر بصورة واضحة في هجرة الكفاءات والخسارة المادية التي يتكبدها لبنان نتيجة هذه الهجرة.

3 ـ المهاجرون وفقًا للوضع المهني:

يتوزع المهاجرون على مهن متعددة، كما هو مبين في الجدول التالي:

المهنة	النسبة
إخصائي- مهن حرة	20,2
تاجر	19
مساعد إداري وموظف	12,8
مهندس	11,2
ربة منزل	8,8
إداري ومسؤول تسويق	8
مبرمج كمبيوتر	5,3
صاحب عمل	4,9
طالب	3,1
طبيب صيدلي	2,7
مدرس	1,8
محام	1,3
حرفي	0,9

أما بالنسبة للإحصاءات الأميركية والكندية فيأتي الإخصائيون وأصحاب المهن الحرة والتقنيون في الطليعة يليهم المسؤولون التنفيذيون والإداريون، الأمر الذي يعزز النظرية حول مدى خطورة هجرة الادمغة والكفاءات.

توزع المهاجرين اللبنانيين في الولايات المتحدة وكندا وفقًا للمهنة:

المهنة	النسبة
إخصائيون	٪30,8
موظفوا خدمات	٪18,2
منتجون وحرفيون	٪13,8
مدراء تنفيذيون وإداريون	٪13,7
مسؤولو المبيعات	٪10,2
عمال فنيون	8,8٪

4 ـ استنتاجات:

يمكن أن تستنتج من الجداول أعلاه ما يلي:

1 ـ ازدياد وتيرة الهجرة: إن مغادرة 174704 في ثلاث سنوات أي حوالي 13٪ من إجمالي المهاجرين هو أمر خطير جدًا خاصة أن متوسط 58235 يتجاوز بثلاثة أضعاف متوسط الهجرة للأعوام 1992 ـ 2010 البالغ 16320.

2 ـ إزدياد الهجرة في أوساط الخريجين الجامعيين (46٪) من المهاجرين، وفي أوساط الشباب (83٪) من المهاجرين.

3 ـ تظهر الأرقام أعلاه أن اللبنانيين موحدون في سعيهم للهجرة ومغادرة البلاد.

4 ـ إن النزف الذي يعاني منه لبنان في ماليته العامة وفي بناه التحتية وفي الخدمات الاجتماعية أسهم لا بل تحول عبر السنوات إلى نزف في مقدراته البشرية.

5 ـ فداحة النزف البشري العابر للطوائف: هجرة الشباب والعائلات وخريجي الجامعات وأصحاب الخبرات فعلى سبيل المثال: إن عدد الجامعيين الذين سافروا في ثلاث سنوات يوازي عدد الخريجين الجامعيين في السنوات الثلاث، الأمر الذي يقودنا إلى الاستنتاج بأن جميع الخريجين قد غادروا.

6 ـ إن 54٪ من الناشطين اقتصاديًا هم من الجامعيين (وفقًا لإدارة الاحصاء المركزي) فإن هجرة 46٪ من الجامعيين، يشكل خطرًا كبيرًا على النشاط الاقتصادي.

7 ـ إن المهاجرين الشباب تبلغ نسبتهم 83٪ وهذا يعني 25٪ من شباب لبنان قد هاجر، وهذا الأمر يصبح خطيرًا إذا علمنا أن عدد المهاجرين سنويًا يساوي نسبة الزيادة في السكان، أي أنه قد يساوي عدد المهاجرين سنويًا نسبة الولادات.

ثالثًا: اسهامات اللبنانيين في عالم الاغتراب:

1 ـ في الاقتصاد: أسس المغتربون اللبنانيون المنشآت التجارية والصناعية الكبرى وتملكوا البقاع الشاسعة وجمعوا ثروات طائلة وأسهموا في نهضة البلدان التي استضافتهم.

شكلت تحويلات المغتربين اللبنانيين وسيلة لسد العجز في الميزان التجاري اللبناني وارتفاع احتياطي لبنان من العملات الأجنبي، وتحقيق مقدار جيد من التطور الاقتصادي ـ حيث بادر المغتربون للاسهام برساميلهم في المشاريع الانمائية الخيرية، وبناء المستشفيات ودور الأيتام والمدارس وغيرها من المؤسسات ومساعدة المقيمين اللبنانيين ماديًا في ظروف الحرب والانكماش الاقتصادي.

وفي هذا المجال يذكر أن البنك الدولي أقر بأن المغتربين اللبنانيين حوّلوا إلى لبنان عام 2006 ما مجموعه 5,6 مليارت دولار أميركي بينما بلغت مجموع صادرات لبنان خلال الفترة نفسها 4,2 مليارات دولار تدنت حاليا إلى 2,5 مليار $ يكفي أن تنظر إلى هذه الأرقام كدليل على الامكانات المتوفرة لدى الاغتراب ومدى استعداداتهم لمساعدة وطنهم الأم في حال استقرار الأوضاع السياسية الاقتصادية

2 ـ في السياسة: تبوأ العديد من المغتربين في الخارج المناصب العالية في الدول المستضيفة فمنهم رؤساء جمهورية، ونواب رؤساء جمهورية، ورؤساء مجالس بلدية وحكام مصارف مركزية وولايات إدارية، ونواب وشيوخ وقادة عسكريون وإداريون تشكل طاقاتهم رصيدًا سياسيًا كبيرًا للبنان.

3 ـ في الفكر: أتقن المغتربون لغات البلدان التي نزلوا فيها فترجموا إليها روائع تراثنا وكتبوا به أجمل الكتب واشتهر منهم علماء، أطباء، محامون، أساتذة، فنانون، مهندسون وغيرهم.

4 ـ في العلوم: طبيبة سويدية من أصل لبناني نجحت في اجراء أول عملية زرع رحم بعد سلسلة من الدراسات والابحاث. هي الطبيبة رندة عاقوري، التي نقلت تجربتها الناجحة مؤكدة على ضرورة السعي من أجل نقل الفكرة من السويد إلى لبنان، بعد نجاح تسع عمليات زرع رحم في السويد. وإلى المجال التعليمي، نقل فيكتور سعد من مجموعة مدارس SABIS المنتشرة في ستة عشر بلدًا في العالم، رحلة تطور سلسلة المدارس التي بدأت في لبنان وضمت فقط 28 تلميذا، وصولاً إلى التأكيد على ضرورة العمل على ايجاد نقلة نوعية في مجال التعليم.

لا تقتصر النجاحات على تلك القطاعات فقط، فبالامس تعرف اللبنانيون المقيمون والمغتربون على حاكمة مقاطعة سان دييغو في الارجنتين كلوديا عبدالله، وهي من ابرز الشخصيات القانونية والسياسية، التي افتخرت بأصول عائلتها اللبنانية التي هاجرت إلى الارجنتين وتمكنت من الوصول إلى مراكز عليا، رفعت من خلالها اسم لبنان عاليًا. وإلى عالم الاحلام، انتقل الحاضرون من خلال فيديو عرضه المغترب اللبناني رالف دباس مصمم اغلى سيارة في العالم في شركة W MOTORS، وبلغ ثمنها 3,4 بلايين دولار، وشعاره "المستقبل ملك الذين يؤمنون بجمال احلامهم". هو شاب آخر برع في مجال عمله، زياد السنكري، كرمه الرئيس الاميركي باراك أوباما على انجازه في البيت الابيض، وهو تطوير جهاز محمول طبي من خلال شركته التي تُعنى بمجال الرعاية الصحية. وتأسست الشركة في لبنان Cardio Diagnostics، وتطورت إلى دول اخرى، حيث تمكنت من انقاذ حياة ثلاثة اشخاص كانوا يعانون من امراض في القلب.

رابعًا: القوة الاقتصادية:

1 ـ التحويلات المالية للمهاجرين في العالم

تعد التحويلات المالية احد اهم مصادر الدخل في بعض الدول مثل لبنان، مصر، اليمن، وركنا أساسيا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لما تمثله مصدر مهم للنقد الأجنبي.

أ ـ تبلغ التحويلات التي يرسلها المهاجرون إلى أوطانهم ثلاثة أمثال حجم المساعدات الإنمائية الرسمية، كما إنها تمثل شريان حياة الفقراء..[1].

(1) البنك الدولي: "موقع الهجرة والتحويلات العام 2011"

ب ـ قدر حجم تدفقات التحويلات إلى البلدان النامية، بنحو 351 مليار$ في العام 2011 وفقا للبيانات الواردة في الموجز الإعلامي للبنك الدولي عن الهجرة والتنمية...

أشارت التقديرات إلى أن تدفقات التحويلات العالمية، بما في ذلك التحويلات إلى البلدان مرتفعة الدخل بلغت 482 مليار$ في العام 2011.

ومن المتلقين الكبار للتحويلات الرسمية المسجلة عام 2011:

الدول	مليار$ 2011
الهند	71
الصين	60
المكسيك	22
الفيليبين	26
نيجيريا	21
مصر	20

ومن ثم باكستان، بنغلادش، فيتنام، لبنان.

د ـ وكان من المتوقع في العام 2012 أن تتلقى بلدان العالم النامي 414 مليار $ وأن ترتفع التحويلات إلى 540 مليار $ في حلول العام 2016.

ـ توقع تقرير البنك الدولي عن الهجرة والتنمية في أحدث إصدار له أنه على مستوى العالم من المتوقع أن يقوم 232 مليون مهاجر دولي في العالم بتحويل دخول قيمتها 550 مليار $ عام 2013 وأكثر من 700 مليار $ بحلول عام 2016[1].

ـ إن الميزة الأساسية للهجرة بالنسبة للبلدان المرسلة، هي أن معظم المهاجرين

(1) إن عدة بلدان من أكبر متلقي التحويلات، مثل روسيا ولاتفيا وليتوانيا وأوروغواي لم تعد تعتبر بلدان نامية. كما أن البيانات الخاصة بالتحويلات تعكس أيضًا التعديلات التي أجراها صندوق النقد الدولي على تعريف التحويلات، حيث ان هذا التعريف يستبعد الان بعض التحويلات الرأسمالية وبالتالي يؤثر على الأرقام الخاصة بعدد قليل من البلدان النامية الكبيرة مثل البرازيل.
أما في عام 2012 فقد كانت البلدان التي تلقت قدرًا من التحويلات النقد ية كنسبة من الناتج المحلي: طاجكستان 48٪ قيرغيز 31٪ مولدوفا 24٪، ليسوتو ونيبال 25٪.

يرسلون الجزء الأكبر من مدخولهم إلى بلدانهم الأصلية على شكل تحويلات، مما يساعد في تأمين العملات الأجنبية التي تشتد الحاجة إليها في الداخل.

كما إن أهمية التحويلات تبرز من خلال نسبتها إلى الناتج المحلي في بعض الدول. حيث تبين أن هذه التحويلات تمثل ما يقارب نصف الناتج المحلي لدى طاجيكستان (50٪) تليه تونغا 28٪ ليسوتو 25٪ مولدوفا 23٪ ولبنان 22٪ وذلك في العام 2009

استخدام التحويلات

بشكل عام وبحسب دراسات البنك الدولي تؤدي التحويلات إلى تحسين مستوى المعيشة في البلدان النامية من حيث:

- خفض مستوى الفقر.
- ارتفاع معدلات تراكم رأس المال البشري.
- زيادة الانفاق على الرعاية الصحية والتعليم.
- الوصول إلى التكنولوجيا المعلومات والاتصالات.
- توافر موارد التمويل والاستثمار في المشاريع ولا سيما الصغيرة منها.
- الحد من عمالة الأطفال.
- مساعدة الأسر المعيشية في استعداداتها لمواجهة الصدمات المعيشية لموجات الجفاف والزلزال والأعاصير.

يمكن للمغتربين أن يشكلوا مصدرا رئيسيا للتجارة، ورأس المال، والتكنولوجيا، والمعرفة لبلدانهم الأصلية.

يتم استخدام التحويلات المالية للغايات التالية:

- لتأمين الغذاء والمستلزمات المنزلية، وتعليم الأطفال. (في بعض البلدان الإفريقية تم إنفاق الأموال المرسلة فورا لتأمين الحاجات المذكورة).
- تأمين السكن.
- شراء الأراضي إما لغرض الزراعة أو الاستثمار ـ وبناء المنازل.
- إيداع الأموال في المصارف للاستثمار في الشركات والحصول على فوائد وإيرادات وعائدات.
- تنفيذ مشاريع جديدة.

الجدول رقم 1: التحويلات إلى البلدان النامية 2006-2011 ـ مليار دولار أميركي

التحويلات المالية	2006	2007	2008	2009	2010	2011
البلدان النامية	**235**	**289**	**338**	**317**	**322**	**334**
شرق آسيا والباسيفيك	58	71	86	85	85	89
أوروبا ووسط آسيا	37	51	58	49	51	53
أمريكا اللاتينية والكاريبي	59	63	65	58	59	61
الشرق الأوسط وشمالي إفريقيا	26	31	35	32	33	34
جنوب آسيا	43	54	73	72	73	76
إفريقيا جنوب الصحراء	13	19	21	21	21	22
البلدان ذات الدخل المنخفض	20	25	32	32	33	34
البلدان ذات الدخل المتوسط	215	265	306	285	289	300
العالم	**317**	**385**	**444**	**420**	**425**	**441**

النمو السنوي (نسبة مئوية)

	2006	2007	2008	2009	2010	2011
البلدان النامية	**18,3**	**22,9**	**16,7**	**−1,6**	**1,4**	**3,9**
شرق آسيا والباسيفيك	14,1	23,8	20,8	−1,5	0,8	3,7
أوروبا ووسط آسيا	24,1	36,0	13,8	−14,7	2,7	5,0
أمريكا اللاتينية والكاريبي	18,1	6,8	2,3	−9,6	0,5	3,5
الشرق الأوسط وشمالي إفريقيا	4,6	20,1	10,6	−7,2	1,5	3,3
جنوب آسيا	25,3	27,1	35,6	−1,8	1,7	4,1
إفريقيا جنوب الصحراء	34,7	47,6	13,4	−2,9	1,8	3,9
البلدان ذات الدخل المنخفض	23,9	23,4	28,3	0,7	2,6	4,6
البلدان المتوسطة الدخل	17,8	22,9	15,6	−6,8	1,2	3,8
العالم	**15,3**	**21,3**	**15,3**	**−5,3**	**1,2**	**3,7**

يجب الأخذ بعين الاعتبار بأن العديد من المهاجرين يفضلون أثناء التحويل تجنب النظم المصرفية الرسمية

المصدر: من بيانات البنك الدولي، راجع: موهاباترا راثا: تاثير الازمة المالية العالمية المعنية بالهجرة والتحويلات.

استنادا إلى بيانات صندوق النقد الدولي من رصيد المدفوعات، حولية اخصاءات 2008، والبيانات الصحفية من البنوك المركزية، والوكالات الإحصائية الوطنية، والمكاتب القطرية للبنك الدولي، تشمل التحويلات المالية: مجموع التحويلات المالية من مداخيل العمال، وتعويضات العاملين، وتحويلات المهاجرين..ص14.

راجع لمزيد من التفاصيل دراسة البنك الدولي:

Migration and remittance Trends 2009: Dilip ratha, Sanket Mohapatra, and Ani Silwal, www.worldbank.org/prospects/migrationandremittances.

الجدول رقم 2: الدول العشر الأولى المرسلة للتحويلات (مليار $) عام 2009

الدولة	القيمة
الولايات المتحدة الأمريكية	48
المملكة العربية السعودية	26
سويسرا	20
الاتحاد الروسي	19
المانيا	16
ايطاليا	13
اسبانيا	13
لكسمبرغ	11
الكويت	10
هولندا	8

الجدول رقم 3: الدول العشر الأولى المرسلة للتحويلات عام 2009

كنسبة مئوية من اجمالي الناتج المحلي

الدولة	النسبة٪
لكسمبورغ	20
لبنان	**17**
عمان	10
مالديف	9
الكويت	8
البحرين	7
المملكة العربية السعودية	6
غينيا-بيساو	5
غيانا	5
توتنغا	4

المصدر: مجموعة أفاق التنمية، البنك الدولي ـ كتاب حقائق من الهجرة والتحويلات 2011 (الإصدار الثاني).

الجدول رقم 4: الدول العشر الأولى المتلقية للتحويلات عام 2013 (مليار $)

الدولة	القيمة
الهند	71
الصين	60
الفليبين	26
المكسيك	22
نيجيريا	21
مصر	20
بنغلادش	15
باكستان	15
فيتنام	11
اوكرانيا	9

وفقًا لآخر تقرير للبنك الدولي عام 2013

الجدول رقم 5: الدول العشر الاولي المتلقية للتحويلات عام 2013

كنسبة مئوية من إجمالي الناتج المحلي

الدولة	النسبة٪
طاجيكستان	48
كيرغيزيا	31
نيبال	25
ليسوتو	25
مولدوفا	24
ارمينيا	21
هايتي	21
ساموا	21
ليبيريا	٪20
لبنان(1)	٪17

أما في العام 2012 وبحسب آخر تقرير ـ من البنك الدولي (2 تشرين الأول 2013) يبين أن المهاجرين من البلدان النامية يرسلون إلى أوطانهم 414 مليار دولار. ويشير التقرير إلى ارتفاع تكلفة ارسال الأموال عبر القنوات الرسمية، حيث بلغ متوسط تكلفة ارسال التحويلات على مستوى العالم 9٪، وهذا الارتفاع يشكل عقبة في طريق استغلال التحويلات في أغراض التنمية.

وبحسب التقرير المذكور، فإن التحويلات تشكل دعامة رئيسية في ميزان المدفوعات ولا سيما في جنوب آسيا(بنغلادش، نيبال، باكستان، سري لانكا) فقد كانت التحويلات أكبر من الاحتياطات الوطنية من النقد الأجنبي.

التحويلات المالية على مستوى العالم في 2018

أظهر أحدث عدد من موجز البنك الدولي للهجرة والتنمية الصادر في **واشنطن 8 أبريل/نيسان 2019** أن حجم التحويلات المالية إلى البلدان المنخفضة والمتوسطة

(1) في العام 2009 كانت النسبة 22٪

الدخل وصل إلى مستوى قياسي مرتفع جديد في العامين 2017 2018 بعد عامين متتاليين من التراجع.

وتشير تقديرات البنك الدولي إلى أن تدفقات التحويلات السنوية المسجلة رسميًا إلى البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل وصلت إلى 529 مليار دولار في عام 2018، بزيادة قدرها 9,6٪ عن المستوى القياسي السابق البالغ 483 مليار دولار في 2017. ووصلت التحويلات المالية العالمية، التي تشمل تحويلات إلى البلدان مرتفعة الدخل، إلى 689 مليار دولار عام 2018 مقابل 633 مليار دولار عام 2017.

التحويلات السنوية إلى البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل (مليار $)

السنة	القيمة	الزيادة	النسبة
2016	429	-	-
2017	486	54	12,58
2018	529	46	9,6

التحويلات إلى البلدان المرتفعة الدخل

السنة	القيمة	الزيادة	النسبة
2016	573		
2017	633	60	10,47
2018	689	56	8,84

ويعزى تعافي التحويلات الأقوى من المتوقع إلى النمو في أوروبا والاتحاد الروسي والولايات المتحدة وهذا الانتعاش في التحويلات عند تقييمها بالدولار الأميركي ساعده أيضًا ارتفاع أسعار النفط وصعود اليورو والروبل

وعلى مستوى المناطق، تراوح نمو تدفقات التحويلات من نحو 7٪ في شرق آسيا والمحيط الهادئ إلى 12٪ في جنوب آسيا. وكان السبب في هذه الزيادة العامة هو قوة الاقتصاد والتوظيف في الولايات المتحدة وانتعاش التدفقات الخارجة من

بعض دول مجلس التعاون الخليجي والاتحاد الروسي. وباستثناء الصين، كانت التحويلات المالية إلى البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل (462 مليار دولار) أكبر كثيرًا من تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر في 2018 (344 مليار دولار).

وعلى صعيد البلدان الرئيسية المتلقية للتحويلات، بلغت التحويلات إلى الهند 79 مليار دولار تلتها الصين (67 مليار دولار) والمكسيك (36 مليار دولار) والفلبين (34 مليار دولار) ومصر (29 مليار دولار).

وفي عام 2019، من المتوقع أن تنمو التحويلات إلى البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل إلى 550 مليار دولار لتصبح أكبر مصدر لها للتمويل الخارجي.

وتُظهِر قاعدة بيانات البنك الدولي لأسعار التحويلات في جميع أنحاء العالم أن متوسط التكلفة العالمية لتحويل 200 دولار لا يزال مرتفعا عند نحو 7٪ في الربع الأول من عام 2019. ويعدّ خفض تكلفة التحويلات إلى 3٪ بحلول عام 2030 غاية عالمية في إطار الهدف 10,7 من أهداف التنمية المستدامة. ولا تزال تكاليف التحويلات إلى البلدان الإفريقية والجزر الصغيرة في المحيط الهادئ أكبر من 10٪.

وكانت البنوك أعلى قنوات التحويلات تكلفةً، إذ بلغ متوسط الرسوم التي تتقاضها 11٪ في الربع الأول من عام 2019، تلتها مكاتب البريد على سلم أكثر قنوات التحويلات تكلفةً بمتوسط رسوم أكثر من 7٪. وتتضمَّن رسوم التحويلات في العادة زيادة حيثما ترتبط مكاتب البريد الوطنية بشراكة حصرية مع مشغل لخدمة تحويل الأموال. وبلغت هذه الزيادة في المتوسط 1,5٪ على مستوى العالم، ووصلت إلى 4٪ في بعض البلدان في الربع الأخير من عام 2018.

وعن سبل خفض تكلفة التحويلات، قال **ديليب راثا، المؤلف الرئيسي للموجز ورئيس شراكة المعارف العالمية للهجرة والتنمية:** "إن التحويلات المالية في طريقها إلى أن تصبح أكبر مصدر للتمويل الخارجي في البلدان النامية. ويقلل ارتفاع تكاليف تحويلات الأموال من منافع الهجرة. ومن شأن إعادة التفاوض على الشراكات الحصرية، والسماح لأطراف جديدة بالعمل من خلال مكاتب البريد الوطنية والبنوك وشركات الاتصالات السلكية واللاسلكية أن يزيد المنافسة ويخفض أسعار التحويلات."

ويتابع ديليب راثا: "... انه يتعين على البلدان والمؤسسات والوكالات

الإنمائية مواصلة تقليص التكاليف المرتفعة للتحويلات لكي تحصل الاسر على المزيد من الأموال..."

ويلاحظ الموجز أن استمرار البنوك في ممارساتها لتخفيف المخاطر، ومنها إغلاق الحسابات المصرفية لبعض مُقدِّمي خدمات التحويلات، يسهم في ارتفاع تكاليف التحويلات.

ويشير الموجز أيضًا إلى أنه تحقَّق تقدم نحو بلوغ غاية أهداف التنمية المستدامة المتعلقة بخفض تكاليف التوظيف التي يدفعها العمال المغتربون والتي تكون مرتفعة في العادة لاسيما على المغتربين ذوي المهارات المنخفضة.

وقال **ميكال روتكوفسكي، المدير الأول في قطاع الممارسات العالمية للحماية الاجتماعية والوظائف بالبنك الدولي:** "يقع ملايين من العمال المغتربين ذوي المهارات المحدودة ضحية لممارسات التوظيف السيئة ومنها المغالاة في تكاليف التوظيف. ومن الضروري أن نُعزِّز الجهود لخلق الوظائف في البلدان النامية، ومتابعة تكاليف التوظيف التي يدفعها هؤلاء العمال والعمل من أجل تقليصها." ويتعاون البنك الدولي ومنظمة العمل الدولية لوضع مؤشرات لتكاليف التوظيف التي يدفعها العمال، ومساندة هدف التنمية المستدامة المتعلق بتعزيز الهجرة الآمنة والمنظمة والنظامية.

الاتجاهات الإقليمية للتحويلات المالية

نمت تدفقات التحويلات إلى منطقة **شرق آسيا والمحيط الهادئ** بنسبة 7٪ تقريبا في عام 2018 إلى 143 مليار دولار، متخطية معدل النمو الذي بلغ 5٪ في عام 2017. (130 مليار عام 2017) متعافية من هبوطها بنسبة 2,6٪ في عام 2016 وزادت التحويلات إلى الفلبين إلى 34 مليار دولار (32,6 مليار $)، لكن معدل نموها كان أبطأ من مستواها في 2017 بسبب انخفاض التحويلات الخاصة الوافدة من بلدان مجلس التعاون الخليجي. وزادت تدفقات التحويلات إلى إندونيسيا بنسبة 25٪ في عام 2018 بعد مستواها الضعيف في 2017. (9 مليارات $ عام 2017)

ونمت تدفقات التحويلات إلى منطقة **أوروبا وآسيا الوسطى** بنسبة تقدر بنحو 11٪ في 2018 إلى 59 مليار دولار بعد أن سجلت معدل نمو قدره 22٪ في 2017 (48 مليار$ عام 2017) وبفضل استمرار النشاط الاقتصادي زادت التحويلات

المالية المتجهة إلى الخارج من بولندا وروسيا وإسبانيا والولايات المتحدة، وهي المصادر الرئيسية للتحويلات إلى المنطقة. واستفادت البلدان الأصغر حجما التي تعتمد على التحويلات في المنطقة مثل جمهورية قرغيز وطاجيكستان وأوزبكستان من استمرار تعافي النشاط الاقتصادي في روسيا. وسجلت أوكرانيا، وهي أكبر المتلقين للتحويلات المالية في المنطقة، رقما قياسيا جديدا في حجم التحويلات الوافدة إليها، إذ بلغت أكثر من 14 مليار دولار في 2018 مرتفعةً نحو 19٪ عن مستواها في 2017، وترجع هذه الزيادة أيضًا إلى تعديل منهجية تقدير التحويلات الوافدة، وكذلك إلى نمو طلب البلدان المجاورة على العمال المهاجرين.

وزادت تدفقات التحويلات إلى منطقة **أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي** بنسبة 10٪ إلى 88 مليار دولار في 2018 (بالنسبة إلى العام 2017 التي سجلت ارتفاعًا قياسيًا قدره 80 مليار $ تقريبًا ونسبته 8,7٪ عن العام السابق) وذلك بفضل قوة الاقتصاد الأمريكي. واستمرت المكسيك في تلقِّي أكبر تحويلات وافدة إلى المنطقة، إذ بلغت التحويلات إليها نحو 36 مليار دولار في 2018 مرتفعة 11٪ عن مستواها العام السابق. وسجَّلت كولومبيا وإكوادور اللتان لهما مغتربون في إسبانيا نموا نسبته 16٪ و8٪ على الترتيب في حجم التحويلات الوافدة إليها. وشهدت ثلاثة بلدان أخرى في المنطقة نموا يبلغ 10٪ أو أكثر في حجم التحويلات الوافدة إليها، وهي: غواتيمالا (13)، والجمهورية الدومينيكية وهندوراس (10٪ لكل منهما)، وهو ما يرجع إلى زيادة التحويلات المالية المتجهة إلى الخارج من الولايات المتحدة.

ونمت التحويلات المالية إلى منطقة **الشرق الأوسط وشمال إفريقيا** بنسبة 9٪ إلى 62 مليار دولار في 2018. = (مقابل نموًا نسبته 9,3 عام 2017 لتصل إلى 53 مليار $) وكان السبب في هذه الزيادة هو النمو السريع للتحويلات المالية إلى مصر الذي بلغت نسبته نحو 17٪. وبعد عام 2018، من المتوقع أن يتواصل نمو التحويلات المالية إلى المنطقة وإن كان بوتيرة أبطأ تبلغ نحو 3٪ في 2019 بسبب تراجع النمو في منطقة اليورو. وأيضًا بسبب تشديد السياسات المتعلقة بالعمالة الوافدة في المملكة العربية السعودية، إذ زادت تكاليف المعيشة بالنسبة لهذه العمالة بسبب خفض الدعم، والزيادة في الرسوم المختلفة، وتطبيق الضريبة على القيمة المضافة في المملكة والامارات العربية المتحدة.

وارتفعت التحويلات إلى منطقة **جنوب آسيا** بنسبة 12٪ إلى 131 مليار دولار عام 2018، متخطية معدل نموها الذي بلغ 6٪ في 2017 (117 مليار $). وكان السبب في هذه الزيادة الكبيرة تحسُّن الأوضاع الاقتصادية في الولايات المتحدة، وانتعاش أسعار النفط الذي كان له أثر إيجابي على التحويلات المالية المتجهة إلى الخارج من بعض بلدان مجلس التعاون الخليجي. ونمت التحويلات المالية بنسبة تزيد على 14٪ في الهند حيث أدت كارثة الفيضانات في كيرالا على الأرجح إلى زيادة المساعدات المالية التي يرسلها المغتربون إلى أسرهم. وفي باكستان، كان معدل نمو التحويلات متوسطا (7٪) بسبب تراجع كبير في التحويلات الوافدة من المملكة العربية السعودية أكبر مصادر تحويلاتها المالية. وفي بنغلاديش، شهدت التحويلات المالية انتعاشةً قوية، إذ نمت بنسبة 15٪ في 2018.

وزادت التحويلات المالية إلى منطقة **إفريقيا جنوب الصحراء** نحو 10٪ إلى 46 مليار دولار في 2018، (38 مليار $ عام 2017) وذلك بفضل تحسُّن الأوضاع الاقتصادية في الاقتصادات مرتفعة الدخل. وبالنظر إلى التحويلات كنسبة من إجمالي الناتج المحلي، سجَّلت جزر القمر أكبر حصة تلتها غامبيا وليسوتو وكابو فيردي وليبريا وزمبابوي والسنغال وتوغو وغانا ونيجيريا.

يمكن الاطلاع على موجز عن الهجرة والتنمية وأحدث بيانات الهجرة والتحويلات على الموقع الإلكتروني www.knomad.orgوللتواصل مع خبراء الهجرة على الموقع الإلكتروني /http://blogs.worldbank.org/peoplemove :

2 ـ التحويلات المالية للاغتراب اللبناني

للتحويلات المالية للمغتربين اللبنانيين أهمية خاصة في الوقت الحاضر خاصة وان لبنان يعاني أزمة اقتصادية مالية خانقة، فالبعض من المسؤولين يذهب إلى القول بأن لبنان على طريق الانهيار في حين يرى البعض ان لبنان في حالة الإفلاس، ويرى خبراء ماليون واقتصاديون ان لبنان متعثر وترى مؤسسات تصنيف دولية ان لبنان بلد عالي المخاطر وعاجز عن تسديد ديونه. ان جميع المؤشرات المالية والاقتصادية تشير بصراحة إلى عمق الأزمة وخطورتها.

المؤشرات الاقتصادية

أ ـ الناتج المحلي والنمو

مليار ل.ل.	2014 (1)	2015 (1)	2016 (1)	2017 (1)	2018 (2)	2019 (2)
الناتج المحلي	72801	75336	77243	80491	85627	89935
معدل النمو الحقيقي	٪1,88	٪0,42	٪1,61	٪0,55	٪0,94	٪1,21
نسبة التضخم	٪1,85	٪3,75	٪0,820	٪4,48	٪6,07	٪1,75

(1) المصدر : إدارة الإحصاء المركزي لغاية 2017

(2) المصدر : تقديرات وزارة المالية للعامين 2018 و2019

ب ـ العجز الفعلي المحقق بالنسبة إلى الناتج المحلي

السنة	المعدل
2016	٪9,6
2017	٪7
2018	٪11

ج ـ الميزان التجاري حسب القيمة (مليون $)

السنة	الواردات	الفرق	الصادرات	الفرق	العجز	الفرق
2016	19,119		2,976		16,143	
2017	19,582	٪2,42 463	2,844	(132) ٪4,44	16,738	595 ٪3,68
2018	19,980	٪2,03 398	2,952	٪3,8 108	17,028	290 ٪1,73

د ـ الميزان التجاري حسب الكمية (مليون طن)

السنة	الواردات	الفرق	الصادرات	الفرق	العجز	الفرق	النسبة
2016	18,928	-	1659	-	17269		
2017	18,975	47 + ٪0,25	1937	278 ٪16,75	17038	231 - ٪1,33-	
2018	15855	3120 - ٪16,44 -	1840	97 ٪5	14015	-3023- ٪17,74	

وتبين أن الجدولين أعلاه بأن العجز في الميزان التجاري ارتفع من حيث القيمة بينما انخفض من حيث الكمية، ويعود ذلك بشكل أساسي إلى تغيرات الأسعار وبخاصة أسعار النفط العالمية التي إرتفعت من متوسط 45,13 د.أ للبرميل خلال العام 2017 إلى 71,32 د.أ. للبرميل عام 2018، مما أدى إلى تراجع استيراد المحروقات بنسبة 3٪ من حيث القيمة مقابل تراجع 28٪ من حيث الكمية.

وتبين من الجدولين أيضًا أن ارتفاع الأسعار مصدره خارجي، وليس كما يروج البعض أن مصدره سلسلة الرتب والرواتب بدليل انخفاض كمية الاستيراد أي انخفاض الطلب على السلع.

هـ ـ الزيادة في عجز الحساب الجاري الخارجي من 8,54 مليار $ عام 2015 إلى 12,44 مليار $ لعام 2018

ز ـ تراجع في حجم التدفقات المالية من الخارج وزيادة صعوبة تمويل الدولة بالعملات الأجنبية

ح ـ القطاع المصرفي:

أ ـ الودائع

- وصل معدل نمو الودائع في نهاية العام 2018 إلى 4,3٪.
- وصل معدل نمو القروض في نهاية العام 2018 إلى 1,1٪.

لكن الوضع تراجع مع بداية العام 2019 حيث شهد الفصل الأول منه:

- تراجع الودائع بنسبة 0,9٪ مقارنة مع نهاية العام 2018.
- تراجع في حجم القروض بنسبة 4,7٪ بين نهاية 2018 وآذار 2019.

ويعود السبب (حسب وزارة المالية) إلى وقف العمل بقروض الاسكان المدعومة، والتي تشكل جزءً كبيرًا من القروض الممنوحة من قبل القطاع المصرفي.

ب ـ أسعار الفائدة

شهد السوق اللبناني زيادة مطردة في الفوائد المصرفية، إذ سجلت معدلات لم يشهدها السوق اللبناني منذ أعوام عديدة مع نهاية الفصل الأول 2019 وصل متوسط أسعار الفائدة على الودائع إلى حدود 8,75٪ على الليرة و5,59٪ على الدولار.

ارتفعت الفوائد على القروض إلى معدل 10,58٪ على الليرة و9,31٪ على الدولار.

هذه المعدلات مرتفعة جدًا وتشكل عائقًا أمام حركة الاستثمار، ما يهدد باستمرار حركة الركود الاقتصادي على المدى المتوسط.

ط ـ الدين العام:

أ ـ ارتفع الدين العام من نسبة 138٪ عام 2014 إلى ما يقارب 150٪ عام 2018 ومن المتوقع أن يتخطى نسبة 151٪ عام 2019.

بلغ إجمالي الدين العام (Cross Debit) حتى نهاية شهر آذار عام 2019 حوالي 129982 مليار ل.ل. أي ما يعادل 86,22 مليار د.أ. أي زيادة نسبتها 1,27٪ عن نهاية العام 2018.

التحويلات المالية

بالاستناد إلى التقرير الدوري الذي يصدره البنك الدولي تحت عنوان «موجز الهجرة والتنمية» (عدد نيسان 2018)، يتبيّن أن وزن تحويلات اللبنانيين المهاجرين يرتفع باطراد، وبات يمتلك تأثيرًا حاسمًا على المؤشرات المختلفة، الاجتماعية والاقتصادية والمالية والنقدية. فقد نمت التحويلات الواردة إلى لبنان في السنوات الـ15 الماضية بنسبة 313٪، من نحو 2,54 مليار دولار في عام 2002 إلى أكثر من 7,95 مليارات في عام 2017، وبلغ مجموعها التراكمي (2003-2017) نحو 99,2 مليار دولار، بمتوسط سنوي بلغ نحو 6,6 مليارات دولار على مدى هذه الفترة، وهذا الرقم كبير جدًا قياسًا إلى حجم الناتج المحلي، الذي ارتفع في الفترة نفسها

من 19,15 مليار دولار في نهاية عام 2002 إلى 49,60 مليار دولار في نهاية عام 2016 (بالأسعار الجارية وفقًا لبيانات البنك الدولي).

قد قدر البنك الدولي ارتفاع حجم تحويلات المغتربين إلى لبنان بنسبة 1,8 في المئة خلال العام 2018 إلي 7,2 مليار دولار أمريكي، ليحل بذلك لبنان في المركز الثالث إقليميا من حيث حجم التحويلات الوافدة، مسبوقا فقط من المغرب (7,4 مليار دولار أمريكي) ومصر (28,9 مليار دولار امريكي).

إضافة إلى ذلك، ودائما بحسب تقديرات البنك الدولي، فقد تبوأ لبنان المركز الثاني في المنطقة من حيث مساهمة تحويلات المغتربين في الناتج المحلي الإجمالي، والتي بلغت 12,7 في المئة في العام 2018، مسبوقا من الضفة الغربية وقطاع غزة (17,7 في المئة).

وقد أضاف البنك الدولي أن متوسط كلفة إرسال الأموال من دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ذات الدخل المرتفع إلى لبنان لا يزال عاليا جدا.

في المقابل، نمت التحويلات الصادرة من لبنان بنسبة تفوق 145٪، من نحو 2,5 مليار دولار في عام 2002 إلى 3,7 مليار دولار في عام 2016 (يورد البنك الدولي تقديرات لعام 2017 غير مفهومة، إذ انخفضت إلى 1,2 مليار دولار، وهذا لا يوجد تبريرًا له في الواقع) وبلغ مجموعها المتراكم في 15 سنة نحو 61,5 مليار دولار وبالتالي بلغ رصيد تحويلات المهاجرين الصافي المتراكم في هذه الفترة نحو 38 مليار دولار.

التواصل بين المقيمين والمغتربين أمرٌ لا مفرّ منه. فبعيدًا عن الجانب العاطفي، فإن تحويلات المغتربين هي أحد أبرز عوامل صمود الاقتصاد اللبناني. إذ يساهم المغتربون في رفد الاقتصاد بنحو 7 إلى 7,5 مليار دولار سنويًا. تتوزع الأموال بين استهلاكها من قبل عائلات المغتربين في لبنان، وبين إيداع قسم في المصارف، وتشغيل جزء في الاستثمارات العقارية والمالية.

ومساهمة المغتربين في الاقتصاد اللبناني ترتكز على عامل الأمان، فالأموال تتجه نحو الاستثمارات الآمنة في العقارات والمصارف.

ـ يوفر المهاجرون أموالاً ضخمة لإعالة المقيميين، فنادرًا ما ترى اسرة مقيمة لا يوجد فرد أو أكثر من أفرادها في الخارج.

ـ تقدر تحويلات المغتربين من خلال القنوات المصرفية ب 6 مليارات دولار سنويًا.

أما النقل المباشر (للأموال النقدية) فيصل إلى 4 مليارات دولار سنويا وهي تحويلات غير مصرح عنها **فيصبح المجموع 10 مليارات دولار سنويًا**

في الحقيقة هناك إختلاف حول الحجم الحقيقي لتحويلات المغتربين إلى لبنان.

إن المصرف المركزي قادر ان يحدد ما يحوله المغتربون من أموال إلى وطنهم، لتكون هذه الأموال رافعة للاقتصاد الوطني.

ومن خلال المعلومات المتوفرة فان تحويلات المغتربين اللبناني كانت:

السنة	التحويلات (مليار د. أ)
2007	5,7
2008	7,1
2009	7,6
2010	8,1

فقد فاقت هذه التحويلات بحسب بيانات مصرف لبنان المركزي ثمانية مليارات دولار في العام 2010[1].

لكن هذه التحويلات لم تكن ثابتة، بل شهدت تقلبات واحيانا تراجعات، مع الصعوبات التي يواجهها اللبنانيون في أكثر من بلد في الخارج ابتداء من ساحل العاج ومرورًا ببلدان مختلفة في إفريقيا وصولاً إلى البحرين وبلدان مجلس التعاون الخليجي (الامارات مثلاً) ـ ودول الازمات العربية[2].

لقد كانت تحويلات اللبنانيين في الخارج تمثل 26٪ من الناتج المحلي الإجمالي بالاستناد إلى ميزان المدفوعات في عام 2006 إذ بلغ حجم هذه التحويلات 5,6 مليار $ وهي تعادل نحو ثلاثة أضعاف صادراته الإجمالية كما

(1) اللجنة الاجتماعية والاقتصادية لغربي آسيا ـ تقرير السكن والتنمية ـ العدد الثالث حول الهجرة الدولية، والتنمية في المنطقة العربية _ التحديات والفرص، الأمم المتحدة، نيويورك 2007، ص 40

(2) نتائج مؤتمر أصدقاء لبنان للاستثمار والتمويل (بيروت 20-21 أيلول 2008 محلية الاقتصاد والأعمال شباط 2009 ص 55

وصلت قيمة هذه التحويلات إلى أكثر من نصف قيمة واردات لبنان عام 2004. وهي قد أسهمت بشكل فعال في تفعيل سندات أسواق العمل وساعدت لبنان على مواجهة الأعباء الاقتصادية والاجتماعية المتزايد من عام لآخر[1].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الأسر اللبنانية قد أنفقت نحو 40 مليار $ منذ العام 1975 كنفقات لتهيئة أبنائها للهجرة.

يبقى أن تشير أن تحويلات المغتربين اللبنانيين تعتبر أعلى معدل للتمويل في العالم مقارنة مع عدد السكان المقيمين في لبنان وذلك بمعدل 2000 دولار لكل منهم.

وبما لا شك فيه أهمية تحويلات اللبنانيين المغتربين في الخليج وبالتالي خطورة التداعيات التي قد تنجم عن الأزمات السياسية والاقتصادية في دول الخليج. وتشير التقديرات إلى إنخفاض هذه التحويلات عام 2009 بنسبة تتراوح بين 10 و20٪ أو حتى بين 20 و30٪ (لتقرير مدير دائرة الشرق الأوسط وشمالي إفريقيا في البنك الدولي وذلك لأسباب تتعلق بالإنكماش الاقتصادي الحاصل في منطقة الخليج العربي، أو حتى في أوروبا وأستراليا وكندا.... وغيرها من البلدان الاغتراب اللبناني.

ولا ينم ازدياد أرقام التحويلات عن ازدهار اعمال اللبنانيين في مغترباتهم وتضاعف ارباحهم، بقدر ما يدل على ازدياد اعداد المهاجرين من الشباب اللبناني المنتج في كل عام، ولا شك في ان النموذج السياسي الاقتصادي القائم في لبنان يشجع هؤلاء الشباب على الهجرة في سبيل تأمين تحويلات مالية كبيرة تعفي القيمين على الشؤون السياسية والاقتصادية في لبنان من مسؤولية تطوير الاقتصاد الحقيقي وتنويعه وتنمية القطاعات الإنتاجية فيه، ورفدها بالطاقات الشابة والمتعلمة ليكونوا في عملهم داخل حدود الوطن الرافعة الحقيقية للاقتصاد اللبناني، بدل الاعتماد الدائم على ما يرسلونه من بلدان تنمو بكفاءاتهم ومهارتهم وساعات عملهم الطويلة.

تأتي النسبة الأكبر من تحويلات المغتربين المالية من المغتربين اللبنانيين.

الذين يعملون في دول الخليج، وفي حين ان القوة الإنتاجية اللبنانية العاملة في دول مجلس التعاون الخليجي النفطية تشكل في عددها ربع عدد القوة اللبنانية

---

(1) اللجنة الاجتماعية الاقتصادية لغربي آسيا، تقرير السكن والتنمية العدد الثالث حول الهجرة الدولية والتنمية في المنطقة العربية التحديات والفرص الأمم المتحدة بنيويورك 2007 ص 44

العاملة في الوطن الام تقريبا. إلا ان هذه القوة العاملة تنتج أربعة اضعاف ما تنتجه اليد العاملة المقيمة في لبنان.

تساهم تحويلات هذه الفئة من المغتربين بفاعلية،في رفع مستوى المعيشة في لبنان ليكون الأعلى بين الدول العربية غير النفطية.

وبالرغم من المشكلات المالية التي حصلت في اقتصاديات دول الخليج بسبب الازمة المالية العالمية، لم يعد غير عدد قليل من اللبنانيين إلى لبنان، فيما انتقل معظمهم إلى عواصم عربية أخرى، الامر الذي يدل عليه ارتفاع قيمة التحويلات في العاميين 2008 و2009، ما ساعد لبنان على تجنب اثار الأزمة المالية العالمية.

وبالرغم من مساهمة تحويلات المغتربين الكبيرة في سد العجز الذي يلحق بالاقتصاد اللبناني، فإن هذه التحويلات تحولت مع الزمن من صمام امان التوازن الاقتصادي إلى واقع استنزاف للكفاءات والطاقات البشرية اللبنانية، وخصوصًا المتعلمة منها، خلال الحروب والأزمات المتتالية التي مر بها لبنان.

إن لبنان بلد استثنائي من حيث العلاقات الاقتصادية الحميمة التي تربط المغتربين بوطنهم الأم، والهجرة في السنوات الخمسين الماضية أقرب ما تكون إلى "commuting labor force" أي ان المغترب يعمل في دولة أخرى "بينما بيته هنا، وماله هنا، وإرتباطه بالبلد وثيق" وهذا ما يجعل لبنان ظاهرة فريدة في العالم. لأن الهجرة كانت مجرد مخرج بالنسبة إلى اللبنانيين (ولا سيما المتعلمين منهم) الطامحين إلى فرص عمل افضل.

هذا من ناحية، اما من الناحية الأخرى، فإنه لو كانت أوضاع الداخل اللبناني التي تحدد المناخ الاقتصادي والاستثماري في البلد، من نظام سياسي وقوانين قادرة على انتاج إدارة عامة عصرية، وتوفير التكنولوجيا، والبنى التحتية، وذلك بمستوى يتماشى مع مستوى الفرد اللبناني لكان مستوى المعيشة في لبنان إرتفع أكثر ولكان اللبنانيون وجدوا فرص عمل في لبنان تضاهي في مداخيلها مثيلاتها في الخليج، الا ان غياب كل هذا ترك اللبناني وحيدًا بوجه القدر، ولا ملجأ امامه سوى السفر.

ولا بد من الإشارة إلى ان نسبة من تحويلات اللبنانيين في الخارج "قابعة على شكل ودائع" ولا تستغلّ لدعم الاستثمار. وأشار إلى أنّ الأموال التي خصصها مصرف لبنان للاستثمار سنة 2013 (450 مليون دولار) ساهمت بـ 0,5٪ من النمو.

إذًا "ماذا لو تم استثمار 10 مليار دولار أميركي من أموال المغتربين المودعة في المصارف في الاقتصاد اللبناني؟" يتساءل الباحث الاقتصادي مطالبًا باتخاذ إجراءات سياسية واقتصادية لتحفيز الاستفادة من هذه الأموال.

3 ـ التحويلات المالية للمغتربين العرب

تمثل التحويلات المالية للمغتربين العرب إلى بلدانهم الركيزة الأساسية في الاستقرار الاقتصادي، بل إنها الموارد المالية المهمة لسد العجز المتراكم في الدول منخفضة الدخل التي تعاني من اختناقات مالية حادة، وهي التي تغذي شرايين الدورة الاقتصادية وتحد من تفاقم الأزمات المعيشة ومواجهة الفقر.

ويمكن تقسم البلدان العربية المرسلة للمهاجرين والمستقبلة للتحويلات المالية إلى مجموعتين:

الأولى: مجموعة دول المغرب العربي، هي تضم ثلاث دول هي المغرب، الجزائر وتونس.

الثانية: مجموعة دول المشرق العربي وهي تضم سبع دول هي: مصر، الأردن، لبنان، سوريا، فلسطين واليمن.

إن أحصاءات أو تقديرات التحويلات ليست دقيقة ذلك أن الكثير من الدول لا تقوم بالإفادة عن البيانات الخاصة بالتحويلات، في إحصاءات دليل ميزان المدفوعات الذي يصدره صندوق النقد الدولي فهناك عدة دول ومنها (لبنان) لا ترفع تقارير دورية في هذا الصدد إلى صندوق النقد الدولي.

وعليه فإن الإحصاءات الرسمية بشأن التحويلات تميل إلا التقليل من حجم تدفقات التحويلات. لكن دراسة صدرت عن بنك الاستثمار الأوروبي، تضمنت تقديرات لنسب التحويلات غير الرسمية في البلدان العربية للعام 2004:

الدولة	النسبة
لبنان	٪7
السودان	٪80
سوريا	٪79
اليمن	٪60
الجزائر	٪57
مصر	٪56

لقد بلغت التحويلات الرسمية وغير الرسمية التي تستقبلها الدول العربية حوالي 40 مليار دولار ويصل مجموع التحويلات من دول مجلس التعاون الخليجي الست إلى خارجها نحو50 مليار سنويًا.

إن هذه التحويلات تبرز أهميتها من خلال مساهمتها في الناتج المحلي البالغة نحو 20٪ في كل من لبنان والأردن و9٪ في المغرب و5,6٪ في مصر.

4 ـ مصادر التحويلات

تتنوع مصادر التحويلات وتختلف أهميتها النسبية باختلاف مستوى العلاقة السياسية والاقتصادية بين الدول المرسلة والدول المتلقية:

بالنسبة إلى دول المغرب العربي: تمثل نسبة التحويلات إليها من الدول العربية أقل من 10٪(المغرب 6,3٪، الجزائر 7٪، تونس 9,7٪) وذلك لارتباطها الوثيق بالاتحاد الأوروبي وحيث تمثل تحويلات المغتربين منها إلى المغرب العربي أكثر من 85٪.

بالنسبة إلى دول المشرق العربي: فإن النسبة الأكبر من التحويلات إليها تأتي من الدول العربية، 85٪ في الأردن، 65٪ في سوريا، 48,4٪ في مصر.

أما في لبنان فتبلغ 45٪ بينما تأتي باقي التحويلات إلى لبنان من دول الاتحاد الأوروبي بين 15و9٪ من دول أميركا الشمالية 25٪ ومن بلدان مختلفة 20٪ (تقديرات علم 2005) أما في عام 2008 فإن التقديرات تشير إلى أن 80٪ من التحويلات إلى لبنان تأتي من الدول العربية ولا سيما دول مجلس التعاون الخليجي الستة:

5 ـ كلفة وسلبيات الاغتراب اللبناني

يدفع لبنان ثمنا كبيرًا لهجرة شبابه، خصوصا إذا علمنا بأن غالبية موصوفة من المغتربين هم من أصحاب الشهادات والكفاءات والخبرات العملية الرفيعة.

فيحرم الاقتصاد الوطني من مساهمتهم في تنميته، ويخفف قدرته على الاستعانة بالأيدي العاملة الماهرة في حين تزدهر اقتصاديات المغتربات على حساب الاقتصاد الوطني.

إن اهم التحديات التي تواجه الدولة هي هجرة الكفاءات العلمية أو ما يسمى

"هجرة الأدمغة" التي تعتبر من احد اهم المعوقات لعملية التنمية والتقدم العلمي والتكنولوجي.

إن هذا النوع من الهجرة يزود الدول التي تتم الهجرة إليها بطاقات بشرية منتجة ومتجددة، لا سيما ان معظم الدول المستقبلة تمنح جنسيتها لهذه الفئة من المهاجرين ما يؤدي إلى استقرارهم فيها بشكل نهائي ويفضي إلى عدم عودتهم في كثير من الأحيان إلى بلدهم الأم مما يؤدي إلى:

1 ـ استنزاف الموارد البشرية وفقدان لبنان نسبة كبيرة من خيرة شبابه وأدمغته، مما يؤخر عملية التنمية.

2 ـ حاجة لبنان إلى بعض القوة العاملة المتخصصة.

3 ـ تغييرات ديمغرافية.

أ ـ أنواع الكلفة

ـ الكلفة الاجتماعية: تشظي الاسر وتفتيتها

ـ الكلفة الثقافية: الاغتراب الثقافي

ـ الكلفة المادية: كلفة تعليم وتنشئته المغتربين التي تتحملها الدولة والاسر حتى يصبحوا في سن دخولهم إلى سوق العمل وهي كلفة مرتفعة تدل عليها الموازنات العالية والتي تخصصها الدولة للشأن التعليمي (حوالي 10٪ من الانفاق الحكومي)

لكن حين يصبح هؤلاء في سن الإنتاج، ويتعين عليهم الاسهام في تغذية ازدهار وطنهم، نراهم يهاجرون ليفيدوا مجتمعات أخرى لم تكن دفعت كلفة تعليمهم وتأهيلهم وتدريبهم وتبدا رحلتهم في تنمية اقتصادياتها ويصبحون مكلفين بالضريبة لديها. ولا يصل لبنان منهم الا الفتات على شكل تحويلات يرسلونها إلى من تبقى من ذويهم في الوطن.

ب ـ كلفة العودة

إن عودة المغتربين سواء تم ذلك طوعًا أو قسرًا، تترتب عليها الكلف الأتية:

ـ انخفاض التحويلات المالية الخارجية وتأثر الاقتصاد الوطني لهذا الانخفاض ولا سيما بالنسبة إلى ميزان المدفوعات، وبالتالي لا يمكن تحديد حجم المشكلة التي سيقع فيها الاقتصاد اللبناني جراء توقفها أو تراجعها.

ـ الضغط على سوق العمل المنهك اصلاً

ـ الضغط على سوق ايجارات المنازل،

- حرمان قطاع العقارات السكنية من مساهمة المغتربين، الذين يشكلون بحسب تقارير مصرفية "ربع مشتري المنازل في لبنان".
- الضغط على القطاع التعليمي.
- الضغط على الخدمات العامة مثل المياه والكهرباء والطرقات والاستشفاء وغيرها.....

بسبب تداعيات الأزمة المالية العالمية (2007-2009) ومع تضاؤل فرص العمل في الدول الغنية، بدأت موجات الهجرة المعاكسة بالعودة. فقد شهدت الأشهر الأخيرة من عام 2009 عودة الكثير من العمال العرب إلى بلدانهم ومنهم آلاف اللبنانيين الذين عادوا بعد توقف العديد من الشركات والمؤسسات والمصانع التي كانوا يعملون بها.

يقدر عدد الذين أنهيت خدماتهم في الخليج بين 15 و25 ألف لبناني، بين موظف وعامل في قطاع البناء والمصارف والسياحة، بينما تشير تقديرات أخرى إلى 40 ألف عامل وقد أشار وزير الشؤون الاجتماعية اللبناني أثناء مشاركته في مؤتمر السكان والتنمية في الوطن العربي في الدوحة، إلا أن حجم العمالة اللبنانية التي تم تسريحها من دول الخليج يعد بأربعين ألف لبناني في كافة القطاعات، وأن هذه العملية ستزيد من حجم الدين العام كما أنها ستساهم في زيادة البطالة...

وهكذا ففي غياب الإحصاءات والأرقام تختلف التقديرات وأحيانًا تتردد إشاعات وحتى مبالغات في ذكر أعداد اللبنانيين المصروفين من أعمالهم.

وقد أكد حاكم مصرف لبنان أن البطالة اللبنانية الخليجية لم تتعد نسبة الـ4٪ وإنه يوجد تفاوت في أوضاع اللبنانيين بين دولة وأخرى.

"فبينما استمر الوضع عاديًا في السعودية التي تعتبر مركز الثقل في العمالة اللبنانية تنحصر مسألة خسارة الوظائف في دبي حيث يقدر عدد اللبنانيين الذين قد يخسرون وظائفهم بنحو 7٪ كما أن خسارة الوظائف تتركز بشكل خاص في الشركات العقارية، الهندسة، وخدمات البيع والشراء...".

تؤكد مصادر المغتربين في الخارج، أن أبناء الجاليات اللبنانية في دول مجلس التعاون الخليجي، قد تأثروا بشكل متفاوت بين دولة إلى أخرى، ففي إمارة أبو ظبي يلاحظ أن اللبنانيين العاملين في الشركات وقطاع الخدمات، هم أقل تأثرًا من

غيرهم من العاملين في الإمارات وذلك لأن إمارة أبو ظبي كانت الأقل تأثرًا بالأزمة من غيرها بينما تبين أن المتواجدين في دبي هم الأكثر تأثرًا بالأزمة."

بالمقابل أدت موجة الهجرة العائدة من الخليج إلى تزايد عدد طلبات الاستخدام والتوظيف في لبنان، زيادة الاقبال على طلب وظائف في السوق المحلي مما أدى إلى ارتفاع نسبة العاطلين عن العمل خصوصًا بين الكفاءات العالية، ولا سيما في القطاعات المالية والمصرفية والعقارات والمقاولات والسياحة والإعلان والإعلام.

وإلى تراجع حجم التحويلات المالية بنسبة مقدره بـ10٪، وهذا الانخفاض أدى إلى تراجع النمو الاقتصادي... وبالتالي عدم القدرة على توفير فرص عمل كافية للوافدين الجدد إلى سوق العمل.

(يمثل عدد المغتربين في الخليج حوالي 18,5٪ من السكان المقيمين في لبنان).

سادسًا: سياسات الحكومة اللبنانية الاغترابية:

"من الواضح غياب الاستراتجيات التي تضعها الحكومة في ما خص المغتربين، وخصوصًا في دول الانتشار التي تعاني أزمات سياسية أو امنية.

ويثبت هذا الغياب من خلال المعطيات التالية:

ـ عدم امتلاك الحكومة أجهزة انذار لمواطنيها، ولا خطط إجلاء، والوضع المزري في لبنان ينعكس وبشكل كبير على كل اللبنانيين، مقيمين ومغتربين ـ والحكومة تتحرك بعد وقوع الازمة وليس قبل حصولها، وهي دائمًا في حالة رد فعل لا اكثر، وحتى رد الفعل يأتي متأخرًا أو منقوصًا.

ـ إن السياسة الوقائية والانذار المبكر أساسيات في تعاطي الحكومة مع مواطنيها المغتربين ورعايتهم.

ـ عدم وضع سياسات واضحة للهجرة من لبنان واليه للحد من الخسارة الفادحة التي يتكبدها الوطن ديمغرافيًا وانتاجيًا وتنافسيًا.

ـ إقتناع الحكومة بمقولة "الإفادة من الهجرة" وهي في الحقيقة تخسر الكثير لأنها لا تستثمر القطاع بكل طاقاته وقدراته.

1 ـ إنشاء مؤسسة لإدارة الثروة البشرية

وترى السيدة غيتا حوراني ـ مديرة مركز دراسات الانتشار اللبناني في جامعة سيدة اللويزة:

"إن أكثر السياسات نجاعة للبنان هي إدارة هجرة الأدمغة والكفاءات كثروة من الثروات المعدة للتصدير، وذلك بتأسيس "مؤسسة مستقلة لإدارة الثروة البشرية اللبنانية" تعمل بمنطق المؤسسات الخاصة وباستراتاجية النجاح والربح نفسها، فتقوم بإحصاء الثروة البشرية اللبنانية من خلال إنشاء قاعدة بيانات بالتعاون مع الجامعات والمعاهد اللبنانية والمؤسسات اللبنانية في المهجر.

ثم تخمن ثمن تشغيل الخبرات والكفاءات اللبنانية وعرضها على الجهة التي هي بحاجة اليها، بعد تقييم الحاجة المحلية اولاً والعالمية تاليًا للكفاءات، وعقد إتفاقات مع الدول الأخرى، وإبرام عقود مع مؤسسات تهمها هذه الثروة لتصديرها بين 5 و7 سنوات مقابل قيمتها المادية في السوق العالمية إضافة إلى تعديل السياسات التعليمية وسياسات تصدير الموارد البشرية للأستجابة لمتطلباتها". فالمكاسب التي يمكن ان يجنيها لبنان من خلال إدارة ادمغته المهاجرة جمة، ومن بينها زيادة في نسبة التحويلات المالية لأن المهاجر الذي يهاجر لمدة تراوح بين 5 و7 سنوات لا يستثمر على المدى الطويل في البلد المضيف لكونه سيعود إلى وطنه بعد هذه المدة، هذا عوضًا عن أمور أخرى مثل عدم تفريغ لبنان من الطاقة الشابة التي تستطيع المنافسة العالمية اقتصاديًا وتنمويًا والتي تقع عليها مسؤولية الأبحاث وتجديد الديمغرافيا ليس فقط لأسباب إنمائية بل أيضًا للإستدامة الثقافية.

2 ـ استحداث بيئة مناسبة للأعمال

أما وزير المالية السابق المرحوم محمد شطح فإنه يرى:

ـ أولوية الحد من الهجرة قبل التفكير في استثمارها خارجًا.

ـ تبني الدولة السياسات الاقتصادية والآليات التوظيفية الواعية التي توقف نزيف الهجرة الحقيقي.

ـ خطأ كبير ما ينادي به الكثيرون بتوفيق مخرجات التعليم العالي مع متطلبات سوق العمل اللبناني بل واجب ان نعكس هذا التفكير، وذلك باستحداث الوظائف التي تناسب مخرجات التعليم. ذلك ان لبنان قائم على الخدمات المتقدمة في ميادين كثيرة كالاعلان والأعلام والأستشارات المالية والعقارية والاستثمارية وهو مؤهل فعليًا لتقديم هذه الخدمات ضمن أراضيه لأن غالبية العاملين في هذه الميادين في دول الخليج مثلاً لبنانيون، تعلموا في لبنان وخرجوا للعمل في دول

أخرى. لهذا فثمن خروجهم اكبر إذا قيس بقدرات لبنان في استيعاب إمكاناتهم واستثمارها وتحويلها إلى إنتاجية تعم خيراتها مختلف قطاعات الاقتصاد اللبناني.

إن المعالجة الأساسية لمسألة الهجرة اللبنانية تكمن في ما يلي:

ـ تمكين الاقتصاد اللبناني من استحداث البيئة المناسبة للأعمال من خلال الاستقرار السياسي أولاً، لأن ذلك هو الجاذب الأهم للإستثمارات الخارجية من لبنانية ومن غيرها، التي تنعش البلد اقتصاديًا واجتماعيًا ان استتباب الامن السياسي والاستقرار الاقتصادي يؤديان إلى تدفق المستثمرين، وهذا بفتح المجال امام فرص عمل مختلفة في قطاعات إنتاجية متنوعة، تستوعب خريجي الجامعات اللبنانية بدلاً من ان تستوعبهم شركات من دول أخرى وتنمو على سواعدهم وتكبر بفضل عقولهم وإمكاناتهم العلمية ومهاراتهم.

3 ـ استراتيجية حماية الاغتراب

1 ـ شد الاواصر بين المغتربين والمتحدرين من اصل لبناني في العالم ولبنان.

2 ـ اعتماد خطاب واقعي مبني على الصراحة والموضوعية والمصالح المشتركة في مخاطبة المغتربين بدلاً من الخطاب الرومانسي.

3 ـ الاستفادة من الاغتراب اللبناني في معركة لبنان مع الكيان الصهيوني ولا سيما في حماية الأرض والمياه والثروات الطبيعية (النفط في المياه البحرية).

4 ـ حماية المغتربين في بعض الدول من الأخطار والتحديات التي يتعرضون لها.

5 ـ توفير المناخ المناسب لاستثمار المغتربين أموالهم في لبنان ولا سيما أنهم يشكلون ثقلاً اقتصاديًا وماليًا يمكن الاستفادة منهم في معركة التنمية الاقتصادية المستدامة.

6 ـ متابعة قَضايا المغتربين الشخصية (أمور الهوية، الجنسية والأملاك) والانفتاح عليهم وتحسس قضاياهم والمساعدة على حل مشاكلهم.

7 ـ تفعيل وسائل الإعلام كأداة اتصال ومعرفة يطل منها المغترب على مختلف أوضاع بلده لبنان وقضاياه وتطوراته الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ولا بد من رسم خريطة اعلامية جديدة للواقع الاغترابي بالاتفاق بين الدولة والهيئات الاغترابية تأخذ في عين الاعتبار حاجة كل

مجتمع اغترابي لوسيلة اعلامية لتناسب خصوصياته لكنها تتضمن أيضًا أخبار ونشاطات الجاليات في مواقع أخرى. مع ضرورة مراعاة سقف الوحدة الوطنية والأخبار الصادقة والموضوعية ويمكن للدولة بالاتفاق مع الهيئات الاغترابية إنشاء قنات تلفزيونية فضائية.

8 ـ منح المغترب:

ـ حق استرداد الجنسية.

ـ حق المشاركة في الحياة السياسية (حق الانتخاب).

9 ـ تفعيل دور المؤتمرات والاجتماعات الاغترابية وجعلها متخصصة بشؤون اقتصادية ومالية واجتماعية ذات علاقة مباشرة بالمغتربين بالدول المضيفة لهم ولبنان.

10 ـ تعليم اللغة العربية في المدارس الاغترابية فاللغة تحمل مخزن الحضارة والثقافة والاطلاع عليها يساعد المغتربين على المحافظة على هوياتهم الحضارية ويعزز انتماءهم إلى الوطن الأم.

11 ـ إرساء قواعد الشراكة بين لبنان ومغتربينها وذلك بتشجيع المغتربين على الاستثمارفي لبنان وذلك:

ـ عبر اطلاعهم بشكل دوري على المشاريع الاعمارية والانمائية ومشاريع البنى التحتية المنوي إنشاؤها في لبنان ولا سيما المشاريع المقدمة إلى مؤتمر CEDERE.

ـ إطلاعهم على الحوافز الاستثمارية القانونية ـ الضريبية- الإدارية والضمانات المعطاة للمستثمرين ـ قوانين الشراكة بين القطاع العام والخاص.

ـ إطلاعهم على المؤسسات اللبنانية التي تعنى بشؤؤن تشجيع الاستثمارات في لبنان.

ان ما تقدم يبقى مرهونا بان تبادر السلطة في لبنان إلى اعتماد حكم القانون والمؤسسات ومحاربة الفساد لإعادة الثقة بالدولة وبالسلطة-من قبل المواطن المقيم والمواطن المغترب ولا يكون ذلك إلا:

ـ تعزيز الديمقراطية وإقامة الدولة المدنية.

ـ الالتزلم بأحكام الدستور والقانون.

ـ التزام مبادئ الشفافية والمحاسبة والمسالة تجاه المسؤول قبل المواطن.

ـ حماية المواطن من سوء استعمال السلطة.

ـ حماية المال العام من الهدر والسرقة.

ـ تحسين الخدمات العامة .

البعد الاستراتيجي للاغتراب اللبناني

البعد الاستراتيجي للاغتراب اللبناني يتكون من:

1 ـ البعد الاقتصادي :

ويتثمل بالتحويلات المالية ودعم الأسر اللبنانية المقيمة في لبنان والتي تعتمد على ما يرسله المغتربون من أموال ومساعدات مادية إلى وطنهم.

ـ المساهمة في الإعمار والتنمية عبر استثمارات واسعة في مجالات عديدة وخاصة في مجال البناء والصناعة والتجارة والسياحة.

ـ تقديم العون لأهلهم عبر دعمهم ماديًا مما ساعدهم على إنشاء مشاريع مكنتهم من تأمين موارد ورزقهم وحثهم على البقاء والصمود في قراهم وأرضهم.

إلا أن المغترب اللبناني يعيش أيضًا الهاجس الاقتصادي فهو يسعى من خلال الاغتراب الحصول على دخل يمكنه وأفراد أسرته من العيش بطريقة كريمة وهادئة لكن البعض يوفق فيما يسعى إليه أما البعض الآخر فيعاني ضيق العيش والوجود داخل بلاد لا تؤمن له ما قد هاجر من أجله، بسبب الأزمة الاقتصادية العالمية وازدياد البطالة وغيرها في الدول المستقلة.

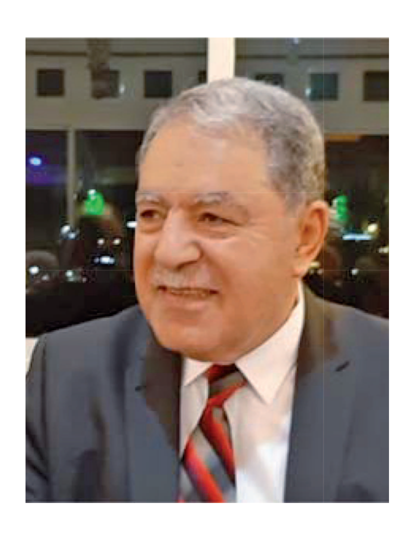
2 ـ البعد السياسي

يتمثل في الدعم السياسي للقضايا اللبنانية في دول الاغتراب وفي بعض المحافل الدولية ويأتي هذا الدعم من خلال نشاطات التجمعات الاغترابية ورجال الأعمال والسياسة اللبنانيين ممن نجحوا في الوصول إلى عالم السياسة والأعمال في بلدان الاغتراب هذه التجمعات والشخصيات تشكل نوعًا من مجموعات الضغط تؤثر في علاقات تلك البلدان وسياستها تجاه لبنان.

مفاعيل الهجرة وآثارها الاجتماعية

(نموذج دول الخليج العربي والتركيز على دولة الكويت):

رئيس هيئة تكريم العطاء المميز: د. كاظم نور الدين



- حائز على دكتوراه في العلوم الاجتماعية من الجامعة اليسوعية (جامعة القديس يوسف).
- أستاذ جامعي، ومدير سابق لمعهد العلوم الاجتماعية الفرع الخامس.
- أستاذ حالي في جامعة الجنان فرع صيدا.
- رئيس تجمع خريجي العلوم الاجتماعية.
- رئيس هيئة تكريم العطاء المميز.
- عضو في الجمعية اللبنانية، وكذلك الجمعية العربية لعلم الاجتماع.
- له مؤلفات عديدة في العلوم الاجتماعية والتربوية، والدراسات الميدانية.
- نظّم عدد من المؤتمرات في صيدا والنبطية (8 مؤتمرات).
- شارك كباحث في عدة مؤتمرات داخل لبنان وخارجه.

تمهيد

حظيت الجاليات اللبنانية في دول الخليج العربي بعناية واهتمام من قبل القيادات، وأصحاب القرار في هذه الدول، نظرًا لما تمثله من حجم اقتصادي واجتماعي كبيرين. وقد تضاعف هذا الإهتمام مع الهزات التي تعرضت لها وقت الأزمات السياسية والأمنية الكبرى.

اللبنانيون العاملون في هذه الدول يمثلون حوالي 35٪ من مجمل الأيدي العاملة اللبنانية، حيث بات يتراوح عددهم بين 500 إلى 600 ألف عامل يتوزعون على دول الخليج العربي كما يلي:

الدولة	العدد
السعودية	300000
الامارات	120000
الكويت	50000
قطر	30000
البحرين وسلطنة عمان	90000

تحويلات اللبنانين من دول الخليج العربي تمثل كتلة نقدية ذات قيمة شرائية، تقارب القدرة الشرائية الداخلية، وتساهم في الحفاظ على المستوى المعيشي اللائق لأسر المهاجرين، وتشير الإحصاءات إلى أن اللبنانيين المتواجدين في هذه الدول يرفدون الاقتصاد اللبناني بحوالي 5 مليار دولار سنويًا.

المصالح الاقتصادية القائمة مع الدول الخليجية ساهمت في جعل العقلانية في

التعامل معها هي السائدة، وتقوم على الحرص المتبادل بين الأطراف في تبني الحياد في الصراعات القائمة في المنطقة.

تجدر الإشارة إلى أنه في إطار الحديث عن الواقع الاقتصادي والعلاقات الاقتصادية بين لبنان وهذه الدول، نسعى إلى التركيز على القطاع السياحي الذي ينال حصة كبيرة من المداخيل المالية التي تؤثر في دورة الاقتصاد اللبناني حيث تشكل السياحة الخليجية نحو 35٪ من إجمالي السياحة في لبنان والنسبة الأكبر من السعوديين والكويتيين، وقد تطلب ذلك بقاء لبنان على موقف الحياد كما أسلفت سابقًا.

أولاً: الهجرة إلى دولة الامارات العربية

يبلغ عدد الشعب اللبناني في دولة الإمارات العربية المتحدة أكثر من 80,000 نسمة، وتشير تقديرات أخرى أن مجموعهم يقترب من نحو 156,000 لبناني في الإمارات. ويشكل اللبنانيون واحدًا من أكبر تجمعات غير المواطنين العرب في هذه الدولة.

إختار عدد كبير من الطلاب اللبنانيين الذين يبحثون عن فرص تعليمية ومهنية للامارات في ضوء مؤسساتها ذات السمعة الطيبة نسبيًا في منطقة الشرق الأوسط وهي الحالة التي تنطبق في الغالب على المولودين في الإمارات العربية المتحدة.

يميل الشعب اللبناني إلى الإنتشار في مختلف إمارات الدولة مع وجود مناطق عالية التركيز مثل دبي وأبو ظبي والشارقة.

تاريخ الهجرة

بدأت الهجرة المبكرة للشعب اللبناني إلى الإمارات خلال الحرب الأهلية اللبنانية (1975-1990) والتي أدت إلى تدفق عدد كبير من اللبنانيين على نقل أعمالهم إلى دبي والشارقة وأبو ظبي، واستمروا في ذلك خلال التسعينيات والاضطرابات المدنية المستمرة في لبنان بسبب الحرب الأهلية السورية 2011.

غالبية المغتربين اللبنانيين الذين فروا خلال الحرب الأهلية اللبنانية إلى الإمارات العربية المتحدة هم من المتعلمين تعليماً عاليًا ويجيدون اللغتين الفرنسية والإنجليزية والأثرياء، وكذلك يشاركون في الأعمال التجارية والإعلام وكجراحي تجميل ورجال أعمال وفنانين ومقدمي أخبار.

ثانيًا: الهجرة إلى المملكة العربية السعودية

تبدّلت الصورة الاقتصادية لدول الخليج مع بدء استخراج النفط، وتحوُّل هذه الدول المتواضعة اقتصاديًا إلى رقم مالي صعب على الصعيد العالمي. وشكّلت الأسواق البكر لتلك البلدان مقصدًا رئيسًا للمستثمرين اللبنانيين، الذين إحترفوا الأعمال التجارية والصناعية على طول حوض المتوسط، وباتجاه العمق العربي.

"وصلنا قبل أجهزة التكييف"، يقول نجل أحد المستثمرين اللبنانيين الأوائل الذين حطوا في السعودية في أوائل ستينيات القرن الماضي. رافق الرجل صديقين تحوّل أحدهما إلى رئيس حكومة في لبنان بعدها بعقود، وأسسوا مجموعة شركات تجارية وعقارية وصناعية في العاصمة الرياض. كما استثمروا في شركة "أرامكو" النفطية قبل أن تدفع الغربة بأحدهم للعودة إلى لبنان.

لا يشكّل رئيس الوزراء الأسبق وشقيقه استثناء، إذ ساهمت الأعمال التجارية والعقارية والصناعية في المملكة بصناعة العديد من الشخصيات السياسية التي جمعت بين الثقل المالي وثقل العلاقات السياسية مع أركان الحكم في الرياض. ومن لم تصنعه العلاقات السياسية المباشرة مع السعوديين، دخل إلى الحقل العام في لبنان من بوابة الأرباح المحققة في دول الخليج. تنافس رجال الأعمال اللبنانيون على بناء شبكة علاقات واسعة في المملكة لتسهيل تلزيمهم بالمشاريع العمرانية الكبيرة التي شهدتها المملكة.

ومن أبرز الشخصيات التي أسست أعمالها في المملكة وانتقلت إلى الشأن العام في لبنان: رئيس الوزراء الراحل رفيق الحريري، ورئيس مجلس الوزراء الأسبق نجيب ميقاتي، والعشرات من رجال السياسة والأعمال والإعلام اليوم في لبنان، ممن يقودون تيارات سياسية مختلفة، منها ما هو محسوب على السعودية، ومنها الآخر ما هو مناهض للسياسات السعودية. كما يملك عدد من النواب الحاليين في لبنان مؤسسات تعمل في مجال البناء في المملكة، ويلتزمون مشاريع بناء قواعد عسكرية وثكنات للجيش السعودي في مختلف مناطقها، إلى جانب المشاريع ذات الطابع المدني، كمترو الرياض.

الجالية اللبنانية في السعودية

تتفاوت التقديرات حول عدد اللبنانيين العاملين في السعودية بين 230 ألفًا و350 ألفًا، بينهم آلاف المستثمرين الذين يملكون مئات المؤسسات والشركات.

هذا ويُحوّل اللبنانيون العاملون في الخارج حوالي 4,5 مليارات دولار أميركي سنويًا، يساهم العاملون في دول الخليج وحدهم بأكثر من نصفها. وهذا عامل ثقة بالاقتصاد اللبناني ليس بسبب القيمة السوقية المباشرة، وإنما بالمساهمة في زيادة الاحتياط المحلي من الدولار. وأي تهديد لهذه التحويلات من خلال المزيد من عمليات الإبعاد الجماعي، من شأنه أن يضر بالاقتصاد اللبناني المُترنح.

في عام 1985م انتقلت سفارة لبنان في المملكة العربية السعودية من مركزها في جدة إلى العاصمة الرياض، بعد أن تم استئجار مبنى لها مؤلف من طابقين في شارع العليا، لكن الجالية اللبنانية في المملكة العربية السعودية كانت دائمًا تطمح إلى تشييد سفارة للبنان تليق بهم وبوطنهم الأم، ومن هذا المنطلق، فبعد أن اشترت الدولة اللبنانية قطعة أرض في حي السفارات، أُجريت حملة تبرع، ووضع حجر الأساس لإعمار هذه السفارة في 1999/11/22، وقد شكل السفير حمدان في تلك الفترة لجنة برئاسته ضمت عددًا من أبناء الجالية اللبنانية لجمع التبرعات التي أسهم بها شريحة واسعة منهم لتأمين السيولة اللازمة لإنجاز هذا المشروع دون تحميل الخزانة اللبنانية أي نفقات،

تم افتتاح السفارة في الثالث من تشرين الثاني (نوفمبر) من عام 2001، وذلك في احتفال حاشد حضره أبناء الجالية الذين غصت بهم هذه البعثة.

تعد السفارة اللبنانية في الرياض أحد أجمل المباني في حي السفارات، فهي نموذج معماري فريد يبرز فيها فن العمارة اللبنانية الأصيل، وهي تشمل مكاتب البعثة ودار سكن السفير وتقع على مساحة تقدر بخمسة آلاف متر مربع.

ثالثًا: الهجرة إلى دولة قطر

احتضنت قطر منذ أربعينيات القرن الماضي، جالية لبنانية، عملت في مواقع عدة، وفي قطاعات مختلفة، ساهمت في النهضة الاقتصادية القطرية،

وقد جاءت هجرة اللبنانيين على أربع مراحل:

ـ المرحلة الأولى بعد الفورة النفطيّة في السبعينيّات من القرن الماضي، حيث كان عدد اللبنانيين لا يتجاوز المائة.

ـ المرحلة الثانية، عند تسلّم الأمير حمد الحكم في العام 1995 وتشجيعه لعمل اللبنانيين في قطر والإستفادة من خُبراتهم حيث تجاوز عددهم في هذه المرحلة العشرة آلاف.

ـ المرحلة الثالثة: بدأت أعداد اللبنانيين تتضاعف مع ازدياد الدور القطري الاقتصادي والسياسي في لبنان، فوصل العدد إلى 30 أو 40 ألفًا.

ـ المرحلة الرابعة: أسست حرب تمّوز 2006 لمرحلة هجرة لبنانية جديدة، بحيث بات عدد المهاجرين اليوم حوالي خمسين ألفًا، بحسب ما تفيد بعض التقديرات الإحصائية.

في الواقع، اتّسمت المراحل الثلاث الّتي قطعتها هجرة اللبنانيين إلى قطر بالفرديّة، فالمرحلة الأولى كان أبرز الوافدين فيها رجال الأعمال بغية اكتشاف المنطقة بعد التّطوّر فيها، وهم يعتبرون من الرعيل الأول للمغترب اللبناني إلى قطر.

أما المرحلة الثانية، بدأت مع هجرة المختصين في كافة العلوم فهاجر المهندسون ورجال الأعمال في مجال العقارات والمشاريع. وبخصوص المرحلة الثّالثة فإنها حملت النّسبة الأكبر من اللبنانيين بسبب الأوضاع الدّاخليّة من جهة والسياسة القطريّة التي فتحت لهم باب الهجرة من جهة ثانية، واستوعبت قطر في هذه المرحلة أكبر نسبة من الوافدين، للعمل في مختلف القطاعات لا سيّما البناء، الإعلام والتّعليم.

الجالية اللبنانية في قطر

بحسب تقدير السفير اللبناني في قطر حسن سعد فان العدد ناهز الـ (50,000) نسمة في عام 2009.

وفي مقارنة عدد أفراد الجالية اللبنانية حاليًا مع عددها سابقًا، لفتت بعض الاحصاءات إلى أن عدد اللبنانيين في قطر كان لا يتعدى الـ 3 آلاف عام 2001، أما في عام 2009 فأصبح العدد يزيد عن الـ50 ألفا، ما يعني وجود زيادة مطردة لأعداد المهاجرين اللبنانيين إلى قطر خلال الأعوام (2001 ـ 2009).

الوضع الاقتصادي والاجتماعي للجالية اللبنانية في قطر:

ساهم اللبنانيون مؤسسات وأفرادًا في النهضة التي شهدتها قطر، وكثفوا استثماراتهم ونشاطاتهم في مختلف القطاعات، ولم تقتصر أعمالهم على المبادلات والوساطات التجارية، بل تعدتها إلى المشاريع والأعمال الطويلة الأمد.

يعمل أغلب اللبنانّيين في قطر في قطاعات البناء والهندسة والحرف المتقدّمة والمقاولات، والمحاماة والطب والإدارة.

منذ أربعينات القرن الماضي، بدأ اللبنانيون تأسيس الشركات في قطر في القطاعات كافة، ففي العام 1941 تأسست في قطر أول شركتين لبنانيتين للتعهدات هما، شركة الكات (cat) لأصحابها أميل البستاني وعبد الله خوري وشكري شماس، وشركة اتحاد المقاولين لأصحابها كامل عبد الرحمن وحسيب صباغ وسعيد خوري.

تشجيع الحكومة القطرية للبنانيين في الاستثمار والسماح لهم بالمشاركة في تطوير الاقتصاد الوطني القطري، دفعهم ليشكلوا فعاليات مؤثرة في كل القطاعات الاقتصادية، المالية، الإعلامية، والفنية. وقد حققوا انجازات كبيرة في العالم، ندر مثيلها، وعملوا في مواقع عدة، وحملوا الأمانة بمهنية عالية مشهود لها، في كل القطاعات.

عوامل نجاح اللبنانيين في قطر: هنالك ثلاث عوامل مكنت العامل اللبناني من النجاح:

الأوّل: رعاية الشريك القطري لمصالح المكفول لديه.

الثاني: توفّر الرأسمال الكبير.

الثالث: خرق اللبناني للوبي الهندي الّذي يسيطر على الحياة الصناعيّة في قطر بشكل عام.

المجالات التي يعمل البنانييون أو يستثمروا فيها بحسب نص القانون 13 الصادر عام 2000 والذي يعطي حوافز للاستثمار تمثلت في خمسة حقول: الزراعة، السياحة، الصحة، التربية، وبعض الحقول الصناعية. وفي ما يتعلق باستعمال المواد الطبيعية المستخرجة من البلد لتشكيل صناعة توفيرية.

اللبنانيون المغتربون في قطر عملوا في أكثر من مجال، حتى طالت أعمالهم جميع الأصعدة الاقتصادية ومجالاتها كافة، ومن هذه المجالات مجال الأغذية، والهندسة الاستشارية، السياحة والآثار...

وأبدع اللبنانيون في مجال التكنولوجيا والتقنيات وفي القطاع التجاري.

لم يقف اللبنانيون في قطر عند حدود المشاركة والمساهمة في عالم التصنيع والتجارة فقط، بل قاموا بالمساهمة في عالم الإبداع والاختراع.

وفي مجال الأطعمة اللبنانية، حيث تنتشرالمطاعم اللبنانيّة في المجمّعات التّجاريّة وفي أفخم الفنادق والأحياء الفخمة في قطر.

مؤسسات وجمعيات تابعة للجالية اللبنانية في قطر:

إن أولى ثمار عمل الجالية اللبنانية في الدوحة كانت لجنة الصداقة اللبنانية ـ القطرية التي يترأسها وزير الطاقة والصناعة والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء عبد الله بن حمد العطية، والذي اعتبر أن المدرسة اللبنانية كانت من أهم انجازات اللجنة بالإضافة إلى مجلس الجالية اللبنانية الذي عمل على مدى ستة أعوام على دعم المدرسة اللبنانية والمساهمة في تنظيم الاحتفالات الوطنية اللبنانية، ورعاية التواصل مع لبنان عبر دعوة الوفود الرسمية اللبنانية لزيارة دولة قطر وتقديم المساعدات الإنسانية والاجتماعية.

تأسس الإتّحاد اللبناني في قطر، سنة 2006، وهو يهتم بتعريف اللبنانيين بعضهم ببعض، وحماية مصالحهم والاستفادة من خبراتهم وعلاقاتهم وخلق نشاطات للجالية بإشراف السفارة اللبنانيّة وموافقة من الدّولة القطريّة.

يضمّ الإتّحاد لجنة تأسيسيّة تتألّف من 12 عضوًا ينتمون إلى مختلف القطاعات المنتجة، كالقطاعات المصرفيّة والعقاريّة والتّجاريّة والإعلامية والعلاقات العامّة؟

المدرسة اللبنانية في قطر:

يعود تاريخ إنشاء المدرسة اللبنانية إلى العام 1975 بعدما تعذر على الجالية اللبنانية تعليم أولادها في لبنان. بسبب الحرب، من هنا ولدت الفكرة لإنشاء المدرسة، رغم أن الإمكانات كانت ضئيلة، بغية تعليم أبناء الجالية البرامج اللبنانية.

في السابق كان المبنى عبارة عن فيلا صغيرة بدأت تكبر تدريجًا إلى أن باتت تضم اليوم 1413 تلميذًا. صفوفهامن الحضانة حتى البكالوريا.

أما مشروع مبنى المدرسة اللبنانية فيقوم على مساحة ثلاثة آلاف متر مربع برعاية السفارة اللبنانية ممثلة بالسفير، وبمساهمة مالية من حكومة قطر عبر مبادرة أمير دولة قطر الذي منح الجالية اللبنانية قطعة أرض بمساحة 25 ألف متر مربع، وتكفل من ماله الخاص ببناء المدرسة.

وعن تواصل المدرسة مع البلد الأم، فتعتبر المدرسة اللبنانية في قطر مدرسة

لبنانيّة خاصّة خارج الحدود، بحيث أن نتائج التلاميذ ترسل دوريًا إلى لبنان مع الإطلاع الدائم على مناهج اللغة الإنكليزيّة والعلوم الطبيعيّة والرياضيات.

العلاقة بين اللبنانيين واندماجهم في المجتمع القطري:

تؤدي السفارة اللبنانية في قطر دورًا مهما في جمع الجالية، التي يلتقي أفرادها دائمًا في المناسبات. وبشكل عام يشغل اللبنانيون مراكز مهمة جدًا، ونادرًا ما تراهم عمالاً عاديين، والسلطات القطرية تفتح أبوابها لاستقبال الشباب المتخرج والخبرات اللبنانية.

الجالية اللبنانية فعالة لأن اللبناني منخرط في المجتمع القطري بقوة. بالنسبة لاندماج اللبناني في المجتمع القطري فهو على قدم وساق لكن من دون زواج إلا عند عدد قليل جدًا، لأن القانون القطري لا يسمح بالزواج ممن ليس قطريًا، وهذا القانون يطبق على الرجال، كما أن الجنسية القطرية لا تعطى للمغتربين اللبنانيين، لان شروطها قاسية.

مشاكل الجالية اللبنانية في قطر:

حياة اللبناني في قطر وبالرغم من النجاح والاستقرار لا تخلو من مصاعب وعثرات، فالأزمة الاقتصادية العالمية وعلى الرغم من أن قطر وحتى اليوم هي من أقل بلدان الخليج تأثرا بها، إلا أنها أرخت بظلالها على بعض القطاعات لا سيما العقارات، فالقيمة التأجيرية ارتفعت إلى الضعف وباتت إيجارات الشقق والفيلات غالية الثمن لا يستطيع إلا ذوي الدخل المرتفع تحملها، في مقابل ندرة الشقق المتوفرة للتأجير.

هذا ما يتحمله اللبناني أكثر من غيره لأنه في قطر مع عائلته، ولا يستطيع أن يعيش مع أحد، كما يحدث مع بعض الجنسيات الأخرى ومنها الآسيوية كالهنود والفيليبينيين وغيرهم، ما دفع بعض الموظفين اللبنانيين إلى إرسال عائلاتهم إلى لبنان والبقاء بمفردهم في قطر.

وفي القطاع الصناعي، استطاع اللبناني إثبات وجوده، رغم المنافسة الكبرى من بعض الصناعيين "اللوبي الهندي" الذي بعدده الكبير وسيطرته على بعض الموارد والوكالات، وقدرة تحمله للطقس الصحراوي، ورخص اليد العاملة فيه، يشكل منافسًا كبيرًا وحقيقيًا للصناعي اللبناني.

وتكمن مشاكل الجالية اللبنانيّة في قطر أيضًا في الزيادة المتسارعة لعدد اللبنانيين مع عدم مواكبة تخطيطية لهذا التزايد والتنسيق لحضور لبناني أكثر فاعلية.

رابعًا: الهجرة إلى دولة البحرين

ترتبط مملكة البحرين والجمهورية اللبنانية بعلاقات تاريخية قديمة، تعود إلى ثلاثينات القرن الماضي، وقد ازدادت كثافة الهجرة مع اتساع نمو الصناعة النفطية في سنوات الستينات، وخصوصًا بعد عام 1975، بسبب اندلاع الحرب في لبنان، وكذلك بسبب تعاظم الريع النفطي بعد عام 1973.

وتميزت الهجرة التي حصلت في الستينات وأوائل السبعينات، بازدياد ملحوظ في نسبة العمالة الماهرة وذوي المؤهلات العلمية والثقافية العالية، خلافًا لما كانت عليه في المرحلتين الرئيسيتين الأولى والثانية من هجرة اللبنانيين.

وتواصلت آلية انتقال العمالة اللبنانية إلى البلدان الخليجية ومنها البحرين وإن بمعدلات أدنى من ذي قبل مع حصول "صدمة" الأسعار النفطية الثانية عام 1979. وقد شكلت هذه "الفورة" البترولية على امتداد النصف الثاني من السبعينات عاملاً أساسيًا في ازدياد موجات الهجرة اللبنانية إلى البحرين.

ومهد النجاح النسبي الذي حققه المهاجرون الأوائل إلى البحرين في الخمسينات ثم في الستينات، أمام تهيئة وتوسيع قنوات استدراج موجات الهجرة اللاحقة من لبنان في اتجاه البحرين خلال السبعينات. وعلى رغم أن متوسط دخل الفرد في لبنان، على امتداد تلك العهود، كان يزيد بنسبة ملحوظة عما هو عليه في سائر البلدان العربية غير المنتجة للنفط، إلا أن الحوافز التي أتاحتها فرص العمل الجديدة في البحرين خلال السبعينات كانت من الضخامة إلى درجة أن أعدادًا كبيرة من اللبنانيين لم تتردد قط في التجاوب مع هذه الفرص، يساعدها في ذلك ميل متأصل نحو المغامرة واكتشاف المجهول وتمرس الإقدام على المخاطرة.

الجالية اللبنانية في البحرين

لا تتوفر أرقام دقيقة حول عدد أبناء الجالية اللبنانية في البحرين، فالإحصاءات المتوافرة في الغرفة التجارية تعتمد على تلك التي توفرها هيئة تنظيم سوق العمل، وهي للأسف غير دقيقة وغير تفصيلية، حيث تكتفي بحصر العدد الإجمالي لكل الجاليات. يبقى أن نلفت إلى أن بعض الدراسات الاحصائية أشارت إلى أنه بلغ عدد اللبنانيين في البحرين عام 1975 حوالي الالف مغتربًا.

أهم العائلات:

جعفر، حمودي، خنافر، الأمين، سلمان، عبود، زراقط، شريم، فرج، قعفراني، غانم، النمر،

القرى التي يتحدرون منها:

صيدا، طرابلس، شقراء، عيناتا، بنت جبيل، حولا، مجدل سلم، بيروت، برج البراجنة، النبطية، الخيام، البابلية، تبنين.

الوضع الاقتصادي والاجتماعي:

اقترنت زيادة الطلب على العمالة في مملكة البحرين بتحسن ملحوظ في حجم ومدى الحوافز الاقتصادية المتاحة للعاملين الوافدين، وفي المداخيل التي يتوقون تحقيقها في بلدان الاستقبال، بالمقارنة مع ما كانوا يحققونه من مداخيل في بلدانهم الأم.

وقد تركزت العمالة اللبنانية الوافدة في قطاع الإنشاءات، يليه قطاع الخدمات، فالتجارة والمال، واستأثر قطاع الإنشاءات بـ 35,2٪ من مجموع العمالة الوافدة، يليه قطاع الخدمات 28,6٪، فقطاع التجارة والمال 13,8٪، ويشكل اللبنانيون ما نسبته 6,2٪ من العمالة العربية في البحرين.

وعلى صعيد التفاعل الاجتماعي بين اللبنانيين والبحرينيين فقد بقي في مستوى رسمي، ولم يمتد إلى المستويات غير الرسمية، فالعمال المحليون والعمال الوافدون يتفاعلون في المؤسسات الرسمية، مثل المنظمات الحكومية والمشروعات الصناعية والتجارية، حيث يتم التفاعل في الجامعات والمؤسسات التعليمية الأخرى، فيجلسون في الصف الدراسي نفسه، ويستخدمون المكتبات والملاعب نفسها، بالإضافة إلى ذلك، فإنهم يتقابلون وجهًا لوجه في التعاونيات الاستهلاكية، أو في الأسواق في وسط المدينة، أو في المناطق التجارية، أو في البنوك، ولكن ما إن تنقضي ساعات العمل، فإنه يندر، إن لم ينعدم حدوث أي تفاعل اجتماعي.

هذا، وأسس اللبنانيون في البحرين النادي اللبناني الذي حصل على ترخيص من وزارة العمل لمزاولة نشاطه وبرامجه بصفة رسمية، كما قامت بتسجيله في سجل قيد الجمعيات والأندية الاجتماعية والثقافية الخاضعة لإشرافها. ويهدف

النادي اللبناني إلى تعزيز الروابط الأخوية والعلاقات الاجتماعية بين الجالية اللبنانية والمقيمة وشعب مملكة البحرين، ولمّ شمل الجالية اللبنانية لبث روح التواصل بينهم، وتشجيع اللبناني على الانسجام والتفاعل مع المجتمع البحريني، إضافة إلى تحفيز التواصل بين أعضاء النادي. ويسعى النادي لتحقيق أهدافه من خلال بعض الوسائل منها، عقد اللقاءات والاجتماعات وإقامة الندوات الثقافية والعلمية المختلفة، إقامة النشاطات الاجتماعية والرياضية، وإقامة الافطارات الدورية. ويحتفل المغتربون اللبنانيون في البحرين كل عام باليوم العالمي للمغترب اللبناني، بحضور حشد كبير من اللبنانيين المقيمين في البحرين.

خامسًا: الهجرة اللبنانية إلى دولة الكويت:

حول تحديد وصول اول لبناني إلى دولة الكويت اختلفت المصادر ومنها:

* ذكر الدكتور خليل أرزوني في كتابه "الهجرة اللبنانية إلى الكويت: أن أول لبناني وصل إلى دولة الكويت هو منيب الشلبي (1915).
* أشار فاضل سعيد عقل إلى أن أول مهاجر لبناني إلى الكويت هو جان غبريال ضو (1952)، ولكن الدراسات تشير إلى أن العلاقات بين الشعبين اللبناني والكويتي تعود إلى العشرينات من القرن الماضي.

أظهرت احصاءات الإدارة العامة للجوازات الكويتية، والهيئة العامة للمعلومات المدنية والقوى العاملة احصاء اللبنانيين المهاجرين حسب بيانات الجدول التالي:

السنة	المجموع
1957	6826
1965	20877
1970	25387
1985	47987
2014	53000
حاليًا	قارب الـ 60000

توثقت العلاقة بين الشعبين، من خلال الزواج والمصاهرة الذي اظهرته عقود الزواج الخاصة بزواج كويتيين من لبنانيات، وزواج اللبنانيين من كويتيات خلال

الفترة الممتدة من 1980 إلى 2011، والذي تم الحصول عليه من وزارة العدل الكويتية وتوزع على الشكل التالي :

السنة	الزوج كويتي والزوجة لبنانية	الزوج لبناني والزوجة كويتية
1980	14	6
1981	22	5
1982	21	7
1983	23	7
1984	34	4
1985	22	6
1986	31	2
1987	25	4
1988	40	5
1989	30	7
1990	25	2
1991	32	5
1992	44	9
1993	57	11
1994	70	4
1995	54	12
1996	53	5
1997	58	8
1998	52	11
1999	39	11
2000	41	17

2001	49	14
2002	49	16
2003	54	17
2004	53	10
2005	41	11
2006	59	19
2007	57	23
2008	54	8
2009	55	11
2010	45	15
2011	4	2

يسجل الدكتور خليل ارزوني في كتابه "الهجرة اللبنانية إلى الكويت" ان عقد العشرينات كان نقطة بداية التواصل بين الطرفين، فكان اللبناني مصطفى منيب الشلبي من مدينة طرابلس شمال لبنان اول مهاجر للعمل في الكويت عام 1915 أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث أنه غادر اندونيسيا مسقط رأسه في العام 1914، وتوقف في البصرة، ومنها غادر إلى الكويت للعمل فيها، وعرف باسم منيب السعدي، وكان يعمل آنذاك في تصليح الساعات... تتالت السبحة وارتفع عدد المهاجرين إلى هذه الدولة.

سكن اللبنانيون القدامى بدءًا من العام 1957" العشيش" أي الكوخ، ويرجع سكنهم إلى الضيق المادي الذي لم يسمح باستئجار منازل. وقد اختفت هذه الظاهرة في السبعينات.

بلغ عدد اللبنانيين عام 1950: 45 شخصًا

ارتفع عام 1961 إلى: 1600 شخصًا.

وصل عام 1980 إلى: 35000 شخصًا.

وارتفع عدد اللبنانيين القادمين إلى الكويت بل تضاعف بين الخمسينات

والستينات، وقد ساهم هؤلاء في إعمار الكويت مع تدفق الثروة النفطية التي دفعت إلى الحاجة إلى عمالة فنية في مختلف الميادين.

*** التمثيل الدبلواسي بين لبنان والكويت:**

بدأ التمثيل الدبلوماسي اللبناني مع دولة الكويت على مستوى قائم بالاعمال مع السيد حسيب العبدالله. وفي عام 1963 عيّن أول سفير للبنان في الكويت الأستاذ محمد صبرا وبدأت تنتظم شؤون اللبنانين المهاجرين هناك، وكذلك علاقتهم مع الدولة الام.

*** العلاقات بين البلدين:**

بين لبنان والكويت علاقة حب ومودة وأخوة، ويسعى الطرفان لعلاقات مميزة في جميع المجالات وخاصة تنمية العلاقات في مجال العمل باعتبار أن المشاريع المشتركة بين الكويتيين واللبنانيين، إن في لبنان أو الكويت كثيرة، وكذلك في الميدان الاجتماعي.

- **على الصعيد السياسي:** دعم متبادل، وتأييد حقوق البلدين في المحافل الدولية والدفاع عنها.
- **على الصعيد الاقتصادي والعمل:** الحركة بين البلدين في حالة نمو وازدهار دائمين، حيث أن الكويتيين اهتموا بالاستثمار في لبنان ولا سيما في القطاع العقاري. وبعد الحرب اللبنانية ساهم الصندوق الكويتي في تمويل مشاريع اعادة الاعمار عن طريق قروض ميسرة. كما ساهمت الحكومة الكويتية في اعمار جزء من ما خلفته الاعتداءات الإسرائيلية الغاشمة من دمار.

مارس اللبنانيون الأعمال الحرة، واحتل المهنيون المرتبة الأولى. كذلك ارتفع عدد المؤسسات التي انشأها اللبنانيون إلى 224 مؤسسة أو شركة من أهمها:

* شركة الاتحاد الوطني للتأمين 1951

* فندق الخليج 1951

وقام اللبنانيون بإنشاء شركات مختصة بتجارة المواد الغذائية:

* شركة البير أبيلا 1950 كانت تؤمن توفير الوجبات الغذائية لعدد من شركات الطيران العاملة في الكويت. كما أسسوا شركات مقاولات من أكبر الشركات على مستوى الشرق الأوسط.

* شركة " الكات" التي توسعت بحيث وصل عدد العاملين فيها إلى 17000 عامل.

- **على الصعيد الثقافي والتعليمي:** وجود عدد كبير من الطلاب الكويتيين يدرسون في جامعات لبنان كما أن عددًا من الطلاب اللبنانيين يدرسون في جامعة الكويت أو المعاهد التطبيقية فيها (مكان اقامة الاهل وعملهم).

في مجال التدريس: نشط اللبنانيون في إنشاء مدارس خاصة منذ الستينات وقد تميز العديد منها مثل:

* مدرسة الجميّل 1960
* مدرسة تريزيان 1962
* مدرسة العهد الجديد 1962
* المدرسة العالمية الاميريكية 1975

- **على الصعيد الاجتماعي:** العلاقة بين الشعبين اللبناني والكويتي من أنشط ما يكون سواء على الأرض اللبنانية أو الكويتية، فمعظم النشاطات التي يقوم بها مجلس أمناء الجالية اللبنانية تحت اشراف السفارة اللبنانية في الكويت يشارك فيها الكويتيون.

وفي مجال الطب: كان لأبناء الجالية اللبنانية مساهمات فعّالة في بناء البنى التحتية في القطاع الصحي، وخاصة في مرحلة الخمسينات.

- **على صعيد الإعلام:** دخلت الصحافة إلى السوق الكويتية في الستينات، وكان للصحافيين اللبنانين الأثر البارز في تطورها وازدهارها، وقد إستقطبت الصحافة الكويتية في السبعينات عددًا لا بأس به من الصحافيين اللبنانيين، وكذلك الكتاب اللبناني الذي عُرف بجودته وتميّزه، وساهم في نجاح معارض الكتاب في الكويت.

توزع الجالية اللبنانية في الكويت:

تنقسم الجالية اللبنانية في الكويت إلى 3 فئات:

- فئة العمال والمستخدمين.
- فئة أصحاب الحرف والتجارة والأعمال الخاصة.
- فئة أصحاب الاقتصاديات العلمية والمهنية.

تنخفض نسبة الذين عملوا في الوظائف الحكومية مقابل الذين يمارسون الأعمال الحرة بحكم ممارستهم لها في لبنان.

في الختام لا بد من كلمة حق تقال، فكما أحب الكويتيون لبنان واللبنانيين، أحب اللبنانيون الكويت والكويتيين، وأخلصوا لهذه الدولة التي احتضنت جالية لبنانية كبيرة تمثلت في مواقع عدة، وفي قطاعات مختلفة، كان شعارها الأساسي الكد والعمل للمساهمة في النهضة الاقتصادية للدولة المضيفة، فكان لها حضورها، وأخذ حجمها يتنامى وبدأت تشكل فعاليات مؤثرة في كل القطاعات الاقتصادية، التجارية، المالية، الثقافية، الإعلامية الفنية وساهم في ذلك اتفاقيات التعاون بين البلدين.

ملحق : إتفاقيات التعاون بين لبنان ودولة الكويت

الإتفاقية	السنة
إتفاق اعلامي	1972
إتفاق تعاون اقتصادي واستثمار رؤوس أموال	1975
إتفاق تعاون تجاري	1996
إتفاق ثقافي	1996
إتفاقية تجنب الإزدواج الضريبي	2002
إتفاق تعاون إعلامي	2010
مذكرة للتفاهم الصناعي	2010
إتفاقية للتعاون الاقتصادي والفني	2010
إتفاق بإنشاء لجنة مشتركة للتعاون الثنائي	2010
مذكرة تفاهم في مجال المعارض	2010
بروتوكول للتعاون في مجال جذب الاستثمار الأجنبي	2010
إتفاق التعاون التجاري	2013

مراجع

1 ـ حمزة عليان، العلاقات الكويتية اللبنانية (1962-2000) التشابه والقدر المشترك، مركز البحوث والدراسات الكويتية 2002

2 ـ حمزة عليان، الكويت ولبنان بين جغرافيتن، ثمن الموقف والتميز، مركز البحوث والدراسات الكويتية 2011

3 ـ حمزة عليان، قراءة في تاريخ العلاقات الكويتية- اللبنانية 2016

4 ـ خليل ارزوني، الهجرة اللبنانية إلى الكويت (1915 - 1990) بيروت 1994

أثر الهجرة اللبنانية على الاقتصاد الإفريقي

(أنموذج ابيدجان):

د. علي عبد اللَّه السيد



- مكان وتاريخ الولادة: عديسة ـ 1965/01/25.
- دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية والدبلوماسية.
- دبلوم مستشار في العلاقات الدبلوماسية الدولية (مركز القاهرة الإقليمي).
- دبلوم إدارة مستشفيات (جامعة القاهرة).

مقالات:

- من العولمة إلى القوة الناعمة.
- من سينزل ترامب عن الشجرة.
- روسيا والبراغماتية.
- الإمام موسى الصدر هبة الله للبنان (مقالة في جريدة النهار بتاريخ 31/08/2019).

إذا استثنينا الشعب الفلسطيني وذلك لأسباب نعرفها جميعًا، فإن لبنان يعتبر في مقدمة البلدان العربية التي يتواجد فيه ثلث مواطنيه بينما أكثر اللبنانيين منتشرون في أصقاع العالم والجهات الأربع مع العلم بأن عددًا لا بأس به منهم لم يحتفظوا بهويتهم الوطنية.

ـ الهجرة اللبنانية بين 1975 ـ 2000

لن أتطرق إلى الهجرة اللبنانية ومراحلها بشكل مفصل بل سأكتفي بإلقاء الضوء على الهجرة الحديثة فقط، فالكتابة عن الهجرة بعد العام 1975 هي الأكثر وضوحًا عن غيرها، لأنها الأحدث وذلك لوجود صحف ومؤرخين واكبوا هذه المرحلة.

فقد وصلت الهجرة اللبنانية إلى خمسين ألف نسمة سنويًا في الفترة بين 1975 ـ 1980[(1)]، ويشير أمير عبد الكريم إلى أن حجم المهاجرين اللبنانيين وصل إلى حوالي 900 ألف نسمة عام 1990، وهذا الرقم تعتمده أغلب الكتابات والدراسات، بينما تبين نتائج إدارة الإحصاء المركزي المستندة إلى إحصائيات الأمن العام اللبناني حول حركة المغادرين والقادمين عبر الحدود اللبنانية أن رصيد الهجرة اللبنانية منذ 1992 ولغاية بداية عام 2000 وصل إلى حوالي 1,032,000 شخصًا[(2)].

وهكذا، وحسب الأرقام الواردة سابقًا فإن حجم الهجرة الخارجية يصل إلى مليوني مهاجر على الأقل خلال الربع الأخير من القرن العشرين.

يقدر عدد اللبنانيين المقيمين بحوالي 5 ملايين نسمة ويقدر عدد اللبنانيين

(1) Amir Abedelkarim, la dispora libanaise en France, éd, Paris 1996, P:25.

(2) y, Courbage et ph. Fargues. La situation déotecmographiqfue au Liban, I.S.S. Université Libanaise, Beyrouth 1974, Tome, P:29.

والمتحدرين من أصولهم اللبنانية في بلدان الاغتراب بحوالي 15 مليون، واستنادًا إلى هذه النتيجة فإن حجم الإنتشار اللبناني في العالم يمثل على الأقل ضعفي مثيله من المقيمين على أرض الوطن.

ـ اللبنانيون في إفريقيا

يصعب وضع تاريخ محدد كنقطة بدء للهجرة اللبنانية إلى إفريقيا غير العربية، وتشير الدراسات إلى أن الهجرة إليها ظلت ضئيلة العدد ولم تأخذ في التزايد إلا منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر، إذ بدأ المهاجرون يقصدونها بالعشرات والمئات، وكانت المستعمرات الفرنسية في إفريقيا أولى محطات الهجرة اللبنانية إلى القارة، خصوصًا في المقاطعات الأربع التي أصبحت العام 1870 تتمتع بحقوق المواطنة وساعدت الاقتصاد المحلي على النمو بسرعة وهي مقاطعات سان لويس ودكار وغوري وروفسيك.

أما بالنسبة للمقاطعات الإنكليزية فلا يوجد سجلات موثوق بها عن المهاجرين الأوائل إلى مستعمراتها، حيث يرى البعض أن أول مهاجر لبناني إلى مناطق النفوذ البريطاني في إفريقيا كان منطقة (ساحل الذهب) غانا عام 1870.

لقد انطلق المهاجرون اللبنانيون من سواحل غرب إفريقيا التي استقبلت المهاجرين اللبنانيين الأوائل، الذين كانوا ينتقلون من بيروت إلى مرسيليا، ومنها إلى دكار ثم كوناكري وفريتاون، ومن ثم إلى لاغوس، وكانت الرحلة تستغرق نحو 40 يومًا[1].

ـ تطورات الهجرة إلى إفريقيا

على الرغم من التزايد التدريجي الذي عرفته الهجرة اللبنانية إلى إفريقيا منذ نهاية القرن التاسع عشر، فإن الأرقام بقيت متواضعة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ولكن الملاحظ في تلك الهجرة أنها لم تعد مقتصرة على الذكور البالغين فقط، بل شملت النساء والأطفال الأمر الذي يعكس نوعًا من اطمئنان المهاجرين إلى تلك المناطق التي هاجروا إليها. وقد اتجهت الهجرة في بداية الأمر إلى دول

(1) الجالية اللبنانية في ساحل العاج ـ 123 عامًا من الكفاح ـ جريدة السفير (السفير الاغترابي 2015/09/23 ـ ص: 21).

خاضعة للفرنسيين وهي: السنغال، غينيا، مالي، بنين، النيجر، وموريتانيا وكذلك إلى مستعمرتي غامبيا وسيراليون الإنكليزيتين وغينيا الإستوائية.

مع إندلاع الحرب في لبنان سنة 1975 عرفت إفريقيا الغربية هجرة لبنانية جديدة، وكانت وجهتها الأساسية ساحل العاج (التي سمح رئيسها في ذلك الوقت للبنانيين بالدخول إليها من دون تأشيرة دخول مسبقة بطلب من الجالية هناك) وبنسبة أقل إلى السنغال وسيراليون وليبيريا.

وبخلاف هجرات المراحل السابقة، التي كانت تشكل من مختلف الطوائف فإن هجرة ما بعد الحرب تشكلت بالأساس من الشيعة القادمين من جنوب لبنان تحديدًا والذين مثلوا 90٪ من مجموع المهاجرين اللبنانيين في تلك الحقبة والتي تُعد من أكثر الحقبات من حيث عدد المهاجرين الذين تضاعف، فأصبحت إفريقيا تحتل المكانة الثانية بعد البرازيل بالنسبة إلى المهاجرين اللبنانيين في العالم.

لقد مثلت إفريقيا إحدى الوجهات المفضلة للهجرة اللبنانية، وتمثل ساحل العاج، والسنغال، ونيجيريا أهم أقطاب الجاليات اللبنانية المقيمة في إفريقيا، بجانب آلاف اللبنانيين الآخرين المقيمين تقريبا في كل الدول الإفريقية، وتعيش الجاليات اللبنانية حياة يسودها الرخاء هناك، وهي أساسية ومنافسة لكثير من الجاليات الأخرى، إذ تبلغ قيمة الاستثمارات اللبنانية في إفريقيا نحو 45 مليار دولار تسبقها الصين بـ 75 مليار دولار أميركي.

يمارس معظم المواطنين اللبنانيين المتوزعين عبر القارة أنشطة تجارية، وفي السنغال التي تعود بداية الهجرة اللبنانية نحو هذا البلد إلى عام 1870م أنشأ اللبنانيون على مدار السنين أكثر من 65 ألف موطن عمل، وهناك مستوى اندماج كبير للبنانيين في السنغال، حيث يشكلون "الجيل الرابع من السنغاليين ذوي الأصول اللبنانية"، وهناك العديد من اللبنانيين اندمجوا بصورة كاملة في السنغال على غرار فيصل شرارة رئيس مجلس إدارة صندوق الضمان الاجتماعي السنغالي والذي ينحدر من أصول لبنانية، وكذلك ولأول مرة في تاريخ السنغال وإفريقيا الغربية يعيّن وزير للبيئة من أصل لبناني حيدر العلي من بلدة شقرا الجنوبية.

كما يتمركز الكثير من اللبنانيين كذلك في الدول المنتجة للألماس على غرار الكونغو الديمقراطية وسيراليون وغينيا الإستوائية وغينيا وإفريقيا الوسطى، ويتمتعون في هذه الدول بسجلات تجارية رسمية لشراء الألماس الذي يصدرونه

نحو بلدهم الأصلي لبنان، وعلى ضوء ذلك يمثل الألماس أكثر من 80 في المائة من الصادرات اللبنانية نحو بلجيكا.

لعبت الظروف الاقتصادية المهيأة في إفريقيا وفرص العمل المتوفرة دورًا في استقطاب عدد كبير من الجماعات اللبنانية إذ نجد أن بلاد إفريقيا تحتل المكانة الثانية بعد البرازيل بالنسبة للمهاجرين اللبنانيين في العالم قاطبة، وتجدر الإشارة إلى أن الغالبية العظمى من المهاجرين الأوائل من المسلمين إلى بلاد إفريقيا كانوا من الشيعة ومن منطقة جنوب لبنان بالذات، ولعب العاملان الاقتصادي والسياسي فيما بعد دورًا في هجرة المواطنين اللبنانيين إلى إفريقيا، فمنطقة الجنوب اللبناني التى يسكنها غالبية من الشيعة تفتقر إلى الموارد الطبيعية الكافية التى تساعد في سد حاجات الإنسان الاقتصادية، علاوة على أن الترتيبات الاستعمارية الفرنسية ساعدت أيضًا في خلق طبقات طائفية في لبنان مما جعل الغالبية الشيعية مجموعة اقتصادية وسياسية هامشية إلى وقت قريب.

ساعدت هذه العوامل مجتمعة على هجرة شيعة الجنوب اللبناني إلى الخارج، الأمر الذى تزايدت وتيرته مع احتلال إسرائيل للجنوب اللبناني وتنامي المقاومة المسلحة لهذا الإحتلال والتي قادها الفلسطينيون في البداية، ويمكن إيجاز الأسباب المؤدية للهجرة اللبنانية بصفة عامة، وإلى إفريقيا بصفة خاصة، في الفترة الزمنية الممتدة من نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وحتى اليوم في النقاط التالية:

1 ـ الوضع الاقتصادي المتردي الذي عرفه لبنان في مراحل عدة من تاريخه، وهذا الوضع انعكس سلبًا على الوضع المعيشي.

2 ـ الظروف السياسية التي عانى منها اللبنانيون وخاصة في خواتيم وبداية القرن العشرين.

3 ـ إنتشار الأمراض والأوبئة واستشراء المجاعة خلال الحرب العالمية الأولى.

4 ـ السعي وراء تحسين الوضع المعيشي للفرد والرغبة في الإرتقاء الاجتماعي.

5 ـ الأجور المغرية والفرص الجديدة التى عرضت على المهاجرين الأوائل والإغراءات المالية والوظيفية التي تعطى للكفاءات اللبنانية في الخارج وخاصة في البلدان العربية المصدرة للنفط.

6 ـ الحروب التي عصفت بلبنان وخاصة الحرب الأهلية التي استمرت لأكثر من

عقدين من الزمن وما رافقها من ظروف أثرت في الوضع الاقتصادي والمعيشي.

7 ـ ضآلة فرص العمل والتي وإن توفرت فإنها غالبًا ما تكون معروضة بأجور هي دون تطلعات أصحاب الكفاءات.

8 ـ تدني الرواتب بشكل عام وخاصة في القطاع العام.

9 ـ إزدياد عدد خريجي الجامعات بأكثر من فرص العمل المعروضة سنويًا مما يفرض أن يكون لبنان بلدًا مصدرًا للعقول.

10 ـ ورود أخبار النجاحات التي أصابها بعض المغتربين ورغبة بعض اللبنانيين المقيمين في حذو وسلوك درب الهجرة.

11 ـ وجود أقارب في بلد الاغتراب قد يسهل في اتخاذ قرار الهجرة نظرًا للدعم الذي يمكن أن يقدمه الأقارب عبر تحمل أعباء فترة التكيف في الإستقبال وعبر توفير المتطلبات الضرورية القانوية للهجرة.

ـ تحويلات اللبنانيين

لقد شكلت التحويلات المالية التي يرسلها الشباب المغترب إلى أهله في لبنان رافعة للاقتصاد الوطني، وهذه التحويلات وصلت نهاية العام 2010 إلى 8 مليارات و200 مليون دولار.

إن قيمة التحويلات الإجمالية تصل إلى 25٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وهذا رقم ضخم جدًا نسبة إلى حجم الاقتصاد اللبناني، وهذه التحويلات تساهم في زيادة الودائع في المصارف وفي شراء عقارات وأسهم وسندات واستثمارات[1].

وفي مقارنة بسيطة بين لبنان وسوريا، تشير تقديرات (البنك الدولي) إلى أن تحويلات المغتربين باتجاه سوريا من السوريين طبعًا وفي ظل الأزمة السورية عام 2016 وصلت لنحو مليار و620 مليون دولار ويُجمع محللون اقتصاديون سوريون أن الحوالات ساهمة أو أنقذت الحكومة السورية من الإنهيار خلال فترات معينة وهذا المبلغ لا يصل إلى 20٪ مما يرسله اللبنانيون إلى وطنهم !!!!

(1) ساحل العاج نموذجًا لكفاح اللبنانيين ـ إعداد: تريز منصور.

ـ توزيع الجاليات اللبنانية في القارة الإفريقية

تشير الدراسات المختلفة إلى أن عدد اللبنانيين في قارة إفريقيا (من دون الدول العربية) تصل إلى 392,000 ألف لبناني، بينما أرقام وزارة الخارجية تصل إلى 189,000 ألف. والحقيقة أن هناك كثير من المغالطات بين الرقمين فالدراسات الأكثر شفافية تشير إلى أن العدد 250,000 ألف هو الأقرب للمنطق والواقع والإحصاء السليم.

تضم القارة الإفريقية 54 دولة، وهي تشمل مناطق مناخية متعددة ويمر فيها خط الإستواء، مساحتها أكثر من ثلاثين مليون كيلو متر مربع، ويبلغ عدد سكانها مليار و300 مليون نسمة وعلى الرغم من وفرة الموارد الطبيعية إلا أن إفريقيا لا تزال هي الأكثر فقرًا وتخلفًا بين قارات العالم، وهناك الكثير من التحديات التي تواجه هذه الدول وكذلك الجاليات اللبنانية المنتشرة في معظم الدول الإفريقية.

ـ خارطة انتشار اللبنانيين في غرب إفريقيا

ليبيريا:

منذ وصول اللبنانيين إلى ليبيريا في العام 1895، وزعوا نشاطهم على مختلف القطاعات، في التجارة والصناعة والعمل الاجتماعي والتربية والبنى التحتية، فمنحهم أهالي البلاد ثقة كبيرة توجت بوصول أحد أفراد الجالية اللبنانية (موني قبطان) إلى منصب وزير الخارجية في العام 1997، ولقد تراجعت أعداد اللبنانيين حاليًا في ليبيريا بفعل الحرب الأهلية التي عصفت بالبلاد خلال التسعينيات، حيث تشير الإحصاءات إلى وصول عدد اللبنانيين إلى أقل من 1000 بعدما كانوا 15 ألفا في عام 1990.

نيجيريا:

في نيجيريا، تعيش الجالية اللبنانية التي تبلغ حوالي 30 ألفا منذ حوالي 120 عامًا. وقد اندمجت في المجتمع المحلي، فأخذت الكثير من عاداته وتقاليده حتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من التركيبة المحلية للبلاد. وبرز منها رجال أعمال كبار لعبوا دورًا أساسيًا في تحريك الاقتصاد المحلي بحيث أصبحوا عاملاً مساهمًا في التقدم الذي حققته نيجيريا إلى اليوم.

السنغال:

يبلغ عدد المغتربين اللبنانيين في السنغال حوالي 25 ألفًا، وهم يعملون حاليًا في صناعة الصابون والبلاستيك والحلويات. كما نجحوا في احتلال مراكز مهمة سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا في تلك البلاد، مثل النائب في البرلمان علي صالح، والجنرال في الجيش فائز برجي.

سيراليون:

هاجر اللبنانيون إلى سيراليون في عام 1890 حتى بلغ عددهم 25 ألفا في نهاية التسعينيات، قبل أن يقلوا إلى نحو 6 آلاف حاليًا، بسبب الأزمات في سيراليون، واستقطبت مناجم الماس أعدادًا كبيرة منهم، ويعتبر تاجر الماس المرحوم جميل سعيد اللبناني الأشهر في سيراليون.

غانا:

إستطاع اللبنانيون الذين قدموا إلى غانا في مطلع القرن الماضي، أن ينسجوا علاقات متينة مع الشعب الغاني، ويعتبر عددهم الذي يبلغ حوالي ستة آلاف متواضعًا بالقياس مع عدد اللبنانيين في الدول الإفريقية المجاورة.

ـ أنشطة المهاجرين اللبنانيين في إفريقيا[1]

تنوعت أنشطة اللبنانيين في إفريقيا، وقد تمثلت في عدة مجالات أساسية متتالية ومتوازية في أوقات كثيرة، ومنها:

1 ـ الوساطة وتجارة التجزئة: حيث عمل الكثير من المهاجرين الأوائل كوسطاء للقوى الإستعمارية تجاه الوطنيين حيث اتجهوا إلى المناطق الداخلية من القارة الإفريقية التي أحجم الأوروبيون عن الولوج إليها حيث كانوا يقومون بجمع المحاصيل والمنتجات الإفريقية لبيعها للأوروبيين، وكذلك بيع المنتجات الأوروبية إلى الأفارقة في المناطق الداخلية، وهو الأمر الذي جعل الكثيرين منهم يتخصصون في مجالات النقل وما يرتبط به من خدمات.

2 ـ تجارة الجملة وخدمات النقل والمواصلات: إمتد نشاط اللبنانيين إلى تجارة

---

(1) محمد خليفة صديق ـ كاتب سوراني - الجالية اللبنانية في إفريقيا ـ الواقع والدور- الرصد ـ صفحة إلكترونية (9- شباط ـ 2016).

الجملة وسيطروا عليها في العديد من دول القارة مع إرهاصات خروج المستعمرين واستقلال تلك البلاد، في ذات الوقت الذي اتسعت فيه أنشطتهم في مجالات الخدمات الفندقية، والأنشطة الترفيهية، وخدمات النقل والمواصلات، والإستيراد والتصدير، وشق الطرق والبناء التي لم تعد تقتصر على النقل البري أو الشحن البحري كما هو الحال في معظم الدول التي يوجد بها اللبنانيون، بل امتدت إلى النقل الجوي الداخلي، على نحو ما حدث في دولة الكونغو برازفيل، والخارجي على نحو ما تشهد خبرة شركة مصطفى الحاج في دولة بنين.

3 ـ التصنيع والوكالة: مثّل الاتجاه نحو التصنيع خيارًا أساسيًا للكثير من المهاجرين اللبنانيين في مرحلة ما بعد استقلال الدول الإفريقية بفعل اتجاه العديد من أبناء الدول الإفريقية إلى الأنشطة التي كانت مقصورة على اللبنانيين، وتنامي قدراتهم في تلك المجالات مع تشجيع حكوماتهم لهذا الاتجاه، وتعتبر مجالات الصناعات البلاستيكية، وصناعة الورق والأخشاب والحلوى، ومستلزمات البناء والدهانات، والمنسوجات والمفروشات، والصناعات الغذائية المختلفة، وصناعات الزيوت والصابون، وصناعة الأدوية، وتجميع السيارات وصناعة الهياكل المعدنية للشاحنات، وكذا استخراج الماس وتصديره خاصة إلى بلجيكا، وإلى جانب نشاط التصنيع استطاع البعض من المهاجرين الحصول على توكيلات بعض الشركات العالمية لا سيما في مجال السيارات والأجهزة الكهربائية، وعملوا كوكلاء وموزعين لهم في الدول الإفريقية.

4 ـ الخدمات الفنية والإستشارية والإتصالات: إرتبطت تلك النوعية من الأعمال بالتطورات سالفة البيان بشأن تركيبة المهاجرين اللبنانيين في المراحل الأخيرة للهجرة في نهايات القرن العشرين، حيث تخصص العديد من المهاجرين في تقديم الإستشارات الفنية في مجالات المعمار والصحة وبناء وتجهيز المستشفيات، والإتصالات وشبكات الإنترنت، والصرافة والأوراق المالية، ويُذكر في هذا المقام أن المهندسين اللبنانيين استطاعوا الحصول على مناقصة تصميم وبناء القصر الجمهوري في دولة غينيا الاستوائية، وكذا عدة مناقصات أخرى لشق وبناء الطرق في عدة دول وعواصم إفريقية (من ذلك نيامي النيجر، مالابو غينيا الإستوائية، ياوندي الكاميرون.. إلخ).

يعتمد اللبنانيون في معظم مشروعاتهم على الأيدي العاملة الوطنية (الإفريقية)،

على أنه يتم الإعتماد في المستويات الأعلى على الكوادر اللبنانية من المقيمين في الدولة الإفريقية أو من يتم استقدامهم خصيصًا لهذا النشاط، ففي نيجيريا على سبيل المثال توظف مجموعة شركات شاغوري للتجارة نحو 100,000 من النيجيريين مقابل 200 من الأجانب معظمهم بطبيعة الحال من اللبنانيين، وعلى ذات الصعيد يملك فريد مكارم، اللبناني الأصل، سلسلة من مصانع المفروشات يعمل بها نحو 4000 عامل وطني، ويبلغ عدد الشركات المسجلة بأسماء لبنانيين في جنوب إفريقيا نحو 300 شركة، كما أن اللبنانيين أوجدوا نحو 300 ألف فرصة عمل في ساحل العاج، ولا يختلف الأمر من حيث الطبيعة (الإعتماد على العمالة الوطنية) وإن اختلف من حيث حجم العمالة باختلاف طبيعة النشاط وحجمه من دولة إلى أخرى.

ترتبط عملية اندماج المهاجرين العرب في مجتمعات المهجر في أحد جوانبها بطبيعة هذه المجتمعات ومدى تقبلها لهؤلاء المهاجرين من ناحية، ومن ناحية أخرى مدى استعداد هؤلاء المهاجرين للإندماج في هذه المجتمعات، وقبولهم فيها، إلا أن طموح الكثير من هؤلاء المهاجرين الأوائل كان دافعًا لتغلبهم على كل هذه الصعوبات والعقبات، وسعيهم الدؤوب لمحاولات الإندماج في هذه المجتمعات والتغلب على كل محاولات التهميش، وقد لعبت العوامل الاقتصادية والثقافية والتعليمية والدينية دورًا كبيرًا في عملية اندماج المهاجرين العرب في بلاد المهجر، فقد عجز المهاجرون ذوو الإمكانيات الاقتصادية المحدودة عن تحقيق الاندماج، ولا سيما هؤلاء الذين كانوا من أصول قروية ولم يتجاوزوا مرحلة التعليم الأساسي، ولم يتعلموا اللغة الوطنية، وكان أن تكتل هؤلاء في أماكن ومناطق محدودة خاصة بهم، وربما تمثل هذه المجموعة نمط الإنعزال والإنفصال عن المجتمع الذي تعيش فيه.

أما المهاجرون الذين تمكنوا من تحقيق ثروات لا بأس بها، وكان مستواهم التعليمي فوق المتوسط ومن القادمين أساسًا من المدن، فقد مثلوا نمط الإندماج، وقد عمد هؤلاء إلى تقليل علاقاتهم مع أقرانهم من المجتمعات السابقة، والتي كانوا يرونها عائقًا يحول دون اندماجهم في مجتمع المهجر بسبب تشبثهم بعاداتهم وتقاليدهم التي نقلوها معهم من وطنهم الأم إلى بلاد المهجر، ينطبق ذلك على المهاجرين اللبنانيين إلى إفريقيا وغيرها من أصقاع العالم.

حين النظر للتأقلم الحضاري والثقافي والاجتماعي للبنانيين مع مجتمعات المهجر، نلاحظ أن هناك أربعة أنماط له:

الأول: نمط الإنعزال والإنفصال الكامل للمهاجر عن المحيط الاجتماعي والثقافي الذي هاجر إليه، ويعود سبب هذا الإنعزال والإنفصال لعدم قدرة المهاجر على التكيف والتأقلم مع عادات هذا المحيط وتقاليده، فيحدث أن يلجأ ـ مع مجموعة من أقرانه الذين يشاركونه الظروف نفسها ـ إلى التجمع والتكتل في منطقة سكنية محددة، ويكاد تعامله اليومي فيها يكون مقتصرًا على هذه المجموعة من أقرانه، بحيث تقل فرص اختلاطه وتعاملاته (اليومية ـ الحياتية) مع الآخرين خارج هذه الدائرة الضيقة، وهذا النمط يتم عادة بشكل اختياري.

الثاني: نمط التهميش، وهو يتم بشكل إجباري للمهاجر يجعله يعيش ما يمكن تسميته بـ (أزمة الهوية) حيث يتم تغريبه عن ثقافته وتقاليده، فلا يسمح له بالمشاركة في أي من مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مجتمع المهجر، بالإضافة إلى تهميشه من جانب هذا المجتمع.

الثالث: نمط الاندماج، وهو يسمح للمهاجر بالمشاركة الفعلية في مختلف مجالات الحياة في بلاد المهجر، وقد يتمكن المهاجر في الوقت ذاته من الإحتفاظ بشخصيته الحضارية الأصلية وثقافته ولغته، ومنظومة القيم والعادات التي ورثها عن مجتمعه الأصلي، فالمهاجر في سعيه للإندماج في مجتمع المهجر يحتفظ بكل مقومات الإرث التاريخي والثقافي والديني في وطنه الأم.

الرابع: نمط الذوبان (الإنصهار) وهنا يصبح المهاجر جزءًا لا يتجزأ من المجتمع الذي يعيش فيه، بل يعتبره وطنه الأم، وينشغل بهمومه ومشاكله، وينفصل تمامًا عن ماضي الآباء والأجداد وتاريخهم وثقافتهم، ويسعى لإقامة علاقات اجتماعية وعائلية خارج مجموعته الإثنية التي ينتمي إليها، بل ويسعى إلى فك ارتباطه وعلاقاته معها، لأنه يرى فيها عائقًا يحول دون اندماجه الكامل في المجتمع.

ـ اللبنانيون في الاقتصاد الإفريقي

يعرف المغترب اللبناني في إفريقيا أهميته في المجتمعات التي يعيش فيها، ويدرك ثقله وتأثيره على اقتصاد تلك الدول، لكن كل هذا لا ينفي أسباب قلقه المستمر على مصالحه.

الصورة تتكرر وكأن التاريخ يعيد نفسه، منذ عشرينيات القرن الماضي إلى الخمسينيات منه والسبعينيات والتسعينيات وحتى الأمس القريب كان على اللبنانيين أن يدفعوا الثمن دائمًا، بحيث أصبحت مؤسساتهم الاقتصادية عرضة للنهب كلما اندلعت أحداث شغب ضد السياسات الحكومية.

فقد كانت التجارة المتجولة أول نشاط اقتصادي مارسه اللبنانيون في إفريقيا، وقد بقي الحضور الاقتصادي اللبناني متواضعًا لغاية الحرب العالمية الأولى حيث استفاد اللبنانيون من الفراغ الذي خلفه التجار الفرنسيون الذين ذهبوا إلى الجبهة، خلال تلك المرحلة والتي تمكنوا فيها من اللغات الإفريقية تعرف اللبنانيون على البلد، ولم يعد وجودهم مقتصرًا على المدن والمناطق القروية، بل توغلوا في الأدغال، وهذا ما ساعدهم على تحقيق نجاح سريع، خصوصًا وأنهم أصبحوا وسطاء بين الوكالات التجارية الأجنبية والسكان الأصليين، حيث كانوا يبيعون لهؤلاء المنتجات المصنعة، ويحصلون منهم على منتجاتهم من المواد الخام للتصدير.

بصفة عامة، يتمتع اللبنانيون بوضع اقتصادي قوي ومميز في معظم الدول الإفريقية التي يتواجدون فيها، خاصة في ما يتعلّق بقطاعات تجارة الجملة والإستيراد.

ففي إفريقيا الغربية يبلغ تعداد اللبنانيين حوالي 170 ألف موزعين على 12 دولة وهم يُعدون في معظم هذه الدول من الفاعلين الأساسيين والمؤثرين في اقتصاد تلك البلدان على سبيل المثال، ففي غانا حيث يتواجد حوالي 6 آلاف لبناني يسيطرون على ربع اقتصاد الدولة يوجد أكثر من 60 مؤسسة كبرى تأسس بعضها منذ 85 سنة ويعمل فيها آلاف المواطنين الغانيين وهذه الشركات تشكل الرقم 5 في أهمية الاقتصاد الغاني وهي شركات خاصة ولا دخل للدولة اللبنانية بها، مثل معظم بل كل الشركات والمؤسسات اللبنانية في إفريقيا.

ـ مدخل إلى ساحل العاج

ساحل العاج أو بالفرنسية "Côte d'Ivoire" كوت ديفوار دولة سمراء تقع في غرب إفريقيا.

الشعار الوطني: الإتحاد، الإنضباط، العمل.

عاصمتها السياسية مدينة "ياماسوكرو"، بينما أكبر مدنها ومركزها الاقتصادي

وحتى السياسي مدينة "أبيدجان" في الجنوب قرب الساحل ومن أهم مدنها بواكي وجانوا.

اللغة الرسمية هي اللغة الفرنسية، المساحة 322,460 كلم مربع.

عدد السكان 35 مليون نسمة.

تنقسم ساحل العاج إلى 21 مقاطعة أو محافظة.

نظام الحكم جمهوري ورئيس الجمهورية هو الحسن واتارا وهو مسلم ورئيس الوزراء دانييل دانكون.

تعتبر ساحل العاج المركز الاقتصادي في غرب إفريقيا فهي تعد المصدّر والمنتج الأول عالميًا للكاكاو وتتحكم ببورصته العالمية، والثالث عالميًا للبن، والخامس عالميًا للموز والأناناس، تنتج قهوة الروبوستا أو ما يعرف ب (القهوة الخضراء)، وتشتهر في تصدير الأخشاب والمطاط والثروات المعدنية مثل الحديد والذهب والمنغنيز والغاز الطبيعي والبترول من المحيط وعلى اليابسة.

ـ اللبنانيون وساحل العاج

بدأت هجرة اللبنانيين إلى ساحل العاج في نهاية القرن التاسع عشر وقد نجحوا في إثبات قدراتهم المهنية والثقافية والإبداعية وحتى السياسية، وتمكنوا من تشكيل جزء هام من اقتصاديات الدولة المضيفة وثمة كتاب لرحالة فرنسي يقول فيه أنه التقى في ساحل العاج لبنانيًا من آل منصور في العام 1891.

لقد وصف الرئيس المؤسس لدولة الكوت ديفوار "فيليكس هوفويه بوانييه" اللبنانيين بأنهم (عطاء من السماء وقد أرسلهم الله هدية إلينا، وإذا كان من وجود للصناعة في هذا البلد فالفضل يعود إلى نشاط اللبنانيين وذكائهم).

فقد سُجل خلال الربع الأخير من القرن العشرين وما زال حضور لبناني قوي في قطاعات اقتصادية رئيسية في ساحل العاج حيث توجد أهم جالية لبنانية في إفريقيا بشكل عام والغربية بشكل خاص من حيث العدد والثقل الاقتصادي.

يبلغ عدد اللبنانيين في ساحل العاج حوالي 80 ألف، وإذا أردنا أن نتكلم عنهم بعد مضي حوالي 140 سنة على وجودهم فسنرى بأنهم:

- يساهمون بنسبة 40٪ من الناتج القومي.
- يتحكمون في حوالي 60٪ من القطاعات الاقتصادية الحيوية.
- يمتلكون أربعة آلاف مؤسسة من بينها 1500 مؤسسة صناعية يعمل فيها نحو

300 ألف مواطن بينما يعمل في وزارات ومؤسسات الدولة العاجية 100 ألف مواطن!!!، وأن الضرائب السنوية التي يدفعها اللبنانيون للدولة تبلغ أكثر من مليار دولار أميركي. وهذا الكلام للرئيس الحالي الحسن واتارا في آذار سنة 2013 عند إستقباله للرئيس اللبناني السابق ميشال سليمان وكنت حاضرًا حينها.

- يسيطرون على 70٪ من تجارة الجملة و50٪ من تجارة التقسيط.

- 80٪ من شركات جمع وتصدير الكاكاو والقهوة و17٪ من سيارات الأجرة.

- أهم منطقة صناعية في غرب إفريقيا تقع في أبيدجان في منطقة تسمى (يوبوغون) حيث يملك اللبنانيون 80٪ منها وكذلك في منطقة كوماسي (المنطقة الصناعية).

- بعض اللبنانيين يملك 25 شركة في مختلف المجالات (إسمنت، حديد، كوزماتيك، معامل فرش، معكرونة ألخ) ويعمل في هذه الشركات أي عند نفس المالك أكثر من 6000 مواطن عاجي.

بناءً على ما سبق فقد حرصت قيادات البلاد المتوالية على التنويه والإشادة باللبنانيين، ولقد صرح الرئيس العاجي السابق لوران غباغبو في عدة مناسبات "إن اقتصاد البلاد بيد اللبنانيين".

- الإمبراطورية الاقتصادية اللبنانية في ساحل العاج

تأسست سنة 2010 غرفة التجارة والصناعة اللبنانية في ساحل العاج والتي يرأسها منذ تأسيسها الدكتور جوزيف خوري إبن راشيا الفخار (حاصبيا) ولقد منح رئيس البلاد الحسن واتارا الغرفة مقعدًا دائمًا في المجلس الاقتصادي الاجتماعي الإيفوري، ورئيس الغرفة هو حكمًا مستشار حكومي اقتصادي اجتماعي.

يقوم الرئيس الحالي واتارا باصطحاب رئيس الغرفة معه في زيارات رسمية لعدد من البلدان، وتفيد المعلومات بأن اللبناني اقتحم كل القطاعات من صناعة أكياس النايلون إلى تشييد الأبراج ومد الجسور.

وفي مقابلة مع نائب رئيس غرفة التجارة والصناعة اللبنانية في ساحل العاج رجل الأعمال ناصيف سقلاوي[1] أفاد بأن 90٪ من قطاع البلاستيك يسيطر عليه اللبنانيون و70٪ من قطاع المواد الغذائية والتصنيع الغذائي و70٪ من قطاع البناء

(1) جريدة الأخبار - آمال خليل - 01/ نيسان/ 2015 - العدد: 2556.

والمقاولات و50٪ من قطاع التجارة و20٪ من حركة تصدير الكاكاو. أما المتاجر الكبرى فهي للبنانيين مئة في المئة وهم يساهمون في البترول والمشروبات الغازية والمطاعم والأحذية والحديد والكاجو والكاوتشوك والأرز وتكرير المياه وتصليح السيارات والأقمشة وهذه المؤسسات تنفق حوالي 8 آلاف مليار دولار سنويًا.

يقول د. جوزيف خوري بأن هذه الغرفة تخطو خطواتها لتصبح القوة الأكثر تأثيرًا لدى السلطات العاجية وتدل بشكل واضح على أهمية العنصر اللبناني في الاقتصاد الإيفوري[1]. فاللبنانيون يشكلون لوبي اقتصادي، لا تستطيع الغرفة تغيير القرارات بل تستطيع إبداء الرأي ويؤخذ به بعين الإعتبار على المستوى الاقتصادي للدولة العاجية، وهي أي الغرفة تهدف أيضًا إلى إطلاق غرف أخرى في بلدان إفريقية وإقامة لوبي لبناني اقتصادي على مستوى القارة الإفريقية.

ساهمت الغرفة ولعبت دورًا مهمًا وأساسيًا عندما أراد البعض إغلاق معامل البلاستيك بإلغاء هذا القرار، وبقيت المعامل التي تدر ملايين الدولارات على اللبنانيين في أبيدجان[2].

يتوقف اللبنانيون في أبيدجان ويتساءلون عن عدم إفتتاح أي من المصارف اللبنانية فرعًا لها في ساحل العاج على الرغم من الفروع المتعددة حول العالم التي تروج لها، ويتساءل د. خوري عن عدم حماسة أصحاب الأموال لاستثمارها في لبنان، ويطرح عدة تساءلات ومنها:

ـ لماذا لا تحفزهم الدولة والقطاع الخاص؟

ـ ولماذا لا تفتح الوزارات المعنية وغرف التجارة اللبنانية قنوات إتصال معهم؟

ـ ولماذا لم تتم متابعة الإتفاقات الست التي وقّعت بين الحكومة العاجية ورئيس الجمهورية السابق ميشال سليمان خلال زيارته مع وفد وزاري اقتصادي تجاري في آذار سنة 2013[3].

(1) المصدر نفسه.

(2) رانيا ـ مجلة اقتصادية إنمائية اجتماعية (صفحة إلكترونية) 28- تموز ـ 2016. رانيا ـ مجلة اقتصادية إنمائية اجتماعية (صفحة إلكترونية) 28- تموز ـ 2016.

(3) مصدر سابق، الإمبراطورية الاقتصادية للبنانيين في ساحل العاج ـ جريدة الأخبار.

ـ الوضع الاجتماعي للبنانيين في ساحل العاج

في مقابلة أجريت على تلفزيون الجزيرة مع الدكتور محمد لقيس، طبيب وعضو مجلس يلدي، ولد في قرية صغيرة في ساحل العاج سنة 1963، كان والده قد هاجر من لبنان إلى هذا البلد الإفريقي سنة 1956، بينما ولدت أمه في ساحل العاج.

نجح الطبيب لقيس في الإندماج في المجتمع الذي ولد فيه، وعيادته يقصدها جميع الناس من لبنانيين وأفارقة وهو لم يزر بلده الأصلي إلا وهو في سن 32.

يقول الدكتور محمد لقيس: إذا أردنا أن نصنف اللبنانيين من حيث معيشتهم ووضعهم الاجتماعي في أبيدجان سنصل إلى النتيجة التالية:

المشكلة الوحيدة التي نواجهها هي على صعيد المجتمع اللبناني بحد ذاته لأن هناك تصورًا في ساحل العاج لدى إخواننا الإفواريين بأن كل لبناني يعني المال وبأنه مرتاحٌ ماديًا، للأسف هم مخطئون في ساحل العاج وبدون الدخول بالإحصائيات هناك 100 ألف لبناني عشرة بالمئة فقط منهم يعيشون حياة رغيدة يديرون الشركات الكبرى والمتاجر الكبيرة، هناك 80 بالمئة من الطبقة الوسطى لديهم طعامٌ ومنزلٍ يؤويهم، وهناك 10 بالمئة لا يستطيعون تدبر أمورهم حتى نهاية الشهر، لا يستطيعون دفع قسط المنزل أو المدرسة، أقول ذلك لأنني أدخل إلى تلك المنازل.

ـ تحديات الحضور اللبناني في إفريقيا وساحل العاج

التحديات التي تواجه اللبنانيين في ساحل العاج وإفريقيا كثيرة وكثيرة جدًا، ومجمل هذه الأمور يجب أن ينظر إليها وتحل عبر تظافر جهود اللبنانيين في الاغتراب وذلك بالتنسيق والتكامل بين البعثات الدبلوماسية والجاليات التي يجب إعادت هيكلتها وتطويرها بمواكبة تامة من المجلس القاري الإفريقي لأنه وبكل شفافية يبقى الأمل والرجاء.

المظلة التي يجب أن تحضن اللبنانيين وتواكب تطلعاتهم وتطورها هو المجلس القاري فالشركات الصينية والألمانية والهندية والتركية والمغربية وإلى ما هنالك من الدول تتعامل في أغلبها من خلال السفارات والملحقين الاقتصاديين وتبادل الإتفاقات وخاصة في المعامل الكبرى كالإسمنت وتوليد الكهرباء واستخراج

النفط وتشغيل شركات النقل بينما كل الشركات والمؤسسات اللبنانية في الدول الإفريقية لا دخل للدولة اللبنانية أو لبعثتها بها بعكس تلك الدول.

فالدولة اللبنانية عاجزة عن هذا الأمر وما يواجه الدولة داخل حدودها يجعلها عاجزة عن القيام بالدور المطلوب منها في الخارج، نرى ونسمع الكثير من الكلام والخطط ولكن لا يوجد أي شيء ملموس في الواقع.

لن أتكلم عن التحديات التي تبدأ من الإستقرار إلى الأمن والمشاكل الصحية والتعليم واللغة والنقل وغيرها بل سأكتفي بالكلام عن التحديات الاقتصادية التي تشمل كل تلك الأمور وتشكل الموضوع الأساس للورقة البحثية مع طرح بعض الحلول والأفكار.

فقد أفرزت الجماعات الرافضة للوجود اللبناني ممارسات عدائية وإنتقامية ضد الجالية اللبنانية في أبيدجان، وكانت هذه الجماعات تتحين الفرص للنهب ونشر الكراهية ضد اللبنانيين ونحن متأكدون من وجود أيادٍ خفية وعدوة في أي أمر يحد من نفوذ وقوة اللبنانيين وأيضًا وللأسف يوجد لبنانيين يساهمون بجشعهم وتصرفاتهم في تزايد هذه الممارسات المعادية.

- رؤية مستقبلية للوجود اللبناني في غرب إفريقيا

ترتبط مسألة مستقبل الجالية اللبنانية في غرب إفريقيا وساحل العاج تحديدًا إرتباطًا وثيقًا بالحاضر والماضي إذ يلعب التاريخ دورًا مهمًا في تكييف تلك العلاقة، لذا فإن أفضل سيناريو بالنسبة للمهاجرين اللبنانيين هو القبول الكامل والإندماج في المجتمع الإفريقي، ومثلما كان الأفارقة مترددين في قبول الجالية اللبنانية، كذلك قاوم اللبنانيون في ساحل العاج مثلاً مسألة الإستيعاب للمجتمع الإفريقي، على عكس الجاليات اللبنانية المهاجرة إلى مناطق أخرى كأميركا، وربما يرجع ذلك إلى تردد اللبنانيين المبني على تحيزهم لثقافتهم اللبنانية، والتي اعتبروا أنها تتفوق على الثقافة الإفريقية[1].

كما أن العمل في بلدان الغرب الإفريقي قد تشوبه مخاطر كبيرة ما يجعله يعاني من صعوبات لا تشجع المستثمرين، لذلك حاولت الحكومة اللبنانية مؤخرًا

(1) Bierwirth, Chris: The Initial Establishment of the Lebanese Community in Côte d’Ivoire, CA. 1925-45, The International Journal.

الإستفادة من تجارب الجالية الناجحة في التخطيط لمستقبل استثماري مع دول غرب إفريقيا. وافتتحت الحكومة اللبنانية مؤتمر "الطاقة الاغترابية اللبنانية" الذي نظمته للمرة الأولى في أبيدجان بساحل العاج، في شباط 2018، في محاولة منها لإنطلاق المستثمرين اللبنانيين في إفريقيا، والإستفادة من قصص نجاح الجالية اللبنانية[1].

لدى الجالية اللبنانية في إفريقيا وغربها وساحل العاج تحديدًا كل شيء (المال والنفوذ والسلطة والعلاقات على أعلى المستويات إنما كل ذلك على صعيد الأفراد، وهي تشهد تنافسًا تجاريًا قويًا مع الجاليات الآسيوية الأخرى، ومجددًا بدأت الشركات الصينية تستثمر في قطاعات طالما كانت حكرًا على اللبنانيين أبرزها: صناعة مواد التجميل، الإتصالات، تجارة السيارات، البلاستيك، والمعادن، والمواد الغذائية والصناعات الكيميائية.

وتدخل المنافسة التي تقوى يومًا بعد يوم ضمن تنافس عالمي "ينبغي أن يدخل اللبناني حلبته ويتطلع إلى الأمام ضمن قواعد اللعبة التجارية، وقد بدأ فعلاً بالتحوّل إلى قطاعي الصناعة والتربية، فاللبناني في إفريقيا يحتاج إلى رؤية جديدة تختص بالاغتراب الإفريقي عمومًا، آخذًا في الإعتبار الحقائق الموضوعية للتطورات العالمية على الساحة الإفريقية"[2]. والعمل على كسب ثقة الأفارقة من خلال الإستعانة بهم كموظفين وعمال، وزيادة رواتبهم بما يتناسب مع جهدهم وقدراتهم، وفهم قيمة موروثاتهم الثقافية والاجتماعية.

وعلى الحكومة اللبنانية الإستجابة لمطالب الجاليات اللبنانية المتكررة بدعمها من خلال بناء علاقات مميّزة ومتينة مع الحكومات الإفريقية، وتكثيف زيارات المسئولين الرسميين اللبنانيين إلى غرب إفريقيا، والعمل على نشر مزيد من السفارات اللبنانية، وتعيين ملحقين اقتصاديين لمتابعة كل العوائق والمشاكل التي تعترض المستثمرين اللبنانيين، وعلى الحكومة اللبنانية أيضًا إنشاء غرفة صناعة وتجارة بين كافة الدول الإفريقية للبنانيين ليتبادلوا الخبرات والصناعات والسلع.

---

(1) باسيل يفتتح اليوم في أبيدجان مؤتمر الطاقة الاغترابية رغم المقاطعة، 1 فبراير 2018.

http://www.alhayat.com/article/913983/%D8%A8%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D9%84

(2) مارلين خليفة: 7 آلاف لبناني يستثمرون في القطاعات الحيوية في غانا

http://www.alriyadh.com/637918

كما أن الجاليات اللبنانية تعاني من قلّة الأطباء اللبنانيين، وعليه يجب على رجال الأعمال الاستثمار في القطاع الصحي، مثل إنشاء مستشفيات لتقديم الإستشفاء للجاليات، ويساعد في بناء جسر للتواصل مع السكان المحليين. وكذلك العمل على بناء المدارس لأبناء الجالية، والإهتمام بتعليم اللغة العربية[1].

يقول المدير العام السابق للمغتربين الأستاذ هيثم جمعة "لبنان لا ينهض إلا بجناحيه المقيم والمغترب، المغتربون هم لبنان الأبيض وقت الصعوبات السوداء، أمامنا تحديات كبيرة ليس فقط في القارة الإفريقية إنما في كل العالم، المهم أن نتضامن في ما بيننا ونلتقي معًا في نظرتنا إلى المستقبل".

وهنا لا بد من التوقف عن الدور الذي يجب أن يلعبه المجلس القاري الإفريقي أمام تراخي الحكومة اللبنانية وإنشغالها بأمور أخرى، فالمجلس هو الضمانة والملجأ الأخير أمام كل التحديات والتحريض على جالياتنا اللبنانية في إفريقيا، فيوميًا نرى ونقرأ المقالات في الصحف والمجلات العربية والإفريقية والعالمية وهي بعناوين يشتَم منها ما يدور في أذهان البعض لتدمير اللبنانيين في إفريقيا، وعلى سبيل المثال لبعض هذه العناوين [حزب الله يتغلغل في إفريقيا، 7 ملايين شيعي في إفريقيا، الحركة الإسلامية الشيعية (حزب الله في إفريقيا)، المغرب يخوض حربًا غير معلنة ضد "حزب الله" في ساحل العاج، الشيعة والتشيع في ساحل العاج، شيعة وسط وغرب إفريقيا ومخططات حزب الله، إنتشار التشيع وتأثيره في النسيج الاجتماعي في إفريقيا، بسبب وجود جالية لبنانية كبيرة "ساحل العاج" منبع تمويل لـ"حزب الله" طوعًا وكراهية] إلى آخر تلك المقالات والتي من عناوينها نعرف ماذا يخطط للبنانيين في إفريقيا.

الخاتمة

لا يريد أبناء الجالية في ساحل العاج وإفريقيا أي شيء مادي من دولتهم ومن المسؤولين فيها فجُل ما يطلبونه هو تبادل الزيارات الرسمية وتعزيز العلاقات الثنائية مع الدول المضيفة، وعقد الإتفاقات التي تحمي مصالحهم في الوطن والمهجر.

لقد أصبح اللبنانيون جزء من النسيج الاقتصادي والاجتماعي لدول الغرب

---

(1) جهاد الهاشم: الاغتراب اللبناني في إفريقيا: مشاكل وحلول.

الإفريقي وخاصة ساحل العاج، فلم تجلب المشاريع التجارية المال إلى المجتمع اللبناني فحسب، ولكنها عززت وضعهم الاجتماعي أيضًا من خلال احتكاكهم الطويل مع العادات والقيم الثقافية الإفريقية، التي ساعدتهم في كسب ثقة بعض الأفارقة، وتحقيق درجة كبيرة من الإزدهار الاقتصادي. وبرغم إحتفاظ المجتمعات اللبنانية على مدى عقود بعلاقاتها مع الوطن ومقاومتها للإستيعاب في غرب إفريقيا، إلا أن هذه الظاهرة خفت بعض الشيء نتيجة الإختلاط الطويل مع الأفارقة، وخاصة بين الجيل الثالث للمهاجرين اللبنانيين.

ويرتبط بقاء الجالية اللبنانية في كثير من دول غرب إفريقيا على التحولات الاقتصادية ورياح التغيير السياسية التي تهب الآن على بعض الدول الإفريقية، التي ارتبطت اقتصادياتها بعجلة الإستعمار الحديث، الأمر الذي يتطلب جهدًا مشتركًا من جانب كل من المهاجرين والحكومة اللبنانية والحكومات الإفريقية

المراجع

1 ـ الجالية اللبنانية في ساحل العاج ـ 123 عامًا من الكفاح ـ جريدة السفير (السفير الاغترابي 2015/09/23).

2 ـ ساحل العاج نموذجًا لكفاح اللبنانيين ـ إعداد: تريز منصور.

3 ـ محمد خليفة صديق ـ كاتب سوراني - الجالية اللبنانية في إفريقيا ـ الواقع والدور- الرصد ـ صفحة إلكترونية.

4 ـ جريدة الأخبار ـ آمال خليل ـ 01/ نيسان/ 2015 ـ العدد: 2556.

5 ـ رانيا ـ مجلة اقتصادية إنمائية اجتماعية (صفحة إلكترونية) 28 - تموز- 2016.

6 ـ باسيل يفتتح اليوم في أبيدجان مؤتمر الطاقة الاغترابية رغم المقاطعة، 1 فبراير 2018.

7 - http://www.alhayat.com/article/913983/%D8%A8%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D9%84

8 ـ مارلين خليفة: 7 آلاف لبناني يستثمرون في القطاعات الحيوية في غانا

http://www.alriyadh.com/637918

9 ـ جهاد الهاشم: الاغتراب اللبناني في إفريقيا: مشاكل وحلول.

10 - Amir Abedelkarim, la dispora libanaise en France, éd, Paris 1996, P:25.

11 - y, Courbage et ph. Fargues. La situation déotecmographiqfue au Liban, I.S.S. Université Libanaise, Beyrouth 1974, Tome, P:29

12 - Bierwirth, Chris: The Initial Establishment of the Lebanese Community in Côte d'Ivoire, CA. 1925-45, The International Journal.

المحور الرابع

الاغتراب والثقافة

قدّم اليوم الثاني:

الأستاذ إبراهيم سرور



أسعد الله صباحكم

باسم هيئة تكريم العطاء المميز، والمجلس القاري الإفريقي أرحب بكم فردًا فردًا، أساتذة أكاديميين، باحثين، مجازين وضيوفًا، مشاركين ومستمعين في مؤتمر البحث العلمي حول الاغتراب اللبناني، وذلك لليوم الثاني على التوالي وفيه أربع جلسات متتاليات:

أولها: الاغتراب والثقافة.

ثانيها: الهجرة والتعليم والإعلام.

ثالثها: أدب المهجر.

ورابعها: المؤسسات الناظمة لشؤون اللبنانيين في المهجر.

وهناك أخيرًا جلسة إصدار التوصيات.

هذه الجلسات أيها المؤتمرون ستكون غنيّة إذن بالثقافة والفكر والآراء والمواقف والتحليل والحقائق والأرقام، حيث نأمل ونتمنى. فالاغتراب والثقافة ميدان رحب يصول فيه ويجول نخبة من الباحثين والمحاضرين من ذوي الخبرة

والتجربة والكفاءة، علّهم بذلك يسلطون الضوء على العلاقة الوطيدة بين الاغتراب اللبناني والثقافة في شتى أشكالها وألوانها، سيما أن لبنان أغتنى كغيره من أمته العربية بهذه الروافد الثقافية التي اقتبسها أولئك المغامرون اللبنانيون الأوائل في شتى أصقاع الارض. ثقافة غربية دخلت في النسيج الثقافي الشرقي، وقد حصل ولا بد اشكاليات حول هذا التغريب الثقافي ومدى مواءمته للإرث العربي والشرقي.

في المحور الرابع يطل علينا أحد أعضاء الهيئة الإدارية في هيئة تكريم العطاء المميز، إنه أستاذ جامعي، وباحث له العديد من المؤلفات، شارك في مؤتمرات داخل لبنان وخارجه. حائز على دكتوراه في العلوم السياسية / وهو عضو في مجلس إدارة اتحاد الاكاديميين والعلماء العرب، عنيت به الدكتور حسين ظاهر.

يترأس جلسة الاغتراب والثقافة التي يحاضر فيها ثلة من الباحثين الأكفاء.

رئيس الجلسة:

أ.د. حسين ظاهر



- حائز على دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية.(جامعة مونبلييه ـ فرنسا 1989).
- أستاذ جامعي متقاعد، أمضى 45 عامًا في التعليم الرسمي والجامعة اللبنانية.
- عضو مجلس إدارة سابق في اتحاد الاكاديميين والعلماء العرب.
- عضو هيئة ادارية في هيئة تكريم العطاء المميز.
- له مؤلفات وابحاث في علم السياسة والعلاقات الدولية ومنها معجم المصطلحات السياسية والدولية.
- شارك كباحث في مؤتمرات علمية داخل لبنان وخارجه.

إنَّ الربط بين الهجرة والثقافة يقود إلى البحث في مدى تأثير الهجرة على الثقافة الأصلية للمغتربين (ما يُعبَّر عنه بالتكيُّف أو الاندماج)، أو بالعكس مدى تأثير ثقافة المهاجرين في مجتمع الدولة المضيفة، أي الحديث عن مدى **الانتشار** الثقافي الذي يعمل وفق عامل المكان؛ بخلاف **الانتقال** الثقافي الذي يتمّ عبر الأجيال من جيل إلى جيل ويعمل وفق عامل الزمن.

وعمومًا **الهجرة**، كأحد أنماط الحركة السكانية، تلعب دورًا مهمًا في توزيع وإعادة توزيع السكان جغرافيًا تبعًا لعدة عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية وأمنية وغير ذلك...

أما **الثقافة**، بما تعني من اللغة والتراث والعادات والتقاليد والعقيدة والمعارف والقيم والأخلاقيات، فهي ثقافة غير مادية ممكن أن تتأثر وتتغيَّر وفقًا للثقافة المادية الموجودة في المجتمع الآخر.

فأيّ رابط يجمع بين الهجرة والاندماج والحفاظ على الهوية؟ إذ إنَّ المهاجر يجد نفسه في مجتمع مختلف، ويواجه خيارين: إما الاندماج والذوبان الكامل في ثفافة المجتمع المضيف، وإما أن يتَّخذ من الاندماج مصدر إثراء لهويته. أي أن يُحقّق نوعًا من الاندماج من دون الحاجة إلى الذوبان الثقافي الذي يُفقده خصوصياته وقناعاته الذاتية.

يتصدر جلسة اليوم محوران عن **هجرة الأدمغة**، أي هجرة أصحاب الكفاءات والعلماء الذين يضطرون للإنتقال من بلدهم الأم إلى البلدان المتقدمة، وذلك لأسباب علمية أو وظيفية أو سياسية أو أمنية أو إدارية أو غير ذلك... إذ إنهم يجدون مخرجًا لهذه الأزمات في البلدان الجاذبة التي تفتش عن أصحاب الأدمغة والكفاءات من أجل تحقيق التنمية والتقدم.

فما هي الآثار التي تخلفها هذه الظاهرة على البلد الأصلي؟ ألا يُخشى أن تؤدي

هجرة الأدمغة إلى تبعية أصحاب الكفاءات ثقافيًا للدول التي هاجروا إليها؟ ما يساعد على زيادة الفجوة بينهم وبين عاداتهم وتقاليدهم التي نشأوا عليها، وبالتالي التأثير سلبًا في هوياتهم؟

هل من حلول أوسياسات تحدّ من هجرة الأدمغة؟ أو، على الأقل، تجذب أصحاب الكفاءات العلمية والتقنية لخدمة بلادهم؟

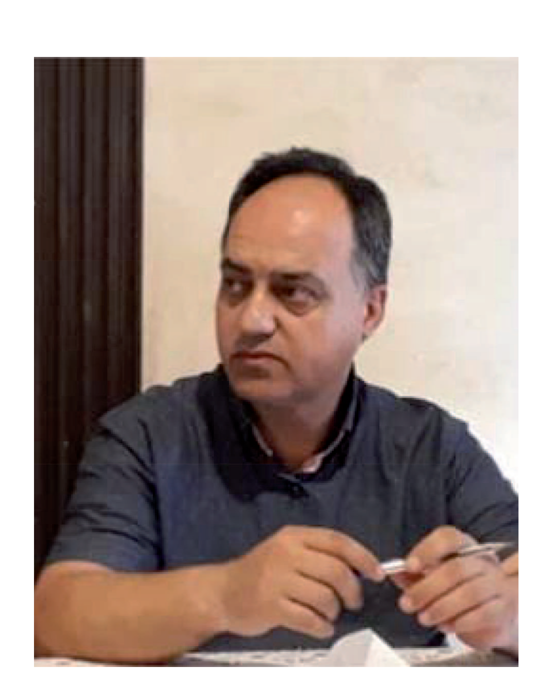
هل يُعتبر مسار التوكتن حلاً كافيًا لتغطية الفجوة الناجمة عن هجرة الأدمغة؟ بخاصة أن هذا البرنامج التطوعي الذي يتم عادة برعاية الأمم المتحدة UNDP، هو عبارة عن إتاحة فرصة أمام المغتربين للعب دور في تنمية أوطانهم من خلال تقديم استشارات **قصيرة الأجل** لبلدهم الأصلي.

أسئلة كبيرة، ننتظر الإجابة عليها من أهل الاختصاص. ونبدأ مع الزميل الدكتور عماد سيف الدين.

هجرة الأدمغة اللبنانية

بين بناء الهوية ومسار التوكتين (tokten):

المدير السابق لجامعة الجنان فرع صيدا: د. عماد سيف الدين



- مدير سابق لجامعة الجنان فرع صيدا.
- أستاذ الإدارة التربوية للدراسات العليا في التربية
- رئيس مجلس إدارة Bee SKILLS Center لتنمية القدرات الابداعية عند الناشئة.
- مدرب معتمد في الجمعية التربوية اللبنانية في ال .Leadership

المقدّمة

تؤكد النظرية الاقتصادية ونظريات التنمية، على دور رأس المال البشري في نمو طويل الأجل والاستدامة، حيث يحتاج الاقتصاد المبني على المعرفة إلى مجموعات من المتخصصين وأصحاب الخبرة، ممن يدفعون بعجلة التنمية إلى الأمام من خلال الانتقال إلى مجتمع المعرفة وإنتاج المعرفة.

ولا يبتعد هذا الأمر عن خطط النهوض بمستوى التعليم وبناء الكوادر البشرية، واليد العاملة الماهرة، التي تجتذبها أرقى الدول، فيما يُعرف بالكتلة الحرجة critical mass، التي تمثّل عددًا وافيًا من الاختصاصيين في مختلف المجالات المعرفية، يطلق عليها إسم الأدمغة.

أما نزيف هذه الخبرات والعقول، فقد حرم الدول النامية من الانتقال إلى مستوى لائق من البرامج التنموية التي توازي على الأقل حجم التحديات التي تواجهها، بالرغم من تواجد عقول وأدمغة لا تقدر بثمن فيها، إلا أنها غير مستمثرة حق الاستثمار، أو أنها دفعت للخروج أو الهجرة في ظاهرة أصبحت تتفاقم يومًا بعد يوم، أطلق عليها اسم (هجرة الأدمغة).

من جهة أخرى، قامت بعض الدول النامية، ببذل مجهود عال على مستوى كسبهم، والاستفادة من خبراتهم في بلدهم الأصلي، وهيأت لذلك الخطط والظروف اللازمة، للتقدم بعمليات نقل خبراتهم ومعارفهم بناء لاستراتيجيات وطنية ناجحة، تجعلهم شركاء أساسيين في التنمية. وبالرغم من استحواذ الدول الكبرى على العدد الكبير منهم، كان لبرامج كسب الأدمغة في بعض الدول النامية الدور الأساسي كي تقدم مستوى مؤشراتها في التنمية واقتصاد المعرفة وتقدم المشاريع الانتاجية.

ويعتبر لبنان من أهم البلدان النامية التي تمتلك رصيدًا كبيرًا من رأس المال البشري، الذي له بصماته وآثاره في أرض المهجر وفي المؤسسات الانتاجية، والبحث العلمي، وبراءات الاختراع. إلا أن هذا الرصيد من رأس المال البشري، وإن أعرب مرارًا عن استعداده ومبادرته للمساعدة في وطنه الأصلي، فإن واقع الاهتمام اللبناني على المستوى الرسمي، يبقى دون الطموحات المطلوبة.

وتتميز المشاريع الدولية التي سعت إلى استثمار هذه الأدمغة على المستوى الوطني، إلى الاهتمام برعاياها في الخارج بشكل يعزز الانتماء الوطني لديهم، وأعلى درجات المشاركة في بناء اقتصاد متين، ومعرفة مبنية على الخبرات العالية، من خلال عدم الاكتفاء بتحويلاتهم المالية، بل بتخطي هذه العملية بأعمال ونشاطات أخرى تساعد على تسهيل نقل المعارف والتقنيات والمهارات العالية، وعلى تعزيز ريادة الأعمال وتنمية الصناعات، وزيادة استثماراتهم في وطنهم الأصلي.

ولقد تقدمنا بهذه الورقة البحثية، للاضاءة على بعض هذه التجارب للاستفادة منها، وللاضاءة على نهج دولي معروف بمشروع Tokten، المعد من قبل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الذي يعنى بكيفية استفادة بلدان الأصل من كفاءات المهاجرين منها للتعويض عن بعض ما خسرته بلدانهم من فقدانهم.

وسؤالنا هو: كيف عززت الدول تعاونها مع المغتربين، وما هو أفق توطيد العلاقة معهم في لبنان، للمساعدة على نقل كفاءاتهم وخبراتهم في بناء تنموي شامل؟

أولاً: رأس المال البشري المفقود

هجرة الأدمغة Brain Drain مصطلح ابتدعه البريطانيون للتعبير عن فقدانهم الكثير من المهارات العالية والعلماء والأطباء والمهندسين، بسبب هجرتهم إلى الولايات المتحدة الأميركية[1].

وتتصل هجرة الأدمغة بالتنمية، إذ يتطلب الاطار العام للتنمية مجموعة من النظم المتقاطعة في الحياة الإنسانية، من نظم اجتماعية وسياسية وثقافية

(1) الربيع (محمد)، هجرة الكفاءات العلمية، الكويت: جامعة الكويت، 1973، ص11.

واقتصادية، فضلاً عن منظومة معقّدة من القيم والتفاعلات الشعبية وحشد الكفاءات والمهارات العالية.

وتلعب القدرات الإنسانية دورًا محوريًا في عملية التنمية. فمساهمات اليد العاملة في تحقيق النمو الاقتصادي تتوج دائمًا بمساهمات المهارات والكفاءات العالية التي تجعل من التنمية عملية شاملة تطال كل المكونات الاجتماعية. أما فقدان هذه الكفاءات والمهارات العالية على مستوى الدول، فتؤدي إلى تعثر في مسار التنمية، ويفضي إلى انخفاض في مستوى الانتاجية ويضعف الاقتصاد من إمكانية التطوير، لاستنزاف احتياطه الإستراتيجي من الموارد البشرية أو (رأس المال البشري).

في نزف العقول والأدمغة، نحن نفتقد لمشروع التنمية المتوازنة الشاملة التي أفرغت من أهم عوامل نهوضها، المتمثلة بخلق وتعزيز البيئة الفكرية والعلمية والثقافية للتنمية. ومن جهة أخرى فإن الدول التي تفتقر إلى خطط واستراتيجيات وطنية للتصدي لمشكلة هجرة الكفاءات والأدمغة، هي بعيدة كل البعد عن عملية إعادة تشكيل تلك البيئة لصناعة نهضتها من جديد.

وهجرة الأدمغة أو استنزاف الكفاءات أو هجرة العقول، تسميات تفيد المعنى النهائي نفسه الذي يعبّر عن هجرة حملة الشهادات الجامعية العلمية والتقنية والفنية، كالأطباء والمهندسين والباحثين والاختصاصيين والتكنولوجيين وأصحاب المهارات والمواهب والمخترعين في شتى الميادين[1]. أو باختصار، هجرة المؤهلين من دولهم الأصلية نحو دول الاستقبال.

ولقد وصفته اليونسكو، بالنوع الشاذ من أنواع التبادل العلمي بين الدول، الذي يتسم بالتدفق في اتجاه واحد، نحو الدول المتقدمة[2]. ما يعني أنه يمثل نقلاً مباشرًا لأهم عناصر الانتاج كرأس مال بشري.

ويعد العنصر البشري نوع من التحدي التنموي، لأنه العمود الفقري لها في مختلف أبعادها، إذ للإنسان قدرة على الابداع والتجديد والتطوير وامتلاك الطاقة

(1) زين (الياس)، هجرة الأدمغة العربية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972، ص13.

(2) أبو غمجة (نصر الدين)، هجرة العقول العربية: مقترحات ورؤى مستقبلية للمواجهة، مجلة الدراسات المستقبلية (1). Vol17 .، 2016، ص3.

الواسعة لتحقيق أهدافها واشباع حاجات الأفراد[1]، فتحدي التنمية يعني تحسين نوعية الحياة التي تتخطى تلبية متطلبات ارتفاع الدَخل لتشمل أفضل مستوى من التعليم وأعلى مستوى من الصحة وأقل نسبة من الفقر وأغنى درجات من الثقافة ورغد الحياة[2].

من هنا، فإن رأس المال البشري Human Capital، يمثل أهم عناصر التنمية التي تتميز به الدول العظمى أو الكبرى والحضارات الإنسانية، من خلال حسن استثمارها له، بصفته المصدر الحقيقي للثروة الذي يفوق مستوى امتلاك الحاجات والآلات، ويحقق أعلى مستوى لامتلاك قاعدة بشرية تمتاز بثقافتها ومهاراتها العالية في شتى المجالات[3].

من هذا المنطلق، قامت مرتكزات التنمية البشرية على أساسين: **الأول**، هو تكوين القدرات البشرية عن طريق الاهتمام بتحسين المعرفة وما يحققها، **والثاني،** هو استعمال الإنسان لقدراته في أغراض تخدم مختلف جوانب الحياة، من إنتاج ونشاطات ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية، مع مراعاة التوازن بين القدرات التي يمتلكها، واستعمالها في تحسين بيئة الحياة.

ولقد جاء الاهتمام بتطوير القدرات والمعرفة لانتاج العقول من هذا المنطلق. فالطاقات المبتكرة، هي التي ترفع مستوى الانتاج ومستويات جودته في خدمة المجتمع، الأمر الذي يرفع معدلات التطور في شتى الميادين، مما يفرض على الدول، أن توليه اهتمامها في عملية الاستثمار، حيث تقاس قوّة اقتصادها، بنوعية مواردها البشرية وكفاءاتها المتراكمة، وحسن استعمالها، لا بل استقطاب الأدمغة والمهارات والكفاءات العالية لتصحيح مساراتها التنموية وتوجيهها في الوجهة الصحيحة.

إن إصرار بعض الدول المتقدمة على استقطاب وبناء مخزون كبير من رأس المال البشري المؤلف من كفاءات عالية، أوجد حالة أو ظاهرة تنموية، أصبحت تعرف بتمركز آليات المعرفة والعلوم لدى مجموعة محدودة منها، حرمت دول

(1) غنيم (عثمان)، أبو زنط (ماجدة)، التنمية المستدامة: فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها، عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2007، ص20.

(2) القريشي (مدحت)، التنمية الاقتصادية، سياسات وموضوعات، الأردن: دار وائل للنشر 2007، ص127.

(3) Jean.D.Bernel, Science in history, penguin Books 1969, vol 17, P17.

كثيرة من حصصها الأصليّة التي أنفقت عليها الجهد والمال الكبيرين من رأس مالها البشري.

ثانيًا: هجرة الأدمغة والتمكين من أجل المعرفة

تمثل ظاهرة هجرة الأدمغة جرحًا نازفًا يضعف جسد الدول النامية. وفي كل عام تفقد الدول العربية الآلاف من كفاءاتها العلمية وعلمائها، ممن يتوجهون إلى دول تعزز لهم مكانتهم وتستثمر طاقاتهم.

ويسهم الوطن العربي بثلث هجرة الأدمغة من البلدان النامية، 50٪ من الأطباء و23٪ من المهندسين، و15٪ من العلماء الذين يمثلون هذا الثلث يهاجرون بوجه خاص إلى أوروبا وكندا والولايات المتحدة، في حين أن 54٪ من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج، لا يعودون إلى أوطانهم الأصلية[1].

ولا تزال هذه الظاهرة تشكل هاجسًا كبيرًا يؤثر تأثيرًا مباشرًا على مجالات التنمية في عالمنا العربي، وبالرغم من بذل مجهود مقبول لمعالجته، فإن عدم الوقوف على كافة مستلزمات معالجة أسبابه، يبقى عليه كإشكالية تتفاقم يومًا بعد يوم.

لا شك أن أسباب هذه الظاهرة متشعبة ومتعددة، ومعالجتها والتصدي لها، لا يقتصر فقط على أنواع محددة من التنظيم والتواصل الرسمي. إذ لا بد على هذا المستوى من استراتيجيات وطنية واضحة وشاملة تسهم في عملية المعالجة تلك، تطال العوامل الطاردة أو الداخلية لهجرة الأدمغة، والعوامل الجاذبة أو الخارجية التي تلعب دورًا موازيًا للأولى.

فعلى مستوى العوامل الطاردة التي تتمثل بالأسباب والعوائق الداخلية على مستوى البلد المصدّر للهجرة، نحن إزاء معوقات تؤثر سلبًا على عمليات التطور الفكري والعلمي والبيئة الحاضنة للأدمغة المبدعة والمبتكرة على كافة المستويات: السياسية والاقتصادية، وتلك الثقافية والتعليمية المرتبطة بأسواق العمل والانتاج.

وعلى المستوى السياسي، تعاني بلداننا العربية من استدامة النهج البيروقراطي البغيض الذي يأنفه كل مبدع يصبو إلى حرية الرأي والتفكير ووسائل التعبير الذاتي ويعبّر عن اختراق الفساد للمؤسسات ومراكز القرار، الذي يهدم العدالة

(1) الاتحاد البرلماني العربي، مجلة البرلمان العربي، العدد 22، ديسمبر، 2001، ص1.

والمساواة، ويجعل من المبدعين والمفكرين أفراد مهمشين على كافة المستويات، يتفرجون على الظلم القائم لكفاءاتهم ومهاراتهم من جهة، وعدم تقديرها من جهة أخرى.

وعلى مستوى العوامل الاقتصادية، فانخفاض دخل الأفراد ونسب البطالة المرتفعة، وحالات الفقر الواسعة، تكفي عند بعض الأفراد من أصحاب الكفاءات للبحث عن سبل لعيش أفضل ومداخيل أوفر، فضلاً عن البحث عمن يقدّر مستوى مهاراتهم ومعارفهم واستثمارها في تنمية وطنية تعود على الجميع بالمنفعة.

أما على مستوى العوامل الثقافية والتعليمية، فنواجه ببعد دولنا عن تعزيز الروابط ما بين التعليم ومتطلبات سوق العمل، تلك التي ابتعدت عن مجتمع المعرفة الذي يحمل ثقافة، تعزز الكفاءات وتحفزها، وتربط بين خطط التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية، وتنشىء بنى تحتية ناجحة للإنتاج المعرفي واقتصاد المعرفة، الذي يعتمد في أولوياته على رأس المال البشري والعقول المبدعة. وما يؤسف جدًا، أن تبتعد دولنا عن برامج ضرورية تسعى إلى التمكين من خلال المعرفة، وفقًا للبرامج الدولية المعتمدة في بعض الدول المستقطبة للأدمغة وللمهارات العالية، (التمكين من خلال المعرفة) Empowerment through knowledge.

ومن جهة أخرى، فما من أدلة واضحة، تشير إلى برامج جدية لمعالجة تلك الأسباب لظاهرة الهجرة على مستوى العوامل الجاذبة، أو الأسباب الخارجية لهجرة الأدمغة. إذ في الغالب، هي أسباب قد تبدو للوهلة الأولى، لا تعالج من خلال البلد الأصلي. ولكن الواقع الدولي للهجرة، بخاصة هجرة الأدمغة، تثبت بأن بعض الدول النامية استطاعت اعتماد برامج وإجراءات ناجحة، كان لها الدور الأساسي في نهضتها ورفع مستوى تصنيفها دوليًا على مستوى الاقتصاد المعرفي والتنمية البشرية، وتسجيل الملكيات الفكرية.

فسياسات الهجرة الانتقائية من الدول المستقبلية قوبلت بسياسات وطنية محكمة، تسمح للمهاجرين من أصحاب الكفاءات العالية بالمساهمة مساهمة فعالة في خطط التنمية المتعلقة بدول المنشأ التي هاجروا منها. من خلال برامج تسعى إلى نقل خبراتهم وتوسيع استثماراتهم في بلادهم، وفق منظومة قانونية تسهل هذه العمليات، وتبني الحس الوطني للبلد الأصلي لتعزيز بناء مجتمع المعرفة في هذه الدول.

لذلك، فإن المعالجة المبنية على خفض وإزالة أسباب هجرة الأدمغة من بلدانها الأصلية، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بنوع الاجراءات التي اتخذتها هذه الدول لتوفير الحرية الاكاديمية لهم، وتوفير التواصل المبني على خطط استراتيجية وتنموية، ومسارات لنقل المعرفة والمهارات التي تعود بالمنفعة على الطرفين.

ومن خلال الاتجاهات التفسيرية الحديثة لهجرة الأدمغة، يتبين لنا، أن لكل تفسير من هذه الاتجاهات، أنواع محددة من الاستراتيجيات المعالجة، فالاتجاه التفسيري لهجرة الأدمغة على أساس الأسباب الفردية Individualiste، التي تجعل من العامل الفردي المبني على تلبية الاحتياجات الشخصية، والبحث عن محيط يوفر حريّة الابداع في التفكير، أو محاولة رفع مستوى الدخل وفرص التطوير الذاتي، يمكن معالجته باستراتيجيات تلبي هذه الطموحات وتعزز التماسك الاجتماعي والانتماء الوطني .**ذلك أن الشعور بالهوية وتقدير الذات والانتماء الوطني عوامل أساسية في خفض مستوى الهجرة إلى الخارج.**

أما الاتجاه التفسيري المبني على فكرة أن هجرة الأدمغة[1] هي سياسات دولية وعالمية انتقائية Internationalist لها اليد الطولى في جذب الأدمغة والكفاءات العليا، فيمكن التصدي لها، ببرامج من نوع آخر، ترتكز على **تسهيل التواصل المشترك بين المقيمين بين الداخل والخارج، وعلى نقل المهارات والكفاءات والمشاركات الفعالة في مشاريع التنمية.**

ولا يكون لواحد من هذه الاجراءات نتيجة فعالة، إذا لم يكن مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالآخر. فتلبية احتياجات الكفاءات على المستويين الاجتماعي والعلمي، وإقامة البرامج المشتركة بين المقيمين والمغتربين لنقل المعرفة والمشاركة في التنمية، يمثلان منهجية وطنية ذات أبعاد شاملة تعالج كلاً من العوامل الطاردة وتلك الجاذبة على حد سواء.

ومن هذا المنطلق، لا بد لنا بأن نتبنى سياسات جديدة في معالجة إشكالية هجرة الأدمغة، تستفيد جدًا من تجارب الدول التي أحرزت تقدمًا ملموسًا على مستوى التنمية.

فالأنماط التبادلية لهجرة الأدمغة، قامت أصلاً على فكرة التكامل المعرفي

---

(1) سنوسي (شيخاوي)، هجرة الكفاءات الوطنية وإشكالية التنمية في المغرب العربي، الجزائر: جامعة أبو بكر بلقايد، 2011، ص 44-46.

الموجّه، حيث تقوم كل دولة من خلال الاتفاقيات المبرمة على تقديم كفاءاتها في مقابل الاستفادة من معلومات وكفاءات أخرى، تسمح لها باستقطاب أدمغة ترفع من مستوى تقدمها في مجالات محددة. ما يفسح المجال لتبادل الخبرات والهجرات الايجابية حيث يتبادل الأفراد ذوي المهارات المعرفيّة والخبرة، ويقومون بأعمال ومشاريع بحثية مشتركة.

أما ذلك النمط الاستنزافي القائم على إرسال النخب الأكاديمية والفنية إلى بلدان العالم الأكثر نموًا، فهو النموذج السلبي الذي تسبب بحصيلة إحصائية مخيفة لإستنزاف العقول، مقدارها 150 مليون باحث علمي وتكنولوجي في العالم، يقطن منهم 90٪ في الدول الأكثر تقدمًا، مهاجرين من بلادهم الاصلية التي تفتقر إلى وجودهم وخبراتهم[1].

أولاً: المواطنة في لبنان كمفهوم غير مكتمل

عندما نبحث عن الخصائص والسمات التي تتميز بها الهوية الوطنية اللبنانية، والكشف عن مستوى الانتماء الوطني، نبحث عن الحقوق والواجبات المشتركة عند الأفراد والجماعات، وعن السمات التي تظهر من خلال الممارسات الاجتماعية والثقافية.

فحقوق المواطنين وواجباتهم مرتبطة بذلك المجتمع المتخيل، أو (الأسطورة المدنية) في الانتماء إلى كيان سياسي إسمه لبنان. وهذه الأسطورة التأسيسية لوحدة المتعدّد، تشد أواصر الدولة بقوة، وتزيد من فعاليتها في مؤسسات الدولة وقوانينها وممثليها السياسيين، وهي تشكل مجتمعة أيقونوغرافيا الدولة أو الأمة Iconography of nation، التي يتم استيعابها في الحياة الثقافية والاجتماعية ليكون لها دورها في تعزيز الإنتماء.

والسؤال الاشكالي الذي يواجهنا، هل يمتلك اللبناني أسطورة مدنية واحدة أو أيقونوغرافيا موحّدة للانتماء؟ أم أن ما أصابه، هو تعدد الانتماءات المتناقضة التي تشكل عوامل طاردة ومعززة للهجرة وعدم الانتماء؟

في الأصل، تعمل الأيقونوغرافيا عمل الايديولوجيا الوطنية، التي تؤسس لمعايير الشرعية والعدالة والمساواة في المواطنة[2]. ومن خلال تحليل دقيق

(1) Laurent (carroué), Géographie de la mondialisation, Paris: Armand Colin, 2002, P 52, 53

(2) الأمم المتحدة، لبنان 2008 ـ 2009، التقرير الوطني للتنمية البشرية، نحو دولة المواطن، ص23.

للأساطير المصطنعة في لبنان، نجدها، أساطير قابلة للتفكك بسهولة، بالرغم من ظاهرها شبه المتماسك. فعناصر الهوية الوطنية المعروفة، يمكن استعراضها جميعها، لنتأكد بأن ثمة موضوعات أساسية لم تكتمل بعد. فالموقع الجغرافي ودوره في المحيط، غير واضح، وتاريخ البلد متنازع عليه وفق الجماعات التي تقطنه، واقتصاده الريعي يمنع من اشتراك جماعاته في البناء المشترك، والحقوق والواجبات التي يجب أن تسودها المساواة والعدالة، صنعت لها عشرات الأسباب التي تحول دونها... حتى العلم اللبناني الذي يمثل عنصرًا أساسيًا من عناصر هذه الهوية الوطنية، بات نادر الظهور، في ظل كثرة الإعلام والألوان الحزبية والمذهبية، التي تطغى على ظهوره في المشهد السياسي.

أينما تولي وجهك، تتلمس ضياع الهويّة، واندثار العدالة واختلال المساواة. تمايز في الحقوق، وتمايز في الواجبات وغلبة الفساد على القانون، وتفاوت حاد في توزّع الثروة، وتعزيز ثقافة الإستهلاك بدلاً من ثقافة الانتاج. حيث تكفي هذه الأسباب مجتمعة أن تعطي انطباعًا للمواطن اللبناني مفاده، إن هذه سياسات تعزز الاقصاء Exlusion، بدلاً من أن تعزز الاحتضان Inclusion، غير ملتفتة البتّة لمسألة بناء استراتيجيات وطنية للبقاء. ففقدان السيطرة على مستوى المؤسسات ولّد مجموعة كبيرة من الأفراد الذين اهتزت لديهم الثقة بالمساهمة الجدية في بناء وطن يؤمن بأهمية حشد الجهود والكفاءات لتحقيق التكامل والتنمية الشاملة.

ولأن المواطنة، هي أكثر من حقوق، وأكثر من واجبات، كان لا بد لنا بداية أن ننتبه في عقدنا الاجتماعي إلى كل ما من شأنه تعزيز المشاركة في البناء والانتاج، لأن الايدي التي تساهم في بناء صرح ما، لا يمكن أن تشترك في هدمه على الإطلاق، خوفًا من النتيجة التي ستحصدها وهي (خاسر / خاسر)، بينما عملية البناء بالمشاركة، تعطينا نتيجة حتميّة هي (رابح/ رابح).

من هنا لا يعنينا حينئذ جنس الملائكة، بل نتيجة عملها وطبيعة إنتاجها. ولأن العقد الاجتماعي يتوسم العدالة في توزيع الواجبات والحقوق، ويراعي المساواة في المساهمة، لن يكون هجينًا، ولن يفضي إلى نتيجة (خاسر / رابح) في أي منطق من المشهد السياسي أو التنموي، لأن التنمية الشاملة بالتشارك، تعلمنا كيف لا نفسد السفينة التي نبعد بها سوية، وكيف نحافظ على مسارها في الطريق الصحيح خشية الغرق.

ثانيًا: التعليم وتكوين رأس المال المعرفي

في الوقت الذي قويت فيه المبادرات الوطنية لتأسيس استراتيجية للتنمية المستدامة في العام 2015، نجد أن تجديد المناهج اللبنانية وتطويرها، بقيت على حال تسميتها القديمة (المنهجية الجديدة). ذلك إنها وليدة العام 1997 ولم تخضع بعد لعمليات تطويرية تجيب بوضوح عن سؤالين أساسيين في العملية التنموية: أي مواطن نريد؟ وأي مجتمع نريد؟...

لقد استطاعت بعض الدول النامية التي كانت غارقة بالصراعات العرقية والدينية، أن تخرج من كبوتها بواسطة التعليم والخطط التنموية والاقتصادية المحكمة حتى بلغت أعلى المستويات في المؤشرات الدولية للتنمية البشرية والاقتصاد المعرفي.

فالاصلاح الاقتصادي والاجتماعي والإداري، يبدأ أصلاً **بالمنظومة التربوية التعليمية** التي تعزز التطلعات الوطنية، وتحفظ مفهوم الاستدامة والاستمرار. ومن المستغرب أن تلحظ خطط التنمية موضوع الاستفادة من العنصر البشري والارث الثقافي ومسائل الابداع والابتكار العلمي[1]، في حين تغيب المبادرات والبرامج التي تحقق هذه الغاية، على الأقل في قطاع التعليم المستنزف.

وفي تأمين رأس المال البشري واليد العاملة ذات المستوى العالمي التي تقررهما خارطة الطريق نحو الاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة، تظهر عناوين بلا محتوى، حول التعليم العالي، والتعليم المهني والتقني، والأبحاث، والوظائف، التي تفقد الاحصاءات الدقيقة، أو المشاريع الجدية المفصّلة.

وبالإشارة إلى المعرفة وبنائها، لا بد وأن ننتبه لتلك العلاقة الثالوثية (المعرفة / التنمية / الحرية)، وعندما نتحدث عن المعرفة وعلاقتها بالتنمية، نستحضر الغاية الرئيسية التي تجعل من المعرفة أداة أساسية للتنمية. أما عن الحريّة، فهي المساحة الواسعة التي تعطي للتفكير غايته في الحياة الاجتماعية والسياسية المساعدة في فتح آفاق أوسع للإبداع والتفاعل الإنساني. وهذه الحقيقة يجب ألا تغيب عن النظرة الاستراتيجية لعملية التنمية في أي بلد من البلدان، حيث تأتي الجهود

(1) وزارة البيئة، خارطة الطريق نحو الاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة، 2015، ص6
www.nsds,pcm.gov.lb.

المعرفية لتفعيل الجهود التنموية المجتمعية والاقتصادية الرامية إلى رفع مستوى الفرص في التقدم نحو الأمام.

أما مجتمع المعرفة، فتحميه ثلاثية أخرى، (المجتمع / الاقتصاد / التكنولوجيا). فتكنولوجيا المعرفة واقتصاد المعرفة ومجتمع المعرفة، تشكل أقطابًا متقاطعة تحكم عملية التطوير الحديثة. فالرقمية ومعالجة المعلومات، ومنطق استعمالها، والإعلام الالكتروني والشبكات... شكلت مع بعضها منظومة متكاملة لبناء مجتمع المعرفة بما يحتويه من **رأس مال بشري منتج للاقتصاد المعرفي** عبر منظومة تكنولوجية محكمة. وهو مزيج من هذه الروافد كلها بشكل تفاعلي، تحتضنه بيئة تمكينية تهيئ له الخطط والمؤسسات والتشريعات المحوكمة. وهذا يعني تبني للخدمات الجديدة المستفيدة من الخبرة الإنسانية والأنماط السلوكية الجديدة، والمهارات العالية، التي تحول معها الاقتصاد العالمي، من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعرفة.

وكخلاصة للقول، نجد أن مجتمع المعرفة الحديث تناسبه **المجتمعات الشبكية**، لا المجتمعات المتقطعة، وتناسبه **الاستراتيجيات**، لا الاقتراحات الوصفية، وهو ما يدفع بنا لعدم التخلي أكثر عن **الشبكة الاتصالية الاغترابية** كجزء لا يتجزأ من مجتمع المعرفة، **وكامتداد وطني عابر للحدود الجغرافية**، وعابر لحدود الأوطان، إلى ما يمكن المساهمة به بقوة في عصر المعلومات.

ويعتبر التعليم مجالاً للتمكين في بناء مجتمع المعرفة، وهو المكوّن والمصنع الأساسي لرأس المال المعرفي. وعندما نظر إليه بهذه الصفة في منجزاته وعلاقته بمجتمع المعرفة بربط أنظمة التعليم بالاحتياجات التي تفرضها متطلبات التنمية في المجتمع اللبناني، وجعل التعليم في خدمة الانتاج وتوسيع الخبرات، نجد أنفسنا أمام معضلة كبيرة، إذ لا تقتصر المعرفة في النظام التعليمي على الاجابة عن سؤال: ماذا تعرف؟، وإنما يتجاوز الأمر ذلك إلى الأسئلة التالية والإجابات عليها:

- هل تعرف كيف تفعل هذا؟
- أين تجد المعرفة وكيف تجدها؟
- ما هي موثوقية وقيمة المعرفة المتوافرة لديك؟
- ما هي الاستعمالات الممكنة لها؟

حيث تمثل الاجابة عن هذه الأسئلة **كفايات تعليمية تعلمية** تجعل الأفراد عناصر فعّالة في تكوين مجتمع المعرفة[1].

أما عن فرص تكوين رأس المال المعرفي عند جيل الشباب (15-24 عامًا)، تغيب احصائيات المتوسط العام عن لبنان، فيما تظهر في الالتحاق التام بالتعليم العالي بمعدل 58٪، وفي الالتحاق التام بالمرحلة المتقدمة من المرحلة الثانوية بمعدل 72٪ وهي نسبة تشير إلى تأمين فرص تكوين رأس مال معرفي، أما عن جودة المعارف المكتسبة من خلال التعليم الأساسي، فقد أثارت نتائج الدراسة الدولية التي أجريت حول هذا الموضوع في الرياضيات والعلوم وفق ترتيب المنتدى الاقتصادي العالمي لعام 2018، بأن لبنان حلّ الأول بين الدول العربية، والرابع دوليًا لناحية جودة تعليمهما، أما في جودة التعليم العالي والتدريب، فقد حل لبنان في المرتبة 74، أما على مستوى مؤشر التنافسية العالمية فهو في المرتبة 105 من بين 137 دولة في النسخ الصادرة 2017 ـ 2018[2]، **وهنا المعضلة.** مؤشرات فرعية تفيد بأن ثمة مجهود مرتفع في مجالات علمية محددة، ومجموع رديء في رزمة المؤشرات مجتمعة، والتفسيرات واضحة، **غياب واضح للاستراتيجيات الوطنية التعليمية** التي تجعل التعليم في خدمة التنمية الشاملة، وفي تحقيق أعلى درجات التنافسية الدولية.

من هنا، فإن لبنان بات يفتقد (بالاضافة إلى نقص موارده وندرتها، وتبنيه لنظام اقتصادي ريعي إنتاجي، لا على مستوى الصناعة، ولا على مستوى الزراعة)، عنصرًا أساسيًا على مستوى رأس ماله البشري والمعرفي، المجال الأسرع والأنجح لبناء مجتمع المعرفة واقتصاد المعرفة بسبب افتقار برامجنا الجامعية في مجالات متعددة، إلى بعض مقومات الجودة على مستوى البرامج والثقافة ونوعيات التخصص وربط الاختصاصات وتدفقها بسوق العمل، الذي يفتقد للاحصائيات الدقيقة أولاً، ولادارة استراتيجيات تنموية واضحة ثانيًا، وبالأخص لقرار رسمي برفع مستوى الاستثمار في التعليم وفي رأس المال المعرفي اللبناني.

إن هذا المشهد المؤلم، يفصح لنا عن السياسات المتبعة على المستوى

---

(1) برنامج الأمم المتحدة الانمائي، تقرير المعرفة العربي العام 2009، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، دبي: دار الغريد للطباعة والنشر. ص98

(2) لبنان الرابع عالميًا في تعليم الرياضيات والعلوم، 2018/8/27 https://www.newlebanon.info

الوطني، ويصيبنا بخيبة أمل كبيرة، **فإذا كان هذا حالنا على مستوى رأس مالنا المعرفي المقيم فكيف هو حالنا إذا على مستوى رأس مالنا البشري والمعرفي على مستوى الاغتراب؟!**

أولاً: مشروع Tokten لنقل المعرفة عن طريق المغتربين

مشروع Tokten، هو نهج عالمي لبرنامج الأمم المتحدة الانمائي PNUD، وهو اختصار للعبارة التالية: Transfer of knowledge Through Expatriale Nationals.

وهو برنامج نقل مهارات وخبرات المغتربين، والاستفادة منها في وطنهم الأم، ووسيلة تعكس دور هجرة الأدمغة في البلدان النامية، خاصة تلك التي تخرج من أزمة مدنية خطيرة، حيث الحاجة إلى قوّة بشرية ماهرة لمواجهة تحديات الانتعاش والتنمية أمر بالغ الأهمية.

ويتضمن مشروع Tokten أهدافًا تساعد في نقل المهارات وتنظيمها، فهو يعنى بـ:

1 ـ الاستعانة بالمغتربين في عمليات بناء وتنمية أوطانهم الأصلية.

2 ـ الاستعانة بهم في تنشيط الوكالات والمؤسسات التي يعملون بها لفتح آفاق جديدة في بلدانهم الأصلية لخلق حركة اقتصادية وفرص جديدة للعمل، ورفع مستوى الكفاءة العلمية والمهارات وبناء القدرات[1].

ويشكل هذا المشروع أو ما يعادله من تجارب دولية، مبادرة متميّزة ومحفّزة للحكومات والمؤسسات الانمائية لتعزيز التعاون والتنمية للالتحاق بالركب الحضاري وريادة الأعمال، وذخرًا رئيسيًا من رأس المال البشري من أصحاب المهارات والخبرات والمعارف. حيث يتخطى دور المغتربين مجرد الاستفادة من تحويلاتهم المالية واعاناتهم المالية لأهلهم وذويهم، إلى استثمار أكثر وساعًا وأمتن استدامة، لتوظيف خبراتهم ومهاراتهم العالية في بناء مجتمع المعرفة والتنمية المستدامة.

هذا، ويسهم هذا المشروع في تعزيز التجارة والاستثمارات وفرص أنشطة الأعمال، لا بل تحسين العقد الاجتماعي في البلد الأصلي. إذ يعزز الشعور الوطني ومسؤولية النهوض لكل المقيمين في الخارج والداخل.

وعندما نتحدث عن تحسين العقد الاجتماعي، فإننا نقصد به كل ما من شأنه

(1) https: // info. Undp. Org / docs / pdc / Documents / LBR / TOKTEN LECBS Evaluation.doc.

تعزيز المواطنة والشعور بالمسؤولية الوطنية. فتحويلات المغتربين، تحد من الفقر ومشكلاته، وتقلل الضغوطات عن سوق العمل، وتعزز ريادة الاعمال، وترفع من شأن التنمية والصناعات والاستثمارات في بلد المنشأ. كما أنها ترفع من مستوى الكفاءات وتسهل عملية نقل المعارف، والمعرفة التقنية من الخارج.

ولهذا المعنى يشكل المغتربون محركًا قويًا للتغيير في بنية العقد الاجتماعي ويدعو إلى تحسين جودته بمعايير وتجارب أوسع وأمتن.

لقد تبين للدول من جديد، بأن التحويلات هي البعد الضيق لتأثير المغتربين في تخفيف حدة الفقر في بلدانهم الأصلية. فالاهتمام انتقل إلى تبني مفكرة أوسع نطاقًا عبر مراعاة قنوات لتعزيز التجارة والاستثمارات، وتعزيز الابتكارات والحصول على التكنولوجيا، وتقديم الخبرات المهاريّة والمعرفية.

وعلى مستوى تعزيز ريادة الأعمال من قبلهم، تشهد التجارب الدولية بأن لهم دورهم المميز في كثافة تدفقات الاستثمارات الدولية، وتأتي كنموذج ناجح لمساهمة جالياتهم في التنمية ونقل الخبرات وكثافة التدفقات الاستثمارية. وتشير التقارير بأن النيجيريين المغتربين يشترون العديد من السلع المصنعة في بلادهم، حيث تعبر عن تراثهم وثقافاتهم وإنتاجاتهم الخاصة[1].

من جهة أخرى، تستفيد بعض الدول من المغتربين في تيسير الأعمال التجارية في بلاد الاغتراب، أو فتح فروع تجارية في بلادهم الأصلية، وبسبب وجود جاليات كبيرة، يقومون بتعزيز الروابط التي من شأنها إفادة بلد الأصل بالخبرات ومصادر المعلومات والخبرات، أو حتى تبين استجلاب المواد الأساسية للموارد الطبيعية الكبيرة، ولا يكتفون بذلك، فالمغتربين في الهند مثلاً، يساعدون بلدهم الأصلي من خلال تنمية صناعة تكنولوجيا المعلومات التي تمثل أكبر صادرات الهند، التي يعمل فيها أكثر من 3,5 مليون شخص يتدربون على مهارات عالية تسمح بتدفق المواهب والأفكار. أما المفارقة الملفتة، فهي في نقل مهارات عالية في علم الاتصالات من وادي السيليكون وغيره من ممرات التكنولوجيا في الولايات المتحدة[2].

---

(1) Nigerians Abroad, Secret weapon, Nigeria's Diaspora Isa source of Money, Markets, skills and Ideas, June 20, http: // www.economist.com/news/ special - report/.

(2) مريم مالوش، وآخرون، حشد جهود المغتربين من منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، من أجل تحقيق التكامل الاقتصادي، وريادة الأعمال، مجموعة البنك الدولي، 2016، ص10.

ومن الملفت، بأن الجاليات الهندية والفليبينية والصينية في أميركا الشمالية، تتمتع بمهارات عالية توسم بالعمالة فائقة المهارة، في اختصاصاتهم ولغتهم الانكليزية التي تسمح لهم بلعب دور متقدم في نقل خبراتهم ومهاراتهم لبلدانهم الأصلية.

وتساعد الروابط مع المغتربين عادة بوضع أسس للتعاون بين المؤسسات الوطنية وقطاعات الانتاج من جهة وأصحاب الكفاءات العالية، ما يدفع دائمًا إلى زيادة الابتكارات وتقدم النشاطات التابعة لهذه الشركات في ما يسمح بإنشاء شركات تابعة في بلد الأصل، وتحسين البحث العلمي والتعاون العلمي العابر للحدود.

من هنا، فإن الدور الذي تلعبه اتحادات وجمعيات المغتربين عالميًا، في تعزيز نقل المعرفة إلى بلدانهم الأصلية، كان له مؤشراته في المجموعات البحثية الاستقصائية، وتبين أن 28٪ من المشاركين في الاستقصاءات، ينتمون إلى إحدى الجمعيات الاغترابية[1]، حيث تقوم هذه الجمعيات بتعزيز الروابط المجتمعية مع من يعيش في الاغتراب، وتساعده على تنظيم تقديم المساعدة لبلد المنشأ.

وتعمل هذه الجمعيات مع الحكومات والقطاعات العامة المختصة، أو بشكل مباشر مع المجتمع المحلي ومؤسساته التي تهتم بشأن التنمية والبحث العلمي.

ولقد تعددت الأفكار والتجارب التي قدّمتها هذه الجمعيات من خلال مبادرات تعزز عملية التواصل مع المغتربين. ففي المغرب العربي مثلاً شبكة تضم مائة جمعية قطرية واقليمية، يفوق أعضاؤها 200000 عضو. ومن الملفت أيضًا، أنها متخصصة بعدة مجالات قد لا نجدها في أقطار أخرى، كشبكة الكفاءات المغربية الاميركية، والجمعية الجزائرية للموهوبين والقادة، وشبكة الكفاءات المغربية الألمانية، التي تسعى لاقامة ندوات توعية ونقل خبرات ومهارات عالية للاستفادة القصوى من الطاقات والأدمغة الاغترابية.

ومن الشواهد الواضحة على مثل هذه الجهود، ذلك الدور الاغترابي المغربي الذي حصل في تعزيز قطاعات أعمال رئيسية كقطاع الطيران في المغرب، إذ كان للمغتربين دورهم المحوري في تحويل استثمار شركة (بوينغ) Boeing في سياتل، إلى قطاع الطيران في المغرب، بافتتاح شركة صغيرة (ماتيس) تقوم بتزويد

(1) المرجع نفسه، ص22.

الطائرات بونيغ 737 بالأسلاك الكهربائية، الأمر الذي يسمح بتوظيف 10 آلاف مغربي للعمل في هذا المصنع[1].

أما في مجالات التعليم والبحث العلمي ودعم الابتكار، فنرى نماذج دولية رائدة كالنموذج الكرواتي، الذي حرص على تنظيم مسابقات (التمييز البحثي) لإنشاء مشاريع مشتركة مع المغتربين، وإنشاء منتدى دولي للكفاءات المغربية يديره المركز الوطني للبحوث العلمية والفنية في المغرب، وإنشاء برنامج (سفراء) الذي يستهدف المهنيين ذوي المناصب الإدارية في تكنولوجيا المعلومات في تونس، أو ما سمي أيضًا بمشروع تونس الزكية. ومبادرة أطلقتها وزارة البريد وتكنولوجيا الإعلام والاتصالات في الجزائر، على شكل بوابة الكترونية مخصصة للمهارات الوطنية، تعرض قوائم كبيرة بمشاريع تجذب المهنيين المغتربين، وتتيح التبادل في المعلومات وتقديم مجموعة متنوعة من الأفكار.

وبصرف النظر عن مدى فاعلية هذه المبادرات والأفكار وتفاوت أثرها بحسب البلدان والدول، لا يمكننا إلا الوقوف عندها للاستفادة منها كتجارب يمكن تنظيمها وتطويرها واستدامتها، لتساهم فعلاً في بناء استراتيجيات وطنية تعود بالمنفعة على المغتربين من جهة، وعلى الواقع الاقتصادي والتنموي في بلادهم الأصلية من جهة أخرى.

ويهمنا في هذا المقام، أن نشير إلى تجربة رائدة مستدامة هي تجربة الفلبين، التي تشكل نموذجًا ناجحًا في إدارة العلاقة مع المغتربين الفلبينيين بالرغم من كثرة مغتربيها وكبر نطاق انتشارهم في العالم.

تعتمد الفلبين بداية أسلوبًا شخصيًا، يجيب عن سؤالين حول المغتربين: مَن هم؟ أين هم؟، وهذا يجعلها تمتلك منطلقًا علميًا ورؤية واضحة لادارة هجرتهم، بالرغم من تعداد سكانها الكبير (98 مليون نسمة)، وكبر حجم مغتربيها (15 مليون مغترب)، حيث تخصص الفلبين قيود إدارتها لهم في عشرة مجالات، في رزمتين: رزمة (كسب العقول)، ورزمة (مجالات العطاء)، وما يلفت حقًا على مستوى (كسب العقول)، وجود دوائر استشارية لأنشطة الأعمال وتبادل التكنولوجيا والمبادرات السياحية للمغتربين، وعلاقة ذلك بالتنمية المجتمعية في الفلبين.

---

(1) المرجع السابق ذكره، ص25.

وأما على المستوى الآخر، فهي تقدم المشورة القانونية لمساعدة المغتربين في تقديم استثمارات داخلية، ودوائر تهتم بعودتهم وإعادة اندماجهم في المجتمع الفلبيني من جديد. وأكثر من ذلك، فإن الفليبين معنية أيضًا بتنظيم هجرتهم وتدريبهم لسوق العمل الخارجي[1].

ثانيًا: لبنان ومشروع نقل الخبرات عبر المغتربين

لقد فشلت السياسات الحكومية على مرّ العقود على مستوى الأنظمة التعليمية في مواكبة سوق العمل من جهة، وفي استثمار طاقتها من رأس المال البشري من جهة أخرى. 47٪ من حملة الاجازات هم من العاطلين عن العمل، و62٪ من الطلاب يسجلون سنويًا في اختصاصات العلوم الاجتماعية والإنسانية، وفي حين يبلغ عدد خريجي الجامعات اللبنانية 16000 خريج على وجه التقريب، فإن 13000 ألف خريج منهم لا يجدون عملاً لهم[2].

ويدفع هذا الواقع سنويًا لهجرة المتخصصين، إما كموهوبين لا يجدون طموحهم وفرص عملهم الملائمة، وإما بترك شركات ومؤسسات لا يجدون أفقًا فيها، وإما بأصحاب مهارات يحولون إلى قطاعات أخرى بسبب انسداد الأفق والفرص في اختصاصاتهم...

ومهما تعددت الأسباب، فإن السبب الحقيقي، هو غياب السياسات الوطنية المنظمة للطاقة البشرية ولرأس المال البشري، وغياب الرؤية الاستشرافية لتحويل هذا البلد من بلد ريعي استهلاكي، إلى بلد إنتاجي، على كل المستويات التعليمية والصناعية والزراعية والخدماتية، فعدم اعتماد منهجية علمية **لتحديد القطاعات الواعدة للاستثمارات** Value chain Analysis يضرب بكافة السبل الآيلة إلى الاستثمار في التعليم وهو مصنع رأس المال البشري، في داخل البلاد أو خارجها....

فمن الناحية التشخيصية، نتساءل عن دور الحكومات المتعاقبة في تعزيز قطاعات الانتاج وزيادة الاستثمارات فيها، وعن جمع واصدار معلومات تحليلية محدّثة عن هجرة الأدمغة في لبنان، وعن تشجيع الشراكات بين القطاعين الخاص والعام، وعن القوانين الناظمة لنمو الاستثمارات، والصناعة الرقمية، والنانو تكنولوجي، وتقنيات المعلومات والقطاعات الانتاجية ذات الميزة التنافسية...

---

(1) المرجع نفسه، ص41.

(2) www.lebanonfiles.com, 16 كانون أول /2015.

وفي حين تبلغ عائدات تحويلات المغتربين في لبنان 17٪ من الناتج القومي[1]، أي ما يعادل 8 مليار $ سنويًا، فإن الدعوى إلى استثمار خبرة هؤلاء ومهاراتهم تبقى على أعتاب مبادرات خجولة لا تنتمي إلى خطط استراتيجية تقدمها الدولة اللبنانية، أو استراتيجيات وطنية قابلة للتنفيذ.

على ما تقدّم أعلاه، نجد أن المسؤولية تدعونا للاهتمام بثلاثة مجالات أساسية تتعلق بمساهمات المهاجر اللبناني لخدمة التنمية، وهي على الشكل التالي:

1 ـ التحويلات المالية إلى الداخل.

2 ـ نقل المعرفة والخبرات الاغترابية إلى لبنان.

3 ـ التبادل التجاري والمشاريع الاستثمارية المشتركة.

وسيشكل البندان الثاني والثالث مساحة خصبة لتفعيل دور المهاجرين تنمويًا، من خلال تنظيم عمليات نقل المعرفة والمهارات والأفكار من دول المهجر لتعزيز رأس المال البشري، وتقاطع هذا الأمر مع أهمية إقامة المشاريع الاستثمارية المشتركة التي تصب في خانة تبادل الخبرات للتقليل من حدة الآثار السلبية لهجرة الأدمغة، أو ما يسمى بكسب العقول المهاجرة.

من خلال استقصاء أنواع المؤسسات المهتمة بجماعات المغتربين، يتبين لنا أنها منحصرة بالمؤسسات الوطنية التالية:

1 ـ المديرية العامة للمغتربين، التي تعنى بتوطيد العلاقات بين المقيمين في الداخل والمقيمين في الخارج، والتي من المفترض أن يكون لها دورها على مستوى تدعيم المشاريع والسياسات التي تساعد على تحويل مشاريعهم ومساهماتهم إلى مساهمات تنموية لبنانية.

2 ـ مجلس الانماء والاعمار، الذي يعمل بصفته وكالة تنفيذية لمشروع توكتين Tokten، فيروج له عبر الوزارات والمؤسسات العامة وينسق مع برنامج الأمم المتحدة الانمائي.

3 ـ مجموعة من المجالس والمؤسسات غير الحكومية التي تسعى لسد الثغرة المتعلقة بتعزيز التعاون مع المغتربين اللبنانيين وتفعيل دورهم في الحياة الوطنية:

---

(1) الأمم المتحدة، المنظمة الدولية للهجرة، تقرير الهجرة الدولية للعام 2015، الهجرة والنزوح والتنمية في منطقة عربية متغيرة، 2015، ص65-66.

الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم WLCU، والمؤسسة العامة لتشجيع الاستثمارات في لبنان IDAL، ومركز دراسات الانتشار اللبناني LERC، والمجلس الاغترابي اللبناني للأعمال LIBC، وهيئة استقطاب المغتربين اللبنانيين TLE، والمعهد اللبناني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ILDES، ومعهد دراسات الهجرة IMS[1] والمجلس القارّي الإفريقي ACC...

وتكفي هذه التجمعات المتخصصة، إذا ما وضعت استراتيجية وطنية مشتركة، بالتعاون مع الدوائر الحكومية المتخصصة أن تنقل المستوى التعاوني الاستثماري على مستوى رأس المال البشري إلى مستوى التنظيم الدقيق، لمعالجة ثلاثة محاور أساسية:

ـ **المحور الأول**: البحث عن أوجه الارتباط بين المغتربين والاستثمارات والمعارف والمهارات المطلوبة على مستوى الدولة.

ـ **المحور الثاني**: وصف عمليات التواصل على أسس إحصائية دقيقة تجيب عن سؤالين: من هم؟ أين هم؟

ـ **المحور الثالث**: استراتيجية وطنية لربط الخبرات الخارجية الاغترابية بمشاريع تنموية في الداخل.

وتمدنا بعض المعطيات الرقمية، بالكثير من الأمل في استثمار يتخطى عمليات التحويل، ويضعنا أمام مسؤولية وطنية متعلقة ببناء هوية وطنية متكاملة، تبني مستقبلها **من خلال خبراتها المقيمة والمهاجرة على حد سواء**، فقاعدة البيانات في شعبة السكان بالأمم المتحدة، تتحدث وفق احصائياتها، عن 505729 مغترب لبناني منتشرين في العالم، يتقدمون بتحويلات تزيد قيمتها عن نسبة الانفاق الحكومي على التعليم والرعاية والصحة والدفاع مجتمعة[2].

وفي تحليل استقصائي لفئات المهاجرين عالميًا، تبين بأن 85٪ منهم يريدون بملء إرادتهم مساعدة بلدانهم الأصلية ومواصلة التواصل معها. في حين أن 43٪[3] من هؤلاء يود المساعدة عبر نقل معارفه ومهاراته إلى الافراد والمؤسسات

(1) ICMPD,IOM.OIM، هجرة العبور عبر المتوسط: نحو حوار فاعل، المركز الدولي لتنمية سياسات الهجرة والمنظمة الدولية للهجرة، 2010، ص21.
(2) مريم حالوش، حشد جهود المغتربين، ص 24/6.
(3) المرجع نفسه، ص 24/14.

في بلده الأصلي، وتقديم التوجيه والارشاد وتقديم أعمال تطوعية... وهذا يعني بأن ما يقارب نصف المهاجرين عالميًا ممن يتقنون مهارات عالية وخبرات لديهم هذا الاستعداد، ولكنهم ينتظرون مبادرات بلادهم لتنظيم هذا الشأن.

ونأتي إلى الواقع اللبناني، فنجد بعض الجمعيات المتخصصة بشأن بناء علاقات ناجحة مع المغتربين، إما أنها تعمل بغير فعالية، أو أنها تفتقد لاستراتيجيات واضحة مرتبطة بمجهود غيرها من المؤسسات الحكومية والأهلية التي تعطي معنى الاستدامة لعملها. وقد نجد أيضًا بضعًا من المنظمات أو الجمعيات، التي لا نرى توثيقًا أو أدلة لأثرها على جماعة المغتربين من جهة، أو على الأداء التنموي المرتبط بهم.

ونذكر على سبيل المثال منظمة مقرها في الولايات المتحدة تضم 380 لبنانيًا متخصصين في مجال التكنولوجيا المتقدمة يعملون بحسب المصادر على نقل المعرفة التقنية من وادي السليكون إلى لبنان، ولكن ليس لدينا أية معلومات عن أثرهم في تشجيع إنشاء شركات جديدة متعلقة بهذا الشأن[1]. أو نجد جمعيات لبنانية مهنية تقوم بالتركيز على العلاقة مع جماعة المهاجرين اللبنانيين، بدون الالتفات إلى مدى الاستفادة من خبراتهم على المستوى التنموي، كرؤوس أموال بشرية[2].

أما على مستوى بعض مبادارت Tokten في لبنان فلم يتعد الأمر مستوى بعض الدورات الخجولة التي لم ترتق إلى خطط استراتيجية وطنية تشمل كافة القطاعات التي يتطلب الأمر رفع مستوى الاهتمام بها على مستوى نقل الخبرات والاستثمار المرتفع فيها. ومن الشواهد على ذلك قيام مشروع Tokten في لبنان بعض النشاطات المتقطعة، مثل إقامة دورة تدريب للمفتشين على سلامة الغذاء التي قدمها الخبير في هذا الشأن المغترب اللبناني البروفسور فادي عرموني لتدريب 180 مفتش من وزارة الاقتصاد والصناعة والزراعة والسياحة ومصلحة الأبحاث العالمية الزراعية[3]، ومشروع دورة تدريبية لعدد من المهندسين في وزارة

(1) المرجع نفسه، ص24/22.

(2) جمعية Lebnet ـ المسؤولين التنفيذيين المالين اللبنانيين في العالم، شركة انستا بيت...

(3) http://www.undp.org.lb

الاشغال، بدعم من برنامج Tokten، لتدريبهم على كيفية الكشف على الجسور، ودرس إمكان صيانتها وإعادة تأهيلها[1]...

ولقد ذكرنا هذه الأمثلة للاشارة إلى أهميتها كمبادرات مساعدة في تحقيق الاستفادة الفعالة من الطاقات الاغترابية اللبنانية واستثمار عقولهم وخبراتهم، وفي الوقت نفسه للاستشارة إلى أن وجودها كنشاطات متقطعة الأوصال، لا تخدم المصالح الوطنية في تكوين رأس مال بشري مؤثر في التنمية الشاملة والمستدامة...

الخاتمة

لقد لعبت الحكومات في كافة أقطار الدول النامية، على تعزيز موقعها التنموي والاقتصادي، وتعزيز هوياتها الوطنية بالالتفات لاستثمار رأس المال البشري على مستوى مواطنيها المقيمين في الداخل والخارج، باعتبارهم شركاء أساسيين في التنمية وريادة الأعمال، وقدمت جهدًا كبيرًا في سبيل وضع استراتيجيات وطنية في إنشاء شبكات اتصال ومبادرات ومشاريع صغرى وكبرى، يحقق عملية تبادل المعارف بين المقيمين في الداخل وأولائك المغتربين، من خلال مسح الموارد البشرية المغتربة كافة، بتحديد أماكن انتشارها ونوعية كفاءاتهما، وقدمت مبادراتها وبرامجها التي تستثمر مهاراتهم العالية في قطاعات الانتاج المحلية وفي صناعات تكنولوجية عالية الدقة، وقدّمت تصوراتها في إنشاء مشاريع بحثية مشتركة بين رعاياها في الداخل ورعاياها في الخارج، واعتمدت في بعض الأحيان أساليب عدة في نقل خبراتهم إلى أوطانهم الأصلية بأساليب حديثة تصل إلى التعلم عن بعد، وإدارة المشاريع من الخارج، ما يختصر المسافات والأوقات، ويعطي أعلى درجات الاهتمام والتواصل الفعال معهم.

واليوم نتساءل، أما آن الأوان أن يتبنى وطننا، مثل هذه السياسات، لتعزيز الانتماء الوطني، لتحقيق الهوية الوطنية العابرة للدول والجنسيات، والمشاريع التنموية الرائدة، التي تنشل لبنان من مستنقعه الريعي، ليصبح بلدًا رائدًا منتجًا بالتعاون والمشاركة مع مواطنيه أصحاب الكفاءات العالية، كسبًا للعقول والأدمغة؟..

(1) https://al-akhbar.com/community 29 آذار 2007.

تداعيات هجرة الأدمغة
وآثارها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية:
مسار النساء اللبنانيات صاحبات الكفاءة:

أ.د. سوزان منعم



- أستاذة محاضرة وباحثة في الجامعة اللبنانية، معهدالعلوم الاجتماعية.
- مستشارة في الهجرة الدولية والعلاقات الإثنية. حائزة شهادة الدكتوراه من جامعة Poitiers الفرنسية (Migrinter) .
- باحثة في المركز اللبناني لدراسة الهجرة والانتشار (LERC) في جامعة سيدة اللويزة منذ سنة 2007 وباحثة في المركز الفرنسي للشرق الأدنى (IFPO) منذ سنة 2011.
- عضو في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع والجمعية اللبنانية لعلم الاجتماع.
- شاركت تنظيما وحضورًا في العديد من المؤتمرات والدراسات.

économique: parcours des femmes libanaises:

Suzanne Menhem[1]

Résumé:

Depuis les années 1990, la féminisation du flux migratoire est devenue un vrai phénomène mondial. Le Liban connu traditionnellement pour une forte émigration masculine vit récemment le passage vers une migration féminine. La proportion des Libanaises augmentent sensiblement parmi les immigrés. Alors qu'auparavant les femmes émigraient le plus souvent dans le cadre du regroupement familial et l'accompagnement de leurs conjoints. Cependant les raisons ont changé: les études, le travail... Nous traitons dans cette recherche un sujet riche et plus ou moins délicat qui est la femme libanaise hautement qualifiée en situation de migration (émigration et de retour au Liban). Suite à une étude faite dans les années 2015 sur les femmes hautement qualifiées en France et en parallèle à celle qui est faite sur le retour au Liban des femmes hautement qualifiées. Cette réflexion permet de comparer la situation de la femme entre hier et aujourd'hui. L'objectif de cette étude est de mettre l'accent sur le rôle de la migration et son impact sur le développement social et économique. Dans cette situation la technique qualitative s'impose de toute évidence. Vingt-cinq entretiens ont été réalisés avec des émigrées de retour au Liban titulaires d'un diplôme ou équivalent, célibataires, maîtrisent la langue et non naturalisées, en tenant compte de la diversité des catégories socioéconomiques et socioprofessionnelles auxquelles elles appartiennent. De plus, le changement du statut personnel, notamment par l'acquisition de la nationalité du pays d'accueil, la formation académique et l'expérience professionnelle seront examinés afin de mettre l'accent sur les acquis de leur expérience migratoire et leur rôle dans la mutation socio-économique du pays d'origine. Cette étude montrera l'intégration et la place qu'occupent ses femmes migrantes et de retour. En nous interrogeons plus particulièrement sur l'expérience migratoire de ces dernières et les mutations de leurs vies professionnelles et sociales une fois de retour au Liban.

Mots clés: Migration des cerveaux- Migration de retour- Développement socio-économique--Autonomisation- femmes Libanaises-

(1) Maître de conférence à l'Université Libanaise, Institut des Sciences Sociales.
Email: suzanne.menhem@gmail.com

الملخص:

منذ التسعينيات، أصبحت هجرة النساء ظاهرة عالمية تتزايد باستمرار. لبنان، المعروف تقليديًا بارتفاع نسبة هجرة الذكور، يشهد في الآونة الأخيرة التحول إلى هجرة الإناث. وتتزايد نسبة النساء اللبنانيات زيادة كبيرة بين المهاجرين. في حين أن هجرة النساء في معظم الأحيان كانت جزءًا من جمع شمل الأسرة ودعم أزواجهن. نراها اليوم قد تغيّرت أسبابها إلى: التعليم، والعمل...تعالج هذه الدراسة موضوعًا غنيًا وحساسًا هو موضوع المرأة اللبنانية صاحبة الكفاءة في الهجرة (الهجرة من لبنان والعودة إليه). تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على دور الهجرة وأثرها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. بعد دراسة أجريت في سنة 2015 عن النساء اللبنانيات صاحبات الكفاءة واللواتي دخلن سوق العمل في فرنسا، وفي موازاة مع عودة بعضهن إلى لبنان، جاءت هذه الدراسة لمقاربة حالة المرأة بين الأمس واليوم. تطرح هذه الدراسة إشكالية إسهام هجرة النساء اللبنانيات صاحبات الكفاءة في نجاح مسار اندماجهن الاجتماعي والمهني في البلد المضيف، وفي البلد الام بعد عودتهن إليه. أمّا منهجيًا، فبالاضافة إلى أدبيات الدراسة، سوف نقوم بعمل ميداني يتضمن أولاً الملاحظة المباشرة، وثانيًا المقابلة شبه الموجهة التي ستشمل عينية مؤلّفة من خمس وعشرين امرأة عائدة إلى لبنان من مختلف البلدان المضيفة، مع مراعاة تنوّع الفئات الاجتماعية والاقتصادية والمهنية التي ينتمين إليها، والتي تتضمن كيفية رؤية أنفسهن قبل الهجرة، في البلد المضيف وبعد العودة إلى لبنان. أمّا في ما يتعلق بتحليل البيانات فسنعتمد التحليل النوعي (مقاربة نوعية). تظهر هذه الدراسة اندماجهن ومكانتهن قبل الهجرة وأثناءها وبعد العودة إلى لبنان. ونتساءل تحديدًا عن تجربة الهجرة عند هؤلاء النساء، والتغيرات التي احدثتها في حياتهن الاجتماعية والاقتصادية بعد العودة إلى لبنان.

الكلمات المفتاح:

هجرة الادمغة- العودة- التنمية الاقتصادية والاجتماعية-التمكين- النساء اللبنانيات.

Introduction

" La migration est aussi vieille que l'humanité elle-même. Il n'est pas exagéré de dire que l'évolution du règlement humain et du développement socio-économique et culturel a été façonné par la migration " soutiennent NIJKAMP et al.. (Lacour, C Angeon, V, 2013). Aussi, le développement récent des flux migratoires s'explique, selon NIJKAMP et POOT (2012) par " un espace économique ouvert, par le développement des nouvelles technologies de l'information et de la communication, par l'introduction de moyens de transport efficaces et peu coûteux, par une combinaison de concurrence et de liens globaux " (Lacour, C Angeon, V, 2013).

Par ailleurs, historiquement, le Liban est connu pour être un pays d'émigration par excellence, de transit et d'immigration. Plus précisément, depuis plus de trois décennies, (Menhem. S، 2018) (Abi Samra, M., 2010), il connaît un mouvement massif et permanent d'émigration, ce qui en fait non seulement l'un des pays les plus touchés par l'émigration, mais également de son économie, l'une des plus dépendantes des transferts effectués par les émigrés et la diaspora libanaise. Le phénomène d'émigration étant toujours d'actualité dans un contexte d'instabilité politique, de crise économique ou parfois d'une économie en récession, a connu plusieurs vagues migratoires. Au Liban la migration de départ commence à partir de la seconde moitié du XIXe siècle. Depuis, cette migration a régressé et connait une hausse des flux migratoires pendant la guerre civile (1975-1990). On estime que le nombre total d'émigrés libanais et de leurs descendants se situe entre huit et dix millions. Selon Kasparian, le nombre d'émigrés varie dans l'intervalle de 600.000 et 900.000 pendant la guerre civile (Kasparian, C, 2008).

Aussi, la question de la migration du Liban constitue une problématique majeure en raison de ses répercussions sur les structures sociales libanaises, pour autant le nombre d'expatriés libanais dépasse de trois fois le nombre des résidents. De plus, les mutations socio-démographiques, économiques, politiques et culturelles qui en résultent, sont difficiles à quantifier. Mais nous ne pouvons pas ignorer le fait que ces migrations ont également contribué au développement du Liban, au renforcement de ses relations internationales, d'ordre politique, économique, commercial, social et linguistique.

En outre, le Liban connaît enfin une forte migration des cerveaux et de compétences, depuis deux à trois décennies. Depuis les années 1990, la féminisation du flux migratoire est devenue un vrai phénomène mondial. Le Liban, connu traditionnellement pour une forte émigration masculine, vit récemment le passage vers une migration féminine. La proportion des Libanaises augmentent sensiblement parmi les émigrés, pour des raisons académiques et/ou professionnelles. Nous traitons dans cette recherche un sujet riche, plus ou moins délicat et jamais exploré par la littérature migratoire, concernant la femme libanaise hautement qualifiée en situation de migration (émigration et de retour au Liban).

Suite à une étude conduite, à partir de 2012 jusqu'en 2015, sur les femmes hautement qualifiées en France, et en parallèle à celle qui est faite sur le retour au Liban des femmes hautement qualifiées (2015-2019). Cette réflexion permet de comparer la

situation de la femme entre hier et aujourd'hui. Cette étude mettra en exergue l'intégration et la place qu'occupent ces femmes migrantes de retour, en nous interrogeant plus particulièrement sur l'expérience migratoire de ces dernières et l'impact de celle-ci sur leur vie professionnelle et sociale, une fois de retour au Liban.

L'objectif de cette étude est de mettre l'accent sur le rôle de la migration et son impact sur le développement.

Dans quelle mesure le parcours migratoire des femmes libanaises hautement qualifiées, de retour au Liban, contribue-il à la réussite de leur réinsertion professionnelle et sociale ?

Pour répondre à cette problématique nous élaborons l'hypothèse suivante:

Plus les femmes hautement qualifiées sont motivées pour le retour au Liban, plus leur autonomie est confirmée.

Méthodologie:

Par ailleurs, la migration de retour, une des étapes du cycle migratoire, fait l'objet de deux types d'approches. Le premier type porte sur les théories économiques classiques des migrations internationales, lesquelles considèrent que le retour peut être la résultante d'un échec de l'expérience migratoire, en ce sens que les objectifs du projet migratoire n'ont pas été atteints. (Constant, A. Massey, D.S, 2004) (Cassarino J.P, 2004). Le second se rapporte au concept de la nouvelle économie de la migration de travail (NEMT). Ce concept met l'accent sur la réussite de l'expérience migratoire en termes de capital financier et humain des migrants en vue de réaliser leurs projets de réintégration et de réinsertion professionnelle et sociale dans le pays d'origine.

Dans cette situation, la technique qualitative s'impose de toute évidence. Vingt-cinq entretiens semi-directifs ont été réalisés, face à face, avec des femmes libanaises émigrées en situation de retour au Liban ; titulaires d'un diplôme ou équivalent, célibataires, maîtrisant la langue et non naturalisées, en tenant compte de la diversité des catégories socioéconomiques et socioprofessionnelles auxquelles elles appartiennent avant le départ. De plus, le changement du statut personnel, notamment par l'acquisition de la nationalité du pays d'accueil, la formation académique et l'expérience professionnelle seront examinés afin de mettre l'accent sur les acquis de leur expérience migratoire et leur rôle dans la mutation socio-économique du pays d'origine. Des pseudonymes ont remplacés leurs prénoms réels.

Notre travail de recherche tente de répondre à la problématique soulevée de départ, en adoptant le second type d'approche, lequel se focalise sur la réussite de l'expérience migratoire. Une exploration de la littérature non exhaustive sur la féminisation de la migration qualifiée sera traitée dans un premier temps, afin de mettre en évidence son impact sur l'autonomisation de la femme. Le cycle migratoire des migrantes hautement qualifiées, sera examinée de près, en mettant l'accent sur l'étape de la migration de retour, dans un second temps.

1 - Féminisation de la migration qualifiée, facteur (levier) de développement de l'autonomisation de la femme

La migration constitue un phénomène mondial d'ampleur, affectant à la fois le parcours et la vie des migrants ainsi que différents pays à des degrés divers. Selon l'Organisation Internationale pour les Migrations (OIM), l'on compte, en 2018, plus de 258 millions de migrants internationaux dans le monde. De fait, des millions de personnes se trouvent touchées au travers d'échanges économiques, culturels et de liens familiaux dans un monde en pleine mutation et de plus en plus interconnecté. La migration est un puissant catalyseur en faveur du développement durable aussi bien pour les migrants eux-mêmes que pour les sociétés des pays d'origine, de transit et de destination. De fait, elle permet d'impulser les remises sociales et financières (Ratha, D; Mohapatra, S Scheja, E, 2011) notamment avec le transfert de connaissances et de compétences ainsi que les investissements dans les pays d'origine.

Aussi, l'impact de la migration sur le développement durable équivaut à l'impact de ce dernier sur la migration. Les contextes du développement dans lesquels s'inscrivent les parcours migratoires peuvent avoir des incidences sur les ressources des migrants, leurs aspirations, leurs motivations et leurs potentialités en matière migratoire. Divers facteurs tels que les conflits, les changements climatiques, la conjoncture du marché du travail, les perspectives académiques et professionnelles ainsi que d'autres liés au développement peuvent sensiblement affecter les motifs et la nature de la migration.

Afin d'étayer l'impact de la migration sur le développement durable, il convient de présenter, dans un premier temps, les objectifs de développement durable (ODD) du Programme 2030 en mettant en évidence le lien intrinsèque du phénomène migratoire à ces derniers, et de dégager dans un second temps, les deux ODD spécifiquement dédiés aux femmes en vue de leur autonomisation.

2 - Lien intrinsèque de la migration aux Objectifs de Développement Durable (United Nations, 2013) (United Nations̃ 2015)

Le Programme 2030 de développement durable présente un cadre global permettant d'examiner la relation, certes complexe, mais dynamique entre le phénomène de la migration et le développement, et de mieux appréhender l'idée soutenue selon laquelle la migration et les migrants peuvent impacter les résultats du développement, et l'inverse est tout aussi valable.

Par ailleurs, le Programme 2030 admet que la thématique de la migration fait partie intégrante du développement. La migration est assimilée explicitement, pour la première fois, dans le programme de développement mondial. Le Programme s'intéresse à toutes les populations mobiles, quel qu'en soit le motif (économique, écologique, politique, asile, éducatif, regroupement familial), puisque " *les objectifs et les cibles seront concrétisés au profit de toutes les nations, de tous les peuples et de toutes les composantes de la société* ". *Il considère que les migrants, femmes, hommes et enfant, en situation vulnérable constituent des agents du développement, d'où la nécessité impérieuse de les protéger*.

Le Programme intègre toutes les formes de migrations, y compris les déplacements. Certes, aucun ODD ne se focalise particulièrement sur la migration, mais celle-ci y est admise comme un facteur clé permettant de contribuer au développement et de réduire la pauvreté. La référence principale à la migration se trouve dans la cible 10.7 de l'objectif 10, lequel vise à " réduire les inégalités dans les pays et d'un pays à l'autre ".

Cette cible préconise de " faciliter la migration et la mobilité de façon ordonnée, sans danger, régulière et responsable, notamment par la mise en ?uvre de politiques de migration planifiées et bien gérées ". Le sous-objectif 10.7 représente, sans conteste, la pierre angulaire de la migration dans le Programme 2030. Aussi, d'autres cibles de certains ODD renvoient directement à la migration, et d'autres encore traitent de la question transversale de la migration dont il faut tenir compte. En effet, l'objectif 8 porte sur la reconnaissance et la hausse des contributions des migrants de travail à la croissance économique, mettant l'accent sur le travail décent pour tous. L'objectif 16 dans sa cible 16.2 aborde la problématique de la traite des êtres humains, un point essentiel pour mettre fin à la maltraitance, à l'exploitation, à la traite, et à toutes les formes de violence et de torture. Il s'agit, plus concrètement, de réduire la situation de vulnérabilité et de protéger les droits, le bien-être et les intérêts des enfants migrants tout au long de la trajectoire migratoire. Par conséquent, la mise en ?uvre des ODD ouvre la possibilité de protéger les populations migrantes et de les soutenir en vue de réaliser leurs potentialités de développement, d'une part, et d'apporter des avantages conséquents, tant pour les personnes que pour les communautés et pays du monde entier, d'autre part.

3 - Deux ODD au service de l'autonomisation de la femme

Deux autres objectifs du Programme 2030 concernant les femmes migrantes présentent un intérêt majeur et méritent toute leur place, dans le cadre de notre recherche, dont l'un porte sur l'éducation de qualité et l'autre sur l'autonomisation de la femme. En effet, L'ODD 4 vise à " assurer l'accès de tous à une éducation de qualité, sur un pied d'égalité, et promouvoir les possibilités d'apprentissage tout au long de la vie ".

Il s'agit de promouvoir l'accessibilité et d'améliorer la qualité de l'enseignement primaire, secondaire et tertiaire pour les migrants, tous groupes confondus, quel que soit le stade migratoire, incluant les enfants migrants, les réfugiés, les migrants de retour ainsi que les personnes déplacées dans leur propre pays. Cet objectif mise également à renforcer les liens entre la dispense d'une éducation, les compétences professionnelles, les perspectives en matière de formation et les marchés du travail. La cible 4.3 de l'objectif 4 préconise, d'ici à 2030, l'égal accès des femmes et des hommes à un enseignement technique, professionnel, tertiaire et universitaire de qualité à un coût raisonnable.

La cible 4.4 du même objectif ambitionne d'augmenter notablement le nombre de jeunes et d'adultes ayant des compétences techniques et professionnelles indispensables à l'emploi, à un travail décent et à l'entrepreneuriat, d'ici à 2030. Les visées de la cible entretiennent un lien avec la migration, puisqu'il est question

d'améliorer les compétences et les formations des migrants en vue d'élargir l'accès à des emplois décents.

La cible 4.5 de l'objectif 4 cherche, à l'horizon 2030, à endiguer les inégalités entre les sexes dans le champ de l'éducation et à garantir l'égal accès des personnes vulnérables quel que soit le niveau d'enseignement et de formation professionnelle. Dans ce contexte, les politiques et les programmes d'enseignement et de formation sur le plan local et national doivent intégrer tous les groupes de migrants. Cette cible vise également à repenser les mécanismes de reconnaissance des qualifications et du niveau de la formation entre les pays afin de faciliter l'accès des migrants aux études complémentaires et à l'emploi. La cible 4.B vise, d'ici à 2020, à accroître considérablement à l'échelle mondiale le nombre de bourses d'études offertes aux pays en développement, notamment aux pays les moins avancés, aux petits Etats insulaires en développement, afin d'assurer le financement du suivi d'études supérieures à l'étranger, dans des pays développés et en développement. Il s'agit de favoriser les programmes d'échanges et toute forme de mobilité estudiantine.

Quant à l'ODD 5, objet ayant un intérêt particulier dans notre recherche, il vise à " parvenir à l'égalité des sexes et autonomiser toutes les femmes et les filles ". Cela implique d'engager des réformes afin d'assurer aux femmes les mêmes droits en termes de ressources économiques, d'accès à la propriété quelle qu'en soit la forme, de contrôle des terres, de services financiers, d'héritage et de ressources naturelles, dans le respect du droit interne. Il s'agit d'enrayer les inégalités qui persistent dans les domaines précités, d'autant plus que celles-ci peuvent inciter à la migration. Et la garantie de l'égal accès aux diverses ressources précitées doit être également assuré aux femmes et filles migrantes[1].

4 - De la féminisation de la migration contestée vers la féminisation de la migration qualifiée confirmée

Il est nécessaire de souligner que la littérature scientifique sur les femmes migrantes fournit une asymétrie entre les études consacrées à la féminisation de la migration et celles quasiment rares traitant de la féminisation de la migration qualifiée. D'autant plus qu'en se basant sur les données statistiques, celles-ci réfutent de manière générale la présence d'un phénomène de féminisation de la migration, mais confirment la propension de la féminisation de la migration qualifiée.

L'on peut donc observer cette asymétrie, au point que l'expression de la féminisation de la migration intègre certaines encyclopédies et certains dictionnaires de référence, tandis que l'expression de la féminisation de la migration qualifiée y brille par son absence (Dumitru, S. 2017). Aussi, l'expression de la féminisation de la migration renvoie systématiquement aux emplois peu qualifiés ou précaires.

(1) Dans l'ensemble, bien qu'elle entretienne un lien intrinsèque aux ODD, la migration reste invisible dans ces derniers, et selon la lecture de certains auteurs, la contribution des migrantes qualifiées au développement n'a pas eu la place qu'elle mérite. Seule la cible 8.8 mentionne les femmes migrantes en visant la protection des droits des travailleurs.

Certains considèrent que l'association systématique de la féminisation de la migration aux emplois peu qualifiés dans la littérature constitue un moyen de confirmer et d'illustrer la théorie de la division internationale du travail, laquelle a émergé à la fin des années 1970. Cette théorie ne traite pas particulièrement de la migration mais de la mondialisation et soutient que la mobilité du capital génère une féminisation du travail dans les pays en développement, ce qui incite les femmes à migrer à destination des pays développés. Les recherches qui s'inspirent de cette théorie semblent analyser la féminisation de la migration de manière à étayer la division internationale du travail au détriment du phénomène de la féminisation de la migration qualifiée.

" Le concept de chaînes de *care mondialisées étudie le phénomène migratoire des travailleurs du care, les familles et les ménages transnationaux et l'internationalisation des services de care, auxquels la littérature sur la tendance prédominante de la mondialisation, la migration et le care a accordé peu d'intérêt. Plus généralement, le concept s'avère particulièrement pertinent, mettant en évidence le travail de la reproduction sociale, un point essentiel à la compréhension des modèles et des dynamiques contemporains du développement dans et au travers des contextes du pays* " *(Yeates, N, 2005).*

C'est la raison pour laquelle plusieurs auteurs (Dumitru, Marfouk) remettent en cause l'expression de la féminisation de la migration pour plusieurs raisons. Il n'est pas question de faire état de toutes ces dernières, dans le cadre de notre recherche. Tout au plus, nous pouvons citer quelques-unes, dont l'une est due à un changement géopolitique avec la dislocation de l'URSS, en 1991, en 15 pays indépendants, ce qui a eu pour conséquence, au regard des statistiques migratoires, de modifier le statut de personnes de migrants internes en migrants internationaux, sans que celles-ci aient traversé de frontière. Aussi, selon ces mêmes auteurs, l'augmentation de la proportion des femmes dans la migration internationale reste très faible au cours d'un demi-siècle, allant de 47% en 1960 à 48,2% en 2015. Et les données de la Division population des Nations unies confirment ce constat, en ce sens que le nombre de femmes migrantes a augmenté de 36 à 117 millions dans la période étalée entre 1960 et 2015, tandis que celui des hommes migrants affiche une augmentation de 40 à 126 millions au cours de la même période. Par conséquent, l'expression de la féminisation de la migration malgré son usage récurrent dans la littérature est, à juste titre, inappropriée.

L'utilisation rituelle de la féminisation de la migration internationale tend à occulter une tendance importante de la migration internationale, à savoir la féminisation de la migration qualifiée. En effet, celle-ci affiche une forte accélération, puisque l'effectif des migrantes qualifiées en provenance de l'Afrique a été approximativement multiplié par 12 au cours de ces trois dernières décennies (Brucker, H., Capuano, S. Marfouk, A., 2013). Trois éléments peuvent illustrer cette tendance ; La majorité des migrants qualifiés au sein de l'OCDE sont des femmes, la migration des femmes qualifiées s'accélère massivement pendant la période 1980-2000 et le taux d'émigration des femmes diplômées de l'enseignement supérieur est plus élevé que celui des hommes (Dumitru, S. Marfouk, A., 2015). Aussi, d'après les données

statistiques pour les pays de l'OCDE, plus d'un migrant sur deux, diplômé de l'enseignement supérieur, est une femme.

Néanmoins, il convient de soulever un constat qui compromet la visibilité des migrantes qualifiées, celui des discours dominants sur la féminisation de la migration. Or, en réalité, une migrante sur trois est diplômée de l'enseignement supérieur En effet, ces discours ignorent le déclassement systémique des femmes migrantes, en l'occurrence celles issues des pays en développement, qui se trouvent très souvent à occuper des emplois pour lesquels elles sont surqualifiées les services à la personne ou le social care. A titre d'exemple, 40% des migrantes originaires d'Afrique ou de pays à faible revenu, disposent d'un diplôme de l'enseignement supérieur. De plus, d'après certains indicateurs, les femmes éduquées représentent la composante la plus mobile de la migration (Dumitru, S. Marfouk, A., 2015). Au cours de la période 1980-2010, le nombre de migrantes, toutes origines confondues, ayant un diplôme de l'enseignement supérieur a augmenté en moyenne de 5,6%. Cette augmentation est supérieure à celle des hommes diplômés du supérieur, (4,7%) et de celle des migrantes ayant un niveau de scolarité inférieur au baccalauréat (0,7%). De plus, des données désagrégées viennent appuyer le fait que les femmes diplômées optent davantage pour migrer que les deux catégories précédentes (Dumitru, S. Marfouk, A., 2015).

Cela permet d'induire que la progression de la migration des femmes diplômées par comparaison avec celle des hommes diplômés témoigne du développement croissant du niveau éducatif des femmes, longtemps reléguées au second rang. De plus, l'observation des taux d'émigration basés sur le sexe et le niveau éducatif met en exergue le fait que migrantes les plus éduquées présentent le groupe le plus mobile à l'international. Généralement, l'absence de diplôme d'enseignement supérieur met un frein à la mobilité internationale, en l'occurrence pour les migrantes des pays en développement, car les taux d'émigration des migrants moins instruits sont plutôt faibles.

Ce frein à la mobilité touche en particulier les femmes puisqu'en moyenne, le taux d'émigration des femmes hautement éduquées est 4,3 fois supérieur à celui des femmes non ou faiblement éduquées. Cet écart est beaucoup plus conséquent pour les pays en développement, particulièrement pour les pays les moins avancés et l'Afrique. Par contre, l'absence de diplôme touche moins la mobilité des hommes, puisque généralement les femmes moins éduquées ne sont pas candidates à la migration que les hommes moins éduqués. Mais la proportion des femmes à émigrer, parmi les personnes diplômées de l'enseignement supérieur, est plus forte au regard de leurs compatriotes masculins.

4.1: Le contexte libanais

Par ailleurs, les études migratoires relatives à la migration qualifiée des femmes libanaises sont peu abondantes. L'étude consacrée à la migration et féminisation au Liban (Choghig Kasparian, CARIM-AS 2010/70) met en évidence l'évolution de l'émigration féminine en se basant sur deux enquêtes nationales réalisées par l'Université Saint Joseph (Kasparian, C., 2010). A priori, les motifs de départ des femmes

libanaises étaient essentiellement dus à la guerre civile, à l'instabilité de la situation politique, aux conditions générales de vie, au regroupement familial et au mariage avec un conjoint établi à l'étranger.

Ensuite, à la fin de la guerre civile, le départ des femmes est motivé par un choix personnel, soit pour rechercher un travail à l'étranger mieux rémunéré lorsqu'elles sont diplômées de l'enseignement supérieur, soit pour poursuivre des études supérieures dès l'obtention du baccalauréat, soit pour découvrir d'autres horizons. Dans tous ces cas de figure, les femmes libanaises sont de plus en plus à la recherche de leur autonomisation économique. La première porte sur " L'entrée des jeunes Libanais dans la vie active et l'émigration des Libanais entre 1975 et 2001 " et la seconde est relative à " L'émigration des jeunes Libanais et leurs projets d'avenir 1992-2007. Dans le cadre de cette recherche, il est certain que nous n'en tirons que les conclusions de ces deux enquêtes qui peuvent confirmer la tendance croissante de la féminisation de la migration libanaise hautement qualifiée.

Aussi, il en ressort clairement un accroissement de plus en plus important de l'émigration féminine pendant la période étalée entre 1975 et 2007, même si elle demeure relativement inférieure à celle des hommes. Néanmoins, cette tendance est à la baisse entre 1995 et 1999. Cette période correspond à une conjoncture économique favorable et à un retour des émigrés ainsi qu'a une propension de départ plus faible, sans toutefois omettre les imprécisions liées aux aléas de l'échantillonnage. Cette étude apporte plusieurs éléments d'éclairage utiles, en l'occurrence les disparités entre les régions. En effet, les jeunes femmes libanaises, originaires de Beyrouth, sont plus candidates à l'émigration que celles des autres régions, ce qui s'explique par la différence culturelle et le clivage social entre les régions urbaines et rurales. Les régions éloignées ou encore plus traditionnelles ne sont pas favorables à l'émigration autonome des femmes.

De plus, l'étude révèle que l'intensité des flux migratoires diffère selon deux grandes communautés. En effet, les jeunes femmes chrétiennes sont plus enclines à l'émigration que leurs compatriotes musulmanes. En ce qui concerne les destinations de l'émigration des femmes, celles-ci sont multiples. En effet, les pays du Golfe ont été une destination cible surtout au cours de la période 1997-2001 pour des raisons économiques. Il s'agit, ici, une migration circulaire, à savoir que ces départs ne sont pas destinés à être définitifs et le projet migratoire suppose, souvent, le retour au Liban ou le transit vers un autre pays. En général, les départs des femmes sont plus importants vers l'Amérique (33%), les Pays Arabes (25%) et l'Europe (22,6%) au cours de la période 1975-2007. En outre, les causes de l'émigration des femmes libanaises évoluent considérablement au fil du temps. Durant la période 1975-2007, les raisons familiales prédominent pour les femmes émigrées. En effet, 60% parmi ces dernières ont émigré soit pour rejoindre ou accompagner la famille, soit pour se marier.

Néanmoins, les raisons d'émigration des femmes évoluent nettement dans le temps, en ce sens que les raisons familiales constituent de moins en moins un motif de départ pour les jeunes femmes, à la différence des raisons économiques lesquelles

motivent de plus en plus leur émigration (13% durant la période 1992- 1996, et 22,7% entre 2002 et 2007) et les études supérieures dans une moindre mesure. Aussi, l'émigration des jeunes femmes pour poursuivre leurs études supérieures reste relativement faible (4,3% pendant la période 1975-2007), alors qu'une nette évolution apparaît dans la période entre 2002 et 2007, ou presque quatre fois plus de femmes émigrent pour causes d'études. En définitive, les conclusions de cette étude montrent que la mobilité des femmes était, au départ, dépendante de leur statut familial et l'aspiration à l'autonomie était quasiment absente. Puis cette mobilité évolue en faveur de l'émigration pour des raisons économiques ou pour de meilleures conditions de travail. Le mode de migration des femmes seules confirme la tendance de celles-ci à construire un projet migratoire autonome. Les conclusions démontrent également un nombre plus élevé des femmes émigrant pour poursuivre des études supérieures que celui des hommes.

Par conséquent, cette nouvelle forme d'émigration se développe considérablement, conférant à la femme libanaise un nouveau statut ainsi qu'une nouvelle place dans les flux migratoires. Ainsi, le phénomène de la migration autonome des femmes gagne de l'ampleur au sein de la société libanaise, bien que dans certains cas les hommes ont encore un rôle considérable dans le projet migratoire.

5 - Autonomisation des femmes, un tremplin pour un développement socio-économique

Il n'est plus à démontrer, à l'aube du XXIème siècle, le rôle des femmes dans le développement des sociétés, même si des efforts en vue de l'autonomisation des femmes doivent être encore démultipliés en raison des inégalités qui persistent entre les sexes d'une part, et entre celles issues des pays en développement et des pays développés, d'autre part. Aussi, les femmes et les filles représentent, à elles seules, la moitié de la population mondiale, ce qui signifie par conséquent la moitié de son potentiel. (OCDE, 2004). D'où l'intérêt croissant de promouvoir l'autonomisation des femmes à l'échelle mondiale afin d'enrayer les inégalités entre les sexes compromettant le progrès social. D'autant plus qu'inciter à autonomiser les femmes et promouvoir l'égalité entre les sexes est plus que jamais indispensable pour accélérer le développement durable. Aussi, la définition des Nations unies de l'autonomie des femmes repose sur cinq principaux critères, à savoir le sens de la dignité, le droit de faire de déterminer ses choix, le droit d'avoir accès aux ressources et aux opportunités, le droit d'avoir le contrôle sur sa propre vie et la capacité d'influencer le changement social en vue de créer un ordre économique et social plus juste à l'échelle nationale et internationale (Programme des Nations Unies pour le développement 2008).

D'où l'intérêt croissant de promouvoir l'autonomisation des femmes à l'échelle mondiale afin d'enrayer les inégalités entre les sexes compromettant le progrès social. D'autant plus qu'inciter à autonomiser les femmes et promouvoir l'égalité entre les sexes est plus que jamais indispensable pour accélérer le développement durable. Aussi, la définition des Nations unies de l'autonomie des femmes repose sur cinq principaux critères, à savoir le sens de la dignité, le droit de faire de déterminer ses choix, le droit d'avoir accès aux ressources et aux opportunités, le droit d'avoir le

contrôle sur sa propre vie et la capacité d'influencer le changement social en vue de créer un ordre économique et social plus juste à l'échelle nationale et internationale.

De plus, Amina J. Mohamed déclare(1), que " *Lutter contre les inégalités de genre est notre responsabilité partagée, cela est fondamental pour parvenir à un monde plus juste, pacifique, prospère et durable pour toutes et tous* " *afin de défendre une vision collaborative de l'ODD5.*

Elle plaide sans cesse en faveur de l'autonomisation de la femme et rappelle qu' " *Il est temps de partager plus largement les bénéfices de la croissance et de la mondialisation. Il est urgent d'autonomiser nos femmes et nos filles; de tirer parti de l'immense potentiel des jeunes en matière de changement positif et d'innovation ; d'inverser la tendance en matière d'inégalités ; et de mettre les gens et la planète au centre des préoccupations* "*, Les Nations unies attribuent, en outre, trois dimensions à l'autonomisation de la femme. La première porte sur les opportunités économiques déclenchées au travers d'actions visant à développer l'employabilité et l'entrepreneuriat des femmes. La deuxième dimension est relative à l'amélioration des droits et des dispositifs juridiques, notamment en termes d'accès à la propriété et à la succession. La troisième dimension touche la participation et l'inclusion des femmes dans les instances décisionnelles d'ordre économique et politique.*

Il convient de préciser, à ce titre, que l'autonomisation économique des femmes relève d'un processus incluant les ressources et les possibilités. En effet, les ressources de production constituent des avoirs permettant aux femmes de progresser sur le plan économique. Il s'agit des actifs corporels comme les ressources financières (revenu, épargne) et les ressources physiques (logement, technologie) et des actifs incorporels (savoir, savoir-faire, reconnaissance sociale). Disposer des ressources de production n'assure pas automatiquement l'autonomie économique aux femmes.

Ces dernières doivent avoir des possibilités, afin de pouvoir exploiter les actifs de manière rentable. Une femme autonome sur le plan économique est en mesure de participer davantage aux activités économiques, d'avoir accès à des emplois plus qualifiés et plus intéressants dans tous les secteurs, ce qui lui permet d'exploiter son potentiel et de faire bénéficier la société de retombées positives sur le plan socio-économique. D'autant plus que l'autonomisation économique implique un changement des dynamiques de pouvoir injustes et l'accès à davantage d'outils et de possibilités, ce qui constitue la clé de la réussite économique. Par conséquent, lorsque la femme dispose de plus de moyens et de ressources économiques, ses perspectives en termes de projet de vie, de carrière professionnelle, de participation aux activités culturelles ainsi qu'aux causes sociales et politiques se trouvent renforcées et consolidées.

L'autonomisation de la femme a donc non seulement un impact sur sa propre situation économique, mais également sur les personnes de son entourage ainsi que

(1) A l'ouverture de la Conférence 2018 de l'ONU à Vienne

sur la société dans son ensemble, et permet d'enrayer le cycle de la pauvreté. Enfin, selon Bastia et Busse (2011) soulignent, à juste titre, que l'acte de migrer constitue en soi un levier d'émancipation, ce qui permet d'induire à fortiori que la migration féminine en vue de poursuivre les études supérieures à l'étranger va permettre d'assurer les perspectives d'insertion professionnelle, et par conséquent consolider leur autonomisation (Bastia, T. Busse, E., 2011) (Lafleur, J.M Duchesne. J., 2017)..

6 - Impact du niveau éducatif sur la migration

Par ailleurs, afin de mettre en évidence l'impact de l'éducation sur la migration, il convient de souligner le fait que si la migration internationale n'a que très peu augmenté, à l'échelle mondiale et au cours des dernières décennies, au regard de la population, le niveau d'éducation des migrants issus des pays en développement à destination des pays développés s'est nettement amélioré, au point d'avoisiner considérablement le niveau moyen du pays d'accueil. Aussi, l'impact de l'éducation sur la propension de la migration qualifiée est fort visible. En effet, l'on observe une tendance plus importante vers la migration interne et une tendance qui s'accélère vers la migration internationale des diplômés de l'enseignement supérieur (D'aiglepierre, C; David, A Nilsson, B, 2019).

Cette occurrence est due aux incitations à la migration propres aux diplômés, lesquels bénéficient d'avantages en termes de rendements éducatifs meilleurs (valorisation de leurs compétences du pays d'accueil), du coût moindre à la migration et d'accès à l'information. Dans le même sens, les politiques migratoires opèrent une sélectivité éducative, ce qui illustre parfaitement cette propension à la migration qualifiée. De fait, certains pays d'accueil mettent en place un système à point quant au niveau d'éducation des immigrants. La France a mis en place puis développé, entre autres, un dispositif permettant aux migrants qualifiés de venir s'y installer tel que le passeport talent-chercheur ou en encore la carte bleue européenne. Dans le sens inverse, la migration étudiante peut constituer un moyen d'acquérir une meilleure formation académique et universitaire, ce qui est le cas pour les étudiants internationaux. Dans ce contexte, l'éducation devient une motivation à la migration et à la mobilité internationale.

7 - Cycle migratoire des migrantes hautement qualifiées de retour

Il convient de rappeler que le phénomène migratoire relève d'un processus multidimensionnel, incluant non seulement l'émigration mais également d'autres étapes aussi diverses telles que l'installation dans le pays d'accueil, l'éventuel retour au pays d'origine. Au même titre que le départ, le retour résulte d'un processus décisionnel, réfléchi et assez complexe impliquant un certain nombre de facteurs (Observatoire ACP sur les migrations̃ 2013).

Aussi, la conjoncture économique du pays d'accueil favorable ou défavorable, les raisons personnelles, l'incapacité d'adaptation au pays d'immigration, les obstacles rencontrés et les lourdeurs administratives, l'échec ou la réussite de l'expérience migratoire vécue, sont autant de facteurs qui peuvent motiver ou démotiver la décision de rentrer au pays. S'ajoute à cela, une vision utilitariste de la migration, en termes de calcul du coût-bénéfice, et de la balance de celui-ci équilibrée ou déséquili-

brée qui peuvent fortement influer sur les décisions de retour (Guarnizo. L.E., 1997) (Lafleur, J.M Duchesne. J., 2017). Aussi, le diplôme constitue au regard des femmes un véritable passeport pour la vie. En effet, selon Dumitru, le taux d'émigration des femmes diplômées de l'enseignement supérieur, quelles que soient leurs origines, est quatre fois plus élevé que celui des femmes non qualifiées (Dumitru, S. 2017). De plus, selon une approche théorique, les migrants sont considérés comme étant des catalyseurs potentiels de changements sociaux, économiques ou politiques tant pour les sociétés de résidence que pour celles d'origine. Cette considération s'applique a fortiori aux femmes migrantes hautement qualifiées de retour.

Traditionnellement, la littérature scientifique s'est focalisée sur les incidences des flux de remises d'épargne sur les pays d'origine sans tenir compte des potentialités d'autres remises (Levitt, P, 2001) (Lafleur, J.M Duchesne. J., 2017). Or, certains font état de l'émergence progressive de remises sociales afin de mettre en exergue l'intérêt des divers flux non matériels tels que les idées, pratiques, comportements et valeurs, entre les deux pays. Aussi, la migration de retour des diplômés, y compris celui des femmes diplômées, ayant acquis des compétences et accumulé du capital à réinvestir, peut améliorer considérablement le capital humain du pays d'origine.

Il s'agit, ici, d'analyser les données empiriques tirées de l'enquête de terrain réalisée principalement entre 2012 et 2019 sur un échantillon de 25 femmes migrantes hautement qualifiées de retour au Liban, et d'examiner leur cycle migratoire en trois temps. Aussi, plusieurs interactions, observations et discussions informelles avec un certain nombre de femmes migrantes de retour complètent ce dispositif de collecte de données.

7.1 Situation de départ des femmes migrantes hautement qualifiées

Selon les données collectées auprès de 25 femmes libanaises en 2012, sept femmes avaient le niveau du baccalauréat, onze parmi elles avaient le niveau d'une maîtrise, trois possédaient un Master et quatre un Master 2 (Tableau 3). Force est de constater, que l'émigration des femmes de notre échantillon est motivée par un choix personnel, en vue de poursuivre leurs études supérieures en France, ou pour parfaire leur niveau académique en suivant une spécialisation dans leur discipline.

Une grande majorité des femmes de notre échantillon (18) possédaient déjà un diplôme universitaire (Tableau 3). Aussi, on observe que sur 25 femmes, 20 ont choisi d'émigrer pour des raisons académiques, 3 uniquement pour le travail et 2 pour des raisons académiques et professionnelles (Tableau 2). De plus, 10 femmes sur 25 femmes ne travaillaient pas au Liban au moment du départ, et une femme, Nadine, ne s'est pas exprimée sur la question. Une bonne majorité de ces femmes (15) occupaient un poste au moment du départ (Tableau 3).

Dans ce contexte, il s'agit d'une migration étudiante, puisque dès le départ, ces femmes préparent leur projet migratoire en vue d'une formation universitaire et/ou une spécialisation dans leur discipline. Samira suit par contre différents cursus universitaires, et obtient à l'issue plusieurs diplômes, en littérature, en sciences de l'histoire, en japonais et en histoire contemporaine. En outre, selon les caractéristiques sociodémographiques, 21 femmes sur 25 sont chrétiennes, dont 19 de la confession

maronite, une femme de la confession grecque orthodoxe et une autre de la confession catholique, 2 femmes sont sunnites et deux autres sont chiites (Tableau 1). L'écart se creuse donc entre les deux grandes communautés au niveau de l'intensité des flux migratoires. En effet, les femmes chrétiennes sont fortement plus portées à l'émigration que leurs compatriotes musulmanes.

Toujours en termes de **caractéristiques sociodémographiques**, la totalité des femmes (25) de notre échantillon sont célibataires au moment du départ à l'étranger. Quant au choix du pays de destination, 17 femmes optent pour la France, 5 choisissent le Canada comme pays d'accueil, une femme l'Irak, 2 femmes optent pour l'Italie, et une femme bâtit son projet migratoire dans quatre pays d'accueil (Tableau 1). Donc la grande majorité des femmes optent pour la France. En ce qui concerne l'année de départ à l'étranger, une seule femme part en 1977, période où le Liban était ravagé par la guerre, 3 femmes émigrent dans les années 1980, là encore pendant la période de conflits, 7 femmes partent pendant les années 1990, après la fin de la guerre, 6 femmes émigrent dans la première décennie des années 2000, alors que 8 femmes se lancent vers d'autres horizons au cours de la deuxième décennie des années 2000 (Tableau 1).

Force est de constater, que la mobilité des femmes pour des raisons académiques et/ou professionnelles débute après la fin de la guerre du Liban et se développe dans les années 2000. Dans l'ensemble, l'on constate que les raisons académiques prédominent dans le choix d'émigrer des femmes de notre enquête. Ce constat nous permet de conclure que la mobilité des jeunes femmes libanaises n'est plus dépendante de leur statut familial, d'autant plus qu'elle est principalement motivée par le choix de poursuivre des études supérieures, et les raisons professionnelles interviennent dans une moindre mesure au moment du départ. Cela permet de conclure également que le mode de migration des jeunes femmes libanaises seules s'inscrit dans la mise en ?uvre d'un projet migratoire autonome et leur choix d'émigrer constitue en soi un acte d'émancipation.

7.2 Expérience migratoire dans le pays d'accueil

Au cours de leur expérience migratoire, 23 femmes ont vécu **une intégration réussie** dans le pays d'accueil (Tableau 4). Donc presque la totalité des femmes ont connu une situation migratoire positive au cours de leur séjour dans le pays d'accueil. Les raisons invoquées par les femmes de notre échantillon sont multiples et portent, entre autres, sur l'intégration réussie, l'absence de sentiment d'exclusion de la société du pays d'accueil, l'ouverture à l'autre, la tolérance, la solidarité entre étudiants cosmopolites, les relations sociales, les réseaux sociaux, la découverte d'autres cultures, le travail bien rémunéré, l'épanouissement personnel et professionnel et le potentiel d'opportunités (Tableau 4).

Aussi, certaines femmes menaient **des activités sportives et/ou culturelles**, exploraient le pays d'accueil, entreprenaient de voyager vers d'autres horizons. D'autres ont développé le goût de la lecture. De plus, 15 femmes de notre échantillon, donc plus de la moitié ont exercé une **activité professionnelle au cours de leur séjour dans le pays d'accueil**, tandis que 10 femmes n'ont pas travaillé dans le pays de destina-

tion (Tableau 3). En outre, 8 femmes ont trouvé du travail dans le pays d'accueil de leur propre initiative, et 3 parmi elles ont été embauchées, dès leur départ, par des recruteurs étrangers en déplacement au Liban, 2 parmi elles ont trouvé du travail au travers d'un réseau d'amis, et une autre a trouvé un poste par le biais du père (Tableau 3). Enfin durant leur séjour, presque toutes les femmes **ont maintenu des liens d'amitié** avec leurs amis de classe et/ou leurs collègues de travail. La plupart de ces femmes ont également des liens amicaux avec des français et d'autres de divers horizons. A l'exception de Aya qui a eu des liens amicaux avec les Italiens, et de Christine qui a eu des liens amicaux uniquement avec les français et les amis de classe et de Nicole avec les français, anglais, africains et amis de classe.

7.3 Migration de retour des femmes libanaises hautement qualifiées

La migration de retour constitue une thématique occupant de plus en plus le c?ur des débats politiques et économiques. La Division des statistiques de l'Organisation des Nations Unies (ONU) pour la collecte des données des statistiques sur la migration internationale définit les migrants de retour comme étant des " *personnes qui rentrent dans le pays, dont elles sont ressortissantes après avoir été des immigrants internationaux (de longue ou de courte durée) dans un autre pays et qui ont l'intention de rester dans leur propre pays pendant au moins un an* ". *La thématique porte sur la durée du séjour au pays d'accueil, le niveau d'expérience migratoire et les ressources mobilisées sur le plan culturel, social et économique*.

Aussi, la décision de retour est un processus déterminé à la fois par la situation des femmes migrantes dans le pays de résidence, mais également par leur perception quant à leur satisfaction future dans le pays d'origine. De plus, la migration de retour induit un certain nombre de négociations et de compromis quant aux référents culturels de la société du pays de départ et ceux récemment acquis dans le pays d'accueil. Ce qui implique un processus de ré-identification au pays d'origine, sans qu'il ne soit toutefois automatique. En effet, le niveau de préparation au retour, le caractère plus ou moins précipité de celui-ci et le capital financier, éducatif et social des migrantes peuvent impacter l'expérience de retour, laquelle peut être perçue soit positivement par ce dernier, soit, au contraire, placer les jalons d'une nouvelle émigration (Cassarino, J.P, 2007) (Martinez-Bujian, R., 2016).

En ce qui concerne notre enquête, les 25 femmes hautement qualifiées de retour au Liban sont au nombre de 4 à avoir la vingtaine, de 9 la trentaine, de 7 la quarantaine, de 4 la cinquantaine et d'une à avoir 60 ans. Certaines, dont 2 sont rentrées cette année 2019, 2 autres en 2018, 4 en 2017, 3 en 2016, 2 en 2015, une femme en 2014, 3 en 2012 (Tableau 1). Donc la grande majorité sont rentrées dans les années 2000. En termes d'acquisition d'une nationalité autre que celle libanaise, 12 femmes ont acquis la nationalité du pays d'accueil, dont 5 ont obtenu la nationalité française, 4 la nationalité canadienne, 2 la nationalité grecque et une la nationalité suédoise (Tableau 1). Les séjours moyens et courts à l'étranger correspondent à la durée des études supérieures et à celle d'un travail dans le pays de destination. D'autres femmes ont effectué de longs séjours à l'étranger (13 ans, 14 ans, 19 ans et 23 ans, tableau 1). Parmi les raisons qui ont motivé le retour de ces femmes, les rai-

sons professionnelles prédominent (12 dont une pour mutation professionnelle, et une pour le travail dans une entreprise familiale) (Tableau 2). Les raisons familiales viennent en deuxième position (6), dont 1 pour prendre en charge un parent malade, une autre pour l'éducation des enfants, et une autre pour s'occuper de ses parents.

Le retour des femmes motivé par le mariage intervient en troisième position (4, tableau 2). Celles qui sont rentrées pour d'autres motifs, elles sont très peu nombreuses, une femme est rentrée car son projet migratoire est uniquement bâti pour obtenir un diplôme universitaire, une autre est rentrée pour insatisfaction de sa vie sociale à l'étranger, et enfin une autre en raison de l'échec de l'expérience migratoire étant à la recherche d'emploi. Aussi, 7 femmes parties pour poursuivre leurs études supérieures à l'issue du baccalauréat ont obtenu un diplôme universitaire à l'étranger, et quelques-unes plusieurs diplômes (Tableau 3).

Celles qui sont parties avec un premier bagage académique, qui ont poursuivi leurs études supérieures en vue d'une spécialisation dans leur discipline, sont au nombre de 16, ce qui constitue une grande majorité de notre échantillon (Tableau 3). Quant au lien entre la formation académique et la pratique ainsi que l'expérience professionnelle, 21 femmes de l'échantillon ont débuté et/ou poursuivi une carrière professionnelle qui fait suite à leur formation universitaire et leur spécialisation. Cela permet de confirmer la réussite du projet migratoire à la quasi-totalité de l'échantillon. De plus, la grande majorité des femmes migrantes de retour (16, tableau 3) ont trouvé leur travail de leur propre initiative. Ce constat permet de corroborer l'hypothèse de départ selon laquelle plus les femmes hautement qualifiées sont de retour au pays d'origine, plus leur autonomisation se trouve confirmée, d'autant plus qu'elles prennent de l'initiative seules et réussissent parfaitement leur réinsertion professionnelle et sociale dans le pays d'origine. Celles qui ont réintégré le marché du travail libanais par le biais des amis sont au nombre de 6, alors que celles qui ont trouvé du travail par le biais de professeurs sont au nombre de 3.

En termes de satisfaction au travail, de retour au Liban, 18 femmes affirment être satisfaites de leur travail, dont une femme est satisfaite en fonction du projet d'architecture, et une autre indique être satisfaite de son travail mais qu'il est difficile de se réadapter) à l'environnement libanais (tableau 3). Par contre, en termes d'insatisfaction au travail, l'on compte uniquement 4 femmes.

Alors que seulement une femme affirme avoir un travail stable sans donner plus de précisions et une autre répond être moyennement satisfaite de son travail (Tableau 3). Concernant les **conséquences de la migration sur la vie personnelle** des femmes migrantes, il apparaît que celles-ci sont plus nombreuses (15, tableau 4) à affirmer avoir acquis un nouveau regard sur la vie, une grande autonomisation, une certaine maturité. Seulement 3 affirment que la migration a eu impact négatif sur leur vie personnelle (Tableau 4). Quant **aux incidences de la migration sur la vie familiale**, elles sont seulement 5 nombreuses à affirmer que leurs relations avec la famille sont positives, tandis que 7 femmes déclarent avoir soit perdu les liens familiaux en raison de l'éloignement, soit des conflits, soit un sentiment d'exclusion

des conversations familiales, alors qu'elles sont 6 à ne pas constater de conséquences particulières (Tableau 4).

Du point de vue de la vie sociale, la migration a eu des conséquences positives sur la vie sociale selon 14 femmes, alors que 6 parmi elles reconnaissent l'absence de vie sociale dont certaines invoquent la distance avec les amis. Seulement 4 femmes déclarent que la migration n'a eu aucune influence sur leur vie sociale, et une femme ne s'est pas prononcée sur la question (Tableau 4). En ce qui concerne le changement que la migration a opéré, 22 femmes affirment que celle-ci a eu un impact positif en termes d'autonomie et d'indépendance, ce qui représente la quasi-totalité de l'échantillon (Tableau 4). A la question de savoir si elles encourageraient leurs compatriotes à suivre le même parcours, elles sont 23 à répondre par l'affirmative, invoquant l'importance de l'autonomisation de la femme et du changement de mentalités.

En ce qui concerne **les perspectives d'avenir**, en l'occurrence en termes d'une nouvelle émigration, 13 femmes envisagent de récidiver l'émigration, dont 7 dans un autre pays, 3 en France, 2 au Canada et une en Suède. Une femme envisage d'émigrer de nouveau en fonction des opportunités, et une autre en fonction de la situation du pays. Par conséquent, plus de la moitie Alors que 10 femmes souhaitent rester au Liban (Tableau 5). Quant à **l'apport de l'expérience migratoire**, toutes les femmes répondent avoir beaucoup gagné en termes d'expérience, d'autonomie, d'indépendance, de maturité, de confiance, de dépassement de soi, d'opportunités professionnelles, d'acquisition de nouvelles connaissances, de responsabilités et de solidarité (Tableau 5). En ce qui concerne **la modification des rapports familiaux**, 9 femmes déclarent ne pas constater de changement à ce titre, alors que 8 femmes confirment une certaine modification dans les rapports familiaux en raison de leur changement de perception. Quant au sentiment **d'avoir perdu quelque chose**, une fois de retour au Liban, elles sont 15 à affirmer par l'affirmative en termes d'indépendance dans le mode de vie, d'accès aux activités culturelles et de différence culturelle (Tableau 5).

Aussi, une grande majorité des femmes (18) maintiennent **un lien avec le pays d'accueil**, 3 femmes ont conservé aucun lien avec le pays de destination alors que seulement 2 affirment avoir rarement de lien avec le pays d'accueil (Tableau 5). Presque la totalité des femmes (20) se rendent en visite au pays d'accueil, tandis que 5 ne s'y rendent jamais (Tableau 5). En ce qui concerne la moyenne des visites, 7 femmes se rendent au pays d'accueil une fois par an, 10 s'y rendent 2 fois par an, une femme, 3 fois par an et une autre plusieurs fois par an. Trois parmi elles ne se prononcent pas sur la question, et une autre s'y rend une fois tous les 2 ans (Tableau 5). Certaines (7) s'y rendent pour des raisons professionnelles, 5 pour voir leurs amis, 2 pour des raisons familiales, 4 pour vacances et tourisme.

Les conclusions de l'enquête illustrent, d'une part, que la décision de retour relève d'un processus déterminé à la fois par la situation des femmes migrantes dans le pays de résidence, mais également par leur perception quant à leur satisfaction future dans le pays d'origine. D'autre part, ces conclusions confirment notre hypoth-

èse initiale, à savoir que plus les femmes hautement qualifiées sont motivées pour le retour au Liban, plus leur autonomie est confirmée et consolidée. D'autant plus que selon les données de l'enquête, presque la moitié des femmes sont rentrées avec un projet professionnel, ce qui atteste leur capacité à réfléchir à leur avenir et à élaborer, au préalable, des stratégies d'adaptation à un environnement socio-économique nouveau. Par conséquent, la migration de retour des femmes hautement qualifiées confirment l'acquisition de leur autonomisation, en l'occurrence économique, et impacte fortement le marché du travail sur le plan socio-économique.

Conclusion

La migration de retour des femmes hautement qualifiées confirment leur autonomie renforcée au cours de leur expérience migratoire. Ayant acquis une autonomie économique dans le pays d'accueil, cela renforce considérablement leurs capacités, potentialités, leurs prises d'initiative ainsi que leur capital humain et social. Ce qui leur permet d'élaborer leur propre stratégie en vue de préparer leur réinsertion professionnelle et sociale dans le pays d'origine. La majorité des femmes libanaises impliquées dans la société civile, dans les campagnes de sensibilisation aux causes environnementales, sociales, sociétales et politiques ont vécu une expérience migratoire positive et enrichissante en termes d'épanouissement personnel et professionnel. Leurs compétences et leurs connaissances acquises à l'étranger consolident leur autonomisation et l'initiative entrepreneuriale dans tous les secteurs. Leur autonomie économique, leurs remises sociales ont, sans conteste, un impact socio-économique direct sur le pays d'origine.

References

Abi Samra, M. (2010). *L'économie libanaise et son impact sur l'économie et le développement. Organisation Internationale du travail. Beirut: Cahiers des migrations internationales.*

Bastia, T. Busse, E. (2011). Trasnantional Migration and Changing Gender Relations in Peruvian and Bolivians Cities. *Diversities̃ 19-33.*

Brucker, H., Capuano, S. Marfouk, A.. (2013). *Education, gender and international migration: insights from a panel-dataset. mimeo.*

Cassarino J.P. (2004). Theorising return migration: the conceptual approach to return migrants revisited. *International Journal on multiculturaĨ 253-279.*

Cassarino, J.P. (2007). *Migrants de retour au Maghreb: Réintégration et enjeux de développement. Florence: Robert Schuman for advanced studies.*

Constant, A. Massey, D.S. (2004). Return migration by german guestworkers: neoclassical versus new economic theories. *International Migratioñ 5-38.*

Dumitru, S.. (2017). Féminisation de la migration qualifiée, les raisons d'une invisibilité. *Hommes et Migrations̃ 146-153.*

Dumitru, S. Marfouk, A. (2015). Existe-t-il une féminisation de la migration internationale? Féminisation de la migration qualifiée et invisibilités des diplomes. *Hommes et Migrations, 31-41.*

Guarnizo. L.E. (1997). The Emergence of a transnational social formation and the mirage of return migration among Dominican transmigrants. *Identities: Global studies in culture and Power̃ 281-322.*

Kasparian, C. (2008). *La migration circulaire au Liban: perspective démo-économique. Florence: Institut universitaire européen Robert Schuman Centre for Advanced.*

Kasparian, C. (2010). Migration et féminisation au Liban. *Robert Schuman for advanced studies. Florence: Carim-AS.*

Lacour, C Angeon, V. (2013). Introduction: les nouveaux mondes des migrants et des territoires. *Revue d'Economie Régionale et Urbaine, 817-832.*

Lafleur, J.M Duchesne. J. (2017). Migration de retour, genre et remises sociales: le retour des migrantes boliviennes d'Espqgne durant la crise économique. *Revue Européenne des Migrations Internationales, 183-201.*

Levitt, P. (2001). *The transnational villagers. Ockland: University of California.*

Martinez-Bujian, R. (2016). *L'expérience du retour des migrants boliviens depuis L'Espagne: la prise de décision et la réinsertion dans leur pays d'origine à partir de la perspective de genre, Amérique Latine et mémoire. Les cahiers ALHIM.*

Menhem. S.. (2018). *Les nouveaux migrants au Liban: vers une ethnicisatiuon du marché de l'emploi. Grin Verlag.*

Observatoire ACP sur les migrations. (2013). *Migraation de retour Sud-Sud: Défis et opoortunités. Organisation Internationale pour les Migrations (OIM).*

OCDE. (2004). Les dossiers du CAD. *Revue de l'OCDE sur le développement.*

Programme des Nations Unies pour le développement. (2008). *Innovative approaches to promoting women's economic empowerment. UNDP.*

Ratha, D; Mohapatra, S Scheja, E. (2011). *Impact of Migration on Economic and Social Developement: A review of evidence and emerging issues. New York: World Bank.*

United Nations. (2015). *The Millennium Development Goals. New York: United Nations.*

United Nations. (2013). *The Millennium Development Goals. New York: United Nations.*

Yeates, N. (2005). *Global care chains: a critical introduction. Geneva: Global Commission on International Migration.*

Annexes:

Tableau 1. Distribution des femmes hautement qualifiées de retour au Liban selon les caractéristiques socio-démographiques.

Pseudonyme	Age	Religion	Situation matrimoniale avant le départ	Situation matrimoniale au retour	Nationalité autre que la nationalité libanaise	Pays d'accueil	Année de départ	Année de retour
Maria	53	Maronite	Célibataire	Célibataire	Suédoise	Suède	1984	1991
Tracy	59	Maronite	Célibataire	Célibataire	Non	France	1988	1999
Nadine	41	Maronite	Célibataire	Célibataire	Non	Italie	2001	2006
Maya	40	Maronite	Célibataire	Célibataire	Non	France	1997	2016
Zalfa	43	Maronite	Célibataire	Célibataire	Libanaise	France	1999	2006
Aya	39	Maronite	Célibataire	Célibataire	Non	Italie	2008	2012
Diana	30	Maronite	Célibataire	Célibataire	Non	France	2014	2018
Joumana	38	Maronite	Célibataire	Célibataire	Française	France	2004	2012
Rita	46	Maronite	Célibataire	Mariée	Française	France	1998	2008
Fatima	39	Sunnite	Célibataire	Célibataire	Non	Canada	2003	2015
Samia	27	Chiite	Célibataire	Célibataire	Non	Canada	2010	2017
Samira	31	Grecque Orthodoxe	Célibataire	Célibataire	Françaises	France	2006	2012
Perla	33	Maronite	Célibataire	Célibataire	Non	Irak	2013	2016
Christine	48	Catholique	Célibataire	Mariée	Canadienne	France Canada	1983	1997
Denise	27	Maronite	Célibataire	Célibataire	Grecque	France	2015	2017
Désirée	54	Maronite	Célibataire	Célibataire	Grecque	France	1998	2017
Jocelyne	25	Maronite	Célibataire	Célibataire	Non	Belgique	2016	2018
Dunia	26	Maronite	Célibataire	Célibataire	Non	France	2015	2017
Nada	44	Maronite	Célibataire	Mariée	Canadienne	Canda-USA-France-Hong kong	1993	2016
Stéphanie	31	Maronite	Célibataire	Célibataire	Non	France	2014	2019
Mireille	30	Maronite	Célibataire	Célibataire	Canadienne	France	2014	2019
Ramona	32	Maronite	Célibataire	Mariée	Canadienne	Canada	2008	2014
Nicole	47	Maronite	Célibataire	Mariée	Non	France	1994	2015
Mona	50	Chiite	Célibataire	Mariée	Française	France	1996	2002
Rima	60	Sunnite	Célibataire	Mariée	Française	France	1977	1990

Source: Entretiens réalisé par nous-même

Tableau 2. Distribution des femmes hautement qualifiées de retour au Liban selon les motifs de départ et de retour.

Pseudonyme	Motif de départ	Motif de retour au Liban
Maria	Etude	Rejoindre les parents
Tracy	Travail	Business en famille
Nadine	Etude	Travail
Maya	Etude	Travail Projet professionnel
Zalfa	Etude	Travail
Aya	Etude	Une fois les études terminées
Diana	Etude	Mariage
Joumana	Travail	Maladie de sa mère
Rita	Etude	Pour les enfants, a l'âge de 8 ans pour avoir une double identité
Fatima	Travail	S'en occuper des parents
Samia	Etude	Travail
Samira	Etude	Travail
Perla	Travail	Travail
Christine	Etude	Un transfert professionnel (avec la compagnie / le boulot)
Denise	Etude	Vie sociale
Désirée	Etude	Famille
Jocelyne	Etude	Impossible de trouver un travail situation financière
Dunia	Etude	Travail
Nada	Etude et travail	Famille
Stéphanie	Etude et travail	Mariage
Mireille	Etude	Travail
Ramona	Travail	Travail
Nicole	Etude	Travail
Mona	Etude	Mariage
Rima	Etude	Mariage

Source: Entretiens réalisé par nous-même

Tableau 3. Typologie des emplois occupés par les femmes hautement qualifiées de retour au Liban avant le départ du Liban dans le pays d'accueil et lors du retour selon le niveau d'instruction dans le pays d'origine et le pays d'accueil.

Pseudonyme	Niveau d'instruction avant le départ	Niveau d'instruction après le retour	Travail avant le départ	Travail dans le pays d'accueil	Travail au retour	Moyen de trouver le travail pays d'accueil	Moyen de trouver le travail au retour	Satisfaite dans le travail
Maria	Terminale	Master Business	Non	Non	Directrice de vente	-	Initiative personnelle	Très satisfaite
Tracy	Licence	Non	Infirmière	Head nursing	Head nursing	Initiative personnelle	Initiative personnelle	Pas trop à cause du salaire

Nadine	Terminale	Licence science religieuse	-	-	Chef de cycle à l'école	-	Initiative personnelle	J'applique mon travail avec excellence
Maya	Terminale	Gestion et Journalisme	Non	Marketing Journalisme	Entrepreneure	-	Par le biais des amis	Plus de satisfaction source de changement
Zalfa	Licence en biochimie	Master et Doctorat en biochimie	Non	Non	Professeur assistant	-	Par le biais des professeurs de la France	Très contente
Aya	Master	Doctorat Sciences Politique	Non	Enseignante à la fac	Professeure à l'université	Postuler en ligne	Par le biais des amis	C'est le salaire que j'ai toujours cherché le salaire est bon et les conditions aussi
Diana	Mater 2 en pharmacologie et cosmétologue	Master 2 en biochimie structurale et fonctionnelle Thèse de doctorat	Prof de bio et de physique	Non	Travaille dans une pharmacie	-	Par le biais des amis	Très contente
Joumana	Licence infirmière	Master en Mangement	Infirmière	Cadre de santé responsable de tout le coté paramédicale du service	Mangement	Recruteurs venus sur place	Initiative personnelle	Elle est contente de son travail elle travaille en équipe
Rita	Diplôme en Architecture	Diplôme en aménagement de territoire	architecte	adjointe culturelle à l UNESCO et puis architecte DPLG	Architecte libérale	Recruteurs venus au Liban	Initiative personnelle	Par rapport à la satisfaction de son travail au Liban elle répond par Oui et Non parce que ce n'est pas facile à s'adapter au Liban.
Fatima	Licence en économie	Master en économie	Non	Non	Economiste	-	Par le biais des amis	Elle n'est pas satisfaite de son travail longue durée des heures de travail et salaire très bas
Samia	Terminale	Licence en design d'intérieur	Non	Non	Service à la clientèle dans un salon de coiffure	-	Par initiative personnelle	Non parce que ce n'est pas mon domaine je cherche toujours

Samira	Terminale	Classe préparatoire littéraire Licence en Science de l'histoire Licence en japonais Master en histoire contemporaine	petits boulots pour la collection des pièces archéologiques.	des boulots étudiants de petits travaux étudiants comme le baby setting et le soutien scolaire	la collection des archives dans le musée privée de NDU Chercheuse dans une association	par initiative personnelle et après par le biais d'une amie.	les petites annonces sur internet dans " al daleel el madani "	Elle est très satisfaite de son travail
Perla	Licence en relation publique	-	Ressources humaines	Ressources humaines	Employment programm Management	Initiative personnelle	Initiative personnelle	Travail stable
Christine	Licence	Maitrise en gestion	Non	Marketing Directrice de vente	Fondatrice d'une entreprise	Initiative personnelle	Initiative personnelle	Elle est satisfaite, la flexibilité au travail
Denise	Licence ce en psychologie	Master en psychologie clinique	Waitress	Non	Psychologue	-	Initiative personnelle	Très contente
Désirée	Licence en Droit	Master en Droit	Non	Non	Juriste		Initiative personelle	Moyen
Jocelyne	Licence en psychologie clinique	Master en psychologie industrielle et organisationnelle	Vente éducation promotion	Production enseignante	Program officer recruitment	Par des amis	Par des amis	Oui cest une combinaison gagnante sur tous les niveaux
Dunia	Licence en gestion de l'entreprise et Management	Master en Finance Master professionnelle	Salarié en comptabilité	Salarié en comptabilité	Salarié en comptabilité	Recruteurs venus sur place	Des amis	Acquérir de l'expérience
Nada	Terminale	Licence Master computer science	Non	Non	Salarié dans une entreprise	Initiative personnelle	Initiative personnelle	Intéressant apprendre de nouvelle chose
Stéphanie	Master 2 en Architecture	Doctorat en architecture	Employée dans une entreprise d'architecture	Architecte	Architecte	Initiative personnelle	Initiative personnelle	Ca dépend des projets
Mireille	Master 2 en Architecture	Doctorat en architecture	Architecte dans un bureau d'architecture	Architecte dans une agence	Employée dans un centre de recherche	Par des amis	Sur internet	C'est un travail temporaire je préfère travailler comme architecte
Ramona	Terminale	Master Business	Business	Non	Business family et enseignante d'art s plastiques	-	Initiative personnelle	Très satisfaite

Nicole	Diplôme en pharmacie	Diplôme de pharmacie industrielle clinique	Représentante médicale	Directrice de vente	Directrice Business développement	Initiative personnelle	Initiative personnelle	Très variée et enrichissant
Mona	Master en architecture	Thèse de doctorat en architecture	Architecte	Chercheure associée à l'université	Professeure à l'université	Par le biais de son père	Par le biais de son professeur	Très satisfaite
Rima	Master en géographie	Doctorat en géographie	Non	Chercheure associée 'a l'université	Professeur à l'université		Par le biais des professeurs	Très satisfaite

Source: Entretiens réalisé par nous-même

Tableau 4. Typologie des femmes hautement qualifiées selon l'intégration, les conséquences de la migration sur la vie personnelle, familiale et sociale le changement en comparaison avec la migration et l'encouragement des femmes à suivre le même parcours

Pseudonyme	Intégration dans le pays d'accueil	Loisirs	Nationalité des amis	Lien d'amitié	Conséquence de la migration sur la vie personnelle	Conséquence de la migration sur la vie familiale	Conséquence de la migration sur la vie sociale	Changement en comparaison avec la migration	Encouragement des femmes à suivre le même parcours
Maria	Sentir accepté par l'autre	Sport	Libanais	Des amis du Liban des voisins	Un mariage après 3 ans	Fière de laisser mes enfants en sécurité	Acquisitions de nouvelles pratiques sociales	Je suis la seule responsable de mon futur	Oui chaque femme doit être indépendante pour quelques années
Tracy	Participer à la vie sociale	Voyage	Libanais	Collègue de travail	La nostalgie	Loin de la famille	Pas de vie sociale	Etre responsable	Oui pourquoi pas
Nadine	Le fait de comprendre la langue et pouvoir comprendre la mentalité du peuple	Tourisme	Libanais	Amis de classe	Grande différence avec le Liban mentalité différente ne pas juger les autres	Connaître une nouvelle culture	Pas d'influence	Connaitre une nouvelle culture	Oui pour changer leur mentalité et leur vision futur
Maya	Solidarité avec les étudiants de toute nationalité	Activités culturelles et sport	Libanais Indien Français espagnol chinois	Collègue de travail ami de l'université Amis du Liban	Plein de gens différent indépendante	être loin de la famille c'est un point négatif	Enrichissement des liens sociaux Apprentissage de la différentiation tout en l'intégrant dans un même groupe	Plus indépendante	Je les encourage
Zalfa	Elle a été bien intégrée en France. Pour elle le mot intégration c'est vivre pleinement dans la société, s'adapter a son mode de vie et accepter ses lois.	cinéma	Libanais et Français	Amis du Liban et amis de l'université	un peu limitant parce que je vis toujours avec les parents.	pas eu de conséquences de la.	positives elle a fait beaucoup d'ami(e)s.	son indépendance. Elle pouvait sortir plus qu'au Liban. Vivre un autre rythme de vie.	Elle les encourage

Aya	Elle n'a jamais ressenti le sentiment d'exclusion	Lecture	Italiens	Amis de classe	Indépendance complète et sentiment d'autonomie	Pas de conséquences jai fait le choix par conviction	Découvrir un nouvel environnement et connaitre une nouvelle culture	L'oignement de mes amis et mon entourage au Liban	Oui parce qu'au Liban les femmes ne bénéficient pas de leur droit.
Diana	Avoir des amis et des connaissances dans le pays d'accueil	Sorties visites culturelles	Françaises italiennes marocaines libanaises	Les amis du Liban et collègue du travail	Plus extraverti et indépendante	Relation très bonne avec la famille	J'ai créé mon nouveau réseau social	Le fait de vivre seule l'indépendance la responsabilité sur soi-même le respect humain et de leur travail	Oui
Joumana	Rester au Liban		Libanais Français	Collègue de travail	Indépendante	Ma famille me manquait	Les amis	Le travail	Oui
Rita	Rentrer dans le pays d'accueil	Exposition	Français Libanais	Amis au Travail	Autonome	Nostalgie	Les amis	Les opportunités	Oui
Fatima	Savoir les lois être entourée par les personnes locaux	Explorer le pays	Libanais et canadien	Amis du Liban et collègues du travail	Quitter mon pays vivre seule	Conflits du a la distance être loin d'eux	J'ai négligé toute ma vie sociale dans mon pays	Etre plus indépendante	Non
Samia	Je me sens chez moi	Shopping Promenade	Libanais Africain Arménien Syrien	Amis de classe et collègues de travail	Devenir plus mature	Pas de vie familiale au Canda on devient comme des machines car leur système marche si vite. Sentiment d'étouffement et de refoulement	Neutre	Se concentrer sur moi-même et non pas sur les pensées des autres moins d'inquiétude	Oui
Samira	Ouverture sur l'autre	Visite culturelle	Libanais français	Des amis de classe	Sa vie est différente	La relation avec les parents n'a pas forcément changé mais avec les gens et la société libanaise c'est très difficile	Elle s'est beaucoup épanouie et elle a rencontré beaucoup de gens. Elle a eu un élargissement des liens sociaux de la vie sociale comme il n'y a pas la famille et être avec d'autre personnes.	la femme de ménage, sa maman préparait tout et tandis qu'en France elle faisait toute elle-même très important comme expérience. Il faut s'en occuper de tout.	Oui

Perla	Culture réseaux sociaux échanges	Lecture	Libanais et autres	Des amis	Développement personnel interpersonnel	Pas de changement	Un peu e distance	stabilité	Oui
Chrsitine	Au début c'était très difficile après je me suis intégré	Pas d'activité	Français	Amis de classe	Attachement ses valeurs: Loyauté et amitié	C'est dur	Une diversité sociale	La modestie et vivre la vie réelle	Oui
Denise	Appartenance	Gym	Libanais et Français	Amis du foyer	Fatigue psychique	Tristesse	Pas de conséquence	Vie sociale	Oui
Désirée	Travailler et faire de l'argent	Pas d'activité	Libanais	Collègue	Anxiété	Normal	Plus de vie sociale	Economiquement	Oui
Jocelyne	Comprendre les différences et savoir-faire avec	Sport	Libanais	Amis de classe Collègue de travail	J'ai du tout recommencé dans ma vie	Perte de liens familiaux	Changement d'activité	Plus de prise de conscience de soi	Oui
Dunia	S'adapter facilement à une nouvelle culture	Sport	Libanais français japonais mexicain	Amis de classe collègues	Amélioration au niveau personnel et professionnel	Pas de conséquences	Pas de changement	Indépendance	Oui
Nada	Avoir des opportunités	Sport	Libanais Canadien Américain Français	Amis de classe collègues de travail Amis du Liban	Opportunité Faire la connaissance de plusieurs personnes	Normale	Meilleure vie sociale, choisir les amis, contente avec les amis	Plusieurs opportunités	Non
Stéphanie	Etre actif dans la société française	Natation	Libanais Amis de classe	Amis du Liban	J'ai été éloigné de mon petit ami notre relation a eu plusieurs épisodes de séparation	Je me sentais exclus de conversations importantes dans le but de ne pas me faire sentir mal	Il y a une distance avec mes amis	La vie sociale libanaise s: les gens, les communications avec les personnes	Oui
Mireille	Etre Accepté par les autres se sentir bien avec soi-même	Hiking et lecture	Libanais	Amis de classe et amis que j'ai rencontrés au Foyer	Pas de conséquence	Je me sentais seule et exclue des évènements qui se passaient en famille et mêmes les conversations qu'on partage en famille	Distance vis-à-vis de mes amis et je n'ai pas pu sortir avec eux	La solitude parce qu'avant la migration je n'ai jamais été seule	Oui, si elles peuvent supporter être loin de leur famille
Ramona	Intégrer le mode de vie du pays et être accepté	Shopping	Libanais Marocain Tunisien	Amis de classe et amis du foyer	J'ai appris leur culture c'était nouveau différent du Liban c'était intéressant	On était très proche	Pas de vie sociale au Liban	Le climat était un enjeu difficile	Oui, l'éducation est beaucoup plus meilleure
Nicole	Se sentir chez soi avoir une vie professionnelle et personnelle épanouie	Explorer le pays d'accueil	Français Anglais Africain	Amis de classe	Evolution expérience plus avancée	Pas beaucoup je me suis mariée après la migration	Je me suis éloignée de mes amis et de mon entourage, mais je me suis faite de nouvelles connaissances	Le fait de savoir être complètement autonome	Oui
Mona	Bien intégrée	Lecture	Plusieurs nationalités	Amis de classe amis du Liban collègue de travail	Indépendance	Non	Non	L'autonomie	Oui
Rima	Bien intégrée	Sport	Plusieurs nationalités	Amis de classe amis du Liban collègue de travail	Oui	Oui	Oui	L'indépendance	Oui

Source: Entretiens réalisé par nous-même

Tableau 5: Réponses des femmes hautement qualifiées de retour au Liban selon la migration et la perspective d'avenir, l'apport du séjour à l'étranger, le sentiment d'avoir perdre quelque chose après le retour et le lien lien avec le pays d'accueil.

Pseudonyme	Migration et perspective d'avenir	Apport du séjour à l'étranger	De retour au Liban les relations avec la famille ont-elles changé ?	Le sentiment d'avoir perdre quelque chose après le retour	Lien avec le pays d'accueil	Visite du pays d'accueil	Moyenne	Raisons
Maria	Retourner au Suède	Une vie pleine d'expérience	Non jamais	Non pas du tout	Oui	Oui	2 fois par an	Voir les enfants
Tracy	Rester au Liban	L'expérience	Non	Non	Oui	Oui	1 fois par an	Visiter les amis
Nadine	Aller dans un autre pays	Une nouvelle mentalité	Non car je m'adapte facilement à mon environnement	Non je voulais revenir bien que l'expérience soit magnifique	Oui	Non	-	-
Maya	Aller dans un autre pays	Plein de nouvelles opportunités sur le niveau professionnel et social	Oui ils ont changé parce que je mets plus de limite avec la famille, les libanais insiste trop les amis sont différents	L'accès à la culture est plus difficile théâtre musée	Oui	Oui	1 fois par an	Voire des amis
Zalfa	Rester au Liban	confidence, ouverture vers les autres, connaissances scientifique.	parce qu'elle n'est plus habituée à vivre comme au Liban. Elle a appris à être simple, ne pas vivre comme les libanaises.	De retour au Liban, elle a le sentiment d'avoir perdu tout: sa liberté et son indépendance	Oui	Oui	2 fois	pour des raisons professionnelles
Aya	Ca dépend de la situation dans le pays	L'indépendance	Non	Non	Rarement	Oui	Une fois chaque 2 ans	Travail
Diana	Rester au Liban	Confiance en soi, nouvelle vue du monde, de l'homme des cultures L'indépendance.	Oui	L'indépendance	Oui	Oui	Une fois	Travail
Joumana	Rentrer en France à cause du travail	Expérience	Les relations avec ses parents ne vont pas changer parce qu'elle a une vision, elle ne peut pas changer le monde même avant de partir elle s'entendait très bien avec ses parents, elle aime ses cousins et ses cousines tels qu'il est ça ne lui pose pas de problèmes.	Avec la société il y a des choses qui lui dérangent comme ça dérange la plupart des libanais par exemple l'accès à la santé c'était un peu révoltant d'avoir passé chaque fois par une autre personne pour le rendez-vous pour avoir des résultats.	Oui	Oui	2 fois	Noel Pâques
Rita	Rentrer en France	ça lui a complément transformé sur tous les niveaux.	Non	Elle apprécie le plus dans sa vie en France tout parce qu'elle se retrouve plus en France.	Oui	Oui	3 fois par an	Pour le travail
Fatima	Rentrer au canada	Aider les autres	Oui	Pour etre loin d'une longue période	Oui	Non		

Samia	Rentrer au canada	Responsabilité autonomie	Oui	J'ai perdu l'innocence du terme que je suis devenu plus naturel confiance aux autres	Oui	Oui	1 fois	Visite de mon frère et ma s?ur
Samira	Aller dans un autre pays	je suis imprégné par leur culture française. Je suis très française.	Je croyais que les gens étaient un peu coincés - j'étais choqué	Oui	Oui	Oui	2 fois	Les vacances
Perla	Aller dans un autre pays	Maturité	Indépendance	Non	Oui	Oui	1 fois	Voir les amis
Chrsitine	Rester	Au Liban	L'authenticité (les relations vraies), la liberté de mes croyances, l'amitié	Je croyais que les gens étaient un peu coincés - j'étais choqué Je trouve la façon de vivre qui réduit la femme à se marier et faire des enfants	Oui	Oui	2 fois	shopping
Denise	Rester au Liban	Maturité	Ma famille et mes amis	Non	Non	Oui	2 fois	Voir les amis
Desiree	Retourner dans un autre pays	Argent	Parent	Oui	Non	Oui	2 fois	Papiers
Jocelyne	Rentrer dans un autre pays	Confiance en soi	Les relations entre les gens	Oui	La liberté de choisir	oui	2 fois	Tourisme
Dunia	Aller dans un autre pays	L'autonomie	Mes parents	oui	Non	Oui	1 fois	Tourisme
Nada	Rester au Liban	L'indépendance	Non	Oui, l'efficacité de ma vie de tous les jours opportunités culturelles sociales professionnelles	Oui	Oui	1 fois par an	Les amis et tourisme
Stephanie	Retourner en France	De nouvelles possibilités	Non	Non	Oui	Non		
Mireille	Rester au Liban	Maturité	Non	La possibilité de trouver un travail	Non	Non		
Ramona	Rester au Liban	Expérience	Oui	Non	Oui	Non		
Nicole	Ca d'epend des opportunités	De la confidence en soi	Non	Non	Rarement	Oui	Plusieurs fois	Travail
Mona	Rester au Liban	Autonomie	Oui	Oui	Oui	Oui	2 fois	Tourisme conférence
Rima	Rester au Liban	Indépendance	Oui	Oui	Oui	Oui	2 fois	Colloque

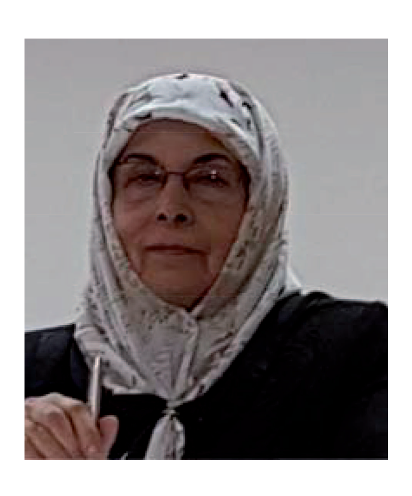
Tableau 6: Réponses des femmes hautement qualifiées de retour au Liban selon la migration et la perspective d'avenir, l'apport du séjour à l'étranger, le sentiment d'avoir perdre quelque chose après le retour et le lien lien avec le pays d'accueil.

Pseudonyme	Migration et perspective d'avenir	Apport du séjour à l'étranger	De retour au Liban les relations avec la famille ont-elles changé ?	Le sentiment d'avoir perdre quelque chose après le retour	Lien avec le pays d'accueil	Visite du pays d'accueil	Moyenne	Raisons
Maria	Retourner au Suède	Une vie pleine d'expérience	Non jamais	Non pas du tout	Oui	Oui	2 fois par an	Voir les enfants
Tracy	Rester au Liban	L'expérience	Non	Non	Oui	Oui	1 fois par an	Visiter les amis
Nadine	Aller dans un autre pays	Une nouvelle mentalité	Non car je m'adapte facilement à mon environnement	Non je voulais revenir bien que l'expérience soit magnifique	Oui	Non	-	-
Maya	Aller dans un autre pays	Plein de nouvelles opportunités sur le niveau professionnel et social	Oui ils ont changé parce que je mets plus de limite avec la famille, les libanais insiste trop les amis sont différents	L'accès à la culture est plus difficile théâtre musée	Oui	Oui	1 fois par an	Voire des amis
Zalfa	Rester au Liban	confidence, ouverture vers les autres, connaissances scientifique.	parce qu'elle n'est plus habituée à vivre comme au Liban. Elle a appris à être simple, ne pas vivre comme les libanaises.	De retour au Liban, elle a le sentiment d'avoir perdu tout: sa liberté et son indépendance	Oui	Oui	2 fois	pour des raisons professionnelles
Aya	Ca dépend de la situation dans le pays	L'indépendance	Non	Non	Rarement	Oui	Une fois chaque 2 ans	Travail
Diana	Rester au Liban	Confiance en soi, nouvelle vue du monde, de l'homme des cultures L'indépendance.	Oui	L'indépendance	Oui	Oui	Une fois	Travail
Joumana	Rentrer en France à cause du travail	Expérience	Les relations avec ses parents ne vont pas changer parce qu'elle a une vision, elle ne peut pas changer le monde même avant de partir elle s'entendait très bien avec ses parents, elle aime ses cousins et ses cousines tels qu'il est ça ne lui pose pas de problèmes.	Avec la société il y a des choses qui lui dérangent comme ça dérange la plupart des libanais par exemple l'accès à la santé c'était un peu révoltant d'avoir passé chaque fois par une autre personne pour le rendez-vous pour avoir des résultats.	Oui	Oui	2 fois	Noel Pâques
Rita	Rentrer en France	ça lui a complément transformé sur tous les niveaux.	Non	Elle apprécie le plus dans sa vie en France tout parce qu'elle se retrouve plus en France.	Oui	Oui	3 fois par an	Pour le travail
Fatima	Rentrer au canada	Aider les autres	Oui	Pour etre loin d'une longue période	Oui	Non		

Samia	Rentrer au canada	Responsabilité autonomie	Oui	J'ai perdu l'innocence du terme que je suis devenu plus naturel confiance aux autres	Oui	Oui	1 fois	Visite de mon frère et ma s?ur
Samira	Aller dans un autre pays	je suis imprégné par leur culture française. Je suis très française.	Je croyais que les gens étaient un peu coincés - j'étais choqué	Oui	Oui	Oui	2 fois	Les vacances
Perla	Aller dans un autre pays	Maturité	Indépendance	Non	Oui	Oui	1 fois	Voir les amis
Chrsitine	Rester	Au Liban	L'authenticité (les relations vraies), la liberté de mes croyances, l'amitié	Je croyais que les gens étaient un peu coincés - j'étais choqué Je trouve la façon de vivre qui réduit la femme à se marier et faire des enfants	Oui	Oui	2 fois	Shopping
Denise	Rester au Liban	Maturité	Ma famille et mes amis	Non	Non	Oui	2 fois	Voir les amis
Desiree	Retourner dans un autre pays	Argent	Parent	Oui	Non	Oui	2 fois	Papiers
Jocelyne	Rentrer dans un autre pays	Confiance en soi	Les relations entre les gens	Oui	La liberté de choisir	oui	2 fois	Tourisme
Dunia	Aller dans un autre pays	L'autonomie	Mes parents	oui	Non	Oui	1 fois	Tourisme
Nada	Rester au Liban	L'indépendance	Non	Oui, l'efficacité de ma vie de tous les jours opportunités culturelles sociales professionnelles	Oui	Oui	1 fois par an	Les amis et tourisme
Stephanie	Retourner en France	De nouvelles possibilités	Non	Non	Oui	Non		
Mireille	Rester au Liban	Maturité	Non	La possibilité de trouver un travail	Non	Non		
Ramona	Rester au Liban	Expérience	Oui	Non	Oui	Non		
Nicole	Ca d'epend des opportunités	De la confidence en soi	Non	Non	Rarement	Oui	Plusieurs fois	Travail
Mona	Rester au Liban	Autonomie	Oui	Oui	Oui	Oui	2 fois	Tourisme conférence
Rima	Rester au Liban	Indépendance	Oui	Oui	Oui	Oui	2 fois	Colloque

العلاقات العلمية والثقافية بين جبل عامل والعراق وإيران:

أ.د. دلال حسن عبَّاس



- أستاذة الحضارة الإسلاميّة والأدب المقارَن في قسم الدراسات العليا في الجامعة اللبنانيّة. أشرفت ـ ولا تزال ـ على العديد من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه في الجامعة اللبنانيّة.
- شاركت ولا تزال ـ في مناقشة أطاريح الدكتوراه في بعض الدول العربيّة وفي الجامعات الخاصّة في لبنان.
- تحمل ماجستير في الأدب الأندلسيّ، و دبلوم في الإدارة المدرسيّة والارشاد التربوي، ودكتوراه دولة في الأدب المقارن.
- تجيد فضلاً عن العربيّةِ الفارسيّةَ والفرنسيّةَ، وتفهم التركيّة ـ العثمانيّة والانجليزيّة والإسبانيّة.
- لها واحد وعشرون كتابًا منشورًا، وعشرات البحوث المنشورة في المجلاّت العلميّة المحكّمة.
- ترجمت عن الفارسيّة عددًا من الكتب والمجلّدات الستّة الأولى من (دائرة معارف العالم الاسلامي)، وهي اليوم مستشارة التحرير والنشر والترجمة، في (دائرة معارف العالم الاسلامي)، وفصليّتي الاستغراب والدراسات الأدبيّة، الصادرتين في بيروت.

الملخص

حين نتكلّم على العلاقات بين إيران وجبل عامل، فإنّنا لا نعني تلك العلاقات الطبيعيّة التي توثّقت بعد الفتح الإسلاميّ بين إيران والمناطق العربيّة عامّةً وبلاد الشام -وجبل عامل جزء منها ـ خاصّةً، بل نقصد تلك العلاقات العلمية-الثقافيّة والسياسيّة التي أدّت إلى تأثّر وتأثير متبادلَين على الصّعد كافّةً.

لذلك سنحصر الكلام في العلاقات الوثيقة التي ربطت جبل عامل بإيران في مرحلتَين متباعدتَين زمنيًّا، لكنّهما متّصلتان بعرى ووشائجَ وثيقةٍ، تراخت في بعض المراحل لكنّها لم تنقطع أبدًا.مستقرئين كتب التاريخ القديمة والحديثة ذات الصلة بالموضوع، وآثار علماء جبل عامل التي درسنا بعضها من قبل:

في المرحلة الأولى: كان التأثير من جبل عامل باتجاه إيران في زمن الصَّفويّين، وقُبيل عهدهم بقليل.

في المرحلة الثانية: كان التأثير من إيران باتجاه جبل عامل قُبَيل الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة وبعد نجاحها.

في المرحلة الأولى: ساهم علماء جبل عامل -في المرحلة التأسيسيّة للدولة الصفويّة- في البناء الفكريّ لهذه الدولة التي أعلنت التشيّع مذهبًا رسميًّا لها وكادت تتّجه إلى الغلوّ فيه، لو لم يلجم العلماء العامليّون اندفاع الساسة الصفويّين، ويصحّحوا المسارَ الفكريّ للدولة بحماية المذهب الاثني عشريّ من تحريفات غلاة الصوفيّة، ويمتدّ تأثيرهم من الدين إلى السياسة والثقافة.

في المرحلة الثانية: قام العلماء الإيرانيّون قبيل نجاح الثورة الإسلاميّة وبعدها بدورٍ مهمٍّ في تحريك الجمود المخيّم على الأفكار في جبل عامل. هذا الدور بدأ منذ ستينات القرن العشرين ووصل إلى أوْجه بعد انتصار الثورة الإيرانيّة، وقد امتدّ

هذا التأثير من الدين إلى السياسة والثقافة أيضًا. مهما يكن من أمر، لا انقطاع في صلب العلاقة بين المرحلتين، فالمرحلة الأولى هي التي أسّست للمرحلة الثانية.

سياسيًا: لأنّ نظريّة "النيابة العامّة للفقهاء" التي طوّرها عليّ بن عبد العال الكَركي العامليّ وطبّقها عمليًا في المرحلة الأولى، ظلّت تتفاعل سلبًا وإيجابًا طيلة القرون التالية، وتتطوّر ببطء إلى أن وصلت على يد الإمام الحمينيّ إلى نظريّة ولاية الفقيه التي على أساسها قامت الثورة وقامت الجمهوريّة الإسلاميّة، ونجاح الثورة الإسلاميّة كان الدافع والمحفّز لنهوض المقاومة الإسلاميّة في جنوب لبنان. ومن نافل القول إنّ هذه المقاومة التي استمدّت الدعمَ الفكريَّ والسياسيَّ من الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة كانت نقطة الضوء الوحيدة في هذه العتمة التي تخيّم على الأقطار العربيّة والإسلاميّة.

فكريًا: ينتسب العلماء الإيرانيّون الذين أثّروا في جبل عامل جزئيًّا إلى جذور عربيّة من طريق الأب أو الأم، أو هم تتلمذوا على يد هؤلاء من طريق علاقتهم بحوزة النجف الأشرف، أو أنّهم ينتسبون إلى عائلات كانت قد هاجرت من جبل عامل في المرحلة العثمانيّة كالسيّد موسى الصدر على سبيل المثال لا الحصر، والسيّد الداماد من طريق الأم، وهم ينتمون فكريًا إلى التيّار الاجتهاديّ الذي أسّس له الشهيدان الأول والثاني وكان يمثّله في إيران تلاميذهما، ثمّ أبناء هؤلاء وتلاميذهم إلى آخر السلسلة.. من "المحقّق الكَركِي" و"حسين بن عبد الصمد إلى "الشيخ البهائي" و"السيّد الداماد" و"الملاّ صَدرا" و"محسن فيض الكاشانيّ"... وصولاً إلى "آية الله خادمي" و"الإمام الخمينيّ" و"السيّد موسى الصدر"... ثمّ تعرّف العامليّون كغيرهم من العرب بل أكثر من غيرهم كتاباتِ علماء الثورة الإسلاميّة: الخمينيّ والشهيد مطهّري وعلي شريعتي وغيرهم. وهذا هو التأثير الفكريّ القادم هذه المرّة من إيران باتجاه لبنان موزّعًا نتائجه وثماره على الصّعد كافّة. والملحوظ أن يكون أوّل كُتّاب القصّة ذوي المكانة في إيران، في القرن العشرين، هو الكاتب **"محمّد علي جمال زاده"** الإيرانيّ من أصل لبنانيّ...

المرحلة الأولى: دور العلماء العامليّين في بناء الدولة الصفويّة

بما أنّ جميع أسماء العامليّين المهاجرين إلى إيران وتوثيقها ليس هدفًا من أهداف هذا البحث، لا سيّما أنّ عددهم كان كبيرًا جدًّا، كما يتّضح من مراجعة: "**أمل الآمل**" للحرّ العامليّ بجزأيه و"**روضات الجنّات**" للخوانساريّ و"**مستدرك**

الوسائل" و"**عالم آراي عبّاسي**" لإسكندر المنشي و"**بحار الأنوار**" للمجلسي و"**أعيان الشيعة**" للسيّد محسن الأمين... لذلك سنركّز البحث على أولئك الذين كان تأثيرهم مميّزًا في مسيرة الدولة الصفويّة، والذين امتدّ تأثيرهم في إيران حتى يومنا هذا.

كان تأثير العلماء العامليّين المهاجرين إلى إيران عميقًا جدًّا، فقد عدّلوا خطّ الصفويّة الدرويشي بسيرة فقهيّة عميقة، ذلك أنّ الملوك الصفويّين -عدا طهماسب- مع كلّ المفاسد الأخلاقيّة التي كانوا عليها وكانت مخفيّة عن عامّة الناس، نسب إليهم أتباعهم، كعادة الصوفيّة بالنسبة إلى المرشد الأول أفعالاً وخوارق لا تحصى[1]، وكما يقول الشيخ مرتضى مطهّري: "إنّ لعلماء جبل عامل، دورًا مهمًّا في الخطوط العامّة للدولة الصفويّة الشيعيّة، فالصفويّون كانوا صوفيّة، ولو لم يتعدّل خطّ الصوفيّة الدرويشي بسيرة فقهيّة عميقة على يد علماء جبل عامل، ولو لم تتأسّس على أيديهم حوزة فقهيّة عميقة في إيران، لكان خطُّ الصوفيّة الصوفي الدرويشي ينتهي إلى ما انتهى إليه العلويّون في الشام أو تركيا وكان لهذا العامل أثر كبير في صيانة السيرة العامّة للدولة والأمّة الإيرانيّة من تحريفات الصوفيّة تلك، وفي تعديل نَفَسِ العرفان والتصوّف الشيعيَّين... ثمّ يضيف أنّ لفقهاء جبل عامل بتأسيسهم الحوزة الفقهيّة في إصفهان حقًّا كبيرًا في ذمّة الأمّة الإيرانيّة"[2].

الصفويّون وأسباب هجرة العامليّين إلى إيران:

يعود نسب الصفويّين إلى الشيخ الصوفي "إسحق صفي الدين الأردبيلي" (وُلد في العام 674هـ-1252م)، الذي كان صاحب طريقة خاصّة به، وقد اشتُهر بزهده وتقواه وتعلّق مريديه به، وبأبنائه وأحفاده من بعده، وأوّل من دعا إلى التشيّع من هذه السلسلة "خواجة علي" (المتوفّى 830ه-1426م)، ولما توفِّيَ تولّى مشيخةَ الطريقة بعده ابنُه "شيخ شاه"، ثمّ حفيده "السلطان جُنَيْد"، ثم ابن جُنيَد "الشيخ حيدر" والد الشاه إسماعيل الذي سار على خطى أبيه في تجميع الجيوش، وكان جنوده في غالبيّتهم من التركمان الشيعة، وقد ألبسهم الشيخ حيدر قبّعةً حمراء، ذات تاج واثنتي عشرة درزة على عدد الأئمّة سمّوا بسببها "القُزَلباش" أي الرؤوس

(1) تشكيل شاهنشاهى صفويه، ص 64؛ زندگانى شاه عباس اول، ج 2، ص 353.
(2) الإسلام وإيران، ص 253.

الحمراء بالتركيّة، وهؤلاء الجنود هم الذين أصبحوا في ما بعد الصنو والنّد للجنود الإنكشاريّة في الجيش العثمانيّ[1]، إلاّ أنّ الشيخ حيدر قُتل كما قُتل أبوه من قبل، وأخفى أنصاره ابنَيه في لاهيجان شماليّ إيران، إلى أن تمكّن ابنُه إسماعيل وهو الشاب الجريء الطموح الذي لم يتعدَّ الخامسة عشرة من عمره، والصوفيّ المحاط برفاق من الصوفيّين القزلباش ـ كانوا يعدّونه كأبيه وأجداده من قبله "المرشد الكامل" ـ أن يعلن في جامع تبريز، بعد دخوله منتصرًا (907هـ/1501م) وجلوسه على سرير السلطنة أنّ مذهبَ إيران الوحيد والإجباريّ هو المذهب الشيعيّ، وأن يذكر في الأذان والإقامة "**أشهد أنّ عليًا وليُّ الله، وحيَّ على خير العمل**"، الأمر دفع العلماء المعتدلين من الشيعة في تبريز إلى لوم الشاه على فرض المذهب بالقوّة، وعدّوا هذا القرار متهوّرًا لأنّ إيران من الناحية الرسميّة كانت في غالبيّتها من السنّة، كما حذّروه من فتنة يكون من الصعب تداركها بعد أن يفوت الأوان، لكنّ الشاه كان مصرًّا على موقفه[2]. قبل سلطنة الشاه إسماعيل كان الشيعة متفرّقين في نواحي إيران كقُمّ وكاشان والرَّيّ ومازَندران وسَبْزوار، من هنا تكمن أهميّة الدور الذي اضطلع الشاه إسماعيل بأنْ يقوم به من الارتفاع ببلاد إيران إلى دولة واحدة على أساس المذهب، إلاّ أنّ التعصُّب المذهبيّ أدّى إلى ردود فعل متباينة، فقد أدّى إلى صراع يحتدم كثيرًا ويخفت في أحايين قليلة بين إيران وجيرانها الأتراك العثمانيّين ممّا أثّر سلبًا على الاثني عشريّة في الحجاز والعراق وبلاد الشام، الذين تعرّضوا للاضطهاد في المناطق الخاضعة للحكم العثمانيّ، بعد أن تسلّم السلطان سليم (918هـ -1512م/ وفاة 946ه -1520م) الحكم في الدولة العثمانيّة وأجبر السلطان بايزيد الثاني على التنازل عن العرش، وقتل مخالفيه وإخوته وأولادهم، ووجد في انتصارات الشاه إسماعيل سدًّا أمام طموحه إلى أن يكون خليفة المسلمين، فصمّم على محاربته، وأمر بقتل كلّ من كان معروفًا بالتشيّع في المناطق الخاضعة للدولة العثمانيّة وأهل جبل عامل من بينهم[3].

---

(1) انظر: دلال عبّاس: الشيخ البهائي أديبًا وفقيهًا وعالما، ص 31-32؛ تشكيل شاهنشاهى صفويه، ص 64 و68 -74؛ زندگانى شاه عباس اول، ج 1، ص 195.

(2) تشكيل شاهنشاهى صفويه، ص190، زندگانى شاه عباس اول، ج 1، ص 170 و171.

(3) تشكيل شاهنشاهى صفويه، ص 163 و164 و165؛ تاريخ الدولة العليّة العثمانيّة، ص 189؛ تاريخ فرهنگ ايران، ص 230.

هذا الصراع العثمانيّ الصفويّ كان من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى هجرة العامليّين إلى إيران، فضلاً عن حاجة الدولة الصفويّة إلى علماء ينشرون المذهب ويعلّمون مبادئه. لا نعرف أسماءَ العامليّين الذين هاجروا إلى إيران قبل العصر الصفوي، مع أنّ بعض المؤرّخين تحدّثوا عن علاقات بين أهل جبل عامل وإيران منذ القرن السابع الهجريّ، عصر السلطان "أولجايتو محمّد خدابنده" الذي جمع حوله عددًا من علماء الشيعة، حاولوا جهدهم نشر المذهب والردّ على المخالفين، وقيل إنّ من بينهم علماء من جبل عامل[1]. كما يذكر المؤرّخون أنّ علاقات قامت أيضًا في القرن الثامن الهجري بين "السربداران" وبين علماء من جبل عامل، وأنّ أحد أمرائهم علي بن المؤيّد (حكم من 1346 إلى 1381م) حاول أن يستقدم الشهيدَ الأول "شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن مكّي العامليّ الجزينيّ" المتوفّى في العام 786هـ/ 1384م، إلى خراسان لنشر العقيدة، لكنّ الشهيد الأول لم يستجب لنداء أمير خراسان ولم يسافر إلى إيران، ولكنّه كتب "**اللمعة الدمشقيّة**" وهو كتاب فقهيّ مختصر في العام 784هـ/1382م) ليكون مرجعًا فقهيًّا لهم[2]، وكان "السربداران" قد أسّسوا دولتهم من قبلُ على أساس الخط الصوفيّ المعادي للفقهاء، لكنّ آخر أمرائهم علي بن المؤيّد هو الوحيد الذي تحوّل باتجاه الخطّ الفقهيّ الاثني عشريّ الممثّل بالفقهاء.. وبعد سقوط دولة السربداران بسنة واحدة ولدت دولة شيعيّة أخرى في خوزستان سنة 783 هـ واستمرّت حتى العام 1117هـ، وكان مؤسّس هذه الدولة على جانب من التصوّف وكان على علاقة بالشيخ أحمد بن فهد الحِلّي المتوفّى في العام 841هـ/1437م)[3].

نصل إلى استنتاج مؤدّاه أنّ علماء عامليّين هاجروا إلى إيران واستوطنوا فيها منذ القرن السابع الهجريّ، واستمرّت هذه الهجرة بتشجيع من حكّام إيران في عهود مختلفة إلى أن جاء الصفويّون إلى الحكم، فزاد عدد المهاجرين إلى إيران طوعًا وكرهًا لأنّ حكّام إيران بدأوا بتشجيع العلماء الشيعة على الذهاب إلى إيران، منذ عهد الشاه إسماعيل الصفويّ، فهاجر عدد من العلماء إليها بتشجيع من الدولة

(1) تشكيل شاهنشاهى صفويه، ص 49؛ زندگانى شاه عباس اول، ج 1، ص 157؛ عالم آراى عباسى، ص 144.

(2) "السربداران" أمراء تولّوا الحكم بعد زوال حكم الإيلخانيّين مدّة نصف قرن تقريبًا من 1337 إلى 1381م. أهميّتهم التاريخيّة أنّهم حملوا لواء التشيّع وحاولوا نشره قبل الصفويّين، فرهنگ فارسى، ج 5، ص 745.

(3) رسالة علي بن المؤيّد إلى الشهيد الأول في أعيان الشيعة، ج 1، ص60.

الصفويّة، وهربًا من ضغط العثمانيّين، وتمتّعوا بالحريّة السياسيّة والدينيّة المطلقة، لا سيّما زمن الشاه طهماسب الذي كان يجلّ العلماء ويعظّمهم[1]، وقد أطلق يد علماء الدين في شؤون المملكة فاندفعوا إلى بناء هذه الدولة فكريًّا على أساسٍ اثني عشريّ[2].

دور أعلام العامليّين في بناء الدولة الصفويّة فكريًّا:

المحقّق الكَركي[3] الشيخ نور الدين علي بن الحسين بن عبد العالي الكَركيّ المعروف "بالمحقّق الثاني" "الكَركيّ" نسبةً إلى كرك نوح القريبة بلاد بعلبك، والمحقّق الثاني في مقابل "المحقّق الأوّل" الحلّيّ "جعفر بن سعيد"، توفّي في العام 940هـ/1533م في زمن الشاه طهماسب الصفويّ، رحل في أوّل أمره إلى مصر وأخذ عن علمائها بعد ما أخذ عن علماء الشام ثمّ رجع من مصر وتوجّه إلى النجف الأشرف، ثمّ رحل إلى إيران أوان تأسيس الدولة الصفويّة زمن الشاه إسماعيل الصفويّ، وكان التلاقي بين رجلين: عملُ أحدِهما يكمّل عمل الآخر: الشاه الصفويّ يريد تثبيتَ حكمه على أساس المذهب وهو بحاجة إلى فقهاء يدعمون موقفه، والمحقّق الكَركيّ بحاجة إلى دولة يُطبّق فيها نظريّته، التي تلغي نظريّة: "الغيبة والانتظار" التي كانت قد برزت في الفقه الاثني عشري منذ أوائل القرن الثالث الهجري، حيث جمّد الفقهاء فرائض: الجهاد وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والزكاة والخمس، كما أنّهم قالوا ابتداءً من القرن السادس الهجريّ بعدم وجوب صلاة الجمعة في عصر الغيبة، ".. وقد بدأت محاولات الاجتهاد متدرّجة منذ القرن السادس الهجريّ، وقال الشيخ المفيد (336-413هـ /1022م) بتفويض الأئمّة للفقهاء إقامة الحدود في عصر الغيبة، وعلى الرَّغم من ذلك لم يكن مؤمنًا بقيام دولة إسلاميّة في غياب الإمام المهدي، لذلك رفض تولّي الحكم حين عرض عليه البويهيّون ذلك[4]، وقام من بعده، المحقّق

(1) زندگانى شاه عباس اول، ج 2، ص 255؛ أعيان الشيعة، ج3، ص 81.

(2) عالم آراى عباسى، ج 1، ص 154؛ تاريخ فرهنگ ايران، ص 242 و265؛ لؤلؤة البحرين، ص 151-152؛ روضات الجنّات، ج 4، ص 362 و363؛ ريحانة الأدب، ج 5، ص 347.

(3) ترجمته في أعيان الشيعة، ج 10، ص 45 و208؛ روضات الجنّات، ج 4، ص 362-363؛ ريحانة الأدب، ج 5، ص 347.

(4) راجع المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص 257.

الحلّي جعفر بن سعيد (602-676هـ) فطرح النيابة العامّة في مجال الزكاة، إذ أعطى الأولويّة في صرفها للفقيه المأمون لأنّه أعلم بمواقعها[1]. ثم كان العلّامة الحلّيّ (647-736هـ) أوّلَ من فتح باب التقليد الذي كان يراه علماء الشيعة السابقون قبيحًا ومرفوضًا ومحرّمًا حيث قال: "يجوز للعاميّ العمل بفتوى العالِم في الأحكام الشرعيّة"[2]، وقد خطا الشهيد الأول في القرن الثالث الهجريّ، الرابع عشر الميلاديّ، خطوة جديدة في تطوير نظريّة "النيابة العامّة" من القضاء والحدود والزكاة إلى صلاة الجمعة، حيث قال بوجوبها انطلاقًا من نيابة الفقيه في باب القضاء، وقد عدّ الشهيد الأول في كتابه "**اللمعة الدمشقيّة**" الفقيهَ "نائبًا عن الإمام" وأجاز له إقامة صلاة الجمعة، كما أطلق على الفقيه العادل الإماميّ الجامع لصفات الفتوى لقب "نائب الغيبة" في كتابه "الخُمس" من "**الدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة**"[3]، وكذلك فعل الشهيد الثاني وتلاميذه؛ ولكنّهم جميعًا لم يفتوا بالجهاد وإقامة الدولة في غيبة المعصوم[4]، وهكذا في حين كانت نظريّة "النيابة العامّة للفقهاء" تنمو ببطء، وبصورة جزئيّة ومحدودة على أيدي علماء الحلّة ثمّ علماء جبل عامل، ابتداءً من القرنين السابع والثامن الهجريّين، كان الواقع السياسيّ الشيعيّ يتطوّر بعيدًا من الفكر السياسيّ الإماميّ بدءًا من ثورة السربداران وصولاً إلى إعلان الشاه إسماعيل الصفويّ المذهبَ الشيعيّ المذهَبَ الوحيد والإجباريّ للدولة بناءً على دعويَين: دعوى الوكالة الخاصّة عن الأئمّة، ودعوى رؤية الإمام عليّ في المنام إلى جانب ادّعائه أنّه من نسل الأئمّة[5]، وهذا ما أعطاه سلطة دينيّة ودنيويّة مطلقة، وقد استقدم علماء من النجف كان من بينهم علماء من جبل عامل والبحرين للعمل على نشر المذهب، وكان من بين الذين تعجّلوا الذهاب إلى إيران المحقّق الكَركيّ الذي يؤكّد المؤرّخون أنّه من بين الذين عارضوا فرض الشاه إسماعيل المذهب بالقوّة، وقد عاد الكَركيّ إلى النجف وكان ما رآه في إيران دافعًا له ليعكف على تطوير نظريّة النيابة العامّة للفقهاء عن الإمام

---

(1) أعيان الشيعة، ج 5، ص 312.

(2) نهاية الأحكام للعلّامة الحلّيّ، ج2، ص 411؛ أعيان الشيعة، ص 396.

(3) الدروس الشرعيّة، الشهيد الأوّل، ص 165.

(4) مسالك الأفهام، ص 148.

(5) ادّعاء الصفويّين أنّهم من نسل الأئمّة أمرٌ نفاه المحقّقون، راجع مقالة العلّامة "محمّد القزوينيّ" في مجلّة يادگار، السنة الأولى، العدد 4، ص 27.

المهدي إلى نظريّة سياسيّة، متأثّرًا بقيام الدولة الصفويّة التي (باتت أمرًا واقعًا) وزوال ظروف التقيّة، وبقيت للمحقّق على الرغم من عودته من إيران منزلةٌ عظيمة لدى الشاه، الذي عيّن له وظائف وإدارات كثيرة ببلاد العراق، حتى قيل إنّه كان يصل إليه في كلّ سنة سبعون ألف دينار شرعيّ من الشاه إسماعيل، لينفقها في تحصيل العلم ويفرّقها في جماعة الطلاّب والمشتغلين[1]، وقد عاب عليه معاصروه ومنهم (الشيخ إبراهيم القطيفيّ) قبوله جوائز السلطان، لأنّ هؤلاء كانوا يرفضون الاعتراف بدولة شيعيّة في زمن الغيبة، ولا يؤيّدون نظريّة ولاية الفقهاء، ويرفضون إقامة صلاة الجمعة في زمن الغيبة... بعد وفاة الشاه إسماعيل وتولّي ابنه طهماسب الحكم في العام 931هـ/1524م، وهو الذي عاش طفولته الأولى في هراة، لكي يعزّز من شرعيّة الدستوريّة ويضرب القزلباشيّة المتصارعين على السلطة[2]، واستدعى الشيخ علي الكَركيّ من النجف الأشرف وكتب إليه رسالةً تعبّر عن التزامه نظريّة النيابة العامّة، وقد لقّبه فيها بنائب الأئمّة المعصومين وخاتم المجتهدين، ووارث علوم سيّد المرسلين، وكلّ من يخالف أوامره ونواهيه مشرك بالله، وقد جاء في الرسالة: "إلى من اختصّ برتبة أئمّة الهدى(ع) في هذا الزمان، نائب الإمام..." وقد أمر جميع السادات العظام والأكابر والأشراف والأمراء والوزراء وجميع أركان الدولة أن يقتادوا له، ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه، كما أمرهم بعزل كلّ من يعزله من المتصدّين للأمور الشرعيّة في الدولة والجيش، وتنصيب كلّ من ينصّبه، ، ولا يحتاج في العزل والتنصيب إلى وثيقة أخرى، وكان فرمان الشاه على هذه الصورة:

"بسم الله الرحمن الرحيم" بما أنّ مؤدّى حديث الإمام الصادق (ع) الذي يقول فيه: انظروا إلى من كان روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا، وعَرّف أحكامنا، فارضوا به حَكمًا، فإنّي قد جعلته عليكم حاكمًا. فإذا حكم بحكم، من لم يقبله منه فإنّما بحكم الله استخفّ، وعلينا ردّ هو رادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله، فإنّ مخالفة حكم خاتم المجتهدين وارث علوم سيّد المرسلين، نائب الأئمّة المعصومين، لا زال كاسمه العليّ عاليًا، وعدم متابعته يحسب ملعونًا بكلّ تأكيد، ومطرودًا من الدولة ومحاسبًا ومعاقبًا، كتبه طهماسب بن إسماعيل الصفويّ. وقال

(1) أعيان الشيعة، ج 10، ص 209.

(2) نفس المصدر.

طهماسب للكَركي: "أنت أحقّ بالملك لأنّك النائب عن الإمام وإنّما أكون من عمّالك أقوم بأوامرك ونواهيك".

وكتب رُقْمًا إلى جميع المقاطعات أن يمتثلوا أوامرَ الشيخ، وكان الشيخ يكتب إلى عمّال المقاطعات وأهل الاختيار فيها رسائل تتضمّن قوانين العدل وكيفيّة سلوك عمّال الرعيّة في أخذ الخراج وكميّته ومقدار مدّته، وأمر أن يقرّر في كلّ بلدة وقرية إمامًا يصلّي بالناس ويعلّمهم شرائع الدين[1]، وقد أعطى الكَركيُّ الشاه طهماسب إجازة لحكم البلاد بالوكالة عن نفسه كونه نائبًا عن الإمام المهدي، وعيّنه طهماسب شيخًا للإسلام إلى أن توفّي في العام (840هـ) وقيل إنّه مات مسمومًا[2]، ويرجّح أن يكون بعضُ أمراء القزلباش هم الذين دسّوا له السمّ، لأنّهم لم يوافقوا على تعيينه في ذلك المنصب الكبير، ولأنّه قلّص نفوذهم.

هذا التطوّر الكبير في الفكر السياسيّ الشيعيّ يعود الفضل فيه إلى المحقّق الكَركي، لكن على الرغم من ذلك فإنّ نظريّة "النيابة العامّة" لم تأخذ طريقها بسهولة بين عامّة الناس وأركان الدولة الصفويّة أصحاب الطريقة الصوفيّة، لذلك تخلّى عنها الشاه إسماعيل الثاني بن طهماسب بعد وفاة أبيه، وابتعد عن العلماء الذين اتهمهم باللعب بأبيه وقلّص نفوذهم[3].... لكن نظريّة "النيابة العامّة" ظلّت تتطوّر بالتدريج إلى أن أصبحت على يدي الشيخ "محمّد مهدي النراقي" (المتوفّى في العام 1245هـ) أكثر شمولاً وتطوّرًا، وطرحها تحت عنوان "**ولاية الفقيه**" وليس تحت العنوان السابق "النيابة العامّة" القائمة على قاعدة نظريّة (الغيبة والانتظار). ثمّ تطوّرت هذه النظريّة إلى أن أوصلها الإمام الخمينيّ[4] إلى ما أوصلها إليه، وعلى أساسها قامت الثورة الإسلاميّة في إيران... هذه الثورة التي أخرجت الفقهاء من حدود الحوزات والأمور الشرعيّة إلى التعاطي مع شؤون الناس جميعها سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة، وامتدّ تأثير أفكار الثورة إلى العالم الإسلاميّ كلّه، لا سيّما شيعة لبنان وفقهائهم.

---

(1) زندگانى شاه عباس اول، ج 4، ص 95، وما بعدها؛ رياض العلماء، ص 448.

(2) عالم آراى عباسى، ص 154؛ تاريخ شاه إسماعيل، ص 23-24.

(3) أعيان الشيعة، ج 10، ص 209، نقلاً عن لؤلؤة البحرين؛ شرح غوالي اللآلي، لنعمة الله الجزائريّ، تاريخ الشاه إسماعيل، ص 323 و324.

(4) راجع الحكومة الإسلاميّة، الإمام الخمينيّ، ص 114.

دور الشهيد الثاني[1]: كان الشهيد الثاني قد تقدّم في مجال صلاة الجمعة وقال بوجوبها، من دون الحاجة إلى استئذان الإمام في عصر الغيبة، وانتقد المحقّق الكَركيّ على تردّده بإيجابها وقال بقوّة بنظريّة النيابة العامّة في مجال القضاء والحقوق، لكنّه لم يُبح للفقيه تسلّم الخمس، لا سيّما سهم الإمام، كما أنّه لم يتحدّث عن الجهاد في عصر الغيبة ولم يعترف بالدولة الصفويّة، ولم يزر إيران لكنّ تأثيره كان قويًّا في البناء الفكريّ للدولة الصفويّة من خلال تلاميذه الذين هاجروا إلى إيران وحملوا معهم كتبه وأفكاره، فنشروها وعملوا على تطبيقها، لقد قام الفقهاء الذين ساروا على خطى الشهيد الثاني (أوّل من عمل على التقريب بين المذاهب الإسلاميّة) بالتخفيف من حدّة العزلة المذهبيّة، التي ورّط الصفويّون الاثني عشريّةَ بها، ومن أهمّ هؤلاء "والد الشيخ البهائي الشيخ **حسين بن عبد الصمد**[2] (918هـ-1512م- 984هـ-1576م) الذي كان من أوائل الذين درسوا على الشهيد الثاني، وكان مشاركًا له في تصحيح كتب الحديث، ورافقه في سفرته الأولى إلى إسطنبول ورحل معه إلى مصر للدرس، في العام 943هـ/1537م، للأخذ عن كبار علمائها، كما كان من رفاقه إلى دمشق وحلب، ولعلّ هذه الرحلة كان هدفها الأساسيّ تلطيف حالة العداء نحو الاثني عشريّة، التي غذّتها الأخبار التي حملها الفارّون من إيران، والتي تروي فظائع الشاه إسماعيل ومجازره[3].

(1) الشهيد الثاني: هو الشيخ زين الدين نور الدين علي بن أحمد بن محمّد بن جمال الدين بن تقي الدين بن صالح بن مشرف الجُبعيّ العامليّ، وُلد في جباع سنة 911هـ/1505م، درس على والده ودرس في جُبع من سنة 934هـ/1527م إلى سنة 937هـ/1530م، ثمّ رحل إلى دمشق وقرأ كتب الطب! والفلسفة والحكمة والإشراق على يدي محمّد بن مكّي، ثمّ رحل إلى مصر وقرأ على ستّة عشر شيخًا من شيوخها... وسنة 948هـ/1541، سافر إلى بيت المقدس واجتمع ببعض علمائها وقرأ عليهم... ثمّ توجّه إلى إسطنبول وطلب التدريس في المدارس العامّة، فأُعطي التدريس في المدرسة (النوريّة) في بعلبك وأقام فيها يُدرّس في المذاهب الخمسة وسنة 965هـ/1557م، كتب قاضي صيدا إلى السلطان سليمان القانوني أنّه وجد في بلاد الشام رجلاً مبتدِعًا خارجًا من المذاهب الأربع، فأرسل السلطان في طلب الشيخ ليجمع بينه بين علماء بلاده... ولكن الملكلف بمصاحبته قتله في الطريق ويُقال إنّ السلطان أنكر عليه فعلته (انظر ترجمته في أمل الآمل، ج1، ص 85-91؛ تكملة أمل الآمل، ص 212-217؛ الكنى والألقاب، ج2، ص 370-374؛ أعيان الشيعة، ج 4، ص 144-157.

(2) انظر ترجمته في أمل الآمل، ج 1، ص 75؛ رياض العلماء، ج 2، ص 110؛ لؤلؤة البحرين، ص 23؛ روضات الجنّات، ج2، ص 346؛ أعيان الشيعة، ج 6، ص 56؛ دلال عبّاس، بهاء الدين العامليّ أديبًا وفقيهًا وعالما، ص 87-93.

(3) مستدرك الوسائل، ج3، ص 432.

سافر الشيخ حسين عبد الصمد إلى إيران بعد أن استدعاه الشيخ **علي المنشار** (الشيخ علي بن هلال الكَركيّ العامليّ، والد زوجة البهائي) الذي كان قد سبقه إلى إيران، والذي تولّى مشيخة الإسلام في قزوين أيّام الشاه طهماسب الصفويّ، وكانت له مكانة عنده، ولما توفّي الشيخ علي المنشار عيّن الشاه طهماسب الشيخَ حسين عبد الصمد شيخًا للإسلام في قزوين، وفي قزوين كان الشيخ حسين بن عبد الصمد يقيم صلاة الجمعة من غير احتياط، لقوله بعينيّتها على مذهب الشهيد الثاني، ثم عُيّن بعد ذلك شيخًا للإسلام في هراة التي عانت أكثر من غيرها من نتائج الصراع المذهبيّ بين الصفويّين وأعدائهم من الأوزبك المتعصّبين. أقام فيها ثماني سنوات، يرشد أهلها وجلّهم على غير مذهب أهل البيت وغير خفيّ حرج مثل هذا الموقف، وكان يتوجّه إليه الطلبة من مختلف أنحاء إيران، وكذلك العلماء والفقهاء من أهل إيران لأجل سماع الحديث وأخذ العلوم الدينيّة وتحقيق المعارف الشرعيّة، وورد أمرُ الشاه طهماسب إلى حاكم خراسان بأن يحضر ولدُه الأمير "محمّد خدابنده" كلّ يوم جمعة بعد الصلاة إلى الجامع الكبير لسماع الفقه والحديث على الشيخ حسين، وأن ينقاد إلى جميع أحكامه وفتاويه[1]، وفي العام 983هـ/1575م، غادر الشيخ حسين بن عبد الصمد هراة إلى قزوين لملاقاة الشاه بها، وطلب الرخصة منه له ولولده البهائي، بالحجّ إلى بيت الله الحرام، وهو يُضمر في نفسه أمرًا، فأذن الشاه له ولم يأذن لولده البهائي وأمره أن يقوم مقام أبيه في هراة[2] وكان هذا أوّل منصب رسميّ يتولاّه الشيخ البهائي. نتساءل لماذا ترك الشيخ حسين عبد الصمد إيران وهو لم يلقَ فيها إلاّ كلّ تعظيم وإكرام؟ نقول في الجواب: إنّه ربما لم يستسغ الترف والجاه والتعظيم المبالغ به للعلماء في إيران، ولربما كان لحالة الشظف والزهد التي كان يحيا فيها علماء جبل عامل، أساتذتُه، والكدّ والعمل للمعاش وللمعاد الأثر الكبير في ذلك الأمر[3]، وقد كان أستاذه الشهيد الثاني بالتحديد وهو من أعظم الفقهاء العلماء، يحرس الكرمَ ليلاً ويطالع الدروس التي سيلقيها في الصباح على الطلبة، ويحتطب ويشتغل بالتجارة ويسافر أحيانًا مع من لا يعرفون قدرَه، ويباشر بناء داره ومسجده بنفسه.

(1) مستدرك الوسائل، ج 3، ص 421؛ أعيان الشيعة، ج 8، ص 369؛ تكملة أمل الآمل، ص 477.

(2) مستدرك الوسائل، ج 3، ص 421؛ أعيان الشيعة، ج 6، ص 58.

(3) أجرى السيّد محسن الأمين مقارنةً طريفة بين حالة علماء جبل عامل وحالة العلماء في إيران: الأعيان، ج9، ص 293- 240.

في إيران وجد الشيخ حسين الأمان ولم يلق إلاّ كلّ ترحيب، ولكنّه لم يجد الراحة النفسيّة، فقد كان قبل ذهابه إلى إيران، يسعى مع أستاذه إلى التقريب بين المذاهب، وها هو يرى بنفسه أنّ التعصّب المذهبيّ الذي عانى منه هو وأنداده في جبل عامل وجعله يفرّ بنفسه وبأهله إلى إيران، له مثيل في تعامل حكّام إيران مع العلماء المخالفين، ففرّ إلى مكّة قاصدًا الجوار فيها إلى أن يموت، ولكن مكّة والمدينة كانتا تحت سيطرة العثمانيّين وكان الشيعة يتعرّضون فيها للضغط والتهديد بسبب ردّات الفعل المهلكة[1]، لذا لم يجد له أخيرًا موئلاً سوى البحرين حيث مات بعد سنة واحدة في العام 984هـ/1676م.

ومن البحرين كتب الشيخ حسين إلى ابنه الشيخ البهائي رسالةً يطلب إليه فيها أن يأتي إليه في البحرين: "فيا ولدي، لو كنت تطلب شيئًا لدنياك فاعمد بلاد الهند، وإن حاولت الآخرة فالحقْ بنا إلى هذا المقام، وإن كنت لا تريد الدنيا ولا الآخرة فلازم العجم ولا تبرح"[2].

إنّ علماء جبل عامل من تلامذة الشهيد الثاني[3] هم الذين أسّسوا للتيّار الاجتهاديّ في إيران، وأفتَوا بصلاة الجمعة، ومارسوا ذلك عمليًّا في المساجد التي كانوا أئمّتها على الرغم من معارضة التيّار الإخباريّ لذلك، كما أنّهم تابعوا عمل الشهيد الثاني في غربلة الأحاديث، وكان كتابه "**الدراية في الحديث**" مرجعًا لهم. إلى أن وضع الجيل الثاني ممثّلاً بالشيخ البهائي كتبه الخاصّة التي تمثّل قمّة ما توصّل إليه التيّار الاجتهاديّ، ولكنّ التيّار الاجتهاديّ ينتكس بعد موت الشاه عبّاس والوهن الذي دبّ في أوصال الدولة المركزيّة، فتقوى المؤسّسة الفقهيّة التي يغلب عليها التيّار الأخباريّ على حساب الدولة.

والأهمّ من كلّ ذلك أنّ كتبَ الشهيد الثاني، لا سيّما كتابه "**منية المريد في آداب المفيد والمستفيد**" الذي ألّفه الشيخ في العام 954هـ، كان الأساس الذي انبنت عليه أُسس التعليم في إيران، وقد ظلّ حتى الربع الأول من القرن العشرين من الكتب المعتمدة في المدارس الدينيّة[4].

---

(1) روضات الجنّات، ط 2، ص 390-240.

(2) راجع دلال عبّاس، بهاء الدين العامليّ أديبًا وفقيهًا وعالما، ص 113 وما بعدها.

(3) عدد هؤلاء كبير جدًّا كما يتضح من رسالة ابن العودي الجزينيّ تلميذ الشهيد الثاني، راجع دلال عبّاس، بهاء الدين العامليّ، ص 113 وما بعدها.

(4) عيسى صدّيق، تاريخ فرهنگ ايران، ص 551.

لا يسعنا ونحن نتحدّث عن دور العلماء العامليّين في بناء الدولة الصفويّة فكريًّا وعمرانيًّا، إلاّ أن نذكر الشيخ بهاء الدين العامليّ[1]، (ابن الشيخ حسين بن عبد الصمد، الذي ولد في بعلبك في السابع عشر من ذي الحجّة عام 953هـ/1547م، وكان في السابعة من عمره حين هاجر أبوه إلى إيران في أواخر العام 960هـ/1552م، وأقام مع أبيه في قزوين ثمّ في مشهد فهراة، حيث تولّى فيها مشيخة الإسلام في العام 983هـ، وتولّى مشيخة الإسلام في إصفهان زمن الشاه عبّاس الكبير منذ العام 1008 حتى 1030هـ/1060م عام وفاته، لقد ارتبط اسم الشيخ البهائي باسم الشاه عبّاس أهمِّ الملوكِ الصفويّين وأقدرِهم، والذي تسمع اسمَه حين تزور إصفهان أنّى توجّهت ماثلاً في الآثار العمرانيّة التي ما زالت قائمة حتّى اليوم، فنتساءل ماذا فعل الشيخ البهائي في إيران ليلقى هذه الحفاوة والتكريم من الناس قديمًا وحديثًا ولينال هذه الشهرة التي لم ينلها أحدٌ قبله في حياته وبعد مماته؟

يجب أن نذكر قبل ذلك أنّ الشاه عبّاس (978هـ/1571م-1038هـ/1629م)، الذي فرض منذ بداية حكمه استقرارًا لم تنعم به إيران في عهد خلفائه، كان دكتاتورًا، وحرصُه على الانفراد بالحكم، جعله لا يعطي علماء الدين فرصةً للتدخّل في شؤون الحكم، لذلك قنّن سلطة الفقهاء بعد أن كانت مطلقة في زمن جدّه طهماسب وأبيه محمّد خدابنده، وحدّ من تدخّلهم في شؤون الدولة السياسيّة والحربيّة، فاقتصر دورهم على الأمور الشرعيّة، ولم يكن لهم دور في مسار الدولة داخليًّا وخارجيًّا.

بعيدًا من الأمور السياسيّة، كان الشاه مجلاًّ للعلماء، محترمًا لهم، ولا سيّما الشيخ البهائي، الذي كانت له مكانته وشهرته العلميّة قبل تولّي عبّاس الحكم، لذلك سلّمه مشيخة الإسلام، وكانت للشيخ سلطة معنويّة على الشاه[2].

ففي حمأة الصراع المذهبيّ بين الدولتَين العثمانيّة والصفويّة، وفي وقت ازداد فيه التعصّب على حساب الدين، سار البهائي على خطى أبيه وخطى الشهيد الثاني، في محاولة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة المختلفة، وكانت بينه وبين

(1) راجع كتاب الباحثة: بهاء الدين العامليّ أديبًا وفقيهًا وعالما، دار الحوار، بيروت 1995، وهو المرجع الأشمل عن الشيخ البهائي كما وصفه النقّاد، ودار المؤرّخ العربيّ 2010.

(2) راجع بهاء الدين العامليّ أديبًا وفقيهًا وعالما، م.س، ص 180-190.

كبار علماء السنّة، الذين التقى بهم في أثناء رحلته إلى مصر والشام والقدس محاورات[1] نستشفّ من خلالها معالم شخصيّته التي اخترقت الحدود المغلقة التي أقامتها سياسات السلاطين العثمانيّين والشاهات الصفويّين. لقد اختار الشيخ البهائي معايشة الواقع، وكانت له سلطة معنويّة على الشاه كما ذكرنا، فلم يتوان عن انتقاد الشاه في كثير من المواقف، كانتقاده له علانيةً حين أقام "عيد الأضواء" في محرّم الحرام، ولومه على فعلته الشنيعة حين أمر بقتل ابنه ووليّ عهده، والأهمّ من كلّ ذلك أنّ الشاه عبّاس أبطل بتأثير البهائي عادة سبّ الخلفاء الثلاثة، هذه البدعة التي بدأت كما ذكرنا في عهد مؤسّس الدولة الصفويّة إسماعيل الأوّل[2]، ردًّا على سبّ الأمويّين للإمام عليّ عليه السلام.

لقد سلك الشيخ البهائي مسلكًا مختلفًا عن مسلك غيره من العلماء الذين كانت لهم منزلته أو أقلّ منها في إيران، والذين كانوا لا يخرجون إلاّ في مواكب شبيهة بمواكب الملوك، فكان يتجوّل في أحياء الفقراء، ويدخل أكواخهم ويجالسهم، ويتجوّل في الحواري والأسواق، فأعطى بمسلكه هذا درسًا للشاه الحاكم، فسار على خطاه وقلّده في الخروج إلى الأسواق الشعبيّة للاطلاع على أوضاع الرعيّة، فيعمد إلى تخفيف الضرائب عن كواهلهم، ويجوس الأسواق متنكّرًا يشتري من الباعة ليتأكّد من أنّهم لا يطفّفون المكاييل، ولا يتلاعبون بالأسعار[3].

نضيف إلى سموّ تفكير الشيخ البهائي أنّه لم يتعصّب لمذهب على مذهب، ولم يتحزّب داخل إيران لفريق من الأفرقاء المتصارعين على آخر، بل كان يتدرّج فيهم بأساليب الإصلاح، وهذا الأمر هو الذي حدا بكلّ فريق أن يعدّه من أهله، وأعمل جهده للجمع بين أنصار الطريقة وأنصار الشريعة، بين متزمّتي الفقهاء ومتطرّفي العارفين، وانتقد الجمود والتقليد، وشنّ الحملة تلو الحملة في شعره ونثره العربيّ والفارسيّ على الفقهاء الجامدين القشريّين وعلى المنتفعين من الدجل والرياء.

إنّ مكانة الشيخ البهائي العلميّة في أكثر ميادين المعرفة دفعت الناس إلى الحديث عنه، وكأنّه شخصيّة أسطوريّة، وإنّ كثرة الغرائب والأعاجيب والأساطير لتي نسبت إليه على الرغم من المبالغة التي تشعّ من زواياها، تعبّر تعبيرًا واضحًا

(1) م.ن، ص 170-180.

(2) م.ن، ص 184-186.

(3) زندگانى شاه عباس اول، ج 2، ص 368-370.

عن مكانة البهائي العلميّة ونفوذه البالغ على أفكار الناس، فقد حُكي أنّه استطاع أن يُحطّم الذرّة وأن يسيطر على طاقتها، وأنّ من مظاهر ذلك، أنّه صنع "شمعة" أوقدها في أتون حمّام إصفهان، وأنّها كانت تكفي لتدفئة حمّام بكامله مدّة طويلة من دون أن تتغيّر[1]، ولا تزال آثار هذا الحمّام قائمة الآن في إصفهان ويُسمّى "حمّام إصفهان" أو "حمّام شيخ بهائي"، ويقع بين المسجد الجامع والسوق القديمة قرب المحلّة المعروفة "بدرب الإمام"، وأهالي إصفهان يعتقدون أنّ مصمّم هذا الحمّام هو الشيخ البهائي، وأنّه صنع شمعة تكفي لتسخين الماء في مرجل الحمام الكبير، وأنّ البهائي كان قد قال، إنّه إذا ما هُدم الجدار الذي يمنع دخول الهواء إلى الشمعة، فإنّها ستنطفيء وهكذا كان، فلمّا دعت الضرورة إلى أن يُعاد تعمير المسجد، وهُدم أساس الأتون حيث كانت الشمعة في مكان معزول عن الهواء انطفأت وذهب سرّها[2]، ويُنسب إليه أيضًا صنع "ساعة شمسيّة" دوّامة الحركة من دون أي حاجة لمن يحرّكها، وكذلك تركيب "مسحوق أبيض" يُستخدم في الدهان[3].

وبما أنّ الشيخ كان محيطًا بالهندسة والمساحة فإنّ المؤرّخين والناس ينسبون إليه تصميم أكثر المباني التي تمّ بناؤها في زمن الشاه عبّاس الصفويّ وهندستها، فهم ينسبون إليه بناء مسجد شاه في إصفهان، وأنّه هو الذي عيّن سمت القبلة فيه، ومشهور أيضًا أنّ هيئة شُكّلت في زمن الشاه عبّاس برئاسة الشيخ البهائي لتوزيع مياه نهر "زاينده رود" على مدينة إصفهان والقرى المجاورة، وقد وضع تصميم توزيع المياه للمدينة والقرى المحيطة بها، وصناعة المواسير والخزّانات وأصل الطومار في إصفهان ويُعرف بـ "طومار شيخ بهائي" كما ينسبون إلى الشيخ البهائي تصميم قناة "نجف آباد" في إصفهان والتي تُسمّى "قناة زرّين كمر" من أكبر قنوات إيران، وطولها من أوّلها إلى آخرها تسعة فراسخ وتوزّع مياهها على إحدى عشرة بركة كبيرة[4].

---

(1) فلاسفة الشيعة، عبد الله نعمة، ص 407، نقلاً عن: "أجوبة المسائل الدينيّة"، العدد 6، الدورة 4، 1379هـ، كربلاء-العراق، ص 232.

(2) آثار واشعار شيخ بهايى، ص 50.

(3) م.ن، ص.ن.

(4) م.ن، ص 490؛ دلال عبّاس، بهاء الدين العامليّ، ص 203-205.

كان للشيخ البهائي، **معلّمًا**، دور في تبسيط المواد التي يعلّمها، وفي تبويبها، وقد ظلّ كتابه "**الصمديّة في النحو**" منذ عصره إلى زمن قريب الكتاب المتداول والمقرّر لتدريس النحو في مدارس إيران[1]، ولا أبالغ إذا قلت إنّه لا يزال حتى الآن أكثر كتب النحو تبسيطًا، علمًا بأنّ صاحبه وضعه قبل أربعة قرون. كما أنّ كتابه "**خلاصة الحساب**" اعتُمد حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين لتدريس الرياضيّات والحساب في مختلف مدارس إيران كما يقول مترجمه محمّد جواد الطهراني[2]، وكان داخلاً ضمن منهج الدراسة في النجف الأشرف حتى منتصف القرن العشرين أيضًا[3]، حيث لخّص في هذا الكتاب الحساب والجبر وأعمال المساحة المتفرّقة في عشرات الكتب عن العلماء السابقين، وقدّم هذه المعلومات في صورة مرتّبة كل الترتيب، واضحة كلّ الوضوح، وأورد العديد من الأمثلة التي تزيل الغموض عن الموضوعات المستعصية، كما قدّم قواعد وفوائد لتسهيل أعمال الحاسوب، كما ذكر هو نفسه في مقدمّة الكتاب[4].

والشيخ البهائي أوّل من قدّم كتابًا في "الفقه الميسّر" وظلّ كتابه "**جامع عبّاسي**" أكثر كتاب فقهيّ تداولاً في إيران والهند، فالكتاب بالفارسيّة ولم ينقله أحد إلى العربيّة، وإن كان الذين وضعوا في هذا القرن كتبًا في الفقه الميسّر قد تأثّروا بتبويبه من دون أدنى ريب، وهو يُعدّ أوّل رسالة علميّة فقهيّة غير استدلاليّة ودورة كاملة في الفقه[5]، كان قصد الشيخ البهائي من كتابته باللغة الفارسيّة البسيطة والمباشرة، تعريف عامّة الناس في إيران بأحكام الدين كي لا يظلّ فهم أمور الدين منحصرًا بالأشخاص الذين يعرفون العربيّة[6]، فهو جامع وميسّر ومختصر في آن معًا، دعا فيه من يرغب في معرفة تفاصيل بعض الأمور أن يرجع إلى كتبه المفصّلة الأخرى المكتوبة بالعربيّة.

لقد بلغ عدد تلامذة البهائي المئات كما تذكر كتب التراجم، وحَسْبُ الشيخ

(1) الدرّة الثمينة في شرح الصمديّة، ص 4.
(2) اللباب في شرح خلاصة الحساب، محمّد جواد الطهرانيّ، 1400هـ/1980م.
(3) راجع بهاء الدين العامليّ أديبًا وفقيهًا وعالما، ص 654.
(4) م.ن، ص 654.
(5) مرتضى مطهّري، الإسلام وإيران، ص 340.
(6) عيسى صدّيق، تاريخ فرهنگ ايران، ص 241.

البهائي أن يكون "الملاّ صدرا الشيرازيّ" المتوفّى في العام 1051ه/1640م من تلامذته، أُشرب على يديه المذهب الفلسفيّ العرفانيّ الذي يلخّصه قول البهائي: "**مَن تفقّه ولم يتصوّف فقد تَفَيقَهَ، ومن تصوّف ولم يتفقّه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقّق**"[1]، فخلق منه صوفيًّا وعرفانيًّا وفيلسوفًا إلهيًّا فريدًا، وقد أورد في كتابه المشهور "**الأسفار الأربعة**" قوله: "حاشا الشريعةَ الحقّة الإلهيّة البيضاء أن تكون أحكامها مصادمة للمعارف اليقينيّة الضروريّة، وتبًّا لفلسفة تكون قوانينها غير مطابقة للكتاب والسنّة"[2].

كان البهائي كذلك شاعرًا[3] باللغتين العربيّة والفارسيّة وكان شعره باللغتَين أرقى من شعر معاصريه، ولقد أسدى إلى الثقافتَين العربيّة والفارسيّة خدمةً بتطوير النظم في كلّ منهما باعتماده في كلّ منهما وزنًا من أوزان الأخرى، فقد نظم كثيرًا من شعره العربيّ على طريقة الرباعيّات الفارسيّة، كما أنّه نوّع في أوزانه وقوافيه في عدد كبير من قصائده.

وكان شعره الفارسيّ أرقى من شعر معاصريه، ولم يلجأ إلى أسلوب التصنيع الذي صبغ الشعر في عصره، والذي سُمّي "الأسلوب الهنديّ"، ويقول النقّاد إنّه الوحيد الذي لم يتّبع هذا الأسلوب، وهو أوّل من نظم الشعر الفارسيّ على بحر **الخبب** وهذا الوزن لم يكن معروفًا عند الشعراء الفرس قبل البهائي.

نضيف أنّ البهائي قاد الصراع الفكريّ في عصره على جبهتَين:

1 ـ مواجهة الفقهاء القشريّين الجامدين المفتونين بظاهر الدين وقلوبُهم خاليةٌ من العرفان.

2 ـ مواجهة متصوّفة عصره الذين كانوا يدعون إلى الباطن دون الظاهر، والذين طغت عندهم المظاهر والكليّات على أساليب النظر الفلسفيّ العميق، وانتهى التصوّف على أيديهم إلى تقاليد وطقوس شكليّة خالصة، كأنّه كان أمّةً في رجل وعلماء في عالِم واحد، إنّه من الندرة الذين لا يجود الزمان بمثلهم إلاّ قليلاً، إنّه ليس للعرب ولا للفرس، إنّه للإنسانيّة بما ترك من آثار تجاوزت حدود الزمان والمكان.

---

(1) كليات واشعار شيخ بهايى، ص 144.

(2) *أعيان الشيعة*، ج 9، ص 323.

(3) انظر دلال عبّاس، بهاء الدين العامليّ أديبًا وفقيهًا وعالما، فصل البهائي شاعرًا، ص351-498.

3 ـ نذكر من معاصري الشاه عبّاس الصفويّ والشيخ البهائي من علماء جبل عامل: **الشيخ لطف الله عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد العال الميس**ي[1]، هاجر من جبل عامل إلى مشهد، شأنه شأن عدد كبير من العلماء العامليّين الذين كانوا يزورون المشهد المقدّس الرضوي، فيطلب إليهم العلماء والطلبة أن يظلّوا في إيران فيلبّون طلبهم[2]، أو علماء يسافرون إلى إيران هربًا من العثمانيّين وفي نيّتهم البقاء فيها، وقد بقي الشيخ لطف الله في المشهد المقدّس حتى العام 997هـ/1588م حين تعرّضت لهجوم الأوزبك ومنها لجأ إلى قزوين، فاشتغل هناك بالتدريس ثمّ استدعاه الشاه عبّاس إلى إصفهان في العام 1011هـ/1602م، وأمر أن تُقام له مدرسة ومسجد يحملان اسمه، انتهى بناؤهما في العام 1028هـ/1618م، وقد توفّي الشيخ في العام 1032هـ/1622م، بعد عامين من وفاة الشيخ البهائي، ولا يزال مسجد الشيخ لطف الله قائمًا في إصفهان حتى اليوم يقع في الضلع الشرقيّ من ميدان "نقش جهان" في الجهة المقابلة لعمارة المسجد، أمّا المدرسة التي كانت ملحقة به، وكانت مقرًّا لإقامة الشيخ وتدريسه فقد تهدّمت، بينما لا تزال آثار المدرسة التي أُقيمت في الوقت نفسه لإقامة "الملاّ عبد الله الشوشتريّ" وتدريسه قائمة حتى اليوم بجوار سوق القيصريّة في الضلع الشماليّ من ميدان "نقش جهان"[3].

نذكر من علماء جبل عامل في إيران في مرحلة انهيار الدولة الصفويّة سياسيًّا الذي رافقه تراجع للتيّار الاجتهاديّ واتهام للمبدعين والمجتهدين وأهل العرفان في دينهم بعد غلبة التيّار الأخباري الصرف على المؤسّسة الفقهيّة في إيران، الشيخ "**محمّد بن الحسن الحرّ العاملي**[4]"، من مواليد مشغرة في جبل عامل، درس في جباع، وفي الأربعين غادر إلى العراق، ثمّ إلى خراسان زمن الشاه سليمان الصفويّ آخر ملوك الصفويّين (1077هـ/ 1667م-1105ه/1694م). كان محمّد بن الحسن الحرّ شاعرًا وله ديوان مطبوع، وكان يدير حلقة للتدريس في مشهد الإمام الرضا(ع)، يحضرها جماعات من سائر الأقطار، يدرّسهم في كتابه "**وسائل**

(1) انظر ترجمته في أعيان الشيعة، ج 9، ص 38، أمل الآمل، ج1، ص 136.

(2) بغية الراغبين، ص 115.

(3) مجلّة يادگار، سال اول، ص 61؛ آثار ملى اصفهان، ص 70، المشاهدة المباشرة.

(4) راجع ترجمته في أمل الآمل، ج 1، ص 20-40؛ لؤلؤة البحرين، 6ص 63064؛ الكنى والألقاب، ج 2، ص 158، وفي مقدّمة أمل الآمل ثبت بأسماء مؤلّفاته.

الشيعة" وهو كتاب حديثيّ ضخم يبدو صاحبه فيه أخباريًّا صرفًا في اتجاهه الفقهيّ، ولكنّه لم يكن متطرّفًا، ولم يشنّع على الاجتهاديّين كما فعل عدد من معاصريه، لذلك نراه في كتابه "**أمل الآمل في علماء جبل عامل**" يذكر أعلام الفريقين الإجتهاديّ والأخباريّ باحترام.

من العائلات العلميّة التي أدّت دورًا مهمًّا في جبل عامل وفي العراق وإيران، وفي الوقت نفسه أدّت خدمة بل خدمات إلى الثقافتين العربيّة والفارسيّة "آل الصدر" وإليهم تنتسب عائلات "**صدر**" و"**صدر زاده**" و"**صدر عاملي**" و"**مستجاب**" و"**خادمي**" في إيران[1].

و**عائلة الصدر** من الأسر العلويّة الشهيرة في العراق، كان موطنها الأول في بغداد وكربلاء فكانت تُعرف آنذاك بآل الحسين القطعي، وتنتسب إلى الإمام موسى الكاظم، بقي أفراد الأسرة في كربلاء وهاجر بعضهم إلى جبل عامل، وعُرفوا بآل شرف الدين (نسبة إلى العلاّمة إبراهيم الملقّب بشرف الدين)[2] وقد هاجر ابنه السيّد محمّد أبو صالح من جبل عامل إلى العراق ومنها إلى إصفهان للأخذ عن علمائها في العام 1083هـ/1672م، وتتلمذ على الشيخ السبزواريّ الذي زوّجه كريمته.

وهذا التزاوج والمصاهرة بين العائلات العامليّة والعائلات الإيرانيّة أو بالأحرى بين عائلات العلماء في لبنان والعراق وإيران، نتج عنه تداخل في الأنساب وعلاقات قربى، وجعل هذه العائلات تنتمي إلى الفكر الإنسانيّ عامّة وأن لا تتقوقع في الحدود الجغرافيّة، وجعل ثقافتها الدينيّة والأدبيّة أكثر غنًى وتنوّعًا وشمولاً، تضرب في عمق الثقافتَين العربيّة والفارسيّة، فتغتني من الثقافتين، وتغنيهما في الوقت عينه.

زار السيّد (محمّد أبو صالح) في العام 1099هـ/1687م مشهد الرضا (ع)، وأنزله محمّد بن الحسن الحرّ العاملي في داره، ثم حجّا معًا، وعادا معًا إلى شحور في جبل عامل، وقد حملت كتبه مع ما حُمِل في فتنة الجزّار إلى أفران عكّا، وتوفّي في شحور في العام 1139هـ/1726م، أمّا ابنه السيّد صالح فقد أوى في أثناء فتنة الجزّار وإحراق مكتبة العائلة في العام 1148هـ/1735م إلى كهف في واد عميق،

(1) راجع بغية الراغبين، ج ض، ص 170 و175 و180.

(2) راجع بغية الراغبين، ص 235، نقلاً عن الشيخ علي الخاقانيّ، في (شعراء بغداد)، ج 1، ص 205.

ولكن قُبض عليه، وأودع السجن، وفي العام 1149هـ/1736م هرب من سجن الجزّار وفرّ إلى العراق، وتوفّي في النجف في العام 1217هـ/1802م وفي ما بعد هاجر ابناه السيّد أسد الله والسيّد صدر الدين من النجف واستوطنا إصفهان، والسيّد صدر الدين جدّ آية الله خادمي وجدّ السيّد موسى الصدر وجدّ السيّد عبّاس صاحب **نزهة الجليس**، وأخ الجدّ الأكبر للكاتب "محمّد علي جمال زاده".

وُلد السيّد صدر الدين ابن السيّد صالح في العام 1193هـ/1779م، استوطن إصفهان في العام 1217هـ/1812م وشيّد في إصفهان مسجدًا فخمًا قلّ نظيره، ومع أنّه غادر جبل عامل وهو في السادسة بعد هربِ والده من سجن الجزّار، إلاّ أنّه ظلّ طيلة عمره على اتصالٍ بمن يسافر إلى إيران من العامليّين، يتعرّف أخبارَهم ويسأل عن علمائهم وزعمائهم وعشائرهم وبيوتاتهم وأنسبائهم.. ويتحدّث عن كلّ ذلك في مجالسه كما يتحدّث عن أطوار أهل جبل عامل وأزيائهم وسائر شؤونهم[1].

وهكذا استمرّت العلاقة بين آل الصدر في إيران والعراق والنجف ولم تنقطع لا سيّما بين العلماء منهم، وبما أنّ أعلامهم كُثر وكتب التراجم ذكرتهم جميعًا وهم بالمئات[2]، سنكتفي بذكر الأكثر شهرةً وتأثيرًا:

آية الله خادمي[3] حفيد السيّد صدر الدين ابن السيّد صالح ابن السيّد محمّد ابن السيّد شرف الدين. هو أحد أكبر المراجع في إصفهان في القرن العشرين، وُلد فيها في 3 شعبان 1319هـ/1910م، درس على كبار العلماء في إصفهان وفي النجف، وكان إمام الجماعة في إصفهان، ومدرّس الفقه والأصول فيها، وله عددٌ من المؤلّفات، وكان المرجع الذي يعود إليه الجميع في إصفهان من العلماء والفقهاء والعامّة، وكان من أهمّ المساندين للثورة الإسلاميّة، وكانت خطبُه كلّها تركّز على أهميّة الثورة ضدّ الحاكم الغاشم، وتتضمّن توجيهات حكيمة إلى الشباب وبقيّة أفراد الشعب، وقد جاء في التقرير الذي أعدّه الصحافيّ الفرنسيّ الكبير (دومنيك بوشين في جريدة (لوموند) في العدد الصادر في 12 ك2/1978م قبل نجاح الثورة ما يلي: "لقد انتقلت السلطة في إصفهان ثانية المدن الإيرانيّة

(1) راجع بغية الراغبين، ص 148-150.

(2) راجع خاصّةً بغية الراغبين بجزأيه للسيّد عبد الحسين شرف الدين.

(3) م.ن، ص 184، وما بعدها.

الكبرى من يدٍ إلى أخرى، وانتقل الحكمُ من يد السلطات الرسميّة إلى يد الثورة الإسلاميّة، وهناك انفصال كليّ عن الدولة المركزيّة في طهران، ونوّاب المدينة بين فارٍّ أو مستسلم، ومحافظ المدينة فرّ كذلك، وقوّات الشرطة في حالة شللٍ من جرّاء انضمام بعضهم إلى الثورة، وكذلك الحالة في الجيش، حيث يلتحق يوميًّا عشرات الجنود والضبّاط إلى صفوف الشعب كما أنّ إدارات الدولة والمحاكم القضائيّة في حالة إضراب عن العمل. أمّا الحاكم الواقعيّ للمدينة فهو: "آية الله خادمي" الحكيم الذي هو في سنّ الشيخوخة، وأوامره تنفّذ من دون أيّ تردّد، يُصدرُها من بيته الذي تحوّل إلى مركز أعمال الثورة في المدينة، يجلس على الأرض في غرفته المفروشة بالسجّاد يتكلّم مع زائريه بصوت منخفض، ومشاوروه يقولون لنا: إنّكم لا تستطيعون أن تلاحظوا أيّ خطأ في تصرّفات القائد وفي أوامره، وقد قال لي أحد أعضاء الجبهة الوطنيّة: إنّ آية الله خادمي رجل سياسيّ خبير، وله ماض مجيد حافل، وكان احد مؤيّدي مصدّق[1] و(آية الله الكاشانيّ)، وقد زادت شهرته وفاعليّته في السنوات الثلاثين الأخيرة، وهو الآن الحاكم الفعليّ للمدينة، والغرف المجاورة لغرفة الإمام مليئة بالمجاهدين والمتطوّعين لتنظيم الأمور في المدينة: "لسدّ النقص في الاقتصاد وتموين الفقراء، وتفقّد عائلات الشهداء وتمويل عائلات الموظّفين، الذين أضربوا وطُردوا من إداراتهم، والمصدر الأساس لتمويل الثورة (سهم الإمام)... ومع أنّ البلاد في حالة ثورة، فإنّ المدينة هادئة وعند اشتداد ظلام الليل يتمركز أفراد الشرطة الإسلاميّة والحرس الثوريّ في جميع نقاط المدينة، للحراسة ومراقبة المشبوهين، والأمور كلّها تسير بنظام وهدوء". وحين اعتُقل الإمامُ الخمينيّ في المرّة الأولى كان آية الله خادمي على رأس العلماء الذين تنادوا من جميع أنحاء إيران وذهبوا إلى طهران يناشدون النظام الغاشم الإفراجَ عن الإمام[2].

(1) الدكتور "محمّد مصدّق" بطل إيران وسياسيُّها الفذّ (1878-1966م)، كان النائب الوحيد الذي عارض استبداد "رضا خان بهلوي" فكان أن سجنه ونكّل به، ولما تولّى الوزارة في العام 1950م عمل على تأميم النفط وسانده "آية الله الكاشانيّ" وبعض العلماء الآخرين من مؤيّديه، وكاد مشروعه أن ينجح، حيث تمكّن من طرد الشاه لكنّ الثورة فشلت وأُلقي القبضُ على مصدّق وحُكِم عليه بالسجن ثمّ وُضعَ في الإقامة الجبريّة في قريته أحمد آباد إلى حين وفاته (منقول مختصرًا من مختصر تاريخ إيران، ملك الشعراء بهار، ج.1)

(2) راجع بغية الراغبين، ص 184 إلى 190.

محمّد علي جمال زاده:

أوّل كتّاب القصّة الفارسيّة المهمّين، إيرانيّ من أصل لبنانيّ خرّيج مدرسة عينطورة. يشغل السيّد محمّد على جمال زاده مكانة مميّزة في الأدب الفارسيّ المعاصر، وكان له دور ملحوظ في نهضة هذا الأدب، وهو واحد من مجدّدي اللغة الأدبيّة الحديثة.

جدّه الأكبر العلاّمة السيّد محمّد علي ابن السيّد صالح ابن السيّد محمّد ابن شرف الدين سافر من جبل عامل إلى إيران لزيارة المشهد المقدّس ومرّ بإصفهان وفيها أخوه السيّد صدر الدين[1] فنزل في رحابه مريضًا. وتوفّي في إصفهان في العام 1241هـ/1825م، فبقي أبناؤه في إيران... أمّا والده الأديب السيّد جمال الدين الواعظ، الملقّب بصدر الواعظين وصدر المحقّقين، فقد كان من أكثر الوعّاظ تنوّرًا في مرحلة ما قبل الثورة الدستوريّة، وخُطبُه التي كان يلقيها على الملأ لا تزال تُذكر حتّى اليوم ويُستشهد بها، وليس فقط بسبب هجومها العنيف على الاستبداد فحسب، بل لسحر لغتها اليوميّة البسيطة التي أكسبته آلاف المعجبين في كلّ أنحاء إيران، وقد أسّس أتباعهُ صحيفةً سمّوها "**الجمال**" نشروا فيها خطبه ومواعظه، وقد ناضل خلال الثورة الدستوريّة[2] بإيمانٍ وشجاعة من أجل حقوق الشعب وأصدر في طهران بالشراكة مع الشيخ أحمد الكرمانيّ كتاب "**رؤياى صادقه**" [الرؤيا الصادقة] الذي كان إضافة إلى خطبه الحماسيّة السببَ وراء مقتله مسمومًا في السجن بأمرٍ من السلطان محمّد علي شاه في العام 1326هـ/1908م.

في لبنان وفرنسا وسويسرا

وُلد محمّد علي جمال زاده في إصفهان قُبيل نهاية القرن التاسع عشر، العام 1895، وبدأ دراسته فيها، وأُرسل وهو في العاشرة من عمره إلى لبنان[3] وأُدخل

(1) آل الصدر من العائلات العلميّة الشهيرة في العراق، كان بعضهم قد هاجر إلى جبل عامل حيث عُرفوا بآل شرف الدين (راجع بغية الراغبين، ص 1235)، ثمّ عاد بعضهم وهاجرو إلى العراق وإيران هربًا من ضغوط الدولة العثمانيّة.

(2) الثورة الدستوريّة في أثناء حكم مظفّر الدين شاه ابن ناصر شاه الذي وُلد في العام 1269هـ وكان ضعيف النفس غير حازم في الأمور، فطمع فيه رجال البلاط وجعلوه آلة في أيديهم. دامت سلطنته بعد أبيه أحد عشر عامًا، وتوفّي في العام 1324هـ، انظر بغية الراغبين، ص 286.

(3) انظر بغية الراغبين، ص 386؛ النثر الفنّيّ، لحسن گشماد، ص 145؛ حسن تقي زاده، تاريخ اوايل انقلاب مشروطيت، طهران، 1959م.

كليّة عينطورة للرهبان اللِعازاريّين، حيث أكمل دراسته المتوسّطة والثانويّة وأتقن اللغتَين العربيّة والفرنسيّة. وفي مدسة عينطورة ظهرت مواهبُه الأدبيّة فكان يكتب في المجلّة المدرسيّة مقطوعاتٍ أدبيّةً مختلفة باللغة الفرنسيّة، ومن لبنان سافر إلى فرنسا في العام 1910، بعد إقامة قصيرة في مصر، ثمّ سافر إلى سويسرا، حيث بدأ دراسة القانون في جامعة لوزان ثمّ في ديجون حيث نال إجازته، وبوفاة والده عاش في ضائقة ماديّة أنقذه منها جزئيًّا مساعدات أصدقائه، وإعطاؤه بعض الدروس الخصوصيّة. واتصل "جمال زاده" خلال الحرب العالميّة الأولى بجماعة القوميّين في برلين، واشترك معهم في حملة سياسيّة وثقافيّة موجّهة بالتحديد ضدّ الأطماع الأجنبيّة والتدخّل الأجنبيّ في إيران، وكان أوّل من أُسند إليه تأسيس صحيفة في بغداد في العام 1915م، ثمّ عاد إل برلين وشارك رفاقه في إصدار صحيفة "**كاوه**"، وكان أوّل عمل له في هذه الصحيفة مقالة بعنوان "حين تجبر الأمّة على العبوديّة"، وخلال هذه المرحلة نشر كتابه الأول "**گنج شايگان يا اوضاع اقتصادى إيران 1916-1917**" [الكنز الثمين أو أوضاع إيران الاقتصاديّة].

بدأت حياة جمال زاده القصصيّة بنشر "**فارسى شَكَراست**" [سكّر هي الفارسيّة] وهي أوّل قصّة فارسيّة نالت نجاحًا كبيرًا، وقد ظهرت مع خمس قصص أخرى من النوع نفسه من المجموعة الشهيرة "**يكى بود يكى نبود**" [كان يا ما كان] في برلين في العام 1921م. هذا الكتاب يلقي الضوء على شخصيّة جمال زاده الأدبيّة، ذلك أنّه يكشف موهبة الشاب الأدبيّة التي تثير الدهشة كما يشهد هو نفسه، في سيرته الذاتيّة[1]: "كنت قد تعوّدتُ كتابة الفارسيّة بصعوبة بالغة، وحين غادرتُ إيران وأنا في ميعة الصبا لم تكن الفارسيّة تُعلَّم كما ينبغي في المدارس، وكانت فارسيّتي ضعيفة إلى حدٍّ كبير... لقد تعلّمتُ الفارسيّة من دون أيّ وسائل أو معلّم أو درس، وذلك بالاعتماد على نفسي، وبكلّ وسيلة أقدر عليها"[2].

ولأسباب ماديّة اضطرّت "**كاوه**" للتوقّف عن الصدور... وقد شارك في ما بعد بإصدار مجلّة جديدة اسمها "**علم وهنر**" [العلم والفنّ]، نشر فيها على الرغم من عمرها القصير نسبيًّا عددًا من قصصه القصيرة التي كان قد كتبها في مرحلة مبكرة،

---

(1) انظر بغية الراغبين، ج ض، ص 288، وسيرته الذاتيّة المنشورة في نشرة "دانشكدهٔ ادبيات" [كلية الآداب]، جامعة تبريز، 3-4 1954؛ ادبيات نوين ايران، يعقوب آژند، ص 60-61.

(2) السيرة الذاتيّة، ص 274.

كما شارك في تحرير مجلّة طلّابيّة تُسمّى: "فرنگستان" [أوروبا، أو بلاد الفرنجة].

توقّف جمال زاده بعد نجاح مجموعته القصصيّة الأولى، الصادرة في العام 1921 عن الإنتاج الأدبيّ لمدّة عشرين سنة "أي طيلة حكم رضا شاه" لسببَين: القمع الذي كان يتعرّض له الأدباء ولأنّ "**كان يا ما كان**" أثارت جدلاً واسعًا في إيران، ففي حين عدّها الشباب ذوو الميول التقدّميّة عملاً عبقريًّا، رأت فيها الدوائرُ الرجعيّة هرطقةً وهجومًا ضدّ الكبرياء القوميّة، وقد أفقدت الضجّة المعادية لكتابات جمال زاده الكاتبَ حماسَه، وظلّ لمدّةٍ في حالة عقليّة ونفسيّة لا تمكّنه من الكتابة[1].

يقول في مذكّراته: "لقد فكّرتُ في أنّ ما يدعو إلى الأسف أن تمرَّ حياتي القصيرة كلُّها مع القلم والورق وأن أكون راويَ مسرّاتِ الآخرين وشاربَ أنخابهم"[2].

القصّة الأولى في مجموعة "كان يا ما كان" و" سُكَّرٌ هي الفارسيّة" تدور حول جدالٍ في أحد السجون الإيرانيّة، بين مواطنٍ عاديّ قادم من الريف دخل السجن من دون ذنبٍ اقترفه، وبين اثنين من مواطنيه أحدهما "آخوند"، أي عالم دين ذو تعليم دينيّ متعصّب، والآخر مُسْتَغْرِبٌ عائدٌ حديثًا من أوروبا وكلاهما أثار حنقَ الرجل العاميّ الذي كان يبحث عن تفسير لديهما عن الأسباب التي أوصلته إلى السجن: عالم الدين بالعبارات العربيّة-الفارسيّة المنمّقة التي ينطق بها، والمتفرنس بالعبارات الأجنبيّة الغريبة التي ينطقها، فيتألم الرجل البسيط ويشعر بالضآلة والضياع، لانّه لم يفهم تفسيراتهما، إنّها قصّة تعالج بذكاء المشكلة التي كانت سائدة في إيران كما في الأقطار العربيّة- في بداية القرن العشرين بين الجيل الذي تفرنج ولم يعد قادرًا على التكيّف مع الحياة في بلده وبين المتفيقهين، الذين كانت أعدادهم تتزايد ومعرفتهم تتضاءل، فيسترون جهلهم باستخدام العبارات العربيّة النمطيّة الفصيحة...

أمّا قصّة "**دوستى خاله خرسه**" [صداقة خالتي الدبّة] فهي قصّة مؤثّرة حول

(1) السيرة الذاتيّة، ص 26.

(2) م.ن، ص.ن.

رجل مرح طيّب القلب يعمل نادلاً في مقهى، كان مسافرًا مرّة فعثر في طريق كرمانشاه على أحد جنود القوزاق جريحًا فوق الثلوج، فأنقذه على الرغم من تحذير رفاق السفر له، ويعلم الجنديّ الجريح أنّ منقذه يحمل مبلغًا من المال، وبعد أن يتماثل للشفاء ويصل إلى الأمان، يحرّض مجموعةً من الروس السكارى على اعتقال النادل وإطلاق الرصاص عليه. وقصّة "**هذا القدر لهذا الشمندر**" سخرية لاذعة من النظام الاستبداديّ وأسلوب الحياة في الدوائر الحاكمة والفوارق الطبقيّة أواخر حكم القاجاريّين....... وفي حديث له مع صحافيّ إيرانيّ في العام 1938م بدا فخورًا بمجموعته "**كان يا ما كان**" كأساس لمدرسة جديدة في الأدب الفارسيّ وقال معترضًا على الميل السائد لدى الكتّاب لتقليد النماذج الغربيّة[1].

عاد جمال زاده وواصل إنتاجه الأدبيّ في العام 1941م بعد عشرين عامًا من الصمت، ليُثبت من جديد أنّه أحد أكثر المؤلّفين خصوبةً في إيران المعاصرة، وأصدر أوّل ما أصدره في المرحلة الجديدة روايته "**دار المجانين**" (1942م)، يحاول المؤلّف فيها أن ينتقد المجتمع، الذي يفضّل الرجال الأذكياء المرهفي الأحاسيس، التواجد في مستشفى للأمراض العقليّة عن العيش فيه... أمّا رواية جمال زاده التالية فهي "**قلتشن ديوان**" (1946) التي تتناول الصراع الأزليّ بين الخير والشرّ. إنّ "قلتشين ديوان" كما يراها النقّاد[2] هي أعظم روايات جمال زاده، إذ تناغمت في الرواية جوانب السخرية والفكاهة والنقد الاجتماعيّ والعواطف الإنسانيّة السامية والحبّ لبني البشر، والنغمة الحزينة في تصوير وفرة نصيب الشرير.

امّا "**صحراى محشر**" [صحراء يوم الحشر] (1947)، فهي رواية خياليّة عن يوم القيامة مستوحاة بتصرّف عن "**الرؤيا الصادقة**"، التي كان والده وأحد أصدقائه قد كتباها قبل ذلك بخمسين عامًا، لكنّ رواية الأب كانت ذات هدف محدّد، إذ يرسم من خلالها صورةً "للأوقات العصيبة التي تنتظر الحكّام المستبدّين وأعداء البلاد حين يقفون أمام خالقهم، أمّا الابن فيحلّق خياله بادئ ذي بدء في دائرة السخرية والفكاهة ويصوّر أحوال الناس من مختلف الأنواع عندما يقفون في محضر الخالق وتوزن أعمالهم"، ويظهر بوضوح تأثّر الكاتب بـ **رسالة الغفران**

(1) انظرحسن گمشاد، النثر الفنّيّ في الأدب الفارسيّ، طهران، 1965، ص 165.

(2) يعقوب آژند، ادبيات نوين ايران، ترجمة مقال مبلوش بوركي، ص 138.

للمعرّي من ناحية، ومن ناحية أخرى بما جاء من نصائح إلى الحكّام والأمراء والمرائين في آثار جلال الدين الروميّ وسعدي وحافظ ونظامي الكنجوي.

أمّا رواية "**راه آب نامه**"[1] [مجرى الماء] (1948) وهي رواية مختصرة ومترابطة، وقريبة الفهم ومركّزة إلى ابعد الحدود، فإنّها تقف في مستوى أرفع من بقيّة رواياته من ناحية النقد الاجتماعيّ، فهي تتناول شخصيّات من مختلِف الطبقات الاجتماعيّة وتتميّز بروح الفكاهة وانسيابيّة الأسلوب، والمكان زقاق من أزقّة طهران والشخصيّات مجموعة الأشخاص يعيشون في بيوت الزقاق الستّة..

كتب جمال زاده فضلاً عن رواياته أربعَ مجموعاتٍ من القصص القصيرة في الأعوام 1942 و1959 و1960م[2]. وقد نُقلت أعمال جمال زاده إلى الهنديّة والألمانيّة والفرنسيّة والروسيّة والدانماركيّة[3].

إنّ جمال زاده الذي ينتمي إلى عائلة أفرادُها من علماء الدين المناضلين كان انتقاده لعلماء الدين والمؤسّسات الدينيّة نقدَ الناصح المشفق الذي يعرف مواطن الخلل، من دون أن ينسى دور علماء الدين في تأييد الدستور والنضال من أجله (وقد استُشهد أبوه في سبيل ذلك)، كما أنّ نقده للمارسات الدينيّة الخاطئة استمرارٌ لنقد الكبار في التراث الفارسيّ لهم ولا سيّما حافظ الشيرازيّ مع تغيير ظروف المكان والزمان، وليس كنقد صادق هدايت وأمثاله، الصادر عن حقدٍ أو كرهٍ أو تعصّبٍ عرقيٍّ. أمّا وجهة نظره بالنسبة إلى الأمراض الاجتماعيّة في وطنه فيمكن أن تلخّص في الفقرة التالية المأخوذة من قصّة "**الملح المتعفّن**" حيث يناقش الفساد الخلقيّ، الناجم جزئيًّا عن الفقرالمدقع والحرمان من ناحية، ومن ناحية أخرى عن انعدام الطمأنينة على الأرواح والأموال، طالما أنّ الناس يخافون الراعي كما يخافون الذئب، وليست لديهم أيّ ثقة بعدوّهم، أو في أن يكونوا السادةَ الحقيقيّين لحياتهم وأملاكهم، فإنّ مكافحة الفساد تُشبه وزن الماء في الغربال أو جمع الهواء في سلال الصفصاف.

اخيرًا علينا أن نذكر أهميّة الدور الذي قام به جمال زاده[4] في تجديد اللغة

---

(1) يعقوب آژند، ادبيات نوين، ص 129.

(2) راجع يعقوب آژند، ادبيات نوين ايران، ص 61-112، 130-134؛ پنج شعله جاويد، تهران 1955.

(3) راجع حسن گمشاده، ص 162-163.

(4) راجع يعقوب آژند، ادبيات نوين ايران، ص 156-157.

الأدبيّة في إيران، ووضع أساس نمطٍ لغويّ حديث ومناسب، بعيدًا من لغة رجال الدين الذين اعتادوا استخدام الألفاظ العربيّة الفصيحة في كتاباتهم، وعن المستغربين الذين بالغوا في استخدام المصطلحات الأجنبيّة... ويبقى جمال زاده واحدًا من أعظم الكتّاب الإيرانيّين إلى اليوم بلغته وسخريته وروحه الصوفيّة.

المرحلة الثانية: العلاقات بين إيران وجبل عامل

كان التأثير في هذه المرحلة من إيران باتجاه لبنان عامّة وجبل عامل خاصّة، ولا تزال نتائج هذا التأثير تتفاعل إيجابيًا حتّى الآن، على الصُعد كافّة: السياسيّة والثقافيّة والفكريّة، ونشير هنا إلى دور السيّد موسى الصدر ثمّ إلى دور الإمام الخمينيّ والثورة الإسلاميّة في تشكيل النهضة الإسلاميّة في العالم عامّةً وفي لبنان وجبل عامل خاصّة.

فالسيّد موسى الصدر والإمام الخمينيّ ومنظّرو الثورة الإسلاميّة في إيران بهشتي ومطهّري وشريعتي ينتمون جميعًا إلى المدرسة الاجتهاديّة في الفكر الشيعيّ التي أسّس لها في إيران علماء جبل عامل المهاجرون الذين كانوا استمرارًا لمدرسة الشهيدَين الأول والثاني ممثَّلَين بالشيخ بهاء الدين العامليّ وبتلامذته وتلاميذهم من بعدهم.

إنّ التسامح المذهبيّ الذي عُرف به هذا التيّار هو الذي أسّس لهذا الانفتاح الفكريّ على المذاهب الأخرى لدى علماء الثورة، فنحن في دراستنا للشهيدَين الأول والثاني ولتلاميذ الشهيد الثاني، ثمّ للشيخ البهائي قبل غلبة التيّار الأخباريّ في إيران، رأينا حرصهم على محاورة المسلمين الآخرين من غير الشيعة من دون عِقَدٍ ومن دون تشنّج أو مداراة، وجميعهم سافروا إلى الشام وإلى مصر للأخذ عن العلماء فيهما، والشهيد الثاني وتلامذته كانوا يدرّسون الفقهَ في مدارس جبل عامل وبعلبك على المذاهب الخمسة[1]، والشيخ البهائي يسافر إلى دمشق وحلب ومصر والقسطنطينيّة ويحاور علماءها، ويكتب بعد عودته إلى إيران "**الرسالة الاعتقاديّة**" يعرّف فيها الفكرَ الاثني عشري وخصائصَه بطريقة موضوعيّة، مستقرئًا ما كان ميدان خلاف بين متكلّمي الشيعة والسنّة وفقهائهم، مبرّئًا الاثني عشريّة من الاعتقادات الباطلة التي تؤمن بها الفرق الغالية[2].

---

(1) راجع حياة الشهيد الثاني، أعيان الشيعة، ج 7، ص 144.

(2) راجع دلال عبّاس، بهاء الدين العامليّ، ص 572-574.

وكلّ ذلك دليل على انفتاح هؤلاء العلماء على المسلمين الآخرين وعدم تقوقعهم على ذاتهم داخل شرنقة المذهب، وهذا ما فعله السيّد موسى الصدر حين جاء إلى لبنان وأنشأ علاقات ودّيّة بعلماء المسلمين والمسيحيّين، وما فعله الإمام الخمينيّ حين دعا إلى الوحدة الإسلاميّة للوقوف في وجه الاستكبار العالميّ.

السيّد موسى الصدر والثورة الإسلاميّة الإيرانيّة[1]:

هو ابن السيّد صالح شرف الدين، وُلد السيّد موسى في 5 آذار سنة 1929م في مدينة قم حيث تلقّى علومه الابتدائيّة والثانويّة كما تلقّى دراساته الدينيّة على عدد من أساتذة حوزتها، ثمّ تابع دراساته الجامعيّة في كليّة الحقوق في جامعة طهران وحاز على الإجازة في الحقوق، وأتقن كجميع العلماء العربيّة والفارسيّة، وألمّ بالفرنسيّة والإنجليزيّة، وصار أستاذا محاضرًا في جامعة قمّ الدينيّة. كما انتقل إلى النجف الأشرف ودرس على كبار علمائها. قدِم لبنان للمرة الأولى في العام 1955م فتعرّف إلى أسرته في صور وحلّ ضيفًا على العلاّمة السيّد عبد الحسين شرف الدين الذي تعرّف مواهبَه ومزاياه، وبعد أن توفّي السيّد عبد الحسين كتب الصوريّون إليه في قم يدعونه ليكون مرجعهم، وهكذا قدِم في أواخر العام 1959 إلى مدينة صور وأقام فيها.

إنّ أهمّ ما ميّز عمل السيّد موسى الصدر في صور وفي لبنان توسيعه نطاق الدعوة والعمل الدينيّ بالمحاضرات والندوات والاهتمام بشؤون المجتمع، لا سيّما في الجنوب وبعلبك والهرمل التي كانت تعاني الإهمال والتخلّف والحرمان، منشئًا علاقات وثيقة بمختلِف فئات الشعب اللبنانيّ وطوائفه، منطلقًا من أنّ وظيفة الدين هي الاستقامة الأخلاقيّة، وأنّ هدف الأديان واحد، وداعيًا إلى نبذ المشاعر العنصريّة وإلى تفاعل الحضارات الإنسانيّة وإلى مكافحة الآفات الاجتماعيّة والفساد والإلحاد... وشارك مع الجمعيّات الخيريّة والثقافيّة في عشرات المشاريع الاجتماعيّة والانمائيّة ومؤسّسات الصدر القائمة اليوم في لبنان تشهد على جهوده وعبقريّته.

إنّ السيّد موسى الصدر بمواقفه وفتاواه الاجتهاديّة، هو استمرار لتلك المدرسة الاجتهاديّة التي أسّس لها علماء جبل عامل في إيران منذ العصر الصفويّ،

(1) راجع بغية الراغبين، ص 619-635.

ونموذج للعلماء ذوي الثقافتين، المنتمين إلى التشيّع بمفاهيمه الإنسانيّة الرحبة غير المتقوقع في بيئة محدودة محصورة في بقعة جغرافية بعينها، وإلى هذا الأمر يشير الشيخ هاشمي رفسنجاني في مذكّراته[1] في أثناء حديثه عن سفره إلى خارج إيران في العام 1974م، عن لقائه السيّد موسى الصدر في لبنان (وكان قرأ عليه من قبل في حوزة قم)، فأشاد بالمؤسّسات التي أنشأها السيّد موسى في لبنان وتكلّم على علاقاته بالطلبة والمقاومين الإيرانيّين الموجودين في لبنان، وعلى مواقفه المعتدلة ودوره المهمّ شيعيًّا ووطنيًّا، ودعمه للشباب الإيرانيّين الثوريّين الموجودين في لبنان... هؤلاء الشباب الذين تلقّوا التدريبات العسكريّة في صفوف المقاومين الفلسطينيّين، وكانت لهم أدوار فاعلة في ما بعد في صفوف الثورة الإسلاميّة: كالشهيد محمّد منتظري، والسيّد أحمد الخمينيّ والسيّد صادق الطباطبائيّ وعبّاس كديفر ومحمّد بيراقي، ومثالهم الأبرز مصطفى شمران الذي تولّى لاحقًا رئاسةَ مجلس الدفاع الأعلى في الجمهوريّة الإسلاميّة، إلى أن استُشهد في حادث مأساويّ إثر تحطّم طائرته على الجبهة العراقيّة في العام 1981م.

وجاء تأييدُ الشيعة اللبنانيّين وأهل جبل عامل منهم خاصّة للثورة الإسلاميّة الإيرانيّة أمرًا طبيعيًّا ومتوقّعًا، فهذه الثورة اتخذت منذ اللحظة الأولى لانطلاقها بُعدَين أساسيّين: بُعدٌ داخليٌّ اجتماعيّ يتصدّى للظلم الاجتماعيّ والسياسيّ للنظام البهلويّ، وبُعدٌ خارجيّ يتمثّل في التأكيد العقيديّ والشرعيّ المستمرّ على وجوب تحرير القدس وإزالة العدوان الصهيونيّ، وهذان البُعدان طرحتهما الثورة من دون أن تفكّك بينهما كوجهَين لعملة واحدة.

ومن المعروف أنّ أهلَ جبل عامل كانوا على اتصال مباشر مع هذين البُعدَين، وكانوا في خضمّهما معًا، فمن جهة كانوا على تماس مباشر مع القضيّة الفلسطينيّة والصراع العربيّ-الإسرائيليّ، يدفعون ثمنه من حياتهم وحياة أبنائهم ومن عرقهم وكدّهم وكرامتهم ودمهم وأمنهم واستقرارهم. ومن جهة أخرى كانوا في خضمّ المعركة الاجتماعيّة-السياسيّة مع النظام اللبناني

أمّا فكريًّا فإنّ هذه الصحوة الإسلاميّة في العالم بأسره وفي لبنان على نحوٍ

(1) هاشمي رفسنجاني، دوران مبارزه، تهران، دفتر نشر معارف انقلاب 1376هـ.ش [1997م]، ج 1، ص 275-276. صدرت ترجمة هذا الكتاب تحت عنوان [هاشمي رفسنجاني- حياتي] عن دار الساقي- بيروت2..2، ترجمة كاتبة البحث.

خاصّ هي نتيجة من نتائج الثورة الإسلاميّة التي حرّرت النساء والرجال من الظلم ومن الخرافة والتحريف والتغرّب[1].

المصادر والمراجع

1 ـ **آثار وأشعار الشيخ البهائي**، تقديم سعيد نفيسي، تهران 1361/1982م.

2 ـ **الإسلام وإيران**، مرتضى مطهّري، تعريب محمّد هادي اليوسفي، دار التعارف للمطبوعات، 1400هـ.

3 ـ **الأعمال الرياضيّة**، بهاء الدين العامليّ، ط.أولى، معهد التراث العربيّ حلب وط.دار المشرق 1981م.

4 ـ **أعيان الشيعة**، السيّد محسن الأمين، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف، لا تا.

5 ـ **أمل الآمل**، محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ (جزآن)، تحقيق أحمد الحسينيّ، مكتبة الأندلس بغداد، لا تا.

6 ـ **بهاء الدين العامليّ أديبًا وفقيهًا وعالمًا**، دلال عبّاس، بيروت، دار الحوار، ط. أولى 1995م.

7 ـ **بغية الراغبين**، السيّد عبد الحسين شرف الدين، الدار الإسلاميّة، بيروت، ج 1، ط. 1991م.

8 ـ **تكملة أمل الآمل**، السيّد حسن الصدر، ترجمة أحمد الحسينيّ، دار الأضواء، بيروت، 1986م.

9 ـ **الحدائق النديّة في شرح فوائد الصمديّة**، ابن معصوم، طهران، 1474هـ.

10 ـ **الحكومة الإسلاميّة**، الإمام الخمينيّ، ط. القاهرة، 1979م.

11 ـ **روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، الخوانساريّ**، (8 أجزاء)، مكتبة إسماعيليان، إيران 1392هـ.

12 ـ **رياض العلماء وحياض الفضلاء**، الإصفهانيّ، تحقيق أحمد الحسينيّ، قم إيران لا تا.

13 ـ **سلافة العصر في محاسن الشعراء بكلّ مصر**، ابن معصوم، المكتبة المرتضويّة لإحياء التراث، طهران.

14 ـ **الفكر الشيعيّ والنزعات الصوفيّة حتّى مطلع القرن الثاني عشر الهجريّ**، محمّد كامل الشيبي، ط. أولى، مكتبة النهضة، بغداد 1966م.

15 ـ **فلاسفة الشيعة**، الشيخ عبد الله نعمة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لا تا.

16 ـ **الكنى والألقاب**، عبّاس القمّيّ، المطبعة الحيدريّة، محمّد صادق الكتبيّ، النجف، 1965م، 1376م.

17 ـ **الباب في شرح خلاصة الحساب**، محمّد جواد ذهنى تهرانى، 1405هـ، 1985م، قم.

18 ـ **لؤلؤة النجدين**، مطبعة السمان، النجف الأشرف، 1386هـ/1966م.

19 ـ **منية المريد في آداب المفيد والمستفيد**، الشهيد الثاني، تحقيق عبد الأمير شمس الدين، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت 1981.

20 ـ **النثر الفنّيّ في الأدب الفارسيّ**، حسن گمشاد، ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا، المصريّة العامّة للكتاب، 1992م.

المراجع الفارسيّة

1 ـ **آثار ملى اصفهان**، أبو القاسم رفيعى مهر آبادى، تهران 1353هـ.ش [1974م].

---

(1) دلال عبّاس، "المرأة في إيران"، مجلّة شؤون الأوسط، عدد خاصّ عن المجتمع في إيران، بيروت، 2000م.

2 ـ **ادبيات نوين ايران**، يعقوب آژنْد، انتشارات اميركبير، تهران، 1363هـ.ش [1974م].

3 ـ **پنج شعله جاويد**، تهران، 1955م.

4 ـ **تاريخ ادبيات ايران**، إدوارد براون، ترجمة رشيد ياسمي، ججحاب دوم، تهران، 1329هـ.ش [1950م].

5 ـ **تاريخ فرهنگايران از آغاز تا زمان حاضر**، عيسى صديق، ججحاب دوم، تهران، بهمن 1338هـ.ش [1959م].

6 ـ **تاريخ شاه إسماعيل**، تهران، 1342هـ.ش [1963م].

7 ـ **تشكيل شاهنشاهى صفوى**، نظام الدين مجير شيبانى، انتشارات دانشگاه تهران، 1345هـ.ش [1966م].

8 ـ **دين ومذهب در عصر صفوى**، مريم مير احمدى، ججحاب اول، تهران 1336هـ.ش [1984م].

9 ـ **زندگانى شاه عباس اول**، نصر الله فلسفى، جلد اول، ججحاب اول، تهران 1334هـ.ش [1955م].

10 ـ **زندگانى شاه عباس اول**، نصر الله فلسفى، جلد دوم، ججحاب ججحهارم، تهران 1337هـ.ش [1968م].

11 ـ **زندگانى شاه عباس اول**، نصر الله فلسفى، جلد سوم، ججحاب دوم، تهران 1345هـ.ش [1966م].

12 ـ **زندگانى شاه عباس اول**، نصر الله فلسفى، جلد ججحهارم، ججحاب دوم، تهران 1346هـ.ش [1967م].

13 ـ **زندگانى شاه عباس اول**، نصر الله فلسفى، جلد بنججحهم، ججحاب اول، تهران 1352هـ.ش [1973م].

14 ـ **عالم آراى عباسى**، اسكندر بك تركمان مُنشى، تهران، 1334هـ.ش [1955م].

15 ـ **فرهنگ فارسي**، محمد معين، لغت نامه، ججحاب ششم، 1363هـ.ش [1984م].

16 ـ **قصه نويسى**، رضا براهنى، ججحاب دوم، تهران، انتشارات اشرفى، 1348هـ.ش [1969م].

17 ـ **محمد على جمالزاده**، يكى بود يكى نبود، ط.4، تهران.

18 ـ **محمد على جمالزاده**، قلتش ديوان، تهران.

19 ـ **محمد على جمالزاده**، صحراى محشر، تهران.

20 ـ **محمد على جمالزاده**، راه آب نامه، تهران.

22 ـ **محمد على جمالزاده**، هزار پيشه، تهران، 1326هـ.ش [1947م].

22 ـ **هاشمي رفسنجانى**، دوران مبارزه، تهران، 1376هـ.س [1997م].

المراجع الأجنبيّة

1) Boreck, Milos, "Persian Prose since 1946", in Middle East Journal, VII, No. 2, (Spring 1953).

2) Hassan Gamshâd, Modern Persian Prose Literature, Cambridge, at the University Press, 1966.

الهجرة من منظور نفس اجتماعي (استراتيجيات التثاقف وأثرها على المجال الحيوي للمهاجر اللبناني):

د. سحر حجازي



- دكتوراه في علم النفس الاجتماعي (Approche interculturelle) جامعة ليون 2 فرنسا.
- محاضرة في الجامعة اللبنانية في معهد العلوم الاجتماعية (الفرع الخامس) وعضو في الفرقة البحثية في المعهد العالي للدكتوراه.

مقدمة

إن مسألة الهجرة واندماج المهاجرين في المجتمعات التي قدموا إليها، باتت من المواضيع المعاصرة التي تمسّ معظم المجتمعات في زمن العولمة.

تشير الإحصاءات إلى أن ظاهرة الهجرة باتت اليوم، أكثر من أي وقت مضى، تطال معظم أفراد المجتمع اللبناني. فلقد "وصل عدد اللبنانيين الذين هاجروا البلد، ولم يعودوا إليه، خلال الفترة 1992 ـ 2018، إلى 601,227 شخصًا، أي بمتوسط مقداره 22 ألفًا و207 أشخاصًا، حيث أشارت الأرقام إلى مغادرة 34 ألفًا و502 شخص، من دون أي عودة إلى الوطن، فيما كانت حصيلة عام 2017، مغادرة 18 ألفًا و863 لبنانيًا، فيما عام 2016، كان العدد 11 ألفا و650 شخصًا. هذا الارتفاع الكبير في عدد اللبنانيين المهاجرين إلى الخارج، يعود إلى الأوضاع الاقتصادية والمالية والاجتماعية الصعبة التي تمر على لبنان، وبحسب الخبراء فإن هذه الأرقام، خطيرة جدًا لأن أكثرية المغادرين، هم من الفئات الشبابية "(السباعي، م. خ.، 2019). يتضح من هذه الاحصاءات أن ظاهرة الهجرة في لبنان في ازدياد مستمر، وأنها باتت تشكل خطرًا على البنية السكانية للبلد، فقد أصبحت تشكل نزيفًا يُخسر لبنان طاقاته الشبابية، ومؤشرًا إلى أزمة النظام السياسي الحالي (الآتات، 2019).

في الواقع، زاد الاهتمام، **عالميًا**، بموضوع الهجرة، فنجد من درس **ظاهرة الهجرة** وتداعياتها الديمغرافية والاقتصادية والأمنية على **القارة الأوروبية** (مرعب، ر.، 2016) بوصفها أكثر القارات استقبالاً للمهاجرين، ولا سيما بعد اندلاع الحرب السورية. وهناك من توقف عند الأثر الاقتصادي للهجرة وعلاقتها بالعولمة وما إذا كانت لصالح الجميع (ليبتون، د.، 2017 .Lipton, D). وهناك من درسها

سيكولوجيًا، فحاول شرح الهجرة وعلاقتها باستراتيجيات الهوية بالاستناد إلى دراسات ميدانية أجريت في المجتمعين الكندي والفرنسي أعدها كل من (بري وكاميري ـ Berry Camilleri) (أمين 2016، - Amin)، وهناك من درس المهاجرين المغاربة في فرنسا وعمليات العنف التي ينفذونها في ضواحي المدن (سباتييه، 1999 وسباتييه وبري، 2008 ـ Sabatier, C., Sabatier Berry,J.w.). ومنهم من درس الهجرة بوصفها مصدرًا لتمزق الهوية بفعل ثنائية الانتماء، حيث يعيش المهاجر الصراع بين الانتماء للثقافة الأم أو الانتماء لثقافة المجتمع الجديد (كاميري، 1990، مشري، 1984، محمد، Mecheri,H.F., 1984, Mohamed, A.,- Camilleri, C.,).

ومن الباحثين من درس الهجرة من الناحية الاقتصادية مؤكدًا أنه بالرغم من "تجادل العلماء حول التكاليف والمنافع الاقتصادية للهجرة... لكن آراءهم توافقت على أنها تحقق منافع عدة للمجتمعات المستقبِلة لهم... حيث العمالة المهاجرة تُعتبر عنصرًا مكملاً للعمالة المحليّة وليست بديلاً لها كما أن المهاجرين يُنفقون جانبًا كبيرًا مما يكسبون وبالتالي فهم يرفعون الطلب... ومن ثم يساهمون في زيادة الأجور وخلق وظائف جديدة" (ليبتون، د.، 2017 .Lipton, D).

أما **عربيًا**، فهناك من درس الهجرة من الناحية القانونية، تبعًا للقانون الدولي، أي هل هي شرعية أم غير شرعية؟ (سديري، 2018)، ومنهم من درسها من الناحية النفسية، ولا سيما علاقتها بمسألتيّ الحرب واللجوء، عارضًا لأبرز المشكلات النفسية التي يعانيها الأفراد قبل الهجرة، وفي أثنائها، وبعد الانتقال إلى المجتمع الجديد (عساف، 2016).

وهناك من اهتم بظاهرة **الهجرة لبنانيًا**، فدرسها من الناحيتين التاريخية والاجتماعية، حيث عرض لتاريخها، ومراحلها وأسبابها ومعاناة المهاجرين الأوائل (جمعة، 2004)، ومنهم من درسها ديمغرافيًا (الآتات، 2019).

ومن الباحثين اللبنانيين من درس الهجرة اقتصاديًا فعدّها "تُشكل تحديًا كبيرًا لاقتصاده، فتحرمه إنتاج طاقات بشرية كلفت تنشئتها الكثير للأسر وللدولة والمجتمع، ثم [تذهب] إلى الخارج لتفيد اقتصاديات دول المقصد" (لبكي، ب.، 2011). فالباحث يرى أنه بالرغم من إيجابيات الهجرة على صعيد تحويلات المهاجرين وتوظيفها في لبنان ونقل المعرفة من الخارج إلى الوطن الأم، الا أن سلبياتها تفوق بكثير جوانبها الإيجابية.

مما تقدم، نلاحظ أن **الدراسات اللبنانية** التي عالجت موضوع الهجرة بحثت في مراحلها، وأسبابها المتنوعة، وانعكاساتها على غير صعيد، وأن أحدًا لم يعالجها من منظور **نفس ـ اجتماعي وبين ـ ثقافي** (psychosocial et interculturel). وهذا يعني الحاجة العلمية إلى أن نقدم تفسيرًا لظاهرة الهجرة من منظار دينامي يقتضي اعتماد المقاربة النفس ـ اجتماعية التي تكشف عن كيفية تأثير المجتمع في سلوك الفرد الذي يلعب دورًا بارزًا في تغيير بنية المجال النفس ـ اجتماعي، أو الحيز الحي الذي يحتضنه، من هنا ضرورة معالجتها علميًا من هذا المنطلق.

أولاً: الإطار المنهجي للبحث

1 ـ أسباب اختيار الموضوع

لقد اخترت هذا الموضوع نظرًا إلى أن الهجرة باتت تشكل ظاهرة اجتماعية بارزة عالميًا، ومحليًا، فالهجرة في لبنان باتت في تزايد مستمر يُنذر بتفريغ المجتمع اللبناني من شبابه وطاقاته. من هنا، ضرورة دراسة هذه الظاهرة علميًا.

كما اخترت هذا الموضوع نظرًا إلى أهمية استراتيجيات التثاقف في التأثير المباشر في سلوك الأفراد وحياتهم في مجتمع المهجر، حيث يتوقف عليها تكيف الفرد واندماجه، أو عدمه، في المجتمع الذي هاجر إليه.

أما **الأسباب الذاتية** التي دفعتني إلى اختيار الموضوع، فهي رغبتي في تطبيق نظرية (Berry) على أبناء مجتمعنا اللبناني بوصفه مجتمعًا عربيًا، والتعرف إلى انعكاسات استراتيجيات التثاقف التي يختارونها على مجالهم النفس ـ اجتماعي.

2 ـ أهداف البحث

* يهدف هذا البحث إلى:
* التعرف إلى واقع تثاقف المهاجرين اللبنانيين في المهجر: العادات التي أخذوها من المجتمع المستقبِل لهم، والعادات التي قدموها له.
* معرفة استراتيجيات التثاقف التي يتبناها المهاجرون اللبنانيون.
* معرفة مدى تأثُر عملية التثاقف بمتغيرات: النوع، الحالة الزوجية والدين.
* معرفة كيفية تأثير عملية التثاقف في بنية ودينامية المجال النفس الاجتماعي للمهاجرين اللبنانيين.

3 ـ أهمية البحث

تبدو الأهمية العلمية لهذه الدراسة من خلال الجديد الذي تقدمه في مجال البحث العلمي، والذي يتجلى من خلال:

1 ـ تطبيق نظرية العالم بري (Berry) في استراتيجيات التثاقف على أبناء المجتمع اللبناني.

2 ـ الاستناد إلى نظرية علمية معاصرة، وهي نظرية بري (Berry) وربطها بنظرية المجال للعالم كورت لوين (Lewin). وهذا ما يُعدُّ جديدًا علميًا أضافته هذه الدراسة.

3 ـ دمج المقاربة النفس اجتماعية (Psychosocial) مع المقاربة البين ـ ثقافية (Interculturel)، وهي المرة الأولى التي يجري فيها استخدام هاتين المقاربتين المعاصرتين في دراسة ظاهرة الهجرة اللبنانية. وهذا ما يُعدُّ، أيضًا، جديدًا علميًا أضافته هذه الدراسة.

4 ـ طرح مفاهيم علمية جديدة تصف المجال النفس اجتماعي للمهاجر اللبناني، بالاستناد إلى الاستراتيجية التي يتبناها (مجال الهجرة الشكلية/ مجال التماهي بالآخر...)، وهذا ما لم تقدمه نظرية بري (Berry) عن التثاقف التي اكتفت بتوصيف استراتيجيات التثاقف، ولم تصف انعكاساتها على المجال النفس اجتماعي للفرد.

5 ـ عندما طرح بري (Berry) سؤاله عن المشاركة الاجتماعية، طرح سؤاله بشكل عام، أما في هذه الدراسة، فقد حاولت الدخول في تفاصيل هذه المشاركة الاجتماعية، وهذا ما يعتبر جديدًا علميًا أضافته هذه الدراسة إلى دراسة بري (Berry).

4 ـ الإشكالية

لقد أصبحت ظاهرة الهجرة وما ينجم عنها من تثاقف، من أبرز تحديات المجتمعات وبديهياتها في زمن العولمة، حيث سهولة انتقال الأفراد بفعل تطور وسائل النقل، وسهولة التفاعل مع أشخاص من ثقافات مختلفة، بسبب تطور وسائل التواصل الاجتماعي، فباتت ظاهرة البينية الثقافية (L'interculturel) واقعًا جديدًا يفرض نفسه على معظم الجماعات، وبات التثاقف (Acculturation) أمرًا حتميًا يعيشه الأفراد.

في الآونة الأخيرة، "كثرت الدراسات التي تتناول موضوع الهجرة في العالم عبر القيام بدراسات حول هذا الموضوع" (ماكوليف وآخرون، 2018) .**عالميًا،** ركزت الدراسات على تداعيات الهجرة، علاقتها بالعولمة، والعنف، ومسألة الهوية. في حين ركزت الدراسات **العربية** على الناحيتين النفسية والقانونية، أما **لبنانيًا،** فركزت الدراسات على تاريخ الهجرة وأسبابها المتنوعة من اقتصادية وسياسية وأمنية.

ومع أن الدراسات اللبنانية التي عالجت موضوع الهجرة كانت متنوعة، حيث تناولتها من الناحية التاريخية، والاجتماعية، والديمغرافية والاقتصادية، غير أنه لم تُعالَج من منظور **نفس ـ اجتماعي وبين ـ ثقافي** يوضح مفاعيلها، سواء من حيث استراتيجيات التثاقف التي يلجأ إليها اللبنانيون في تفاعلهم الاجتماعي مع الآخرين المختلفين عنهم ثقافيًا، أو من حيث انعكاسات ذلك على مجالهم النفس ـ اجتماعي. وهذا ما سنتطرق إليه في هذه الدراسة.

أما بالنسبة إلى **النظريات العلمية** المعتمدة في هذا البحث، فسوف يُعتمد على **نظرية المجال** للعالم **كورت لوين** ((Kurt Lewin التي تعِدّ سلوك الفرد محصلة لتفاعله مع بيئته عن طريق الادراك. وبذلك، يصبح سلوكه محكومًا بما يدرك وكيف يدرك الموضوع. فالإدراك هو منطلق السلوك الفردي الذي يحصل ضمن الحيز الحي أو المجال النفس ـ اجتماعي الذي يتحرك ضمنه الفرد. ويُقصد بالمجال النفس ـ اجتماعي ذلك "الحيز المادي والمكاني الذي يتحرك فيه الفرد في حياته اليومية وأيامه المتراكمة على مر الزمن. والمجال له مدى يكبر أو يصغر (كمكان)، يقصر أو يطول (كزمان) وذلك تبعًا لحجم شاغل المجال وامتداد علاقاته وارتباطاته وللخصوصيات المادية أو المعنوية التي تستلزمها حركته في المجال المذكور" (مكي، 1991، ص: 13).

كما سيُعتمد على **نظرية بري** ((Berry, J.W., 2005 التي عرض من خلالها لأبرز الاتجاهات والاستراتيجيات في عملية التثاقف، معتبرًا أن الدول والقوميات تختلف في مقاربتها لموضوع الهجرة، وأن المقاربة التي تختارها الدولة تُحدد طبيعة تفاعل المهاجر مع المجتمع الذي قدم إليه وسرعة اندماجه فيه.

والسؤالان الأساسيان اللذان يشكلان الركيزة الرئيسية لنظريته هما: هل يجب على الفرد أن يحافظ على هويته الأصلية وثقافته الأم؟ وهل يجب على الفرد أن

يقيم علاقات مع المجتمع الذي يستقبله ويشارك في الحياة الاجتماعية؟ من خلال الإجابة عن هذه الأسئلة، لاحظ بري وجود أربع استراتيجيات هي: استراتيجية الاستيعاب (Assimilation) واستراتيجية الانفصال (Séparation) واستراتيجية الاندماج (Intégration) واستراتيجية التهميش (Marginalisation).

أما أبرز العوامل المحددة لاستراتيجيات التثاقف، فهي خصائص المجتمع الأصلي الذي قَدِمَ منه المهاجر، والإيديولوجيا التي تتبناها الدولة المستقبلة له. حيث تبني أيديولوجيا تشجع التنوع والتعدد الثقافي وتطبيقها عبر مؤسساتها الرسمية من شأنه أن يخلق جوًا عامًا في البلد يشجع المهاجرين على تبني استراتيجية الاندماج بدل استراتيجية الفصل أو التهميش. ومن العوامل المحددة، أيضًا، نذكر: الخصائص الشخصية للفرد وأسباب الهجرة والمستوى التعليمي والطموحات الشخصية والمكانة الاجتماعية للمهاجر، كلها عوامل تؤثر في اختيار الفرد لاستراتيجية التثاقف التي يتبناها ويتفاعل بموجبها مع الآخرين. من هنا، سنقوم بدراسة تأثير متغير النوع، الحالة الزوجية، ومتغير الديانة على اختيار المهاجر اللبناني لاستراتيجية التثاقف التي يتبناها. لذلك، طرحت **التساؤل الرئيس** التالي:

ما هي استراتيجيات التثاقف التي يتبناها المهاجرون اللبنانيون في المهجر؟ وما هي العوامل المؤثرة في اختيارها؟ وما هي أبرز انعكاساتها على المجال النفس اجتماعي للمهاجر؟

وانطلاقًا من هذا التساؤل الرئيس طرحت **الأسئلة الفرعية** الآتية:

1 ـ هل يختار المهاجرون الرجال استراتيجيات تثاقف تختلف عن تلك التي يخترنها النساء؟

2 ـ هل يتأثر اختيار الاستراتيجية بالحالة الزواجية للمهاجر؟

3 ـ هل يتأثر اختيار الاستراتيجية بالديانة التي ينتمي إليها المهاجر؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وضعت **الفرضيات** الآتية:

5 ـ الفرضيات

الفرضية الرئيسة

إن المهاجرين اللبنانيين قد يتبنون استراتيجية الاندماج والتكامل في تثاقفهم في

المهجر، حيث يشاركون في الحياة الاجتماعية للمجتمع المقيمين فيه، لكنهم، يبقون دومًا، محتفظين بثقافتهم الأصلية.

الفرضيات الثانوية

1 ـ إن المهاجرين الرجال يختارون استراتيجيات تثاقف تختلف عن النساء.

2 ـ إن استراتيجيات التثاقف التي يختارها العازبون تختلف عن تلك التي يختارها المتزوجون.

3 ـ ان استراتيجيات التثاقف التي يختارها المسلمون تختلف عن تلك التي يختارها المسيحيون.

6 ـ تحديد المفاهيم

* الهجرة: تعرف الأمم المتحدة المهاجر على أنه "شخص أقام في دولة أجنبية لأكثر من سنة، بغض النظر عن الأسباب سواء كانت طوعية أو كُرهية، وبغض النظر عن الوسيلة المستخدمة للهجرة، سواء كانت نظامية أو غير نظامية" (الأمم المتحدة، 2019). وهي تعني أيضًا "انتقال الأفراد وتغيير مكان إقامتهم من منطقة جغرافية لأخرى، ومن مجال حيوي لمجالٍ آخر" (سيمون، 1995، ص: 341).

* **التثاقف:** بحسب ردفيلد، لينتون، وآخرون، "يشير إلى مجموعة من الظواهر الناجمة عن الاحتكاك المباشر والمستمر بين جماعات ينتمون لثقافات مختلفة، وهي تؤدي إلى حصول تحولات تؤثر في النماذج الثقافية الأصلية لأحد المجموعتين أو لكلاهما معًا" (لينتون، 1936، ص: 104 -Linton, R.-Redfield,R.). وكذلك على المستوى الفردي، فالتثاقف من شأنه أن يُغير في اتجاهات الفرد أو يُعدل فيها وفي قناعاته الفكرية، وسلم قيمه وسلوكه، غير أن هذا التثاقف قد لا يحصل عند جميع الأفراد، فهناك من يرفضه متجنبًا قدر المستطاع التفاعل مع العناصر الثقافية الموجودة في المجتمع الذي قدم إليه.

* **استراتيجيات التثاقف:** يُقصد بها الخِطَط التي يضعها الفرد، أثناء تفاعله الاجتماعي مع الآخرين المختلفين عنه ثقافيًا، والتي تُشكل مرجعية سلوكية له، يتحدد بموجبها مدى انفتاحه على الآخرين، والعناصر الثقافية التي يأخذها من الثقافات الأخرى.

* **استراتيجية الاستيعاب** (Assimilation): حيث **لا** يرغب الأفراد بالالتزام

بهويتهم الثقافية الأصلية، ويبحثون عن **إقامة تفاعل** اجتماعي متين مع أبناء الثقافات الأخرى. لذلك، يسهل استيعابهم من الجماعات المسيطرة في المجتمع.

* **استراتيجية الانفصال** (Séparation): نجدها عند الأقليات والجماعات الإثنية، حيث يحاول الفرد **التمسك بهويته الأصلية** وثقافة مجتمعه الأم، **متحاشيًا قدر المستطاع** إقامة علاقة مع المجتمع الجديد والتفاعل مع أبنائه.

* **استراتيجية الاندماج والتكامل** (Intégration): حيث **يشارك** الفرد في النشاطات الاجتماعية للمجتمع الجديد، لكنه، وفي آنٍ معًا، يبقى دومًا **محتفظًا بثقافته** الأصلية.

* **استراتيجية التهميش** (Marginalisation): تتعلق بأولئك الذين **يرفضون إراديًا النظامين الثقافيين**: النظام الثقافي للمجتمع الأصلي، والنظام الثقافي للمجتمع المستقبِل لهم الذي يفصلهم ثقافيًا عن السكان الأصليين.

7 ـ المنهج والتقنيات

لتحقيق أهداف البحث، استعنت بمنهج **دراسة الحالة** لأن دراسة الحالة تمثل "حقل التماثل بين الأجزاء في انتمائها إلى الكل، أي حضور الكل في الأجزاء... [حيث] تكون الحالات كلها متماثلة في انتمائها إلى مسألة بحث واحدة، فنفتش فيها عنها، ولا يهم إذا كان حضورها يختلف بين حالة وأخرى" (إبراهيم، 2008، ص: 221 ـ 222). وفي هذه الدراسة نجد أن جميع الحالات متماثلة من حيث أنها تتعلق بمسألة واحدة؛ وهي الهجرة وما ينجم عنها من تثاقف.

أما بالنسبة إلى **التقنيات**، فقد استخدمت تقنية **التوثيق**، وتقنية **المقابلة نصف الموجهة**، كون المقاربة المعتمدة هي مقاربة نوعية "تسمح بدراسة الظاهرة بأبعادها السوسيولوجية والنفسية والإيكولوجية" (جوديليه، 2003، ص: 145 ـ Jodelet)، وكون المنهج المعتمد هو منهج دراسة الحالة. كما اعتمدتها لأنها "تقوم على التفاعل اللفظي المرن بين الباحث والمبحوث" (سافوا ـ زاجك، 2003، ص: Savoie -Zajc296 -)، الأمر الذي يسمح بالفهم العميق للظاهرة المدروسة، فهذا النوع من المقابلة يسمح للمبحوث بالتعبير عن رأيه بحرية لكنه، في آن معًا، لا يسمح له بالاستطراد.

8 ـ العينة

لقد اخترت عينة **كرة الثلج** وهي عينة غير احتمالية، ومبدؤها أن يضيف الباحث

"أشخاصًا جُدُد إلى المجموعة ـ النواة للعينة التي يعرفها، وغالبًا ما يكونون، من أولئك الذين على علاقة معهم (علاقة صداقة، أو علاقة عمل)" (بو، 2003، ص: 226 ـ Beaud). بمعنى آخر، تتكون هذه العينة عندما يطلب الباحث من أحد أفراد عينته طرح أسماء لأفراد آخرين، يمكن أن يشكلوا جزءًا من العينة.

غالبًا ما يُستخدم هذا النوع من العينة حين يكون أفراد المجتمع الأصلي غير معروفين للباحث، وهذا ينطبق على هذه الدراسة، حيث لا تتوافر لدي قائمة محددة بأفراد العينة الأم، لكنني أعرف عدد من الأفراد الذين تتفق خصائصهم مع الخصائص التي وضعتها للعينة، كما استخدمت هذا النوع من العينة لأنها عملية وسهلة التطبيق.

وتتكون عينة البحث من المهاجرين اللبنانيين في عدة دول غربية (السويد وكندا والولايات المتحدة وفرنسا وإنكلترا وليتوانيا وساحل العاج والفِلبين)، من نساء ورجال (15 امرأة/ 13 رجل)، ومن مراحل عمرية مختلفة (فوق 18 ـ 75 سنة) ومن الديانتين الإسلامية والمسيحية (13 مسيحيون/ 15 مسلمون) ومتزوجون وعازبون ومطلقون (20 متزوجون/ 7 عازبون/ 1 مطلقة) ومن مستويات علمية مختلفة (2 ثانوي/ 12 جامعي/ 14 دراسات عليا)و مستقرون بالمجتمع منذ أكثر من خمس سنوات.

9 ـ مجالات البحث

المجال البشري: مهاجرون لبنانيون في مختلف دول العالم الغربي مقيمون في المجتمع منذ أكثر من خمس سنوات.

المجال الزمني: من أول آب 2019، ولغاية أول تشرين أول 2019.

المجال المكاني: لبنان.

ثانيًا: عرض الحالات وتحليلها

الحالة رقم (1)

1 ـ التعريف بالحالة

الاسم: ز. ق

النوع: ذكر.

العمر: 74 سنة.

الديانة: مسلم.

الحالة الزوجية: متزوج.

جنسية الزوجة: كندية.

ديانة الزوجة: مسيحية.

التحصيل العلمي: دراسات عليا.

المهنة: طبيب نسائي.

مكان الإقامة: الولايات المتحدة الأميركية (كاليفورنيا).

2 ـ سير المقابلة نصف الموجهة

لقد أجريت المقابلة مع ز. ق يوم السبت بتاريخ 3/8/ 2019 عند الساعة الرابعة بعد الظهر في منزله بمدينة صيدا، بعد أن عرفته عن نفسي وأهداف البحث وأخبرته أن المعلومات سرية ولن تستخدم إلا لأهداف البحث العملي، بدأت بطرح الأسئلة المتعلقة بالبيانات الشخصية، ثم سألته: هل يجب على الفرد في المهجر أن يحافظ على هويته الأصلية وثقافته الأم؟ فأجاب نعم، ثم سألته: في المهجر، هل تقيم علاقة مع مواطنين غير لبنانيين؟ فأجاب أنه يقيم علاقة صداقة، وعلاقة زواج. ولما سألته عن النشاطات الاجتماعية التي يشارك بها، قال إنه يذهب إلى السينما ولحفل غنائي ويحضر مسرحيات ويزور أصدقاء غير لبنانيين، وتطوع في جمعية خيرية ويزور المتاحف.

بعد ذلك سألته، ما هي العادات/ السلوكيات التي أخذتها من المجتمع الغربي الذي تعيش فيه؟ فأجاب أنه أخذ عادات تتعلق باللباس وبالمأكل والمشرب وباحترام الوقت وبتنظيم العمل. أما العادات/ السلوكيات التي أخذها الغرب عنه، فهي التعامل مع الإنسان بوصفه إنسانا، بغض النظر عن وضعه المادي أو العلمي. وتابعت طرح الأسئلة فسألته: بشكل عام، هل تعتبر أن المجتمع المقيم فيه يشجع المهاجر على الاندماج؟ فأجاب وبحماس نعم. ثم سألته لماذا؟ فأجاب أن المجتمع الأميركي هو عبارة عن (Multing- pot) وثقافته هجين فيها من ثقافات كل الدول. ولما سألته: كيف، في رأيه، المجتمع الأميركي يشجع المهاجر على الاندماج؟ أجاب: من خلال الحرية التامة التي تمنحه إياها، فهو حر في أن يتعلم أو يعمل ما يريد، وكذلك من خلال الديمقراطية الموجودة في المجتمع.

3 ـ تحليل الحالة

يتبين أن هذا المبحوث تبنى **استراتيجية الدمج**، والدليل أنه متزوج من امرأة أجنبية ومن غير دينه، فهو مسلم تزوج بامرأة كندية مسيحية لم يؤسلمها. لكن على

الرغم من زواجه وعيشه بمجتمع له ثقافة تختلف كليًا عن ثقافة مجتمعه الأصلي لمدة طويلة نسبيًا (49 سنة)، إلا أنه يعتقد أن على الفرد المحافظة على ثقافته الأصلية. أما من ناحية تفاعله الاجتماعي مع غير اللبنانيين، فأجاب أنه يُقيم علاقة صداقة، وعلاقة زواج، ولعل زواجه الذي وصفه بالناجح جدًا، هو دليل على قبوله الاختلاف الثقافي للآخر (زوجته) واندماجه بالمجتمع.

بالنسبة إلى مشاركته في النشاطات الاجتماعية في المجتمع الذي استقبله، فقد تبين أنه يشارك بها كلها، من سينما، وحفل غنائي، وحضور مسرحية، وزيارة غير لبنانيين، وتطوع بجمعية، وزيارة المتاحف، وهذا يؤكد اندماجه بمجتمع المهجر. أما في ما يتعلق بالعادات التي أخذها من الغرب، فقد أخذ عادات تتعلق باللباس، وبالمأكل والمشرب، وباحترام الوقت وتنظيم العمل، وهذا يدل على تقبله للاختلاف الثقافي في اللباس والمأكل، وأن البيئة التي نشأ فيها هذا المبحوث ربما كانت لا تحترم الوقت ولم تعوده على تنظيم العمل. فالإنسان، عمومًا، يأخذ ما ينقصه.

أما العادات/ السلوكيات التي أخذها الغرب عنه، فهي التعامل مع الإنسان بوصفه إنسانا، بغض النظر عن وضعه المادي أو العلمي، وهذا يدل على أن دينامية مجاله النفس اجتماعي هي دينامية تعاونية يسودها الأخذ والعطاء وأن عملية التثاقف قد حصلت.

بالنسبة إلى انطباعه عن المجتمع الأميركي، فقد رأى هذا المبحوث أن المجتمع الأميركي يشجع على الاندماج لأنه مجتمع وصفه بال (Multing- pot) وثقافته فيها خليط من ثقافات معظم دول العالم، كما أنه يشجع المهاجر على الاندماج من خلال الحرية التامة التي تُمنح له في كل المجالات ولا سيما العلم والعمل، أما كيف يكون ذلك، فمن خلال الديمقراطية الموجودة في المجتمع والتي لا يُستثنى منها المهاجر، وهذا يدل على أن الحرية الشخصية والديمقراطية يُعدّان من الشروط الضرورية لاندماج المهاجر وأنه، كمهاجر، لم يشعر بحرمانه منهما.

الحالة رقم (2)

1 ـ التعريف بالحالة

الاسم: ف. ح

النوع: ذكر.

العمر: 44 سنة.

الديانة: مسلم.

الحالة الزوجية: متزوج.

جنسية الزوجة: مغربية.

ديانة الزوجة: مسلمة.

التحصيل العلمي: ثانوي.

المهنة: موظف شركة تأمين.

مكان الإقامة: كندا (كالغري).

2 ـ سير المقابلة نصف الموجهة

في يوم السبت بتاريخ 2019/8/10، عند الساعة العاشرة والنصف صباحًا، جرت المقابلة مع هذا المبحوث في منزل صديق مشترك. فبعد التعارف وتأكيد سرية المعلومات، بدأت بطرح أسئلة البيانات الشخصية، ثم انتقلت للأسئلة المتعلقة بالتثاقف، فسألته ما إذا كان على الفرد في المهجر أن يحافظ على هويته الأصلية وثقافته الأم؟ فأجاب نعم، بعدها طلبت منه أن يُحدد نوع العلاقة التي يُقيمها مع مواطنين غير لبنانيين؟ فأجاب علاقة صداقة حميمة، وعلاقة زواج وعلاقة عمل. ثم سألته عن النشاطات الاجتماعية التي يشارك بها، فقال إنه يشارك بجميع النشاطات المذكورة، فيذهب للسينما، ولحفل غنائي، ويحضر مسرحيات، ويزور أصدقاء غير لبنانيين، كما أشار إلى أنه تطوع في جمعية خيرية ويزور المتاحف من حين لآخر. بعدها، طرحت السؤال المتعلق بالعادات/ السلوكيات التي أخذها من المجتمع الغربي الذي يعيش فيه، فأجابني أنه أخذ عادات تتعلق بالمأكل والمشرب، وباحترام الوقت، وبتنظيم العمل وبالتعامل مع الناس بواقعية. أما العادات / السلوكيات التي يعتقد بأن الغرب أخذوها منه، فهي عادة الكرم، والصبر وعدم التذمر من أبسط الأمور.

ويرى هذا المبحوث أن المجتمع الكندي يُشجع المهاجر على الاندماج، لأن اقتصاد كندا لا ينمو من دون اندماج المهاجرين، فمن صالحهم دمج المهاجر، أضف إلى ذلك، أن المهاجرين غالبًا ما يتزوجون ويكونون عائلات كبيرة العدد نسبيًا، وكندا بأمَسِّ الحاجة لزيادة تعداد سكانها. فلهذا كله تشجع المهاجر على الاندماج.

أما كيف يشجع المجتمع الكندي المهاجر على الاندماج، فيقول: من خلال قرارات الحكومة التي تقدم التسهيلات للمهاجرين مهما كانوا من الأقليات، ومن خلال منح المهاجر كل الفرص الممكنة ليطور نفسه في عمله، ويطور إمكاناته، ايمانًا منهم أن ذلك سيطور المجتمع.

3 ـ تحليل الحالة (2)

توضح إجابات هذا المبحوث، أنه يؤيد فكرة محافظة المهاجر على هويته الأصلية وثقافته الأم، وأنه يقيم مع مواطنين غير لبنانيين علاقة عمل، وعلاقة صداقة حميمة وعلاقة زواج، ما يدل أنه تبنى **استراتيجية الاندماج.**

كما تبين أن هذا المبحوث يرى أنه من الضروري أن يشارك في النشاطات الاجتماعية التي تحصل في مجتمع المهجر، فهو يشارك في جميع النشاطات المذكورة، من سينما، ومسرح، وتطوع بجمعيات، وزيارة متاحف الخ، ما يشير إلى أن لديه شعورًا بالانتماء إلى المنطقة المقيم فيها، وأنه مندمج مع أهلها.

أما العادات أو السلوكيات التي أخذها من المجتمع الغربي، فهي تتعلق بالمأكل والمشرب، وباحترام الوقت، وبتنظيم العمل وبالتعامل مع الناس، ما يدل أنه منفتح ثقافيًا وينقصه احترام الوقت، وتنظيم العمل، كما يدل ذلك على أنه كان شخصًا عاطفيًا في التعامل مع الناس. لكنه يعتقد بأن العادات أو السلوكيات التي أخذها الغربيون عنه، عادة الكرم، والصبر وعدم التذمر من أبسط الأمور، ما يدل على أن عملية التثاقف قد حصلت بين هذا المبحوث والمجتمع المقيم فيه.

أما بالنسبة إلى رأي هذا المبحوث عن المجتمع الكندي، وما إذا كان يشجع المهاجر على الاندماج، فهو يعتبره يشجع كثيرًا المهاجرين على الاندماج لأسباب اقتصادية وديمغرافية، ما يدل أن هذا المبحوث واقعي ويدرك الأسباب الحقيقية التي تدفع الدولة الكندية لمساعدة المهاجرين على الاندماج. من هنا، نتبين أن العامل الاقتصادي والعامل الديمغرافي يشكلان مصدرًا لدينامية المجال النفس ـ اجتماعي الكندي.

وعن كيفية تشجيع المجتمع الكندي للمهاجر على الاندماج، يرى هذا المبحوث أن ذلك يكون من خلال مؤسسات الدولة الرسمية وقرارات الحكومة التي تقدم التسهيلات للمهاجرين حتى ولو كانوا أقلية، ما يدل أن دينامية المجال النفس ـ اجتماعي الكندي هي دينامية عادلة، نسبيًا، وتعاونية تتجلى من خلال

إعطاء المهاجر كل الفرص الممكنة ليطور نفسه علميًا ومهنيًا مثله مثل المواطنين الأصليين.

الحالة رقم (3)

1 ـ التعريف بالحالة

الاسم: ك. هـ

النوع: أنثى.

العمر: 41 سنة.

الديانة: مسلمة (محجبة).

الحالة الزواجية: متزوجة.

جنسية الزوج: فلسطيني.

ديانة الزوج: مسلم.

التحصيل العلمي: جامعي.

المهنة: موظفة في سوبرماركت.

مكان الإقامة: كندا (تورنتو).

2 ـ سير المقابلة نصف الموجهة

أجريت هذه المقابلة يوم الأحد في 4/8/ 2019 عند الساعة الحادية عشرة صباحًا، في منزل والدتها في بيروت. بداية، أكدت لها سرية المعلومات وشرحت أهداف البحث، ثم طرحت الأسئلة المتعلقة بالبيانات الشخصية. بعد ذلك، سألتها: هل يجب على الفرد في المهجر أن يحافظ على هويته الأصلية وثقافته الأم؟ فأجابت نعم، ثم سألتها: في المهجر، هل تقيمين علاقة مع مواطنين غير لبنانيين؟ فأجابت أنها تقيم علاقة عمل فقط. وتابعت طرح الأسئلة، فسألتها ما إذا كانت تشارك في النشاطات الاجتماعية؟ فكان جوابها: آخذ أولادي إلى السينما من حينٍ لآخر، فسألتها ألا تذهبين إلى السينما مع أصدقائك، فقالت لا، لأن علاقاتي مع الآخرين هي علاقات عمل فقط ولا وقت لدي لإقامة صداقات.

بعد ذلك، سألتها عن العادات/ السلوكيات التي أخذتها من الغرب، فقالت أخذت احترام الوقت واحترام الإنسان. أما العادات/ السلوكيات التي أخذها الغرب عنك، فقالت الصدق، والتسامح، ومساعدة المسنين، فجميع زملائي بالعمل ينوهون بذلك. ثم سألتها هل ترى أن المجتمع الكندي يشجع المهاجر على

الاندماج؟ فأجابت نعم، ولما قلت لها: لماذا؟ قالت لأنه يساعد المهاجر على تعلم اللغة مجانًا، كما أن الناس في تفاعلهم الاجتماعي معي، إذا صادف وواجهت صعوبة في فهم كلمة ما، يشرحون لي ـ وبكل طولة بال ـ معنى الكلمة. أما كيف يشجع المجتمع المهاجر على الاندماج؟ فأجابت: من خلال دعم المهاجر معنويًا وتشجيعه ـ بكل كلمات التشجيع والمودة ـ على الإقدام مهما كان مترددًا.

3 ـ تحليل الحالة

تبين لي أن هذه المبحوثة تؤيد فكرة ضرورة الحفاظ على الهوية الأصلية والثقافة الأم. وهي تقيم علاقة عمل فقط مع أشخاص غير لبنانيين، ولكنها لا تقيم أي علاقة صداقة معهم، ما يدل أن تفاعلها الاجتماعي مع مجتمع المهجر محدد ضمن إطار معين رسمته المبحوثة، وهو إطار العمل فقط، ولا مجال للتفاعل معهم خارج نطاق العمل.

بالنسبة إلى مشاركتها في النشاطات الاجتماعية، فهي لا تشارك بها، باستثناء الذهاب مع أولادها إلى السينما من حينٍ لآخر، وقد برّرَت عدم مشاركتها بأنه لا وقت لديها لإقامة صداقات، وهذا يدل على أنها اختارت **استراتيجية الفصل** في تفاعلها مع المجتمع الكندي، فضيق الوقت لا يمنع الناس من إقامة صداقات ولا يلغي المشاركة في كل نشاطات المجتمع الذي يعيش فيه الفرد.

وعن العادات/ السلوكيات التي أخذتها من الغرب، تبين أنها أخذت عادة احترام الوقت واحترام الإنسان، ما يدل أنها كانت تفتقر لهاتين العادتين، فالإنسان، إجمالاً، يأخذ ما ينقصه. أما العادات/ السلوكيات التي تعتقد بأن الغرب أخذها عنها، فهي الصدق، التسامح، ومساعدة المسنين، ما يدل أنها إنسانة صادقة، متسامحة وعطوفة، لكنها تعاني من عدم صدق بعض زملائها في العمل وعدم تسامحهم معها عندما تخطيء. وهي ترى أن المجتمع الكندي يشجع المهاجر على الاندماج من خلال دعم الدولة لبرامج تعليم اللغة للمهاجرين حيث يتعلمونها مجانًا، ما يدل أن سياسة الدولة تجاه التعليم كونت عند المبحوثة انطباعًا ايجابيًا عن موضوع تشجيع المجتمع الكندي للمهاجر على الاندماج.

أما كيفية تشجع المجتمع للمهاجر على الاندماج، فهي ترى أن ذلك يتم من خلال الدعم المعنوي للمهاجر وتشجيعه على الإقدام، ما يدل أن هذه المبحوثة،

وبالرغم من أنها تعيش في مجتمع ديناميته، برأيها، تُسهل اندماج المهاجر، ومع أن زملاءها بالعمل متعاونون معها إجمالاً، ويدعمونها معنويًا، إلا أنها اتخذت قرارًا بعدم إقامة صداقة معهم، وأرادت الإبقاء على مسافة نفس ـ اجتماعية بينها وبينهم، كما قررت عدم المشاركة بمعظم النشاطات الاجتماعية المتاحة لها في مجتمع المهجر، ولولا أن أولادها ليسوا براشدين ولا يستطيعون الذهاب بمفردهم للسينما لربما كانت ألغت الذهاب للسينما. من كل ذلك، نتبين أن هذه المبحوثة اختارت **استراتيجية الفصل** في تفاعلها مع المجتمع الكندي. وأن عملية التثاقف لم تحصل بعمق لأن تفاعلها الثقافي مع المجتمع المقيمة فيه كان محدودًا ومحصورًا بإطار معين.

الحالة رقم (4)

1 ـ عرض الحالة

الاسم: م. خ

النوع: أنثى.

العمر: 42

الديانة: مسيحية.

الحالة الزواجية: متزوجة.

جنسية الزوج: فرنسي.

ديانة الزوج: مسيحي.

التحصيل العلمي: دراسات عليا.

المهنة: إدارية في شركة.

مكان الإقامة: إنكلترا.

2. سير المقابلة نصف الموجهة

أجريت هذه المقابلة يوم الأربعاء في 14/8/ 2019 عند الساعة الحادية عشرة صباحًا. بعد كسر الجليد وتأكيد سرية المعلومات، بدأت بطرح أسئلة البيانات الشخصية، ثم سألتها ما إذا كان يجب على الفرد في المهجر الحفاظ على هويته الأصلية وثقافته الأم، فأجابت بالتأكيد نعم، ثم طرحت السؤال المتعلق بنوع العلاقة التي تقيمها مع غير اللبنانيين، فأجابت: علاقة عمل وعلاقة صداقة. بعد ذلك، سألتها عن مشاركتها في النشاطات الاجتماعية، فقالت إنها تشارك بها

جميعًا، من حضور سينما، وحفل غنائي، وزيارة الأصدقاء غير اللبنانيين، وحضور مسرح، وتطوع في جمعية، وزيارة متاحف.

أما أبرز العادات / السلوكيات التي أخذتها من المجتمع الغربي الذي تقيم فيه، فهي عادات تتعلق بالمأكل والمشرب، واحترام الوقت، وبتنظيم العمل، وطريقة التفكير. وعن العادات أو السلوكيات التي تعتقد أن الغربيين أخذوها عنها، قالت إنهم أخذوا عنها الأناقة باللباس، والتبرج، وحب الاهتمام بالمظهر الخارجي. ثم سألتها، بشكل عام، هل تَرَين أن المجتمع المقيمة فيه، يشجع المهاجر على الاندماج، فأجابت: لا، والسبب أن الناس متعصبون ولا يتقبلون الاختلاف الثقافي، ولما سألتها كيف لا يشجع المجتمع المهاجر على الاندماج، قالت، إن الناس في إنكلترا لا يتقبلون عادات غير عاداتهم.

3 ـ تحليل الحالة

نتبين من إجابات هذه المبحوثة أنها تؤيد فكرة حفاظ المهاجر على هويته الأصلية والثقافة الأم، وهي تقيم علاقة عمل وعلاقة صداقة مع أبناء المجتمع المقيمة فيه. وهي متفاعلة مع النشاطات الاجتماعية التي تحصل في مجتمع المهجر، فتذهب للسينما، وتحضر حفل غنائي، وتزور أصدقاء غير لبنانيين، وتطوعت في جمعية، وتحضر مسرح وتزور المتاحف. وهذا يدل أنها مندمجة بالمجال النفس ـ اجتماعي المحيط بها، وأن لديها شعورًا بالانتماء إلى الحي المقيمة فيه.

وكمعظم أفراد العينة قالت إنها أخذت من المجتمع المقيمة فيه عادات تتعلق بالمأكل والمشرب، واحترام الوقت، وتنظيم العمل، وأضافت طريقة التفكير، حيث لم تعد تفكر كما كانت في لبنان، بل أصبحت أكثر واقعية وبراغماتية، ما يدل أن عملية التثاقف قد حصلت بين المبحوثة ومجتمع المهجر على المستويين المادي والفكري.

أما بالنسبة إلى العادات التي أخذوها عنها فهي الأناقة باللباس، والتبرج، وحب الاهتمام بالمظهر الخارجي، وهذا يدل على أنها إنسانة تهتم بمظهرها وتحرص على أن تعطي صورة إيجابية عن مظهر المرأة اللبنانية. كما يدل ذلك على أن ثمة تثاقفًا قد حصل مع المجتمع المقيمة فيه رغم أنها تعدّه مجتمعًا متعصبًا لا يشجع

المهاجر على الاندماج بسبب رفض الناس للاختلاف الثقافي ولتغيير عاداتهم. من كل ذلك، يتضح أن هذه المبحوثة قد اختارت **استراتيجية الاندماج**.

ثالثًا: أبرز النتائج

إن الحالات التي استعرضناها عبارة عن عينة صغيرة (4 حالات) تعكس استراتيجيات التثاقف التي يتبناها اللبنانيون في المجتمعات التي هاجروا إليها. بالطبع، هذه عينة مختارة، اختيرت من عينة أكبر بلغت **ثماني وعشرون حالة** درستها ولكن لا مجال لعرضها كلها الآن.

توضح البيانات التي وردت ضمن الحالات التي دُرِسَت:

1 ـ معظم أفراد العينة (27 حالة من أصل 28)[1] قد اختاروا **استراتيجية الاندماج**، وحالة واحدة اختارت استراتيجية الفصل، ما يثبت صحة الفرضية الرئيسة التي ترى إن المهاجرين اللبنانيين قد يتبنون استراتيجية الاندماج والتكامل في تثاقفهم في المهجر حيث يشاركون في الحياة الاجتماعية للمجتمع المقيمين فيه، لكنهم، يبقون دومًا، محتفظين بثقافتهم الأصلية.

2 ـ أكثرية أفراد العينة (24 حالة)[2] اكدت أن مجتمع المهجر يشجع على الاندماج مقابل (4)[3] حالات فقط لا يعدونه كذلك، إضافة إلى أن (27 حالة من أصل 28)[4] كانوا يشاركون في النشاطات الاجتماعية المختلفة المتاحة لهم في مجتمع المهجر، وجميعهم (أي 28 حالة) أكدوا ضرورة الاحتفاظ بالهوية الأصلية والثقافة الأم، كل ذلك يثبت أيضًا صحة الفرضية الرئيسة.

3 ـ أبرز النشاطات الاجتماعية التي يشاركون فيها، هي:

* **أولاً**: زيارة غير لبنانيين (27 حالة من أصل 28)[5].
* **ثانيًا**: الذهاب للسينما (27 حالة من أصل 28)[6].

---

(1) جميعهم باستثناء الحالة رقم (11).

(2) الحالات رقم: 1/2/3/5/7/8/9/10/11/12/13/14/15/16/17/18/19/20/21/22/23/24/26/27.

(3) الحالات رقم: 4/ 6/ 25/ 28.

(4) جميعهم باستثناء الحالة رقم (11).

(5) الحالات رقم: 1/ 2/ 3/4/5/6/7/8/9/10/12/13/14/15/16/17/18/19/20/21/22/23/24/25/26/27/28.

(6) الحالات رقم: 1/2/3/4/5/6/8/9/10/11/12/13/14/15/16/17/18/19/20/21/ 22/23/24/25/26/27/28.

* **ثالثًا:** حضور حفل غنائي (22 حالة)[1].
* **رابعًا:** حضور مسرحية (21 حالة)[2].
* **خامسًا:** زيارة متحف (21 حالة من أصل 28)[3].
* **سادسًا:** التطوع في جمعية (20 حالة من أصل 28)[4].

4 ـ إن المجال النفس ـ اجتماعي للمهاجرين لم يعد لبنانيًا صرف إنه: لبناني ـ أميركي، كندي، نيجيري، فرنسي، سويدي... أي أنه **مجال هجين** (Métisse)، حيث تتفاعل فيه العناصر الثقافية الأصلية مع تلك التي لمجتمع المهجر. فقد بلغت نسبة الذين أقاموا علاقة صداقة حميمة (6 حالات)[5]، والزواج (7 حالات من أصل 28)[6] حيث يشكل مجموعهم ما يقارب نصف أفراد العينة (13 حالة).

5 ـ إن معظم أفراد العينة **يقيمون علاقة صداقة** مع اشخاص **غير لبنانيين** (27 حالة من أصل 28)[7]، يليها علاقة عمل (25 حالة)[8]، ثم علاقة زواج (7 حالات)[9]، ثم علاقة صداقة حميمة (6 حالات)[10]، ما يثبت أن عملية التثاقف قد حصلت عند أفراد العينة.

6 ـ أبرز **العادات / السلوكيات** التي **أخذها** أفراد العينة **من الغرب:**

أولاً: عادات تتعلق بتنظيم العمل (22 حالة)[11].

ثانيًا: احترام الوقت (21 حالة)[12].

ثالثًا: المأكل والمشرب (21 حالة)[13].

---

(1) الحالات رقم: 2/ 3/ 6/7/8/9/10/12/13/14/15/16/17/18/19/20/22/23/25/26/27/28.
(2) الحالات رقم: 2/3/6/ 7/8/10/12/13/14/15/16/ 17/18/19/20/23/ 24/ 25/26/ 27/28.
(3) الحالات رقم: 2/ 3/6/8/10/12/ 13/ 14/ 15/ 16/ 17/18/19/20/22/ 23/ 24/ 25/ 26/ 27/28.
(4) الحالات رقم: 2/ 3/ 4/ 5/ 6/ 8/ 10/ 12/ 14/ 15/ 16/17/18/19/20/21/ 22/ 23/26/28.
(5) الحالات رقم: 8/ 10 / 13/ 18/ 20/ 27.
(6) الحالات رقم: 13/ 14/ 18/ 19/ /24/26/28.
(7) جميع الحالات باستثناء الحالة رقم: 11.
(8) جميع الحالات باستثناء الحالتان رقم: 6/ 13.
(9) الحالات رقم: 13/ 14/ 18/ 19/ /24/26/28.
(10) الحالات رقم: 8/ 10 / 13/ 18/ 20/ 27.
(11) الحالات رقم: 2/ 3 / 5/ 6/ 7/ 8/ 9/ 10/12/ 13/ 14/ 15/ 16/ 17/ 18/ 19/ 20/ 22/ 23/ 24/ 25/ 28.
(12) الحالات رقم: 2/ 3/5/ 6/ 7/ 8/ 9/ 10/11/ 13/ 14/ 15/ 17/ 18/ 19/ 20/ 21/ 22/ 23/ 24/ 28.
(13) الحالات رقم: 6/ 7/ 8/ 9/ 10/12/ 13/ 14/ 15/ 16/ 18/ 19/ 20/21/ 22/ 23/ 24/ 25/ 26/ 27/28.

رابعًا: التعامل مع الناس (18 حالة)[1].

خامسًا: اللباس (11 حالة)[2].

سادسًا: غير ذلك: التواضع في التعامل مع الناس (الحالة رقم1)، والالتزام بالقوانين (الحالة رقم 4)، واحترام الإنسان (الحالتان رقم: 11/ 27)، واحترام خصوصية وحرية الغير (الحالة رقم 13)، وطريقة تفكير مختلفة عن تلك التي في لبنان (الحالة رقم 28).

7 ـ أبرز **العادات / السلوكيات** التي **أخذها الغرب عن المبحوثين:**

أولاً: عادات تتعلق بالمأكولات، ولا سيما الأكل الصحي وكثرة تناول الخضار (11 حالة)[3].

ثانيًا: لم يأخذوا عني شيئًا، وذلك لأنهم يعتبرون أن العرب ليسوا مؤثرين بالمجتمع الذي قدموا إليه، أو لأن أبناء المجتمع المستقبل لهم، لديه نظرة دونية عن العرب والمسلمين، أو لأنهم يرون أن أبناء المجتمع الذي قدموا إليه يكرهون تغيير عاداتهم، أو لأنهم يعتبرون الأبناء الأصليين لمجتمع المهجر غير متقبلين للاختلاف الثقافي (5 حالات)[4].

ثالثًا: أخذوا عني عادة الحرص على الروابط العائلية والتماسك العائلي (4 حالات)[5].

رابعًا: اللباس: الاحتشام واحترام الدين (3 حالات)[6]، أخذوا النظافة والترتيب والاناقة (3 حالات)[7].

خامسًا: الكرم، والصبر، وعدم التذمر، والاحترام: عدم رفع القدمين على المكتب بوجود الناس (2 حالة)[8].

سادسًا: أخذوا عني حب الحياة والبسط وأسلوب استقبال الضيف (حالة رقم

(1) الحالات رقم: 1/ 2/ 3/ 4/ 5/ 6/ 7/ 8/ 9/ 10/ 12/15/16/18/19/20/23/ 27.
(2) الحالات رقم: 2/ 5/ 6/ 9/ 13/10/ 14/ 15/ 23/ 24/ 27.
(3) الحالات رقم: 3/ 7/ 8/ 10/9/ 15/ 21/ 22/ 23/ 26/ 27.
(4) الحالات رقم: 4/ 5/ 24/6/ 25./
(5) الحالات رقم: 2/ 17/ 27/20.
(6) الحالات رقم: 3/ 19 / 22.
(7) الحالات رقم: 15/ 16/ 28.
(8) الحالة رقم: 1/ 18.

3)، التعامل مع الناس باهتمام واستخدام الكلمات العاطفية بالكلام: حبيبي، عيوني، قلبي (حالة رقم: 15) وإعطاء نصائح للآخرين (الحالة رقم: 17)، والتعامل مع الإنسان بوصفه إنسانا بغض النظر عن وضعه المادي أو العلمي (الحالة رقم: 14)، تدخين النارجيلة (الحالة رقم: 22)، التعلق بالتقاليد (حالة رقم: 13).

8 ـ إن معظم أفراد العينة يعتبرون أن المجتمع الذين هاجروا إليه **يشجع على الاندماج**، حصلنا على (24 حالة)[1] نعم مقابل (4 حالة)[2] للذين أجابوا لا.

9 ـ هناك **أسباب متنوعة** لاعتبار المبحوثين أن مجتمع المهجر **يشجع على الاندماج**، وهي التالية:

أولاً: لأنه مجتمع منفتح، يتقبل الآخر المختلف ثقافيًا والناس يحبون التعرف على الثقافات الأخرى (11 حالة من أصل 28)[3].

ثانيًا: لأنهم يتعاونون مع القادمين حيث يؤمنون لهم (فرص عمل ومدارس للأولاد) ولا يُعقدون التجنيس (7 حالات)[4].

ثالثًا: لأن الدمج لصالح الاقتصاد وتطوير المجتمع (6 حالات)[5].

رابعًا: لأنه مجتمع يتعامل مع الناس من منطلق إنساني وليس بحسب دينه أو معتقداته (4 حالات)[6].

خامسًا: لأنه مجتمع لا يفرق بين الناس، وللجميع الحقوق والواجبات نفسها (2 حالة)[7] / لأن الدمج لصالح المجتمع ديمغرافيًا (2 حالة)[8].

سادساَ: لأنه مجتمع فيه حرية رأي وحرية استثمار (3 حالة)[9].

سابعًا: لأنهم يساعدون المهاجر على تعلم اللغة مجانًا (حالة واحدة)[10].

---

(1) الحالات رقم: 1/2/3/ 5/ 7/8/9/10/11/12/13/14/15/16/17/18/19/20/21/22/23/24/26/27.
(2) الحالات رقم: 4/ 6/ 25/28.
(3) الحالات رقم: 1/ 3/ 7/9/ 10/ 13/ 14/ 16/ 17/20/27.
(4) الحالات رقم: 2/ 3/ 11/ 15/ 21/22/23.
(5) الحالات رقم: 2/ 5/ 12/ 16/ 18/ 26.
(6) الحالات رقم: 8/ 9/20/27.
(7) الحالات رقم: 13/ 20/ 24.
(8) الحالات رقم: 18/19.
(9) الحالات رقم: 8/ 9/16.
(10) الحالة رقم: 11

10 ـ هناك **أسباب متنوعة** لِعَدِّ المبحوثين أن مجتمع المهجر **لا يشجع** على الاندماج، وهي كما يأتي:

أولاً: لأن هناك فرص عمل غير متاحة للمهاجر وحكر على المواطنين الأصليين (3 حالات)[1].

ثانيًا: لأن الناس لا يتقبلون الاختلاف الثقافي (2 حالة)[2].

ثالثًا: لأنهم يعزلون المهاجر في السكن (أحياء للعرب ـ مجمعات سكنية) (الحالة رقم: 6)/ لأنهم ينظرون نظرة دونية إلى العرب والمسلمين (الحالة رقم: 4) / كونهم يَعِدّون المهاجر سيأخذ خيرات بلادهم وفرص عمل من أبنائهم (الحالة رقم: 4).

11 ـ كيف **يشجع** مجتمع المهجر المهاجر على الاندماج بحسب رأي أفراد العينة:

أولاً: دعم الدولة لبرامج تعليم اللغة ودورات تطوير بالمهنة (8 حالات)[3].

ثانيًا: التعامل بإيجابية وتعاون مع المهاجر ودعمه معنويًا (6 حالات)[4].

ثالثًا: احترام ثقافة المهاجر وتقبل الناس للاختلاف الثقافي (5 حالات)[5].

رابعًا: مكتب الهجرة وقرارات الحكومة المشجعة على الاندماج (3 حالات)[6]/ وتنظيم احتفالات لكل الجاليات والسماح لهم بممارسة طقوسهم (3 حالات)[7]/ من خلال الحرية والديمقراطية بالمجتمع (3 حالات)[8] / وتأمين فرص عمل لمهاجر من دون تمييز ومنحه كل التسهيلات المطلوبة (3 حالات)[9].

خامسًا: تشجيع المهاجر على المشاركة بنشاطات المجتمع (2 حالة)[10].

---

(1) الحالات رقم: 4/ 6/ 25.
(2) الحالات رقم: 25/28.
(3) الحالات رقم: 1/2/ 3/ 5/12/ 18/ 19/23.
(4) الحالات رقم: 3/ 8/ 9/ 11/ 20/ 27.
(5) الحالات رقم: 7/ 10/ 13/ 16/ 20.
(6) الحالات رقم: 1/ 3/ 18.
(7) الحالات رقم: 10/ 14/ 15.
(8) الحالات رقم: 8/14/ 16.
(9) الحالات رقم: 13/ 22/24
(10) الحالتان قم: 15/ 27.

12 ـ كيف **لا يشجع** مجتمع المهجر على الاندماج بحسب رأي أفراد العينة:

أولاً: تعامل السكان الاصليين مع المهاجر بخوف وحذر (2 حالة)[1].

ثانيًا: الناس لا يتقبلون الاختلاف الثقافي (2 حالة)[2].

ثالثًا: هناك فرص عمل غير متاحة للمهاجر (2 حالة)[3].

رابعًا: يفصلون المهاجر عنهم في السكن (1 حالة)[4].

13 ـ إن جميع أفراد العينة من رجال ونساء **اختاروا استراتيجية الاندماج** (27 حالة)، باستثناء امرأة واحدة اختارت استراتيجية الفصل، ما يدل على أن عامل النوع لم يكن له تأثير في اختيار الاستراتيجية.

14 ـ إن جميع العازبين (7 حالات) وأكثرية المتزوجين (19 حالة من أصل 20) والمطلقين (1 حالة) اختاروا استراتيجية الاندماج، مقابل امرأة واحدة متزوجة اختارت استراتيجية الفصل، ما يشير إلى أن الحالة الزوجية لم يكن لها تأثير في اختيار الاستراتيجية.

15 ـ إن جميع المسيحيين اختاروا استراتيجية الاندماج، في حين أن المسلمين اختاروا استراتيجيتان: الأولى استراتيجية الدمج (14 حالة من أصل 15)، والثانية استراتيجية الفصل (حالة واحدة)، ما قد يسمح بالقول إن للدين تأثيرًا على اختيار الاستراتيجية لأن الذي اختار استراتيجية الفصل كانت امرأة مسلمة محجبة.

رابعًا: الاستنتاج العام

يتضح من خلال هذا البحث أن الهجرة ليست بظاهرة ديمغرافية أو اقتصادية فحسب، بل هي ظاهرة نفس ـ اجتماعية تكشف الدينامية التفاعلية والتثاقفيَّة للمهاجر مع مجتمع المهجر. واستنادًا إلى دراسة الثماني والعشرين حالة الذين يشكلون مجموع أفراد العينة، نستنتج ما يأتي: **1** ـ إن المهاجرين اللبنانيين اختاروا استراتيجيتان، ولكن خيارهم الرئيس كان لصالح **استراتيجية الاندماج**. وتبعًا لتبني هذه الاستراتيجية، يصبح المجال النفس ـ اجتماعي لأفراد العينة **مجال بين ـ**

---

(1) الحالتان رقم: 6/ 25.

(2) الحالتان رقم: 4/ 28.

(3) الحالتان رقم: 4/ 25.

(4) الحالة رقم: 25

ثقافي (social interculturel. champ psycho)، ثنائيًا ومتوازنًا ثقافيًا فيه عناصر ثقافية من المجتمع اللبناني، وأخرى من مجتمع المهجر. أما ديناميته فهي دينامية الانفتاح على الآخر المختلف ثقافيًا والتعاون مع أبناء ثقافته الأصلية.

2 ـ إن المهاجرين بمعظمهم يعيشون فعليًا **تجربة بينيّة ـ ثقافية** (Expérience d'interculturalité)، من خلال مشاركتهم بمعظم النشاطات الاجتماعية وأبرزها زيارة أصدقاء غير لبنانيين، أو زواج من امرأة تختلف عنهم ثقافيًا، ولا سيما من حيث الجنسية والديانة.

3 ـ إن معظم المهاجرين يشعرون بضرورة المشاركة في جميع النشاطات المذكورة (من زيارة غير لبنانيين، وسينما، وحفل غنائي، وتطوع بجمعيات...الخ)، ما يشير إلى أن لديهم شعورًا بالانتماء إلى المنطقة المقيمين فيها وهذا يُعَدُّ مؤشرًا على اندماجهم بمجتمع المهجر.

4 ـ إن نظرية بري (Berry) أوضحت ما إذا كان يجب على الفرد أن يقيم علاقات مع المجتمع الذي يستقبله ويشارك في الحياة الاجتماعية، من دون أن تُحدد ما هي طبيعة النشاطات التي سيُشارك بها المهاجر. تبين من خلال هذا البحث أن أبرز النشاطات الاجتماعية التي يشارك بها المهاجرون اللبنانيون في المجتمع المستقبِل لهم (بحسب أعلى نسبة إجابة) هي: زيارة غير لبنانيين، والذهاب للسينما، وحضور حفل غنائي، وحضور مسرحية، وزيارة متحف، وسفر واكتشاف المناطق، ورقص محلي، ما يدل على أن تبادل الزيارات وحضور السينما من أبرز العوامل المشجعة على التثاقف وتبني استراتيجية الاندماج.

5 ـ إن علاقة الصداقة مع أشخاص غير لبنانيين كانت الخيار الأول لأفراد العينة. وبما أن الصداقة قرار شخصي يأخذه الفرد بملء إرادته (وليست كعلاقة العمل مفروضة عليه)، فهذا يجعلنا نستنتج أنهم منفتحون على الآخر المختلف ثقافيًا، وأن خيارهم لاستراتيجية الاندماج كان نابعًا من رغبة شخصية لأنهم متقبلون للاختلاف الثقافي.

6 ـ بموجب عملية التثاقف الحاصلة بين أفراد العينة، والآخرين في مجتمع المهجر، نستنتج أنهم أخذوا من المجتمع المقيمين به، سلوكيات تتعلق بتنظيم العمل، وبعض العادات المتعلقة بالمأكل والمشرب، إضافة إلى احترام الوقت.

بالمقابل، يعتقدون أن الآخرين أخذوا عنهم بعض أنواع الطعام، والنظافة والترتيب، ثم الكرم والصبر.

7. يُعَدّ الطعام من العوامل المشجعة على التثاقف بين الشعوب، كما أنه من أبرز الوسائل المساعدة لحصول البينية الثقافية بينها.

8 ـ إن احترام الاختلاف الثقافي للمهاجر وتسهيل الحصول على عمل، إضافة إلى دخول الأولاد للمدارس، تُعَدُّ شرطًا ضروريًا ـ عند أفراد العينة ـ لتبني استراتيجية الاندماج ولحصول عملية التثاقف.

9 ـ من أبرز معيقات اندماج المهاجر اللبناني وتثاقفه مع الآخرين في مجتمع المهجر، ليس عامل النوع، أو الحالة الزواجية، أو الديانة، وإنما: عدم تقبل الاختلاف الثقافي من قِبَل المواطنين الأصليين، ثم سياسة الدولة القائمة على عزل المهاجر في السكن والنظرة الدونية للعرب والمسلمين كما التعامل بخوف وحذر مع المهاجر من قِبَل المواطنين الأصليين.

10 ـ صحيح أن الهجرة هي تجربة نفس ـ اجتماعية فردية، إلا أن لقرارات حكومة الدول المستقبِلة للمهاجر تأثير في موقفه من الهجرة. وقد أُثبِتَت من خلال هذا البحث، حيث تبين إن الدول التي اعتبر افراد العينة أنها تشجع اندماج المهاجر هي: بالدرجة الأولى كندا (الحالات رقم: 20/19/18/12/11/5/2/1/ 23)، وبالدرجة الثانية: الولايات المتحدة الأميركية (الحالة: 17/15/14/10/3/ 26)، وهي دول معروفة بأنها دول تشجع على استقبال المهاجرين. وهذا، أيضًا، يُثبت صحة ما جاء في نظرية بري (Berry) من أن اختيار الدولة لأيديولوجيا تشجع التنوع والتعدد الثقافي، المتجسد من خلال بذلها مجهودًا عبر مؤسساتها الرسمية لخلق جو عام بالمجتمع يشجع المهاجرين على الاندماج، يدفعهم لاختيار استراتيجية الاندماج بدل الانفصال أو التهميش.

11 ـ أما بالنسبة إلى التغيرات الحاصلة في **المجال النفس ـ اجتماعي** للذين يختارون **استراتيجية الفصل**، أي أولئك الذين يتمسكون بهويتهم الأصلية وثقافتهم الأم متحاشين ـ قدر المستطاع ـ إقامة علاقة مع مجتمع المهجر والتفاعل مع الآخرين المقيمين به، فهو يتميز بأنه **مجال مختل ومشوه** (champ psychosocial déformé) **فهو يعاني من خلل ثقافي أي** غير متوازن بنيويًا من الناحية الثقافية، حيث نلاحظ تضخمًا في المجال النفس ـ اجتماعي الأصلي وضمورًا في مجال المهجر.

أما ديناميته فهي، دينامية **إيجابية** تجاه المجتمع الأصلي و**سلبية** تجاه مجتمع المهجر: إنها دينامية متناقضة. لذلك، يمكن تسمية هذا النوع من المجال النفس ـ اجتماعي **بمجال الهجرة الشكلية.**

12 ـ وبالعودة إلى نظرية بري (Berry)، نلاحظ أن الذين اختاروا **استراتيجية التهميش**، هم أولئك الذين يرفضون النظام الثقافي لمجتمع المهجر، وكذلك النظام الثقافي للمجتمع الأصلي. إنهم يعيشون في مجال نفس ـ اجتماعي **مبتور ثقافيًا**، حيث لا مرجعية ثقافية واضحة لديهم، ما يحكم سلوكهم وخياراتهم الثقافية هو العشوائية. إنه مجال يتميز بضمور المجال النفس ـ اجتماعي الأصلي ومجال المهجر على حدٍ سواء. ديناميته سلبية تجاه الثقافتين: الثقافة الأم وثقافة المهجر. إنها دينامية شبه معدومة بسبب رفض التفاعل مع الآخر حتى ولو كان من ثقافة مشابهة لثقافته. إنه **مجال رفض الأنا والآخر.**

13 ـ أما الذين اختاروا **استراتيجية الاستيعاب**، حيث يتخلى الفرد عن تمسكه بالثقافة الأم، ويعتبر بالمقابل، أنه من الضروري التفاعل مع الآخرين في مجتمع المهجر والمشاركة في النشاطات الاجتماعية، فإن مجالهم النفس اجتماعي **غير متوازن ثقافيًا**، حيث يتسم بضمور المجال النفس ـ اجتماعي الأصلي لعدم التزامه بهويته الثقافية الأصلية **وتضخم في مجال المهجر**. أما ديناميته يسودها الانفتاح والتعاون والإيجابية مع أبناء الثقافات الأخرى ودينامية سلبية حيال مجتمعه الأم فتترجم بالانسحاب العلائقي من أي علاقة تربطه بأبناء مجتمعه الأصلي، إنه **مجال نفس ـ اجتماعي** يمكن تسميته **بمجال التماهي بالآخر.**

لائحة المراجع

مراجع باللغة العربية

ـ إبراهيم، ع. (2008). البحث العلمي في العلوم الاجتماعية. بيروت: المركز الثقافي العربي. ص: 221 ـ 222.

ـ تدمري، ر. (2016). البحث العلمي من الفكرة إلى المناقشة (دليل الباحث في علم النفس والتربية). صيدا: المكتبة العصرية.

ـ جمعة، هـ. (2004). الهجرة اللبنانية: واقع وآفاق. بيروت: الناشر. هيثم جمعة.

ـ ماكوليف، م. وآخرون (2018). البحوث والتحليلات المتعلقة بالهجرة: النمو والتواصل والمساهمات الأخيرة. تقرير الهجرة في العالم لعام 2018. هيئة الأمم المتحدة. ص: 124.

مراجع باللغة الأجنبية

- Amin, A., Vinet, E. (2014). "Auto-catégorisation ethnique, attitudes d’acculturation et représentations sociales chez les jeunes français issus de l’immigration". Revue Canadienne des sciences du comportement, Vol 46, no 2, pp: 226 - 237.
- Beaud, j.p. (2004). L’échantillon, in Recherche sociale: de la problématique à la collecte des données, sous la direction de Gauthier, B., Québec: Presses de l’Université du Québec. p: 226.
- Berry J. W. (2005). "Acculturation: Living successfully in two cultures". *International Journal of Intercultural Relations*. no 29. Pp: 697-712.
- Boudon, R. (1969).Les méthodes en sociologie. Paris: P.U.F.
- Camilleri, C. (1990). Identité et gestion de disparité culturelle: essai d’une typologie. Dans C. Camilleri, J. Kastersztein, E. M. Lipianski, H. Malewska-Peyre, I. Taboada-Léonetti A. Vasquez (éds), Stratégies identitaires (pp. 85—110). Paris. P.U.F.
- Courbot, C., (2000/1). De l’acculturation aux processus d’acculturation, de l’anthropologie à l’histoire Petite histoire d’un terme connoté, Revue Hypothèses. no3. pp: 121 -129.
- Jakson, D.D, (1957).The question of family homeostasis, psychiat, Quart, Suppl, no31, PP: 79-90.
- Jodelet, D. (2003). Aperçus sur les méthodologies qualitatives, in les méthodes des sciences humaines, sous la direction de Moscovicci, S., Buschini, F., Paris: P.U.F- Fondamental.
- Lewin, K. (1967). Psychologie dynamique: les relations humaines. Trad. Faucheux, M.,C. Paris: P.U.F.
- Mecherie, H. F. (1984). *Les jeunes immigrés maghrébins de la seconde génération et/ou la quête de l’identité*. CIEMI- Paris:L’Harmattan.
- Mohamed, A. (2001). Jeunes issus de l’immigration: l’expérience de l’errance, de la galère et de la délinquance. Dans M. Lahlou G. Vinsonneau (éds), La psychologie au regard des contacts de cultures, (pp. 153—173). Lyon, France: L’Interdisciplinaire.
- Redfield, R., Linton, R., Herskovits, M. J. (1936). Memorandum for the study of acculturation. American Anthropologist, no 38, pp: 149-152.
- Savoie - Zajc, L. (2004). L’entrevue semi-dirigée, in Recherche sociale: de la problématique à la collecte des données, sous la direction de Gauthier, B., Québec: Presses de l’Université du Québec. p: 296.
- Simon, G. (199). Géodynamique des migrations internationales dans le monde. Paris: P.U.F.

مواقع الكترونية

- الأتات، أ. (كانون الثاني، 2019). "نزيف الهجرة المتواصل: اللبنانيون المقيمون يتناقصون". جريدة الأخبار: https://www.al-akhbar.com/Issues/264586/، استرجع بتاريخ 2019/8/3.
- السباعي، م. خ. (شباط، 2019). "أكثر من 34 ألف لبناني هاجروا في 2018... والحبل ع الجرار". جريدة اللواء عدد 23/ شباط/ 2019: http://aliwaa.com.lb/ أخبار-لبنان/تحقيقات/أكثر-من-34-ألف-لبناني-هاجروا-في-2018-والحبل-عالجر-ار، استرجع في 2019/8/5.
- الأمم المتحدة، تعريف الهجرة، https://www.un.org/ar/sections/issues-depth/migration/index.html، استرجع في 2019/8/7.
- سديري، ن.(2018)، بحث في القانون الدولي حول الهجرة غير الشرعية ـ المغرب https://www.mohamah.net/law/، استرجع في 4/ 8/ 2019.

- عساف، س. (2017). "الآثار النفسية للهجرة واللجوء...درب شائك مليء بالصدمات!". مركز مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث: https://darfikr.com/article/، استرجع في 2019/8/4.
- لبكي، ب. (نيسان، 2011). "الهجرة كتحدٍّ للاقتصاد اللبناني: الجذور التاريخية، الوضع الراهن، آفاق المستقبل". مجلة الدفاع الوطني اللبناني. العدد 76: https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content
- لينتون، د. (يناير، 2017). معالجة الجدل الدائر حول الأثر الاقتصادي للهجرة، مؤتمر "هل تعمل الهجرة لصالح الجميع في أوروبا؟".
- بروكسل، بلجيكا:
https://www.imf.org/ar/News/Articles/2017/01/09/
FDMD_Europen_Migration_Keynote_Speech_Bruegel، استرجع في 4/8/ 2019
- مرعب، ر. (2016). "تداعيات الهجرة غير الشّرعيّة على أوروبا وأبعادها". مجلة الدفاع الوطني اللبناني.
- العدد 98. تشرين الأول https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content، استرجع في 2019/8/4.

La cohabitation des langues au Liban:

un atout pour la population libanaise résidenteet émigrée:

Dr. Hoda KTEICH



- معاون أكاديمي للعميد ومديرة كلية التربية في جامعة الجنان (2006 ـ 2014)
- لها العديد من الأبحاث والكتب في علم النفس الاجتماعي: ككتاب: علم نفس البينيّة الثقافية وثقافة الاختلاف، وكتاب موضوعات معاصرة في علم النفس الاجتماعي..
- طالبة دكتوراه، طرائق تدريس/ لغة فرنسية (سنة رابعة) في المعهد العالي للدكتوراه ـ الجامعة اللبنانية
- تحمل شهادة الماستر البحثي في اللغة الفرنسية وادابها ـ اختصاص طرائق التدريس FLE، مصدرها الجامعة الإسلامية / خلدة
- شاركت في دورات تدريبية على المناهج الجديدة بإشراف المركز التربوي للبحوث والإنماء
- شاركت في دورة اعداد أستاذ في ملاك التعليم الثانوي في الجامعة اللبنانية/ كلية التربية
- كذلك شاركت في دورة تدريبية في CLA / Besançon France

* خبرات عملية:

- تدريس اللغة والأدب الفرنسي في التعليم الثانوي الرسمي منذ أكثر من عشرين سنة متواصلة ولغاية تاريخه. الدخول إلى الملاك في سنة 2004
- تدريس اللغة الفرنسية (FLE) في كلية العلوم / الجامعة اللبنانية منذ ثلاث سنوات حتى تاريخه.

Je parle espagnol à Dieu, italien aux femmes, français aux hommes, anglais aux commerçants et allemand à mon cheval.

Charles Quint (empereur européen du XVIème sc.)

Les langues ne sont pas de simples outils de communication interchangeables: au contraire, elles constituent pour chaque locuteur une vision du monde unique et profondément intime. Choisir de parler une langue plutôt qu'une autre, c'est adopter un comportement qui lui est propre, comme l'a déjà bien décrit l'actrice française Isabelle Adjani:

Dès qu'on parle une langue étrangère, les expressions du visage, des mains, le langage du corps changent. On est déjà quelqu'un d'autre[1].

Sur le plan social, la question de "pluralité" se présente en termes de diversité. Ainsi, un territoire national admet un certain taux de diversité linguistique, où toutes les langues et variétés de langues sont prises en considération, qu'elles soient régionales, nationales ou internationales ; actuelles ou traditionnelles. Au Liban par exemple, on observe un taux de diversité d'une certaine importance.

Questionnement

Afin de prouver et d'illustrer la cohabitation des langues dans le paysage sociolinguistique libanais, nous posons les questions suivantes:

* Par quoi se caractérisent actuellement les pratiques sociolangagières des Libanais?
* Quelles nouvelles représentations se font les Libanais des langues en contact? Comment les utilisent-ils?
* Le français et l'anglais se concurrencent-ils en société comme ils le font dans le milieu éducatif?

(1) http://yolainebodin.com/fr/le-coin-langues/citations/des-quon-parle-une-langue-etrangere

* Comment le plurilinguisme joue-t-il en faveur des Libanais à l'intérieur et hors du pays?
* A-t-on le droit d'exposer les langues à un marché économique de coût et de profit?
* Comment peut-on sauvegarder la richesse du paysage linguistique libanais?

Le terrain libanais: un contexte linguistique de plus en plus riche

Dans le monde arabe, ainsi qu'au Liban, ce qui est remarquable si l'on considère le type de contact des langues, c'est bien la très grande diversité des situations sociolinguistiques, des statuts respectifs des langues en présence et des représentations sociales auxquelles ces langues donnent lieu selon les contextes diversifiés.

Plusieurs études et statistiques l'ont confirmé, dont récemment le rapport élaboré suite aux données collectées dans le cadre d'un projet international portant sur les Dynamiques des Usages, de la transmission et des représentations du FRançais dans l'espace Arabofrancophone au Maghreb et au Moyen-Orient (DUFRAM).

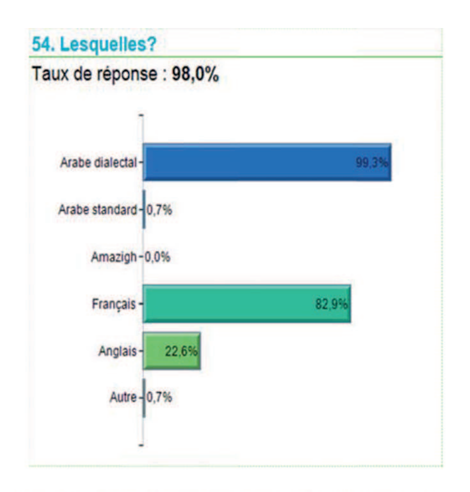
DUFRAM est une enquête de terrain menée en 2016 au Liban, au Maroc, en Algérie et en Tunisie. Elle s'intéresse en réalité aux différentes langues et variétés de langues en coprésence. Il s'agit d'un questionnaire qui s'étale sur 57 questions réparties en 6 sections portant sur la transmission des langues en présence, leurs différents usages en contextes sociolinguistique, socio-éducatif, socioculturel... ainsi que sur leurs représentations. L'objectif visé est d'observer, mesurer, comprendre, apprécier et analyser les effets réels et les modalités d'appropriation/transmission des langues (Arabe/français) ainsi que des représentations sociales qui entourent la place, le(les) rôle(s), les usages, les fonctions de ces deux langues sur le terrain.

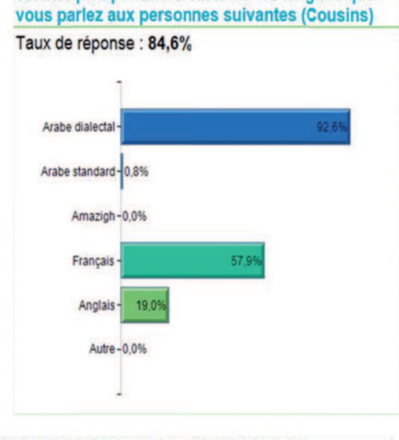
Au Liban, cette enquête a été menée en trois grandes villes: Beyrouth, Nabatiyeh et Tripoli. Les résultats ressortissant de ce rapport prouvent, par les chiffres, la cohabitation de plusieurs langues dans les pratiques sociolangagières des Libanais, où plusieurs facteurs (psychologiques, sociologiques, linguistiques, culturels et cognitifs) entrent en jeu. Il s'agit principalement des trois langues: l'arabe (avec toutes ses variantes), le français et l'anglais.

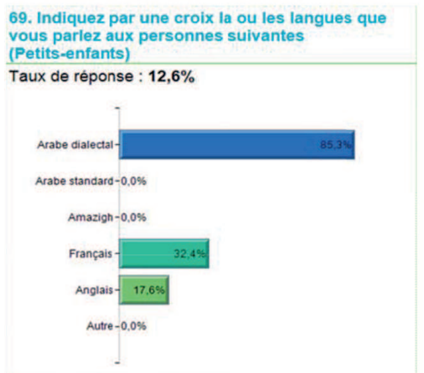
Cohabitation des langues au Liban selon DUFRAM

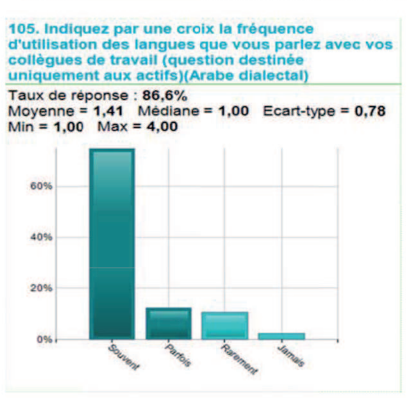
Afin d'illustrer cette cohabitation des langues dans différents domaines de la vie quotidienne des Libanais, nous vous présentons ci-dessous certains graphes figurant dans le rapport DUFRAM:

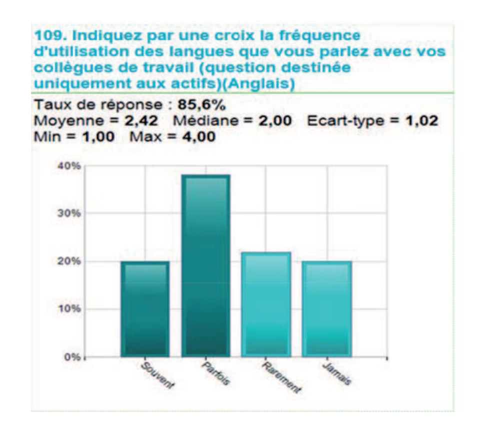
-Les langues souvent parlées à la maison:

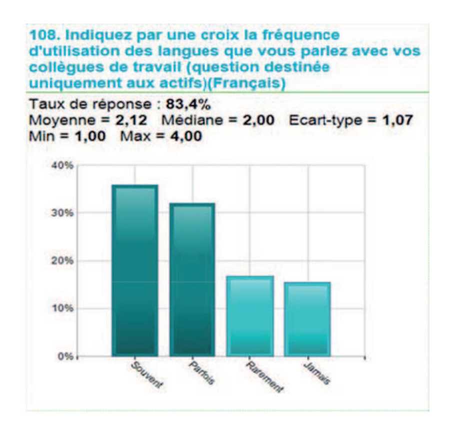












En famille, entre pairs, entre collègues, avec les étrangers, plusieurs langues entrent en jeu dans les conversations des Libanais au pays des cèdres, parfois séparément mais la plupart de fois sous forme de code switching (ou alternance codique).

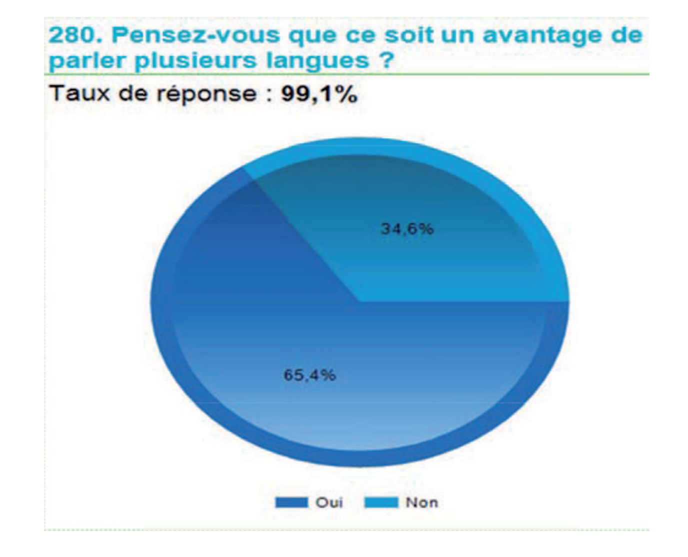
Il semble bien qu'en dehors de toute institution et de tout emploi formel, les lan-

gues s'entendent facilement. En employant spontanément les langues qu'on connaît dans la vie quotidienne, on évite tout aspect conflictuel entre elles. Les données du rapport DUFRAM laissent apercevoir un très beau mélange de langues dans les pratiques sociolangagières des Libanais:

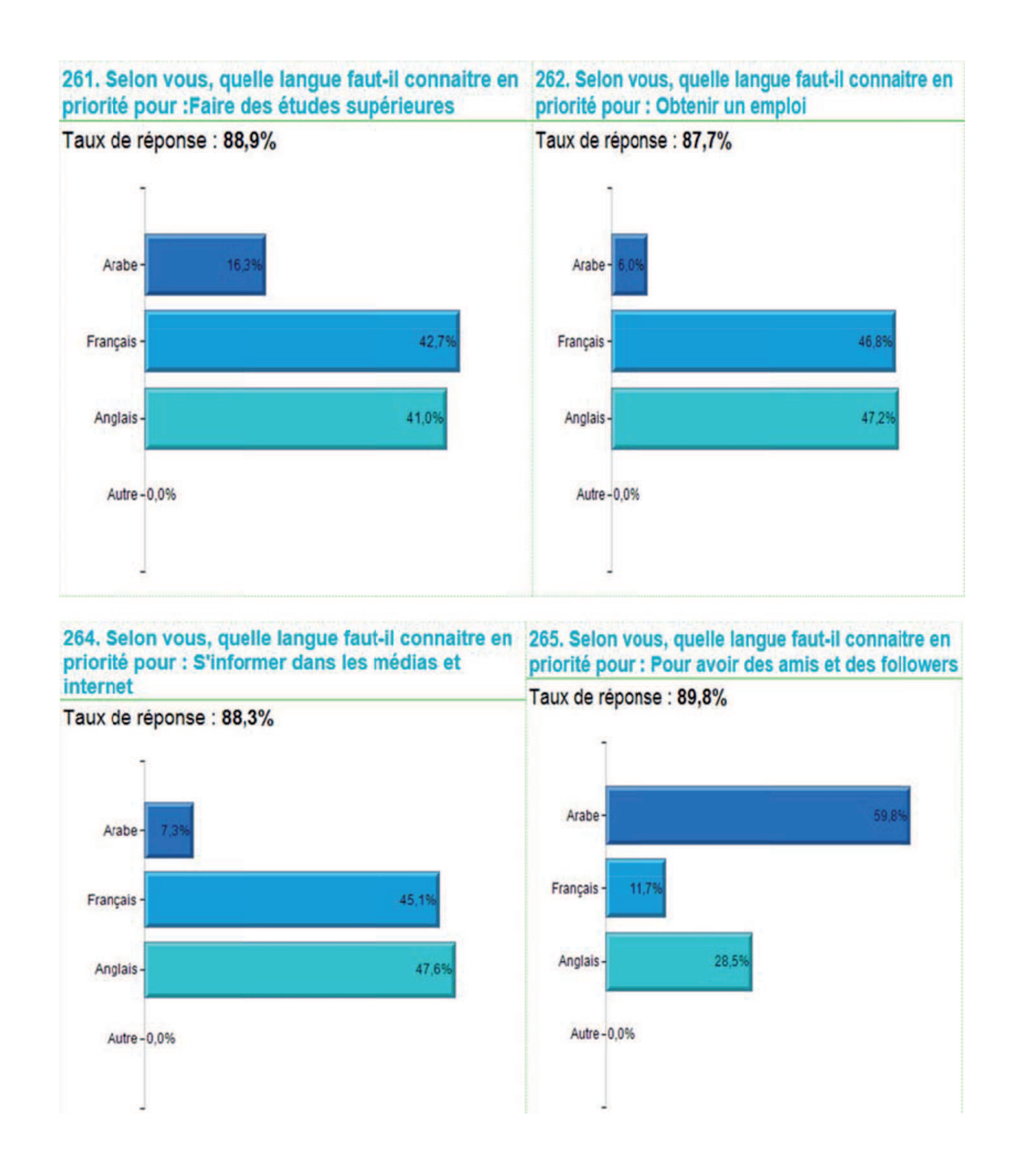
* Ils utilisent les applications WhatsApp (88,7%), Skype (64,5%), Viber (79%) en arabe dialectal surtout, font la plupart de recherches sur Internet en français (57%) et accèdent aux jeux en ligne notamment en anglais (67%).
* Ils préfèrent écouter la musique populaire en arabe (87,4%), le rock en français (71,8%) mais le rap en anglais (72,4%).
* Ils font une déclaration d'amour en arabe dialectal (49%), composent une chanson en arabe standard (44%) et lisent des poèmes en français (52%).

Les langues au Liban: nécessité et profits

Ce plurilinguisme qui s'imprègne de plus en plus dans la société libanaise est d'ailleurs valorisé par la plupart des enquêtés qui le considèrent comme un atout: à la question "Pensez-vous que ce soit un avantage de parler plusieurs langues?" La majorité des enquêtés (65,4%) ont répondu positivement:



Pourquoi cette diversité linguistique constitue-t-elle un atout? Puisque les langues en présence dans le contexte libanais assument diverses fonctions qui s'avèrent essentielles à l'ère actuelle: fonction sociale, économique, professionnelle, éducative, de communication, etc. comme le traduisent les résultats ci-dessous:

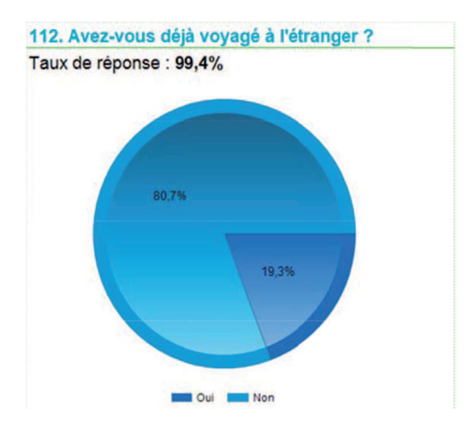


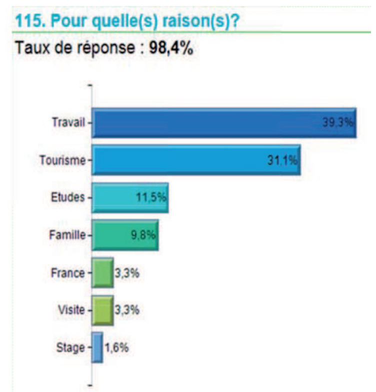
Ces résultats, entre autres, confirment la richesse du répertoire sociolinguistique libanais, ainsi que le rôle primordial que jouent les langues en coprésence dans la vie des libanais sur plusieurs niveaux, surtout les deux langues étrangères, le français et l'anglais. Parler et comprendre une ou plusieurs langues étrangères est un atout professionnel certain. Cela permet également de découvrir de nouveaux horizons vers l'inconnu. On fait connaissance avec de nouveaux peuples, avec leurs coutumes et traditions, ... Bref, cette richesse linguistique permet de garantir aux Libanais, notamment les jeunes, un meilleur avenir éducatif et professionnel et les prépare à une meilleure ouverture au monde.

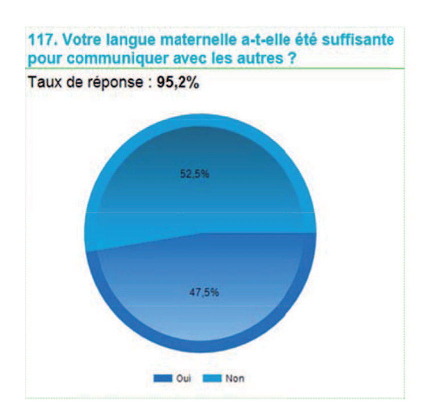
Plurilinguisme jouant en faveur des Libanais à l'étranger

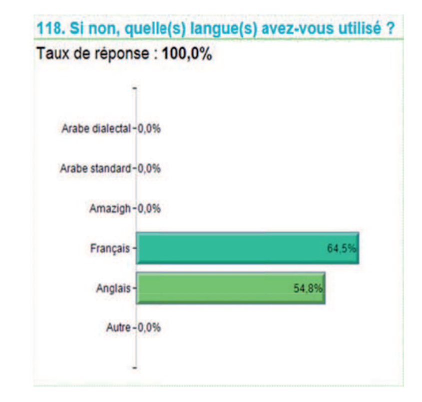
Le Liban a été soumis à de nombreuses cultures suite aux différentes occupations, ainsi que sa place prédominante dans le monde des affaires, sa population parle donc plusieurs langues. En fait, ce plurilinguisme a favorisé la communication avec les étrangers et a facilité les déplacements des Libanais vers différents coins du monde.

Le Libanais est un éternel voyageur ! DUFRAM prouve par des chiffres le goût des Libanais pour le voyage et met l'accent sur le rôle positif que joue le trilinguisme en leur faveur aux pays d'accueil. Quelle que soit la raison pour laquelle le Libanais voyage, sa langue maternelle (l'arabe) en plus de ses compétences langagières en français et/ou en anglais rendront son séjour à l'étranger plus facile. Ceci est illustré par les graphes suivants:





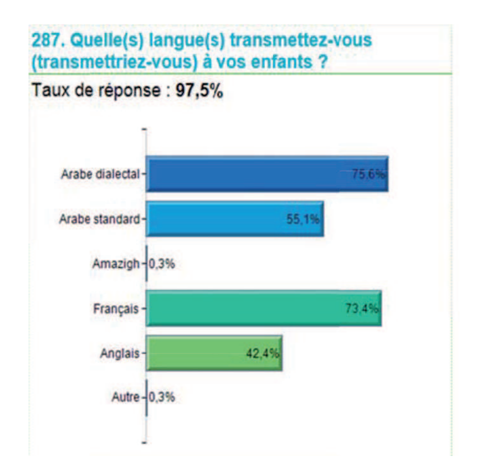


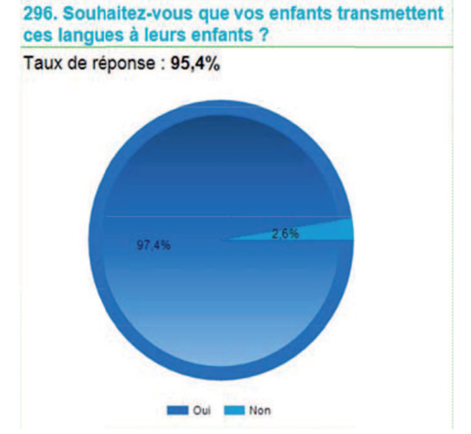


L'avenir de ces langues?

Or, les questions qui se posent à cet égard: Quel est l'avenir réservé aux langues au Liban? Ce trilinguisme libanais, arabe-français-anglais, subsistera-t-il? Il semble

que oui. Puisque la majorité des enquêtés désirent transmettre les langues qu'ils connaissent et qu'ils pratiquent à leurs enfants et petits-enfants:





Parmi les justifications données par les enquêtés, on note les suivantes: -pour l'arabe: *langue maternelle et de communication ; langue obligatoire à l'école.* -Pour le français: *langue intéressante ; importance de parler 2 langues.* -Pourl'anglais: *langue dominante ; importance économique.*

Le plurilinguisme: une valeur humaine ajoutée...

A une époque où les sociétés font la promotion du plurilinguisme, de la diversité linguistique et culturelle, les langues au Liban sont faites non seulement pour se développer dans une coexistence harmonieuse, mais aussi pour trouver en elles-mêmes une manière de complémentarité. En fait, c'est dans cette diversité que réside notre vraie richesse en tant que Libanais. Nous devons être conscients de l'importance du plurilinguisme dans le développement des sociétés dans l'avenir, parce que toute langue est porteuse d'une culture et d'une richesse de pensée.

Cependant, en être conscient ne suffit pas. Il est temps de passer à l'acte ! Les jeunes au Liban et dans le monde arabe se dirigent de plus en plus vers l'anglais, *langue "globale" du moment, résultat de la mondialisation* (Calvet, 2013). Ils partent du fait que l'utilisation d'une langue dominante est privilégiée pour des raisons d'efficacité, notamment les *composantes économiques et sociales* qui lient la valorisation des langues à l'accès au monde du travail et aux possibilités d'ascension sociale qu'elles offrent ou non (Dabène, 1997).

Or, ce phénomène est dangereux car il fait perdre non seulement la richesse de la diversité linguistique, mais aussi le pouvoir que détient le plurilinguisme. Les jeunes ont tellement besoin de ce pouvoir pour lutter contre les dangers auxquels ils sont actuellement exposés: la crise économique menace leur avenir ; la pollution menace leur santé ; le terrorisme menace leur vie!

C'est pourquoi, nous devons réagir rapidement pour redonner à ces jeunes le goût et la valeur des langues, ces langues qui peuvent les aider à faire face à ces dan-

gers. Je ne dirai pas que le plurilinguisme possède la clé magique de tous ces problèmes, mais il est certain qu'il garantit aux jeunes un avenir meilleur, qu'il les rend plus sensibles à tout ce qui est beau, y compris la nature et l'environnement et qu'il les ouvre aux autres cultures et civilisations. Les langues inculquent chez les jeunes les valeurs humaines qui sont devenues rares à nos jours, comme la tolérance, le respect des différences et l'acceptation de l'autre, ... des valeurs fortement exigées en vue de mettre fin au fanatisme, au racisme et au terrorisme.

Comment y arriver?

C'est l'une de nos responsabilités, nous les enseignants, formateurs, didacticiens, pédagogues, linguistes et chercheurs au Liban et partout dans le monde arabe. Nous sommes appelés à collaborer ensemble pour sauver nos jeunes et sauvegarder notre trésor linguistique, notre vraie richesse inépuisable. Travaillons ensemble pour rendre le trilinguisme arabe-français-anglais obligatoire dans toutes les écoles et collèges: les anglophones enseignent le français comme deuxième langue étrangère dès le préscolaire jusqu'aux classes terminales et vice versa. A cet égard, j'aimerais bien citer les paroles de Tzvetan Todorov:

La maîtrise d'une langue est essentielle pour toute participation à la vie commune et pour l'acquisition de tout autre élément de la culture. Elle est dans l'intérêt des individus, mais aussi dans celui de l'Etat, qui profitera ainsi mieux de leurs compétences. Il ne serait pas abusif de rendre l'enseignement de la langue gratuit et obligatoire comme on dit, pour tous ceux qui ne savent pas la parler: un tel investissement se révèlera vite payant[1].

D'ailleurs, le plurilinguisme a été identifié par le Conseil de l'Europe, dans de nombreuses Recommandations, comme principe et but des politiques linguistiques, devant être valorisé au niveau de l'individu mais aussi pris en charge par l'institution (Beacco, 2005). Cela demande une articulation à la fois politique, éducative, didactique et suppose que la promotion du plurilinguisme devienne un des principaux défis à relever pour la construction sociale, culturelle et démocratique d'un pays.

En fait, quand on familiarise les apprenants dès leur bas âge au plurilinguisme, on les éveille à la beauté et l'originalité de chaque langue. A ce stade, nous partageons avec Calvet (2013) l'idée *qu'il faut considérer les politiques linguistiques intervenant en situation plurilingue comme des jeux à somme positive plutôt comme des jeux à somme nulle, ce qui tendrait à mettre fin à ce que l'on a appelé la "guerre des langues".* Les langues ne sont pas faites pour se rivaliser, au contraire, elles sont là pour se compléter et pour harmoniser les cultures dont on dit qu'elles se heurtent.

Conclusion

Dans le monde d'aujourd'hui, marqué par le développement des communications et de la technologie comme par la mondialisation de l'économie, les peuples

(1) www.sps.unimi.it/extfiles/unimidire/28401/attachment/tzvetan-todorov-lectio.pdf

des différents pays sont devenus plus proches et plus dépendants les uns des autres. Les rencontres avec les étrangers tendent de plus en plus à se multiplier. Il est clair à nos yeux qu'une réforme radicale des systèmes et pratiques éducatifs est nécessaire, une réforme qui suppose un grand courant de compréhension et de compassion dans le monde, de nouvelles mentalités, ...

Il est temps de lancer ce défi! Un défi difficile à réaliser mais pas impossible! À l'ère actuelle, nous avons besoin plus que jamais de cette *civilisation de métissage* prévue depuis longtemps par Léopold Sédar Senghor, et de cet *homme de la double culture* que le poète et l'essayiste S. Stétié (1997) a comparé *à un pont qui relie et conjoint ses deux exils*, mais aussi et surtout qui *permet aux autres de passer.* Les langues, par le pouvoir qu'elles possèdent, sont capables de nous servir dans notre cause humanitaire pour à la fois, et inséparablement, survivre, vivre et s'humaniser

Références bibliographiques:

* Beacco J. C. (2005). *Langues et répertoire des langues: le plurilinguisme comme "manière d'être" en Europe*, Division de Politiques Linguistiques, Strasbourg. Disponible sur http://http://www.coe.int/lang/fr

* Calvet L.-J. (1999). *La guerre des langues et les politiques linguistiques*, Hachette, Paris.

* Calvet L.-J. Calvet A. (2013). *Les confettis de Babel*, Ecriture, Paris.

* Dabène L. (1997). *Apprendre une langue maternelle en apprenant des langues étrangères?* in G. Haas (éd.)

* Stétié S. (1997). *Hermès défenestré,* José Corti.

* *http://*www.fr.wikipedia.org/wiki/Liban\

* http://yolainebodin.com/fr/le-coin-langues/citations/des-quon-parle-une-langue-etrangere

* www.sps.unimi.it/extfiles/unimidire/28401/attachment/tzvetan-todorov-lectio.pdf

انعكاسات الهجرة على الأمن النفسي والاجتماعي للمهاجرين اللبنانيين:

د. سلام شمس الدين



- حائزة على شهادة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية- اختصاص علم نفس اجتماعي.
- محاضرة أكاديمية وباحثة اجتماعية.
- اختصاصية في الإرشاد والتحليل النفسي.
- عضو في الهيئة الإدارية لهيئة تكريم العطاء المميز - لجنة الدراسات والأبحاث العلمية.
- عضو مجلس إدارة في صناع التغيير للتنمية والتطوير في العالم العربي.
- مشاركة في العديد من الندوات والمؤتمرات داخل لبنان وخارجه.
- لديها عدة أوراق عمل بحثية تتمحور حول التربية والتعليم والطفل والمرأة والبيئة.

مقدمة

لم تكن هجرة اللبنانيين خيارًا ذاتيا أو قرارا طوعيا لدى الكثير منهم، ولا شك في أن الأسباب التي دفعت بهم إلى الهجرة متشابهة بين الجميع تقريبًا وهي تعود إلى الأسباب الامنية والسياسية والاقتصادية التي مرَّ بها لبنان وضغطت بثقلها على المواطن اللبناني الذي قرّر المغادرة رغمًا عنه. هكذا كانت بدايات الهجرة هربا من الضيق الاقتصادي حينًا وهربا من التجنيد الإجباري أحيانًا أخرى ومع ما رافق ذلك من دعوات إلى الهجرة من قبل منظرين أمثال "ميشال شيحا" و"فيليب حتّي" وغيرهما.

لقد أفرزت الهجرة في مراحلها المتتالية تحديات اجتماعية وضغوطات نفسية على المهاجرين، بفعل انتقالهم من مجتمع لآخر، مختلفا ثقافيا عن مجتمعهم الأم، الأمر الذي يجعلهم يقومون بتغيير أو تعديل في ثقافتهم الأصلية بفعل احتكاكهم وتفاعلهم بثقافات ومجتمعات أخرى وما يلحق إزاء ذلك من تعديل أو تغيير في هويتهم الذاتية والاجتماعية التي هي محصلة تفاعل وتداخل العديد من العوامل الذاتية- الداخلية للفرد، وكذلك الخارجية التي هي نتاج المجال النفس-اجتماعي الذي ينخرط فيه.

فالعوامل الداخلية، لا تشمل فقط الحياة الانفعالية للفرد ومشاعره الإيجابية أو السلبية، إنما تشمل أيضًا كل ما يجول في داخله من أفكار واتجاهات فكرية، ومعتقدات وقناعات إيديولوجية يؤمن بها. أما العوامل الخارجية، فهي تشمل كل المؤثرات الممكن أن يتعرض لها الفرد لوجوده في مجتمع معين، له ثقافة معينة، بما تشمله من نسق قيم وسلم معايير يتجسدان من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ طفولته وحتى اللحظة التي يستخدم فيها هذه المفاهيم.

إن مواجهة الفرد للاختلاف الثقافي، في بلاد المهجر، تفرض عليه إعادة هيكلة لبنيته النفسية، نتيجة تعرضه لظروف حياة مغايرة في المجتمع الجديد، وعليه أن يحسن التفاعل معها ليشعر بالاستقرار والأمن النفسي، وإلا وقع فريسة الاضطرابات النفسية التي تقود بلا شك إلى زعزعة الهوية وشعور الفرد بالاغتراب الاجتماعي.. لذا ننظر إلى موضوع الأمن النفسي والاجتماعي الذي يحققه المهاجر في البلد الجديد باعتباره أحد أهم العوامل التي تساهم في بناء الذات وتنميتها والتي نرسم من خلالها واقع الأفراد المهاجرين والخبرات المتتالية من التشابه والاختلاف التي يمرون بها أثناء تفاعلهم الاجتماعي.

أهمية الدراسة:

أولاً: تشكل هذه الدراسة أحد اهتمامات علم النفس الاجتماعي، الذي يدرس سلوك الفرد في مجال نفس- اجتماعي من جهة، ويتعمق في دراسة العلاقة القائمة بين الفرد والمجتمع في بلاد الهجرة من جهة أخرى، من خلال تفاعل الفرد مع أنماط ثقافية مختلفة وكيفية تأثير تلك الأنماط في سلوكه وشخصيته وصحته النفسية وعلاقاته الاجتماعية، وبالتالي على أمنه النفسي-الاجتماعي.

ثانيا: إن متغير الأمن النفسي هو مطلب لكل إنسان، وما قد يحدثه من تأثيرات في البنية النفسية والمعرفية والانفعالية والاجتماعية في حالة عدم إشباعه.

ثالثا: الإفادة من نتائج الدراسة في مجال الإرشاد النفسي والاجتماعي.

أهداف الدراسة:

تكمن أهداف هذه الدراسة في التعرف إلى تداعيات الهجرة على الأمن النفسي الاجتماعي لدى المهاجرين اللبنانيين، ومدى انعكاس تلك التداعيات على صحتهم النفسية وعلاقاتهم الاجتماعية.

الإشكالية:

أولى علماء النفس موضوع الحاجات الجسمية والنفسية والاجتماعية إهتمامًا كبيرًا لما لها من دور أساسي في تحقيق حالة نفسية مستقرة، يشعر الإنسان من خلالها بالأمن والطمأنينة والتوازن بين قوى نفسه الداخلية أو بين مصالحه الفردية ومصالح الجماعة. وتلعب الهجرة دورًا بالغًا في هذا المجال، فهي من ناحية تحقق للمهاجر المصالح الفردية المتعلقة بالعمل واليسر المادي، ومن ناحية أخرى

تجعله يواجه العديد من الوضعيات النفسية المربكة نتيجة للتمايز الثقافي بين البلد المضيف وبين وطنه، والتي من شأنها أن تتحكم بجهاز أمنه النفسي والاجتماعي. هذه الوضعيات الاجتماعية المستجدة والغريبة تضع الفرد في دائرة القلق الذي يتجسد بالصراع بين الذات والموضوع، بين الأنا والآخر، بين مطالب الفرد وحاجاته وإمكانياته وبين مطالب الواقع بأبعاده المختلفة، بين تحقيق الذات في العمل والإنجاز وتحقيق الرفاهية وبين محيطه العائلي واستقراره النفسي، كل هذه الأنواع من الصراعات تجعل الفرد منقسمًا على ذاته، ومهددًا في استقرار هويته.

لذا فإن الأمن النفسي يعد عصب الحياة والعنصر الأساسي في شعور الفرد بالطمأنينة، والذي يساعد بدوره في تحقيق الإنجازات المثمرة والتوافق في مختلف جوانب الحياة الإنسانية، ويمكن بلورة مشكلة الدراسة الحالية في التساؤل الآتي:

*** ما هي أهم الانعكاسات النفسية الاجتماعية التي يواجهها المهاجر في البلد المضيف؟**

يتفرع من هذا السؤال الأساسي أسئلة فرعية منها:

1 ـ هل يشكل النجاح الاقتصادي للمهاجرين تعويضًا عن النقص العاطفي الذي تولده الهجرة، أم أنه يتحول فيما بعد إلى حالة من القلق والاضطراب النفسي؟

2 ـ كيف نفسر اليوم حالات التفكك الأسري أو حالات الطلاق عند بعض المهاجرين؟

3 ـ كيف يستشرف المهاجرون المستقبل؟

فرضية الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة من فرضية رئيسية تتمحور حول إمكانية التوفيق بين الاستقرار النفسي والأمن الاجتماعي للمهاجرين وبين نجاحهم في تحقيق الأهداف التي هاجروا من أجلها. بمعنى آخر إمكانية الهجرة في توفير حالة من التوازن بين العامل المادي الخارجي المتمثل في الازدهار المظهري للمهاجرين وأفراد أسرهم وبين المشاعر الداخلية التي تدور في نفوسهم لناحية (الحنين إلى الوطن، البعد عن الأهل، العلاقة مع أفراد الأسرة، العلاقة مع المجتمع المستقبل).

منهجية الدراسة:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على مقاربتين، الأولى نظرية، تمثلت بالاطلاع على الأدبيات والمراجع ذات العلاقة بين مفاعيل الهجرة وانعكاساتها على سلوك المهاجرين لناحية دورها في إحداث تغيرات نفسية على آدائهم جراء انخراطهم في مجتمعات مغايرة تمامًا للمجتمعات التي نشأوا فيها. والثانية، تمثلت بدراسة ميدانية نوعية من خلال إجراء مقابلات مع مجموعة من المهاجرين في مدينة النبطية وجوارها، بلغ عددهم ثماني عشرة حالة، حيث قصدنا منازلهم بناء على تحديد مواعيد مسبقة معهم، وتم استجوابهم من خلال مجموعة أسئلة نصف موجهة، تناولت دوافع الهجرة وتداعياتها على الأمن النفسي- الاجتماعي لهم، ومن ثم تم تحليل المعطيات التي حصلنا عليها من خلال ربطها بنتائج الهجرة سواء كانت تلك النتائج إيجابية أم سلبية.

المصطلحات المستخدمة في الدراسة:

1 ـ الهجرة:

هي انتقال الإنسان من موطنه الأصلي وبيئته المحلية إلى وطن آخر للإرتزاق وكسب وسائل العيش أو لسبب آخر سياسي، تجاري، اجتماعي، أو سياحي.

2 ـ مفهوم "الهجرة من وجهة نظر التحليل النفسي:

الهجرة هي خبرة وصدمة والتي تتكون فيها ردود الأفعال وهي تجربة وصدمة للجنسين... فعندما يخرج ويسمع ويرى وجوها تبدأ مرحلة التكيف، وهي الهجرة الأولى، والهجرة الثانية التي تشكل صدمة للفرد عند مغادرته ثدي أمه وهي تجربة الفطام وهي مؤلمة للطفل.. كما أن الهجرة من وجهة نظر في التحليل النفسي تشكل مخاطر على الإحساس بالهوية الذاتية للفرد المهاجر وهو يحتاج في صراعه إلى المحافظة على هويته الذاتية وإلى التمسك بعناصر بيئته مثل: الذكريات وغيرها"[1].

(1) إبراهيم حسن الكردي، قراءة سيكولوجية للهجرة غير الشرعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية، 2015، ص19.

3 ـ المهاجر:

رغم أنه لا يوجد تعريف متفق عليه قانونا، تعرف الأمم المتحدة المهاجر على "أنه شخص أقام في دولة أجنبية لأكثر من سنة بغض النظر عن الأسباب سواء كانت نظامية أو غير نظامية"[1].

4 ـ الأمن النفسي:

ـ **الأمن لغة:** الأمن هو نقيض الخوف، وحسب المنجد في اللغة والإعلام، "يفيد الإطمئنان والأمان والحماية والذمة"[2].

ـ **الأمن في قاموس المورد:** تشمل كلمة أمن المعاني التالية: "السلام والطمأنينة والثقة والصفة تدل على أن الشخص واثق مطمئن، أي أن الإحساس بالأمن متمثل في الطمأنينة والثقة والتحرر من الخطر"[3].

ـ **الأمن النفسي:** هو الطمأنينة النفسية أو الإنفعالية وهو "الأمن الشخصي أو أمن الفرد على حدة وهو حالة يكون فيها إشباع الحاجات مضمونًا وغير معرض للخطر وهو محرك لتحقيق أمنه. وترتبط الحاجة إلى الأمن ارتباطا وثيقا بغريزة المحافظة على البقاء"[4]". وهو "الحالة النفسية والعقلية التي من خلالها تتحدد علاقة الفرد بالمجتمع والتي تحقق له القدرة على مواجهة الاحباطات التي يتعرض لها بشكل يضمن له التوافق "[5].

وقد عرفته الباحثة بأنه شعور الفرد بالاستقرار والتحرر من الخوف والقلق لتحقيق متطلباته ومساعدته على إدراك قدراته، وجعله أكثر تكيفا مع الذات وبالتالي مع المحيط.

---

(1) الهجرة الأمم المتحدة https://www.un.orgmigration.un.org، تاريخ الزيارة2019/9/15.
(2) المنجد في اللغة والإعلام، طبعة 37 طبعة منقحة، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1998، ص18.
(3) منير بعلبكي، قاموس المورد، بيروت، دار العلم للملايين، 1994.
(4) حامد زهران، 1989 الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1989، ص33.
(5) عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، 1985، الاسكندرية، مصر، ص 193.

5 ـ القلق: Anxiety:

حالة انفعالية مركبة غير سارة تمثل ائتلافًا أو مزيجًا من مشاعر الخوف المستمر والفزع والرعب والانقباض والهمّ نتيجة توقع شرّ وشيك الحوادث، أو الإحساس بالخطر والتهديد من شيء ما مبهم وغامض يعجز المرء عن تبينه أو تحديده على نحو موضوعي "[1].

6 ـ الصحة النفسية:

هي حالة دائمة نسبيا يكون فيها الفرد متوافقا نفسيا (شخصيا وانفعاليا واجتماعيا مع نفسه ومع بيئته) ويشعر فيها بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين ويكون قادرا على تحقيق ذاته واستغلال قدراته وامكانياته إلى أقصى حد ممكن ويكون قادرا على مواجهة مطالب الحياة وتكون شخصيته متكاملة سوية، يكون سلوكه عاديا بحيث يعيش في سلامة وسلام والصحة النفسية حالة ايجابية تتضمن التمتع بصحة العقل والجسم وليست مجرد غياب أو الخلو من أعراض المرض النفسي "[2]. ويرى "بيرلز" "أن الصحة النفسية تتحقق حين يتمكن الشخص من الوقوف على قدميه، وتحمل مسؤولية مصيره، ويتمكن من عيش رغباته ومشاعره في حالة من اللقاء مع الذات، وانطلاق حيويته في اتجاه نمائي "[3].

الهجرة: أنواعها ودوافعها

1 ـ أنواع الهجرة:

هناك تصنيفات عدة للهجرة منها[4]:

أ ـ تصنيف يرتبط بإرادة الفرد:

ـ **هجرة اختيارية:** وهي الهجرة التي يختارها الفرد بإرادته ووفقا لرغبته الخاصة في الانتقال من مكان لآخر بحثا عن الرزق أو حياة أفضل.

---

(1) عبد المطلب أمين، القريطي، في الصحة النفسية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص121.

(2) ، www.mentalhealth.taifhealth.comالصحة النفسية، تاريخ الزيارة 2019/9/26

(3) مصطفى حجازي، الصحة النفسية، منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2006، ص42.

(4) مفهوم الهجرة في حياة الإنسان، https//www.feedo.netimmigration تاريخ الزيارة: 2019/9/26.

ـ **هجرة إجبارية:** والمعروفة باسم سياسات التهجير وهو إجبار الفرد على التنقل من مكان إلى آخر.

ـ تصنيف آخر مرتبط بدوام استمرار الهجرة:

ـ **هجرة مؤقتة:** وهي الهجرة التي ينتقل فيها الفرد من وطنه الأصلي إلى وطن جديد لتحقيق هدف ما، بغية التحصيل العلمي أو لكسب الرزق أو لسبب سياسي لكنه يعود مرة أخرى إلى وطنه الأصلي.

ـ **هجرة دائمة:** وهي هجرة الأفراد من وطن جديد غير وطنهم بهدف الإقامة الدائمة دون تفكير في العودة مرة أخرى إلى وطنهم الأصلي.

ج ـ وتصنيف ثالث مرتبط بالانتقال داخل البلد وخارجها:

ـ **الهجرة الداخلية:** وهي الهجرة التي يقوم أبناء الوطن بالتنقل داخل حدود البلد الواحد وليس خارجها أي الهجرة التي تتم بين مكانين في الاقليم الواحد، أما لأسباب تتصل بقسوة الطبيعة أو لأسباب تخرج عن نطاق الطبيعة من الظروف الاقتصادية أو الاضطرابات السياسية والأمنية وغيرها من الظروف المعيشية التي تهدد بقاء الإنسان.

ـ **الهجرة الخارجية:** وهي الهجرة التي ينتقل فيها الفرد من وطنه ويخرج من حدوده إلى وطن أو بلد آخر، أي الهجرة التي تتم ما بين إقليمين.

2 ـ أسباب الهجرة ودوافعها:

لقد تنامت الروح الفردية لفعل الهجرة، وتنوعت اتجاهاتها نتيجة الإضطرابات التي يعيشها اللبنانيون في وطنهم جراء الظروف الاقتصادية الخانقة والأوضاع الأمنية والسياسية غير المستقرة والمبهمة، مما دفعهم إلى البحث عن بدائل عملية في دول تكفل لهم حقوقهم وتعترف بكيانهم وتلبي طموحاتهم، وتحسن من أوضاعهم الاقتصادية وتؤمن لهم الرفاهية النفسية.

* الأمن النفسي: أهدافه، أبعاده وأساليب تحقيقه

1 ـ أهداف الأمن النفسي: إن الإنسان الذي يشعر بالأمن يسعد في عمله، ويمارس حياته الطبيعية. وتختلف الحاجة إلى الأمن وخدماته من شخص إلى آخر بالنسبة للفرد، للمجتمع والدولة، فبالنسبة للفرد فإن خدمات الأمن هي ضمان لحريته، وبالنسبة للمجتمع، فهي تحافظ على سلامته من العوامل التي تهدد

مقوماته النظمية، أما بالنسبة للدولة، فإن الأمن يحافظ على كيانها واستقرار الحال في ربوعها"[1].

2 ـ أبعاد الأمن النفسي: "الأمن النفسي هو محصلة أو نتاج لعوامل عديدة منها داخلية مرتبطة بطبيعة الفرد وتكوينه ونموه، وعوامل أخرى خارجية ذات علاقة بالعوامل الثقافية، الاقتصادية، التربوية، العسكرية الاجتماعية، يتضمن الشعور بالثقة والهدوء والطمأنينة النفسية نتيجة للشعور بعدم الخوف من أي خطر أو ضرر. وهذا ما يجعله يظهر لدى الأفراد طبقا للعديد من الأبعاد والمؤشرات السلوكية والانفعالية والعلائقية والتي تساعدنا في الحكم على مستوى الأمن النفسي الذي حققه الفرد بالتفاعل مع كل هذه المعطيات والعوامل"[2].

3 ـ أساليب تحقيق الأمن النفسي: يرى علماء النفس والاجتماع أن الفرد لا يمكنه أن يشعر بالأمن النفسي إلا من خلال عملية التكيف والاندماج، ولا يمكنه أن يندمج اجتماعيًا داخل المجتمع إلا من خلال بعدين أساسيين هما: البعد الموضوعي والبعد الذاتي.

ـ البعد الموضوعي: وهو مرتبط "بالعلاقات التفاعلية المادية والرمزية والمحسوسة التي ينشئها الأفراد مع بعضهم البعض"[3].

ـ البعد الذاتي: وهذا مرتبط بمستوى "إدراك الفرد لطبيعة العلاقات التي يقيمونها مع غيرهم ولمدى تماهيهم في الجماعات الاجتماعية التي ينتمون اليها"[4].

وتعد العلاقة بين هذين البعدين نسبية من حيث كثافتها ومن حيث قوتها، وهي ترتبط بشكل أساسي بعامل الخبرة، تلك الخبرة التي هي نتاج تفاعل الشخص مع الشروط التي تحيط به والظروف التي يمر بها، والتي يمكن تصورها على أنها

---

(1) حامد عبد السلام زهران، دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2002، ص 84.

(2) حامد عبد السلام زهران، المرجع نفسه، ص84.

(3) علياء الحسين محمد كامل، الإندماج الاجتماعي للجالية السورية، في مدينة 6أوكتوبر بالقاهرة، دراسة ميدانية في الأنتروبولوجيا الاجتماعية، 2017، ص22، نقلاً عن الموقع الإلكتروني bfa.arts.alexu.edu.eg/ docx

(4) علياء الحسين محمد كامل، مرجع سابق، ص23.

خبرات فردية أو نمطية أو خبرات جديدة قد ظهرت إلى الوجود واكتسبت معنى جديد.

وبهذا يمكننا القول إن الأمن النفسي الاجتماعي يتحدد انطلاقًا من طبيعة العلاقات الاجتماعية التي يشكلها الفرد مع بقية أفراد المجتمع. حيث أن الكثير من حالات العصاب مثلاً كانت بتأثير من المحيط الشخصي الذي أحاط بالفرد في مرحلة معينة من مراحل حياته.

النظريات المعتمدة: اعتمدت هذه الدراسة على أكثر من نظرية لفهم وتحليل دوافع الهجرة والإشكاليات التي يواجهها المهاجرون في البلاد المضيفة.

1 ـ النظرية التفاعلية الرمزية: تعد واحدة من المحاور الأساسية التي تعتمد عليها النظرية الاجتماعية في تحليل الأنساق الاجتماعية، "وهي تبدأ بمستوى الوحدات الصغرى (الفرد وسلوكه كمدخل لفهم النسق الاجتماعي)، وتنتقل إلى الوحدات الكبرى (المجتمع وتنظيماته المختلفة). إنها تنظر إلى البشر كما يسلكون إزاء الأشياء في ضوء ما تحمله تلك الأشياء من معان ظاهرة لهم التي هي حصيلة للتفاعل، غير أن البشر يستطيعون تعديل هذه المعاني وإعادة تشكيلها من خلال عمليات التأويل التي يستخدمها الإنسان في تفاعله مع الرموز التي يواجهها"[(1)].

2 ـ نظرية بياجيه في الجذب: "تؤكد هذه النظرية على وجود عوامل جذب في مجتمع المهجر، وهي ميزة تتيح للمهاجر حرية الاختيار لنوع العمل الذي يناسبه، كما أن ذلك يحدد أيضًا المكان الذي يختاره المهاجر"[(2)].

3 ـ نظرية فروم في التوقع: "تشير إلى أن اتخاذ الفرد لقرار معين تتحكم فيه أساسا المنافع المتوقع الحصول عليها من وراء أداء عمل ما. وعليه فنظرية التوقع تتضمن ثلاثة عوامل أساسية تتحكم في الدافعية: أولا العزم (العلاقة بين الجهد والنتيجة)، التوقع (النتيجة المرغوبة) وقوة الجذب. إذا نستنتج من خلال هذه النظرية أن أحد العوامل التي تقف وراء اتخاذ القرار بالهجرة مرتبط بما أسماه بالدافعية[(3)]". وبهذا المعنى نجد نوعين من الدوافع، أولهما ـ فرصة لتحقيق

---

(1) نظرية التفاعل الرمزي، .ar.m.wikipidia.org/wiki تاريخ الزيارة 2019/10/6.

(2) Muller, T, immigration and urban areas: The United states experience, in immigrants, integration and cities, exploring the link, 1998, Paris OECD, P25.

(3) عبد الفتاح بو خمخم، مفهوم الدافعية في مختلف نظريات السلوك التنظيمي، 2001، ص 146، نقلا عن .revue.umc.edu.dzpdf تاريخ الزيارة، 2019/10/6.

أهداف المهاجرين وثانيهما- حلاً لمشكلات متعددة. وذلك يرجع إلى درجة الحاجات التي تختلف باختلاف الأفراد.

وبذلك نجد أن ما قدمته تلك النظريات من تحليل للجذب وللدافعية لا يخرج عن نطاق تحليل نظرية تدرّج الحاجات.

4 ـ نظرية ماسلو في الحاجات: يرى ماسلو أن الإنسان يولد ومعه حاجات خمس تؤثر في كل ما يقوم به ويفعله، ولكن أحيانا قد يكون لإحداها أو بعضها السيادة على سلوك الفرد.

وقد رتب "ماسلو" الحاجات الأساسية على شكل هرم إذ تحتل الحاجات البيولوجية والفسيولوجية قاعدة الهرم لأنها ضرورية لاستمرار حياة الإنسان، ومنها (الحاجة إلى التنفس، إلى الطعام، إلى الماء، إلى ضبط التوازن، إلى الجنس، إلى الاخراج، إلى النوم)، تليها حاجات الأمن (السلامة الجسدية، الأمن الوظيفي، الأمن المعنوي والنفسي، الأمن الأسري، الأمن الاقتصادي، الأمن الصحي، أمن الممتلكات الشخصية)، إذ يعد "ماسلو" أن أكثر حاجات الأمن أهمية وقوة هو الأمن النفسي وذلك لأنه من الحاجات الأساسية اللازمة للنمو النفسي السوي والتوافق والصحة النفسية للإنسان، وينشأ عن شعوره بأنه سوف يكون قادرا على إقامة وحفظ علاقات متزنة متوازنة مع الأشخاص الذين لهم أهمية عاطفية في حياته. كما أن الحاجة إلى الأمن النفسي ليست أساسية فقط للنمو من الجانب النفسي فحسب بل تشمل الجانب الجسمي ذلك لأنها تعد المصدر الأساسي والأول لشعور الفرد بالثقة وبالآخرين "[1]. فالفرد الذي يعيش ظروفا مضطربة تفتقر إلى إشباع حاجة الأمن، تعتريه عوامل القلق والاضطراب النفسي ويعجز عن التفاعل مع أفراد أسرته بإيجابية ويتعارك مع أسرته بدلاً من أن يتعارك مع الحياة.

وتأتي الحاجة إلى الإنتماء أو الاحتياجات الاجتماعية (العلاقات العاطفية، العلاقات الأسرية، العلاقات مع الأصدقاء) في المرتبة الثالثة، ومن ثم "الحاجة إلى التقدير وهنا يتم التركيز على حاجات الفرد في تحقيق المكانة الاجتماعية المرموقة والشعور باحترام الآخرين له والإحساس بالثقة والقوة، وأخيرا الحاجة

(1) حلمي المليجي، علم النفس الاكلينيكي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2000، 142.

إلى تحقيق الذات والتي فيها يحاول الفرد تحقيق ذاته من خلال تعظيم استخدام قدراته ومهاراته الحالية والمحتملة لتحقيق أكبر قدر ممكن من الإنجازات"[1].

مما تقدم يرى" ماسلو" أن الأمن النفسي مرادف للصحة النفسية، إذ وضع عددا من المكونات الإيجابية تتحدد من خلالها مظاهر الصحة النفسية أو الأمن النفسي، وتتمثل هذه المظاهر بشعور الفرد أنه محبوب ومقبول من قبل الآخرين فضلا عن شعوره بالانتماء واحساسه بمكانته وسط جماعته. وأخيرا شعوره بالطمأنينة والإستقرار وندرة شعوره بالخطر والقلق والتهديد وهي كلها عوامل تمثل مجتمعة -بعضا منها- الحاجات الأساسية للفرد.

5 ـ نظرية بوبلي: يفسر بوبلي الشعور بالأمن النفسي معرفيًا. "اذ يعد كل موقف نقابله أو نتعرض له في حياتنا يمكن تفسيره تحت ما يطلق عليه النماذج التصورية أو المعرفية، وهذه النماذج تشكل صيغةschema نستقبل به المعلومات الواردة إلينا من البيئة المحيطة وتحدد تصوراتنا عن أنفسنا والآخرين"[2].

مما تقدم نجد أن الحاجة إلى الأمن هي من أهم الحاجات النفسية، ومن أهم دوافع السلوك وهي من الحاجات الأساسية للنمو النفسي السوي والتوافق النفسي والصحة النفسية للفرد.

نتائج العمل الميداني:

* تداعيات الهجرة وأثرها على الأمن النفسي الاجتماعي للمهاجرين:

بما أننا نبحث في العوامل المؤثرة في شعور الفرد المهاجر وعلاقته بالأمن النفسي، فإننا سنتطرق إلى بعض تلك العوامل، والتي تختلف من حيث شدتها ونوعها بين مهاجر وآخر تبعا للبنية النفسية الفردية لكل منهم ومدى قدرتها في إحقاق التوازن بين ما هو موروث ومع الوضعيات الجديدة التي يواجهها.

إن ظاهرة الهجرة لا يمكن أن يكون لها تفسير واحد اقتصادي، بدليل أن الإنسان كنفس وجسد وهوية فردية وذات اجتماعية تحتك بثلاث عوالم خلال مرحلة الهجرة (الإنسان ذاته، المجتمع الأصل، المجتمع المستقبل)، مما يفضي

(1) تسلسل ماسلو الهرمي للإحتياجات، https://ar.m.wikipedia.orgwiki، تاريخ الزيارة 2019/9/20.

(2) Waters, E Cummings, E, M, A secure base from which to explore close relationship. Journal of child development, vol 71, no:1, 2000, p169-170.

إلى تنوع النتائج، وما تنوع النتائج إلا دليل على تنوع وتعدد الأسباب، والتي تختلف من حيث شدتها بين فرد وآخر. وفي الوقت نفسه تفسر الاختلاف الثقافي ما بين الشعوب والمجتمعات.

وتتجسد نتائج الدراسة في مجموعة عوامل نفسية، اجتماعية، ثقافية واقتصادية، يمكن حصرها بالآتي:

أولاً: صدمة الإستئصال الثقافي:

إن مغادرة البلد الأم تشكل في حد ذاتها، صدمة نفسية كبيرة، وخاصة إذا كانت الفوارق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية كبيرة بين البلد الأم والبلد المضيف. لقد أجمع المغتربون حين وصولهم إلى البلد المضيف بشعورهم "أن كل شيء قد تغير بالنسبة لهم، الثقافة والعادات والتقاليد والمعايير وأسلوب الحياة وحتى أحاسيسهم الجسدية، لون السماء، الطبيعة، الوقت، الفصول، الحرارة، الأصوات وروائح الأطعمة واللغة وحركات الناس ونظراتها وشكلها، فأدق تفاصيل الحياة اليومية أخذت شكلا جديدا بالنسبة لهم". هذه الفجوة بين بيئة البلد الأم وبيئة البلد المضيف، تدفع المهاجر على إعادة التوازن بهدف الاستمرارية وتحقيق الوجود.

وهناك مراحل يعيشها المهاجر لدى قدومه إلى البلد المضيف، تراه يعيش مرحلة انبهار بالثقافة الغربية وبالمجتمع الغربي، ويمكن اعتبار هذه المرحلة على حد تعبير (بيديرسون 1995)، عن "شهر عسل" بينه وبين بيئته الجديدة. وهذا ما عبرت عنه إحدى المهاجرات بالقول: "حين قدومي لهذا البلد شعرت أنني في مرحلة إستكشاف وإطلاع، كنت سعيدة بتنقلي من منطقة إلى أخرى وأنا أتعرف إلى طبيعة هذا البلد"[1]. إنه شعور يمكن تفسيره بالأمان الآني، والآمل بالنجاح وتحقيق الطموحات والأحلام، إنها مرحلة الفضول والفرح والبهجة بالأشياء الجديدة. وتضيف قائلة "إلا أن شعوري بتلك البهجة انقضى بعد فترة قصيرة من الزمن، حيث شعرت بالغربة والاضطراب بعد أن اصطدمت بتنفيذ المعاملات والأوراق الرسمية واجراءات الهجرة، التي كانت إلى حد ما معقدة بالنسبة لي وكانت اللغة أحد أهم الحواجز التي اعترضت طريقي"[2]. وهذا يشير إلى أن أولى

(1) مقابلة رقم (6)، ل. م، تاريخ المقابلة: 2019/9/5.

(2) مقابلة رقم (6)، ل. م، تاريخ المقابلة: 2019/9/5

الصعوبات التي تعترض المهاجر هي اللغة وصعوبات التواصل والتعبير عن الذات وفهم كل ما يحيط به، وهذا يولد لديه الشعور بالصدمة، أطلق عليها علماء النفس "صدمة الإستئصال الثقافي"[1].

ثانيًا: صعوبات تتعلق باللغة:

ان أول ما يصادف المهاجر من مشكلات بعد وصوله إلى بلاد المهجر، وتمثل عقبة نفسية هي "اللغة"، وهي بمثابة مرحلة أولية لتجسيد الحلم الذي ذهب لأجله إلى بلاد المهجر، هي البداية العملية من حياة التكيف والإندماج. حيث إن أي تبادل لغوي يحتوي على إمكانية عمل ذي قوة. وفي هذا الصدد يصرح الغالبية من أفراد العينة "بأنه علينا تعلم لغة البلد المضيف أولاً، نحن بحاجة أن يعترف بنا الآخر". إن الإعتراف هنا يشمل أولاً الإعتراف بوجودهم، وثانيًا تأكيد قيمتهم.

ثالثًا: التوافق المهني:

هناك ترابط بين الظاهرة اللغوية والمهنية وظاهرة الهجرة كعمليات مستدمجة من خلال حياة المهاجر نفسه، وهي صور من صور نجاحاته أو فشله. يخبرنا أحد المهاجرين المتخرجين في مجال الهندسة، أنه قرر بعد وفاة والده السفر إلى ألمانيا للعمل واستكمال دراسته هناك قائلاً: "في البداية وبما أنني لا أتقن اللغة الألمانية عملت في أحد المطاعم في غسل الصحون بعد أن واجهت الكثير من الصعوبات في إيجاد عمل، كنت أقبل أي فرصة عمل رغم عدم مناسبة ذلك العمل لقدراتي ومؤهلاتي العلمية، شعرت كثيرًا بالنقص، وكنت أواجه الكثير من الإنتقادات في مكان العمل بسبب اللغة، كنت مهددًا بالطرد إذا لم أتقن لغتهم. بالإضافة إلى أن اللغة كانت شرطًا رئيسيًا للدخول إلى الجامعة وللحصول على الإقامة فيما بعد، فعليًا كنت أشعر بخوف شديد من الفشل وعدم القبول والإعتراف بي كمواطن ألماني"[2]. ويخبرنا مهاجر آخر "أنه حين وصوله إلى كندا ولم يكن يتقن اللغة الإنكليزية، عملت في أكثر المهن التي لا يمكن أن أقبل بها في وطني، عملت في تنظيف المراحيض، ومسح الأرض وفيما بعد ارتقيت تدريجيًا في العمل بعد أن

---

(1) A.Yahyaoui, Exil et deracinement, therapie familiale des migrants. paris: Dunod, 2010 بتصرف.

(2) مقابلة رقم (12)، ر.ع، مهاجر في ألمانيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/9.

اتقنت اللغة "[1]. ويتوافق هذا الوضع مع مهاجر آخر يروي لي معاناته بالقول: "كنت في وطني أحظى بمكانة اجتماعية ذات شأن- أستاذ مدرسة- كان لدي الكثير من الأصدقاء، كنت أحظى بالتقدير والاحترام، ما إن وطأت قدماي بلاد الغربة غرقت في اليأس والعجز عن حل لمعاناتي، الأمر الذي جعلني اتنقل من مهنة إلى أخرى، من عامل في مطعم إلى أستاذ دروس خصوصية في اللغة العربية، إلى شوفير تاكسي الخ "[2].

رابعًا: الحنين والحداد اللاشعوري:

بعد مرحلتي الابتهاج وصدمة الاستئصال الثقافي، تبدأ مرحلة جديدة تعد أخطر المراحل على المهاجرين وعلى اندماجهم، وهي مرحلة الحنين للوطن وللماضي، وهي المرحلة الملازمة إلى الآن لشعور المهاجرين على حدّ تعبير جميع أفراد العينة.

إن ظاهرة الحنين للوطن، واستذكار الماضي الجميل، ترتبط ارتباطا وثيقا بظاهرة الهجرة. "وهو أمر طبيعي ولا يشكل بحد ذاته حالة مرضية أو شذوذًا نفسيًا، لا بل يمكن أن تشكل نوعا من حالة عمليات الاسترخاء التي تعيد للفرد نشاطه، فالحنين له علاقة بنشاط الذاكرة المعرفي وعملها، وبقدرة الفرد على تحديد هويته من خلال مرجعية الماضي، وهو ما أطلقت عليه الباحثة جوديت ستيرن إسم "الذاكرة الشاشة" "memoire ecran"، حيث ترتبط هذه الأخيرة بذكريات مسترجعة من خلال مثيرات حسية شعورية بسيطة جدًا، ولكنها ذات بعد زماني، فبعض المأكولات والروائح تعيدنا إلى زمن مرتبط بذكريات محددة يتم اسباغها بطابع إيجابي أو مثالي "idealization" ويشكل هذا أحد وسائل الدفاع عن الأنا المثالي "Moi ideal" أمام مشاعر الفقدان والخسارة"[3]. ولذلك يمكن للحنين أن يقوم بوظيفة سيكولوجية مهمة، ويساعد على الحفاظ على العلاقة بالبلد الأم.

وتشير غالبية أفراد العينة "أن مشاعر الحنين إلى الوطن ملازمة لنا في ذهابنا وإيابنا، ولا يمكننا الفكاك من الذكريات الجميلة التي عشناها في كنف العائلة

(1) مقابلة رقم (3)، ح. ب، مهاجر في كندا، تاريخ المقابلة: 2019/9/2.

(2) مقابلة رقم (2)، ن. ق، مهاجر في كندا، تاريخ المقابلة: 2019/9/2.

(3) M.Breviglieri, de la cohesion de vie du migrant;deplacement migratoire et orientation existentielle, revue Europeenne des migrations internationals, vol, 26, n2, 2010, p 57-76.

والأصدقاء". ويمكننا أن نفسر تلك الحالة بأن الحنين إلى الوطن وذكريات الماضي الجميل لا يستطيع المهاجرون الخروج منها، فالحنين عبارة عن نشاط مفرط للذاكرة لإستحضار مواضيع وأزمنة يستحيل استرجاعها. الحنين هنا مرتبط إذا بالبعد العاطفي المشحون بالألم، ألم فقدان عزيز وما هو غال. يخبرني أكثر من شخص من أفراد العينة" أنهم في بلاد الغربة يهتمون بالزراعة، كنشاط توارثوه عن الأهل في وطنهم، يجهزون بيوتهم بأثاث قديم وغرف جلوس شرقية، يطربون بسماع أغاني صباح وأغاني فيروز، يقصدون أصدقاءهم في المناسبات الخاصة بوطنهم ويحتفلون بها، يتغنون برائحة تراب الوطن، وأشياء ومواضيع البيت العتيق، الخ.." وفي ذلك دلالات نفسية بالغة الأهمية للحنين الذي يشدّ المهاجرين إلى أوطانهم.

والقصص حول هذا الموضوع لا تنتهي. تخبرني إحدى النساء المهاجرات إلى أميركا "كنت أقول في نفسي قبل القدوم إلى هنا، أنه حين تحدث الشعراء والكتاب عن الغربة والتعلق بالوطن، أن في ذلك الوصف نوعًا من المبالغة، لكنني بعد أن عشت تجربة الغربة وجدت أنهم قصّروا في وصفهم لحب الوطن والتعلق به"[1]. وتضيف "إنني في بلاد الغربة، أشتاق للبشر وللحجر، أشتاق للعصفور، لشجرة الزيتون للصخرة.. الخ، حنين قاتل لدرجة أنه حين أسمع أغاني فيروز وحين أشاهد على التلفزيون أو على وسائط التواصل الاجتماعي أي حدث يتعلق بلبنان أبكي اشتياقًا"[2]. وتستفيض قائلة: "صحيح أن بلاد المهجر حققت لي رفاهية مادية إلا أنها لم تلغ ولم تعوض خسارتي للرفاهية التي كنت أنعم بها بين أحضان عائلتي، هذا الأمر جعلني أترك زوجي في بلاد المهجر لأعود وأستقر أنا وعائلتي في وطني"[3].

ويتوافق هذا الموقف مع ما صرحت به إمرأة أخرى تعيش في ألمانيا بالقول: "اشتاق للبنان بكل مساوئه، بنفاياته، بمشاكله، لم تعوض لي الغربة قيمة حفنة من تراب وطني"[4].

(1) مقابلة رقم (5)، أ. ف، مهاجرة في أميركا، تاريخ المقابلة، 2019/9/5.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) مقابلة رقم (11)، ح. ح، مهاجرة في ألمانيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/9.

إن الشعور بالخسارة، خسارة الأهل والمنزل والأصدقاء والذكريات، وفقدان الطمأنينة والاستقلال والمكانة الاجتماعية، يولدون نوعًا من الإحساس بالإخفاق والإدانة الذاتية. وفي موضوع الإدانة تصرح إحداهن بالقول "شعرت بأنني أخون وطني ببعدي عنه"[1]. إنها حالة من الهزيمة والإحباط، وحزن عام يسيطر على كيان المهاجر وكينونته، ويدخله في حالة تشبه، إلى حد بعيد، حالة الحداد غير المنتهية، والتي غالبًا ما يشعر بها المهاجر بشكل لا شعوري. سيما لدى النساء باعتبار أن الرجل قد يكون أكثر قدرة على التكيف منها.

مما تقدم لا أحد يستطيع الجزم كم شهرا أو عاما قد يبقى الشخص في هاتين المرحلتين التي سبق الإشارة إليهما، لأن ذلك مرتبط بعوامل، منها عوامل شخصية وعوامل خارجية، لينتقل بعد ذلك إلى مرحلة التقبل والاندماج والتعود وبناء استراتيجيات حياتية تعينه على تحقيق الاستقرار النفسي والتوازن الانفعالي.

خامسًا: التمييز العنصري لجهة الدين واللغة واللون:

إنه وفي ظل اللاتجانس الثقافي قد يعاني المهاجرون من ظاهرة التمييز العنصري، فقد أشار قلة منهم إلى "أنه بالرغم من توفر جميع الضمانات والظروف المتاحة التي تهيؤهم للعيش برفاهية، فإنهم لم يشعروا بالراحة الكافية لجهة التعصب الديني والعرقي.

تخبر إحداهن في مسار حديثها عن شعورها بالدونية نتيجة نظرة الشعب لحجابها بازدراء، عن حادثة حصلت معها في القطار وهي تتنقل من مدينة إلى أخرى بالقول: "حين صعد الشرطي المراقب لبطاقات العبور داخل القطار، طلب منها أن تنزل في المحطة التالية بعد أن أعلن رفضه للبطاقة التي تحملها، علما أنها تدري تمامًا من أن تلك البطاقة تخولها بالإنتقال إلى المدينة المقصودة"[2]. ويتوافق هذا الخبر حول موضوع الحجاب مع إمرأة أخرى تعيش في إحدى مناطق أميركا الخالية من العرب حيث قالت: "كنت كلما مشيت في الطريق أشعر بالمراقبة الدائمة من قبل البوليس وكان ذلك- في فترة حرب أميركا مع العراق- الأمر الذي جعلني أعيش قلقا مدقعًا، شعرت حينها أنني مواطنة من الدرجة

(1) مقابلة رقم (9)، ر. ح، مهاجرة في ألمانيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/9.

(2) مقابلة رقم (9)، ر. ح، مهاجرة في ألمانيا، تاريخ المقابلة، 2019/9/9.

الثانية، وتضيف بحزن شعرت بأنني حشرة، الأمر الذي جعلني أشعر بالوحدة والإحباط والخسارة، لينتهي بي الحال فيما بعد إلى الإنتقال إلى منطقة أخرى حيث تسكن الجالية اللبنانية والعيش بعيدا عن زوجي وكان ذلك أمرا صعبا على العائلة سيما الأبناء"[1]. كل تلك الحالات التي ذكرت تفسر حالة من القلق الوجودي والإستقرار النفسي.

أما في مسألة التمييز العنصري لجهة الاسم، يصرّح "حسين" بالقول "أنه أثناء عودتي إلى أميركا تعرضت في إحدى المطارات إلى تفتيش دقيق بسبب اسمي، وهناك مضايقات عدة تحدث لأنني مسلم. حيث يعتبرون الإسلام هنا "إرهابيين"[2]. ويسرد لي قصة صديق له يعيش في أميركا أيضًا فيقول: "لقد تم سحب الجنسية من صديقي لأنهم عثروا في حوزته في المطار على كتيب عن المقاومة، باعتباره ينشر الإرهاب ويهدد أمنهم المجتمعي"[3]. وهذا ينسجم مع ما ورد من شخص آخر يعيش في لندن بقوله: "لا يمكن أن أصرح بأنني مسلم، أتحفظ كثيرًا بهذا الموضوع لأنه وبسبب بعض الحملات العدائية والمتكررة للجماعات الإسلامية المتطرفة في بلاد المهجر، بتنا موسومين نحن الإسلام، حيث أن صورة الإسلام عندهم قد تشوهت بسبب انتشار تلك الجماعات"[4].

وعن التعصب ضد العرب يروي لنا أحد أفراد العينة وهو يعيش في ألمانيا بالقول: "عندما نتكلم باللغة العربية، ويسمعنا الشعب الالماني، نجدهم ينظرون إلينا نظرة ازدراء، ويضيقون علينا في أماكن عدة، فمنذ أسبوعين تقريبا، وبسبب لعب أبنائي في حديقة المنزل، انزعج جارنا رغم مدارتنا الشديدة له، وأسمعني عبارة تنم عن مدى رفضه وعنصريته للشعب العربي حيث قال: "أنتم العرب لازم يشحطوكم كلكم من ألمانيا"[5].

أما عن التمييز العنصري في إفريقيا: يقول أحدهم: "نحن دائمًا على حذر من الشعب الإفريقي، لا تعرف متى يهاجمك السود ليستولوا على أموالك رغم أنك

(1) مقابلة رقم (5)، أ. ف، مهاجرة في أميركا، تاريخ المقابلة: 2019/9/5.
(2) مقابلة رقم (16)، ح. ش، مهاجر في أميركا، تاريخ المقابلة: 2019/9/13.
(3) المصدر نفسه، ح. ش.
(4) مقابلة رقم (18)، ن. ح، مهاجر في لندن، تاريخ المقابلة: 2019/9/14.
(5) مقابلة رقم (10)، ص. ش، مهاجر في ألمانيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/9.

مصدر رزقهم الأساسي، فكم سمعتم بأن أحدنا تم السطو عليه وضربه وربما قتله، كل ذلك بسبب التعصب المتجذر في نفوسهم تجاه البيض"[1]. وهذا يتوافق مع ما سردته لنا إحدى النساء بالقول: "إنني أعيش في إفريقيا في منطقة بعيدة عن العاصمة، وفي إحدى الليالي تم السطو على منزلنا لسرقة الأموال والذهب، حيث أقدم أحدهم ووضع السكين في بطني وكنت أثناءها حامل، لا تتخيلي الهلع الذي أصابني، هددني من أجل إعطائه ما نملك من أموال وفعلاً أعطيته ما نملك حفاظا على صحتي وصحة زوجي"[2]. وفي هذه الصيغة نستنتج أن ظاهرة التعصب والتمييز العنصري لا تشعر الفرد بانعدام أمنه النفسي فقط بل تؤثر في أمن الدولة واستقرارها، والعكس صحيح فاضطراب الأمن المجتمعي للدولة يؤثر على الأمن النفسي لأفرادها.

كل ما تقدمنا به يشير إلى أن المهاجرين نادرا ما يلقون الترحيب بهم في المجتمعات ذات الدخل المرتفع، وعليهم أن يتحملوا تبعات العنصرية والتفرقة وكل السلوكيات المذلة من المجتمعات المضيفة.

وهذا يفضي بنا إلى القول: بأن ليس كل التوترات وبعض الاضطرابات النفسية ناجمة عن الصدمة الثقافية، بل أحيانا تكون مرتبطة بالمحيط، "التقبل أو الرفض"، الذي يتم تلقيه من قبل السكان.

سادسًا: على المستوى الأسري:

تعيش بعض الأسر اللبنانية في صراع بين العادات الموروثة والتفتح الحضاري وذلك على عدة مستويات تكمن في العلاقات الزوجية:

أشار غالبية أفراد العينة إلى أن البلد المضيف يقوّي موقع المرأة ودورها، فالفوارق القائمة بين الرجال والنساء التي نعيشها في وطننا، والتي قصدوا بها تلك المعتقدات الراسخة في أذهانهم لجهة تفوق الرجل على المرأة ولجهة الحقوق أيضًا، تختلف عنها كليًا في بلاد الغربة. حيث صرحت الغالبية من الرجال عن خوفهم من تمرد زوجاتهم عليهم، لا سيما إذا مارس الزوج عليها عنفًا أو حرمها من بعض حقوقها، لأنه يدرك تمامًا أن القانون يحمي المرأة في تلك البلاد على

(1) مقابلة رقم (17)، ح. ص، مهاجر في إفريقيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/14.

(2) مقابلة رقم (8)، ه. ش، مهاجرة في إفريقيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/8.

عكس دولته. ويؤكد أحدهم هذا الخوف بالقول: "قد تستغل بعض النساء تلك الحقوق وتثير موضوع العنف مثلاً أو أي موضوع آخر تعتقد أنها ستحقق من خلاله انتصارًا على زوجها في حال لم يلب حقوقها، أو في حال قررت الإنفصال عنه"[1]. ويضيف آخرون حول هذا الموضوع بالقول: "كم من حالات الطلاق قد حدثت ضمن العائلات المهاجرة". ويروي أحد المهاجرين قصته بالقول: "إنه وبسبب مشاكلي مع زوجتي عدت ذات يوم إلى المنزل، حاولت فتح الباب لم أنجح بسبب تغيير القفل، إلى أن يتبين لي في النهاية أن المنزل تم بيعه من قبل زوجتي التي أعلنت العصيان علي وطلبت الطلاق"[2]. وآخر يروي لنا قصة صديق له يعيش في أوروبا، يقول: "كان صديقي في خلاف مع زوجته عندما كانا في زيارة إلى لبنان، واضطر بحكم العمل في بلاد المهجر أن يسافر من وطنه على أن تلحق به زوجته وعائلته في الأسابيع التالية، وبفعل الخلاف بينهما، تركت الزوجة وطنها هي وعائلتها في اليوم التالي وعادت إلى البلد المضيف. وعند وصولها إلى المطار استنجدت على الفور بالشرطة، وبدأ الفيلم الذي لم ينته إلى اليوم، كان من نتائجه، خسارة صديقي للكثير من الأموال، وخسارته لصحته النفسية والجسدية. ويضيف أصبحت أخشى الزواج لأن المرأة هنا في أسوأ حالاتها قد تستغل الزوج بحكم أن القانون يوفر لها كل الحقوق ويمنحها كل القوة"[3].

ويحدثنا أحدهم عن مدى شعوره بالذنب تجاه أسرته فيقول: "إنه وبسبب بعدي عن عائلتي مدة سنتين متتاليتين لأسباب مالية قاهرة، تعرضت عائلتي خلالها للكثير من الشقاق نتيجة بعدي عنهم قسرًا، دفعت الثمن في إبني الذي تعرض لمشاكل نفسية قد أكون أنا سببها، حملت زوجتي أكثر من طاقتها إلى أن تعبت ومرضت، عشت في الغربة في وحدة قاتلة، فقدت الكثير من صحتي.. واليوم بعد أن عالجت مشاكلي المالية، تراني لا أفارقهم أكثر من أربعة شهور علني أعوض لهم تلك الأيام التي مضت"[4].

(1) مقابلة رقم (13)، س. ج، مهاجر في فرنسا، تاريخ المقابلة: 2019/9/10.
(2) مقابلة رقم (1)، ز. ق، مهاجر في كندا، تاريخ المقابلة: 2019/9/2.
(3) مقابلة رقم (12)، مهاجر في ألمانيا، ر.ع، تاريخ المقابلة: 2019/9/9.
(4) مقابلة رقم (7)، مهاجر في إفريقيا، ح. ب، تاريخ المقابلة: 2019/9/6.

سابعًا: تقوية موقع المرأة داخل أسرتها في الوطن الأصلي:

حدث ذلك بسبب استقرار الزوج في بلاد المهجر وبقائها الزوجة وأسرتها في الوطن، حيث تقاسم الزوجان الأدوار والمسؤوليات، وتنامى دورها من تدبير المنزل وتنظيم الأسرة إلى اتخاذ قرارات تخص شؤونها وشؤون أسرتها تدريجيًا، بعد أن كان ينظر إليها بأنها وسيلة لإعادة الإنتاج الاجتماعي، وبعد أن كان بينها وبين الزوج المغترب وسيطًا يتمثل بأب الزوج أو أحد أفراد عائلته. إلا أن ذلك لا يفسر في الواقع تحول فعلي وعميق في سلوك وعقلية الرجل ولا باعتراف فعلي للمسؤوليات الجسيمة الملقاة على عاتقها، وانما بالغياب المؤقت للرجل. إنه اقتسام مؤقت، وتتأكد هذه الحقيقة بوضوح أثناء عودة الرجل إلى دياره خلال العطل السنوية. يسرد لي أحد أفراد العينة قصته بالقول: "إنني وبسبب بعدي عن عائلتي غرقت بمشاكل عديدة، ودفعت الثمن. لقد تعودت زوجتي أن تدير شؤون المنزل بعيدًا عن تدخلاتي، وأن تتصرف بحرية في كل شؤون حياتها دون أن يعترضها أحد، وأنه في كل زيارة لي إلى لبنان تنشب المشاكل بيننا وتتجدد في كل مرة أحاول التدخل في شؤون أسرتي، وكأني ليس لي أي منة عليها"[1].. وهذا يشير إلى حالة من الصراع على الأدوار، والصراع على السلطة. هذا بالإضافة إلى العامل الوجداني والعامل الجنسي الذي تلعب الهجرة فيه دورا بالغا. يروي أحدهم قصته بالقول: "لقد سببت الهجرة بيني وبين زوجتي شرخًا كبيرًا، اجتاح كلينا الفتور العاطفي، وكثرت بيننا عوامل الشك والظن والغيرة، الأمر الذي أدى إلى تفاقم المشاكل بيننا، لتزداد الحالة سوءا وتعقيدا، وليكن الطلاق نهاية المطاف"[2].

ثامنًا: تربية الأبناء والانفتاح الحضاري:

يرى بعض المهاجرين أن التربية في بلاد الغربة ليست بالأمر السهل، كما أنها لم تعد في الوطن سهلة أيضًا بفعل التقدم التكنولوجي وانفتاح العالم على بعضه البعض. وقد أشار أحد أفراد العينة خلال معرض حديثه إلى موضوع الحرية الجنسية والمساكنة بقوله: "إنه وبالرغم من أن بعض اللبنانيين وحتى بعض

---

(1) مقابلة رقم (17)، ح. ص، مهاجر في إفريقيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/14.

(2) مقابلة رقم (15)، س. ج، مهاجر في إفريقيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/13.

المسلمين قد لا يعارضون فكرة المساكنة ويعتبرون أنها مسألة حرية شخصية لهم أو لأبنائهم، (وهنا يظهر لنا عامل التثاقف والشعور بالإندماج)، إلا أنني أنا شخصيًا وحتى كثيرون من أصدقائي يرفضون الموضوع مطلقًا لاعتبارات دينية بالدرجة الأولى ولإعتبارات اجتماعية بالدرجة الثانية "[1]. فالموضوع بالنسبة إليهم "تابو" وعار عليهم وعلى أبنائهم. ويخبرني أحدهم قصته مع إبنته بالقول: "قطعت علاقتي مع ابنتي مباشرة بعد أن اتخذت قرار المساكنة مع حبيبها، وشعرت بالعار إزاء هذا الموضوع، كما شعرت بالفشل لعدم قدرتي على توريثها بعض القيم الدينية التي توارثناها في وطننا، وأعتبر أن من ينشئ أبناءه في بلاد المهجر معرض لخسارتهم حتما، هو بلد هدام للأسرة وليس بناء. ويضيف بحسرة قائلاً: "لقد أصبحت عصبيا لا بل عدوانيا إلى درجة تجعلني أفقد توازني وأتصرف من دون وعي "[2].

وبصدد الحرية الجنسية، يخبرني أحدهم قصة ابن صديق له بالقول: "اختلت العلاقة بين صديق وابنه الذي لطالما حلم به عريسا وأبا، ليصدم فيما بعد أنه " " gay أي أن ميوله الجنسية تنحو نحو أبناء جنسه فقط. الأمر الذي أدى إلى معاناة العائلة بأكملها، معاناة نفسية عميقة، نعم لقد أخجلهم الأمر كثيرًا، أبعدهم عن الأصدقاء والمقربين منهم، وأشعرهم بالتقصير في تربيته وصراع دائم داخل الأسرة"[3]. وعن عوامل القلق والخوف على الأبناء يروي أحدهم قصته قائلاً: "لدي توجس دائم على أبنائي رغم توعيتي المستمرة لهم ورغم تزويدهم بمبادئ أخلاقية عالية وتربيتهم على تعاليم الدين الإسلامي، إلا أنني أشعر بالقلق الدائم عليهم"[4]. كما يعبر آخر عن هواجسه تجاه ابنته الصغيرة التي تنتمي إلى أحد مدارس ألمانيا قائلاً: "يفرض النظام المدرسي على ابنتي كما جميع الطلاب في صفها، أن تنام في المدرسة يومًا محددًا من كال اسبوع وما علينا إلا أن نلبي هذا النظام، ما يجعلني أشعر بالقلق الشديد وينتابني بعض الهواجس إزاء هذا الأمر"[5].

(1) مقابلة رقم (4)، م. ر، مهاجر في أميركا، تاريخ المقابلة: 2019/9/4.
(2) مقابلة رقم (2)، ن. ق، مهاجر في كندا، تاريخ المقابلة: 2019/9/2.
(3) مقابلة رقم (18)، ن. ح، مهاجر في لندن، تاريخ المقابلة: 2019/9/14.
(4) مقابلة رقم (4)، م. ر، مهاجر في أميركا، تاريخ المقابلة: 2019/9/4.
(5) مقابلة رقم (10)، ص. ش، مهاجر في ألمانيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/9.

كما يعبر غالبية أفراد العينة عن امتعاظهم من بعض الحقوق القانونية المعطاة لأبنائهم، منها حق الإستقلالية والإنفصال عنهم بالسكن والمعيشة، في عمر محدد، وهذا في نظرهم يخلق مسافة في العلاقة بينهم وبين أبنائهم، ويجعلهم يعيشون في حالة من عدم الرضا. وفي هذا الصدد يصرح أحدهم بالقول: "إنه وبسبب الحقوق التي تمنحها الدولة للأبناء، قررت أنا وزوجتي أن نربي أبناءنا في الوطن ليرتاح ضميرنا ونكسب مستقبلهم. ويضيف قائلاً: "لا أستطيع ان ارى ابنتي تتردد إلى النايت كلوب، ولا أستطيع أن أراها تحمل كأس الخمر متباهية بروح التقدم والانفتاح، حتى لو لم يكن ليحصل ذلك إلا أنني سأبقى خائفا وقلقا عليهم باستمرار، ولأجل أن عيش مرتاح البال، أرسلتهم إلى لبنان"[1].

وعن موضوع الحرية الجنسية تحدثني إحدى الأمهات المقيمات في ايطاليا فتقول: "عندما أكون بصحبة ابنتي خارج المنزل، أقلق عليها جراء ما تراه من مشاهد مخلة بالأخلاق، فالعلاقات المثلية هنا تراها في كل مكان، في الحدائق، في محطات المترو، فعليا أحتار كيف أفسر لها ذلك، أخاف من تعتبر هذا الموضوع لاحقًا أمرًا عاديًا، وتصف ذلك بالشيء المقزز"[2].

ويخبرني أحد كبار السن في العينة قائلاً: "في بلاد الغربة من السهل أن تنحرف وخاصة عندما تكون في طور التفتيش عن عمل وبحاجة إلى المال. فقد تقع فريسة شبكات المخدرات التي تبحث عن استغلال المهاجرين كونهم شباب مراهقين وتجعل من بعض الضعفاء منهم يتورطون في فخ تحقيق حلم سيارة أوما شابه، وقد تسلك طرق ملتوية إذا لم تتمتع بحصانة نفسية وإيمان راسخ"[3].

أما في مسألة زواج الأبناء من غير دينهم فجاءت الإجابات متضاربة بعض الشيء، منهم من يعتبر الموضوع عاديا وطبيعيا ولا يتدخلون في اختيارات ابنائهم للشريك، ومنهم من يرفض تزويج ابنائه من غير دينه بتاتا".

ان اللبنانيين إذا يتخوفون من ثقافة العيش الحر، ويعيشون أنواع عدة من الصراعات مع أسرهم وأبنائهم- صراع الأجيال، صراع الحضارات- كما انهم يتخوفون من القانون الأسري المرتبط بتلك الحرية، يتخوفون على أبنائهم من

(1) مقابلة رقم (16)، ح. ش، مهاجر في أميركا، تاريخ المقابلة، 2019/9/13.
(2) مقابلة رقم (14)، ن. خ، مهاجرة في إيطاليا، تاريخ المقابلة، 2019/9/13.
(3) مقابلة رقم (18)، ن. ح، مهاجر في لندن، تاريخ المقابلة: 2019/9/14.

الحرية الجنسية وما يتبعها من آثار نفسية واجتماعية، على الرغم من أن تلك الحرية أضحت متاحة في وطننا بفعل عملية الإحتكاك الثقافي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، بيننا وبين عوالم أخرى.

تاسعًا: ضعف الشعور بالإنتماء:

ان غياب الاحساس بالإنتماء يؤدي إلى الشعور بالقلق والإنشطار، وهذ ما عبر عنه الأقلية من أفراد العينة بسبب وضعهم غير القانوني في البلد والذي كان لفترة زمنية ليست بالقصيرة، حيث حرمهم هذا الوضع من حقهم في الطبابة وحقهم في العمل بأجر مناسب. يقول أحدهم: "كنت أعمل في أعمال بهدف كسب المال دون أوراق ثبوتية، كنت أعمل بالأسود أي بالسر، كنت أشعر دائمًا بأنني ملاحق ومعرض للمساءلة القانونية. كنت عندما أشاهد رجل البوليس ارتبك وأغيب عن ناظريه"[1]. ان مشاعر الإضطهاد والقلق التي عبر عنها المهاجر تجعله يعيش حالة من الخوف والرعب والقلق الوجودي، والتي معها قد يفقد المهاجر توازنه العقلي، وقد تضعه في دائرة الأمراض النفسية لاحقًا، لا سيما بعد أن لمست قدماه تلك الأرض الحالمة، أرض الخلاص والنجاة. فالهجرة بالنسبة للبعض مشروع انقاذي.

عاشرًا: في الصحة النفسية:

إن كل ما صرح عنه أفراد العينة من مشاعر الوحدة والعزلة الاجتماعية والاغتراب وصعوبات التواصل مع الآخرين، غالبًا ما تدخلهم في حالات من الصراع اليومي: صراع بين الدوافع والرغبات والحاجات المادية والنفسية والتي لا يمكن اشباعها في وقت واحد، وصراع مع الآخرين للاعتراف بهم واثبات وجودهم، مع ما يرافق ذلك من احساس بالإحباط والشعور بالعجز والحرمان، إضافة إلى الشعور بفقدان المعايير الاجتماعية التي تعلموها بين أهلهم، والمعايير الثقافية الإعتيادية التي تربوا عليها، وإذا ما استمرت تلك المشاعر طويلاً، ولم يستطع المهاجر الفكاك منها، فإنه يدخل في حالة اكتئاب تبدو معالمها عليه. وغالبا ما يكون هذا الاكتئاب انفعاليًا ذا أسباب نفسية المنشأ تعود إلى الظروف الصعبة التي يعيشها المهاجر، والقلق الذي يعتريه تجاه أسرته. وقد أشارت نتائج

---

(1) مقابلة رقم (3)، ح. ب، مهاجر في كندا، تاريخ المقابلة: 2019/9/2.

المقابلات، بأن غالبية أفراد العينة يعتريهم شعور بالضيق والعزلة ومشاعر الذنب والقلق الشديدين والأرق مما يجعلهم أكثر هشاشة وأكثر استعدادًا للأمراض النفس- جسدية كالإحساس الدائم بالتعب وآلام في المفاصل والصداع المزمن والألم غير المبرر. وتجدر الإشارة إلى أن أغلب الاضطرابات النفسية التي يعانيها المهاجرون تحدث في مرحلة التأقلم، أي في السنتين الأولى والثانية وربما الثالثة بعد وصولهم إلى أرض المهجر. وإن معظم هذه الاضطرابات والأعراض المرافقة لها، تكون أعراضا طارئة قابلة للشفاء، وهي إلى حد كبير ناتجة عن انعدام العلاقات الوجدانية بالنسبة للزمان والمكان، وغالبًا ما يحدث هذا بعد انقضاء الفترة الحرجة للتأقلم.

* أما في قرار العودة إلى الوطن: فقد أشارت نتائج المقابلات إلى تضارب في الآراء بين من يرغب بالعودة إلى وطنه وبين من لا يرغب بذلك. مثلاً: فئة الشباب عبرت عن عدم رغبتها بالعودة إلى الوطن، لأنها لا تريد أن تخسر مكاسب الهجرة "العمل والإنجاز" الذي ترى فيهما تحقيق الذات، وربما تريد هذه الفئة أن تثبت لنفسها ولمجتمعها أن قرارها صائب وأن اتجاهها في الحياة سليم. وان كانت تخفي معاناة كبيرة. وفئة ثانية تود العودة إلى الوطن ريثما تبلغ سن التقاعد. وفئة ثالثة قلقة بشأن العودة، قلقة بشأن مستقبل أبنائها في الوطن، فهم في حالة من التذبذب في اتخاذ قرار العودة، وتصرح بأنها ستعود إلى الوطن ريثما ينعم بالأمن والإستقرار.

نستنتج مما تقدم أن وجهة نظر المهاجرين من الهجرة هي ما "بين بين"، بين "الإمتنان والتذمر"، حيث يعتبرون من الناحية الاقتصادية بأنهم رابحون، وقد حققوا الهدف الأساسي الذي جاؤوا من أجله عندما اتخذوا قرار الهجرة، وهو تحسين أوضاعهم الاقتصادية وتحقيق مكاسب مالية ورفع مستوى معيشتهم، حيث تملكوا المنازل والمطاعم والشركات والعقارات وغيرها، كما حققت لهم الهجرة الإفادة من الخدمات الصحية والتعليمية وضمنت لهم حقوقهم ومنحتهم مكانة اجتماعية مرموقة. وفي الوقت نفسه يعتبرون أنفسهم خاسرين وذلك يكمن في التكاليف السيكولوجية التي يدفعها المهاجر والتي انعكست على أمنهم النفسي وصحتهم الجسدية، وهي تختلف حدة آثارها من شخص إلى آخر حسب قوة الأنا لديه وقدرتها على تحمل التهديد الخارجي من مثل" الخيبة والرفض ومشاعر الذنب وغيرها من الاحباطات التي واجهتهم في بلاد المهجر. فالهجرة وإن كانت

قد حققت الأهداف المالية إلا أنها لم تحقق أمنهم النفسي ولم تمنحهم الشعور بالتوازن في علاقتهم مع ذواتهم ومع المحيط. وبالتالي فهي وإن وفرت لهم وجبة مجانية وشهية إلا أنها وجبة ثمنها عسر الهضم، تطيح بمكاسب عدة أجيال.

لائحة المقابلات:

1 ـ مقابلة رقم (1)، ز. ق، مهاجر في كندا، تاريخ المقابلة: 2019/9/2.

2 ـ مقابلة رقم (2)، ن. ق، مهاجر في كندا، تاريخ المقابلة: 2019/9/2.

3 ـ مقابلة رقم (3)، ح. ب، مهاجر في كندا، تاريخ المقابلة: 2019/9/2.

4 ـ مقابلة رقم (4)، م. ر، مهاجر في أميركا، تاريخ المقابلة: 2019/9/4.

5 ـ مقابلة رقم (5)، أ. ف، مهاجرة في أميركا، تاريخ المقابلة: 2019/9/5.

6 ـ مقابلة رقم (6)، ل. م، تاريخ المقابلة 2019/9/5.

7 ـ مقابلة رقم (7)، مهاجر في إفريقيا، ح. ب، تاريخ المقابلة: 2019/9/6.

8 ـ مقابلة رقم (8)، ه. ش، مهاجرة في إفريقيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/8.

9 ـ مقابلة رقم (9)، ر. ح، مهاجرة في ألمانيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/9.

10 ـ مقابلة رقم (10)، ص. ش، مهاجر في ألمانيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/9.

11 ـ مقابلة رقم (11)، ح. ح، مهاجرة في ألمانيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/9.

12 ـ مقابلة رقم (12)، مهاجر في ألمانيا، ر.ع، تاريخ المقابلة: 2019/9/9.

13 ـ مقابلة رقم (13)، س. ج، مهاجر في فرنسا، تاريخ المقابلة: 2019/9/10.

14 ـ مقابلة رقم (14)، ن. خ، مهاجرة في إيطاليا، تاريخ المقابلة، 2019/9/13.

15 ـ مقابلة رقم (15)، س. ج، مهاجر في إفريقيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/13.

16 ـ مقابلة رقم (16)، ح. ش، مهاجر في أميركا، تاريخ المقابلة: 2019/9/13.

17 ـ مقابلة رقم (17)، ح. ص، مهاجر في إفريقيا، تاريخ المقابلة: 2019/9/14.

18 ـ مقابلة رقم (18)، ن. ح، مهاجر في لندن، تاريخ المقابلة: 2019/9/14.

لائحة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

1 ـ المنجد في اللغة والإعلام، طبعة 37 طبعة منقحة، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1998، ص18.

2 ـ الكردي، حسن إبراهيم، قراءة سيكولوجية للهجرة غير الشرعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية، 2015، ص19.

3 ـ بعلبكي، منير، قاموس المورد، بيروت، دار العلم للملايين، 1994.

4 ـ زهران، حامد، 1989 الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1989، ص33.

5 ـ العيسوي، عبد الرحمن، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، 1985، الاسكندرية، مصر، ص 193.

6 ـ عبد المطلب، أمين، القريطي، في الصحة النفسية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص121.

7 ـ حجازي، مصطفى، الصحة النفسية، منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2006، ص42.

8 ـ زهران، حامد عبد السلام، دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2002، ص 84.

9 ـ الميليجي، حلمي، علم النفس الاكلينيكي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2000، 142.

المراجع باللغة الأجنبية:

1 - Muller, T, immigration and urban areas: The United states experience, in immigrants, integration and cities, exploring the link, 1998, Paris OECD, P25.

2 - Waters, E Cummings, E, M, A secure base from which to explore close relationship. Journal of child development, vol 71, no: 12000, p169-170.

3 - A.Yahyaoui, Exil et deracinement, therapie familiale des migrants. paris: Dunod, 2010.

4 - M. Breviglieri, de la cohesion de vie du migrant; deplacement migratoire et orientation existentielle, revue Europeenne des migrations internationals, vol26, n2, 2010, p 57-76.

مراجع الانترنت:

1 ـ الهجرة الامم المتحدة، https://www.un.orgmigration.un.org، تاريخ الزيارة 2019/9/15.

2 ـ الصحة النفسية، www.mentalhealth.taifhealth.com تاريخ الزيارة 2019/9/26

3 ـ مفهوم الهجرة في حياة الإنسان، https//www.feedo.netimmigration تاريخ الزيارة: 2019/9/26.

4 ـ نظرية التفاعل الرمزي، .ar.m.wikipidia.org/wiki تاريخ الزيارة 2019/10/6.

5 ـ تسلسل ماسلو الهرمي للإحتياجات، https://ar.m.wikipedia.orgwiki، تاريخ الزيارة 2019/9/20.

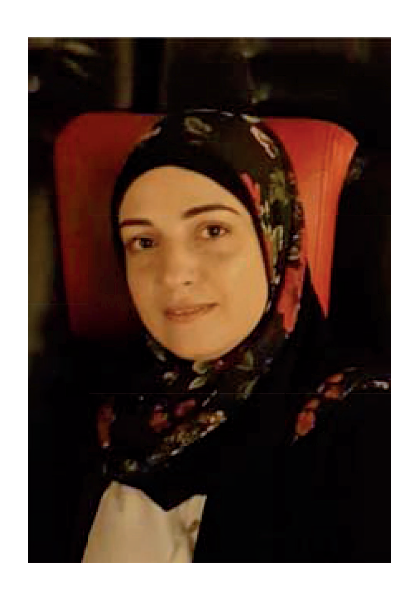
6 ـ علياء الحسين محمد كامل، الإندماج الاجتماعي للجالية السورية، في مدينة 6أوكتوبر بالقاهرة، دراسة ميدانية في الأنتروبولوجيا الاجتماعية، 2017، ص22، نقلاً عن الموقع الإلكتروني bfa.arts.alexu.edu.eg/ docx

7 ـ عبد الفتاح بو خمخم، مفهوم الدافعية في مختلف نظريات السلوك التنظيمي، 2001، ص 146، نقلا عن revue.umc.edu.dz > df. تاريخ الزيارة، 2019/10/6.

هندسة الطاقة الاغترابية

(بين العصور الحديثة والعصر الحالي والمستقبل):

م. جنى حوماني



- مهندسة في الاتصالات والكمبيوتر.
- المديرة التنفيذيّة في جمعيّة روح العمل الاجتماعيّة
- عضو هيئة إداريّة في هيئة تكريم العطاء المميّز
- مدرّبة معتمدة من قبل الأونسكو والاتحاد الاوروبي.
- مدرّبة في مؤسّسة عامل الدوليّة والعديد من المنظمات الدوليّة واللبنانيّة.

المغتربون أبناء هذا الوطن، هم من طحنوا الصخور وحوّلوها ترابًا للزراعة، وهم ابناء من صقلوا الصخر بنيانًا وفنًّا وحضارة.

تُعد الطاقات الاغترابيّة اللبنانيّة نموذجا للتّغيير والتّطوير والابتكار في بلدان العالم أجمع. فإنّ الكثيرين من المغتربين نجحوا في بلدان كانت فيها الأولويّات للطّاقات والإمكانات. والهندسة تلعب الدور الأبرز في تغيير العالم وتغيير لبنان وتحقيق النجاحات. فالهندسة تدخل في جميع ميادين الحياة وتُعدّ منهجاً مُتعدّد التّخصّصات يشمل تعليم التكنولوجيا والاتصالات والعلوم والرّياضيات والميكانيك والكهرباء والطبّ والاقتصاد والبناء والفنون، بالإضافة إلى أن المهندسين هم الذين يقومون بدور أساسي في إتاحة الاستخدامات العمليّة للاكتشافات العلميّة والابتكارات التي تعزّز الإنسان، وتّعرّف بأنّها احدى المهن المتخصّصة لتصميم وبناء وتشغيل الهياكل والآلات والأجهزة الأخرى من الصناعة والحياة اليوميّة بالإضافة إلى التطبيقات التي غيّرت حياة الملايين.

تولّى المغتربون اللبنانيون مراكز اكاديميّة مرموقة في اختصاص الهندسة، فنجد عشرات اللبنانيين من بينهم رؤساء جامعات مرموقة في العالم وعمداء كلّيات، حتّى أنّ نائب رئيس دائرة أكبر شركات الهندسة في العالم (س.س.س)، هو من أصل لبناني. ومصمّم أغلى سيّارة والتي بلغ ثمنها (3,4) بلايين دولار، كذلك هو من أصل لبناني.

(W Motors) ومن طوّر الإنشاءات والهندسة في شركة والكثير غيرهم هم من أصول لبنانية.

برز في العصور الحديثة مرورًا بالحربين العالميّتين المهندس والعالم والمخترع اللبناني الجنوبي من مدينة النبطية "حسن كامل الصباح" الذي نُسبت إليه عشرات الاختراعات التي سجلت في 13 دولة منها: الولايات المتحدة الأمريكية،

وبلجيكا، وكندا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وأستراليا، والهند، واليابان، وإسبانيا، واتحاد دول إفريقيا الجنوبية، بالإضافة إلى العديد من النظريات الرياضية في مجال الهندسة الكهربائية، الأمر الذي أكسبه لقب "أديسون الشرق" وكان يعمل في البالونات واغترب في أمريكا لدراسة الهندسة الكهربائية.

ظهر اهتمامه في الرياضيات والهندسة وهو في الابتدائية، وقد ذكرت والدته قصة أول اختراعات الطفولة لحسن إذ طلب منها بضعة نقود وذهب لشراء بعض الحاجات ودخل للعمل في حجرته وعند خروجه كان قد أطلق في الحي بالون ورقي يطير بواسطة الغاز. انتقل الصباح من المدرسة الابتدائية في النبطية إلى الاعدادية في بيروت، ثم دخل الكلية الإنجيلية السورية وهي الجامعة الأمريكية حاليًا وفي الكلية ذهب للاطلاع على علم الفلك في مقابل دراسته للفيزياء في عام 1916 دخل في صفوف الخدمة العسكرية الإجبارية للجيش العثماني فالتحق بقسم اللاسلكي واختلط بالمهندسين الألمان وتعلم منهم الألمانية وتابع ابحاثه في الكهرباء وتمت ترقيته إلى مرتبة ملازم أول.

وبعد انتهاء الحرب غادر إلى دمشق حيث سكن هنالك فترة ثم عاد إلى بيروت وعمل مدرسًا ثم هاجر إلى بوسطن للانتساب بالجامعة هناك بسبب سوء وضعه المالي ترك الدراسة الجامعية وعمل كمهندس عام 1921 في شركة جنرال الكتريك رغم عدم حصوله على شهادة الهندسة.

التحق بسرية التلغراف اللاسلكي عام 1916 ثم عمل مدرسًا للرياضيات في دمشق عام 1918. اطّلع على نظريات العلماء في مجال الذرة والنسبية، وكتب حولها المقالات فشرح موضوع الزمان النسبي والمكان النسبي والأبعاد الزمانية والمكانية والكتلة والطاقة. عام 1921 غادر دمشق وعاد إلى الجامعة الأمريكية مرة أخرى لتدريس الرياضيات. وعام 1927 توجه إلى أمريكا حيث التحق بشركة الكهرباء العامة في ولاية نيويورك والتي كانت تعتبر أعظم شركات الكهرباء في العالم. وهناك تفتقت قريحته على العديد من الاختراعات فما كان من رؤسائه في العمل إلا أن خصصوا له مختبرًا ومكتبًا وعينوا عددًا من المهندسين الذين يعملون تحت إدارته. عام 1928 اخترع جهازًا للتلفزة يستخدم تأثير انعكاس الإلكترونيات من فيلم مشع رقيق في أنبوب الأشعة المهبطية الكاثودية، وهو جهاز إلكتروني يمكن من سماع الصوت في الراديو والتلفاز ورؤية صاحبه في آن واحد. كما

اخترع جهازًا لنقل الصورة عام 1930، ويستخدم اليوم في التصوير الكهروضوئي، وهو الأساس الذي ترتكز عليه السينما الحديثة، وخاصة السينما سكوب بالإضافة إلى التلفاز. وفي العام نفسه اخترع جهازًا لتحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية مستمرة، وقد عرض الصباح اختراعه هذا على الملك فيصل الأول ملك العراق ليتبناه، ولكنه مات ثم عرضه على الملك عبد العزيز بن سعود لاستخدامه في صحراء الربع الخالي، ولكن الصباح مات بعد فترة وجيزة. تم تكريمه حيث كان العربي الوحيد الذي حاز لقب فتى العلم الكهربائي من معهد المهندسين الكهربائيين الأمريكيين.

بلغ مجموع ما سُجل للصبّاح من اختراعات في مجال إلكترونيّات القُدرة 26 اختراعا، منفردًا وتسع اختراعات أنجزها بالتشارك مع بعض زملائه المهندسين الكهربائيين.

توفي في 31 اذار 1935 عن عمر 41 عامًا في حادث سيارة دارت حوله بعض الشكوك حيث عجز الأطباء عن تحديد سبب الوفاة خاصة وأن الصباح وجد على مقعد السيارة دون أن يصاب بأية جروح مما يرجح وجود شبهة جنائية. ونقلت جثته من أمريكا ليدفن في مسقط رأسه في مدينة النبطية.

أما في التاريخ المعاصر فبرز الكثير من المهندسين المغتربين الجنوبيين نذكر منهم المهندس الدكتور "حسّان بيطار" من مدينة النبطية.

ولد الدكتور المهندس حسّان بيطار في مدينة النبطية جنوب لبنان تاريخ 28 آب 1949. عرف بذكائه الحاد وتفوقه المميّز منذ صغره وسنواته الدراسيّة الأولى في مدرسة الراهبات الانطونيات، إذ حاز منها على شهادة السرتفيكا قبل أن يتم التاسعة من عمره. وحصل على شهادة البكالوريا قسم الرياضيات في التاسعة من عمره من مدرسة الـ -أي سي- في بيروت International College

انتقل بعدها إلى فرنسا لمتابعة دراسته في علوم الفيزياء والكيمياء وتخرّج من جامعة مارسيليا في هندسة البتروكيماويات سنة 1973. ثم حاز على شهادة دكتوراه دولة سنة 1978.

كان دائمًا مثار الاهتمام بتفوّقه حيث تمّ تعيينه من جانب الدولة الفرنسية لتأسيس أوّل جامعة علمية في مراكش كمحاضر في العلوم الفيزيائية والكيميائيّة لمدة 16 سنة.

بعدها عاد إلى منصبه في جامعة سان جيروم، faculte des science ، _ Saint Jerome, Aix _ Marseille

في مارسيليا حيث تفوق في الأبحاث العلمية وإنشاء النشاطات المبدعة من نوعها في مجال العلوم والجيولوجيا.

تميّز الدكتور حسان أيضًا في إنشاء النشاط الذي عرض في سوق العلوم، عندما عين كمسؤول أول في هذا المجال. كان أول من Souk des sciences

افتتح ونشر مشروع العلوم الكيميائية وتطبيقاتها العلمية في المعاهد والأسواق المرجوة للعلوم.

على هذا أثر هذا النجاح حاز على Diderot من، 2005 مكافئة لأعماله سنة جائزة جامعة العلوم في مارسيليا.

قام الدكتور حسان بعدّة حملات دراسيّة في جنوب فرنسا وتخرّج على يديه عدد كبير من الجامعيين من طلاب وطالبات من مختلف الجنسيات.

اشتهر المهندس حسان صفا بشفافية كبيرة وإخلاص في مهمّته العلميّة، وتميّز بأفكاره الجديدة، وحبّه لنشر العلوم في مجال العطور والألوان. برز أيضًا في عالم التصوير للطبيعة والأزهار حيث كان له عدّة معارض في التصوير في هذا المجال.

لقد أخذ بيد الصغير والكبير إلى عالم العلوم التطبيقيّة مما جعل اسمه على كل شفة ولسان وحاز على تقدير واحترام كل من عمل معه طوال هذه السنين.

تـوّجـت أعـمـالـه بإحـرازه وسـام Chevalier dans la'Ordre de Palmes Academiques عام 2009 من وزارة التعليم الفرنسية لما بذله من جهود بنّائة وقيّمة في سيرته العلميّة في جامعة مارسيليا الفرنسية.

أُحيل إلى التقاعد في عام 2012 ولكنه توقّف عن عمله في عام 2014، وبدأ يحضّر برنامجه للتقاعد، ولكن الزمن لم يمهله حيث وافته المنيّة في 26 كانون الأول 2014 وهو في قمّة عطائه، ودفن في مسقط رأسه في مدينة النبطيّة، تاركا خميرة من الذكريات الثمينة والإنجازات العلمية الكبيرة والمبدعة في أكثر من مجال، يذكره فيها كل من عاشره وزمالة وصداقة، وبصماته ستبقى خالدة في الجامعة الفرنسية التي عرفت كيف تقدّره وتميزه.

وأخيرا عن مستقبل مهندسي اليوم يبقي السّؤال برسم المسؤولين، صبّاح لبنانيّ

ولا كهرباء في لبنان! أين هي جهود النقابات لإعلاء شأن المهندس اللبناني والمساهمة في إعداد المشاريع الآيلة لتطوير المهنة، ومواكبة أحدث التقنيات في عالم الهندسة؟!

المحور الخامس

الاغتراب والتعليم والإعلام

الجلسة الثانية تحت عنوان: "الهجرة والتعليم والإعلام، فمذ وطأت قدم أول مغترب لبناني في أواسط ثمانينات القرن التاسع عشر في العالم الجديد، أميركا، كُتب أول سطر في ملحمة الهجرة والاغتراب، تلك الهجرة التي شقت طريقها بإصرار وومعاناة وعناد. فلم تكن طريقها مفروشة بالورود والرياحين. لكن أولئك المغامرين الافذاذ في النواحي الاربع من الأرض صمدوا رغم الغربة والشقاء والعمل المضني والأمراض والآلام، فأسسوا المدارس والمؤسسات التعليمية والصحافية، وحافظوا على نسخ لغة الضاد. فشرفت بهم هذه اللغة المميزة بالابداع والخيال والجمال... وما كان ذلك ليحصل لولا تأثير الإعلام الاغترابي وتواصله مع الوطن.

صحيح أن الإعلام الرسمي عندنا في لبنان مقصّر اتجاه هذه المجاميع الاغترابية، لكن الإعلام الاغترابي سدّ هذه الثغرة في حالات كثيرة.

ولاشك أن المغتربين يشكلون خط الدفاع الخلفي للقضايا، لذلك فهم يستحقون الثناء.

تنطلق هذه الجلسة مع الأستاذ الدكتور علي حجازي المدير السابق لكلية الآداب والعلوم الإنسانية في صيدا، علاوة على أنه ناقد وكاتب وباحث في القصة والرواية مع الأدب الشعبي وأدب المقاومة. وقد ترجمت أعماله إلى الصينية والفرنسية والفارسية، زد على ذلك أنه أستاذ مشرف على الدراسات العليا، وله مؤلفات عديدة، وشارك في مؤتمرات داخل لبنان وخارجه.

رئيس الجلسة: المدير السابق لكلية الآداب والعلوم الإنسانية الفرع الخامس: أ.د. علي حجازي.

الهجرة والتعليم والإعلام:

أ.د. علي حجازي



- مدير كليّة الآداب والعلوم الإنسانية ـ الفرع الخامس، سابقًا.
- أعدّ أطروحتي دكتوراة.
- ناقد وكاتب وباحث في القصّة والرواية مع الأدب الشعبي وأدب المقاومة، وأدب الأطفال.
- كتب القصة القصيرة للكبار وللأطفال.
- تُرجِمَت أعماله إلى الصّينيّة والفرنسية والفارسيّة.
- عضو اللجنتين العلميتين (الماستر والدكتوراة) في الجامعة اللبنانية سابقًا، وأستاذ مشرف على الأطروحات والرسائل الجامعية في الجامعة اللبنانية وغيرها...

بدايةً، تسعدنا المشاركة في هذا المؤتمر الهادف إلى دعم أهلنا المغتربين، كما يُسعدُ المشاركين الآن في هذه الندوة المعقودة لمعالجة مسألتين مهمتين من مسائل الاغتراب اللبناني، هما: التعليم والإعلام، وحبذا لو سبقت كلمة الإعلام، لأنَّ المهاجرين الأوائل، وحتى الأمس القريب، لم يجدوا إعلامًا ينقل مكابدتاهم في الأوطان الثانية التي حلوا فيها، والتي أضحت أولى، بالنسبة إليهم. بعدما انصهروا في مجتمعاتهم الجديدة، وخلفوا الأبناء والبنات الذين صار يطلق عليهم تسمية "المتجذّرون من أصل لبناني" سوى الأدباء ومجلتين تصدران فصليًّا.

وأؤكد، هنا، إهمال الإعلام في تغطية هذه القضية لأنها تفصل بين المغتربين والوطن، فالإذاعة اللبنانية الرسمية كانت حتى الأمس القريب لا تغطي حدود الوطن (كما يقول الدكتور جورج صدقة) والتلفاز الرسميُّ، حتى اليوم، تسبقه بعض القنوات في التغطية والإرسال، مع الأسف الشديد. أما التعليم فلم يتأت للمغتربين ألا بعد ازدياد أعداد الأبناء المهاجرين، وبعد الإحساس بالحاجة إليه، وهذا الأمر يستلزم عناية الحكومة، ولما فقدوها، قام الأبناء المهاجرون بسدّ هذه الثغرة معتمدين على أنفسهم، وعلى دعم من مؤسسات دينيّة تابعين لها، فأقاموا المدارس في بلاد الاغتراب، وأضرب مثالاً هنا، أهلنا في البارغواي، والذين ازداد عددهم كثيرًا، قرابة مئتين وخمسين عائلة من بلدتنا قبريخا وحدها، أنشأوا مدرسة، وتم تكليف الأستاذ الجامعي الدكتور محمد الشحيمي، مرسلا من قبل المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، بموافقة من رئاسة الجامعة اللبنانية. وفي بريطانيا، كما في إفريقيا وأستراليا، أقيمت المدارس، غير أنَّ السؤال يبقى: هل أدّت هذه المدارس المطلوب منها؟ أترك الإجابة عن هذا السؤال إلى الصديق الحبيب الدكتور سلطان ناصر الدين الذي تولّى إعداد بحث في هذا الموضوع.

بالعودة إلى الإعلام، والمهتمين بالهجرة ومآسيها مع نجاحاتها، أذكر أنَّ

الهجرة فعل حياة، تمارسه الطيور والأسماك والحيوانات، والبشر. فآدم وحواء كانا المهاجرين الأولين من الجنة إلى أرض الله الواسعة، ثم استمرت الهجرة قوية في العصر الجاهلي، وعبّر عنها الشعراء الجاهليون أجمل تعبير، ناقلين إلينا عذاباتهم مع القهر الذي تذوقوه على امتداد زمنهم، ونسوق هنا، ما قاله الشاعر أمرؤ القيس:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها   لما نسجتها من جنوب وشمأل

تستمر الهجرات، فيواكبها الأدباء، من شعراء وقصاصين وروائيين وفنانين تشكيليّين فضلاً عن الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع. فهيغل الذي عني بظاهرة الاغتراب عنايةً مركزةً، معتبرًا الإنسان مغتربا بالضرورة، وأن تاريخ الإنسان هو تاريخ اغترابه، كما عالج جان بول سارتر المسألة في "الغثيان" وألبير كامو في "الغريب" ونجيب محفوظ في رائعته "السمان والخريف" وحيدر حيدر، في هجرة السنونو، ومظفر النواب في قصيدته الرائعة التي يُطلق مع كلماتها صرخةً حيث يقول:

ولكن سبحانك، حتى الطير لها أوطان
وتعود إليها
وأنا لا زلت أطير أطير
فهذا الوطن الممتد من البحر إلى البحر، سجون متلاصقة
سجّان يمسك سجان

كم يكون إحساس المرء بالتمزق عظيمًا وهو يقرأ رائعة الشاعر فؤاد سليمان، "مغاور الزمرد والياقوت"

ردّهم يا بحر
ردّهم من هذه الغربة الطويلة المريرة
ردهم من مجاهل الغابات، فقد يبست جلودهم من وهج الحر ووخز البرد
وتفسّخت أرجلهم من المشي في الليل والنهار
ردّهم يا بحر

ولما أصغى البحر، أرغى وأزبد، فردّهم لنا أشلاء بعد احتضان طويل في مياه الأوزاعي وكوتونو، وبعدما أقامت الأسماك وحيتان المحيطات وجباتها الدسمة

فأُعيدت إلينا عظامهم التي أضناها الهجر وطول الانتظار.

وبعد ما تحملوا الإهانات، ولقبوا أبشع الألقاب: تركو. أكلة الحشيش. كلّو بعشرين.

وعندما تقرأ قصة "الغاوشو" لسعيد تقي الدين، ترى قاطع طرق الغابات هناك أرحم غاوشو بنك أنترا وغيره، حيث سُلبت أموالهم، واختُلِسَ عرق جباههم النازف في مناجم الفحم وفي الغابات.

ونحسّ التمزّق ونحن نقرأ رواية ناصر الظفيري الذي هاجر إلى كندا بغية الحصول على جنسيّتها، مكرّسًا قضية "البدون" التي حملها على عاتقه في العديد من أعماله: ثلاثية الهجر.

وعندما تقرأ موسوعة شعراء المهجر للشاعر الحبيب الصديق الدكتور حسن جعفر نور الدين، تعلم مقدار الوهج الذي أبدعه هؤلاء، والحنين إلى الديار والأحبة في الوطن.

أما "الماسة السوداء" للأديب المغترب بسمة، و"مواويل الغربة" للطيفة الحاج قديح والعديد من قصائد الشعراء والمقيمين والمغتربين، فتكشف ما تتعرض له العائلات المهاجرة من تشظٍ.

واسمحوا لي أن أورد هنا: أنني أدليت بدلوي في محبرة الآلام هذه، عندما كتبت قصة "الوداع المر"، حين مزقت ابنة أخي قميص والدها في المطار، وهو في طريقه إلى البارغواي، تبغي سدَّ طريق السفر عليه، ولا أستطيع أن أصف لكم الآن حالي يوم استقبلنا جثمان أخي الذي مات هناك، وتوالت الجنازات شبانًا وشابات. لا يسعني هنا رصد المآسي كلها من كوارث الطائرات إلى عمليات اختطاف المهاجرين، مسافرين وعائدين.

وأتذكر في هذا المقام الحزين، أنّ الباحثين عن الآثار وجدوا بالقرب من بعض الهياكل العظيمة زجاجات، سمّوا الواحدة منها "البكائيّة" وعلمت أن أهل المتوفى كانوا يجمعون دموعهم التي ذرفوها حزنًا عليه في هذه البكائيات، ليعلم بعد عودته إلى الحياة الدنيا مقدار الحبّ واللوعة والأسى حزنًا عليه، والسؤال:

كم من بكائيةٍ يلزمنا لحفظ دموع الأهل، مقيمين ومغتربين. وكم نذرف من دموع، ونشعر باللوعة، عندما نعلم أنّ العقول العربية المهاجرة وصلت إلى 12٪

أي ما يقدّر ب خمسة وثلاثين مليون إنسان، ومن بين هذه العقول العلماء والشعراء والقصاصون والروائيون والفنانون، وغيرهم الكثير.

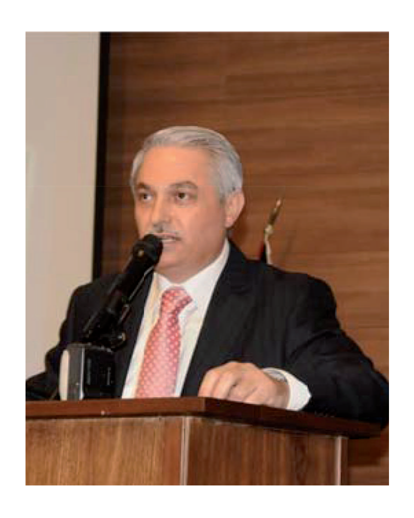
أمّا في لبنان، فبلغت الهجرة الخط الأحمر. خمس وستون ألفًا يهاجرون سنويًا، يُشكّل الشبان نسبة ثمانين بالمائة. سبعون بالمائة منهم في قطاع التكنولوجيا والاتصالات. هجرة الأدمغة هذه باتت تهدّد بإفراغ لبنان من عنصر الشباب. وهي تستنزف المجتمع. والجامعيون أوّل ضحاياها. "يُولد ثمانية الأف، ويهاجر سته عشر ألفًا. لبنان سيفرغ من سكانه خلال ثلاثين عامًا، لبنان في قطر، أم لبنان في خطر"، فمن يقرع ناقوس الخطر، هذا ما يقوله الدكتور جهاد عقل في تجربته المُرة في وزارة المغتربين التي لم تدم الفرحة بإنشائها طويلاً. فمن الثاني من نيسان 1993 إلى الخامس والعشرين من آب 1999 ـ حيث أعيد دمجها في وزارة الخارجية.

إذًا، شكل الأدباء وبعض المجلات مع المؤتمرات التي عقدت على حبّ المغتربين الدعامة الأساس لإظهار معاناتهم، والتعبير عن نجاحاتهم ومكابداتهم المرّة، وهم الذين سبقتهم أحلامهم إلى البعيد البعيد، فانتشروا كالطيب، غادروا مدفوعين بوهج النيران العديدة التي أشعلتها الحروب والاحتلالاتُ، من الأتراك إلى الفرنسيين فالصهاينة، ولأنهم كانوا يصارعون بين بقاء ذليل هنا، وهجرة قاسية إلى هناك وهنالك، فقد انساقوا إلى الهجرةِ لعلّ كرامتهم تكون موفورة هناك، فأبدعوا في الميادين كافة، ثقافية واجتماعية ورياضيّة. طبيه وبيئية مع إنجازات اقتصادية وفرت للمقيمين قرابة خمسة مليارات دولار سنويًّا.

وأخيرًا أقول: إن أجدادنا وآباءنا وأبناءنا المغتربين يستحقون منّا هذه الإضاءة على إنجازاتهم الاغترابية، وعليه، فإنني أحيي هيئة تكريم العطاء المميز، والمجلس القاريّ الإفريقي على الاهتمام بالمغتربين، وعقد هذا المؤتمر نصرةً إعلاميةً بحثية لهم، كما أشكر الأصدقاء والصديقات المعدين والمشاركين في هذا المؤتمر عامةً، وفي هذه الندوة خاصةً. لما بذلوه من جهد بحثي مشكور، وإلى المريد من التضامن مع أهلنا المغتربين تكريمًا لهم.

إعلام الاغتراب (التواصل مع الوطن):

الإعلامي أ. هيثم زعيتر



- سكرتير عام التحرير في جريدة اللواء.
- كاتب ومحلل سياسي.
- له مؤلفات ودراسات وأبحاث تتناول قضايا اجتماعية وقضايا نضالية في مواجهة العدو الصهيوني.

من لبنان إلى العالمِ حكايةٌ سطّرَهَا شُبّانٌ وشابّاتٌ، بعضُهُمْ لَمَعَتْ أسماؤهُم في ميادِينِ العلمِ والإبدَاعِ، وآخرونَ تألّقوا في ساحاتِ العمل.

... بين العلمِ والعَمَلِ وَطَنٌ خَسِرَ طاقاتٍ كانت لتَكُونَ لَهُ نُوَاةً وضّاءَةً في اكتساحِ المراتِبِ الأولى حول العالم. إنّهَا الهِجْرَةُ... استأصَلَتْ أبناءً من أحضَانِ أمّهَاتِهِم، فترعْرَعُوا في غُربةٍ أنهكَتْ أثقالَها سنواتُ العُمر...

إذا كَانَ المُتَدَاوَلُ لُبنانيًا، بأنَّ لبنانَ يعيشُ بجنَاحَيْهِ، المُسلِمِ والمسيحِيِّ، فذلكَ صحيحٌ، لكنَّ هذا التعايُشَ لا يقتَصِرُ فقط على لبنان، بل في الكَثيرِ من البُلدَانِ مُكوِّنَاتٍ إسلاميّةٍ ومسيحيّةٍ، من طوائِفَ ومذاهِبَ مُتعدِّدَةٍ، ورُبّما أكثر من عَدَدِ سُكّانِ لبنان، وفي ما يلي بعضٌ مِنَ الأمثلةِ:

ـ مِصرُ، المُصنَّفَةُ دولةً إسلاميّةً، يفوق عَدَدُ المسيحيينَ فيها أضعَافَ الموجودينَ في لبنان.

ـ فرنسا - العِلمانيةُ، عَدَدُ المُسلمينِ فيها أكثر مِمّا هو عليهِ في لبنان.

وعليه، فإنَّ النعرَةَ أو النزعَةَ الطائفيَّةَ التي "يُدَقُّ ناقوسُها" عِندَ كُلِّ استحقاقٍ يَقِفُ أمامَهُ لبنانُ في غربَلَةِ أبنائِهِ بين مُسلمين ومسيحيين، يجبُ اقتلاعَهَا، بأنْ يُتَّخَذَ القرارُ بعُبورِ الطوائِفِ، وتَرْكِ البعضِ لرِهَاناتِهِم الخاطِئَةِ، من أَجْلِ سُمُوِّ الوَطَنِ الوَاحِدِ، الذي تَحْمِلُ فيه مصيرًا واحدًا، وهمًّا واحدًا، وضرورةَ الانطلاقِ من نقاطِ التلاقي، التي تفوقُ أوجُهِ الاختلافِ، وترتقي الأَنْفُسُ عن مُحاوَلَةِ إلغاءِ الآخَرِ، بعدما ثَبَتَ فَشَلُ مُعادلاتِ الإلغاءِ مرّاتٍ ومرّات.

في الاغتِرَابِ تجسَّدَ نَموذَجُ الوِحْدَةِ بين اللبنانيين، لذلك فإنَّ الأصحَّ أنَّ لبنانَ يعيشُ بجناحَيْهِ المُقيمِ والمُغترِبِ، حيثُ يتحمّلُ الأهلُ أَلَمَ الفُرَاقِ والبُعْدِ، ويَتَحمَّلُ المُغتَرِبون لهْفَةَ الشَوْقِ والحنين، ولَهيبِ الشمسِ وصَقيعِ البرد.

ولا يتوقَّفُ الأمرُ على ذَلِكَ، بل يدفَعونَ الضريبَةَ بالنفسِ، ضحايا الإجرامِ والمُؤامَرَاتِ، وليست مكائِدُ العَدُوِّ الإسرائيلي ببعيدَةٍ عن ذلك، فيسقُطونَ "شُهدَاءَ الاغتراب".

بين أَلِفِ البدَايَةِ وياءِ مجهولَةُ النِهَايَةِ، سُطُورٌ خطَّتْهَا سواعِدٌ تحمَّلَتْ من الشقَاءِ والعَنَاءِ ولوعَةَ الفِرْقَةِ والحَنينِ مئاتَ الفُصولِ الزَاهِرَةِ والعَابِقَةِ بنجاحٍ يتلوهُ آخر، بِدءًا من ميادينِ العلمِ، فالاقتصاد، تليهما السياسةُ والرياضَةُ، فالفَنُّ وغيرها...

لكنَّ، لم ينقطعْ أبناءُ الوَطَنِ الوَاحِدِ يومًا عن بعضِهِم، فبُعْدُ المَسَافَاتِ لم يقفْ حائِلاً دونَ تقارُبِهِم من بعضِهِم البعض، فمَفْهُومُ الوَطَنِ الذي يُعبِّر عن البِقعَةِ الجُغرافِيَّةِ التي وُلِدَ فيها الإنسان وترعرَعَ واستقرَّ على بِساطها، تنْسَجِمُ وتلتقي مع مفاهِيم أُخرى، كالهوِيَّةِ الوطنِيّةِ التي تعكِسُ الانتماءَ إلى الوَطَنِ أو مفهومَ المُوَاطَنَةِ التي تُعبِّرُ عن الصِلَةِ التي تربِطُ الفَرْدَ بالدَوْلَةِ، حيثُ تتركَّزُ حقوقَهُ كما مسؤوليَّاتِهِ. أمَّا مفهومُ الانتماءِ، فهُوَ يَعْكِسُ الاحتياجاتِ التي تُشعِرُ الفَرْدَ بأنَّهُ مُرتَبِطٌ بأرضِهِ وبأبناءِ وَطَنِهِ.

وقد لَعِبَ الإعلامُ دورًا فعّالاً في حِفْظِ الهويّةِ وترسيخِهَا وتناقُلِهَا من جيلٍ إلى آخَر، فكانت مُخرَجَاتُ الإعلامِ دائمًا في خِدْمَةِ الهويّةِ وتقويَتِهَا وصَوْنِهَا، فلا يبقى من مجالٍ للمُسَاوَمَةِ عليها.

وإذا كانَ إدرَاكُ فوائِدِ الاغترابِ بَدَأَ باكِرًا، إلا أنَه مُنذُ بدايَةِ عَمَلِنَا الصُحُفِي قَبْلَ أكثر من ثَلاثَةِ عُقُودٍ ونيِّف، أولَيْنا الإعلامَ الاغترابِيَّ الأهميّة، وخصَّصْنَا في جَرِيدَةِ "اللواءِ" مُلحَقًا حَمَلَ إسم "لواءُ المُغتَرِبِ"، كذلِكَ أَفْرَدْنَا في "لِوَاءِ صيدا والجنوب"، مَسَاحَاتٍ شَاسِعَةٍ لِكُلِّ ما يتعلّقُ بالاغترابِ، حيثُ كانَ محطَّةً أسبوعيّةً يَنْتَظِرُهَا المُغتَرِبونَ بلهفَةٍ وشوقٍ للاطِلاعِ على أَخْبَارِ الأَهْلِ والوَطَنِ، كما أَخْبَارِهِم، قبل تطوُّرِ وسائِلِ الاتصالِ والتكنولوجيا والإعلام.

وهُنَا لا يُمْكِنُ لأحدٍ نُكرَانَ دور صحافَةِ الانتشارِ، التي استطاعَتْ أنْ تُحَافِظَ على الهويّةِ اللبنانيَّةِ واللُّغَةِ العربيّةِ، فقد أَوْلَتْ اهتمامًا بقضايا اللبنانيين المُغتربين، وعَرَضَتْ لإبداعَاتِهِم ومُعَانَاتِهِم، وتصدَّتْ للظُلمِ الذي لَحِقَ بالبعضِ منهُم، وحثَّتْ المُغتربين على زيارَةِ وَطَنِهِمْ الأُم، والتعرُّفِ على الجذورِ، كما بَقِيتْ تُضيء على ما يَجْري في لبنان وتتفاعَلُ مَعَهُ.

نُوَاجِهُ اليَوْمَ العَوْلَمَةِ التي أَرْخَتْ بِظِلالِهَا على العَالَم، وبالتالي فإنَّ دُوَلاً وشُعوبًا تُعاني من أزمَةِ هويّةٍ، في ظِلِّ عَالَم يَسودُهُ الصِرَاعُ على الصُورَةِ والرَأيِ العام، بحيث تعرَّضَتْ وتتعرَّضُ فيهِ الثقافَاتُ الوطنيّةُ والمحليّةُ، وخصوصيَّاتِ الأُمَم والشُعوبِ، إلى اختراقاتٍ ومُضايَقَاتٍ وتشويهٍ وتنميطٍ من قِبَلِ الصِناعاتِ الثقافيَةِ والإعلاميّةِ العالميّة.

يُشكِّلُ الإعلامُ أداةً استراتيجيّةً لِحمَايَةِ الهويَّةِ الوطنيّةِ والتعبيرِ عنها، فهُوَ مُطَالَبٌ بالتَفَاعُلِ الإيجابِيِّ مع كُلِّ ما هُوَ محليٌّ وأصيل، ومع مُشكِلاتِ وهُموم الشارِعِ بِكُلِّ موضوعيّةٍ والتزام ومسؤوليَّةٍ وحُريّة، كما أنّهُ مسؤولٌ عن حمايَةِ المُواطِنِ من خِلال توعيَتِهِ دينيًا وثقافيًّا وتاريخيًا واجتماعيًّا وقِيَمِيًّا وأخلاقيًّا.

الرِسَالَةُ الإعلاميّةُ هي التي تُقدِّمُنَا للآخَرِ، وهي التي تتواصَلُ وتتحَاوَرُ مع الآخَرِ وتُقدِّمُهُ لَنَا. من هنا فقد تمَّ تقسيمُ البحثِ إلى فصلينِ:

- **الأوّل:** نتناولُ فيه الهويّةَ الوطنيّةَ والإعلامَ لِمَا للأخِيرِ من دورٍ في صِنَاعَةِ الهويّةِ والتعبيرِ عنها.
- **الثاني:** نتناوَلُ فيه نماذِجَ لُبنانيّةٍ سَطَعَ اسمُها في ميادينِ العلمِ والعَمَلِ كافّة، فغَدَتْ أُنموذجًا في التفوُّقِ والنَجَاحِ.

* الفصل الأوّل: الهويَّةُ الوطنيَّةُ والإعلامُ

من غيرِ الطبيعيِّ الحديثِ عن الإعلامِ والاغترابِ من دونِ الدُخولِ في صِلْبِ الهويّةِ الوطنيّةِ، الذي يُشكّل إشكاليّةً مُهمَّةً وحسَّاسَةً، فالأمرُ يتعلَّقُ بموضوعٍ استراتيجيٍّ يَهِمُّ كيَانَ الأُمَّةِ ووُجودِهَا وتاريخِها وحاضِرِهَا ومُستقبَلِهَا.

ومن جِهَةٍ أُخرى، فإنَّ الإعلامَ ودونِ مُنازِعٍ، هُوَ الآليَّةُ الأكثَرُ تأثيرًا وقوّةً في صِنَاعَةِ الهويَّةِ والتعبيرِ عنها، وعن مَعَالِمِهَا وصيانَتِهَا ونَشْرِهَا وبَعْثِهَا والدِفَاعِ عنها.

فالحِفَاظُ على الهويَّةِ يتطلَّبُ استراتيجيّةً واضِحَةَ المَعَالِمِ، لِنَقْلِ التُرَاثِ التاريخِيِّ والحضارِيِّ والقِيَمِيِّ للأُمَّةِ، في صِيَغٍ وقَوَالِبِ تتماشَى مع المُجتَمَعِ الرَقْمِيِّ الذي نَعيشُ فيه، والتطوُّرَاتِ العلميَّةِ والتكنولوجِيَّةِ التي يشهدها المُجتمع.

إنّ المَنْظُومَةَ الإعلاميَةَ هي قُوَّةٌ فَاعِلَةٌ ومُؤَثِّرَةٌ في التعبيرِ عن الهويَّةِ وتحديدِ ملامِحِهَا وتفاعُلاتِها ومُقوِّمَاتِها.

وإذا كانت المَادَّةُ الإعلاميّةُ لا تستوفي شروطَ المُنافَسَةِ والجَوْدَةِ والصدقيَّةِ، فإنَّها لا تستطيعُ المُقاوَمَة، وبذَلِكَ تَفْشَلُ في الحِفَاظِ على الهويّةِ الوطنيّةِ، بل ستُفسِحُ المَجَالَ لإضعافِها وأُفولِهَا مع مُرورِ الزَمَنِ.

وهذا ما يُؤدّي في نِهَايَةِ المَطَافِ إلى انفصام، وازدواجِ الشخصيَّةِ، وانجرافٍ وانحلالٍ وذوبَانٍ في عَالَمِ الآخَرِ، على حِسَابِ النسيجِ القِيَمِيِّ والأخلاقِيِّ والمَوْروثِ الثقافِيِّ والاجتماعي[1].

وهنا سيبرُزُ الحديثُ عن مُشكِلَةِ "الاغترابِ الإعلامِيِّ"، حيثُ قد يُصبِحُ نِتَاجُ وسائِلِ الإعلامِ العربيّةِ ذاتِ مُحتوى غربيٍّ في جميعِ أشكالِهِ، سواء كان في مضمون الرسالَةِ أو شكلِهَا أو قِيَمِهَا أو سِيَاقِهَا، وهذا المُحتوى لا يُعبِّرُ عن ثقافَتِنَا الإسلاميّةِ والعربيَّةِ بفارقٍ واحِدٍ، أنّها بِلُغَةٍ عربيَّةٍ.

وفي هذا الشأن يقول فرانتز فانون في كتابِهِ "أقنعةٌ بيضاءَ وبَشَرَاتٍ سوداء": "يَلْبِسُ الفردُ في ظِلِّ ظاهِرَةِ الاغتِرَابِ وانسِلاخِ أقنِعَةِ الآخَرِ مِمَّا يَجْعَلَهُ تائِهًا في عالَمِ ازدواجيَّةِ "الأنا" والشخصِيَّةِ والهويَّةِ، وفي النِهَايَةِ يَجِدُ نَفْسَهُ مِثْلَ اللقِيطِ، الذي لا يُعْرَفُ له أصلٌ ولا نسبٌ".

إنَّ قُوَّةَ هَذِهِ المَفَاهِيم تُدْفَعُ بالإعلام لمُمَارَسَةِ وَاجِبِهِ في تسليطِ الضَوْءِ على الهويَّةِ الوطنيَّةِ، التي تحتاجُ إليهَا كُلُّ دولَةٍ لتُحَافِظُ وتزيدُ من التَمَاسُكِ والتَوَاصُلِ بين أبنائِهَا في الدَاخِلِ والخَارِجِ، خاصَّةً أنّنا أمام مُشكِلَةٍ تُصيبُ الهويَّةَ في العُمُقِ، ألا وهي الأجيالُ التي وُلِدَتْ في بِلادِ الاغترابِ، فيكونُ الاندماجُ المُعَاكِسُ هو الأصعبْ. والمقصودُ هُنَا هو الاندماجُ في بَلَدِهِم الأُم لبنان. إذ هُنَاكَ من هذه الفِئة من الانتشارِ اللُبنانِيِّ، مَنْ قد لا تعنيهِ أُصُولَهُ ولا حتى جُذُورَهُ. لبنانُ بالنسبَةِ إليهِ بلدٌ سياحيٌّ للاستجمامِ وتمضِيَةِ العُطلَةِ السنويَّةِ كسائِرِ بُلدانِ العالَمِ، فلا انتماءٌ ولا وطنيَّةٌ ولا مُواطَنِيَّة.

* الفصل الثاني: نماذجُ لبنانيّةٌ في بِلادِ الانتشار

الغُربَةُ لَيْسَتْ نُزهَةٌ قِطَافُهَا أموالٌ طائِلَةٌ كالثِمَارِ المُتدلاةِ عن الشَجَرِ على جانِبَيِّ

---

(1) د. محمد قيراط، الإعلام والاغتراب والهوية الوطنية، 26 آذار/مارس 2010.

الطَرِيقِ، هي تجرِبَةٌ شاقَّةٌ تشوبُها المَتَاعِبُ والمَصَاعِبُ، لا بل في بعضِ الأحيَانِ يَشوبُهَا الإحبَاطُ والنَدَمُ...

صحيحٌ أنَّ بَلَدَ الأرزِ الصغِيرِ مساحةً، الكبيرِ مَجْدًا، والذي لم يتجاوزْ عَدَدُ سُكّانِهِ الخمسةِ ملايين نسمةٍ، عَرَفَ العالَمُ القديم والحدِيثِ من خِلال انتشارِهِ في أصقَاعِ الأرضِ الوَاسِعَةِ كافَّةً. ولا بُدَّ مِنَ التذكِيرِ بأنَّ الفينيقيّينَ، سكانُ لبنان وسوريا القُدَامَى، قد اخترَعوا الأبجدِيّةِ، ونَشَرُوها في العَالَم، ووصلوا في مَرَاكِبِهِم إلى أوروبا وإفريقيا - وبحسب إحدى الدراساتِ - كانوا أوّلَ مَنْ عَبَرَ المحيطِ الأطلسيِّ واكتَشَفَ القارّةَ الأميركيّة.

أما في العصرِ الحدِيثِ، فقد بَدَأَتْ هِجْرَةُ اللبنانيّين بَاكِرًا جِدًّا، منذ نِهَايَةِ القرنِ الثَامِنِ عشر - أي مع بَدَايَةِ الثورَةِ الصِنَاعِيّةِ، خُصوصًا إلى أوروبا والأميركيّتَين وإفريقيا. ويُبالِغُ بعضُ الباحِثين اللبنانيّين في القولِ: إنَّ المُهاجِرين اللبنانيّين وأبنائهم وأحفادِهم في الخارِجِ، يترَاوَحُ عَدَدُهُم ما بين 11-16 مليون نسمة اليوم. ومن بينِ هؤلاء هاجَرَتْ أدمِغَةٌ، بَرَزَ منها مُفكّرون وعلماء ومُختَرِعون.

في لبنان تغلغلَتْ الطائفيّةُ مُنذ زمنِ القائمقاميّةِ، ووجدنا كيف أنَّ الدستورَ اللبنانيَّ في العام 1920 قد اعتبرَهَا حالةً مُؤقّتَةً، إلا أنّ مُحاولاتِ قطعِ جُذُورِهَا قد باءَتْ بالفَشَلِ حتى مع "اتفاقِ الطائِفِ" في العام 1989، الذي أتى ليُنهي حالةَ الحربِ العبثِيَّةِ، فقد بدا أنّهُ تأرجَحَ بين الحَثِّ على إلغائِها من جهةٍ، وبين المُحافَظَةِ على التوازُنِ الطائفِيِّ من جهةٍ أُخرى.

من هُنَا، فَقَدْ استطاعَتْ الطائفيَّةُ أنْ تتغلغلَ في كُلِّ قِطَاعٍ، وانطلاقًا من كَوْنِهَا لا تضعُ اللبنانيينَ في نِطاقِها على قدمِ المُسَاوَاةِ، فقد كانت مُقدِّمَةً للفَسَادِ الذي كان ضَرُورَةً من أَجْلِ تحقيقِ المَصَالِحِ الضيِّقَةِ على حِسَابِ المَصْلَحَةِ الوطنيَّةِ.

ما كان أمامَ اللبنانيَّ سوى خيارين: أحدَهُمَا، خِيَارُ التفتيشِ عن تحقيقِ طموحاتِهِ خارِجِ حُدُودِ الوَطَنِ، فكانَ ذَلِكَ فُرصَةً لتحقيقِ أحلامِهِ وطُمُوحَاتِهِ. وهكذا برزتْ أسماءُ لبنانيَّةٌ لامِعَةٌ استطاعت أنْ تُحقِّقَ الكثيرَ من الإنجازاتِ والمراكِزِ السياسيَّةِ العاليَةِ، والتي لا يُمكِنُ الوصولُ إليها في لبنان، مهما كانت كفاءاتُ الطامِحِ إليها مُتوفِّرَةً، وذلك بسبب انتمائِهِ إلى طائِفَةٍ غيرُ مسموحٍ لها أنْ تحصِلَ على هذا المركز.

لا تخلوَ مَدِينَةٌ أو بلدَةٌ أو قريَةٌ لبنانيَّةٌ من شابٍّ وفتاةٍ عانوا الغُربة، ذاقوا مرارَتَها، صبروا على فِراقِ الأهلِ والأحِبَّة، عانوا من شَظَفِ العيشِ، تحدّوا الصعوباتِ كافّةٍ، ليتبوّأوا في بلادِ الانتشارِ أرفَعَ المَنَاصِبِ وأهمَّ المرَاكِزِ.

وإلى لبنان يبقى الحنينُ، هذا ما عَكَسَتْهُ عَدَسَاتُ كاميراتُ الإعلاميين وحروفُ الصُحُفيين، حيث بدا على وُجُوهِ جميع الذينَ حَضَروا "مُؤتمرَ الطاقَةِ الاغترابيَّةِ اللبنانيّة"، الذي يُعدُّ صرخةً إعلاميَّةً تفتحُ الآفاق أمام طاقاتٍ إنتاجيّةٍ للاستثمار.

ففي نَسْخَتِهِ الثانِيَةِ على التوالي بتنظيم من وِزَارةِ الخارجيَّةِ والمُغتربين، رغبةً من الحاضرينِ في اعتلاءِ المِنصَّةِ في فندقِ "الهيلتون - حبتور" ليس للحديثِ عن أنفُسِهِم ونجاحَاتِهِم، بل على ما عَرِفُوه عن لبنان، صورةُ التنوُّع بعيدًا عن الكراهيَّةِ، والوِحدَةِ بدلاً عن الانقِسام، عن ضرورةِ التعالي على الخلافاتِ وتحدّي الصِعابِ، وأهميّةِ مُشاركَةِ وتشجيعِ اللبنانيين على نسجِ فُرصِ عملٍ مُشترِكَةٍ مع المغتربين.

ولأنّ خطواتِ النجاحِ في لبنان ليست بتلك السُهولةِ، نظرًا إلى مجموعَةِ عوامِلِ الضغطِ التي يتعرّضُ لها اللبنانيُّ جرّاءَ عدم الاستقرارِ الأمنيِّ والخِلافِ السياسيِّ من جهةٍ، إضافةً إلى نجاحاتِ "الواسِطَةِ" وثقافَةِ الرشاوى، فإنَّ كثيرينَ من المُغتربين نجحوا في بُلدانٍ كانت فيها الأولويّة للطاقاتِ والإمكاناتِ، بالأمسِ تُرِكَتْ لَهُم الفرصَةُ ليتحدّثوا عمّا فَعَلُوهُ، في مؤتمرٍ استمرَّتْ أعمالُهُ لأيام ثلاثَةٍ لتسليطِ الضوءِ على نجاحاتِ مُغتربين لبنانيين، وإيجادِ فُرصٍ للتبادُلِ التِّجاريِّ والأعمالِ والخُبُراتِ وتعزيزِ العلاقاتِ في مُختلفِ المجالاتِ.

خُصِّصَتْ الجلسةُ الأولى التي أدارَهَا الإعلاميُّ وليد عبود، لمُغتربين تحدّثوا عن عوامِلِ نجاحَاتِهِم وتطلُّعَاتِهِم إلى مشاريعٍ في لبنان، أحدُ هؤلاءِ المهندس سامر سعيد خوري، رئيسُ دائِرَةِ الإنشاءاتِ والهندسَةِ في شركة "CCC"، إحدى أكبر شركاتِ الهندَسَةِ في العالم، الذي أشارَ إلى "ضرورةِ خلقِ فُرَصِ عملٍ للبنان وتشجيع الصناعَةِ والحاجَةُ إلى استثماراتٍ جديدة".

وقدَّمَ سلسلةً من العوامِلِ التي يَجِبُ البدءُ منها، من أجلِ سوقٍ اقتصاديٍّ أفضل، كضرورَةِ العَمَلِ مع الجَامِعَاتِ والمَعَاهِدِ التقنيَّةِ اللبنانيَّةِ لتطويرِهَا بشكلٍ

يتلاءَمُ مع سوقِ العَمَلِ، إضافةً إلى التعاوُنِ مع الجامعاتِ العالميّةِ، وتشجيعِ الشركاتِ اللبنانيَّةِ لتنفيذِ الأعمالِ.

وفي ما يلي غيضٌ من فيضِ أسماءٍ لبنانيَّةٍ سَطَعَتْ في بلادِ الاغترابِ:

ـ على الصعيدِ السياسي: ميشال تامر مُحامٍ وسياسيٍّ برازيلي، كذلك نائبُ رئيسِ جمهوريَّةِ البرازيل منذ عام 2011، وحتى تسلُّمِهِ رئاسةِ البرازيل بالوكالةِ في 12 أيار/مايو 2016، ولا يزالُ تامر رئيسًا مُؤقتًا للبرازيل.

كلوديا عبدالله حاكمةُ مُقاطَعَةِ سان دييغو في الأرجنتين.

فرناندو كاييز رئيسُ مجلِسِ النُوَّابِ في مدينة سان باولو البرازيلية، وهو مُحامٍ ورَجُلِ قانونٍ.

إيفون باقي سفيرة الإكوادور في الولاياتِ المُتّحدةِ الأميركية.

ـ على صعيد الدراساتِ التي تطالُ شؤونًا دولية؛ فمثلاً على صعيدِ الاستشاراتِ في العلاقاتِ الدوليَّةِ، يبرزُ إسمُ السفيرِ السابِقِ والخبيرِ في العلاقاتِ الدبلوماسيَّةِ مسعود المعلوف..

ـ على صعيدِ الفيزياءِ: رمّال حسن رمّال، إبنُ بلدَةِ الدوير الجنوبيّةِ، وأحد أهم علماءِ العصرِ في مجالِ فيزيَاءِ الموادِّ - كما وصفته مجلة "لو بوان" - التي قالت أيضًا: "إنّهُ مفخرةٌ لفرنسا"، كما تعتبِرُهُ دوائِرُ البحثِ العلميِّ في باريس السابع من بين مائةِ شخصيَّةٍ تصنَعُ في فرنسا الملامِحَ العلميَّةِ للقرنِ الحادي والعشرين. تولّى مهامَ مُديرِ قسمِ الفيزياءِ الميكانيكيَّةِ والإحصائيَّةِ في المركزِ بعد فوزِهِ بالميداليّةِ الفضيّةِ عن أبحاثه حول فيزياءِ الموادِ عام 1989، كما تمكَّنَ من التوصُّلِ إلى اكتشافاتٍ علميّةٍ مُبهِرَةٍ في مجالِ الطَاقَةِ، ومن أبرز إنجازاتِهِ العلميَّةِ اكتشافاتِهِ في مجالِ الطاقَةِ البديلَةِ، باستخدامِ الطاقَةِ الشمسيَّةِ والكهرباءِ الجويَّةِ والطاقَةِ الصادِرَةِ عن بعضِ الأجسامِ الطبيعيَّةِ.

ـ على صعيدِ تكنولوجيا المعلوماتيّةِ وصناعَةِ برامِجِ الكومبيوتر، التي يَحتلُّ لبنانُ فيها مكانَةً بارِزَةً وباتَ مُنافِسًا لعَمَالِقَةِ صانِعي هذه البرامِجِ عالميًا. فلبنانُ يُصدِّر برامِجَ الكومبيوتر إلى مُختلفِ دُوَلِ العالَمِ (أوروبا، إفريقيا والخليج العربي...) وتبلغُ قيمَةُ عائداتِ هذا القطاع 300 مليون دولارٍ أميركيٍ سنويًا.

ففي أميركا اللاتينية، بَرَزَ إسمُ اللبناني كارلوس سليم (من جزين) في مجالِ

الاتصالاتِ، وهو الأكثرُ ثراءً في أميركا والعالم، مع ثروةٍ قُدِّرَتْ في العام 2014، بـ75 مليار دولارٍ أميركيٍّ، بحسب تصنيفِ مجلة "فوربس" العالمية.

نبيل حاج شحادة وسليمان عيتاني، شابّانِ لبنانيّانِ أطلقا معًا مُختبر "أثير لابز" في الولاياتِ المُتّحِدَةِ الأميركيّةِ، الذي صَنَعَ ما يُعرفُ بنظّاراتِ "أثير" الثُلاثيَّةِ الأبعادِ، باستخدامِ نظامِ "أندرويد" من "غوغل"، وهو عبارة عن هاتفٍ ذكيٍّ، ونظّارَةٍ ذكيَّةٍ، وجهازِ حاسوبٍ في الوقتِ ذاتِهِ، ولَهُ ميزاتٌ عديدَةٌ منها وأهمُّها: التواصُلُ بين الأطبّاءِ من بُلدَانٍ مُختلِفَةٍ خلال إجراءِ عمليَّةٍ جراحيَّةٍ من أيِّ مكانٍ في العالم.

ـ المُخترِع علي محمد زراقط، المُنتمي في جُذورِهِ إلى مدينَةِ صور الجنوبيّةِ، الذي استطاعَ أنْ يَسبِرَ غَوْرِ "حركةِ الآلاتِ"، وخُصوصًا داخلَ الساعاتِ وإشاراتِ المُرورِ، مُقدِّمًا نحو 18 اختراعًا في ميدانِ اختصاصِهِ الهندسيِّ على مدى 3 عقود من الزمن، مُتنقِّلاً فيها بين ألمانيا ولبنان...

ساهَمَتْ اختراعاتُ زراقط بتصحيحِ صُورَةُ العَرَبِ المُهاجرين المُشوّهَةِ عَبْرَ وَسَائِلِ الإعلامِ الغربيَّةِ، التي غالبًا ما تَنشرُ معلومَاتٍ مغلوطَةٍ عنهم، بل وتَصِلُ أحيانًا إلى حدِّ الربطِ بينهُم وبينَ الإرهابِ.

- في مجالِ الكهرُبَاءِ والطاقةِ والهندسَةِ: حسن كامل الصباح، إبنُ مدينَةِ النبطيّةِ الجنوبيّةِ، الذي تُنسَبُ إليهِ مئاتُ الاختراعاتِ، وبعدَ عشرِ سنواتٍ على وفاةِ الصبّاح، أعلنتْ المحافِلُ العلميّةُ الأميركيّةُ عن أنّها تستمدُّ الطّاقةَ من الأشعّةِ الشمسيّةِ اعتمادًا على الاختراعِ الذي صمّمَهُ الصبّاح، وما لم يُقَرّوا به أكثر بكثير...

ـ على صعيد الطبِّ: مايكل دبغي، أوّلُ جرّاحِ قلبٍ في العالمِ يختَرِعُ "المضخّةَ الدوّارَة"، وهو في سن الـ23. وقد أصبحتْ لاحقًا جُزءًا أساسيًا من آلة القلب، ووظيفتُها السماحُ للدَمِ بالجري خلال إجراءِ عملياتِ القلبِ المفتوحِ.

حقّقَ البروفسور والطبيب اللبناني ميشال طراد إنجازًا طبيًّا نوعيًّا في "مستشفى سانت ميشال" في بلجيكا، تمثَّل بنجاحِهِ في زرع كليةٍ للدكتورِ علي غصن (83 سنة، لبناني). وأكدتْ إدارةُ المُستشفى أنّ "هَذِهِ العمليّة تُعتبرُ الأولى من نوعِهَا على مُستوى أوروبا والعالم".

باسكال جبور (42 عامًا) اكتشفَ تقنيَّةَ العِلاجِ الكيميائيِّ داخِلَ الشريانِ IAC،

التي تُتيح شِفَاءَ نِسبَةٍ كبيرةٍ من الأولادِ المُصابين بسرطانِ شبكةِ العينِ "ريتينو بلاستوما"، وتجنُّب استئصالِ العينِ المُصَابَةِ. وحَصَلَ على جائزةٍ من مستشفى "ويلز آي" التخصُّصيِّ لِطُبِّ العُيونِ التابعِ لـ"مستشفى توماس جيفرسون" الجامعي في مدينة فيلادلفيا الأميركية.

إلياس جرادة، نَجَحَ في إجراءِ جِراحَةٍ حديثَةٍ في طُبِّ العيونِ، وخُلاصَتُها زرعُ خلايا جذعية في العينِ تُعيد النورَ إلى مَنْ فَقَدَهُ في "مستشيفى بيروت التخصُّصي للعيون" في المتحف. وأهمُّ ما قام به جرادة أثناء العملية كان نقل القرنية مع الخلايا الجذعية من عين إلى عين أخرى في الوقت نفسه.

ـ على صعيد المُوضة: لَمَعَ إسم إيلي صعب، الرقمُ الصعبُ في الموضَةِ العالميَّةِ.

ويروي المُؤرِّخُ أدولفو بيزيرا دي فينيزيس أنّ لبنانيًا يُدعى أنطون الياس لبس (وقد جرى تغييرُ اسمه برتغاليًا إلى الياس أنطونيو لوبس، بعد أنْ عاش بضع سنوات في البرتغال)، التاجرُ في ريو دي جانيرو ومالكُ الأراضي في براينا، قد قدَّمَ منزِلَهُ إلى ملكِ البرتغال دون خوان السادس، الذي قَدِمَ إلى البرازيل من البرتغال. وبما أنَّ منزِلَ ذلكَ اللبنانيَّ كان أحدُ أكبرِ البيوتِ الجديرَةِ بالمَلِكِ، فحوّلَهَا بصورةٍ نهائيّةٍ إلى القصرِ الإمبراطوري البرازيلي. ثم أُطلِقَ على المكان إسم "باسو دي سان كريستوفاو"، حيث وُلِدَ دون بدرو الثاني، أما اليوم فهو مقرُّ مُتحف "كينتا دا بوافيستا".

ـ على صعيد الرياضة: حقّقتْ الشابَّةُ اللبنانيَّةُ رامونا علي خليفة رقمًا قياسيًا في تسلُّقِ قمَّةِ "إيفرست" على ارتفاع 5363 مترًا، والتي استغرقَ الوصولُ إليها 14 يومًا، رامونا إبنة بلدةِ الغازيَّةِ الجنوبيَّةِ هي أوَّلُ مُحجَّبةٍ لبنانيَّةٍ تُحقِّقُ هذه النتيجةِ.

ـ وللأطفالِ حِصَّةٌ من فيضِ الإنجازاتِ، حيثُ فازَ الطفلُ غبريال منير أبي سعد، إبنُ بلدةِ إهمج - قضاء جبيل، بالمرتبةِ الأولى في المُسابَقَةِ العالميّةِ للحسابِ السريعِ التي جرت في الهند، مُتفوِّقًا على أحدى عشرَ ألفَ مُشتركٍ من خمسةٍ وخمسينَ بلدًا.

وكَسَرَ الشابُّ طارق عبدالله، من "مدرسةِ الليسيه الفرنسية" - الأشرفية، كُلَّ

المُعادلاتِ بعدما حَصَلَ على علامَةٍ كامِلَةٍ مُسجِّلاً 20/20 في مُسابقَةِ البكالوريا الفرنسية.

ابتكَرَ الفتى اللبناني جايك الميرِ (14 سنة) تطبيقَ (No Speed لا للسُرعَةِ) للهواتِفِ الذكيَّةِ. هذا التطبيقُ مَكَّنَهُ من الفوزِ في مُسابقَةٍ في إطارِ الـ-WWDC أي "مُؤتمرُ المُطوِّرين العالمي في الولاياتِ المُتَّحِدَة"، التي يُقدِّم فيها كل مُشارِكٍ تطبيقًا وتختارُ شركة "آبل" الأفضل من بينها، وكان الميرِ الفائزُ الأصغرَ والعربيّ الوحيد.

حتمًا هذا غيضٌ من فيضٍ، فهُناك بعدُ مجالاتِ الرياضة، الفن، السينما، المسرح، الأدب، وغيرها تألّقوا وسطّروا ملاحِمَ مجدٍ وعِزٍّ فيها، بعدما ثاروا على واقِعِهِمْ فأصبحوا نُجومًا شعشعتْ أنوارُها في سماءِ الكونِ.

لكنَّ الأهمَّ هُنَا أنَّ هذهِ الانجازاتِ، وهذا الغيضُ لم يَكُنْ ليُسَطَّرَ بأمجادِ أبنائِهِ، لولا دورُ الإعلامِ الذي سلَّطَ الضوءَ عليهِم، واحدًا تلوَ الآخرَ عبر وسائِلِه المُتنوِّعَةِ المسموعَةِ والمكتوبَةِ والمرئِيَّةِ، واليومُ عبرَ وسائِلِ التواصُلِ الاجتماعيِّ، لِمَا لذلِكَ من أهميّةٍ بالِغَةْ، إنْ من حيثُ إبرازِ وحفظِ حقِّ كُلِّ إسم ساهَمَ في رفعِ لبنان عاليًا، أو من حيثُ التأكيدِ على أنَّ اللبنانِيَّ لم يكنْ يومًا عالةً على أحدٍ، فلم يرثِ الوَطَنَ على الأطلالِ، ووَقَفَ مكتوفَ اليدينِ، بل حَفَرَ في الصخرِ حتى تحوّلتْ منحوتَاتِهِ إلى لوحاتِ عزٍّ وكرامةٍ وسماتُ تألُّقٍ يُحتذى بها.

ولا ننسى للحظةٍ كم كان للإعلاميينَ والإعلام دورٌ في عودةِ أفرادٍ إلى أحضانِ عائلاتِهِم، بعدما غُيِّبوا قصرًا، لقلّةِ القُدُراتِ الماديَّةِ عن العودةِ إلى أرضِ الوطن.

خاتمة

بين لبنان المُغتربِ ولبنان المُقيم، تواصُلٌ لم ينقطعْ يومًا. كانَ الإعلامُ الحبلُ السُرِّيْ الذي يربِطُ بينَهُما، فيُرسِّخُ الهويَّةَ الوطنيّةَ، ويحملُ على عاتقِهِ كُلَّ قصةٍ وحكايةٍ يُسطِّرُها أبناءُ الوطنِ، ويبقى الانتشارُ اللبنانيُّ السندُ الأساسيُّ للبنانِ المُقيم.

إنّ وَاقِعَ الظروفِ التي يمرُّ بها لبنان، لا يتركُ مجالاً أمامَ الحدِّ من الهجرَةِ، فطاقاتُ الشبابِ مُقيّدةٌ، وفرصُهُم محدودَةٌ، لا بل معدومَةٌ، خاصَّةً في ظلِّ منعِ التوظيفِ في المرافقِ الرسميّةِ، وغيابُ خُطّةٍ وطنيّةٍ لتوجيهِ المواردِ البشريّةِ،

بالإضافةِ إلى نموِّ عددِ المُتخرّجين سنويًا من الجامعاتِ والمعاهدِ المهنيّةِ بموازاةِ تناقُصِ عددِ المُؤسّساتِ المُستقرّة في القطاعاتِ الإنتاجيّةِ، وإقفالِ الشركاتِ بسببِ الركودِ الاقتصادي، ونقلِ الرساميل إلى خارج لبنان.

لذلك، كان حراك صادق بمُشاركة كثر في التحركات المطلبية، انطلاقًا من المُعاناة التي يعيشونها، لكن ليس للاستخدام وتوظيفها لأجندات أو أهداف مُعينة، وهذا يستوجب بلسمة الجراح، وتغليب مصلحة الوطن على المصالح الضيّقة التي يستفيد منها أعداء لبنان، ويعني ذلك التأكيد على ضرورة الانطلاق من نقاط التلاقي، وهي كثيرة ومُتعددة ومُتنوعة.

لعل إنجاز تحقيق المُصالحة في "الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم"، التي يُسجل فيها دور بارز لرئيسها الأستاذ عباس فواز، تُعتبر خطوة هامّة، يجب الاستفادة منها والاقتداء بها، وهي تُعزّز وضع اللبنانيين في الانتشار، وتدعم لبنان المُقيم.

يبقى الاغترابُ في الوقتِ الراهِنِ حلاً مانعًا لتخفيفِ نسبةِ العاطلينَ عن العملِ في ظلِّ البطالَةِ المُستشريَةِ في المُجتمعِ اللبناني. وقد ساهمتْ تحويلاتُ المُغتربينِ الماليّةِ إلى ذويهم، إضافةً إلى استثماراتِهِم في لبنان، إلى حدٍّ بعيدٍ في دعمِ الاقتصاد اللبناني.

لذا، يتوجّبُ النظرُ إلى ظاهِرَةِ الاغترابِ بإيجابيّةٍ واقعيّةٍ، وضرورة الاستفادة من خبرات اللبنانيين، التي حقّقت نجاحات مُذهلة في الخارج، لترجمتها في وطنهم الأم، لبنان، والاهتمامُ بالمُهاجرين في غُربَتِهِم، وتشجيعهم على دعمِ بلدِهِم وتطويرِهِ، من خلالِ عملِهِم في الخارجِ، وتذكيرهم بأنّهم لبنانيون دائمًا، وصونِ صِلتِهِم ببلدِهِم الأُم، ومُساعدتِهِم في الحِفاظِ على لُغتِهِم وهويّتِهِم الثقافية. من هُنا فإنَّ أمامَ الإعلامِ دورٌ شاقٌّ في ترسيخِ ما سَلَفَ ذِكْرُهُ، ليبقى التواصُلُ قائمًا، فيكونُ لبنانُ أوسَعَ من مساحَتِهِ وطنًا يتجاوزُ الجغرافيا.

ويجبُ على الدولةِ أنْ تَقِفَ أمام مسؤوليّاتِها تجاهَ أبنائِهِ في المهجَرِ، فتكونَ عضدًا لهم في السرّاءِ والضرّاءِ ونِبراسًا ومُوجِّهًا ومُسانِدًا لهم، وهذا لا يعني أنْ نغفَلَ عن وضعِ خُطَطٍ تنمويّةٍ للنهوضِ بالاقتصاد اللبنانيِّ للحدِّ من الهجرَةِ، لأنَّ البابَ إنْ تُرِكَ على مصراعيه، فإنّنا أمام مصيرٍ مجهولٍ للوَطَنِ وهويّتِهِ الوطنيّة،

خاصة أنّ المُجتمعَ اللبنانيَّ مُهدَّدٌ بالشيخوخَةِ - بحسبِ دراسةِ "الدولية للمعلومات" - بسببِ النزفِ المُتصاعِدِ نتيجَةَ هجرةِ الشباب، بحيث من المُتوقّع أنْ يُصبِحَ بعد 15 سنة معظمُ اللبنانيينَ المُقيمينَ غير قادرين على الإنتاج، أما الجيلِ المُنتِجِ فسيكونُ من غير اللبنانيين.

للأَسفِ، على الرُغمِ من كُلِّ تقديرنا وافتخارنا لما يُحقّقه أبناؤنا في المهجر، إلا أنّنا مع كل إبداعٍ جديدٍ يخفقُ القلبُ حُزنًا، خوفًا من مصيرٍ يحملُ في طيّاتِهِ نهايةً مجهولةً قد تُصيب هذا أو ذاك، مثلما حصل مع العالمين حسن كامل الصباح ورمّال حسن رمّال، اللذين دارتْ حول وفاتيهما علاماتُ استفهام حول وجودِ أصابعَ خفيّةٍ وراء ذلك، خاصّة أنّ الوفاة حدثَتْ بعد اتخاذِ كُلٍّ منهماً قرار العودةِ إلى الوطن، اللذي أبصرا النورَ فيه، فأصبحا شهيدين برتبةِ مُغتربين.

ولا بُدَّ من الإشارةِ هُنا إلى ما كَتَبَهُ الشّاعر إيليّا أبو ماضي عن مُعانَاةِ المخترع حسن كامل الصبّاح، في مقالته التي حملت عنوان "نبي في غير وطنه": "الموهوبُ الذي يُولَدُ قبلَ زمانِهِ، أو في غيرِ مكانِهِ يعيشُ غريبًا ويموتُ غريبًا، وكثيرًا ما اضطُهِدَ كأنَّهُ عدوٌّ أو مُجرم"...

وفي الحفل التأبيني للصبّاح، الذي أقامتهُ الجالياتُ العربيّة، بعثَ الرئيس الأميركي ثيودور روزفلت إكليلاً من الزهرِ، كُتِبَ عليه "من الحزين روزفلت".

وأقرَّ رِجالُ العلمِ في أميركا بأنّ غيابَ الصبّاحَ أحدثَ فراغًا عظيمًا في العالم، وقد اكتشفَ كما يروي برسائله، مُعاناتِهِ من حربِهِم النفسيّة عليه، ومُحاولاتهم لطمسِ اختراعاتِهِ أو سرقتها، فقال: "إنّهم قومٌ ذوو شعورٍ غليظٍ لا يعرفونَ الشُعورَ السامي، والأغلبيّةُ السّاحقةُ مِنهُم يكرهون الشّرقَ والشرقيين".

حين أُعيدَ جثمانُ المُخترعِ الكبيرِ إلى وَطَنِهِ، لم يُبدِ رجالاتُ السلطةِ أيَّ اهتمام، وما زالت غالبيّةُ السُلُطاتِ على أصالتها - إلا ما نذر.

إنّ لبنانَ يحتاجُ قبلَ كُلِّ شيءٍ إلى خُبُرَاتِ أبنائِهِ، الذي يُفضِّلونَ العودَةَ إليه ولو أمواتًا، فهُم مع إشراقَةِ شمسِ كُلِّ صباح، يتوقونَ لأنْ تشُقَّ الفُرَصُ أمامَهُم طريقَهَا في أحضانِ الوطنِ، الذي لن يستقيم ماً لم يقتنعْ كُلُّ مُواطِنٍ بأنّ الدينَ لا يُمكِنْ أنْ يُتخذَ حُجّة لغايةِ تحقيقِ المكاسِبِ السياسيّةِ!

الهجرة اللبنانية ودورها في
تنشيط الثقافة وقطاع التعليم في إفريقيا:

الإعلامي أ. علي بدر الدين



- حائز على شهادة الجدارة في العلوم الاجتماعية.
- مسؤول مكتب الوكالة الوطنية للإعلام في النبطية (2006 - 2019).
- عمل في العديد من الصحف والمجلات، ويرأس حاليًا مجلة البحار الاغترابية.
- صدر له الاغتراب اللبناني آمال وآلام (2002) ـ الشرقية تاريخ ورسالة (2003) ـ أحمد طرابلسي مسيرة جهاد وعطاء (2004) ـ الاغتراب اللبناني تاريخ وطن (2016).

لم تكن هجرة اللبنانيين يومًا خيارًا طوعيًا ولا فرصة لطلب الراحة والاستجمام ولا للاطلاع على حضارات الدول والشعوب، بل كانت هجرة قسرية بإمتياز، وهربًا نحو المجهول غير محكومة بزمن الرحيل أو مكان الرحال، بسبب الظروف الاستثنائية التي يشهدها لبنان منذ مطلع القرن التاسع عشر وما رافقها من حروب وضغوط اقتصادية وسياسية وفقر وجوع أصابت معظم فئات الشعب اللبناني ودفعت الكثيرين ممن ضاقت بهم السبل وضاق بهم المكان إلى حمل حقائبهم وهمومهم وقهرهم والتوجه عبر سفن قد لا تجري بها الرياح نحو الهدف المنشود.

وبالرغم من المعاناة التي رافقت الرعيل الأول من المهاجرين استمر سيل الهجرة اللبنانية إلى معظم دول العالم وعلى مدى أكثر من قرن ونصف، رغم تبدل الأحوال وتعدد الأسباب.

وقبيل استقلال لبنان بعقود والأوضاع الأمنية والاقتصادية هي القاسم المشترك لمختلف محطات الهجرة وزمانها وظروفها وبعده ازداد حجمها وتوسعت دائرتها وتحولت إلى اغتراب له مقوماته وعناصره المكونة ودوافعه لترك الوطن والمتمثلة بعدم الاستقرار الأمني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، الأمر الذي انعكس بمجمله على معيشة اللبنانيين، وكانت الهجرة إحدى البدائل الموجودة لعدم القدرة على تحمل المعاناة في مناخات لا توحي بالأمان والإطمئنان. فكان لا بد من "الهرب" كخيار قسري إضطراري وصعب إتخذه رعيل المهاجرين منذ مطلع القرن التاسع عشر مما فتح شهية موجات متتالية من اللبنانيين الذين يمموا وجوههم شطر قارات العالم وخاصة القارة الإفريقية حتى يمكن القول إن قرى لبنانية عديدة تكونت في دول كثيرة ونقلت معها عاداتها وتقاليدها وطقوسها.

وليس صحيحًا ما يقال عن أن الهجرات اللبنانية المتعاقبة والمتشابهة لغاية اليوم دافعها طبيعة اللبناني الذي يحب المغامرة والتجارة وأنها ولدت معه بالفطرة أو هي

ناتجة عن "الشطارة" التي يتصف بها اللبنانيون، ولا أعتقد أنهم كانوا يترجمون حبهم بالمغامرة أو يعبرون عن شطارة كادت مرات عديدة أن تودي بهم وتقضي عليهم غرقًا من دون أن يتعرف عليهم أحد في بلاد بعيدة وغريبة.

ولم يكن المهاجر الأول الذي ترك بلدته وأهله وانسلّ تحت جنح الظلام تاجرًا "شاطرًا" يحمل معه "صرة" من الحسرة والنقمة على واقع أليم ومر قذف به رغمًا عنه إلى بلاد لا يعرف حتى اسمها، ولا يعرف عادات شعوبها ولغاتها، وهو عندما قرر "الهرب الموجع" لم يكن يدري أن سماسرة السفر والبواخر سيرمونه في أرض وبلاد غير الأرض والبلاد التي وعد بها ويحقق فيها أحلامه وآماله وهو الخارج من عالم ميزته الحروب والفقر والجوع ولا قيمة فيه لكرامة إنسان، إلى عالم آخر الإنسان فيه ثروة حقيقية لبلاده، ولكن هذه الأحلام لم تتحقق للمهاجرين الذين ذاقوا مرارة الهجرة منذ بداية رحلة العذاب ودرب "الجلجلة" التي كانت من نصيب الذين لم يحالفهم الحظ بالتوجه إلى غرب أوروبا أو القارة الأميركية وأجبرتهم على النزول في مرفأ مرسيليا الفرنسية والتوجه لاحقًا إلى دول غرب إفريقيا التي تتميز بظروف طبيعية ومعيشية وصحية قاسية وأمراض معدية فتاكة تعالج بثمرة الكينا، الدواء الوحيد لها. وفي ظل هذه المعاناة خاض اللبناني صراعًا من أجل البقاء.

ولا تزال معظم دول القارة الإفريقية تعاني من وطأة هذه الظروف التي أضيفت إليها الانقلابات العسكرية (125 انقلابًا)، بعدما نالت استقلالها في مطلع ستينات القرن الماضي، وبخاصة في دول غرب القارة، المعروف عنها أنها أغنى قارات العالم بمواردها الطبيعية ولكنها أكثرها فقرًا وتأخرًا حتى قيل: أغنى أرض وأفقر شعب. وهذا ما انعكس سلبًا على المهاجرين اللبنانيين الذين مازالوا تحت وطأتها وتداعياتها. ومنها، الحملات الصهيونية التي تستهدفهم والأمراض القاتلة وآخرها الإيبولا عام 2014، الذي ضرب غرب إفريقيا وأودى بحياة 10 آلاف شخص وكوارث الطيران التي أودت أيضًا بحياة المئات من المغتربين في أعوام 2003 و2010 و2014 وعمليات القتل والخطف والابتزاز وآخرها خطف المغترب حسن جابر في مطار أديس بابا في أثيوبيا، العائد من الغابون إلى لبنان، ثم الإفراج عنه، ورجل الأعمال والمغترب قاسم تاج الدين عام 2015 في مطار في المغرب في طريق عودته من إفريقيا وتسليمه إلى السلطات الأميركية.

والمخفي من معاناة اللبنانيين في إفريقيا أشد وطأة لجهة الاعتقاد ظلمًا أن كل مغترب لبناني فيها ثري، فهذا غير صحيح وغير واقعي، فالآلاف من المغتربين بالكاد يحصلون على قوت يومهم ولا يملكون سوى محال تجارية صغيرة (دكانة) ولا قدرة لهم حتى على دفع تكاليف تذاكر السفر للعودة إلى لبنان، وقسم كبير منهم يعيشون تحت خط الفقر وعلى مساعدات الجمعيات الخيرية، فاللبنانيين والمقتدرين من المغتربين لا يمكن تمييزهم عن المواطنين الأفارقة في المعيشة أو التعليم أو الطبابة وغيرها الكثير. وكذلك، إهمال الدولة اللبنانية للمغتربين في إفريقيا التي تركتهم من دون غطاء أو حماية إلا في حالات فرضت عليها التحرك نحوهم ولكن بعد وقوع المحظور وسقوط الرهان على الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم التي تآكلها صدأ الانقسامات والصراعات الطائفية والسياسية.

ولا يمكن التغاضي عن التأثير السلبي عليهم لسلوك قلة من اللبنانيين الذين ورثوا عن المستعمر الأوروبي الشعور بالاستعلاء والتمايز على الإفريقي واستعماله لكلمة "عبد" عند مخاطبته، وقد فهم الإفريقي معناها وتألم لسماعها وبات كلمة Libanais في الكونغو مثلاً تعني شتيمة ولكن العلاقات تحسنت فيما بعد وبات الغابوني يُسر لمناداة اللبناني له mon frere.

إن مجمل ما تم ذكره وغيره حال دون تمكن اللبناني من الانصهار والذوبان في المجتمع الإفريقي فحتى لو تجنس بقي لبنانيًا بنظر الإفريقي وهو أساسًا لا رغبة له في الذوبان في هذا المجتمع، ولا الإفريقي هضم تجنسه أو أفرقته، في حين أن اللبناني في أميركا مثلاً تأقلم بسرعة وتطبع وتجنس وتزوج وصار أميركيًا كأي مواطن آخر. (1- واقع الاغتراب اللبناني، السفير فوزي فواز، جريدة السفير، 25 أيار 2015).

ولا يمكن للمهاجرين اللبنانيين الأوائل على وجه التحديد وهم كما وصفهم المؤرخ والباحث فيليب حتي في كتابه تاريخ لبنان: أناس فقراء معدمون وأميون، لا يتقنون لغة شعوب البلاد التي حطوا رحالهم فيها والتواصل معها وهم يعانون ما تعانيه وهمهم البحث عن لقمة العيش والاستقرار دون سواهما مهما كانت ملحة وضرورية.

إنها فعلاً معاناة مشتركة ظلت ضاغطة منذ ما يقارب المائة عام إلى الوقت الذي نالت فيه بعض الدول الإفريقية استقلالها والبدء بمرحلة جديدة للخروج من

مخلفات الدول الاستعمارية التي سلبت الحقوق والحريات والخيرات وأفقرت المواطنين.

هذا المستجد الإفريقي تزامن مع نقلة للأفضل للبنانيين الذين بدأوا أيضًا مرحلة جديدة تمثلت بتثبيت أقدامهم وفعالية وجودهم وبالانفتاح على الشعوب الإفريقية والارتقاء معها اجتماعيًا واقتصاديًا وماليًا وساهمت بفتح الطريق أمام الجيل الثاني من المغتربين الذين ولدوا في إفريقيا واكتسبوا الخبرة والمهارات أو الذين حصلوا على شهادات علمية وتخصصية من جامعات لبنانية وأوروبية، ودخلوا سوق العمل في شركات ومصانع الأجداد والآباء، ما ساهم في تطويرها وزيادة انتاجها وانتشار أسواقها وتراكم ثروات أصحابها الذين بدأوا الاستثمار في العقارات وتأهيل الطرق وتشييد المدارس والمستشفيات والمباني الحكومية بتكليف من حكومات دول إفريقيا التي وثقت باللبنانيين بشهادة رئيس سيراليون أرنست كروما الذي قال: "لا اقتصاد في سيراليون من دون اللبنانيين". وتحول الاغتراب اللبناني إلى حدث اقتصادي ومالي فرض نفسه في لبنان وإفريقيا، التي تعمل بجهد للخروج من حالة الجهل والتخلف بمحاولات وان كانت متواضعة ولا ترتقي إلى المستوى المطلوب لتطوير بنيتها التعليمية وزيادة حجم الاستثمار في قطاع التعليم الرسمي وخاصة في مراحله الأولى حيث ألغت بعض الدول الرسوم في المدارس الابتدائية بدءًا من العام 2005 وجعلت من التعليم إلزاميًا لسبع سنوات في مرحلة التعليم الابتدائي. وهناك دول لا زالت عاجزة عن تأمين متطلبات التعليم حتى في مرحلته الأولى ولا مؤشرات أو معطيات توحي بأن القادم سيكون أفضل على المستوى التعليمي وليس بإمكانها أن تشق طريقها نحو التطور العلمي على اختلافه. وهي لا تزال عاجزة عن القضاء على أزماتها ومشكلاتها المتمثلة بالأمن والاقتصاد والطبابة، وغير قادرة على توفير مقومات الاستقرار بعد خروج المستعمر أو اعطاء التعليم والثقافة ما يستحقان من اهتمام أو تطوير ولو بالحد الأدنى وكلما خطت خطوة باتجاه النهوض والتطوير والتغيير تعيدها الانقلابات العسكرية والاحتجاجات الشعبية على تردي الخدمات الحياتية والمعيشية أو انعدامهما إلى نقطة الصفر في مسلسل إفريقي طويل، علمًا أن بعض هذه الدول شهد أوضاعًا اقتصادية مقبولة وانتعاشًا في حركة العمران وبناء المباني الحكومية والمدارس والمعاهد والجامعات والمستشفيات خاصة في المدن بمساعدة ومساهمة اللبنانيين الذين أصبحوا جزءًا من البيئة الإفريقية رغم هذا الكم من الصعوبات والاخطار

والقلق والخوف على الحاضر والمستقبل أو من مفاجأت أمنية وفوضى غير محسوبة قد تطيح بوجودهم ومصالحهم، لأنهم باتوا في قلب الأحداث وان لم يكونوا هم المستهدفين، ولكنهم معنيون بكل ما يحصل وهم الذي قصدوا إفريقيا للعمل وجني المال وجمع الثروات، ولا يمكن لهم أن يمارسوا حياتهم الطبيعية والحال على هذا المستوى من التردي والخطورة، ولا دور يمكن القيام به لتنشيط الثقافة وقطاع التعليم لأنه لا وجود لها، وأساسًا لم تراودهم حتى فكرة الالتفات إليهما، أقله في أول 100 سنة هجرة لان الهدف الأساس من هجرتهم القسرية أو الطوعية إلى إفريقيا ومهما كانت الدوافع وإن كانت دائمة أو مؤقتة هو العمل فقط ولا هدف غيره وهذا ما أنتج نجاحات اقتصادية ومالية مشهود لها.

والمتعارف عليه بأن الاغتراب اللبناني في إفريقيا غير دائم وغير نهائي، أي أن المغترب سيعود إلى وطنه يوما ولو بقي مهاجرًا عقودًا من الزمن. ما أتاح له وضعًا خاصًا. وتبدأ مشاكله مع البيئة الإفريقية الحضاري والمناخي والاجتماعي والثقافي والسياسي الذي يتميز عنه في الأميركيتين وأوروبا، بحيث أن البيئة الحضارية في هاتين القارتين تمتاز باحترام القانون والنظام وأن منظومة الأمن والاقتصاد تساعد على الاستقرار بل تحفز على الاندماج الكلي في المجتمعات الجديدة، على عكس البيئة الإفريقية التي تتوفر فيها هذه الشروط بنسبة كبيرة وتتميز بالتمسك بعاداتها وتقاليدها ومفاهيمها الخاصة جدًا. وهذه من أهم المعوقات التي تحول دون التشارك مع المواطن الإفريقي في كثير من القضايا. ما حال دون اندماج المغتربين في المجتمع المحلي، تعليمًا وثقافة وسياسة ولكنهم اندمجوا في العمل والمصالح وامسكوا بمفاصل الاقتصاد وسجلوا نجاحًا كبيرًا صرفهم عن أي اهتمام آخر وخلت أجنداتهم من أي تواصل مع الشعوب الإفريقية إلا في إطار العمل والمجاملة والمسايرة للحفاظ على مصالحهم، لكنهم اصطدموا بواقع التعليم السيئ والمعدوم، ما شجعهم مع استحقاق إدخال أبنائهم إلى المدارس وتوجه بعض المقتدرين إلى الاستثمار في قطاع التعليم في سيراليون والسنغال وشاطئ العاج وغانا حيث أسسوا مدارس لبنانية في الدول التي تعيش فيها جاليات لبنانية وعربية وأجنبية كبيرة العدد، في حين اتجه آخرون إلى تسجيلهم في مدارس خاصة وإرساليات تعليمية أجنبية عالية الكلفة، لأنه بالنسبة لهم فإن أبناءهم لن ينسجموا أو يندمجوا في المدارس الإفريقية التي ما زالت تعتمد على مناهج تعليمية تقليدية وقديمة ولا تلبي طموح الأهل والطلاب.

وأثبتت المدارس اللبنانية أنها استثمار ناجح وحققت الغاية منها بتلبية حاجة المغتربين إلى تأمين مستقبل أبنائهم والبقاء معهم حيث هم.

هذه الاستفاقة المتأخرة للمغتربين على تأسيس المدارس اللبنانية ترافقت مع تأسيس الجامعة الثقافية وانطلاقة المجلس القاري الإفريقي وتنظيم عمل المجالس الوطنية للجامعة والجمعيات والأندية وروابط الصداقة اللبنانية الإفريقية، وانعقاد عشرات المؤتمرات الاغترابية في لبنان وإفريقيا، وكلها حضت على ضرورة استحداث مدارس لبنانية في إفريقيا وإرسال مدرسين من وزارة التربية واعتماد برنامج تربوي يركز على تعليم اللغة العربية التي تساهم في تعزيز الروابط بين المغتربين والوطن الأم ولتدعيم هذا التوجه اقترح البعض اقامة دورات سنوية ودورية لاعداد مدرسين من أبناء الجاليات اللبنانية ومن قبل المركز التربوي للبحوث والانماء من دون أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ في حين أن الجمعيات اللبنانية المنتشرة بكثرة في دول إفريقيا هي خيرية واجتماعية ودينية. وقد أنشأت المراكز الدينية من مساجد وحسينيات وكنائس واديرة وهي تمثل طوائف لبنان ومذاهبه ويقتصر عملها على إحياء الشعائر والطقوس والمناسبات الدينية. وما زاد الطين بله، أن السفارات اللبنانية في إفريقيا على قلتها (10 سفارات) لا يوجد فيها ملحق ثقافي أو تربوي واحد، وليس هناك أي تعاون ثقافي بين لبنان والدول الإفريقية.

أول مدرسة لبنانية في إفريقيا هي المدرسة اللبنانية الدولية في سيراليون تأسست عام 1956 أي بعد ما يقارب الـ74 سنة على وصول أول مهاجر لبناني إليها عام 1884. وتعتمد المنهاجين اللبناني والبريطاني وتضم 700 طالب من صف الروضة حتى الثانوي من 23 جنسية. والمدرسون فيها من لبنان وبريطانيا وسيراليون. وتأتي أسئلة الامتحانات من بريطانيا وتصحح المسابقات فيها في مواد اللغة الانكليزية، وشهاداتها تعادل في لبنان وبريطانيا (1- جريدة السفير، ملحق سيراليون 2014). وفي العام 2017 أطلق اسم أحمد ناصر رئيسها السابق على إحدى قاعاتها، وهو رئيس مجلس الأمناء في الجامعة الثقافية حاليًا ورئيسها العالمي السابق.

إن التحسن الذي طرأ على قطاع التعليم لم تشهده الثقافة الملغاة أساسًا من قاموس المهاجرين اللبنانيين إلى إفريقيا، الذين لم يستجيبوا إلى الدعوات التي أطلقتها الهيئات والجمعيات والمؤتمرات الاغترابية لتنشيط العلاقات الثقافية مع

الأفارقة لتجسيدها والارتقاء بها، حيث انعدمت الندوات والمعارض والأنشطة الثقافية باستثناء امسيات شعرية معدودة لشعراء لبنانيين في المهجر أو لشعراء قصدوا إفريقيا في إطار "جوقات" الزجل أو جولات لفنانين لاحياء حفلات غنائية أو عرض مسرحيات كوميدية، على عكس الاغتراب اللبناني في الأميركيتين وأوروبا، الذي تتعدد فيه الأنشطة والمراكز الثقافية وتقام المعارض وتؤسس الروابط الأدبية التي ذاع صيتها ولمعت أسماء أعضائها في الأدب والشعر والرواية والقصة والفن والرسم.

وهذا لا يعني الانتقاص من مكانة اللبنانيين الثقافية والأدبية في إفريقيا وهو ظلم لهم، وخاصة أن معظمهم خرج من مقالع الأدب والشعر لكن ظروف العمل سلختهم عن واقعهم الثقافي ربما لبعض الوقت، غير أنهم لم يتخلوا عن جذورهم وأصالتهم وامتدادهم الفكري والمعرفي والابداعي. ففي السنغال تم تأسيس رابطة لاخوان الأدب العربي في إفريقيا أصدرت مجلة الأماني وصدر منها ثلاثة أعداد فقط لان السلطات الفرنسية منعت توزيعها، وأشرف عليها الشاعر محمد يوسف مقلد الذي كتب فيها مقالات بعنوان "نظرات وأحكام على الأدب المهجري في إفريقيا ومستقبله" اشار فيه إلى أنه كان في إفريقيا الفرنسية في وقت من الأوقات حركة أدبية لو أوتيت وسائل التشجيع لكانت تضاهي الحركات الفكرية التي عرفت في عهد الرابطة القلمية ايام جبران ونعيمة والريحاني ورشيد أيوب وغيرهم (1- موسوعة شعر المهجر، الجزء الأول، د. حسن جعفر نورالدين، 2014).

ويبدو ان هذه الرابطة ظلت يتيمة وكانت الأولى والأخيرة في إفريقيا لأن البيئة الإفريقية على المستوى الثقافي غير محفزة وغير مؤهلة، وكذلك ظروف العمل الصعبة في المجتمع الإفريقي فنأوا بأنفسهم عن الاهتمام لإنشاء روابط أدبية، مع العلم أن العشرات من المغتربين أصدروا كتبًا في القصة والرواية والأدب والشعر، وطارت شهرتهم في المحافل الأدبية والثقافية في لبنان وإفريقيا، ونذكر منهم على سبيل المثال رئيس اتحاد الأدباء والمفكرين المغتربين اللبنانيين وعضو الهيئة الإدارية لاتحاد الكتاب اللبنانيين طلعت العبدالله (الكونغو) الذي أصدر أربع روايات حتى الآن ترجم بعضها إلى الفرنسية، والشاعر نمر صباح صديق الرئيس السنغالي الراحل ليو بولد سنغور ومترجم شعره، وقاسم بسمة (سيراليون) الذي أصدر سبع روايات. وهناك إبراهيم فران، علي خاتون، علي أخضر ود. علي برو

والدكتورة دنيا فياض طعان التي أصدرت كتابًا بعنوان: اللبنانيون في ساحل العاج باللغتين العربية والفرنسية والسفيرة سعدى الأسعد فخري.

وبرز من شعراء الزجل في إفريقيا وتحديدًا في شاطئ العاج: أحمد شعيب، أحمد بلال زغلول أبيدجان، وشعراء باللغات المحلية الإفريقية منهم جميل كركر شاعر بالهوسا وهناك مجموعة كبيرة تتقن اللغات المحلية كتابة وخطابة أفضل ممن ينتمون إليها في إفريقيا مثل تيسير بسما بالهوسا ونعمة جمال باليوريا (1- أحمد رضا طرابلسي مسيرة جهاد وعطاء، حزيران 2004، علي بدرالدين).

ومن شعراء المهجر أحمد سعد (السنغال) الذي أصدر ديوان شعر حمل عنوان "هجرة وهجير". وفي مقابلة معه نشرتها مجلة المنبر (2- مجلة المنبر، نيسان 1992، العدد 84) عن الأمسيات الشعرية في السنغال قال: لم تكن هناك أمسيات بالمعنى المتعارف عليه، بل كانت تقام جلسات يتم فيها التداول بالشعر وأمور الثقافة ولا وجود لنشاطات ثقافية تقرب بين اللبنانيين والسنغاليين.

وفي السنغال تأسست أول جريدة عربية أسبوعية حملت اسم إفريقيا التجارية في نهاية 1930 ولكنها توقفت عن الصدور في أواخر عام 1935. كما أسس المهاجرون أربعة مكاتب لبيع الصحف والمجلات والكتب العربية الإفريقية في دكار وقصدت إحداها خلال زيارتي للسنغال عام 2008 إلى جانب مطبعة عربية (1- ملحق النهار "الاغتراب اللبناني" عدد آب أيلول 1999، ص 2). كما برز في السنغال الشاعر السيد محمد مكي وزوجته الشاعرة إكرام قديح التي أصدرت ستة دواوين شعرية.

وهناك العشرات من الأدباء والشعراء المغمورين الذين لم تتح لهم فرصة الظهور الإعلامي والشهرة أو لعدم القدرة على إصدار نتاجهم الأدبي والشعري.

ما تقدم يثبت أن المغتربين اللبنانيين والافارقة انتجوا وأبدعوا ثقافة وادبا وشعرا بقدرات ذاتية لانهم متساوون في المعاناة وينتمون لواقع مضطرب سياسيًا واقتصاديًا وأمنيًا لا يساعد على ترجمة الهوايات والمواهب الكامنة في العقل والروح، حيث انعدمت النشاطات الثقافية المشتركة واقتصر دور اللبنانيين الاثرياء منهم على الدعم والمؤازرة المادية والعينية في مؤسسات خيرية ودينية وتعليمية وثقافية إفريقية، أو أنشأوا مدارس لبنانية خاصة لتعليم أولادهم أو الاستثمار فيها وقد تشارك على مقاعدها الطلاب اللبنانيون والأفارقة وهذا ما عبر عنه الرئيس

السيراليوني أرنست باي كروما عندما قال في مقابلة مع محلق السفير الاغترابي (1- السفير الاغترابي، 10 أيار 2014، ملحق سيراليون)، أن الجانب المتكامل للعلاقات بين لبنان وسيراليون يمكن أن يظهر من خلال المدرسة المختلطة التي أسستها الجالية اللبنانية حيث يتابع تلاميذ من أعراق مختلفة ودول مختلفة لبنانيين وهنودًا وأفارقة وغيرهم ويحصّلون التعليم من دون تمييز. وقد يكون هناك حالات مشابهة في العديد من المدارس اللبنانية التي أنشئت في عدد قليل من دول القارة. وفي المحصلة، فإن للبنانيين دورًا تشاركيًا تنشيطيًا في قطاع التعليم في بعض الدول الإفريقية وإن اقتصر على احتضان طلاب أفارقة في هذه المدارس أو لسبب تجاري أو لجهة دعم المدارس الإفريقية بناءًا وترميمًا وتأهيلاً وتقديم مساعدات عينية لها كما يحصل وحصل مؤخرًا في أبيدجان في شاطئ العاج.

أثر الاغتراب اللبناني
في تعزيز اللغة العربية في جمهورية السنغال
(نمر صبّاح أنموذجًا):

د. محسن جواد



- مفتش تربوي سابق.
- أستاذ في جامعة المصطفى العالمية ـ فرع لبنان.
- باحث أدبي وتربوي، له مؤلفات عديدة.
- شارك كباحث في عدة مؤتمرات أدبية وتربوية واجتماعية.

تقتضي الأمانةُ أن أبدأ بشكر الأستاذة الدكتورة دلال عباس على كتابها بعنوان نمر صباح وليوبولد سنغور الذي كان المرجع الأساس في إنجاز هذا البحث. ومنشأ الفكرة في هذا البحث هو أنني أقوم بتدريس الطلاب الوافدين من بعض الدول الإفريقية مواد اللغة العربية في جامعة المصطفى(ع) في بيروت، وهم ينتمون إلى دول إفريقية متعددة، وقد لاحظت من بين هؤلاء الطلاب أن القادمين من جمهورية السنغال يحسنون العربية أكثر من زملائهم القادمين من دول إفريقية اخرى. وقد أثار هذا الأمر تساؤلي بشأن سبب هذا التميز للطلاب السنغاليين. ورحت أبحث حتى وجدت الإجابة في كتاب الدكتورة دلال عباس المذكور أعلاه، نمر صباح وليوبولد سنغور وقد ذيلت المؤلفة عنوان الكتاب بهاتين العبارتين: لقاءُ مبدعين ولقاءُ ثقافتين. وهذا الكتاب يكشف بتفصيل وافٍ لقاء هذين المبدعين الذي أدى إلى لقاء ثقافتين.

نمر صباح شاب من مدينة النبطية في جنوب لبنان من أسرة معروفة بالإقبال على العلم ومعروفةٍ بموهبة الشعر بصورة متوارثة. ومنها العالم الكبير حسن كامل الصباح. ولد نمر في العام 1920 وتعلم في المدرسة الابتدائية في مدينته، وكان عليه أن يتابع دراسته في دار المعلمين في بيروت لكي يصبح معلمًا. لكن طموحه كان أبعد من ذلك، فلم يكن راضيًا عن المنهج التعليمي ولا عن الإدارة التربوية في وطنه. لذلك عزم على السفر إلى فرنسة للتخصص في الإدارة التربوية. وفي باريس جمعته مقاعد الدرس في جامعة السوربون إلى زميل له من جمهورية السنغال اسمه ليوبولد سنغور. وقد عززت موهبة الشعر العلاقة بين هذين الزميلين وكان نمر شغوفًا بترجمة أشعار زميله إلى اللغة العربية. وبعد انتهاء سنوات الدراسة في فرنسة عام 1950 عاد سنغور إلى وطنه، أما نمرصباح فقد بقي يعمل في فرنسة

بضع سنوات، ثم سافر للعمل في دولة موريتانية المجاورة للسنغال. وبقي التواصل بين الصديقين بالوسائل المعروفة في ذلك العصر.

وفي العام 1960 نالت السنغال استقلالها وانتخب سنغور رئيسًا للجمهورية، وبعد أن استقر له الحكم استدعى صديقه إلى السنغال وعيّنه عميدًا لكلية الآداب، في جامعة داكار، فأنشأ نمر قسمًا للغة العربية في هذه الكلية، وأشرف عليه بنفسه وقام بالتدريس فيه. وقد ظل نمر في هذا المنصب تسعة عشر عامًا حتى وفاته في العام 1981. وإذا فرضنا أن عددًا من الطلاب السنغاليين قد تخرجوا في هذا القسم متمكنين من مواد اللغة العربية، فإن ذلك سوف يكون سببًا في انتشار هذه اللغة وازدهارها في تلك البلاد. وإذا علمنا أن خمسة وتسعين في المئة من أبناء الشعب السنغالي مسلمون، وجدنا سببًا آخر لإقبال هذا الشعب على اكتساب اللغة العربية، وبذلك فقد كان لاستحداث قسم اللغة العربية أثرٌ كبير في انتشار العربية وتمكنها.

ومعلوم أن اللغات المنتشرة في معظم الدول الإفريقية هي اللغات المحلية، وهي في السنغال لغة الوولوف. أما لغة البلاد الرسمية فهي الفرنسية بحكم انتماء البلاد إلى منظمة الفرنكوفونية العالمية، وتأتي اللغة العربية في المرتبة الثالثة للأسباب التي ذكرناها.

وما تزال آثار هذا الغرس الذي غرسه نمر صباح قبل ستين عامًا ماثلةً في الواقع التعليمي في جمهورية السنغال حتى عصرنا الحاضر. والشاهد على ذلك ما أوردته قناة الجزيرة عن مراسلها في داكار في العام 2013، وكان من نتائجه إقرار مسابقة للغة العربية في امتحان شهادة الثانوية العامة الرسمي. ابتداءً من العام 2013.

الانفتاح الرسمي على اللغة العربية في السنغال

سيدي ولد عبد الله المالك ـ الجزيرة نت 27/6/ 2013

اعتبر العديد من الناطقين باللغة العربية في السنغال أن قرار الحكومة القاضي بإجراء أول امتحان للثانوية العامة بالعربية، خطوة مهمة من النظام القائم من أجل تعزيز حضور ونفوذ المستعربين، الذين كانوا يجدون صعوبة كبيرة في متابعة تعليمهم العالي وفي الاندماج الوظيفي.

فقد أعلن وزير التعليم العالي ماري توي أنيان قبل أيام أن شعبة اللغة العربية

ستكون من شعب امتحانات الثانوية العامة التي ستنظم بعد أقل من أسبوعين على عموم التراب السنغالي.

مؤشر إيجابي

ويرى محمد سعيد باه أستاذ مادة الفكر الإسلامي بقسم المفتشين التابع لجامعة الشيخ أنتا جوب في حديثه للجزيرة نت أن هذه الخطوة تعتبر استجابة لواقع قائم، ومؤشرا على التوجه الرسمي الإيجابي الجديد في التعاطي مع قضايا التعليم العربي والإسلامي في السنغال، وهي كذلك تتويج لجهود كبيرة بذلت **منذ حوالي ستة عقود** لاستعادة موقع الصدارة الذي كان يتبوأها هذا التعليم، حسب قوله.

ويضيف باه أن اعتماد شهادة الثانوية العامة بالعربية سيعطي للتعليم العربي مزيدا من القوة، كما سيفتح أمام خريجي مؤسسات التعليم العربي والإسلامي في السنغال فرصا للنمو الأكاديمي فضلا عن تسهيل اندماجهم الاجتماعي والوظيفي بصورة أفضل في النسيجين الاجتماعي والاقتصادي.

حملات ضغط

وأطلق مثقفو اللغة العربية في السنغال حملة قوية السنة الماضية للضغط على مرشحي الانتخابات الرئاسية الأخيرة، تطالب برد الاعتبار للثقافة العربية والإسلامية واستخدام العربية في الميادين التعليمية والإدارية وفي البرامج الانتخابية.

كما دعوا إلى ترسيم العربية كإحدى اللغات الرسمية التي ينص عليها الدستور بوصفها لغة عمل ولغة ذات جذور ضاربة في تاريخ السنغال، وأن تحظى بصفة رسمية تتناسب مع مستوى التقدير الاجتماعي الذي تحظى به في الثقافة التقليدية.

ولا يُغفل باه دور هذا الحراك النخبوي بالإضافة إلى دور بعض القوى السياسية المتحالفة مع النظام الحالي، كحركة الإصلاح الاجتماعي ذات الخلفية الإسلامية، والتي وقعت اتفاقا مع الرئيس ماكي صال قبيل الانتخابات الرئاسية المنظمة في مارس 2012، من بين بنوده العمل على إصدار قانون يحمي العربية ويعزز من حضورها وحضور مثقفيها.

إلا أنه يرى في هذه الخطوة امتدادا طبيعيا لتوجه أخذ يتبلور منذ استقلال البلاد عن فرنسا عام 1960 من أجل إفساح المزيد من المساحة التعليمية أمام التعليم العربي والإسلامي بالسنغال ضمن مسطرة نظام تربوي جديد.

عوائق واشتراطات

ولفت باه النظر إلى أن من أبرز العوائق التي ستواجه الدفعات الأولى من حملة الشهادة الثانوية العامة باللغة العربية، عدم وجود مؤسسات أكاديمية وطنية بالنسبة لمن لا يحسنون اللغة الفرنسية. حيث إن الجامعات السنغالية التي تدرس اللغة العربية تشترط معرفة اللغة الفرنسية بالنسبة لحملة الشهادات العربية الراغبين في التسجيل به. وتشير بعض الإحصائيات إلى وجود ما بين 1و12٪ من السكان ناطقين بالعربية، هذا بالإضافة إلى وجود قرابة خمسين ألف مدرسة للتعليم العربي والإسلامي بأحجام مختلفة، وثلاث كليات للدراسات العربية، كما تستقبل السنغال سنويا مئات الخريجين القادمين من الجامعات العربية.

المراجع :

1 ـ عباس، الدكتورة دلال: نمر صباح وليوبولد سنغور، ط 1، بيروت، لجنة الصباح الوطنية، أيار 2000.

2 ـ قناة الجزيرة التلفزيونية: موقعها على شبكة الإنترنت، الجزيرة - نت 27/6/ 2013. تاريخ الدخول إلى الموقع يوم الجمعة 11 شرين الأول 22019

3 ـ اللغة العربية والثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا (السنغال نموذجا)/ الدكتور محمد المختار جيي، مارس، 2018، موقع الصدى الثقافي على شبكة الانترنت. 23 آذار، صحيفة موريتانية مستقلة شاملة.

المقدمة

دخل الإسلام في السنغال بصفة مبكرة وذلك منذ القرن الحادي عشر الميلادي أو قبله عند بعض الباحثين والمؤرخين، وقد رافق الإسلام اللغة العربية في السنغال منذ بداية مسيرته. وقد أثرت اللغة العربية والثقافة الإسلامية في السنغاليين تأثيرا بليغا، فكانا كصنوين لا يفترقان في الشعب السنغالي، ظهر ذلك في كل مظاهر الحياة الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكان للاحتكاك بين العرب وخاصة الموريتانيين والمغاربة في شمال إفريقيا دور كبير في ذلك وكذلك التجار والشيوخ، وقد أدى هذا أيضًا إلى بروز عدد كبير من الكلمات العربية في اللغات المحلية الإفريقية، وخاصة السنغالية.مثل اللغة الولوفية والفولانية.

وفي هذا العرض نركز على اللغة العربية والثقافة الإسلامية ومدى تأثيرهما في الشعب السنغالي.

ظهور الإسلام في غرب إفريقيا:

تميز عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق بقتال أهل الردة ومانعي الزكاة، فتوطدت أركان الدولة الإسلامية بعد أن كادت تتمزق إثر وفاة النبي، أما في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فقد توسعت دار الإسلام، وامتدت الفتوح إلى مناطق من إفريقيا، ففتح عمرو بن العاص مصر سنة 20 هـ والإسكندرية والرقة سنة 21هـ وطرابلس الغرب سنة 22هـ.

ويروى أن عمرا لما فتح طرابلس كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يقول: "إن الله فتح علينا طرابلس .... وليس بينه وبين إفريقية (تونس) إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل".

ولكن عمر بن الخطاب لم يأذن له، ولما جاء الخليفة عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص عن مصر، وولى عليها عبد اله بن أبي سرح، وأذن له في فتح إفريقية، وفي سنة 50هـ / 760م، دخل عتبة بن نافع الفهري إفريقية، واختط مدينة القيروان، وكانت له ولاية ثانية على إفريقية (62 ـ 64هـ / 681 ـ 683م)، تابع فيها فتوحه.

وذكر ابن عذارى أن عقبة بن نافع نزل من درعة إلى بلاد صنهاجة، ثم إلى بلاد هسكورة، ثم نزل أغمات ورويكة، ثم نزل منها على وادي نفيس، وسار حتى نزل ريجلى بالسوس.

وفي بعض الروايات أن عقبة تابع سيره حتى وصل مدينة ولاتة بشرق موريتانيا اليوم، وتدعى يومئذ بـ "بيرو"، وخلف ابنه العات.

وعلى كل فقد تواترت روايات المؤرخين عن حملة سيرها عبيد الله بن الحبحاب والي هشام بن عبد الملك على إفريقية والمغرب لنشر الإسلام وحفر الآبار تمهيدا للطرق في السوس الأقصى وبلاد سوقة.

وقد قاد تلك الحملة سنة 114هـ أو 116هـ حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، هذه الحملة التي شقّت إلى تخوم السودان.

وعلى مدى قرون من بعده كان الإسلام والثقافة الإسلامية المنساب في أرجاء القارة الإفريقية دون أن تعضدها في كثير من الحالات قوة أو سلطان، كان كذلك اللغة العربية تنتشر بانتشار الناس، وتسلك مسالكهم، وتحل أينما حلّوا، فيتلقاها الأفارقة بالقبول، وبعثت قوتها بإيمان وإقناع.

وفي القرن الثالث الهجري بدأت قبائل صنهاجة تنظم شأنها، وتحكم أمرها، فاجتمعت حول الأمير تميم اللمتوني، وتحت راية الإسلام، داعية إلى تثبيت أركانه فيما بينها، وإلى نشره فيمن حولها من القبائل البربرية بالصحراء.

وفي القرن الرابع الهجري حج الأمير اللمتوني يحيى بن إبراهيم الكدالي، فكان عاقبة حجه خيرا وبركة، فقد بحث عن شيخ فاضل يساعده على تعليم رجال جماعته مبادئ الدين واللغة، فمرّ بالقيروان سنة 426 هـ/ 1033م، فلقي بها الفقيه أبا عمران الفاسي، وشكا إليه حال قومه وجهلهم بأصول الدين وتعاليم الشريعة الإسلامية، فكتب له أبو عمران إلى أحد تلاميذه بالسوس، وهو وكاك بن زلو اللمطي، وكان عالما، فوافاه بمقره .... فانتدب له عبد الله بن ياسين (ت451هـ/ 1059م)، وهو فقيه، فرافقه إلى قومه، وقد تفرغ هذا الأخير لهداية هؤلاء الناس، لكن العنف الذي كان يستخدمه معهم حولهم عنه، وشعر أنه أخفق في رسالته، وقرر أن يهجر هذ الشعب، ويقصر جهوده على هداية شعوب السودان الإسلام.

تاريخ وصول الإسلام إلى السنغال

لم يتفق الباحثون عن تاريخ دخول الإسلام والثقافة الإسلامية في السنغال بالتحديد، فيرى البعض أن الإسلام دخل السنغال بفضل عبد الله بن ياسين الذي رابط في شبه جزيرة قرب ضفاف نهر السنغال في القرن الحادي عشر الميلادي.

بينما تخبرنا الرواية المتداولة بين السنغاليين أن الإسلام وصل السنغال من تيار جيش عقبة بن نافع، وذلك بدليل أن صحراء لمتونة التي وصلها عقبة مع جيشه أثناء مطاردته للبربر، هي الصحراء المشتركة الآن بين أهالي السنغال وأعراب المغاربة الذين يعيشون كثبان تلك الصحراء قرب ضفاف نهر السنغال.

أما ما يتعلق باللغة العربية فيرى بعض الرواة أنها دخلت السنغال بصفة مبكرة، وذلك بفضل حركة التجار العرب الذين كانوا يرتادون المنطقة، والرواية المشهورة عند المؤرخين أنها تغلغلت تمامًا في السنغال منذ بداية النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي قبل بداية حركة المرابطين بقليل، وأن أول حاكم مسلم عمل على نشر الإسلام فيما جاور البلاد السنغالية من البلدان، هو وار ديابي (ت1041م).

ولكن مهما تناقضت الروايات فمن المؤكد أن المرابطين رسخوا جذور الإسلام

وثقافته في السنغال، وذلك منذ أن اتخذ عبد الله بن ياسين رباطه في شبه جزيرة بضفاف نهر السنغال، وقضى فيها هو وأصحابه عدة سنوات كاملة (1013 ـ 1053)، يعلم الأفارقة الدين والثقافة الإسلامية.

وقد أثر المرابطون في شعوب السنغال تأثيرا كبيرًا، وامتزجوا بهم إلى حد التزاوج والتصاهر، ويذهب بير لابات pére labat إلى أن المرابطين هم الذين نقلوا المحمدية إلى الزنوج، ولهذا كان لهم أثر قوي في هذه الشعوب التي تنظر إليهم كأساتذة وكدين، وتستشيرهم في غالب شأنها.

ويرى بول مارتي أن للصنهاجيين دورا كبيرًا وقوى عظيمة في الأراضي السنغالية منذ وصولهم إليها، ويضيف قائلاً: وحتى كلمة السنغال التي كنا نطلق عليها على سكان ضفاف النهر قد أخذناها من صنهاجة، أما الاسم الولوفي للمنطقة فهو جولوف).

ويقول فينسان مونتاي أن السنغال أتت من بربرة زناغة Zanaga الذين كانوا يقطنون ضفتها الشمالية.

وبذلك فإن المرابطين كان لهم فضل كبير على شعوب السنغال، وبفضلهم أصبح سكان هذه المنطقة مسلمين، وكلن حاكم هذه البلاد وهو وار ديابي أول حاكم زنجي اعتنق الإسلام، وبذلك أصبح الدين الإسلامي رسميا لدى المجتمعات الإفريقية).

يقول البكري: "إن أول من حكم هذا الإقليم (يعني: إقليم تكرور)، وأسلم، وعمل على نشر الإسلام فيما حوله من البلدان هو وارجابي توفي حوالي 1041 ـ 1042م".

وقد تابع أبناء هذا الملك حركة أبيهم في نشر الدعوة الإسلامية، وعندما انقسمت حركة المرابطين إلى قسمين: شمالي وجنوبي، كان التتار صوب الجناح الجنوبي الذي قاده أبو بكر بن عمر، وغزا به غرب إفريقيا، وكان لبي Labé ابن وار جابي وجنوده الركيزة الأساسية في الانتصار على دولة غانا الوثنية وأسلمتها.

ـ دراسة طرق وصول اللغة العربية والثقافة الإسلامية إلى السنغال

إن الطرق التي شقتها اللغة العربية للوصول إلى السنغال لم يرتبط بخطوط رسمية مضبوطة، بل اندفعت إلى الناس في القرى والمدن والأرياف هنا وهناك، إلا أنه يمكن القول إن هناك بعض الطرق وروافد عربها الإسلام.

وقد كانت من أهم تلك القنوات:

قناة القيروان: فقد كانت القيروان منذ القرن الأول الهجري مركزا ثقافيا دينيا، وقد كان مزدحمًا بطلبة العلم والدعاة، ومما يدل على أهمية القيروان هو أن يحيى بن إبراهيم زعيم قبيلة حبالة، ومنشئ دولة المرابطين عندما أحس بالتزامه بخدمة الإسلام، وإنقاذ الزنوج والبربر من ظلام الوثنية والجهل، ذهب إلى القيروان حيث قابل أحد علمائها، وهو أبو عمران الفاسي، وتلقى عنه ألوانًا من الفكر والفقه، ثم ذكر له أنه يريد أن ينقل إلى قومه في الجنوب ثقافة القيروان الدينية، وقد أحاله أبو عمران إلى تلميذه، فقيه سوس، وحاج اللمتوني، فاختار له وحاج تلميذه عبد الله بن ياسين الذي قام بدور كبير لإنشاء دولة المرابطين، وهكذا انبعث من القيروان شعاع إلى الجنوب وصولا إلى السنغال، وفيما بعد التحق كثير من الأفارقة لتلقي اللغة العربية والعلوم الإسلامية في القيروان، ثم تخرجوا هناك وأصبحوا كوادر في بلادهم الأصلية.

قناة تلمسان بالجزائر:

وبالتحديد من مدينة توات tawatحيث عبرت منها إلى ما وراء الصحراء عن يد مهاجرين منذ القرن الخامس الميلادي، وهذه المنطقة (توات) واحة في النصف الغربي من الصحراء الجزائرية، وقد اتخذ من ولاية ولاتة أهل مركز الطريقتين، ولكن إحضارهم فيما بعد لجأوا لإلى تمبكتو التي كانت مركزا ثقافيا علميا دينيا، يجتمع بها العلماء والمثقفون.

قناة فاس:

قد لعبت هذه القناة دورا كبيرًا في نشر الثقافة الإسلامية في السنغال، وقد مر بها التصوف وخاصة التجانية التي أشعل فعبر الأحبار فإن هناك عناصر من علماء فاس ومراكش الذين كانوا يترددون كثيرًا إلى موريتانيا، ويعملون هم وتلاميذهم وسط القرى لنقل اللغة العربية والقيم الإسلامية إلى سكان الجنوب.

ومن قيمة هذا العطاء أن هؤلاء العلماء كانوا يجمعون بين العلم والحماس لنشر الإسلام في أقطار الوثنيين.

قناة شنقيط:

وقد ساهمت هذه القناة مساهمة كبيرة في وصول اللغة العربية والثقافة الإسلامية إلى السنغال، كما ساهمت في تكوين ملامح الثقافة العربية الإسلامية،

إذ كان جل اعتماد المدارس والكتاتيب والمحاضر في بث المعارف والعلوم العربية على أكتاف العلماء والدعاة الشناقطة.

وتاريخيا ربطت شنقيط وبلاد السنغال رابطة عميقة الجذور قبل الإسلام، وذلك بحكم الجوار، ولما جاء الإسلام توطدت أواصر العلاقة بينهما، وكان العلماء الشناقطة يجوبون بلادالسنغال ويستوطنونها عبر العصور والأزمان.

فقد كان لعلماء الصحراء ومشائخها في كل العهود القديمة والحديثة دور متميز في نقل اللغة العربية والإشعاع الثقافي والفكر الإسلامي إلى شعوب السنغال، وشرب علماء سنغاليون في المدارس الشنقيطية، فقد تلقى عبد القادر كان زعيم أئمة فوتا العلم لدى مرابطة شنقيطية، هي الشيخة خديجة بنت العاقل، ومن الواضح أن تأثير جماعة أدوعل الشنقيطية، كان أكثر وضوحا وبروزا على شعوب السنغال، إذ هاجرت هذه الحاجة إلى البلاد السنغالية، واستوطنت فيها، فعن أدوعلي أخذ أكثر علماء السنغال، فقد أخذ الحاج عمر الفوتي العلم والتجانية عن سيدي مولود فال، كما قام الحاج مالك سي بدراساته العليا عن هذه الجماعة، وكان يرسل أتباعه لإتمام دراساتهم إليها.

فقد كان الاتصال المباشر بين السنغاليين والموريتانيين واختلاطهم لأجل الدين والعلم والتجارة سببا في تغلغل اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

دور الشيوخ في إرساء الإسلام والثقافة العربية

إن الحقيقة التاريخية التي لا يستطيع دارس تاريخ إفريقيا ان ينكرها هو دور الشيوخ في القارة الإفريقية وما قاموا به من أدوار بارزة في نشر اللغة والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا بصفة خاصة وفي القارة الإفريقية بصفة عامة.

ويبدو انه لا يمكن فهم تاريخ إفريقيا وخصوصا في العصر الحديث دون التعرف للمتصوفين ومقاومة بعضهم للمستعمر، ونشر اللغة العربية، فقد كان للشيوخ دور جلي وواضح في نشر اللغة وبناء العديد من المدارس العربية والكتاتيب والمحاضر.

ويرى بعض الباحثين أن الثقافة الإسلامية ظهرت في مناطق كثيرة في القارة الإفريقية من خلال جهود زعماء التصوف والشيوخ الذين تصدوا للمجتمعات الوثنية، وقاموا بنشرها بين أقوام وثنيين جاهلين، وبين حكام متعنتين حاربوا هذه الثقافة.

وبفضل هؤلاء انتشرت الثقافة الإسلامية في مجتمعات الصحراء الكبرى وكان للزوايا القادرية الدور الأكبر في القارة الإفريقية، كما كانت للسنوسية والشاذلية مساهمات في ذلك.

ومنذ قيام دولة غانا ومالي وصنغاي فقد قام الشيوخ الأفارقة بنشر الإسلام وثقافته، فقد كان شيوخ تمبكتو من أكبر الشيوخ الذين نشروا اللغة العربية والثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا.

كما أنه عند القرن التاسع عشر ظهر شيوخ آخرون قاموا بنشر الثقافة الإسلامية منهم عثمان دام فودي الذي نشر الإسلام في بلاد هاوسا، .... وكان لجهوده خمسة عشر عاما من الكفاح والنضال دور لتأسيس دولة إسلامية قوية، مارست كل النظم الإسلامية في كل منحى من مناحي حياتها .... وقد كانت تتعرض فيه الدولة العثمانية إلى ضربات الأمم المسيحية، فكانت خير عون لنشر الدين.

وقد ظهرت في بلاد تكرور شيوخ تحملوا أعباء الثقافة الإسلامية ثم نشرها، وكان منهم شيوخ فوتا، مثل: سليمان بال، وعبد القادر، والحاج عمر، وكان هؤلاء أول من طبق الحكومة الإسلامية في الدولة السنغالية، واستعمل اللغة العربية في إداراتهم.

وكذلك الحاج عمر تال ناشر الطريقة التجانية في غرب إفريقيا فقد كان للحاج عمر دور كبير في نشر اللغة والثقافة، فقد ترك العديد من المصنفات والمؤلفات باللغة العربية.

ولقد قامت الشيوخ المسلمون المتصوفون في القارة الإفريقية بدور ثقافي لا يمكن تجاهله أو إنكاره بالرغم من الكثير من الضغوطات فقد قام الشيخ أحمد باه والحاج مالك وأحمد بامبا وإبراهيم نياس وغيرهم بدور كبير في نشر الإسلام في السنغال والثقافة العربية في البلاد السنغالية

وإلى جانب عثمان دام فوجو وأخيه عبد الله والحاج عمر الفوتي فقد تركوا مدونات عديدة في اللغة العربية وآدابها وكذلك الحاج مالك سي، والشيخ أحمد بامبا، والحاج إبراهيم نياس، والخليفة محمد نياس، وغيرهم من العلماء الذين أسهموا في إثراء المكتبة العربية الإسلامية بمؤلفاتهم ومدوناتهم.

أهم مراكز اللغة العربية القديمة في السنغال

يبدو أنه بعد ظهور الإسلام في السنغال ظهرت مراكز تعليمية هامة لنشر الإسلام وثقافته، وكان من أهمها:

جامعة بير:

وكانت جامعة شعبية تقليدية دينية عريقة لعبت دورا رياديا في نشر شعاع اللغة والثقافة والعلم، ويرى أحد الباحثين أن تأسيس أول جامعة إسلامية بالمعنى الصحيح على التراب السنغالي هي جامعة بير الإسلامية التي تم تأسيسها من القاضي عمر فال.

ويرى الأستاذ محمد جوب أن الشيخ عمر فال قام بتأسيس جامعة بير، وذلك بعد عودته من شنقيط، وقد علَّم في هذه المنطقة القرآن ومبادئ اللغة وعلوم الرسم، وقد شاء القدر أن اشتهر هذا الشيخ وأصبح الناس يفدون إليه من نواح بعيدة لحضور جلساته العلمية، وخاصة مجلس تفسير القرآن الكريم، وكان عندما يسأل أحدهم: إلى أين أنت ذاهب؟ يجيب قائلاً: إلى بِرِمَا، يعني: مجلس التفسير، من هنا جاءت تسمية منطقة بير ببير.

وقد ظلت هذه الجامعة مدة طويلة مركزا ثقافيا دينيا، ينير العقول والأذهان، وتعمل على نشر الثقافة العربية الإسلامية .... الاستعمار الفرنسي، فقد عمد الجنرال فيدربه إلى إحراق الجامعة والمدينة في عهده سنة 1864م.

جامعة كوكي العريقة:

وهي أيضًا جامعة إسلامية شعبية عريقة لعبت دورا في الإشعاع الديني والفكري، وقد تم تأسيسها على يد مختار اندومب جوب.

وإضافة إلى هذه المدرسة العلمية نجد أيضًا في فوتا مدارس دينية وعلمية، لا تقل أهمية عن جامعتي بير وكوكي، مثل: مدرسة بوغي وغجلين.

والجدير بالذكر أن هذه المراكز والمدارس كانت أصيلة وذات صفة تقليدية.

المعاهد والمدارس الحديثة في السنغال

منذ الخمسينات أو قبلها بقليل ظهرت مدارس ومعاهد حديثة ذات مناهج معاصرة وذلك بعد ما رحل بعض المستعربين إلى العالم الإسلامي لتلقي العلوم الإسلامية واللغة العربية وآدابها، وبعد عودتهم إلى بلدانهم الأصلية أسسوا معاهد ومدارس نظامية، على أن المدارس العربية القديمة كانت ذات صبغة أصيلة،

فكانت مناهجها وطرق تدريسها تقليدية، وعند رجوع هؤلاء المستعربين الجدد من الجامعات الإسلامية كالأزهر والزيتونة والقرويين والمملكة العربية السعودية وليبيا أحدثوا تطورات جديدة في نظام التعليم العربي ومناهجه، وكان من أبرز هذه المؤسسات التعليمية ذات الصفة الحديثة: معهد الفلاح، مركز التعليم الإسلامي ابن تيمية، معهد الشيخ الحاج عبد الله انياس بكاولاخ، معهد الأزهر للشيخ مرتضى امباكي، ومنار الهدى وغيرها.

ويبدو أنه منذ السبعينات تزايد وتكثّف عدد المدارس باللغة العربية في السنغال في تزايد حملة الشهادات العالية، مثل: الإجازة (الليسانس)، والماجستير، والدكتوراه، كما أعطت لها الحكومة السنغالية أهمية لم تكن من قبل للغة العربية ودراستها، فأدمجت العربية في المدارس الفرنسية وفي بعض الإدارات الوطنية، ووظف مدرسين ومؤطرين ومكونين باللغة العربية، وأصبحت هذه اللغة تحتل المرتبة الثالثة في المؤسسات الحكومية الرسمية.

الخاتمة:

رافقت اللغة العربية الإسلام فكانا كعملتين، فحيثما ظهر الإسلام كان بجانب اللغة العربية، وقد اعتنق الشعب السنغالي الإسلام واللغة العربية فأحبها وتأثر بها وذلك في كل مظاهر حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وخاصة في حياته الروحية.

ويرى بعض المؤرخين أن انتشار اللغة العربية في غرب إفريقيا كان بسبب طلائع أصحاب عبد الله بن ياسين الذي استقر في فوتا السنغالية، وذلك حوالي القرن الحادي عشر، ومنذ ذلك الزمن ما زالت اللغة العربية تنتشر وتزداد، وأصبحت اللغة المتداولة بين أهالي السنغال، فكانت الإدارة الاستعمارية تتعامل بها مع الشعب السنغالي.

أصبحت اللغة العربية جزء لا تتجزأ من التكوين العقلي للإنسان السنغالي وثقافته، ويرى بعض الباحثين ان جل اللغات السنغالية، مثل: ولوف، والتكرور، والماندينكي أخذت من اللغة العربية، وكان الشعب السنغالي يستعمل بالكتابة الحرف العربي، ولذلك كانت كل المخطوطات في السنغال ذات أصل عربي، وكان الشيوخ السنغاليون يدونون ويؤلفون باللغة العربية، وذلك نثرًا وشعرًا، وهذا

قد ساهم مساهمة كبيرة في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وجعلها من مكونات العقل السنغالي المسلم.

ويبدو أنه لا توجد منطقة في السنغال في هذا العصر إلا وفيها مدارس أو معاهد عربية أو كتاتيب يعلمون فيها اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

* موقع الصدى الثقافي على شبكة الإنترنت 23 آذار 2018 تاريخ الدخول إلى الموقع يوم الجمعة 11 تشرين الأولى 2019.

المدارس اللبنانية في بلاد الاغتراب:

أ.د. سلطان ناصر الدين



- متخصص في اللغة العربية وآدابها.
- متخصّص في التربية والإدارة التّربويّة.
- خبير تدريب في المجالات التّربويّة.
- محاضر في الموارد البشريّة
- باحث تربويّ لغويّ.
- كاتب، من مؤلّفاته: علّميني يا حياة، دبابيس، مشاهد ملوّنة، هكذا ندرك المعنى، المحيط في اللغة العربيّة.

متى ذُكر لبنان ذُكرت هجرة اللّبنانيّين أو انتشارهم أو سَفرهم. فقدر لبنان أن يكون في التّاريخ في أمكنة متعدّدة على الكرة الأرضيّة[1].

فالتّجّار الفينيقيّون حملوا الأرجوان إلى العالم المتوسّطيّ، وانتشرت معهم الأبجديّة[2].

وأليسار ابنة ملك صور تغادر المدينة، فتؤسّس مدينة قرطاج على ساحل شمال إفريقيا في تونس الحاليّة[3].

وتستمرّ السُّبْحة منذ الفينيقيّين حتّى مطلع القرن العشرين وصولاً إلى أيّامنا.

وها هو رياض المعلوف يحنّ من بلاد الاغتراب إلى لبنان، يقول:

"هــــلْ يــــا تُــــرى نــــعــــودْ إلــــيــــكَ يــــا لــــبــــنــــانْ
فــــتــــصــــدقَ الــــوعــــودْ ويــــســــمــــحَ الــــزّمــــانْ
ونــــقــــطــــفَ الــــعــــنــــقــــودْ مــــنــــوَّعَ الألــــوانْ
هــــلْ يــــا تُــــرى نــــعــــودْ إلــــيــــكَ يــــا لــــبــــنــــانْ؟"

إذًا، قَدَرُ اللّبنانييّن أن ينتشروا في بقاع الأرض، لكنْ بإرادتهم كانوا عارفين فعّالين في الاقتصاد، واقتصاد المعرفة عصب الاقتصاد. واقتصاد المعرفة عمدته روابط ثقافيّة وعلميّة ومدارس.

لا أبغي في هذا البحث رصد المدارس اللّبنانيّة في بلاد الاغتراب تاريخيًّا وتوزيعًا جغرافيًّا، ولكن ما أبغيه هو الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما أنواع المدارس

(1) فينيقيّون، الموسوعة الحرّة "ويكيبيديا".
(2) مؤسّسة قرطاج، الموسوعة الحرّة "ويكيبيديا".
(3) 3 ـ موقع "دار الجديد" (2018/9/27).

اللّبنانيّة في بلاد الاغتراب؟ ما الأسباب الّتي أدّت إلى نشوئها؟ ولماذا الإصرار على إنشاء مدارس لبنانيّة في بلاد الاغتراب رغم أنّ النّظام السّياسيّ اللّبنانيّ لم يقدّم لها شيئًا؟

أوّلاً ـ أنواع المدارس اللّبنانيّة في بلاد الاغتراب:

تنتشر المدراس اللّبنانيّة في القارّات الخمس: آسيا، أوروبّا، إفريقيا، أميركا، أستراليا، حيث هناك جاليات لبنانيّة.

ففي آسيا، ثمّة مدارس لبنانيّة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، في فرنسا، إيطاليا، ألمانيا، بريطانيا، رومانيا، بلغاريا، التشيك، السّويد، إسبانيا. وفي إفريقيا، ثمّة مدارس لبنانيّة، على سبيل المثال لا الحصر، في غانا، الكونغو، السّينغال، سيراليون، ساحل العاج. وفي أميركا، ثمّة مدارس لبنانيّة، على سبيل المثال لا الحصر، في كندا، الولايات المتحدّة الأميركيّة، البرازيل، الأرجنتين، البراغواي.

وهذه المدارس المنتشرة في القارّات الخمس تتنوّع؛ ويمكن بيان أنواعها بـ: صغيرة جدًّا، صغيرة، مؤسّسة خاصّة محصورة، مؤسّسة خاصّة تابعة، مدرسة معتمدة الشّهادة اللّبنانيّة.

1 ـ المدرسة الصّغيرة جدًّا: مدرسة أنشأها شخص نتيجة حاجّة ماسّة، غايتها تدريس اللّغة العربيّة والتّربية الدّينيّة ولاسيّما القرآن الكريم. مكانها بيت، عدد طلاّبها لا يتجاوز العشرين. دوامهم مرّات قليلة في الأسبوع. وهذه المدرسة لا تحتاج إلى إجراءات قانونيّة من الدّولة حيث هي. ومن أمثلة تلك المدارس: مدرسة فاتن الخطيب في ساحل العاج، ومدرسة غادة جواد في إيطاليا. ونحن على معرفة بالمدرستين تنسيقًا وتدريبًا ورعاية.

2 ـ المدرسة الصّغيرة: مدرسة أنشأتها مجموعة من محبّي اللّغة والأصالة باسم جمعيّة أو هيئة مُقَوْنَنة. غايتها تدريس اللّغة العربيّة والتّربية الدّينيّة ولاسيّما القرآن الكريم. مكانها نادٍ قرب مسجد، أو غرف مستأجرة في مدرسة معيّنة. عدد طلاّبها يتراوح بين الخمسين والمئتين. دوامهم مرّة في الأسبوع، عادةً ما يكون يوم سبت. هذه المدرسة تحتاج إلى إجراءات قانونيّة من الدّولة حيث هي. ومن أمثلة تلك

المدارس: مدرسة النّور في بريطانيا، ومدرسة الصّادق في أستراليا، والنّادي العربيّ في ميتشغين.

3 ـ المدرسة المؤسّسة الخاصّة المحصورة: مدرسة أنشأتها مؤسّسة أو شركة أو جمعيّة وفق الأصول المعمول بها في البلد حيث هي. غايتها تدريس منهج البلد حيث هي مع إضافة اللّغة العربيّة، أو تدريس المنهج اللّبنانيّ مع إضافة موادّ إلزاميّة تفرضها وزارة التّربية حيث هي. مكانها مبنى مدرسيّ وفق المواصفات والمعايير العالميّة. عدد طلاّبها يتراوح بين مئة وخمسين طالبًا وخمسمئة. وقد يصل عددهم إلى أكثر من ألف. الدّوام خمسة أيّام في الأسبوع. ومن أمثلة تلك المدارس: مدرسة بيروت بوخارست في رومانيا[1]، مدرسة أكرا في غانا[2]، المدرسة اللّبنانيّة في قطر[3]، ومدرسة جبران خليل جبران في صوفيا (بلغاريا)[4].

4 ـ المدرسة المؤسّسة الخاصّة التّابعة: مدرسة أنشأتها مؤسّسة أو شركة أو جمعيّة وفق الأصول المعمول بها في البلد حيث هي. وهي تابعة لمؤسّسة أو شركة أو جمعيّة لها مدارس في لبنان. أكثرها يعتمد المنهاج اللّبنانيّ مع إضافة موادّ إلزاميّة تفرضها وزارة التّربية حيث هي. مكانها مبنى مدرسيّ وفق المواصفات والمعايير العالميّة. عدد طلاّبها يتراوح بين ثلاثمئة طالب وألف. الدّوام خمسة أيّام في الأسبوع. ومن أمثلة تلك المدارس: مدرسة الشّويفات الدّوليّة SABIS المنتشرة في ستّة عشر بلدًا في العالم[5]، ومدارس المهدي في إيران باسم المهدي[6]، وفي إفريقيا والبرازيل بأسماء أخرى تحت إشراف مدارس المهدي: مدرسة الغدير في ساحل العاج[7]، والمدرسة اللّبنانيّة البرازيليّة في فوز دي غواسّو[8]. وفي البراغواي مدرسة تشرف عليها مؤسّسات أمل التّربويّة، وهي تابعة للمركز التّربويّ

(1) صفحة مدرسة بيروت بوخارست ـ رومانيا.
(2) صفحة مدرسة أكرا ـ غانا.
(3) موقع المدرسة اللّبنانيّة في قطر Isq.sch.qa.
(4) موقع النّهار (9 حزيران 2014).
(5) زينب زعيتر، عن نجاحات لبنانيّة في بلاد الاغتراب، موقع tayyar (22 أيّار 2015).
(6) صفحة مدارس المهدي ـ إيران.
(7) صفحة مدرسة الغدير ـ ساحل العاج.
(8) صفحة المدرسة اللّبنانيّة البرازيليّة ـ فوز دي غواسّو.

اللّبنانيّ في البراغواي[1]. وثمّة مدارس للرّهبنة المريميّة اللّبنانيّة في مصر والسّنغال والولايات المتّحدة الأميركيّة والأرجنتين[2].

5 ـ المدرسة المعتمدة الشّهادة اللّبنانيّة: ثمّة مدارس قد وردت في الأنواع السّابقة تعتمد المنهاج اللّبنانيّ كاملاً. وهي مسجّلة في مصلحة التّعليم الخاصّ، تُرسل لوائحها إلى بيروت، ويخضع طلاّبها لامتحانات الشّهادة الرّسميّة اللّبنانيّة: الشّهادة المتوسّطة، وشهادة الثّانويّة العامّة. وتجري الاختبارات في سفارات لبنان حيث هذه المدارس؛ وهذه المدارس هي[3]:

* أكرا ـ غانا
* بيروت بوخارست ـ رومانيا
* جبران خليل جبران ـ بلغاريا
* المدرسة اللّبنانيّة ـ قطر

ثانيًا ـ أسباب نشوء المدارس اللّبنانيّة من بلاد الاغتراب:

نشأت، في بلاد الاغتراب، مدارس لبنانيّة، وذلك لأسباب عديدة، نرى أنّ أكثرها دينيّة، وطنيّة، لغويّة، اقتصاديّة.

أكثر المدارس الصّغيرة جدًّا (تدرّس في البيت) تأسّست لأسباب دينيّة لغويّة، كمعرفة التّراث واللّغة العربيّة. ولا يخفى أنّ ثمّة سببًا اقتصاديًّا ألا وهو تحصيل المال.

أمّا المدارس الصّغيرة (تدرّس مرّة في الأسبوع) فقد تأسّست أيضًا لأسباب دينيّة لغويّة كمعرفة القرآن واللّغة العربيّة. وهذه المدارس توزّع المبالغ المحصّلة أجرة لمن يدرّس.

والمدراس الخاصّة المحصورة بعضها تأسّس لأسباب دينيّة لغويّة وطنيّة (الغدير ـ أبيدجان، والمريميّة - مصر)، وبعضها تأسّس لأسباب وطنيّة اقتصاديّة (مدارس الشّويفات الدّوليّة، والمدرسة اللّبنانيّة في قطر).

---

(1) صفحة المركز التّربويّ اللّبنانيّ في البراغواي.
(2) الرّعايا المارونيّة في بلدان الانتشار، موقع kobayat (17 حزيران 2003).
(3) موقع وزراة التّربية والتّعليم العالي ـ لبنان.

ثالثًا ـ الإصرار على إنشاء مدارس لبنانيّة في بلاد الاغتراب:

إنّ النّظام السّياسيّ في لبنان نظام يدّعي المدنيّة، لكنّه نظام يمتطي الطّائفيّة لتحقيق مآرب سياسيّة ضيّقة. إنّه نظام فاسد.

في عام 1969، قال كمال يوسف الحاج كلامًا لا يزال صالحًا حتّى يومنا هذا ونحن في الشّهر العاشر من عام 2019، قال: "لقد أخفقت السّياسة. يمرّ لبنان في مضايق السّياسة. لساستنا منطقهم الخاصّ، سياستهم تدمّر"[1].

وفي عام 1975، قال الإمام السّيّد موسى الصّدر: "إنّ هذه التجربة الإنسانيّة في لبنان هي أعظم من رجالنا السّياسيّين وأكبر بكثير من سياسيّينا الّذين لا يفهمون معنى الوطن، وكأنّه شركة تجاريّة من شركاتهم الّتي تنبع كلّ يوم فقرًا. ماذا تعرفون يا تجّار السّياسة، ماذا تعرفون عن الوطن الإنسان والحضارة والتّاريخ؟"[2].

النّظام السّياسيّ في لبنان نظام فاسد، وهو بالعموم لا ينظر إلى الشّعب إلاّ من باب الاستغلال، ولا ينظر إلى المهاجرين اللّبنانيّين إلا من بال الاستغلال أيضًا.

رغم نظرة السّياسيّين للّبنانيّين المنتشرين في القارّات الخمس، ورغم معرفة اللّبنانيّين المنتشرين في بلاد الاغتراب لنظرة السّياسيّين إليهم، نراهم يحبّون موطنهم، ويجهدون لتعلّم اللّغة العربيّة، ويفتحون المدارس رغم الصّعوبات الّتي تعترضهم، يفتحون المدارس ويدعمونها كي تؤدّي وظائفها السّامية.

رغم الفساد السّياسيّ، ورغم الصّعوبات في بلاد الاغتراب، يفتح اللّبنانيّون مدارس لبنانيّة خارج الوطن؛ لماذا الإصرار على ذلك؟

إنّ لبنان وطن، قوميّة لبنان لها وجود وجوهر. وجودها يتمثّل في الأرض وما تنتجه. وجوهرها يتمثّل في التّاريخ واللّغة العربيّة[3]. والقوميّة اللّبنانيّة تتكامل والأمّة العربيّة تكاملاً طبيعيًّا لتشكّل رافدًا من روافد الإنسانيّة.

---

(1) كمال يوسف الحاج، المجموعة الكاملة. بيروت ـ منشورات بيت الفكر. ط 1، 2014، مجلّد 7، ص509.

(2) الإمام موسى الصدر، جريدة النّهار، 27 تشرين الأول 1975.

(3) كمال يوسف الحاج، المجموعة الكاملة. بيروت ـ منشورات بيت الفكر. ط1، 2014، مجلّد 7، ص 58-60-63-64.

اللّغة جوهر، واللّغة العربيّة جوهر القوميّة اللّبنانيّة. ومن القوانين الطّبيعيّة أنّ "تقدّم الأمم لا يكون إلاّ بلغتها وبإبداع بشرها"[1].

واللّغة العربيّة تحمل تراثًا غنيًّا؛ يقول المستشرق الألمانيّ يوهان فُك: "لقد برهن التّراث العربيّ الخالد التّليد أنّه أقوى من كلّ محاولة إلى زحزحة العربيّة عن مقامها المسيطر"[2].

لعلّ الإصرار على فتح المدارس اللّبنانيّة في بلاد الاغتراب سببه العيش بالجوهر تاريخًا ولغة من أجل التّكامل مع الوجود للذّود عن لبنان من السّياسة، كي تظهر "حقيقة لبنان مبنًى ومعنًى"[3]، لبنان الرّسالة الإنسانيّة.

رابعًا ـ الصّعوبات والتّوصيات:

المدارس اللّبنانيّة منتشرة في بلاد الاغتراب، وهي في حركة متزايدة. وهي، كما أشرنا، تعاني صعوبات كثيرة؛ من هذه الصّعوبات: العمل الأُحاديّ، عدم توافر الأساتذة، عدم توافر كتاب مناسب، غياب رعاية النّظام السّياسيّ اللّبنانيّ.

11 ـ العمل الأُحاديّ: الأُحاديّ اسم منسوب إلى أُحادَ. وهو شبيه بالثّلاثيّ والرُّباعيّ المنسوبين إلى ثُلاثَ ورُباع. يُقال: جاءوا أُحادَ أي واحدًا واحدًا. والأُحاديّة مصدر صناعيّ يعني العمل بانفراد[4]. ويقال: "يَعزف أُحاديًّا أي يعزف منفردًا. وهو في آرائه أُحاديّ الجانب: ينظر إليها من زاوية واحدة، من جانب واحد؛ وفلان أُحاديّ اللّغة: يعرف أو يستخدم لغة واحدة؛ وإعلام أحاديّ: يخدم وجهة نظر واحدة"[5].

وتبدو الأُحاديّة مسيطرة في المدارس اللّبنانيّة في بلاد الاغتراب. وليس السّبب عدم رغبة القيّمين عليها في التّعاون، بل السّبب يكمن في عدم وجود آليّة تجمع.

2 ـ عدم توافر الأساتذة: المدارس اللّبنانيّة في بلاد الاغتراب، في أنواعها

---

(1) بدر وشيخة المنذري، الاستثمار الاقتصاديّ المعرفيّ في تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها، من كتاب "الاستثمار في الثّقافة". مسقط - النّادي الثّقافيّ. ط1، 2018، ص298.

(2) يوهان فُك، العربيّة: دراسات في اللّغة واللّهجات والأساليب (ترجمة رمضان عبد التوّاب) مصر ـ مكتبة الخانجي. ط1، 1980 ص 242.

(3) كمال يوسف الحاج، المجموعة الكاملة. بيروت ـ منشورات بيت الفكر. ط 1، 2011، مجلّد 7، ص 511.

(4) ابن منظور، لسان العرب. بيروت ـ دار صادر. ط 7، 2011. المجلّد 1، مادّة "أحد"، ص 62.

(5) معجم المعاني الجامع، موقع "المعاني".

كلّها، تدرّس اللّغة العربيّة مادّة أساسيّة، إضافة إلى موادّ أخرى بحسب نوع المدرسة. والمشكلة الّتي تواجه المدارس عدم توافر أساتذة لغة عربيّة متمكّنين من جوهر اللّغة ووجود اللّسان، ومن طرائق تدريسها ميسّرة محبّبة مشوّقة.

3 ـ عدم توافر كتاب مناسب: للّغة، أيّ لغة، مهارات أربع: الاستماع، التّكلّم، القراءة، الكتابة. وكتب اللّغة العربيّة المعتمدة في بلاد الاغتراب، أكثرها لا تتوافر فيه هذه المهارات، إذ كيف يتمكّن متعلّم من اكتساب اللّغة العربيّة بيُسر وسهولة ما لم تكن هذه المهارات الأربع متوافرة متآزرة؟

4 ـ غياب رعاية النّظام السّياسيّ اللّبنانيّ: لم تبادر وزارة التّربية والتّعليم في لبنان إلى الاستثمار في المعرفة، وهي لا تخرج عن إطار البيانات الوزاريّة المتعاقبة، إذ لم نلحظ في أيّ بيان وزاريّ إشارة إلى الاستثمار في المعرفة، على الرّغم من أنّ دولاً عديدة قضت على التّخلّف باقتصاد المعرفة كسنغافورة وماليزيا، أو قامت من تحت الأنقاض باقتصاد المعرفة كاليابان.

إنّ "رأس المال المعرفيّ هو تلك الموجودات الفكريّة"[(1)]. وهي عصب مجالات الاقتصاد الأخرى، فلا زراعة ناجحة بلا معرفة، ولا سياحة ناجحة بلا معرفة، ولا اتّصالات ناجحة بلا معرفة، ولا صناعة ناجحة بلا معرفة... "فاقتصاد المعرفة يعكس الدّور الإيجابيّ للمعارف الجديدة في مجال التنمية الاقتصاديّة"[(2)].

والدّليل على غياب رعاية وزارة التّربية للمدارس اللّبنانيّة في بلاد الاغتراب عدم وجود أيّ دائرة أو مصلحة تعنى بهذه المدارس، وعدم وجود تشريعات تنظّم عمل هذه المدارس وعلاقتها بالوطن الأمّ، وعدم وجود فريق مخطّط مساند لما تحتاجه هذه المدارس.

كلّ ما هو متوافر في وزارة التّربية وجود آليّة تنظّم عمليّة الامتحانات الرّسميّة للمدارس المعتمدة الشّهادة اللّبنانيّة، فتشرف، عبر موظّفين ترسلهم من لبنان، على سير الامتحانات في السّفارات اللّبنانيّة، وترسل الاختبارات المنجزة مختومة عبر السّفارة إلى دائرة الامتحانات في بيروت.

واللاّفت في عمليّة الامتحانات في المدارس الأربع المعتمدة الشّهادة اللّبنانيّة أنّ

---

(1) صلاح الدّين الكبيسي، إدارة المعرفة. بغداد ـ دار السّيسبان. ط 1، 2014، ص 284.

(2) إبراهيم الرّحبيّ، اقتصاد المعرفة. مسقط ـ النّادي الثّقافيّ. ط1، 2012، ص 73.

كلفة سفر الموظّفين وإقامتهم هي على عاتق المدرسة وأهالي الطّلاّب لا على عاتق وزارة التّربية.

بناء على ما تقدّم من عرض للصّعوبات والمشكلات التي تعاني منها المدراس اللّبنانيّة في بلاد الاغتراب، نقدّم مجموعة من التّوصيات هي:

1 ـ تشكيل هيئة وطنيّة تحمل اسم "المدارس اللّبنانيّة في بلاد الاغتراب" هدفها إيجاد شبكة تعارف بين المدارس كلّها في بلاد الاغتراب، تحفظ خصوصيّة كلّ مدرسة، وتعمل من خلال:

أ ـ إنشاء موقع أو صفحة في وسائط التّواصل الحديثة.

ب ـ توثيق أسماء المدراس مع بيانات عامّة تتعلّق بها: عدد الطّلاّب، عدد الأساتذة، وصف المبنى...

ج ـ نشر تجارب مفيدة للجميع.

د ـ طرح مشكلات، وتقديم اقتراحات حلول لمشكلات.

هـ ـ تقديم أفكار مفيدة للجميع.

2 ـ إنشاء مركز لتدريب أساتذة لتدريس كلّ الموادّ ولاسيّما اللّغة العربيّة. وهذا المركز يقدّم التّدريبات عبر ورشات عمل في لبنان وفي الخارج، ويقدّم تدريبات عبر وسائط التّواصل الحديثة. التّدريبات هدفها تيسير التّدريس ولا سيّما تدريس اللّغة العربيّة.

3 ـ تشكيل فريق متخصّص لتأليف كتب لغة عربيّة مناسبة للمدارس اللّبنانيّة في بلاد الاغتراب، يكون فيها مراعاة لمهارات اللّغة الأربع: الاستماع، التّكلّم، القراءة، الكتابة، ولخصوصيّة الوجود في بلاد الاغتراب.

4 ـ إنشاء شركة أو مؤسّسة باسم "اللّغة العربيّة هويّتي"، هدفها:

* تأليف كتب حيويّة لتدريس اللّغة العربيّة عبر وسائط التّواصل.

* ابتكار اختبار عالميّ لقياس المستوى في اللّغة العربيّة، وإعداد الآليّات المناسبة له توصيفًا، وإجراء.

5 ـ تقديم اقتراحات للمعنيّين في وزراة التّربية في لبنان لرفعها إلى مجلس الوزراء ثمّ إلى مجلس النّوّاب من أجل إصدار قوانين ترعى المدارس اللّبنانيّة في بلاد الاغتراب، وتنظّم علاقتها بالوطن الأمّ.

إنّ المدارس اللّبنانيّة في بلاد الاغتراب هي صورة لبنان الإنسان والحضارة والتّاريخ.

ورغم الصّعوبات الّتي تواجهها، هي فرصة يمكن استثمارها، مع أخواتها في لبنان، لبناء لبنان الوطن، لبنان الدّولة المدنيّة، لبنان القوميّة المنصهرة طبيعيًّا بالأمّة العربيّة في سبيل الإنسانيّة.

المصادر والمراجع

أ ـ الكتب الورقيّة:

1 ـ إبراهيم الرّحبيّ، اقتصاد المعرفة. مسقط ـ النّادي الثّقافي. ط1، 2012.

2 ـ ابن منظور، لسان العرب. بيروت ـ دار صادر. ط 7، 2011.

3 ـ بدر وشيخة المنذري، الاستثمار في الثّقافة. مسقط ـ النّادي الثّقافي. ط1، 2018.

4 ـ صلاح الدّين الكبيسي، إدارة المعرفة. بغداد ـ دار السّيسبان. ط1، 2014.

5 ـ كمال يوسف الحاج، المجموعة الكاملة. بيروت ـ منشورات بيت الفكر. ط1، 2014.

6 ـ يوهان فُك، العربية: دراسات في اللّغة واللّهجات والأساليب (ترجمة رمضان عبد التّوّاب). مصر ـ مكتبة الخانجي. ط1، 1980.

ب ـ الجرائد:

ـ جريدة النّهار، 27 تشرين الأول 1975.

ج ـ المواقع الإلكترونيّة:

ـ tayyar

ـ دار الجديد

ـ Kobayat

ـ النّهار

ـ المدرسة اللّبنانيّة في قطر Isq.sch.qa

ـ المعاني

ـ الموسوعة الحرّة "ويكيبيديا"

ـ وزارة التّربية والتّعليم العالي ـ لبنان

د ـ صفحات التّواصل:

ـ مدرسة أكرا ـ غانا

ـ مدرسة بيروت بوخارست ـ رومانيا

ـ مدرسة الغدير ـ ساحل العاج

ـ المدرسة اللّبنانيّة البرازيليّة ـ فوز دي غواسّو

ـ المركز التّربويّ اللّبنانيّ ـ البراغواي

ـ مدرسة المهدي ـ إيران

أثـر هجرة الاساتذة
والباحثين على جودة التعليم في الوطن العربي
(لبنان نموذجًا):

أ.د. جيهان فقيه



- أستاذة القانون والمعلوماتية القانونية في كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية في الجامعة اللبنانية.
- خبير ومحكم دولي في القضايا السيبرانية.
- لها العديد من المؤلفات في مجال القانون، الجرائم المعلوماتية والملكية الفكرية.
- حاصلة على العديد من الجوائز والشهادات من عدد كبير من المؤتمرات الوطنية والدولية.
- عضو محكم في عدد كبير من المجلات العلمية الدولية واللجان العلمية للمؤتمرات الدولية.

مقدمة

يمثل موضوع هجرة العقول العربية والأدمغة المفكرة والكفاءات المبدعة نحو الدول الغربية من أخطر المشكلات التي تواجه أغلب بلداننا العربية، من منظور العلماء والمختصين الاجتماعيين الذين كثيرًا ما أطلقوا صيحة فزع لوقف نزيف هذه الهجرة القصرية أو الطوعية، ومكمن الخطورة في أن أرقامها صارت مفزعة ومخيفة، وكلفتها على الدول العربية صارت باهضة ومرعبة، بلغت نحو ملياري دولار سنويا.

وقد أظهرت بعض الدراسات التي قامت بها جامعة الدول العربية ومنظمة اليونيسكو والبنك الدولي، أن العالم العربي يساهم في ثلث هِجرة الكفاءات من البلدان النامية، وأن 50٪ من الأطباء، و23٪ من المهندسين، و15٪ من مجموع الكفاءات العربية المتخرجة يهاجرون، متوجهين إلى أوروبا والولايات المتحِدة وكندا، ما يفرز تبعات سلبية على مستقبل التنمية العربية.

لذا انطلاقًا مما سبق وإيمانًا بأهمية العنصر البشري المتمثل في الشباب العربي باعتباره أهم عناصر التنمية، تسعى هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء بالطرح والتحليل والتفسير عن أثر هجرة الكفاءات العربية خاصة فئة الباحثين والأساتذة منها على جودة التكوين والتعليم؟

الكلمات المفتاحية: التعليم، هجرة الكفاءات، التنمية.

أولاً ـ هجرة العقول... المفاهيم والأسباب

تعتبر منظمة اليونسكو أن هجرة العقول أو الكفاءات "شكل من أشكال التعاون والتبادل العلمي الشاذ أو غير السليم بين الدول"، باعتباره يعني تدفق هجرة العلماء في اتجاه واحد نحو الدول المتقدمة، فيما تميز منظمة التعاون والتنمية

الدولية بين مفهوم "تبادل العقول" ومفهوم "إهدار العقول"، على اعتبار أن "تبادل العقول" أمر طبيعي ناجم عن تفاعل الحضارات وحوار الثقافات، وربما لهذا السبب دافع البعض عن هجرة الكفاءات باعتبارها تؤدي إلى تأمين المليارات من العملة الصعبة للبلدان الأصلية للمهاجرين وتسهم في تحسين الوضع الاجتماعي، إلا أن تعدد النواحي السلبية لظاهرة هجرة الكفاءات وعلى رأس ذلك توسيع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة جعل النظر إلى تلك الظاهرة يتركز في الغالب على تأثيراتها السلبية[1].

وتشير هجرة الكفاءات كمفهوم بشكل عام، إلى الانتقال الدائم أو المؤقت للطاقة العلمية والتقنية والفنية والفكرية من بلد نامٍ أو حتى من بلد متقدم وتسربها تدريجيا إلى بلد أجنبي متقدم أو أكثر تقدما وغنىً، وتشمل حقول الدراسة والنشاط البشري جميعها مع تركيز على العلوم[2].

إن تعبير هجرة الكفاءات هو تسمية للظاهرة موضوع البحث دون أن يعني ذلك تجاهلا للتسميات الأخرى المتداولة، فقد ينظر إلى فئة من المهاجرين بوصفها نخبة مفكرة وعندئذ يطلق عليها هجرة العقول (أو هجرة الأدمغة)، أو يجري التركيز على الآثار السلبية لهجرة هذه الكفاءات لكونها مادة حيوية في شريان التنمية فيطلق عليها نزيف العقول[3]. وإذا تعمقنا في دراسة هذه الظاهرة نرى أن البلدان الفقيرة والمتأخرة تكنولوجيا تحول سنويا جزءً من رصيدها التكنولوجي الضئيل نسبيا والمتمثل بهذه الكفاءات نحو البلدان الغنية المتفوقة تكنولوجيا، لتدعيم تفوقها، في حين تقضي العدالة أن يكون النقل الطبيعي للتكنولوجيا باتجاه البلدان النامية، ولذلك سميت هجرة الكفاءات بالنقل المعاكس للتكنولوجيا، تعبيرا عن غرابة هذه الظاهرة وسلبيتها، وهي التسمية المستخدمة في الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة خلال السنوات الأخيرة[4].

---

(1) مشهور إبراهيم، هجرة الكفاءات وآثارها السياسية والاقتصادية على الدول النامية، الحوار المتمدن، العدد 2391، 2008/9/1، على رابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?

(2) الياس زين، هجرة الأدمغة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1972). ص14.

(3) منظمة العمل العربية - مكتب العمل العربي، هجرة الأدمغة العربية، مؤتمر العمل العربي - الدورة الثامنة، (بغداد، 1980). ص13-14

(4) المصدر نفسه. ص14.

*** دوافع هجرة الكفاءات من البلدان النامية:**

ترتبط هجرة الكفاءات من الدول الأكثر تخلفا إلى الدول الأكثر تقدما بعوامل دفع من الدول الأولى وبعوامل جذب (أو شد) من الدول الأخيرة، بمعنى أن كل عامل من عوامل الهجرة يمكن أن يكون دافعًا للكفاءات أو جاذبًا لها في بلد من البلدان اعتمادا على درجة النمو والتقدم التي بلغها هذا البلد. وانطلاقا من ذلك فإننا عندما نحدد العوامل الدافعة للهجرة نكون قد حددنا تلقائيا العوامل الجاذبة لها مع الأخذ بنظر الاعتبار تعاكس التأثير بين النوعين. وبشكل عام فإن دوافع هجرة الكفاءات من البلدان النامية (أو عوامل جذبها من الدول المتقدمة) يمكن تحديدها بما يأتي:

1 ـ تفاوت الدخول:

يرى الباحثون بعامةٍ أن مستوى الدخل، يعد من الأسباب الأساسية المؤثرة في مجال هجرة الكفاءات[1] فالبحث عن دخل حقيقي مجزي من قبل أي فرد هو شئ طبيعي ومنطقي لاسيما عندما يشعر هذا الفرد بامتلاكه المؤهلات العلمية والعملية اللازمة للحصول على هذا الدخل، وبعكسه إذا وجد الفرد أن دخله لا يتناسب وكفاءته وأنه غير قادر (مع ارتفاع الأسعار أيضا) على توفير ابسط الاحتياجات الإنسانية له ولعائلته، كما يحصل في بعض البلدان النامية، فإن أنظاره تتجه حتما نحو الدول المتقدمة ذات الدخول العالية.

فمثلا في سوريا وكأية دولة عر بية اخرى، لا يستطيع حامل شهادة الدكتوراه، أن يوفر بوساطة دخله سكنًا لائقًا ولا سيارة مناسبة، والمشكلة تتفاقم طبعا مع الارتفاع المستمر في الأسعار[2].

وارتفاع الدخل يتيح الحصول على الكثير من الضمانات والخدمات الاجتماعية من سكن ونقل وصحة وتعليم... الخ بخاصة عندما تمتاز هذه الخدمات بالجودة وبسهولة المنال.

2 ـ فرص العمل وظروفه:

يختص البعض من أبناء البلدان النامية في أثناء دراستهم في الدول المتقدمة

(1) المؤلف (بلا)، (هجرة الكفاءات)، المجلة العربية للإدارة، المجلد العاشر، العدد الأول، 1986، (عمّان). ص134.

(2) نداء مطشر صادق، هجرة الكفاءات العربية أسبابها ونتائجها، (بغداد، 1987). ص140 - 141.

باختصاصات نادرة بحكم تطورها وحداثتها وبما يفوق إمكانيات ومستوى تقدم بلدانهم، لذلك يواجهون عند عودتهم مشكلة عدم الاستيعاب لما يحملونه من اختصاص، بينما يلاحظ أن أماكن العمل مهيأة لهم في الدول التي درسوا فيها. من ناحية ثانية يعاني البعض من الأشخاص الكفوئين من عدم حصولهم على فرص العمل التي تناسب اختصاصاتهم في البلدان النامية، بل والأدهى من ذلك هو عدم حصول قسما من المؤهلين على أية فرصة عمل بالمرة لاسيما في البلدان التي لا تملك خطط جيدة لربط التعليم بالتنمية وبما يؤدي إلى خلق فائض عن حاجة البلد في اختصاصات معينة وعجز في اختصاصات أخرى.

وفي بعض البلدان النامية يجري تفضيل الكفاءة الأجنبية على الكفاءة المحلية التي تماثلها في الاختصاص من حيث التوظيف والأجر، وهذا ما يترك الألم في نفسية الفرد ويدفعه للتفكير بالهجرة.

على سبيل المثال في الجزائر بلغ متوسط راتب الفرد من الكفاءات العالية الأجنبية مثلين إلى ثلاثة أمثال راتب نظيره الجزائري، بل قد يصل إلى (10) أو (12) مثلا، وفي صناعة الحديد والصلب يبلغ سبعة أمثال راتب الجزائري[1].

كما يجري الاستخدام والتقويم في بعض الأحيان ليس على أسس موضوعية تقوم على الشهادة والخبرة والمهارة... إنما على المحسوبية والوساطة بكل ما يحمله ذلك من تأثيرات سلبية على المجتمع، بل إن حالة التردي في أحيان معينة تصل إلى حد أن (يحارب) الإنسان في أثناء الوظيفة لا لشئ إلا لأنه يحمل المقدرة والكفاءة، لذلك يكون سوء العلاقة لاسيما مع الرؤساء في العمل وعدم تقدير الكفاءات سببا من أسباب هجرتهم وغالبا ما يصادف المرء إداريين ينظرون إلى الكفوء على إنه مجرد فرد من العاملين بدلا من أن ينظروا إليه على إنه مورد ثمين[2].

وفي بعض الأحيان لا تتمثل المشكلة بتوفير فرصة عمل، فهذه قد تكون متوافرة لذوي الكفاءات، أو بظروف العمل ولكنها تتعلق بتهيئة الجو العلمي

(1) فاطمه زهرة أفريحا، (عوامل هجرة الكفاءات في الجزائر)، هجرة الكفاءات العربية - بحوث ومناقشات الندوة التي نظمتها اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا (اكوا) الأمم المتحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، 1981). ص155.

(2) المصدر نفسه.

ومدى مواكبة التقدم العالمي، فالكثيرين ممن يحملون المؤهلات ويسعون لتطوير معارفهم يصطدمون بمحدودية تسهيلات البحث العلمي من مختبرات وأجهزة علمية ومصادر متنوعة... وهنا لا بد من الإشارة إلى جمود النظم التعليمية في العديد من البلدان النامية وعدم مواكبتها لحركة التطور العلمي في الدول المتقدمة، فهذه النظم بعامة متردية ومفتقدة للدراسات راقية المستوى، وهذا ناتج من التخلف العام الذي يعانيه قطاع التربية والتعليم في هذه الدول، بشكل عام، إذ يلاحظ محدودية الإنفاق على هذا القطاع لاسيما ما يوجه من نشاط وأموال للبحث العلمي الذي يعد ضروريا لأعضاء الهيئات التدريسية، حيث أن الاقتصار على التدريس دون البحث يهدر الإمكانيات والمهارات، وفي بعض الأحيان لا تتعلق المعضلة بإعداد البحوث وكتابتها من قبل التدريسيين، إنما تتصل بمدى استفادة المجتمع منها. ففي بعض دول العالم الثالث هنالك فجوة بين المؤسسات العلمية والمؤسسات الأخرى تتمثل بضعف الارتباط بين الخطط التنموية المتبعة فيها والتوجهات العلمية لهذه البحوث الأمر الذي يؤدي إلى ركنها على الرفوف بدلا من وضعها موضع التطبيق.

3 ـ الأسباب السياسية:

إن ظاهرة عدم الاستقرار السياسي ومنذ زمن طويل في معظم البلدان النامية وما صاحبها من تغييرات سياسية في بعض هذه البلدان تشكل سببا من أسباب الهجرة للكفاءات التي تكون في بعض الأحيان محل عدم ثقة نتيجة لما تحمله من أفكار وآراء متطورة، وهذا الأمر (مع عوامل أخرى ومنها اقتصادية اشرنا لها) يترك في نفسية هؤلاء حالة من القلق والاضطراب والخوف على المستقبل.

وفي هذا المجال أكدت دراسة أجراها احد المهندسين المهاجرين أن (55٪) من المشمولين بالدراسة رفضوا وظائف عرضت عليهم في البلدان العربية والسبب يرجع إلى تدني حرية الرأي (83٪) وتقييد الحرية السياسية (69٪)[1].

ثانيًا ـ الآثار المترتبة على هجرة الكفاءات من الدول النامية:

انطلاقا من كون الاستثمار البشري هو أكثر أنواع الاستثمار مردودا على أي بلد من البلدان سواء في الحسابات المادية أم غيرها، ولكونه الأهم في عوامل التنمية

(1) المصدر نفسه.

الاقتصادية فإن هجرة الأدمغة والكفاءات من الدول النامية تعد نزيفا شديدا يتمثل بخسارة هذه الدول لخيرة أبنائها وهم الصفوة المتعلمة والمدربة تدريبا عاليا والذين صرفت عليهم دولهم الأموال والجهود ولكنها لم تجن الثمار والفوائد منهم. إن الآثار السلبية لهذه الهجرة عميقة وشاملة لأكثر من صعيد يمكن استعراضها بإيجاز كما يأتي:

1 ـ قطاع التعليم:

يشكّل تناقص الكفاءات الذي تعاني منه البلدان النامية نتيجة للهجرة خسارة فادحة بأجهزة التعليم، على أساس أن الكفاءات تمثل الطليعة وهي عماد العملية التعليمية الضرورية في تعبئة وتهيئة القوى البشرية اللازمة لتحقيق التنمية[1] وعلى صعيد الوطن العربي وانسجاما مع التزايد السكاني في بعض البلدان العربية حصل توسع كبير في المدارس والمعاهد والجامعات رافقه ارتفاع في أعداد الطلبة في المراحل الدراسية المختلفة، وهذا ما يحتاج إلى كوادر تدريسية كافية وكفوءة، وهنا تبرز المشكلة، حيث أن هجرة قسم من الأساتذة والمدرسين تقلل من نسبتهم إلى الطلبة الأمر الذي يؤثر على سير التعليم ونجاحه في تحقيق أهدافه لاسيما في قطاع التعليم العالي الذي يحتاج إلى تدريسيين حاصلين على شهادات عليا في اختصاصات دقيقة. وفي هذا المجال فإن نسبة الطلاب إلى الأساتذة في الجامعات العربية تبلغ في بعض الحالات (400) إلى واحد[2].

2 ـ قطاع الصحة:

كما هو معلوم أن المهارات الطبية لا يجري توزيعها على الصعيد الدولي وفقا للحاجة التي تشهد بها مؤشرات الأمراض أو الوفيات، إنما هذا التوزيع يتم وفقا لحركة السوق وسط عالم من التناقضات الحادة في توزيع الدخول[3].

---

(1) حسن الإبراهيم، سمير عنبتاوي، (أنماط استخدام الهيئات التدريسية في إطار انمائي: بعض الاستنتاجات الأولية في جامعة الكويت)، هجرة الكفاءات العربية - بحوث ومناقشات الندوة التي نظمتها اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا (اكوا) الأمم المتحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، 1981). ص 110.

(2) مصدق جميل حبيب، التعليم والتنمية الاقتصادية، (بغداد، 1981). ص90.

(3) أنطوان زحلان، (مشكلة هجرة الكفاءات العربية)، هجرة الكفاءات العربية - بحوث ومناقشات الندوة التي نظمتها اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا (اكوا)، الأمم المتحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، 1981). ص25.

وتعد هجرة الأطباء خسارة فادحة في هذا الميدان، لأن العديد من الدول النامية ومنها البلاد العربية تعاني من نقص كبير في عدد الأطباء لأجمالي السكان مقارنة بالدول المتقدمة. فالبلاد العربية، بشكل عام، مازالت دون مستوى النسبة الدولية (التي حددتها منظمة الصحة العالمية) والتي هي طبيب واحد لكل ألف مواطن.

3 ـ قطاع التكنولوجيا:

يعد العصر الحالي عصر التقدم العلمي والتكنولوجي، حيث التطور في الآلة واستخدام الكومبيوتر واحدث وسائل الاتصال، وهذا يتطلب بالضرورة أشخاصا على مستوى عال من المعرفة والمهارة والتخصص والكفاءة. لذلك عندما يحصل النقل المعاكس للتكنولوجيا ممثلا بخسارة دول العالم الثالث لجزء من علمائها ومهندسيها ذوي القدرة على التعامل مع العلم والتقنية الحديثة المتطورة جدا، فإن هذه الدول تكون (في مفهوم التخلف النسبي) تراجعت فترات عديدة من السنين وتكرست مشكلة التبعية التكنولوجية للدول المتقدمة[1] ومن ثم فإن النتيجة الحتمية لهذه الحالة هي اتساع الهوة العلمية والتكنولوجية وبالتالي الحضارية بين العالم النامي والعالم المتقدم.

4 ـ الخسارة المالية:

على الرغم من أن خسارة العقول والكفاءات العلمية لا تقدر بثمن وهي أكبر من أن تحسب بالنقود، إلا أن بعض الحسابات للكلفة تظهر مدى خسارة البلدان النامية في تهيئة علمائها.

فقد ذكر مختصون بهذا الشأن، أن العالم العربي يساهم بنسبة (31٪) من هجرة العقول من البلدان النامية. وأن الخسائر الاقتصادية تقدر في الوطن العربي بحدود (200) مليار $ نتيجة لهجرة الكفاءات وفي دراسة أصدرها مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية أشار فيها إلى إحصائيات عن هجرة الكفاءات، حيث أوضح أن ربح الولايات المتحدة وكندا والمملكة المتحدة فقط جراء هذه الهجرة هو (6) مليارات $ أو ما يعادل (37) مليار فرنك فرنسي تقريبًا[2].

---

(1) اوسكار غيش، (نظرة جديدة إلى هجرة الكفاءات مع إشارة خاصة إلى مهنة الطب)، هجرة الكفاءات العربية - بحوث ومناقشات الندوة التي نظمتها اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا (اكوا)، الأمم المتحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، 1981). ص269.

(2) الياس زين، مصدر سابق الذكر. ص71.

5 ـ قطاع التنمية:

إن هجرة العلماء والاختصاصيين ليس فقط خسارة في المال العام المنفق على تربيتهم وتعليمهم وتدريبهم، إنما خسارة ونكسة لبلدانهم التي هي بأمس الحاجة إلى علومهم ومهاراتهم وطاقاتهم والدليل على هذه الحاجة لاسيما للبلدان العربية هو طلب المعرفة والمهارات الفنية من مصادر أجنبية، وهذا ما يثير المرارة في النفس، لأن هجرة الكفاءات حاصلة في المجالات ذاتها التي تستورد لها البلدان العربية الخبرة الأجنبية بكثرة. إن هجرة الأدمغة والكفاءات تعد خسارة لا تعوض في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، فهؤلاء هم الرجال الذين يخططون للمجتمع والمجددون له وهم دعامة التنمية، بل إنهم الأصل في كل تغيير وتطوير لذلك يرى المختصون إن هجرة العلماء تهدد التنمية للبلاد العربية فضلا عن تأثيرها السلبي على العملية التربوية والثقافية. بالإضافة إلى ذلك فإنها تعمل على توطيد البنية غير العادلة لتقسيم العمل الدولي الذي يميل أصلا باتجاه تعزيز ظاهرة هجرة العقول إلى الدول المتقدمة اقتصاديا.

ثالثًا ـ التداعيات السلبية لظاهرة هجرة العقول العربية:

تفرز هجرة العقول العربية إلى البلدان الغربية عدّة آثار سلبية على واقع التنمية في الوطن العربي، ولا تقتصر هذه الآثار على واقع ومستقبل التنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية فحسب ولكنها تمتد إلى التعليم في الوطن العربي وإمكانيات توظيف مخرجاته في بناء وتطوير قاعدة تقنية عربية، ومن أهم الانعكاسات السلبية لنزيف العقول العربية المهاجرة[1]:

* تمثل هجرة العقول العربية استنزافًا لشريحة مؤثرة وفاعلة في المجتمع العربي، ولها دور بارز، وبالذات في المرحلة الحالية، حيث شرعت أغلب البلدان العربية وبخاصة النفطية منها بتنفيذ خطط تنموية واسعة النطاق، وهي بلاشك بأمس الحاجة إلى الكفاءات العلمية والأيدي العاملة المدربة القادرة على النهوض بالأعباء الملقاة على عاتقها إلى مستوى الطموح.

* تعتبر هجرة العقول العربية خسارة في مجال التعليم في جميع مراحله، فمن المعلوم أن البلاد العربية تعد من أكثر المناطق في العالم أمية، إذ يبلغ معدل الأمية

(1) http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=22196

في الوطن العربي حاليًا نحو 49٪، ويشكل هذا الرقم أحد المعوقات الرئيسية أمام التنمية العربية في عصر تمثل فيه الكفاءات العلمية والتقنية والمعرفة المصدر الرئيسي للميزة النسبية وأساس التفوق والتنافس بين الأمم.

* من المخاطر البالغة الأثر لهجرة العقول العربية، تلك الخسائر المتعلقة بهدر الأموال الطائلة التي تم إنفاقها على تعليم وتدريب الطلبة الذين نالوا هذه الكفاءات المتقدمة.

* تؤدي هجرة العقول العربية إلى توسيع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، لأن هجرة الأدمغة إلى الدول المتقدمة تعطي هذه الدول فوائد كبيرة ذات مردود اقتصادي مباشر، بينما تشكل بالمقابل خسارة صافية للبلدان التي نزح منها أولئك العلماء، خاصةً وأن التكنولوجيات والاختراعات المتطورة التي أبدعها أو أسهم في إبداعها أولئك العلماء المهاجرين تعتبر ملكًا خاصًا للدول الجاذبة لهم.

* تكرِّس هذه الظاهرة التبعية للبلدان المتقدمة، وتبرز مظاهر التبعية في هذا المجال بالاعتماد على التكنولوجيا المستوردة، والتبعية الثقافية والاندماج في سياسات تعليمية غير متوافقة مع خطط التنمية.

* تنسحب الخسائر أيضًا على الميدان السياسي وعلى الصراع ضد إسرائيل أو الهيمنة الغربية، فلم يعد خافيًا أن جزءًا أساسيًا من هذه المعركة يدور في الميدان العلمي والحضاري والثقافي، وأن أحد عوامل النصر بات مرتبطًا بدخول العرب إلى عصر مواكبة الثورة العلمية.

وعمومًا فقد قدر أحد تقارير منظمة العمل العربية أن الخسائر التي تتكبدها الدول العربية سنويًا لا تقل عن 200 مليار دولار بسبب هجرة العقول إلى الخارج، وتقترن هذه الأرقام بخسائر كبيرة نجمت عن تأهيل هذه العقول ودفع كلفة تعليمها داخل أوطانها، مما يؤكد أن الدول العربية، ومعها سائر الدول النامية تقدم مساعدات إلى البلدان المتقدمة عبر تأهيلها لهذه الكفاءات ثم تصديرها إلى هذه البلدان المتقدمة لتفيد من خبراتها العلمية[1].

والأخطر من ذلك النتيجة التي أبرزها ريفين برينر - الأستاذ في دراسات

---

(1) http://arabic.arabianbusiness.com/society/politics-economics/2007/sep/16/335/

الأعمال في جامعة ماكجيل الكندية- والتي ذكرها في كتابه "القرن المالي" إذ يقول: (في ظل اقتصاد العولمة سيذهب البشر والأموال إلى حيث يمكنهم أن يكونوا مفيدين ومربحين، ففي كل عام يغادر ما يقدر عددهم بنحو 1,8 مليون من المتعلمين ذوي المهارات والخبرات من العالم الإسلامي إلى الغرب، وإذا افترضنا أن تعليم أحد هؤلاء المهاجرين يكلف في المتوسط عشرة آلاف دولار، فإن ذلك يعني تحويل 18 مليار دولار من الأقطار الإسلامية إلى الولايات المتحدة وأوروبا كل عام[1] وإذا راكمنا هذا المبلغ نظريًا على مدى عدة سنوات يصبح مفهومًا أكثر لماذا تزداد الأقطار الغنية غنى والفقيرة فقرًا.

كما تتجلى الخطورة في أن عددًا من المهاجرين العرب في الدول الغربية يعملون في أهم التخصّصات الإستراتيجية، مثل الطب النووي والجراحات الدقيقة والهندسة الإلكترونية والميكرو إلكترونية والعلاج بالإشعاع والهندسة النووية وعلوم الليزر وتكنولوجيا الأنسجة والفيزياء النووية وعلوم الفضاء والميكروبيولوجيا والهندسة الوراثية، وتشجع العديد من الدول المتقدِّمة العقول والأدمغة العربية النابغة على البقاء في الدول التي هاجروا إليها، ومثال على ذلك قرار أصدره الكونجرس الأمريكي عام 2009 بزيادة نسبة الحصول على بطاقات الإقامة للمتخرِّجين الأجانب في مجال التكنولوجيا المتطوّرة من 90 ألفًا في السنة إلى 150 ألفًا، ثم إلى 210 ألفًا في عام 2009[2].

رابعًا ـ ظاهرة هجرة الأدمغة في لبنان.. مؤشرات وأرقام ودلالات

تتصدر ظاهرة هجرة الكفاءات والخبرات لائحة التحديات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الدول النامية. وتكتسب أهمية قصوى في لبنان نظرًا إلى تزايد عدد المهاجرين وخصوصًا أصحاب الكفاءات العلمية والتقنية لما لها من آثار سلبية على التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتماسك النسيج الاجتماعي اللبناني. ولفتت "الدولية للمعلومات" إلى أنّه خلال الفترة من منتصف شهر كانون الثاني 2018 ولغاية منتصف شهر تشرين الأول 2018، جرى تسجيل مغادرة 2,730,290 لبناني وعودة 2,695,788 لبناني أي أن هناك 34,502 لبنانيًا غادروا ولم يعودوا.

(1) هدى بنت فهد المعجل، بتر العقول أو نزيف الأدمغة أو البيئة الطاردة للعقول، على رابط: http://www.al-jazirah.com/2012/20120613/ar8.htm

(2) http://www.swissinfo.ch/ara/detail/content.html?cid=301014

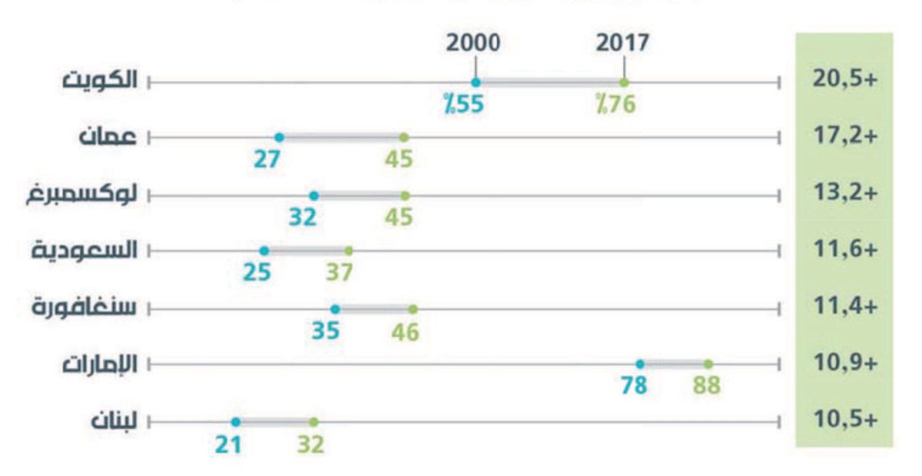
وفي مقارنة مع نفس الفترة من العام الماضي، فقد وصل العدد إلى 20,964 لبنانيًا، أما حصيلة كامل العام 2017 فكانت 18,863 لبنانيًا و11,650 في العام 2016، ما يشير إلى ارتفاع كبير في أعداد اللبنانيين الذين غادروا ولم يعودوا وهذا الأمر والإنعكاس الطبيعي للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها لبنان هو مؤشر خطير إلى المستقبل خصوصًا وأن أكثرية المغادرين هم من الفئات الشابة.

وإذا كنا لا نعرف أهداف وغايات السفر، فقد يكون بينهم أعداد من الطلاب الذين قد يعودوا وعدد هؤلاء قد لا يزيد عن 8 آلاف أي نحو نصف المغادرين في شهر أيلول وهو عادةً شهر الالتحاق بالجامعات.

ويبين الجدول التالي أعداد المغادرين والقادمين خلال الفترة من منتصف كانون الثاني إلى منتصف تشرين الأول 2018.

الفترة	دخول اللبنانيين	خروج اللبنانيين	الحصيلة
15-1-2018 إلى 15-2-2018	205,089	213,763	-8674
15-2-2018 إلى 15-3-2018	196,175	197,285	-1,110
15-3-2018 إلى 15-4-2018	306,192	306,112	+80
15-4-2018 إلى 15-5-2018	259,466	253,743	+5,723
15-5-2018 إلى 15-6-2018	241,732	214,587	+27,145
15-6-2018 إلى 15-7-2018	350,080	334,735	+15,345
15-7-2018 إلى 15-8-2018	402,790	401,022	+1,768
15-8-2018 إلى 15-9-2018	408,290	466,567	-58,277
15-9-2018 إلى 15-10-2018	325,974	342,476	-16,502
الحصيلة	**2,695,788**	**2,730,290**	**-34,502**

المصدر: الدولية للمعلومات ـ صوت لبنان



* أما ما هي أبرز أسباب هجرة الأدمغة والكفاءات من لبنان؟ ليس هناك سبب واحد لهجرة الأدمغة من لبنان، بل إن هذه الهجرة هي نتيجة تفاعل عناصر ومسببات عدة، وعلى رأسها **الأوضاع الأمنية والسياسية**، خصوصًا تلك التي لحقت بلبنان في السنوات المنصرمة، والتي انعكست بدورها على الاقتصاد والاستثمار والتنمية المستدامة، وعلى خلق فرص عمل جديدة تتماشى مع التحصيل العلمي الحديث وتواكب التطور التكنولوجي العالمي.

كذلك هناك **أسباب مهنية** مبنيّة في مجملها على عدم توافر قطاعات عمل لهذه الكفاءات العلمية، أو عدم توافر بيئة اجتماعية مدركة Socio-Cognitive Society يتفاعل فيها الفرد مع نظرائه ومع مجتمع المعرفة في الحقل نفسه، كذلك عدم وجود مراكز أبحاث لإشباع توق الكفوء إلى الخلق والإبداع والمنافسة.

يبقى أن أهم دوافع الهجرة في لبنان خصوصًا منذ بداية الحرب العام 1975 وحتى يومنا، تكمن في حالة غياب الأمن الإنساني الذي يشمل مؤشرات عدة منها:

ـ الأول يتمثل في اللا أمن الاقتصادي، ومقدار التغطية الرعائية للدولة، والمديونية العامة.

ـ الثاني هو في اللا أمن السياسي الذي يعبّر عن ذاته من خلال خرق الحقوق

السياسية، وارتكاب الجرائم السياسية والعمليات الإرهابية، والفساد في الدولة ومؤسساتها، وانعدام الآليات الديمقراطية أو توقفها، وغيرها. وهناك أيضًا اللا أمن الاجتماعي الذي يقاس من خلال الأمن الغذائي والصحي والبيئي، واللا أمن الناتج من النزاعات الإثنية أو الدينية، إضافة إلى اللا أمن الشخصي والمعنوي. وبرأينا فإن أهم دوافع الهجرة الحالية خصوصًا الدائمة منها تكمن في اللا-أمن السياسي الذي يؤثر تأثيرًا مباشرًا على الحركة الاقتصادية والاستثمار وتفعيل السوق وإنتاج الوظائف.

* الأسباب الأمنية والسياسية

وهذه في نظرنا أم أسباب الهجرة اللبنانية القائمة. فعدم الاستقرار الذي عاناه ويعانيه لبنان منذ أكثر من خمسة وثلاثين عامًا - وقد مسَّ وما يزال، ليس أرزاق الناس وأرواحهم وحسب، بل حتى ثقتهم باستعادة لبنان سلامته ونشاطه ودوره - هو في جوهر الأسباب الأمنية والسياسية الدافعة. وتتلخَّص التهديدات الناتجة عن هذه الأخيرة بعدم الاستقرار السياسي الذي يعيق تطور السياسات، والتي يجب بدورها أن تواكب تطورات العصر في سن قوانين وأنظمة وتشريعات محفِّزة. هذا فضلاً عن انعدام الحقوق، وشيوع الفساد وانتشار الأسلحة والاغتيالات والحروب المستدامة. والإرهاب. وهناك أسباب أخرى أيضًا مثل مفعول "الواسطة" ـ أي التدخل غير المشروع لصالح الشخص على حساب الكفاءة - والبيروقراطية المفرطة في إنجاز المعاملات الرسمية، فضلاً عن "المحسوبيات" والرشوة (البرطيل) وما شابه. كذلك استحالة الوصول إلى مراكز المسؤولية أو على الأقل إلى مراكز تتناسب مع المستوى العلمي والخبراتي الذي بلغه الفرد يسبب الشعور بالإحباط واليأس من الأوضاع عمومًا.

* الأسباب الاقتصادية

هذه في مجملها ذات مصدر سياسي: عدم الاستقرار السياسي والأمني، وعدم التوافق بين الفرقاء في لبنان، وعدم تمكن الدولة من إصلاح الأنظمة، وعدم سنّ القوانين التي تساهم في تحفيز الاستثمار والمستثمرين في لبنان، وعدم خلق فرص عمل لاستيعاب الكفاءات واليد العاملة. يضاف إلى ذلك التفاوت بين طبقات المجتمع، وازدياد الفقر والبطالة والدين العام، وعدم وجود سياسة رواتب تتوافق

مع درجة الاختصاص والخبرة، وتضخم نفقات الحياة المعيشية. وهذه كلها تساعد في دفع عجلة الهجرة.

* الأسباب الاجتماعية

منها الشعور بعدم الانتماء إلى المجتمع الذي تتآكله الآفات الاجتماعية والأخلاقية، من "الواسطة" إلى الرشوة، والأساليب التقليدية وغير الحديثة في التعامل، فضلاً عن عدم تمكن الفرد من الحصول على حقوقه دائمًا لعدم توافر ظروف العدالة والشفافية باستمرار.

* الأسباب المهنية

تتمثل هي أيضًا في الأمور الآتية: عدم إمكان تطوير الكفاءات الذاتية عبر متابعة التعلم في أثناء الوظيفة وعبر التدريبات، عدم توافر الدرجة المطلوبة من الحرية الفكرية لتطوير الأفكار الجديدة، عدم التطابق بين درجات التعلّم والتطور المهني وعروض العمل والوظائف المتاحة. هذا فضلاً عن غياب البيئة القابلة Enabling Environment للبحث العلمي والتعاون العلمي التي توّفر مقوِّمات الإنتاج العلمي والاستقرار النفسي والمهني، ثم انعدام التوازن التعليمي وفقدان الارتباط بين التعليم وسوق العمل وخطط التنمية.

خامسًا ـ توصيات مقترحة للتعامل مع ظاهرة هجرة الكفاءات العربية:

إن البحث في مسألة مواجهة هجرة العقول العربية يطرح التساؤل التالي: "لماذا تخفق البلدان العربية في بذل الجهود اللازمة لجذب علمائها وفنييها ذوي المهارات العالية والدقيقة في حين نجحت دول أخرى في ذلك؟"، إن جانبًا من الإجابة على هذا السؤال يكمن في الأسباب الدافعة للهجرة والتي أشرنا إليها أعلاه، ولكن ثمة جوانب أخرى يمكن توضيحها وهي أن الدول العربية تفتقد ما يمكن أن يطلق عليه "مشروع التنمية المتوازنة والشاملة"، والذي من أهم عوامله خلق وتعزيز البيئة الفكرية والعلمية والثقافية التي توفر مقومات العمل والاستقرار المعيشي والنفسي والإنتاج العلمي.

ومن ثم فإن الخطورة التي تشكلها هجرة العقول العربية على المخططات

التنموية العربية تتطلب إيجاد حلول للحد من هذه الظاهرة، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى التوصيات والحلول الآتية:

* وضع إستراتيجية عربية متكاملة للتصدي لمشكلة هجرة الكفاءات، وينبغي أن تشارك في وضعها كل من جامعة الدول العربية، ومنظمة العمل العربية، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي، والمنظمات العربية غير الحكومية المهتمة بهذا الموضوع، مع الاستفادة من خبرات منظمة اليونسكو ومنظمة العمل الدولية التي تملك خبرات ودراسات جادة حول هذه المشكلة.

* الاستغلال الجيد لثورات "الربيع العربي" والتي أدت إلى نمو المشاعر القومية والوطنية لدى كثير من العرب الذين يتابعون تطورات الأحداث في بلادهم من البلاد التي هاجروا إليها، فرياح التغييرات يمكن أن تحمس هؤلاء للعودة إلى الوطن والمشاركة في بنائه من جديد، وهو ما حاولت الحكومة المصرية تطبيقه من خلال إنشاء مدينة زويل للعلوم والتكنولوجيا، وهو مشروع مبادرة لتطوير العلم والتعليم من قبل العالم المصري أحمد زويل الحائز على جائزة نوبل للكيمياء، ورغم ما يعترض هذا المشروع من عقبات حاليًا، إلا أن فكرته تعد جيدة، إذ أنه سيساهم ليس فقط في الاستفادة من الكفاءات والمواهب المصرية والطلاب النابغين، بل أنه يهدف أيضًا إلى اجتذاب العلماء من الخارج للاستفادة من خبراتهم في تطوير تكنولوجيات جديدة لخدمة البلاد والمناطق المجاورة، وتحقيق نقله علميه في مصر، والمشاركة في الاقتصاد العالمي القائم على التكنولوجيا.

* زيادة ميزانية البحث العلمي في كل دولة عربية، وإنشاء مراكز للبحوث التنموية والعلمية، بما يوفر المناخ المناسب للكفاءات وأصحاب المواهب للعمل في هذه الدول والإنتاج العلمى والإبداع بدلاً من الهجرة.

* احترام الحريات الأكاديمية وصيانتها، وذلك بإعطاء أعضاء الهيئات الأكاديمية والعلمية حرية الوصول إلى مختلف علوم المعرفة والتطورات العلمية وتبادل المعلومات والأفكار والدراسات والبحوث، وفي استعمال مختلف وسائل التطور الحديثة دون تعقيد أو حواجز.

* إعادة النظر جذريًا في سلم الأجور والرواتب التي تمنح للكفاءات العلمية العربية، وتقديم حوافز مادية ترتبط بالبحث والإنتاج، ورفع الحدود العليا للأجور لمكافأة البارزين من ذوي الكفاءات وتقديم الحوافز التشجيعية والتسهيلات

الضريبية والجمركية للوفاء بالاحتياجات الأساسية، وتقديم الخدمات اللازمة لقيامهم بأعمالهم.

* بناء شراكة مع العقول العربية المهاجرة، فالعلماء العرب اليوم يتواجدون في أعرق المراكز العلمية والجامعية والبحثية والصناعية، ويطلعون ويطورون كثيرًا منها، لذلك فإن بإمكانهم عند تقديم دعوة صادقة لهم للمشاركة من مواقعهم في بعض البرامج القائمة في مراكز البحث والجامعات العربية أن يكونوا خير عون إذا أُحسن الاختيار وصدقت النوايا من الجانبين[1].

* حثّ الحكومات العربية على تكوين الجمعيات والروابط لاستيعاب أصحاب الكفاءات المهاجرة من بلدانهم، وإزالة جميع العوائق التي تعيق ربطهم بأوطانهم، ومنحهم الحوافز المادية وتسهيل إجراءات عودتهم إلى أوطانهم للمشاركة في عملية التنمية والتحديث[2].

* التعاون مع المنظمات الدولية المعنية مثل اليونسكو لإقامة مشروعات ومراكز علمية في البلدان العربية لاجتذاب العقول العربية المهاجرة للإشراف على هذه المراكز والإسهام المباشر في أعمالها وأنشطتها، وتقديم مزيد من المساعدات المالية لتوفير فرص عمل للشباب العربي، وبما يساعد أيضًا على الحد من الهجرة غير الشرعية إلى دول أوروبا.

* مراجعة سياسات التشغيل فى الدول العربية والعمل على إعطاء الأولوية فى التشغيل لأبناء الوطن أولاً ثم أبناء الدول العربية ثانيًا، ثم للعمالة الأجنبية ثالثًا طبقا للاتفاقيات العربية فى هذا الشأن.

* التوسع فى فتح مؤسسات لتدريب الكوادر العربية، وتأهيلها بشكل يضمن اندماجها القوى فى قطاعات النشاطات الاقتصادية ومجالاتها، مع تيسير سبل التحاق الكفاءات بالدراسات التأهيلية والتدريبية والتجريبية التى تعقدها مثل هذه المؤسسات.

* الإسهام في دعم وتنشيط مكاتب العمل والتشغيل بما يمكنها من حصر فرص

---

(1) حنان يوسف، هجرة العقول العربية، ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة إقليمية حول واقع وآفاق هجرة العمالة العربية في ضوء الشراكة الأورو متوسطية، القاهرة، أكتوبر 2006.

(2) علي الطالقاني، هجرة الكفاءات ظاهرة عالمية، على رابط:

http://www.annabaa.org/nbanews/69/042.htm

العمل فى مختلف القطاعات، وإرشادها للشباب النابغين والباحثين عن العمل عن تلك الفرص، وتوفير متطلبات قيامها بدراسة اتجاهات سوق العمل واحتياجاتها فى المستقبل.

* مراجعة نظم التعليم والتدريب للوقوف على مدى ملاءمتها مع احتياجات سوق العمل ومستلزماتها المتطورة من المهن والمهارات، وتنويع مؤسسات التعليم مع تنويع المهارات التكنولوجية المطلوبة فى مجالات الإنتاج المختلفة.

* العمل على جذب المزيد من الاستثمارات الأجنبية في الدول العربية لخلق سوق عمل يستوعب الكفاءات في الداخل، وأن تعمل وسائل الإعلام على زيادة نشر الوعى بخطورة ظاهرة هجرة العقول البشرية، من خلال توضيح الآثار السلبية التي تترتب عليها، وحث المسؤولين بالدول على مواجهتها.

دور وسائل الإعلام والوسائط الحديثة في توطين واستنبات الاغتراب الثقافي:

الإعلامي أ. علي عميص



- صاحب ومدير مؤسسة حلول تقنية المعلومات.
- مؤسس موقع جنوب لبنان الإعلامي.
- متخصص في مجال المعلوماتية وبرمجة الكمبيوتر والمواقع الالكترونية.
- عضو فاعل في العديد من الجمعيات، وله إطلالات إعلامية في العديد من المحطات الفضائية.
- شارك في العديد من ورش العمل، داخل لبنان وخارجه، كما درّب في ميادين متعددة

تمهيد

تهدف هذه المداخلة إلى تسليط الضوء على ظاهرة الاغتراب، والإسهام في فهم الحقائق الاجتماعية والثقافية التي ترتبط بها، وإستقصاء دور وسائل الإعلام والوسائط الجديدة في توطين وإستنبات الاغتراب الثقافي والرمزي في مجتمعاتنا المحلية. وسأركز فيها على وسائط الاتصال:

ترتبط علاقة وسائط الإعلام بمفهوم الاغتراب بأفكار النظرية النقدية وخاصة مدرسة فرانكفورت، حيث أسهب روادها في نقد مخرجات الصناعات الإعلامية والثقافية، التي تكرس لخلق واقع ثقافي مصطنع، يدفع بالأفراد إلى الإحجام عن المشاركة الاجتماعية والشعور بالعزلة والاغتراب، وخصوصًا التلفزيون الذي يتفرد بخواص تقنية ورمزية، جعلته يتسيد المشهد الثقافي للمجتمعات الراهنة.

بينما السوسيولوجيا البنيوية أكتفت بالمنظور الوظيفي في مقاربة وسائط الإعلام، فقد أظهرت اتجاهات نقدية أخرى سعت إلى مراجعة ومساءلة مخرجات وسائل الإنتاج والبث، واعتبرت هذه الوسائل مجرد أدوات للتسلط والسيطرة بل مصدرا للعنف الرمزي وللاغتراب.

وبغض النظر عن الانتقادات التي تعرضت لها، تبقى أفكار النظرية النقدية وخاصة الاغتراب ذو دلالة خاصة، مما يجعل منها مفاهيم مفتاحية من الضروري مساءلتها وإعادة البحث فيها بشكل متجدد، خصوصا وأننا بصدد حقبة أخرى تختلف عن تلك التي أنتجت تلك المفاهيم المركزية ومنها مفهوم الاغتراب.

ويتطلب البحث في الاغتراب دائمًا الرجوع إلى سياقاته التاريخية ومنطلقاته الفلسفية، على اعتبار أن المفهوم "كائن فكري" يولد في ظروف معينة ويتجدد باستخداماته المختلفة، وكل محاولة للاقتراب تتطلب مبحثا تاريخيا وآخر دلاليا.

وهكذا فإن البحث في ظاهرة وسائط الإعلام وما يرتبط بها من تكنولوجيات الاتصال الحديثة وعلاقتها بالاغتراب مسألة متشعبة تتطلب التمحيص والتدقيق والتخلي أحيانا عن دراسات المايكرو المصغرة التي تعد دراسات موضعية تجرى على المجتمعات الصغيرة أو على جوانب محددة من الظاهرة مما قد يغيب الحقائق أو الصور الشاملة، وبدلاً من ذلك، يتوجب العمل على التفكير المنهجي الشمولي من خلال المزاوجة بين مختلف الطرق المنهجية في معالجة بعض المفاهيم والظواهر.

وهنا نرى أن مفهوم وسائل الاتصال والإسهام في فهم الحقائق الاجتماعية والثقافية التي تتعالق مع الاغتراب، تعتمد توفير المقولات التحليلية والمعرفية التي تتيح لنا فهم وتأصيل نسق الاغتراب بالارتكاز على التراث النظري لمدرسة فرانكفورت، إضافة إلى إستقصاء دور وسائط الإعلام الكلاسيكية والجديدة في توطين وإستنبات الاغتراب الثقافي والرمزي في مجتمعاتنا المحلية.

وارى في هذه المداخلة ضرورة القاء الضوء على الإعلام الجديد وتبيان أقسامه وايجابياته المتعلقة بموضوعنا رغم ما له من سلبيات عامة تطال جميع الافراد وفي كافة البيوت.

I ـ الإعلام الجديد

ارتبط الإعلام الجديد بالانتقال التكنولوجي والمواجهة الرقمية التي شهدتها المجتمعات، وصدق تنبؤ "مارشال ماكلوهان" بقوله أن حتمية الوسائل صارت مجسدة، وتحققت فرضيته بضرورة وجود وسائل الاتصال في الحياة اليومية من جهة وضرورة التدفق المعلوماتي من جهة اخرى، وصارت المجتمعات الحالية توصف بمجتمعات المعلومات. ويرى "تروبين كروق" واصفا التغيرات العميقة التي مست المجتمعات أن "المجتمعات المعاصرة تعيش اليوم ثورة اتصالات واضحة نتيجة للتطورات في مجال الاتصالات والكمبيوتر".

تعددت المصطلحات في ضبط مفهوم موحد للإعلام الجديد، كالإعلام الشبكي، الإعلام البديل، أو الإعلام الرقمي ويطلق عليه أيضًا بإعلام المعلومات للدلالة على التزاوج بين الكمبيوتر والاتصال، وعلى ظهور نظام إعلامي جديد، فالمعلومة لم تعد حكرا على المؤسسات الإعلامية وفقط، بل المواطن صار مشاركا بها ومن جهة ثانية أصبح صاحب المعلومة الذي يتجسد في صورة

المواطن الصحفي أو ما يصطلح عليه (صحافة المواطن)، خاصة من خلال الوسائط المتعددة التي تجمع مابين الصوت والنص والصورة والڤيديو..

II ـ أقسام الإعلام الجديد:

يمكن تقسيم الإعلام الجديد إلى أربعة أقسام هي : :

1 ـ الإعلام الجديد القائم على شبكة الانترنت وتطبيقاتها، وهو جديد كليا بصفات ومميزات غير مسبوقه وهو ينمو بسرعة وتتوالد عنه مجموعة من تطبيقات لاحصر لها.

2 ـ الإعلام الجديد القائم على تكنولوجيات الاتصال المحمولة كالهواتف الذكية والأجهزة المحمولة، يتميز بتطبيقات جديدة.

3 ـ وسائل الإعلام التقليدية مثل التلفزيون والإذاعة وحتى الصحافة المكتوبة انتقلت للنشر والبث الالكتروني.

4 ـ الإعلام الجديد القائم على خدمات الكمبيوتر كوسائل الحفظ المختلفة والأسطوانات، ألعاب الڤيديو والكتب الالكترونية وغيرها.

التكنولوجية الحديثة والوسائل المستحدثة.

III ـ إيجابيات وسائل الاتصال

تتعدد ايجابيات وسائل الاتصال الحديثة ونذكر منها :

1 ـ تمثل وسائل الاتصال دليل تطور اقتصادي وتنموي يتغير من وقت لآخر دون توقف على حدود ثابتة.

2 ـ هي عبارة عن دليل نضج عقلي وفكر إبداعي يتغير ويستفيد مما سبق.

3 ـ ساعدت على التعرف على الثقافة العربية والإسلامية.

4 ـ ساهمت في الحصول على الإجابة عن استفسارات وتساؤلات كثيرة جدًا لم يكن من اليسير الوصول لها إلا بمشقة.

5 ـ سهلت نقل الأخبار بين المقيمين والمغتربين.

6 ـ أتاحت حرية المشاركة وإبداء الأراء.

7 ـ مكنت كثيرين من زيادة معارفهم والتواصل المباشر معهم، والاختلاط والتعرف على أماكن جديدة وأخذ فكرة عنها.

8 ـ سهلت التعاملات والحجز عبر الانترنت.

9 ـ يسرت التواصل مع المغتربين، والاطمئنان عليهم وقللت من التكاليف الباهظة للمكالمات الدولية وكذلك ضياع الرسائل أو الاطلاع عليها.

10 ـ بواسطة الهاتف أمكن التواصل مع حرية التحرك، وبذلك قضت على عقبات كثيرة ولم تعد الجغرافيا حاجزا أمام أي شخص.

11 ـ قضت على جزء كبير من البطالة بسبب الأعمال على الانترنت

12 ـ أجبرت الشباب على التطوير التنموي البشري الذاتي، شجعتهم على تعلم المهن الأكثر طلبا كالبرمجة والتصميم والتسويق والكتابة وغيرها.

13 ـ ساهمت في تثقيف كبار السن ونشرت بعض التوعية في البرامج الهادفة.

المحور السادس

أدب المهجر

ما عابهم أنهم في الأرض قد نُثروا   فالشهب منثورةٌ مذ كانت الشهبُ

هؤلاء هم المغتربون أدباء وعلماء ومهنيين وتجار أو رجال أعمال. ثم هل ينهض النسر ويطير الا بجناحيه؟ هكذا لبنان بالمقيم والمغترب. على أن نفرًا من الأدباء والشعراء آلوا على أنفسهم أن يحطموا الأسوار التي قبع خلفها أدب التقليد والمحاكاة، فأسسوا الرابطة القلمية في نيويورك هام 1921، والعصبة الأندلسية في سان باولو في البرازيل عام 1920. ومن أبرز أعضائهما: جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة وايليا أبو ماضي والياس فرحات وفوزي المعلوف وشفيق المعلوف ورياض المعلوف ورشيد سليم الخوري الشاعر القروي وسواهم الذين لا تتسع المجلدات لتعدادهم...

مع هذه القوافل الأدبية أدباءً وشعراءً ومسرحيين ينبري الآن ليترأس هذه الجلسة بعنوان "أدب المهجر" كاتب وأديب وشاعر مثّلَ عندليب الشعر فطارت دواوينه إلى كل دول العالم بعد أن ترجمت إلى لغات عالمية، وتسارع طلاب الدراسات العليا(الماجستير والدكتوراه) إلى الكتابة حوله وحولها، وتميزوا بذلك. إنه الشاعر اللبناني العربي العالمي الدكتور محمد علي شمس الدين.

أ. إبراهيم سرور

رئيس الجلسة:

الشاعر د. محمد علي شمس الدين



معنى ملحمة الاغتراب

يا قبضة المطر الياقوت ما فعلت ... بك المقادير تشرينًا فتشرينا
قلبك في أحشاء عاصفة ... خلف البحار وفجرت البراكينا
يا قرية الطير والغادين في سفر ... والعائدين كروما أو بساتينا
والرافضين من الأشياء أسهلها ... والمبدعين ملوكًا أو شواهينا
الماء والنار بعض من صنائعهم ... لكنهم لم يخونوا الخبز والتينا
سبحان من جعل المشكاة من شجر ... نور الإله ولو سمّاه زيتونا
يكاد يزحم شرق الشمس مغربها ... كما زحمتم على الموج الدلافينا

تكاد هذه الأبيات من قصيدة قلتها في قرية من قرى الجنوب اللبناني هاجر أهلها إلى أميركا وإفريقيا ثم عادوا إليها لكي يعمروها...

تكاد هذه الابيات تصوّر ما يمكن أن يسمى "ملحمة الاغتراب والهجرة" ذلك لأن المعنى الملحمي لهذه الحركة تتوفر فيه المغامرة والإنشاد. ثمة بلا شك ما يشبه الملاحم القديمة من إقتحام البحر وريادة المجهول ومعارك وإن كان لا يشهر

فيها السلاح الا أنها مليئة بمواجهة شتى الصعوبات... وثمة بلا ريب دماء تسيل على طرقات الهجرة. وكل بطولة تعقد لمهاجر قد يكون إكليلها من الشوك أو الدم.

ما دامت هناك هجرات هناك شعراء خارج اوطانهم. ومن قرنين من الزمن حتى اليوم كانوا يغادرون هذه البلاد ويذهبون ليفتشوا عن الحرية والخبز والأمن سموا نظرًا لفقرهم في البرازيل والأرجنتين أكلة الحشيش "في بيئة أكلة اللحوم وبياعي "الكشة"... لكن هؤلاء صار منهم رؤساء جمهوريات ونواب وأدباء معدودون وتجار وأعضاء في مجالس الشيوخ... هذا جزء من ملحمة الاغتراب اللبناني. يقول جورج صيدح:

نحن الحفاة السائرون على الحصى ... نحدو السراة الراكبين خيولا

للمجد نحملهم على أكتافنا ... ولربما حمل الخفيف ثقيلا

طرقوا المهاجر فاتحين وليتهم ... فتحوا قلوبًا مثلنا وعقولا

ركبوا البواخر والقطارات والزوارق... هربوا من جمبع الاحتلالات البغيضة...

الاتراك والفرنسيين والانكليز ومن ثم من جحيم الفاقة والحروب الأهلية (فنحن بلاد طاردة لأهلها). انها الهجرة الحادة. بعضهم عاد وبعضهم مات في المنافي البعيدة، وبعضهم باتوا منكسرين خاليي الوفاض، وبعضهم عادوا ملوكًا أو شواهين...

ملحمة الهجرة تتحمل كل الأوصاف، فلم تكن الهجرة رحلة مرفهة في بحر ساج.

كان المهاجرون يعاملون كصعاليك منبوذين أحيانًا... وكانت الهجرة محفوفة بالمرابين والسماسرة يسلمون المهاجر إلى العسكري المتولي مراقبة الشواطىء، وكم هاجر مهاجرون محشورين مع السائمة والبضائع في قيعان السفن. وفي المدن الوسيطة كمرسيليا في الطريق إلى أميركا. كان يتسلم المهاجر سمسار جديد ولا يحمله للباخرة الا بعد فراغ جيبه... وكم حملتهم البواخر إلى حيث لا يقصدون... وكان الكثيرون يموتون في البحر ولا يصلون.

تذكرني أيامهم بأيامنا القريبة حيث مراكب المهاجرين المطاطية تغرق في مياه المتوسط، وكم قذفت الأمواج بجثثهم على الشواطىء. أما بعد وصولهم إلى امريكا الشمالية أو الجنوبية فكانت تنتظرهم أعمال صعبة، ومهن حقيرة يتقبلون فيها قبل الوصول إلى الثروة أو الجاه...

يقول الشاعر القروي رشيد سليم الخوري في مقدمة الطبعة الأولى من ديوانه الصادر عن وزارة الإعلام العراقية عام 1952، وهو صاحب ديوان "الاعاصير" وقد أهداه إلى رفات الموتى تحت عنوان: "لماذا ومتى هاجرت":

حملت الكشة وضربت في مناكب الولاية (ولاية ميناس في البرازيل) ببضاعتي متعرضًا لأقسى مشقات الحَر والسيول الطامية. وكنت أرفع بصري إلى السماء عمدًا لملء فمي بالغيث المدرار وأنا أغني العتابا قي غابات البرازيل المخيفة (ص 31)... تبقى بعد ذلك مسألتان في ملحمة الهجرة الأولى في معنى الغُربة والهِجرة بالكسر والضم كما جاء في لسان العرب لأبن منظور ضد الوصل وهي الخروج من أرض إلى أرض... والغربة النوى والبعد يقال دارهم غربة أي نائية.. وليست الهجرة مختصة بالبشر دون سواهم من الكائنات فهناك هجرة الطيور والحيوانات والاسماك... وللمجرات والكواكب... فبعض السلاحف البحرية ضخمة الرأس تهاجر في الماء زهاء 14500 كلم قبل أن تعود إلى الشاطىء الذي ولدت فيه... والاغتراب والهجرة معنى قديم في النفس التوّاقة للإنعتاق. وأهم من كتب فيها من الناحية الفلسفية مؤسس فلسفة الإشراق "السهروردي" القتيل في كتابه "الغربة الغربية" ويقصد أن النفس البشرية معتقلة في الجسد ويجب أن تتحرر وتنتقل إلى مشرق الأنوار...

وفي الشعر قال أبو الطيب المتنبي واصفًا غربته:

تغرّب لا مستعظمًا غير نفسه ولا قابلاً إلا لخالقه حكما

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن تطور التكنولوجيا ووسائل الإتصال والتواصل ضعف القطيعة وقرّب بين الجماعات واختزل الزمن والمسافات، فكم تجد مغتربًا في وطنه وغرباء في أماكنهم. إن أصعب انواع الغربة غربة الإنسان في جسده وغربته في مكانه وزمانه.

أدب الاغتراب: عبد العزيز الحاج، نموذجًا:

أ.د. يحيى شامي



- الولادة: بنت جبيل 1937.
- الصفة: أستاذ اللغة العربية والدراسات العليا في الجامعة اللبنانية سابقًا.
- مؤلفاته النثرية: عشرات المؤلفات في اللغة والأدب وسائر العلوم الإنسانية.
- مؤلفاته الشعرية:
- ❋ ديوان محض الولاء
- ❋ ديوان العليّة
- ❋ ديوان قيد الطبع

تمهيد:

مع احتدام نيران الحرب الأهلية اللبنانيّة التي اندلعت عام 1975، أضف إلى ذلك ما كان يتعرّض له لبنان من اعتداءات إسرائيلية كانت تتكرّر بين الفينة والفينة، بدأ سيل الهجرة، أو قلْ سيل الاغتراب يتدفق باتجاه شتّى أصقاع الأرض، وبخاصة باتجاه كلٍ من الولايات المتحدة وكندا اللّتيْن شكّلتا، وبمرور الزمن، وطنًا آخرًا لهؤلاء المهاجرين الذين كان منهم ثلّة من أصحاب المواهب الأدبية، وصناعة الأدب صناعة قديمة قِدمَ هجرة اللبنانيين الأوائل الذين كانوا حطوا من قبلُ رحالهم في كلٍ من الأمريكيتين الشمالية والجنوبية فلمع فيهم أعلام أغنوا الأدب بكتاباتهم النثرية والشعرية ذات الطابع الوطني، والآخر الوجداني الذي غلب عليه الحزن، وهيمن عليه الحنين إلى الوطن الأم، ومَن منا لا يستذكر اسم كلٍّ من جبران ونعيمة وأبي ماضي من أعلام الأدب المهجري في الولايات المتحدة الأميركية، أو اسم كل من فوزي المعلوف، وشكرالله الجرّ، والشاعر القروي والياس فرحات، من أعلام الأدب المهجري في بلدان أميركا الجنوبية، وسواها من البلدان التي حفلت بإرث ذلكم النفر من الأدباء أو الشعراء الذين أغنوا الأدب، أي أدب المهجر بالقيم الجمالية والوجدانية والإنسانية التي رفعت اسم لبنان عاليا بين سائر البلدان.

ما يهمنا بهذا الخصوص هو الإضاءة علي ما يُعرف بالأدب المهجري الاغترابي، أو العاملي، سمّه ما شئت، هذا الذي حمل لواءه لفيفٌ من الذين اضطرتهم الحرب الأهلية اللبنانية، وما سبقها من اعتداءات إسرائيلية متكررة إلى الهجرة متخذين من ولاية ميشغن الأميركية، وتحديدا من مدينة ديربورن ملاذا آمنًا ومستقرًا لهم ولأفراد عائلاتهم، ومنطلقًا لأعمالهم التي لم تحلْ بينهم وبين الانصراف إلى تلك الصناعة، التي أسميتها صناعة الأدب، وإنّ منهم على سبيل

المثال، لا الحصر، الدكتور ألبرت عبدالله حرب، من كفرحونة، ومحمد يوسف جابر من ميفدون، وخليل إسماعيل رمال، من الدوير، ومحمد حسين فرحات من برعشيت، وعبد العزيز الحاج من عرمتى، والدكتور نزيه مكي، والدكتور طلال طرفة، من بنت جبيل.

ولرُبّ سؤالٍ يُطرح عن سبب التنويه بهذه الأسماء خاصة، وهم قليل بإزاء زملائهم الآخرين، فأقول إن ثمّة صداقة وثيقة تربطني ببعضهم، وثمة صلة تربطني بأدب بعضهم الآخرمن الذين كنت اطّلعت على أدبهم من خلال توفري على قراءة كتاب (أقلام مهجرية) لصاحبه كامل محمود بزي وهو كتاب تضمن تراجم لثلاثين أديبا وشاعرا مهجريا، وإن فيهم مَن كنت ذكرت اسمه آنفا، ولما كان موضوع البحث هو: (أدب الاغتراب: عبد العزيز الحاج، نموذجا)، فإنّ المرجع الأساس الذي رجعت إليه هو بعض صفحات من هذا الكتاب القيّم، أما لماذا اخترت عبد العزيز الحاج بالذات، فلأن معرفتي به كانت عن كثب، صادقته وصادقني، وزاملته وزاملني زمنا من قبل أن يهاجر فيتخذ من مدينة ديربورن في ولاية ميشغن الأمريكية مقيلا له ومستقرا. فمَن هو هذا الأديب الألمعي, ما سيرة حياته، وما الفن الأدبي الذي امتاز به خاصة، من بين سائر الفنون، وماذا قيل فيه ساعةَ وبعد ارتحاله عن هذه الدنيا الفانية، هذا ما سوف تراه مفصلا بعض الشيء في هذا البحث المتواضع الذي أسميته: (أدب الاغتراب: عبد العزيز الحاج، نموذجا)..

نبذة من سيرة حياته:

- في الوطن الأم:

واحد من ألمع أدباء المهجر العامليين الذين اغتربوا عن الوطن الذي كانت الحرب الأهلية اللبنانية قد عصفت بكيانه سنة 1975، فكانت مدينة ديربورن الأميركية ذات الأكثر عددا بالمهاجرين العرب، محط رحاله، ومقرا له ولأفراد عائلته حتى الرمق الأخير من حياته...

إنه المعلم والمربي عبد العزيز الحاج المولود سنة 1930 في بلدة عرمتى الجنوبية المحاذية لجبل الريحان والتي فيها نشأ وترعرع من قبل أن ينتقل إلى بيروت التي تابع دراسته الثانوية فيها، فالجامعية التي توجت بحيازته للإجازة في اللغة العربية وآدابها مشفوعة بشهادة الكفاءة التي خولته الانخراط في سلك التعليم الثانوي، ومن ثم في سلك الذين تبوأوا مقعدا بارزا في المركز التربوي للبحوث

والانماء، كمرشد ومخطط وإعلامي ناشط في مجال التربية والتوجيه، إن في الإذاعة اللبنانية أو في محطة التلفاز الوطني، تينك المحطتين التين أغناهما الحاج بالعديد من البرامج والتمثيليات والحلقات ذات الطابع الاجتماعي والأدبي والتربوي والثقافي والإنساني[1].

ـ في ديربورن:

سنة 1990، وإثر اشتداد وطأة الحرب الأهلية اللبنانية، حط أديبنا، كما أسلفنا، رحاله في بلاد العم سام، متخذا من مدينة ديربورن الأميركية ذات الأكثرية العددية من أفراد الجالية اللبنانية، مقرا له ولأفراد عائلته، دون التخلي عن ممارسة نشاطه الأدبي والإعلامي الذي كان بدأه في لبنان، مغنيا بذلك بقية حياته الحافلة بالعطاء الثقافي والأدبي، مخلفا وراءه العديد من المقالات والمؤلفات التي أغنى بها المكتبة العربية المهجرية، وإن منها ما كان كتبه في لبنان، وما كان كتبه في المهجر، وهي التالية:

ـ صفحات من كتاب الحياة
ـ حكايات من العزلين
ـ رويدك، لا ترحلي
ـ محمد رسول الله
ـ طفلك من باب الحياة إلى باب المدرسة
ـ وجوه كانت معي
ـ الحرب والناس
ـ حكايات إسلامية

وهي مؤلفات متعددة الألوان، ظهر بعضها للطباعة، وبعضها الآخر ما انفك حبيس الأوراق التي لم تشهد نور الطباعة بعد[2].

الفن القصصي:

ـ صفحات من كتاب الحياة

احتلت القصة في أدب مترجمنا الحاج المتعدد الأغراض والفنون مكانةً رفيعةً في سلم الإبداع القصصي الذي جاء في معظمه مستوحىً من الحرب الأهلية

(1) أقلام مهجرية، لكامل بزي، ص 253-254، دار المحجة البيضاء، بيروت
(2) أقلام مهجرية ص 257-258

اللبنانية، ومن رحم معاناة آلام الغربة والحنين إلى الوطن، وإنّ من هذا الضرب من القصص ما جاء في كتابه الموسوم بـ(صفحات من كتاب الحياة)، وهو كتاب ضمّنه صاحبه عشر قصص قصار إحداها القصة المعنون لها (قذيفة صائبة)، وقد استهلّ تلك المجموعة القصصية الرائعة بمقدمة أدبية جاء فيها قوله:

"في ساعات الفراغ القسري للحرب في لبنان كان لا بدّ للقلم الذي ما اعتاد السكون يومًا من أن يتحرك خارقًا سُنّة الحرب التي شلّت أو كادت تشلّ كل من يتحرك وما تحرك... وخط القلم سطورا أخذ حبرها من دماء الحياة الحارّة المراقة بالحرب، فإذا بها أقصوصة أو خاطرة متجهمة تُرينا ويلات الحرب وآثارها المدمرة على الإنسان ومسيرته الحضارية، وتحاول بالتالي أن تصرخ في وجه ممدّ أتون الحرب بالوقود أن اتّق الله، وكفّ عن تدمير البلاد والعباد"[1]

إنها الحرب! هي تلك الحرب التي كادت أن تشل كل من يتحرك وما تحرك... إنها الحرب الأهلية اللبنانية المشؤومة التي عصفت رياحها ذات يوم أو عام، فأكلت الأخضر واليابس، وأرملت الزوج أو الزوجة، وأيتمت الابن أو الابنة، وشردت الآلاف من المواطنين المسالمين الذين لا حول لهم ولا طول، وأرغمت الآلاف على الركون إلى ملاجئ يعشش فيها الظلام هربًا من نيران فوهات المدافع أو راجمات الصواريخ التي كانت تنصبّ عليهم من كل ناحية، حتى إذا هدأ صوتها لبعض الوقت تكشفت عمّا لا يمكن وصفه من أشلاء أجساد مقطّعة، أو وجوه مشوّهة، أو عظام مكسّرة طحنتها رحى تلك الحرب التي لا ترحم، فها هو كاتبنا، الحاج، ومن وحي تلك الحرب المشؤومة، يصور في إحدى قصصه التي هي (قذيفة صائبة) هول ما جرى لتلك العائلة التي نكبت باستشهاد معيلها الوحيد الذي كان هدفا لقذيفة مدفع شقّت عنان السماء في ذلك الليل الأليل، فهبطت على سطح منزله الذي كان خرج منه للتو كلٌّ من زوجته وولده اقتناصًا لشيء من الغذاء النادر وجوده إبان تلك الحقبة المظلمة التي سادت أجواء لبنان... ويسكت المدفع لبعض الوقت، ويسود الصمت، ويلج الكاتب في عمق المنزل المجاور لمنزله، والذي كان هدفا لتلك القذيفة الصائبة، يلجه متفقدا حال من فيه وما فيه ويا للهول، ويا للفظاعة ويا لعظم ما رآه رأي العين، ويا لدقة وبراعة أسلوبه الذي راح

(1) نفسه، ص 258

يصف ما رآه، لما أن ألقى نظره على جثة ذلك الزوج الذي مزّقت جسده شظايا تلك القذيفة، يصور الكاتب ذلك المشهد فيقول:

"راعني أن أرى ذراعه ممدودة، وعند قبضة يده نصف المفتوحة تدحرجت قارورة دواء انتثرت حبوبها حولها، وكانت من الصنف المهدّئ للأعصاب... رجوت الله أن يكون قد تناول جرعة منها كافية قبل وصول زائرته القاتلة فلعله يلاقي الموت بالاسترخاءة العذبة التي تحدثها هذه الحرب عادة في جسد متعاطيها والنفس على السواء[1].." ويتابع الكاتب الوصف قائلاً: "نهضت عن جثته باكيا بحرارة، وحانت مني التفاتة إلى طاولته حيث كان يجلس عادة للكتابة: مفكّرة يومياته ما زالت مفتوحة على نفس اليوم، والقلم وضع بين ملتقى الصفحتين بعد أن كتب به المسكين يوميته الأخيرة.. دموعي انفجرت بغزارة كما لم أعهدها طيلة حياتي، ومن وراء غشاوة الدمع، هممت بأن أقرأ اليومية الطازجة التي ما زال يتصاعد من كلماتها بخار الحياة الساخن، لكنّ صوت جاري المنبعث من وراء جدار الموت شق الصمت المهيب.. راح يسابقني في القراءة ليس من بين كلمات مفكرته فحسب، بل أيضًا من أعماقي.. من نفسي.. من نبضات قلبي.."[2]

ويتابع الحاج بأسلوبه الأدبي المؤثر، يتابع الكتابة كيما يخلص إلى نتيجة مؤداها أن المصير الفاجع الذي أصاب ذلك الجار قد يصيب الكاتب نفسه الذي طالما فرّ من منزل إلى آخر، ومن دهليز إلى آخر يختبئ فيه اتقاءً لنيران حمم القذائف المجنونة التي قد تنهمر عشوائيا يوما ما، وبين الفينة والفينة غير عابئة بشيخ كبير، أو طفل صغير، أو كاتب ألمعي نِحرير، أو آخر جاهل يلقى نفس المصير..

يتابع الحاج الكتابة، وقد راح يتساءل إن كان سيلقى هو وزوجته وأولاده نفس المصير، ولم لا، والحرب ما زالت تدور، والقذائف لمّا تزل تنصبّ بين الفينة والفينة على هذا المنزل أو ذاك، أو هذا الملجأ المظلم أو ذاك، وهنا يتضاعف قلق الكاتب فيصوّر تلك المخاوف والهواجس التي تعتريه حذرًا من أن يصيبه ما أصاب ذلك الرجل الذي لم يجدِه نفعًا حماية أو لجوء إلى ملجأ أو دهليز.. يقول:

"حين تنهال علينا القذائف، ونهرع إلى قرارة دهليز في أسفل المبنى الأثري

(1) ص 259

(2) ص 260

الذي نسكنه.. وحين أنظر إلى وجه زوجتي المزدحم بحكايات المآسي التي تؤلف قصة عمرنا.. وحين أتطلع إلى ولدي الفتى الوسيم الذي باتت تسكنه شخصية رجلٍ حسنٍ فلم يعد يطمح إلى متع الحياة، كما لم يعد يكترث لمآسيها.. وحين أتذكر أني لا أملك من متاع الدنيا شيئًا أبتاع منه بعضًا من ساعات بؤسي، أو أدفع به عن زوجتي وولدي وعني، حرمانًا أو خوفًا أو خطرًا.. وحين أتذكّر أن سقفًا واحدا فقط يظللني من حمم الحرب وأنه بالتالي لن يستطيع الصمود في وجه قذيفة قاصدة سريري أو سرير زوجتي أو ولدي.. وحين أدرك أن جرحا بسيطا قد يفقدني أو يفقد ولدي الحياة، وينهي حقيقةً أو مجازًا حياة زوجتي.. حين يمر كل ذلك في ذهني وأنا داخل دهليزي في مقعد مبناي المتداعي في أحشاء ذلك الزقاق الذي أصبح مكبّ نفايات محركات الديزل ومطابخ الأبنية المحيطة بنا، والمولية لنا ظهورها.. حين ذلك أشعر كمن أُلقي في بئر عميق، وأقفلت فوهته بصخرة هائلة.. أشعر أنني سأصرخ عاليًا في شبه عواء وحش جرح: النجدة! النجدة!.. "[1].

ـ وجوه كانت معي

ومن كتابه الآخر الموسوم بـ(وجوه كانت معي) والذي ضمّ العديد من القصص ذي الصلة بأهوال الحرب الأهلية، وبما تمخّض عنها من ويلات ومصائب، نودّ الوقوف عند المقدّمة التي استهلّ بها كتابه، وهي مقدّمة تنضح أسىً وتفيض حزنا لما تضمنته من وصف لانهيار القيم الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية ذات الصلة بتلكم الحرب الأهلية اللبنانية التي كان معظم أبطالها فتية أو رجال خرجوا على القانون، وعاثوا في المجتمع فسادا، وما كان السلاح الذي حملوه سوى وسيلة للنهب أو السلب، وابتزاز المال، وترويع الآخرين، يقول الحاج في مقدمته تلك:

"في هذا الزمن، زمن (أبو حديدة).. زمن التوزيع العشوائي للقيم الاجتماعية والإنسانية وُلد هذا الكتاب..

في هذا الزمن، زمن المسلح، دواس رقاب الكرام بقدمه.. ولد هذا الكتاب..

في زمن الخلل الفظيع في تكافؤ الفرص في الكسب، ولد هذا الكتاب..

في زمن اختراق الزجاج المحطم أجسام البشر تسهيلاً لمكاسب حفنة من الناس، ولد هذا الكتاب..

---

(1) ص 261

في زمن (أم زكّور) وموقدها التاريخي الخانق الحصين، ولد هذا الكتاب..

في زمن الألقاب الثقافية المزيفة، ولد هذا الكتاب..

في زمن الدمار النفسي للبشر، وفي زمن غربتي وأنا في منزلي وشارعي ووطني، ولد هذا الكتاب..

في زمن ضياع القيم وضياع التراث، وتخلخل الصلة بين جيل وجيل يليه. ولد هذا الكتاب.. "[1] .

ويتذكر الكاتب في هذه المقدمة الأشخاص الذين عايشهم وعايشوه، وصحبهم وصحبوه في ذلك الزمن الرديء، زمن الفوضى والفساد والاقتتال لعل القارئ الذي يخاطبه ويقرأ كتابه تنفعه الذكرى، فيقول:

"إنها وجوه لأشخاص.. لكيانات حية عايشتها وعايشتني، بل عشتها في فكري وسلوكي.. في زمني، زمن الفرحة وما أندرها، في حرب الخمسة عشر عاما.. في زمن الكتابة وما أغزرها.. هي وجوه موّهتها وما شوّهتها.. موّهتها حتى لا تسيء إلى أصحابها، وقلوبهم ما زالت تخفق بيننا، فالهدف من نقدها الأمثولة لا التهجم.. وما شوهتها لتظل حقيقة حية تصرخ فينا وفي أصحابها على السواء كي نتعلم من نقد لها غايته أن يبني ولا يهدم..

وسواء أكانت هذه الوجوه قدوة أو موضوع شجب، فلتعلم قارئي، انها مجتمعي الذي عشت فيه عقدا ونصف عقد من السنوات.. تفاعلت معه كما كان له في نفسي وفكري عميق الأثر..

هذه هي الوجوه نوافذ اذا أطللت منها رأيت عبرها حياتي وحياة الكثير من ناس هذا الزمان الذي أكثرت الألسن في نعته بالزمن الرديء...زمن رديء هو؟ نعم، لكنه اذا اصلح فما هو برديء، وان الرديء حقا هو الذي يعبر درب هذه الحياة فلا يختبر شوكها كما اختبر طيب ورودها.. وجوه من تحت الأنقاض تظهر في جزء من هذا الكتاب لتصور عصرها، لتحكي حكاية بلسان ارجو ان يكون فصيحا.." .

ـ الملجأ

من هذا الكتاب الآنف الذكر، الحافل بالقصص الحي المنتزع من صميم الواقع المؤلم والفاجع في آن، اخترنا قصه اتخذ (الملجأ) لها عنوانا وفيها يتحدث

(1) ص 262-263

الكاتب عن معاناته التي كان عاناها ابناء بيروت خاصه، أو عاناها غيرهم ممن اضطرتهم الحاجه إلى اللجوء إلى هذا الذي يدعى ملجأ، أي ملجأ، وما الحاجه تلك سوى الحرب المشؤومه حيث تتابع انهمار القنابل والقذائف العشوائية المتساقطة على المنازل والمحال والطرقات، وياله من ملجأ عفن غاصّ بالقاذورات وبالأوساخ والنفايات، ولكم خلّف وراءه من جثث قتلى لم تجد من يقوم بدفنها..

نعم، انه الملجأ، بل انه المقبره الموحشه التي تشدخ كرامة الإنسان، وتحط من قدره، وتجعله في اسفل سافلين.. من رحم ذلك الملجأ، ومن وحي تلك الحرب المشؤومة، والقذائف المجنونه التي كانت تتساقط فوق المنازل، وفي الطرقات، وحيث يختلط الدم واللحم بالشظايا المعدنيه الصاهرة، وحيث حطام الاسمنت الهابط مجنونا من قمم المباني، الصاعد مجنونا من حفر الشوارع المتفجره، وحيث الزجاج المتناثر في كل مكان قاصدا بكل ضراوة جرح بشري أو ذبحه.. من وحي كل هذا ينقل الكاتب في قصته مشهدا وياله من مشهد لا تمحوه الايام، ولا تنساه الذاكرة، يقول:

"لن يكون تكرار شريط القذائف المنهمره بعد اليوم في حياتي ذكريات.. انه حقيقة تتجدد في كل آن.. انه الكآبة التي لا تنتهي، والرعب الذي لا ينتهي، والاذلال الذي لا ينتهي.. كيف؟ كيف برب السماء يمكن ان يختلط الدم واللحم بالشظايا المعدنيه، لما أن حملنا انفسنا كتلا اربعة من اللحم والدم، وحولنا كتل عديدة منها للاقارب والجيران، وكفئران مذعورة تسللنا برعب مهووس إلى حجور الفئران والصراصير.. إلى ملجأ إذلال البشر.."[1] ثم ان الكاتب يتوجه بالخطاب إلى القارئ فيقول له: "هل عشت ساعة في ملجأ يستقر عند بابه جحيم؟ لا، اذاً لم تر بشاعة النفس الإنسانيه، لم تر أحشاء البشر المثيرة للتقزز.. أنت اذاً لم تر غير شتلة الزهرة، لم تر العفن والوحل وعصارة القاذورات التي تمتص من جذور الزهرة الحياة.. أنت اذاً لا تعرف إلا (توجيهة) صندوق الفاكهة إلى الفاكهاني، التوجيهة الجميلة البديعة المثيرة للشهية، توجيهة الثمرات الحلوة المنظر والمذاق، لكنك لا تعرف أبدا ما وراء التوجيهة من ثمرات مهترئة عفنة نتنة.. هذه الثمرات تجدها في الملجأ.. في من يجلس يمينك أو شمالك، وحتى نفسك..

---

(1) ص264

نعم، أنت في الملجأ ثمرة عفنة نتنة، جيفة حيوان قُتل منذ أيام وأيام ولم ينطمر بعدُ تحت التراب.. تسألني كيف؟ تعالَ جرب ليلة في الملجأ حيث يطاردك الرعب وحيث تنام عشر ساعات من المساء إلى الفجر جالسا منتصبا على مقعد من خشب أو اسمنت مسلح، كلما غفوت إعياءً أيقظك دبيب صرصار على وجهك أو لمسة فروة جُرذ مرّ بين قدميك، أو دويّ انفجار عند فوهة الملجأ زلزل المكان فزُلزلت معه نفسك.. في الملجأ، يا صاحبي، تجلس إذا كنت محظوظا قرب المرحاض الذي تكوّن ظلامه من ظلمة الليل وظلمة باطن الأرض، وظلمة النفس، وأما الإنسان، الإنسان المبتذل في الملجأ، اللامبالي بكل شيء حتى بما يُسمى فوق الأرض من كرامة أو حياء أو لياقة.. أما هذا الإنسان فهو يدخل المرحاض، رجلا كان أو امرأة، فلا يقفل الباب حتى لا يضيع في الظلمات الثلاث، وبذلك يترك عورته ينتهكها نور شمعة عليل متسرب من خارج المرحاض، والجالسون في المرحاض يحدقون بالعورة المنتهكة ببلاهة وبلادة، فهي لا تعني لهم إذّاك شيئًا، ولا حتى صاحبها أو صاحبتها، فهو مخلوق حقير، هو هدف قذيفة، وجزء من مزيج اللحم والدم والزجاج المتناثر، والاسمنت المفتت، والشظايا الصاهرة.. هل يستحق هذا المخلوق اهتمامًا؟..

الملجأ، يا صاحبي، هو باطن البشر، هو أحشاء المجتمع الراقي القذرة العفنة النتنة، إذا شئت أن تعرف حقيقة هذا الإنسان الأرعن الأجوف الأبله.. تعالَ شاهدها في.. ملجأ.. "[1].

الحرب والناس

بائعة اليانصيب:

ومن كتاب مترجمنا الصادر سنة 1996، والمعنون له (الحرب والناس) كان جلّ عناية الحاج تصوير مشاهد مستوحاة من صميم واقع الحرب الأهلية اللبنانية، أو من غيرها، لكنها تصب في الغرض نفسه الذي هو تصوير بشاعة الحرب، ونقد المجتمع، وكيفية الخروج من ذلك كله للوصول إلى هدف سامٍ نصبو له جميعًا، وهو استخلاص الدروس والعِبر، والعمل على بناء مجتمع تسوده الألفة والمحبة، وترفرف فوقه راية السلام، الذي هو نقيض الحرب بكل أهوالها وبشاعتها وعلى

(1) ص265-266

أن يكون العنوان الأبرز من ذلك هو نقد الذات وتشخيص الداء كما جاء في مقدمة كتابه القيّم المتضمن ثلاثًا وثلاثين قصة اخترنا منها القصة التي حملت عنوانا لها (بائعة اليانصيب)، وهي قصة تحكي حكاية امرأة جنوبية أرملة فقدت الزوج والولد بفعل العدوان الإسرائيلي المتكرر على العديد من بلدات وقرى الجنوب ما اضطرها إلى ترك منزلها المهدّم، واللجوء إلى بيروت طلبا للرزق الحلال، لا عن طريق استجداء المارّة كما يفعل البعض، بل عن طريق بيع أوراق اليانصيب اللبناني. لقد استهلّ الكاتب قصته هذه بتوجيه الخطاب إلى تلك المرأة قائلاً:

"بائعة اليانصيب، يا بائعة اليانصيب، اقتربي مني.. أعطني نصف ورقة، كم ثمنها؟

- ليرتان ونصف، قالت المرأة.

- تفضلي، قال الكاتب، هذه ثلاث ليرات، وسلمت يداك، وداعا..

- نعم؟ قلت لك ثمنها ليرتان ونصف، لا ثلاث، قالتها المرأة بغضب وعنفوان.

- حسنا، لا تغضبي، سآخذ نصف الليرة لكن على شرط أن تقولي لي كم عمرك، ومن أين أنت، وما الذي أتى بك إلى بيروت، ولماذا تبيعين اليانصيب؟

ابتسمت المرأة العجوز ابتسامة المحبة والطهارة والأمومة والحزن والصبر الجميل وقالت:

عمري، يا بنيّ، حوالي ستين عاما، وأنا من الجنوب.. أتيت إلى بيروت مهجرة بعدما هدم الإسرائيليون بيتي، وقتلوا زوجي وولدي.. أنا الآن أبيع أوراق اليانصيب لأحصل معيشتي، فلا أثقل كواهل أولادي الذين كلٌ منهم (همه على قدّه).. "[1].

هالَ جواب المرأة كاتبنا الذي ران عليه الصمت ولم ينبس ببنت شفة، بل ردّ على ابتسامتها بابتسامة مبلّلة بدمعتين، حاول عبثًا حبسهما في محجريْه، وسرعان ما قفل راجعا إلى منزله ليحرر رسالة يختصر فيها كل ما جرى من حوله ما بينه وبين تلكم المرأة وقد جاء في تلك الرسالة قوله مخاطبًا المرأة:

"لن أعدّ المشاكل والمصاعب التي نقاسي منها في أيام بخيلة كهذه الأيام.. لن

---

(1) الحرب والناس ص7

أفعل شيئا من كل ما تقدم.. ما سوف أفعله فقط هو أن أعلن اعتزازي بك، وافتخاري بك وبالأرض التي ولدتِ وعشتِ فيها قبل أن تسكني إشارة السير الضوئية عند مفترق أربعة شوارع..

يا بائعة اليانصيب الجنوبية، صرتِ رمز الكرامة حين قرّرتِ أن تبيعي اليانصيب بديلاً عن مدّ يدٍ ذليلة للرائح والغادي.. صرتِ أنت الكبرياء والعنفوان حين أصررتِ أن تردّي إليّ نصف الليرة وأنتِ في أمسّ الحاجة لكل قرش من قروشها..

يا بائعة اليانصيب الجنوبية، أنتِ رمز لبنان، لبنان العنفوان والكرامة، لبنان الصامد الصابر المصمم على الحياة مهما كانت صعوبة الحياة..

أنت وحدك يا بائعة اليانصيب، جديرة بلبنان، وحدك الجديرة بلقب المواطن للوطن، لأن الإخلاص يقاس بما يعطى، لا بما يؤخذ.. أرشحك، يا بائعة اليانصيب، لأن تكوني محور اهتمام لبنان..

في ختام رسالتي، لكِ مني، يا مهجّرة الجنوب، يا ضحية غطرسة القوة، ألف تحية وحب وإعجاب، أنثرها على وجهك الطيّب الصبوح "[1].

أدب الترسّل

تلكم كانت نماذج مختارة من فن أديبنا القصصي، ولا يعني هذا البتّة أن عبد العزيز الحاج لم يبدع في سائر الفنون الأدبية الأخرى التي منها أدب المقالة على اختلاف أنواعها، وأدب الترسل الذي ضمنه الكاتب العديد من الرسائل التي كان بعث بها إلى لفيف من الأهل والصحب وزملائه الأدباء، وإنّ من هذا الضرب رسالة أرّخ لها الرابع والعشرين من شهر تموز عام 1991، وكان بعث بها لزميله صاحب كتاب (أقلام مهجرية) وفيها يتألّم للمآل الذي آل إليه وطنه الأم لبنان، وللحالة التي أضحى عليها إثر الإعلان عن انتهاء الحرب الأهلية التي هزّت كيان الوطن وعصفت بشماله وجنوبه، وببقاعه وساحله بحيث إن لبنان وإن استعاد بعض عافيته بَيدَ أن الخسارة التي تمخضت عنها الحرب كانت أشدّ وأقسى، كيف وإنّ أفدحها تلك الهجرة التي قذفت بالألوف الألوف من خيرة شبابه، فألقت بهم في مجاهل الأرض وأصقاعها النائية، من الذين آثروا البقاء والاستقرار في تلك المهاجر بعيدًا عن وطنهم الأم الذي زعزعته الحرب فأمسى مهيض الجناح، فاقدا

(1) الحرب والناس، ص 275

خيرة أبنائه الذين ابتلعتهم المهاجر فصاروا جزءًا منها، ومكوّنًا من مكوّناتها، إذ لقد جاء في طيات تلك الرسالة قول الحاج:

"إن لبنان أصبح في ميشغان، وليس في لبنان الحقيقي الذي خرج الآن من أتون الحرب مهيض الجناح وحتى فاقد الهوية"[1].

وفي رسالة ثانية أعقبت الأولى كان بعث بها الكاتب لبعض صحبه، وذلك لمّا أن زار لبنان، وكانت آثار الحرب والدمار الذي أصاب أسواق بيروت لمّا تزل ماثلة لعينيه، يقول الحاج:

"أمسِ قمت بتنظيم جولة سياحية لابني سامرالذي وصل للتو من كندا فحطت به الرحالَ في قلب بيروت، فأصاب سامرًا الذهول من هذه التماثيل الهائلة المتآكلة التي نحتها الرصاص، رصاص البغضاء، وقذائف العبثية المدمرة، فكان بين لحظة وأخرى يتمتم قائلاً:

هنا يقوم الدليل على مدى تعفن النفس السياسية اللبنانية، وحقدها الأسود.. نحن هنا نعيش في هدوء ظاهري لكنّ البلد ما زال عليلاً، وإذا ما كانت للمدفع مشاكله فإنّ للسلام أو لنقل في هذه المرحلة، فإنّ لسكوت المدفع مشاكله أيضًا: تأهيل نفسك وأسرتك للعيش في صمت المدفع، أو السلام بعد ستّ عشرة سنة حربًا، ذاك مهمة صعبة، لا سيّما أن عدّة الحرب أو طاقمها البشري ما زال على الأرض، مُنزع السلاح، وبلباس مدنيّ ظاهرًا، لكنّ سلاحه باطني من الأخلاق الشرسة ما زال مُشهرًا في وجوه من قرأ كتاب (الأخلاق) أيام الطفولة، وصدّقوا ما جاء فيه، وتمسّكوا به قانونًا ونظامًا لحياتهم.. على أن سكوت المدفع ومحاولة الدولة العودة إلى الحياة الطبيعية، فرض علينا بلبلةً في موقعنا من الهجرة، وجعل رجلاً لنا على أرض لبنان، وأخرى على أرض الولايات المتحدة"[2].

ويعلق كامل بزي مؤلف (أقلام مهجرية) على هذه الرسالة فيقول معقبًا:

غير أن هذه البلبلة في موقفه من الهجرة شكّلت الحافز وللأسف باتخاذ قراره الأخير وهو جعل "رجليه الاثنتين" على أرض الولايات المتحدة، ملتحقًا وشريكة حياته ببعض أبنائه في ميشغان، وعلى مسافة نسبية في الجارة كندا يعيش أحد أبنائه الذي جارى إخوته في انتهاج طريق الرقيّ، وهي التحصيل الجامعي[3].

---

(1) أقلام مهجرية ص 256

(2) أقلام مهجرية ص 256

(3) أقلام مهجرية ص 256

هل كان عبد العزيز شاعرًا؟

عبد العزيز الحاج، هذا الأديب الذي اطّلعنا على بعض أدبه المتمثّل بالترسّل، وبالمقالة، وبالقصّة خاصّة، سواء أكانت قصّة منتزعةً من الواقع أم من الخيال، وقد تضمّن بعضها العديد من عناصر الشاعرية دقّةَ تصوير، وخيالاً، وأحاسيس ومشاعر متنوعة وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل فنقول هل كان الحاج شاعرًا؟

مثل هذا السؤال أو التساؤل طُرح على أديبنا من قبلُ، فأجاب عنه بنفسه قائلاً:

"أعترف بأنني لست شاعرًا.. لست شاعرًا بمقياس بروتوكول الشعر، قديمه وحديثه، لكنني شاعر بمقياس ما يُسعد من إيقاع الحياة، وما يشقي.. والشعر بغضّ النظر عن أوزانه وقوافيه وضروبه لم أمارسه إلاّ منفعلاً بما يسعد، أو منفعلاً بما يشقي"[1].

وفي حوار أجراه معه الصحافي محمد جابر، وذلك ردًّا عن سؤال حول الشعر، قال الحاج:

"كلٌّ منّا في داخله شاعر، ومن منا لم يحلم بأن يكون شاعرًا، ولكن هنيئًا لمن يستطيع إخراج ذلك الشاعر من داخله إلى الآخرين عبر عطاءات صادقة.."[2].

نستنتج من هذا أن صاحبنا الحاج، وبالاستناد إلى ما كان اعترف به في كتابه الموسوم بـ(وجوه كانت معي) نستنتج أنه مارس الشعر فعلاً، ولكنْ على طريقته الخاصة بحيث إنك لو اطّلعت عليه لألفيته، كما صرّح هو بذلك، خارجًا عن أوزان بحور الشعر وقوافيه، لكنه، في نظرنا نحن، هو شعر أقرب ما يكون إلى شعر قصيدة النثر الحداثية مع فارق أنه لم يُغرب فيها إغراب شعراء الحداثة، ولم يلغز فيها إلغازهم، ولم يستخدم الرمز الذي يستخدمونه، ولا رصف الكلمات أو كما يحلو للبعض، وذلك إمعانا في الإبهام أو التجريد..

نماذج من شعره:

من هذا الشعر الذي هو أقرب إلى النثر الفني، ومن مقطوعة أطلق عليها الحاج اسم (لقاء) قوله:

قبل لقائنا لم أكن أدري من أنا..

---

(1) وجوه كانت معي، ص251

(2) مجلة السبيل، عدد 23 شباط 1995

وما أنا..

ولم يقرأ عنها أحد..

عرفت عندها من انا، وما أنا..

وصرت وحدي أشهد دوران الأرض بطريقة أخرى..مختلفة..

يوم التقينا، شهدت ولادة عمر جديدٍ لعمري

وشهدت وجودًا يبرعم ويورق من جذوع وجودي النخرة.. من أعجاز عمري الخاوية..

وفرحتي الملتهبة تنبجس من تحت أكوام الجليد، أرأيت كم تؤثر أنت عبر نفسي في حركة الحياة؟[1].

ومن شعره الغزلي الذي يبوح به بكل صدق للحبيبة، كما جاء في قصيدته التي أسماها (أشتاق إليك) قوله:

في قلبي حنين إلى التلاقي..

عطش إلى النظر إليك..

أشتاق إليك كما تشتاق الأرض العطشى إلى الماء

وأحلّق فيك كما الطائر في السماء..

لو نطقت نظراتي إليك..

لقالت أحبّك

ولونطقت نبضاتي فيك

لقالت تعال إليّ

ولو عرفت نهاية عمرك أين تكون

لسبقتك إلى هناك

وحدها اللحظة التي أكون فيها معك

فيها أكون..

أنت سبب وجودي وأصبحت أنا

نتيجة وجودك

(1) أقلام مهجرية، ص 273

فإذا خرجت من حياتي

خرجت أنا.. من الحياة[1].

ومن قصيدة نثرية ثالثة أسماها (عوالم الدهشة) حيث لوعة الفراق، وحرارة الشوق، ومرارة البعاد، نختار قوله:

أيها المسافر في عروقي

على مدى يوم وليلة

من أصل يوم وليلة

كيف احتمالي لبعادك

محطة استراحتي أنت

وأستريح على مقعد في قلبك

وسط مساحات تضج بالخضرة والفرح..

منبع أحلامي أنت وعيناكِ تجول في عوالمها نفسي

تغوص في أعماقها

حيث تسبح الرؤوس.. دون انقطاع

كيف تريد لنظراتي أن ترتدّ عن عينيك

وفي عينيك هذه العوالم من الدهشة..

وفي عينيك سكينتي.. فرحي..

نهاية أديب

أخيرًا، إثر نوبةٍ قلبية حادّة، وبعد عمر ناهز السبعين عامًا حافلة بأروع ما حرر قلم عبد العزيز الحاج، وما جادت به قريحته، وتحديدا في الثامن من شهر كانون الأول سنة 2001، فاضت نفس أديبنا في إحدى مستشفيات ديربورن الاميركية فنقل جثمانه للتو إلى وطنه الأم كيما يوارى في ثرى بلدته التي أحب، عنيت عرمتى العاملية المحاذية لجبل الريحان، فكان لفقده رنة وأسى، أفصح عنها العديد من الأدباء والشعراء والإعلاميين الذين أثنوا على جهاده وكفاحه وأدبه وخلقه، وإنّ

(1) أقلام مهجرية، ص 272-273

من هؤلاء على سبيل المثال، لا الحصر، صديقه الأديب والشاعر المهجري الدكتور عدنان مكي الذي كتب يقول:

"عبد العزيز الحاج، صاحب أدب رفيع، ولسان طليق، وعقل حصيف، وقلم سيّال، طرق أبواب الكتابة حتى كانت موسوعةأغنت بعقله النيّر وأسلوبه الجذّاب المكتبة العربية والقارئ العربي.."[1].

وإنّ منهم أيضًا صديقه الأستاذ جهاد خليل الذي أبّنه في صحيفة السفير بقوله:

"عبد العزيز الحاج مشى قبل أن يجفّ حبره.. بقي في حبر قلمه الكثير ليكتبه إذ في السنين الأخيرة التي اغترب فيها، وفي صحراء الغربة والوحشة والمرض التي سكنت جسده وروحه لم يجد غير قلمه جليسًا وأنيسًا، فهبّت عليه رياح الكتابة، وكان ما كتبه غزيرًا، وما يُنتظر منه أكثر غزارة.."[2].

وإنّ منهم أيضًا صديقه الدكتور محمد فقيه الذي رثاه بقوله:

"لقد حسنت بك الرفقة، واصطفت بك الأخوة، وزادتك المحبة مراسًا ويقينًا، فكنت تقول الحق، ولا شيء غير الحق، يا من طاعت له الكلمة، وخضعت له العبارة، وتجسّدت بين يديه الصورة الفنية حقيقة رائعة تترجم الحياة، وتضجّ بكل أصواتها وحركاتها وسكناتها.. يا من سكب روحه وقلبه وقضايا الفكر والإنسان، وأنشأ الحوار بلغة تتناسب مع ثقافة العصر وروح المجتمع.."[3].

وإنّ منهم أيضًا صديقه الحميم صاحب كتاب (أقلام مهجرية) والذي رثاه بقوله:

"من الصعب التفريق بين عبد العزيز الحاج الإنسان وبين المفكر لما زخر به تاريخه من مواقف جُلّى إزاء إسعاف محيطه بما يحتاجونه من مؤازرة معنوية أو مادية، دون منّة أو إفصاح، مثلما كان واسع الاطّلاع ليس في علوم اللغة بل بمجمل ما يحيطه من أحداث.."[4].

أما الشاعر المهجري الراحل المرحوم الشيخ يوسف برّي، فقد رثى أديبنا بقصيدة وجدانية صادقة نقتطف منها الأبيات التالية:

---

(1) أقلام مهجرية، ص 275

(2) جريدة السفير. العدد الصادر بتاريخ 22\12\2001

(3) أقلام مهجرية، ص 276

(4) أقلام مهجرية، ص 278

أرثـيـك يـا قـمـر الـنـديّ وأنـسـه	قـد أظـلـم الـنـادي وبـدرك مـا بـدا
لـهـفي عـلى الـخـلق الـرفـيع وحـكـمةٍ	الـشـاعـريـة مـن مـعـازفـهـا صـدى
هـي فـي شـفـاهـك حـكـمـة عـلـويـةٌ	وعـلى لسـانـك رحـمـةٌ شعّـت هـدى[1]

كلمة أخيرة

ذلكم هو عبد العزيز الحاج، موضوع هذا البحث المتواضع الذي أسميناه (أدب الاغتراب: عبد العزيز الحاج، نموذجًا).. وتلكم كانت لُمعًا من أدبه المهجري الاغترابي، وإنْ هو، إلاّ واحدٌ من أدباء وشعراء عامليين آخرين مغتربين اتخذوا من الأدب صناعة لهم، ولا يزالون جادّين في هذا المضمار، مثابرين عليه، ما يبشّر عمّا قريب بنهضة أدب مهجري جديد قد يضاهئ أصحابه به أدب وشعر أولئكم النفر من المهاجرين الأوائل من اللبنانيين الذين حملوا هذا المشعل من أمثال كلٍ من نعيمة وأبي ماضي، والياس فرحات وجبران...

(1) أقلام مهجرية، ص 280

شعراء المهجر:

أ.د. حسن جعفر نور الدين



- شاعر وكاتب جنوبي.
- حائز على دكتوراه في الأدب العربي، ويحمل اجازة في العلوم الاجتماعية.
- مارس التعليم في كل مراحله، وخاصة في المرحلة الجامعية.
- عشق الأدب والشعر ومال اليهما منذ نعومة أظافره.
- له مؤلفات عديدة فاقت الاربعين مؤلفًا وديوانًا شعريًا. وقد توزعت هذه المؤلفات في كل الاقطار العربية.
- شارك في امسيات ومناسبات شعرية لا تحصى. كما شارك في مؤتمرات داخل لبنان وخارجه.

مقدمة

مضى على الناس زمن وهم يهاجرون، يتركون أوطانهم وتاريخهم وعوائلهم ويرحلون لا حبًا بالهجرة، إذ ليست (في الإطار الذي نقصده من الهجرة) فرصة للاستجمام والسياحة في جانب منها، وليست للراحة والتنزه والبحبوحة، إنما هي هجرة للجسد أكثر منها هجرة للروح، وهجرة للمستقبل لا من الماضي أو تنكرًا له وهروبًا منه، في الهجرة القسرية التي أعنيها في حديثي، تبقى الذكريات سفرًا يتصفحه المهاجر باستمرار، فيقرأ فيه ذكرياته مع الأهل والأصدقاء، مع الحجر والمدر، يتلمس فيه عبق أصابعه وهي تلامس التراب فيحيي فيه الحياة.

لو قيست الدموع التي أهرقها المهاجرون منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى العشرين على سلالم البواخر ونوافذ القطارات وكوى الطائرات لبلغت بحورًا، دموع الصدق التي تهاجر من الأحداق، لتنزرع في الأرض التي يغادرون صكوك محبة وعهدًا بالعودة الظافرة.

إنهم يغادرون وفي قلوبهم أمل العودة إلى دم الوطن، ويهاجرون ليبنوه ويصنعوه من هناك، من الأقاصي النائية وراء البحار، بعد أن تعذر عليهم البقاء فيه وخدمته وبنائه بحرية ومحبة دون إرهاب وتنكيل.

ذهبوا يفتشون عن الحرية التي افتقدوها، والخبز الذي عدموه، والكرامة التي ديست بأعقاب بنادق المحتلين، وسياط زبانيتهم وأعوانهم الذين باعوا ضمائرهم خدمة للمستعمرين.

ذهبوا لينتشلوا عوائلهم من العوز الذي نهش ضلوعهم والفقر الذي أدمى مشاعرهم وأعدم أطفالهم، فأنفوا من التسول، وعز عليهم أن يتركوا أرضهم دون حراثة، أن يتركوا الغيوم في سماواتهم دون أن يستدروا منها المطر الحنون،

والشمس فوق دورهم دون أن ينعموا بإشعاعاتها الذهبية، ذهبوا تاركين نسيم السفوح العليل وثلج الجبال البلوري ليسيل دون أن تتلقفه أيديهم الحانية، وثغورهم الداعية وقلوبهم الآملة، بعودة ميمونة وهم يحملون إلى الأرض التي شهدوا أول نور على ترابها النفيس، يحملون إلى الأرض التي ربتهم ميلاد وطن جديد، عرقوا لأجله وضنوا في سبيل سعادته، وحفوا وعروا ليلبسوا فيه ثياب العافية، ومات هناك ليحيا هو، بما أسلفوه وما أرسلوه وبذلوه.

لبسوا المسوح البالية ليلبسوا في وطنهم ثياب العز والمجد وشربوا الماء العكر، لينهلوا في وطنهم ماء القوة والعنفوان، وشراب الحياة.

لقد عمرت بهم بلاد المهاجر، وذاع صيتهم في كل مكان.

حملوا الكشة، رمز النضال والكفاح حتى عرفوا بها، ونعتوا بكلمات مسيئة كالجياع واللاجئين وتوركو (نسبة إلى الأتراك الذين كانوا يحكمون بلادنا) وسموا أيضًا، "كلو بعشرين" وهو نداء باعة الكشة المتجولين، أو لقب أكلة الحشيش، إشارة إلى اعتيادهم أكل الخضار في بيئة طعامها اللحوم، ولم تتبدل هذه الألقاب وتُمح إلا عندما ظهرت مواهب العرب عامة واللبنانيين خاصة في الشعر والمعرفة والعلم، لقد أفلح كثيرون، فانتقلوا من حملة الكشة إلى رؤساء جمهوريات، أو وزراء أو نواب أعضاء في مجالس الشيوخ، هناك في أميركا الشمالية والجنوبية، وفي أوروبا وإفريقيا، فاللبناني جريء مغامر لا يهاب الصعاب، يتحمل في سبيل أحلامه الأهوال والمشقات، لقد انتشر اللبنانيون في فجاج الأرض حاملين معهم فقرهم وجوعهم وتشردهم وشوقهم وأغلالا من الظلم والقهر التي زرعها المستعمرون الأتراك والفرنسيون والإنكليز، حاملين معهم عبقريتهم وأدبهم المرهف، على حد قول الشاعر المهجري جورج صيدح:

نحن الحفاة السائرون على الحصى	نحدو السراة الراكبين خيولاً
للمجد نحملهم على أكتافنا	ولربما حمل الخفيف ثقيلاً
حتى إذا عثر الأديب تفرقوا	عنه فلا يجد الأديب مقيلاً
طرقوا المهاجر فاتحين وليتهم	فتحوا قلوبا مثلنا وعقولاً

نعم، حملوا الكشة، وهي صندوق مليء بالأزرار والأمشاط والدبابيس والأقمشة ومنها صنعوا وطنهم المؤقت الجديد، ولم يخجلوا بصغائر الأعمال ليقينهم أنهم أصحاب نفوس كبار، تصنع من الضعف قوة ومن القليل الكثير ومن الصمود والصبر النصر والنجاح.

كان بينهم وبين الوطن سلك دقيق لكن متين لا ينفصم، هو سلك المحبة والحنان والإخلاص، وتعصف بهم اللهفة إلى العودة التي خذلت البعض لأنهم ماتوا حيث كانوا، أو يئسوا من تحسن الحال، فعز عليهم أن يعودوا إلى الوطن منكسرين خاليي الوفاض، وهم وعدوه أن يجعلوا فيه التراب ذهبا، والماء عسلاً، والصحارى جنائن مزهرة، أو لأن بعضهم كما قلنا وصلوا إلى سدة المسؤولية في دولة ليست في الأساس وطنا طبيعيا لهم، إلا أنهم من خلال وجودهم فيه، خدموا وطنهم ودعموه في المحافل الدولية والمراكز الأممية.

ذهبوا إلى المهاجر، فأحيوها بعد موات، وأخضرت بأيديهم بعد يباس، تشهد تلك الدول بذيوع الصيت، والشهرة والعبقرية والعطاء، تشهد لهم بأنهم بناؤوها ومؤسسو حضارتها وصانعو مستقبلهم، ومشيدو تاريخها الحديث ومات الكثير منهم، ليحيوا هناك بأولادهم بعدهم، وارثو الهم والمعاناة والحاجة، أو وارثو الثروة والشهرة، يتابعون مسيرة الحياة التي فرضت عليهم واختاروها مكرهين.

إن وطننا لبنان، مدين لهم اليوم وقبل اليوم وغدا وبعد غد، بما قدموه وفعلوه لنا في أوقات الشدة والمخاض.

ربما كانوا يعطشون لنشرب، ويعرون لنلبس، ويتعبون لنرتاح، ويتحملون شظف العيش وغبار المصانع ودخان المعامل، وينامون على الخشن، لنحيا في بحبوحة من العيش ورخاء وسعادة، غادروا بعد أن سُدَّت في وجوههم أبواب الرزق الحلال، وبعد أن عانوا ويلات الجوع والعوز، بعد أن عز عليهم أن يجدوا أطفالهم أسيري المرض والفاقة، يموتون جوعا والاستعمار الغاشم ينقض عليهم فلا يترك لهم بابا من أبواب الرزق إلا سده، إذ أنهم ذاقوا ويلات الاستعمار.

الروابط الأدبية في بلاد الاغتراب

الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية وروابط أخرى:

سبق وقامت روابط ثقافية واجتماعية هدفت إلى تنظيم وتحصين الحضور الأدبي والثقافي والاجتماعي والإعلامي للبنانيين المغتربين، فقامت الرابطة القلمية سنة 1920م في نيويورك برئاسة جبران خليل جبران، ومن أعضائها ميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي ونسيب عريضة ورشيد أيوب وأمين الريحاني وغيرهم، وقد توقفت هذه الرابطة بعد وفاة رئيسها جبران سنة 1931 بعد أن أنتجت تراثا أدبيا رائعا كشف عن مقدرة اللبنانيين وباعهم الطويل ومكانتهم الأدبية، ومن هذا

التراث كتب لميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي وأمين الريحاني وجبران وقد ضمت الرابطة لبنانيين وعربا آخرين، وكانت جريدتها السائح والسمير ميدانا لنشر القصائد والمقالات، ثم أنشئت العصبة الأندلسية، وقد أسسها أدباء ومهاجرون في البرازيل، وفي مدينة سان باولو بالتحديد وذلك سنة 1933م ومن أعضائها شفيق المعلوف، إلياس فرحات، رشيد سليم الخوري الشاعر رياض المعلوف والشاعر القروي وأخوه قيصر، جورج حسون المعلوف، وقد تولى رئاستها عند نشوئها ميشال معلوف وكان نائبه داود شكور وقد أصدرت مؤلفات كثيرة، ويشير اسم العصبة الأندلسية إلى مدى تأثر الشعراء المهجريين الجنوبين بالأدب الأندلسي، وقد أصدر شعراء العصبة مجلة حملت اسمها، وعادت بعد توقفها إلى الصدور سنة 1947م وظلت تصدر حتى سنة 1956م. وكانت مفخرة للأدب المهجري ومن كتابها: نظير زيتون ويوسف غانم إسكندر كرباج وحبيب مسعود رئيس تحريرها[1] ثم نشأت رابطة منيرفا وهي مدرسة أدبية لم تصمد طويلا، وقد أسسها الشاعر المصري أحمد زكي أبو شادي سنة 1948م في نيويورك وكان هو رئيسها ونائبه عبد المسيح حداد وقد توقفت بوفاة الدكتور أبو شادي.

ومن الروابط الأدبية أيضا، الرابطة الأدبية وقد أنشأها الشاعر المهجري جورج صيدح في عاصمة الأرجنتين سنة 1949م ولم تدم إلا سنتين، ومن أعضائها: صيدح ويوسف الصارمي صاحب مجلة المواهب الشهرية، عبد اللطيف الخشن وزكي قنصل وغيرهم.

ثم جامعة القلم بسان باولو (البرازيل)[2].

الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم:

أفضى الانتشار الواسع للمغتربين اللبنانيين في كل أنحاء العالم، وبعدهم الشاسع عن أوطانهم، إلى التفكير في تنظيم هذا الانتشار ومواكبته، خاصة بعد أن ترسخ وجودهم في دول الاغتراب، وأصبحوا جزءا منها على وجه التقريب، لذلك نشأت لديهم فكرة إقامة نواة جامعة تحضن الجاليات المنتشرة في القارات الخمس، وتهتم بأمورهم وترعى مصالحهم وقضاياهم وتحل مشاكلهم بين بعضهم

(1) د. خفاجي: قصة الأدب المهجري، ص 82- 94.

(2) د. خفاجي: قصة الأدب المهجري، ص 108- 110.

البعض، وبينهم وبين الدول المضيفة، فقامت سلسلة من اللقاءات والاجتماعات بين مغتربين في القارات كافة، أفضت إلى تأسيس جامعة لهم اسموها (الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم) وكانت إذا، نتيجة رغبة ملحة وحاجة ماسة عند جميع المغتربين، يستطيعون من خلالها حماية مصالحهم والدفاع عن حقوقهم والتنسيق في ما يهمهم مع المسؤولين في الدول التي يقيمون فيها، وتعميق التواصل بين لبنان المقيم ولبنان المغترب، وتعزيز العلاقات بين المغتربين، وقد تجلى هذا التعاون فيما بينهم أثناء كارثة طائرة كوتونو في بنين، والطائرة الأثيوبية أخيرًا.

بدأت الخطوة الأولى لجمع المغتربين سنة 1937م وأسس المجتمعون آنذاك في مكتب سفريات إبراهيم حتي نادي المهاجرين برئاسة حتي نفسه، وكان هذا المكتب يعمل بين لبنان ونيويورك بهدف مساعدة اللبنانيين في تيسير أمورهم وتذليل الصعوبات التي يتعرضون لها، ثم أنشئ سنة 1950م اتحاد الجمعيات اللبنانية (فيال) في القارة الأميركية برئاسة الشيخ بطرس الشيخة، وهو من مغتربي المكسيك، وتولى الأمانة العامة الدكتور نتاليو شدياق من مغتربي كوبا، وكان هذا الاتحاد نواة الجامعة اللبنانية التي تأسست عام 1958م بقرار من مجلس الوزراء آنذاك، وشكلت لجنة أطلق عليها المكتب الدائم، برئاسة فيليب تقلا وزير الخارجية وعضوية بيار الجميل ورفيق شاهين وفؤاد غصن وبيار إده وإسكندر سادة، وموريس الجميل وإميل عظيمي وعليا الصعيدي، وأوكلت الأمانة العامة أمير عون أحد موظفي وزارة الخارجية.

وفورًا، باشرت هذه اللجنة التحضير لمؤتمر اغترابي انعقد في 15 أيلول سنة 1960، في قصر الأونيسكو، برعاية الرئيس فؤاد شهاب، وحضور الوزراء والنواب وعدد كبير من المغتربين الذين قدموا من (36) ست وثلاثين دولة اغترابية.

وفي هذا المؤتمر، أقرت صيغة نظام الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم ثم توالت المؤتمرات الإقليمية للجامعة، فمن المكسيك في كانون الثاني سنة 1961 إلى مؤتمرين عقدا في وقت واحد في تشرين الأول سنة 1961م في الأرجنتين وبوسطن وفي شباط سنة 1963م عقد مؤتمر اللجنة القارية في فلوريدا، وفي تشرين الأول من السنة نفسها، عقد مؤتمر في ديترويت تبعه مؤتمر في المكسيك في تشرين الأول، وفي العام 1964م عقد اجتماع عالمي للجامعة في بيروت، وفي هذا المؤتمر أقر نظام الجامعة الأساسي، ووفقًا لهذا النظام حددت الجامعة لنفسها أهدافًا سعت إلى تحقيقها منها:

1 ـ تعزيز علاقات الصداقة بين أعضائها وبين شعوب البلدان التي يقيمون فيها، والإسهام في تطور هذه البلدان وتقدمها.

2 ـ توحيد الروابط بين أعضاء الرابطات التي تتألف منها الجامعة والبلدان التي يقيمون فيها وتوثيق هذه الروابط بين هذه البلدان وبين لبنان.

3 ـ تشجيع النشاطات والتبادلات الثقافية والاجتماعية والسياحية والاقتصادية ذات المنفعة المتبادلة.

4 ـ نشر التراث اللبناني في البلدان حيث يقيم أعضاؤها، ونشر تراث

مواقع الهجرة والانتشار اللبناني

1 ـ اللبنانيون في أستراليا:

أستراليا بلاد جاذبة للهجرة مغرية بالزيارة والإقامة، ويعود تاريخ الاغتراب اللبناني إلى العام 1870م، ومن أوائل المهاجرين إلى هناك، مسعود النشابى وميشال يزبك وحنا عبود وطانيوس بو خطار، وحتى مطلع القرن العشرين، لم يكن فد بلغ عدد المهاجرين إلى أستراليا ألف شخص، وأول جنسية منحت لمهاجر لبناني في ملبورن، كانت سنة 1900م وقد نشطت الهجرة إلى تلك القارة بعد الحرب العالمية الثانية، في فترة تمتد بين 1945 و1975م، أي: بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، حيث برز اللبنانيون كجالية مهمة، استطاع بعض أعضائها تبوأ مراكز مهمة.

وبعد أحداث 1975م والحرب الأهلية، كان التدفق من قبل اللبنانيين كبيرًا باتجاه أستراليا، ووفق الإحصائيات الرسمية بلغ تعداد المهاجرين إلى أستراليا نحو 300 ألف لبناني، معظمهم في مدينتي سدني وكان بيرا وملبورن.

والجالية اللبنانية لها وزنها في الحياة الوطنية الاسترالية، حيث أن أبناءها توزعوا في القطاعات المهنية والعلمية والمهنية علاوة على الأندية والأحزاب، كما لهذه الجالية أهمية كبيرة في الحياة الوطنية الاسترالية، وتمتاز بحفاظها على طابعها اللبناني وعاداتها وتقاليدها الخاصة، وتضم الجالية عددًا كبيرًا من شبابنا اللبناني الذين أتموا دراساتهم العالمية في جامعات أستراليا، وانخرط قسم في العمل هناك.

وعلى رغم بعد المسافة بين لبنان وأستراليا، فإن من أهم العوامل التي ساعدت

اللبنانيين على الاستمرار، هو الشعور بالاستقرار، الذي أرساه عامل التعاون بينهم، وإذا كانت الموجات الأولى من المهاجرين قد عملوا بالكشة كباعة متجولين، فإن الموجات التالية تميزت بالانتقال إلى العمل في المصانع والمتاجر.

2 ـ اللبنانيون في إفريقيا:

تعتبر القارة الإفريقية مؤئلاً لعدد كبير من المغتربين اللبنانيين، خاصة السنغال وسيراليون وليبيريا والغابون وساحل العاج والكونغو وغامبيا وغانا وسواها من الدول.

وتاريخ هجرة اللبناني إلى القارة الإفريقية قديمة، إذ تعود إلى مطالع القرن العشرين، وقد عمل بإخلاص وتفان، ولم تكن له عقلية المستعمر التي عانى منها الأفارقة كثيرًا، وما زالوا يداوون أنفسهم وبلادهم من جنونها وعتوها الشديد، وكان ذلك خلال فترات الاستعمار الفرنسي والإنكليزي والأميركي أيضًا، مع الإشارة إلى أن هذه الدول ما زالت حتى الوقت الحاضر تحشر بأنوفها في قضايا دول إفريقيا الداخلية وسياساتها الدولية وتحاول أن تنتج أنظمة على قياسها، كما حصل في السودان وليبيريا وساحل العاج، وتلك طبيعة الاستعمار، يظن أن الله سلطة على الشعوب، ويعتبر أن له الحق في التدخل في أية دولة يرى أنها ضرورية لمصلحته، لذلك فإن قسمًا كبيرًا من دول العالم يعاني من هذه الفاشية التي تجاوزت أعمال النازيين ومواقفهم.

من هنا، وبسبب معاملة اللبناني الجيدة، وتفانيه في خدمة البلد الذي يأويه، جعل له مكانة محترمة في قلوب الأفارقة حكامًا وشعوبًا، الذين يعلمون أن اللبناني أسهم مساهمة فعالة في إعمار إفريقيا وتطورها وتمدنها.

لقد أحب اللبناني إفريقيا وأدمن العيش فيها، وهي بادلته المحبة فأعطته كما أعطاها، ورغم ذلك فقد حصلت إشكالات كثيرة كان يدفع ثمنها اللبناني من ماله وتعبه وحياته أحيانًا كثيرة، يتلمس الخوف على المصير، مع السنوات الأولى لتجليات العولمة، من خلال الأحداث التي وقعت للبنانيين في أكثر من بلد إفريقي (سيراليون ـ ليبيريا - ساحل العاج - غينيا ونيجيريا)، وقد لعب الإعلام الغربي دوره المفتن والدنيء في الإساءة إلى الوجود اللبناني في إفريقيا حانقا من النجاح الذي أحرزه اللبناني في هجرته، علمًا أن اللبناني دخل إفريقيا بصورة إنسانية، فعاش مع أهلها كما يعيشون وتعرض لضنك العيش، لم يكن يعرف الراحة، ولا

يستكين لتعب، ولذلك أحبه أهل تلك الأرض وأحبهم هو كما ذكرنا آنفا، فعاش بينهم، وإذا صودف أن أساء أحدهم أو أخطأ، فهذا لا يعني أن كل اللبنانيين أخطأوا، فاللبناني في الاغتراب عرف بصورته الحضارية السلمية، وبقيت العلاقات جيدة بين اللبنانيين والأفارقة حكامًا وشعوبًا. والآن بعد عقود من العلاقات الطيبة والنهج العلمي والأخلاقي للمغتربين، نفاجأ بانقلاب هذا المشهد.

وما من شك، أن عوامل لعبت دور التخريب على هذه العلاقات الطيبة، منها الاستعمار الغربي والصهيونية.

3 ـ اللبنانيون في أميركا:

يقال إن القارة الأميركية هي أول ما وطئته أقدام اللبنانيين، فاكتشاف العالم الجديد فتح شهية المهاجرين إليه، بالإضافة إلى المعاناة المزدوجة التي كان يعانيها اللبنانيون، اقتصاديًا وسياسيًا ومعيشيًا جعلتهم يفكرون بالهجرة إلى تلك الأرض النائية، ويذكر أن أول من دق أبواب المهجر الأميركي الشمالي هو أنطون البشعلاني اللبناني، سنة 1854م، ونزل في مدينة نيويورك وبقي حتى مات فيها، ثم توالت الهجرات بسرعة بعد أحداث سنة 1860م، ويذكر جورج صيدح في كتابه أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية: «إن أقد أديب لبناني عرف خبر هجرته هو ميخائيل رستم والد الشاعر أسد رستم ثم الدكتور لويس صانجي الذي ترك قصيدة نظمها في نيويورك سنة 1872م في وصف - السنترال بارك - وقد نشرتها مجلة النحلة التي تصدر في لندن».

ثم نشطت الهجرة إلى أميركا بعد ثورة أحمد عرابي في مصر عام 1882م عندما أقلت البواخر البريطانية من لجأ إليها من اللبنانيين والسوريين المقيمين في مصر إلى موانئ فرنسا وإيطاليا، ثم تابعوا السفر إلى كندا وولايات أميركا الشمالية. ركبوا الأخطار، وجابوا كل الأقطار الأميركية حتى قال فيهم شكري الخوري في جريدة أبو الهول: لو كان للقمر طريق لكنت ترى لبنانيًا حاملاً "كشته" صاعدًا إليه وخلفه لبناني شك دواته في زناره لينشئ مدرسة أو جريدة في القمر.

وكان وصول المهاجرين اللبنانيين إلى أميركا الجنوبية بعد وصولهم إلى الشمال بعشرين عامًا ويذكر جورج صيدح في كتابه أن أقدم هجرة إلى البرازيل كانت سنة 1874 حين وصلها شقيقتان لبنانيتان من عائلة زخريا وتبعهما خمسون مهاجرًا آخرون في الأعوام العشرة التالية.

وعندما عقدت معاهدة المهاجرة بين الحكومة العثمانية وحكومة البرازيل تدفق عدد كبير من المهاجرين إلى البرازيل أثر زيارة قام بها الأمبراطور بطرس الثاني لفلسطين ولبنان.

ثم بدأت تصل قوافل المهاجرين تباعا إلى دول أمريكا الجنوبية في السنة 1882م إلى البيرو وكولومبيا وكان سانتياغو صوما أول مهاجر إلى المكسيك سنة 1882م، وفي العام 1884، وصل أول مهاجر لبناني إلى الأرجنتين اسمه ميخائيل ملحم السمعاني.

والحقيقة أن الأرجنتين فتحت ذراعيها للمهاجرين فنشطت المهاجرة إليها بغية استثمار أراضيها الزراعية.

كانت هذه الهجرة اللبنانية إلى الشمال الأميركي فألا حسنا عند اللبنانيين فأنشأوا جرائد مختلفة ولما يمض على وصولهم سنوات، مثل كوكب أميركا سنة 1888م في نيويورك لأولاد عربي وجريدة العصر لنعوم مكرزل 1894 أو الأيام ليوسف نعمان المعلوف 1897م، ثم الهدى لنعوم مكرزل أيضًا سنة 1898م، علاوة على خمس جرائد صدرت في البرازيل وهي الفيحاء والرقيب والبرازيل والمناظر والصواب[1] صيدح.

وصل المهاجرون العرب ومنهم اللبنانيون واختاروا الأحياء المهملة سكنًا لهم، متعاضدين متعاونين يعرضون على أرصفتها ما اعتادوا عليه في بلادهم من مأكولات شرقية وعروض للنرجيلة وطاولة النرد.

كانوا يتجمعون في شارع واشنطن بنيويورك، وفي الحي الصيني في بوسطن وفي مدينة سان باولو شارع 25 مايو، وفي ريودي جنيرو من شارع الفانديكا، وفي بونيس أيرس شارع ايكونكستا.

في هذه الأروقة والأماكن الصاخبة، في ظلال مناوشاتهم مع الإيرلنديين المعروفين بالبخل ومنازعاتهم مع جيرانهم في الأحياء، في هذه الأحياء ترعرع كما يقول (جورج صيدح) ترعرع أبو الأدب المهجري أمين الريحاني وعميده جبران خليل جبران وسائر أعضاء الرابطة القلمية علاوة على ذلك نشأت

(1) جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية، ص 21.
جهاد عقل: الهجرة الحديثة في لبنان، ص 160 - 168، (1860 - 2000).

الجمعيات التي كانت ترعى مصالح العرب، فتأسست في نيويورك الجمعية السورية سنة 1907م، ثم تكاثرت الجمعيات وكانت صدى لما يحصل في بلاد الشرق، فقامت فروع لها سُميت باسم أبطال الثورة العربية، وأنشئ معهد الشؤون العربية الأميركية الذي كان يرعى مصالح الدول العربية ويتابع النشرات والمحاضرات والإذاعات.

الأسباب التي دفعت اللبنانيين إلى الهجرة

أسباب الهجرة الجديدة:

لم يترك اللبناني وطنه بمحض إرادته، إنما كان مكرهًا في معظم الأحوال على اتخاذ هذا القرار، لعدة أسباب قاهرة دفعته لتفضيل الهجرة مؤقتًا على تحمل ما يعانيه الوطن وما يعتريه من هزال ومشاق وصعاب، وأول هذه الأسباب الفقر والبطالة والحروب المحلية (1975 وما تلاها) والإعتداءات الصهيونية المتكررة، الخوف من المستقبل في ظل الحاضر المشتت والمريب، والوضع الاقتصادي المهترئ، الرازح تحت وطأة المحاسيب والملتزمين والمتنفعين.

ولعل الحرب الأهلية اللبنانية والاعتداءات الصهيونية وكان آخرها عدوان 2006م، كانت من أبرز الأسباب التي دعت إلى الهجرة، وسرعت من وتيرتها بشكل فاق التصور، حتى أن لبنان - حسب التقديرات الإحصائية - فقد ثلث سكانه، حيث تركوا وطنهم هربًا من الحرب الأهلية التي كانت وصمة عار في جبين لبنان المعاصر، علاوة على مجمل الأوضاع اللبنانية التي لم تعرف الاستقرار الكامل منذ أكثر من أربعين عامًا، وقد أثرت الحروب المتواصلة على سلامة الوضع المعيشي، فأصاب الفقر والحاجة شريحة كبيرة من اللبنانيين، علاوة على البطالة التي تفشت، وضآلة فرص العمل واستنسابية التوظيف التي أصبحت بشكل كبير محصورة بالمراجع السياسية، كل هذا ساعد على ارتفاع منسوب الهجرة، خاصة في فئة الشباب والرجال، والمتعلمين الذين آثر قسم كبير منهم متابعة تخصصه في جامعات العالم، معتمدين على المنح المقدمة من الجامعات أو من بعض الأثرياء، أو الجمعيات أو الدول الأجنبية نفسها، واللافت أن كثيرًا من هؤلاء الشبات الذين أنهوا تخصصهم فضلوا البقاء حيث هم، مؤثرين العمل في مجالات تخصصهم إن حصلت، وإلا لم يخجلوا من العمل في التجارة أو على

محطات الوقود وفي المزارع والمصانع، أم موظفين في شركات خاصة، ومؤسسات صناعية وطبية وزراعية.

وقد أتقن اللبنانيون في مهاجرهم فن التجارة والعمل اليدوي ومهنة البناء العمارة التي ورثوها عن أسلافهم المهاجرين الأولين في معظم دول العالم، وقد جمع منهم ثروات طائلة أسهمت في إعمار لبنان وبعث الحيوية والحراك في حياته المجتمعية.

إن وطننا مدين لهؤلاء المهاجرين الذين تحدوا ويتحدون الحر والصقيع، ويقاسون ألوان العذاب في العمل، مدين لهم بإنقاذه أيام الشدة بتقديم قسط وافر مما ينتجونه لنجدة الأوضاع المعيشية لمئات الألوف من عوائلنا المتوسطة والفقيرة.

كذلك شاعت في هذا العصر - وقبله كذلك ـ هجرة الأدمغة، حيث دلت الإحصاءات الأخيرة على أن أكثر من ثلث المتخرجين المتفوقين المبدعين في الطب والذرة والهندسة والعلوم قد هاجروا إلى مختلف دول العالم، خاصة أميركا وكندا وأستراليا وأوروبا، وأن لبنان يخسر من طاقاته الشابة عددًا كبيرًا مما يمكن أن يؤثر على تطوره وتقدمه المادي والمعنوي.

والمهاجر اللبناني في الماضي والحاضر إنسان مغامر، يهوي الصعاب، فهو يقتحم الأهوال اقتحاما بغية تحقيق أحلامه، ورغم أن كثيرًا ممن لم يحالفهم الحظ وظلوا فقراء لا يكسبون إلا علة معيشتهم، آلوا على أنفسهم ألا يعودوا منهزمين خاليي الوفاض بعد عمر قضوه في الغربة حالمين بجنى لم يوفقوا في توفيره.

لا أدري متى تضع الهجرات أوزارها في عالمنا العربي عامة ولبنان خاصة، فالهجرة في وطننا وصلت إلى حد لا يطاق، يقف شبابنا صفوفا متراصة على أبواب السفارات - الغربية خاصة - منذ ما قبل فجر كل يوم طلبا لأذونات الهجرة، هربًا من أتون البطالة والفقر والضياع والغلاء المستشري والفقر المدقع، دون أن يكون هناك ضوابط وحلول لهذه المشكلة المستعصية، لقد قاربت أعدادنا في المهاجر أربعة أضعافها في الوطن، نؤسس ونخترع ونبني الناطحات والمصانع ونبدع الاختراعات والاكتشافات في بلاد الغرب، وبلادنا تعوزها الإمكانات لتوفير متطلبات العيش الكريم، مع شبه انعدام فرص استعادة هؤلاء المهاجرين أو قسم منهم عبر توفير وسائل العمل عبر بناء المزارع والمصانع والمؤسسات وسواها.

إن عالمنا العربي - خاصة النفطي - يضيع فرص بناء نفسه في شتى الميادين - من خلال تشتيت إمكاناته المادية الهائلة في ما لا طائل منه ولا فائدة حقيقية، إننا اتكاليين، نشتري دون أن نصنع، دون أن نؤسس حضارة اختراعية إبداعية.

في الماضي المهجري الأول، قال الشاعر قيصر الخوري (المدني) وكان نزيل البرازيل:

يا برازيل لودعتني بلادي ... يوم لا عذر لي سوى أن أسافر
لست أدري وقد بذرت شبابي ... فيك هل عائد أنا أم مهاجر

هكذا يصبح المهجر وطنا جديدا يعز على الشاعر فراقه.

صحيح أن كثيرًا من أبنائنا المهاجرين وصلوا إلى قمم المسؤوليات في أماكن اغترابهم، وأنهم لو كانوا في بلادهم لما تسنى لهم الوصول إلى أدنى ما هم فيه هناك بسبب سياسات بلادنا القائمة على المحسوبيات والعائليات وتقاسم النفوذ، ثم إن رجال الأعمال والتجار وحتى أصحاب المهن المحدودة قد أسسوا أعمالهم ورسموا طريقهم، لذلك فإن الدعوات إلى استعادتهم تبدو عقيمة، ولن تجد عند المغتربين قبولاً جماعيًا، حتى أن الوطن يحسب أن هذا الكم الكبير من المغتربين إذا عاد سيصبح عالة عليه، فإذا كانت لا تفي خدمات الوطن الحاضرين، فكيف ستوفر لأضعافهم حقوق المواطنة والعمل والإنتاج، واليوم رغم إنشاء مديرية للمغتربين، تقوم مشكورة بإمكاناتها المحدودة بمواكبة أوضاع المغتربين والالتفات إلى مصالحهم ومحاولة معالجة مشاكلهم وهواجسهم، ليس للعمل على توفير عودتهم، لأنها تعلم أن هذا متعلق بحرية كل فرد منهم، وإن إعادتهم يجب أن يسبقها ترتيبات وإنجازات من العسير بل من المستحيل توفيرها، لذلك يبقى عملها ضمن الإطار الذي أشرت إليه متعاونة مع الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم بفروعها في القارات الخمس، ورغم أهمية هذه الجامعة القصوى وجهود رؤوسائها الذين تعاقبوا عليها والمسؤولين فيها، فإن الخلافات التي تنشأ من آن لآخر بين أعضائها تثبط من همتها على العمل وتعرقل مشاريعها الاغترابية والمحلية.

وهذا ندرة حداد الشاعر المهجري اللبناني يعبر عن واقع الهجرة الصعب الذي عاشوه حيث يقول في أبيات معبرة تختصر صفحات، إذ ذهب شابا ينتظر البحبوحة دون جدوى فانفجر في شيخوخته قائلاً:

وقــفــت مــطــايــانــا فــلــيــس بــهــا حــــاد ولــــيـــس بــنـــــافــــع زجـــر
لـــم يــبــق إلا الــشــعــر نــســكــبــه خــمــرًا إلــى أن يــنــتــهــي الــعــمــر
يــا ويــل أهــل الــشــعــر كــم شــبــعــوا جــوعًــا وكــم ســكــروا ولا خــمــر[1]

ويحضرني قريب من هذا قول الشاعرة المهجرية اللبنانية المعاصرة بسيمة فخري المتوفية سنة 2006م، والتي قضت حياتها في المهجر الإسترالي:

هـــل لـــيـــلـــنـــا إلا مـــهـــاد ونـــهـــارنـــا إلا دمـــوع
وفـــراشـــنـــا إلا قـــتـــاد أفـــهـــل يـــطـــيـــب لـــنـــا هـــجـــوع[2]

وإذا كانت الحرت اللبنانية والاعتداءات الصهيونية الغاشمة قد ساعدت كثيرًا على الهجرة والاغتراب، فإن الشعراء لم يقصروا في التعبير عن ذلك، كما يذكر الشاعر المهجري المعاصر حسيب الجوهري قائلاً:

ويــل الــجــمــاعــة يــســتــبــد بــهــا الــمــشــتــرون الــشــر والــبــاعــه
لــيــس الــتــشــتــت بــيــنــنــا قــدرًا كــانــوا وكــنــا نــحــن صــنــاعــه
الــيــــوم قــــد شــــقــــيــــت بــــه وحــمــلــت كــل الــعــمــر أوجــاعــه[3]

وجورج نقولا الحاج، يصرخ من مغتربه في أميركا، متألما لمرأى وطنه يتمزق بأيدي بنيه، فيبكيه بقصيدة عنوانها الجلجلة نظمها سنة 1981م.

أبكيك يا بلادي الحزينة
أبكيك يا يتيمة بلا حنان
لا جار، لا أصحاب، والزمان
يا حلوتي لو يقول الزمان
أبكيك يا بيروت يا حبيبة الإله
يا حبيبتي في موسم العذاب[4]

ويتمنى الشاعر اللبناني المهجري يوسف عبد الصمد (أميركا). أن ينتهي في وطنه نزف الدماء، وانكفاء حراب الحرب التي مزقت الوطن شيعًا شيعًا دون مستقبل وحياة، وهو مطمئن إلى أن خلاف أهل البيت سرعان ما سينتهي:

---

(1) د. خفاجي: قصة الأدب المهجري، ص 53.
(2) بسيمة فخري: ديوان شاعرة الجنوب، ص 41 و42.
(3) نخلة بدر: شعراء معاصرون، ص 139.
(4) نخلة بدر: شعراء عرب أميركيون، ص 153.

وطـنـي تـرابـك لا يـبـاع بـعـسـجـد   وخـلاف أهـل الـبـيـت لـيـس بـسـرمـد
تـركـت حـراب الـحـرب وجـهـك دامـيًا   وتـركـتـنـا شـيـعًـا تـعـيـش بـلا غـد
فـإلـى مـتـى سـنـعـيـش فـي أحـقـادنـا   ونـظـل نـغـرق فـي الـمـصـيـر الأسـود[1]

أما الفقر والجوع اللذان كان يعاني منهما مهاجرونا في البلاد النائية، يعبر عنهما الشاعر المهجري اللبناني في أميركا ألفرد سعد، بقصيدة دامعة عز عليه فيها ألا تجد الطفلة ما يسد رمقها، فتنادي أمها بقلب حزين:

أمـي بـمـعـجـنـنـا فـراغ لا طـحـيـن ولا رغـيـف
وأنـا أكـاد أذوب مـن جـزع ومـن جـوع مـخـيـف
أتـريـن مـا صـرت، فـجـسـمـي صـار مـمـصـوصًا يـئـن
مـن الـخـوى ومـن الـتـحـرق لـلـحـصـول عـلـى رغـيـف

الشاعر طوني شعشع

ولد الشاعر طوني شعشع في مدينة زحلة يوم 15 آذار سنة 1948م، أنجز علومه الابتدائية والثانوية في مدارسها، ثم ألتحق بكلية التربية في الجامعة اللبنانية، وحصل منها على الإجازة التعليمية في الفلسفة العام سنة 1972م، ثم على شهادة الكفاءة عام 1974م، وكان موضوع رسالته الجامعية «مفهوم الحرية عند جبران».

مارس تدريس مادة الفلسفة في ثانويات زحلة زهاء ثلاثة عشر عامًا، هاجر إثرها إلى الولايات المتحدة الأميركية وما زال يقيم فيها، يعمل محررًا في إحدى دور النشر الأميركية المعروفة في مدينة نيويورك.

أسهمت قراءاته الفلسفية والروافد الثقافية الشرقية والغربية التي نهل منها في تكوين شخصيته الفكرية ونتاجه الشعري.

شاعرية طوني شعشع:

نشر شعشع وينشر قصائده ونتاجه الشعري ومقالاته ودراساته الفكرية وترجماته في صحف لبنانية واعترابية، وهو مقل في الشعر، يصب اهتمامه على البعد الفكري فيه، مؤثرًا القلة مع الجودة على الكثرة مع الضعف والغثاثة.

له ديوان شعر واحد اسمه "رماد الأحلام".

للغزل حصة الأسد في شعره، علاوة على أغراض أخرى يصبغ بها نتاجه

(1) المصدر نفسه: ص 254.

الأدبي. ومن ذلك عينية جميلة يتغزل فيها بحبيبته متحدثًا عن جمالها وشوقه إليها ودهشته بمفاتنها الجميلة، فهي الربيع والشمس والكواكب والسماء:

ماذا هل انحسر الصقيع ... ونثرت ظلك يا ربيع
ماء وعندلة وظلاً ... ناعمًا وثرى يضوع
وكأنما الأشياء في ... الدنيا بها للنور جوع
هي والربيع ورعشة ... بيضاء ملمسها وجيع
بسماتها تصفيق أجنحة ... وتنتشر القلوع
ومساء عينيها ترصـ ... ـعه اللآلئ والشموع
لم أدر قبلهما وحقك ... ما الذهول وما الخشوع
عجبا لقلبي كيف تحـ ... ـضنه ولا تبلى الضلوع
تعيا الجبال بما انطوى ... فيه وتوهنها الصدوع
ويودُّ من فرط الحنين ... لو أنه الكون الوسيع
أنا لي سمائي يا سماء ... ومن كواكبها الدموع
والشمس من بعد الغرو ... ب لها على قلبي طلوع
ما بين أعطافي الغما ... ئم والنسائم والربوع
وكأنني الراعي أطو ... ف بها وأحلامي القطيع
أولستُ من هذا الوجود ... فكيف يخذلني الربيع[1]

القصيدة على مجزوء الكامل ورويها العين، ويغلب الوضوح على معانيها وأفكارها، مع صور جميلة وخيال رحب، وهو يستخدم أشياء الطبعة ليتحدث عن جمال حبيبته ويشبهها بكل ما خلق الله في الوجود من جمالات.

وفي بائية وجدانية عنوانها «هل تعرفني» يشيد بحبيبته داعيا إياها إلى المضي معه على أشرعة الغياب، في غربة يبتعدا فيها عن حضارة هرمه يستحيل كل شيء معها إلى خراب:

هل تعرفني حبيبتي ... والأرض سكرى بالتراب
أن السماء قريبة ... ويديك أجنحة الغياب
هرمت حضارتنا ونا ... ءت تحت أبراج الخراب
وغدًا يزنرها اللهيـ ... ـب وتستحيل إلى ضباب

(1) نخلة بدر: شعراء أميركيون، ص 228.

الشاعرة آمال نوار

ولدت الشاعرة اللبنانية المهجرية آمال نوار سنة 1963م، في الكويت، تخرجت من جامعة بيروت العربية سنة 1986م، بشهادة بكالوريوس في إدارة الأعمال والمحاسبة شغلت وظائف متفرقة في العديد من الشركات والبنوك والمؤسسات بين لبنان وكندا والولايات المتحدة.

مارست الكتابة في الصحافة الأدبية في جريدة النهار اللبنانية في أواخر الثمانينات وحتى أوائل التسعينيات.

هاجرت إلى كندا سنة 1992م، ثم إلى الولايات المتحدة الأميركية حيث تقيم منذ العام 1996م.

تعمل حاليًا على ترجمة بعض النصوص الشعرية من الشعر الأميركي المعاصر. صدرت لها سنة 2004م، مجموعة شعرية بعنوان (تاج على الحافة) عن دار الفارابي.

آمال نوار الشاعرة:

من وجدانيات الشاعرة المهجرية آمال نوار، قصيدة (أرتوي من حجر لأعذب) تعبر فيها عن مشاعرها وأحاسيسها ومعاناتها، في حياة تضج بالمتاعب حيث تسكن في بلاد الاغتراب بعيدة عن صباح الوطن:

نسكن أماكن لا تسكننا
نتنفس هواء لا ترفُّ له
ذكرى في يباسنا
نتأمل ضياءً لا
يبصر عتمتنا
أكتافنا لا تطلُّ على بحر
لكننا نمدُّ أيدينا
لتنكسر أمواجها على زجاج النوافذ
أصابعنا نسير مراكب الضجر
تهب الريح في خواء أيامنا
فيرجع ضجرنا من محاراتنا

صدفة بصدفة يصطك صدى الصمت

أغمض عيني لأستخرج ملحه من خيالي

فتعذب كلماتي

يروح فمي إلى وتر تجلد قلبه

يشرب يشرب حتى ساع قلب

جروح صوني إلى حجر

ويغرف من رغبة أعماقه

فأنا منذ زمن أيقنت

أن توقنا إلى غيمة

لا تمطر فينا غير طعم الجفاف[1]

تتحدث الشاعرة المهجرية آمال نوار في هذا النص الشعري، عن المتاعب التي تعانيها أمتنا، ففي تاريخنا أصداء ريح تهب على أيامنا ومراكب ضجر وبؤس نسيرها بأيدينا وعبثا، لا تجدي الأصوات، ولا ينفع التوق إلى غمام عاقر، لا ينفع

الشاعر يوسف فخر الدين

ولد في السلطانية سنة 1891م، وتوفي في الولايات المتحدة سنة 1940م. هاجر إلى الولايات المتحدة كغيره من المهاجرين كان فريدة في أخلاقه شهمًا كريمًا بزَّ أقرانه بمواقف الرجولة والشهامة والمثالية. وكان شعره قليلا ولكن بالرغم من قلته فقد جاء يحكي شهامة ومثالية وعزة نفسه. كان ذا خيال خصب وشاعرة مميزة، ولو قدِّر له وتعلم أساليب وقواعد اللغة العربية لكان له شأن مميز في تاريخ الأدب العاملي، أسس في المهجر جريدة اسماها الفردوس، كان يكتبها بخط يده ويوزعها على أصدقائه ومعارفه، لم يترك أي أثر مطبوع، وقد جمع له الأستاذ فخر الدين فخر الدين ما وصلت إليه يداه من قصائد ضمها في دفتي مخطوط موجود في مكتبته[2].

(1) د. لطفي حداد: الشعر المهجري العربي المعاصر، ج 3، ص 67 و68.

(2) د. حسن صالح: الصالونات الأدبية في تبنين، ص 380 - 407.

يوسف فخر الدين الشاعر:

مال الشاعر المهجري يوسف فخر الدين إلى شعر الرثاء والمطارحات، وفي ديوانه المخطوط قصائد كثيرة في رثاء من توفي من أصدقائه ومنها رثاؤه لابن تبنين حسين سلمان مقلد، ومما ورد فيها:

يا دهر بعد أبي سلمان لن تجدا ... من الأنام حمية لا ولا عضدا[1]
يا دهر جرت فكم أفنيت من فئة ... من الخلائق لم تحص لها عددا
يا دهر هل لك من وتر فتأخذه ... حتى أخذت عزيز القوم منفردا
كيف أقتحمت عليه وهو في ملأ ... من الشباب فلن تخشى إذا أحدا
سددت سهمك في قلب العلى سهمًا ... فجمرة الحزن لم تخمد إذًا أبدا
ما كنت أصعب أن الموت يرهبه ... وكان يرهب في سطواته الأسدا
قد كان في البأس يجلو كل معضلة ... وكان حرزا من الأعداء بل رصدا
وكان قطب رحى الأوطان يكلؤها ... فاليوم لا كائنا تلقى ولا عضدا
وكان بين بني الأبطال مشتهرًا ... فالكل منهم له في البأس قد شهدا
لو كنت يا حسن تفدى بأنفسنا ... جئناك يا حسن منا بألف ندا

ومن قصائده في المطارحات الشعرية، واحدة اشترك في نظمها مع الشاعر حسين قصفه موجهة إلى الشيخ الشاعر محمد علي بري، وقد ضمناها ألفاظًا محكية انكليزية زادها فكاهة ومتعة وجمالية، وهذه القصيدة موجودة في ديوان الشاعر يوسف والذي جمعه ابن أخيه السيد فخر الدين فخر الدين:

بالشعر دقت جرتي بالكوز ... وجرت مياه الغرب من حاووزي[2]
وتسربت ما بين كل حديقة ... فيحاء تسقي عودها المهزوز
ما بات يجري بالغا جريانها ... ورفيقها من فوق كل مفوز
حتى (بمشفن) قد تلاطم موجهًا ... كالبحر محتملا بفرط جروز(*)
فهوى بها ذاك المحمد سابحًا ... بالقعر يضرب رأسه والعيز
وينادي يا حسن الطويل فإنني ... قد ضاع رشدي يا أخي ورموزي
فأتاه صاحبه إليه قائلاً ... دع قولكم عني وكل ركوز
دع عنك تنظيم القريض وعد إلى ... وصل الحمير الغبر وانهز (إيزي)

---

(1) د. حسن صالح: الصالونات الأدبية في تبنين، ص 377. ديوان السيد حسين فخر الدين: ص 70.
(2) د. حسن صالح: الصالونات الأدبية في تبنين، ص 387 و384.

واقـنـع إذا جـاءت إلـيــك حــمــارة سـوداء مـفـحـمـة كـشـبـه الـزيـر
كـم جـحـشـة جـريـتـهـا مـن إذنـهـا وهـتـكـتـهـا فـي داخـل الـدهـلـيـز
لـلـه درك مـن خـطـيـب مـاهـر بـالـنـقـض والـتـعـريـض والـتـنـهـيـز

الشاعر عبد النبي بزي

ولد الشاعر المهجري اللبناني الحاج عبد النبي بزي، في بنت جبيل سنة 1945م، أمضى طفولته وفتوته وشبابه في مدينته المناضلة، وتلقى في مدارسها الرسمية تعليمه الابتدائي والمتوسط.

ألتحق بسلك قوى الأمن الداخلي، إلا أنه ما لبث بعد مدة ان استقال، وهاجر إلى كندا، وكان ذلك أوائل السبعينيات 1970م، من القرن الماضي، وما زال هناك حتى الآن.

حياته الشعرية: للشاعر ديوانان اثنان هما: فيض الولاء 2001م، وأم القرى بنت جبيل سنة 2001م.

وهو يلتزم في شعره ببحور الخليل ونظام التفعيلة من خلال ما نلاحظه من قصائد في ديوانيه، وقصائده الأخرى.

يتذكر الشاعر عبد النبي بزي وطنه في ليالي المعاناة والقهر، وينزف من هناك حيث هو في وندزور (كندا) دمعا ودماء، خوفا على أهله وجنوبه وبلاده بشكل عام خلال حمى القصف الإسرائيلي وللمعاناة الدامية من العدو الصهيوني، يقول الشاعر يزي في نص على التفعيلة (ضمن الشعر الحديث):

بلادي، في بلاد الأنبياء
والمرسلين.
ينشر الطاغوت بالإرهاب والرعب
جناحيه على المستضعفين
يستبيح الأرض والعرض وأرواح الأنام
يستبيح الدم في حقدٍ
وخبب وانتقام.
في بلادي، حيث يرسو العار من دهر
وتختال الرذيلة، في قصور الحاكمين

حيث ألقى الكفر رحله

حيث أرباب الخنى والمجرمون

يعبثون.. بحياة البائسين[1]

بمصير الناس بالدين وبالأخلاق

ليلا ونهارا يمكرون

سقطت أقنعة الزيف وبان

في وجوه الزعماء المالكين

يفتك الإرهاب بالأمن ويغتالُ السلام

ليس في قاموسه الوحشي ما يدُعى حرام

في بلادي، في بلاد الخير والنعماء حيث البؤساء

ينهلون الجهل والأسقام من نبع الشقاء

من كؤوس الأغنياء

يكرعون الخوف من كف الطواغيث اللئام

ويبيتون على الذل المهين، في بلادي في بيوت الكادحين

تولدُ الأجيال في جو من الرعب اللعين

ولها القهر غذاء، وعلى مائدة الطاغوت تنمو

ولها في الطبق اليومي إرهاب وغمٌّ

الشاعرة دنيا فياض طعان

ولدت الشاعرة اللبنانية المهجرية دنيا فياض في بلدة أنصار (محافظة النبطية)، تلقت دراساتها الأولية والثانوية في بلدتها أنصار وفن مدينة النبطية، ثم نالت من معهد الآداب الشرقية في الجامعة اليسوعية إجازة في اللغة العربية وآدابها سنة 1975م.

سافرت إلى فرنسا والتحقت بجامعة ليون الثانية (فرنسا) حيث نالت منها شاهدة الماجستير في الأدب العربي سنة 1977م.

(1) الجروز: الأكول - الشره.

ثم انتسبت فيما بعد إلى جامعة نيس في فرنسا ونالت شهادة دكتوراه في العلوم الاثنية والاجتماعية سنة 1986م.

كانت في تلك الفترة تقيم في مغتربها في ساحل العاج[1].

نتاجها الأدبي والشعري:

للشاعرة بالفرنسية:

1 ـ اللبنانيون في ساحل العاج بين الأمس واليوم وقد صدر سنة 1988م، عن دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة.

2 ـ دراسة مقارنة لمكانة المرأة العربية قبل الإسلام وبعده (مخطوط).

3 ـ دراسة مقارنة لشعر الخنساء وليلى الأخيلية (مخطوط). بالعربية - ديوانًا شعر مجامر الحنين عن دار الريحاني 1993م، ومياسم النوى سنة 999ام.

تجاذبت الأقدار صبية الدفلى

لوثت الأوحال قدمي الطفلة

تشكو الشاعرة ألم الرحيل وقسوة الابتعاد عن الوطن ومرابع الصبا والطفولة:

أيتها الراحلة في زمن القهر

لا تظني أنك كاسراب السنونو

المهاجرة

إلى فضاء بلادك

وجناتها يومًا عائدة

لهفي عليك يا لؤلؤة

لفظتها المحارة الجائرة

وهي مقتنعة أن هذا هو قدرها، أن ترحل وتهاجر إلى رحم المجهول، إلى المدن التي تغذي فيها الشوق إلى الماضي السعيد:

محالٌ إيابك إلى رحم المجهول

وبداية الدائرة

قدرك أن ترسفي أبدًا

(1) عبد النبي بزي: أم القرى (بنت جبيل)، دار الأمير، ص 151.

في أغلال الشوق الدامية
تُسامين سعير الذكريات اللاهيةْ
وتلاشي الأحلام المتداعيةْ
يضويك الفراق
وليالي الغربة الداجيةْ

الشاعرة إكرام قديح

ولدت الشاعرة المهجرية إكرام قديح مكي في مدينة النبطية سنة 1934.

أكملت دراستها الابتدائية في مدرسة الأميركان، من ثم في مدرسة الزهراء "المقاصد الخيرية".

وما لبثت ان هاجرت إلى إفريقيا مع عائلتها، إذ كان زوجها السيد محمد مكي من حبوش أحد رجال الأعمال في إفريقيا (السنغال)، وهناك في دكار أمضت ردحًا طويلاً من حياتها متنقلة في المهاجر بين فرنسا وبيروت والسنغال، حيث كانت تتابع مسيرة الشعر العربي، وتشارك في أمسيات شعرية ولقاءات أدبية، وقد حصلت ثقافتها بدراستها العميقة والشاملة.

وهي اليوم شاعرة مهجرية متميزة، لها خمس مجموعات شعرية هي: لعينيك أكتب، على جرح غيمه ـ طيوف وراء الهدب ـ صليت كي لا تغيبي - حدائق المساء - أحيت الشاعرة قديح أمسيات شعرية كثيرة في مختلف المحافظات اللبنانية، وفي فرنسا والسنغال، ونالت جائزة سعيد صباح لأفضل عمل شعري في العام 2008.

يمتاز شعر السيدة إكرام قديح بالرقة والعذوبة والعفوية، وقد تركت الهجرة أثرًا كبيرًا في رسم شخصيتها الشعرية، وقد شاركت وإياها مع ثلة من الأصدقاء الشعراء في مهرجانات المريد الشعرية في العراق في عامي 2000 و2001م.

كما أنها طرقت معظم أغراض الشعر، وإن كان يغلب على نتاجها اللون الغنائي؛ ومعظم قصائدها على بحور الخليل.

مرت الشاعرة خلال رحلاتها المهجرية بسويسرا ووقفت أمام بحيرة (ليمان) في جنيف، مستطلعة منظرها الرائع وانسيابها الفتان في أداء شاعري جميل فيه وضوح ورقة:

أبدع الله آية سندسية   خطُّها في ربى جنيف النديه
ريشة الخالق المجيد تجلت   فحبتها روائعًا أبديه

هــبــة مــنــه لــلــطــبــيــعــة فــاقــت ... فــي الــبــهــا كــل فــتــنــة عــلــويــه

فــاجــتــلاهــا بــحــيــرة ظــمــىء الــفــجــر ... فــراحــت تــذرو الــرحــيــق هــديــه

مــا ارتــعــاش الــرؤى عــلــى صــفــحــة ... الــمــاء ســوى نــفــحــة الــجــنــان نــقــيــه

تــلــهــم الــســحــر ضــفــتــاهــا فــهــذي ... روعــة ثــم تــلــك نــعــمــى شــذيــه

عــانــقــتــهــا جــوانــح الأفــق فــارتــا ... حــت عــلــى عــاتــق الــزمــان رخــيــه

جــارة الله فــي حــمــاهــا طــيــوفُ ... الــحــلــم تــنــداح كــالــظــلال بــهــيــه

والــربــى الــخــضــر زاهــيــات رواءً ... تــنــشــر الــحــســن فــي الــربــوع رضــيــه

شــأنــهــا، تــنــظــر الــبــحــيــرة تــمــتــد ... وقــد لــفــهــا وشــاح الــعــشــيــة

يــرقــص الــنــجــم حــالــمــا وهــو يــطــوي ... فــي ســمــاهــا مــعــالــمــا ســحــريــه

يــا لــصــوت الــوجــود يــنــســاب وحــيًــا ... كــمــلاك غــنــى بــروح عــلــيــه

يــســكــب الــعــطــر فــي الــنــســيــم لــيــهــمــي ... مــن جــفــون الــزهــور وهــي رويــه

وهــي نــغــنــي الــحــيــاة وجــدًا وشــوقًــا ... بــوحــهــا لــلــهــوى يــحــاكــي نــجــيــه

هــبــة مــنــه لــلــطــبــيــعــة فــاقــت ... فــي الــبــهــا كــل فــتــنــة وهــديــه[1]

هذه القصيدة على بحر الخفيف، وقد عبرت فيها الشاعرة عن إعجابها ودهشتها بهذه المنحة الإلهية الرائعة، فوصفت موقعها وانسياب مائها وشموخها واتساعها وانسكاب النجوم على صفحتها، وهي محاطة بربى ساحرة خضراء تنشر العطر والحسن والجمال.

وهذه الأوصاف وإن كانت بديهية واضحة، إلا أنها تحمل طاقة إحساس مرهف، وانفعال هاد، بالمرئي.. وتصاب وهي في المهجر (فرنسا) بغياب ابنتها (لينا)، فيترك موتها في قلب؟....

الشاعر عبد المنعم فحص 1905 ـ 1986م

ولد الشاعر المهجري عبد المنعم بن السيد موسى فحص في مدينة النبطية سنة 1905م، متحدرا من أسرة هاشمية تسكن بلدة جبشيت.

نظم منذ يفاعته الشعر الموزون المقفى، وعندما ضاقت به سبل الحياة في الوطن، هاجر إلى السنغال في العام 1926م، ثم انتقل إلى ساحل العاج، وما لبث أن يمم وجهته شطر المغرب، حيث حظي باهتمام خاص من البلاط الملكي

---

(1) دنيا فياض طعان - بحار الحنين - صفحة الغلاف الأخيرة.

المغربي نظرًا لانتسابه إلى الأشراف الهاشميين، فعمل في الإذاعة المغربية حتى وافته المنية في أول تموز سنة 1986، صدرت له في سنة 1967م، مجموعة شعرية وهي الوحيدة - عنوانها "لفح الهجير" حيث قدم لها الأديب الراحل الدكتور إبراهيم فران، وهى تحكي من عنوانها فصول حياته في المهجر، وقد احتوت هذه المجموعة على قصائد وطنية وقومية ووصفية، وأخرى تهكمية لاذعة وناعمة محببة كما ذكر مقدمها.

يمتاز شعر المهجري عبدالمنعم فحص بالوضوح والعفوية والسلاسة والفكاهة الماتعة، تدل على أنه أنيس المجالس وطريف الحضور، وسأذكر أولاً شواهد في هذا الميدان ذكرها في مجموعته آنفة الذكر.

نظم الشاعر أحد أيام سنة 1935م، وهو في دكار عاصمة السنغال هذه القصيدة الهجائية إثر شجار حصل بين صديقين، وهما أخوان، من أجل فطيرة واحدة[1].

قد كان يومك يا فطيره	سببًا لمعركة كبيرة
أدخلت في السجن العميق	وما سواك لنا جريرة
أرأيتم أخوين يقتتلان من	أجل الخميرة والفطيرة
كلٌّ يصول على أخيه	ولا يرى أحدًا نصيرة
هشمت هاشم أضلعي	بعصًا كصمصام المغيرة
فغدوت من ألم أئـ	ـنُ وأصبحت زندي كبيرة
قد تبتُ عن أكل الفطا	ئر إنها حقا خطيرة

وفي قصيدة أخرى نظمها سنة 1944م، في أبيدجان - ساحل العاج، وتدور حول صديق إشترى سيارة، وأخذه الزهو والكبر، وكان طنبرجيًا في لبنان، وهو ضخم الجسم، ملقب بالغزال:

صلِ لربك يا غزال وكبر	فلقد نجوت من العذاب الأكبر
وملكت في (إفريقيا) سيارةً	فارتاح ظهرك من عريش الطنبر
سيارة كم صفروا لمرورها	لكأنها بابور طحن مضجر
وإذا علا منها الدخان تقول: قد	شبَّ الحريق بمخزن أو متجر
نادى ليبدلها ببيض دجاجةٍ	أعيا النداء (ولم يجدْ من مشتري)[2]

(1) إكرام قديح: على جرح غيمة، ص 89 - 93، دار الحكايات - بيروت، ط 1، 2003.

(2) عبد المنعم فحص: لفح الهجير، ص 69 و70.

وعندما كان في (دلوا - ساحل العاج) سنة 1940م، أثناء الحرب العالمية الثانية، نظم قصيدة سينيه في أفراد يستمعون إلى الراديو ولا يفهمون الحوادث، فيسأل بعضهم الآخر، وهو مدع الفهم أكثر من الجميع، فينقل الأخبار ويحورها، فتأتي بالعكس، ويشتد الجدل، فيسمع الناظم ما يضحك الثكلى، ومما جاء في القصيدة:

إلهي قد جنيت على التيوس ... وقد علمتهم عد الفلوس

فعافوا الماء من جرن طويل ... وقد شربوا المدام من الكؤوس

إذا أثرى امرؤ منهم جهولٌ ... يلقب بالزعيم وبالرئيس

وقبلا كان معازًا حقيرًا ... يعدُّ الأربُعا بسعد الخميس

الشاعر شكر الله الجر 1905 - 1975م

شاعر مهجري معروف، ولد سنة 1905م، في قرية فتوح كسروان بلبنان، وتلقى دراسته الابتدائية في مدينة جبيل، وفي سنة 1911م، ألتحق بمدرسة الحكمة في بيروت، وهاجر سنة 1919م، إلى البرازيل متخذا التجارة مهنة له، مال إلى الصحافة، فأنشأ مجلة الأندلس الجديدة، ثم الزنابق، وأصدر كتابًا عن جبران سماه نبي أورفليس، وكتابا هاما في النقد اسمه المنقار الأحمر، وديوانين هما: الروافد وزنابق الفجر سنة 1945م، كان من أوائل من فكروا بإنشاء العصبة الأندلسية وقد انتقل من ريو دي جانيرو إلى سان باولو لتحقيق فكرته فوجد لدى ميشال معلوف استجابة لها، كان يأمل أن تدر عليه نتاجاته الشعرية والأدبية ما يسمح له بالاستمرار، إلا أنه لم يجن سوى المتاعب، فأغلقت مجلته بسبب الحرب العالمية الثانية فعاد إلى التجارة وانشأ مصنعا للقمصان يرتزق منه ما يكفيه ليصون كرامته توفي سنة 1975م.

كان شكر الله الجر من دعاة التجديد، وقد تأثر كثيرًا بأدب جبران.

تميز شعره بموسيقى الألفاظ وجمال الصور وحرارة العبارات.

أثر الاغتراب في نفس الشاعر وآلمه جور الحياة وانحدار القيم والأخلاق كما يقول في أبيات له:

جلَّ من قدر السعادة للناس ... ومن قدَّر الشقاء علينا

قد قضينا الأعمار نبري من الأقلام ... أعناقها إلى أن برينا

فإذا سربنا المزقزق يفنى ... ريشة ريشة ولونا فلونا[1]

---

(1) عبد المنعم فحص: لفح الهجير، ص 73 و74

ومن سان باولو في البرازيل أبدع أروع ألحانه وحنينه إلى وطنه لبنان، إنها الوطنية الصارخة:

إن لـبـنـان عـنـدنـا جـبـل الإلـهـام — والـشـعـر حـيـث كـنـا وكـانـا
حـلـم سـابـح عـلـى شـفـق الـنـفـس — وفـجـر يـشـع خـلـف دجـانـا
نـحـن فـي الـبـعـد مـقـلـة تـرشـف — الـغـيـم عـلـى أفـقـه جـوى وحـنـانـا
وقـلـيـل أن نـبـذل الـعـمـر يـا — سـاقـي عـلـى قـطـر، تـبـلُّ ظـمـانـا

بهذه الصور الرائعة واللحن الخلاب يعبر الشاعر عن مكانة لبنان في قلبه. وتتأكد هذه المحبة لوطنه في أبيات أخرى تنم عن رهافة في الحس وافتخار بالنفس وبالوطن:

أنـا ابـن الأبـيـض الـزهـراء — والـشـاطـئ الـجـمـيـل
أنـا ابـن الـحـرف والـمـجـداف — والـفـكـر الـصـقـيـل
أنـا ابـن الـسـنـديـان الـضـخـم — والـحـور الـنـحـيـل[1]

ويغرق شكر الله في غزل إباحي، عبر أداء رائع وصور خلابة وخيال واقعي لم يجنح فيه إلى الغموض:

أسـكـرتـنـي فـسـكـرت مـن — خـمـريـن لـحـظـك والـرضـاب
وطـبـعـتـهـا قـبـلا عـلـى — شـفـتـيـك تـضـطـرب اضـطـرابـي
قـبـل مـعـربـدة عـلـى — جـسـد تـكـهـرب مـن دعـابـي
جـسـدٌ لـه عـبـق الـورود — تـفـتـحـت لـنـدى الـسـحـاب
جـسـدٌ تـشـرَّب مـن دم — الـشـفـق الـمـضـرج بـالـعـنـاب
يـهـتـز بـيـن يـديَّ مـرتـعـش — الـتـشـهـي والـرغـاب
كـأس مـهـفـهـفـة شـربـنـاهـا — وعـبـنـا فـي الـشـراب
تـمـضـي ونـبـقـى أسـطـرًا — تـبـكـي وتـضـحـك فـي كـتـاب

الشاعر حسن عياد

الشاعر المهجري حسن عياد، ولد في طيرفلسيه سنة 1922م، وتلقى علومه الأولية على يد كتاب القرية.

---

(1) جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص 387.
(2) أدبنا وأدباؤنا: ص 389.

هاجر إلى السنغال منذ يفاعته سنة 1937م، اشترك مع شعراء المهجر السنغالي في تأليف رابطة إخوان الأدب العربي في إفريقيا، .

عاد إلى وطنه لبنان نهائيا سنة f1975، وسكن في بلدة زوجته في عين بعال.

له ديوان شعر مخطوط مقسم إلى عناوين منها: الشعر الوطني - الرثاء - الغزل - الشعر الحسيني الكربلائي - وصف الطبيعة.

حسن عياد الشاعر:

من أجمل القصائد التي تركها الشعراء المهجريون، هي قصائد الحنين إلى الوطن، واستعادة مرابع الطفولة والفتوة، وهذا الشاعر حسن عياد يتذكر وهو في المهجر الإفريقي أيام طفولته في وادي الطرف من بلدته طرفلسيه إحدى عرائس الجنوب اللبناني فيقول:

يـذكـرنـي الـزمـان لـحـي لـيـلـى ... بـوادي الـطـرف يـومـا كـنـت فـيـه

يـذكـرنـي الـفـراق عـلـى نـواه ... ويـسـرعـنـي الـحـنـيـن إلـى بـنـيـه

فـيـالـيـت الـزمـان يـعـود يـومًـا ... ويـرجـع ذو الإخـاء إلـى أخـيـه

ويـرجـع كـل مـشـتـاق غـريـبٍ ... إلـى مـحـبـوبـه وإلـى ذويـه[1]

وهكذا، ترك الشاعر حسن عياد بلدته طرفلسيه، ويمم شطر السنغال حيث نزل في دكار وبقي الماضي السعيد يحتل ذاكرته، وهو يتمنى لنفسه ولكل غريب عودة ميمونة إلى وطنه وأهله وذويه.

الشاعر محمد يوسف مقلد[2]

الشاعر المهجري محمد يوسف مقلد، ولدفي تبنين سنة 1912م، وتوفي ودفن فيها سنة 1965م، تلقى علومه الابتدائية في مدرسة تبنين ثم انتقل منها إلى بيروت حيث تابع دراسته الثانوية، إلا أنه هاجر إلى إفريقيا سنة 1937م، وبقي فيها أكثر من عشر سنوات، وأسس فيها رابطة أدبية مع غيره من الأدباء اللبنانيين أطلق عليها اسم (رابطة أخوان الأدب العربي في إفريقيا، وأصدر لها مجلة أسبوعية أطلق عليها اسم "أماني".

(1) د. حسن صالح، انطولوجيا الأدب العاملي، ج 2، ص 519.
(2) د. حسن صالح، انطولوجيا الأدب العاملي، ج 2، ص 637.

من آثاره المطبوعة: ديوان الأنسام - ديوان الحمامة السجينة - وشعراء من موريتانيا. موريتانيا الحديثة.

له من الكتب المخطوطة: زينب فواز - كتاب تاريخ ـ أمالي الأيام وهي مجموعة قصصية - نظرات في الأدب والنقد - مجموعة مقالات ـ خواطر أدبية.

محمد يوسف مقلد الشاعر:

يعتبر الشاعر المهجري محمد يوسف مقلد من أبرز شعراء المهجر الإفريقي في القرن العشرين، من خلال نتاجه ودوره المميز في حركة الشعر العربي في المهجر. كان من أبرز الشعراء الذين عرفتهم الصالونات الأدبية في تبنين والجنوب، وخاصة صالون دولة الرئيس نبيه بري الذي انتقل من جده الشيخ محمد إلى أبيه الشيخ مصطفى ثم إليه. وقد عمرت في صالونه هذا الجلسات الشعرية وأبرزت للوطن شعراء بارزين أمثال الشيخ إبراهيم بري محمد يوسف مقلد وشاعرات مشهورات أمثال زينب فواز.

وللشاعر محمد يوسف مقلد قصائد كثيرة يصف فيها بعض هذه المجالس ويتحدث عن ذكرياته في تبنين ومنها وصفه لسماور الشاي في منزل يوسف صالح:

بخار من فم القوري تعالى ... شممنا منه رائحة البخور
يدر الشاي للساقي طروبًا ... ويعزي الشيخ للضرع الدرور
له رأس يحرُّ على وطيس ... لدن يغلي واست في السعير
وسجع إذ يعربد أو يغني ... مقفى مثل تصعيد الزفير[1]

في مطالع هجرته إلى إفريقيا، أحس بالغربة تعصر فؤاده، فنزف قلبه بثلاثة أبيات:

بعد وشوق وآلام مبرحة ... ما طال في عهدها عمر المحبينا
ظلم وذكرى وتعذيب وموجده ... لم تتخذ بحشى عطفا ولا لينا
أب وأم ومحبوب تذكُّرهم ... يميتنا كل يوم ثم يحيينا

ويقول الشاعر مقلد ما نصه: «في المهجر. وعلى شاطئ البحر في دكار - البلاج - صوبت كاميرا عيني إلى المشهد التالي):

---

(1) د. حسن صالح: الصالونات الأدبية في تبنين، ص 58- 59.

تعرت للسباحة ليس يلقى	على لبات ذاك الجسم
كأن عرى القميص وقد نضته	سبائك من بخانقها ودر
مشت فوق الحصى للبحر قفزًا	كأن حصى شواطي البحر جمر
حسدت الموج وهي لديه سكرى	لها وله معا كر وفر
يداعبها ويلطمها رفيقًا	بها وعلى ترائبها يمرُّ
تعانق موجة فتغار أخرى	ولا خوف يخالجها وذعر
لها كالبحر وهي تعوم فيه	كما شاء الهوى مد وجزر
يكاد الموج يخطفها وينجو	بها فكأنه في اليمِّ صقر[1]

الشاعرة غادة نور الدين

ولدت الشاعرة المهجرية غادة نور الدين في بلدة كفر رمان (جنوب لبنان)، من محافظة النبطية، كتبت الشعر وانخرطت في الأعلام في سن مكبرة. هاجرت وطنها لبنان منذ صباها لأكثر من خمس وعشرين سنة في الولايات المتحدة الأميركية، فعاشت عاطفة الشوق والحنين.

كتبت في مجلة ألوان اللبنانية عبر صفحة ثابتة بعنوان على طبق (ألماس) ما 2003 و2010 م.

لها مشاركات من صحف ومجلات عديدة، وهي مقيمة الآن في الولايات المتحدة.

الأفق الشعري

للشاعرة المهجرية غادة نور الدين ثلاث مجموعات شعرية هي: "نافذة الغياب" دار نلسن 2007م، "وجهي بساط الريح" سنة 2009م، عن دار البنان، "زمن المسافات" في السنة 2010م دار البنان، وفي هذه المجموعات تضع الشاعرة سيرتها الشعرية وعواطفها ومشاعرها ومشاهدها بلغة طيعة جميلة وانسياب عذب، وهي شاعرة حديثة، بمعنى أنها تميل إلى الشعر الحديث ويتراوح أسلوبها بين الشعر المنثور وشعر التفعيلة، علما أنها كتبت معظم قصائدها في الغربة، حيث قضت ـ كما أشير ـ أكثر من خمسة وعشرين عامًا في المهجر، خاصة الأميركي.

في قصيدتها (كل الطيور عبرت) تشعر بمذاق الحنين والشوق يبعثان فيها حب

---

(1) المصدر نفسه: ص 96. 97.

العودة إلى الوطن، حيث الأرض والأهل، في قصيدة من الشعر المنثور نظمتها سنة 2008م، في تكساس:

كل الطيور عبرت المدن

والبحار والصحارى

وعادت إلى موطنها

وأنا ما زلت هنا

أحلَّق بين فضاء ويابسةٍ

أبحث عن وطني

الذي تاه في المدارات

وعن أتراب وأهل وَوُلد وزمنْ

سأتعلم من الطير كيف أعودْ

لأعود يوما إلى أرضٍ تفيض

بالبنفسج والأقحوان

حيث فراشات القلب تضيءُ

كلما عبر نسيم

وغرد بلبل أليف

وَسَجَدَ مؤمن خاشع

تفيض بالبنفسج والأقحوان

وأمطرت سحابة هاربةٌ من بلاد بعيدة

لحن وطني الأخضر

الذي يستوطن الذاكرة(1)

ترى. ما هو حلم هذه اللبنانية المقيمة في الولايات المتحدة الأميركية، يبدو أنها تريد البقاء حتى تحقيق حلمها الموعود، نقرأ حلمها هذا في قصيدة عنوانها (حلم شرقي) ولدت إرهاصاته في مدينة نيويورك سنة 2007م:

---

(1) غادة نور الدين، زمن المسافات - دار البنان - لبنان 2010، ص 9-11.

الشاعر إبراهيم فران

ولد الشاعر المهجري اللبناني إبراهيم حيدر فران في مدينة النبطية سنة 1338هـ الموافق 1920م، درس في بلدته ثم اكمل دراسته في مدينة بيروت، وعيّن معلمًا سنة 1941م، في مدرسة النبطية (أم المدارس) واستمر في التعليم فيها حتى عام 1954م، حيث هاجر إلى أبيدجان (ساحل العاج)، لمزاولة التجارة والأعمال الحرة، وحيث لم يوفق فيها، هاجر إلى الغابون سنة 1979م، وظل يكافح ويعمل حتى توفي سنة 1983م، ودفن في مدينة النبطية.

خلد الشاعر فران (أبو تمام)، ذكرا طيبا حيث استطاع بثقافته ووعيه ان يجمع شمل المهاجرين اللبنانيين وينظم حياتهم الاجتماعية دون ان تشغله هذه المهام عن المطالعة والقراءة ونظم الشعر، حتى ألف ديوانًا ما زال إلى اليوم مخطوطًا لم ير النور بعد. وقد جمع هذا الديوان معظم فنون الشعر، خاصة الوجدانية منها.

نماذج من أشعاره:

للشاعر المهجري إبراهيم فران قصيدة في مدح الإمام علي بن أبي طالب (ع) دالية بحرها الخفيف ومنها هذه الأبيات:

سالك البيد طر فديتك واحمل ... شوق قلبي لمن وراء البيد
وتحدث عن مدنف ليس تخبو ... في حشاه ونار المعنَّى العميد
صبحه حالك الحواشي كئيب ... ودجاه في الهم والتسهيد
لم يهيج كوامن الوجد فيه ... سحرُ طرف ولا التفاتة جيد
بل نفوس في نصرة الحق طارت ... وشهيد ألوى وراء شهيد
هتف الحق بالجنود فكانوا ... لحماه السامي أعز جنود
شهداء من شم شرَّع الله ... لهم في السماء أسمى البنود
رفعوا من دمائهم فوق هام ... الدهر تاج الفخار تاج الخلود
أخذ الناس من سناه منارًا ... هاديا في دجى الليالي السود
هم نجاة الشقي من شرك ... الغي وغوث الداعي ورشد الرشيد
كلما صنت حبهم في فؤادي ... خانني خاطري فباح قصيدي

يشيد الشاعر في هذه الأبيات بجنود الله والحقيقة آل البيت ومن سار على هديهم، الذين قدموا دماءهم لنصرة المظلوم دفاعًا عن الحق وكانوا أنوارًا وهاجة يهتدي بها الناس في الظلمات ومشاعل هدي إلى الإيمان الحقيقي.

ويتابع على الوزن نفسه ولكن بروي آخر مديحه للإمام علي (ع) فيقول:

لست مني يا قلبان كنت تسلو ... عن علي وذكره لست مني
تتغنى به الطيور فيهتز ... لمغناه كل روض أغن
ويدوي صداه في كل قصر ... هاشمي الهوى وفي كل ظعن
كيف لا يستبي فؤادي هواه ... وهو إن تهت يهدني ويضيِّن
حُبُّه للنفوس آية حُسْن ... تتباهى به على كل حُسْنِ
حُبُّه في الحياة رمز جهاد ... حُبُّه ثورة على كل غُبْنِ
وانعتاق من عالم ليس يرضى ... العيش فيه سوى الذليل القِنِّ
يا إمام الدنيا أتقبل مني ... دمعة تقرح الجفون وتضني
بعثتها ذكراك خير رسولٍ ... من فؤادي المعن الكئيب لعيني
هي زُلفى إلى رضاك ليوم ... ليس فيه غير الرضى منك تغني

بهذا الولاء الصادق والعاطفة الجياشة، يتحدث أبو تمام عن عظمة علي ودوره وجهاده، ثم يشير إلى مدى حبه له، واعتباره السير على خطى علي منجاة ومفخرة وفوز بالجنان وقد عبر الشاعر عن مشاعره كلها بوجدانية المؤمن المتضرع.

الشاعر حسن الشيخ عبد الأمير شرارة

ولد الشاعر المهجري حسن شرارة في بلدة بنت جبيل سنة 1937م، تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط في مدارس البلدة، ثم تابع الدراسة الثانوية في بيروت، مارس مهنة التدريس فترة من الزمن، ثم عين مديرًا لمدرسة مارون الراس قضاء بنت جبيل، وبقي فيها حتى عام 1962م.

هاجر إلى سيراليون حيث زاول فيها الأعمال التجارية وبقي فيها ما يزيد عن ثلاثين سنة حتى عام 1993م، وكان يقيم في بيروت أثناء احتلال إسرائيل لبنت جبيل. له مجموعة شعرية مخطوطة ومتنوعة، ولكنها فقدت في سيراليون، وبعد عودته إلى الوطن فاضت قريحته من جديد، فنظم مجموعة من القصائد في مختلف الأغراض[1].

نماذج من أشعاره:

للشاعر قصائد على وزن بحور الخليل، منها لامية تحكي عن الوهم والممكن وقد نظمت في 14/11/ 1999م.

(1) د. رامز حوراني: بنت جبيل الشاعرة، ص 257.

هـي الآل والـورد مـنـه الـمـحـال　　تـرى كـيـف يـروي لـصـاد غـلـيـلا
كـصـفـر ورقـم ولـم يـجـمـعـا　　كـصـد وود فـفـكـر قـلـيـلا
خـط وخـط وقـد ووزيـا　　فـهـل مـن تـلاقـي عـدمـت الـسـبـيـلا
إلا لا نـهـائـي تـمـضـي وتـمـضـي　　لـعـمـري عـمـرًا قـصـيـرًا طـويـلا
إذا مـا ركـبـت إلـى الـمـسـتـحـيـل　　فـمـا الـسـيـر يـجـديـك يـومًـا وصـولا
ومـهـمـا ظـمـئـت إلـى ريـقـه　　فـلـيـس الـمـدامـة تـجـدي فـتـيـلا
فـلـن تـخـرق الأرض مـهـمـا شـربـت　　ولـن تـبـلـغـن لـمـتـريـن طـولا

البسيط رويها التاء، والحقل المعجمي غنى بألفاظ الإيمان والصبر وقدرة الله عز وجل.

ويرد سعيد فياض على سائليه عن هويته، بأنها عربية، مستغرقة في العروبة، وقد جاء ذلك في همزية عنوانها (قالوا انتسب) بحرها الكامل ورويها الهمزة:

قـالـوا انـتـسـب، قـلـت الـعـروبـة أمـتـي　　ورحـابـهـا وطـنـي ثـرى وفـضـاء
الـلـه كـرمـهـا بـهـدي رسـولـه　　وكـتـابـه فـتـمـاسـك الإنـشـاءُ
هـي أمـتـي هـي مـوطـنـي هـي غـايـتـي　　مـهـمـا تـبـن أو تـقـرب الأجـزاءُ
بـردى جـمـال والـفـرات خـصـوبـة　　والـنـيـل يـمـنٌ والـسـلام حـراءُ
مـا الـمـغـرب الـعـربـي مـا عـدن ومـا　　الأردُنُّ مـا لـبـنـانـنـا الـوضـاءُ
إلا نـجـوم فـي مـفـارق مـوطـنـي　　الـقـدس فـيـهـا الـنـجـمـة الـغـراءُ
يـا قـومـي الـداجـيـن فـي لـيـل الأسـى　　طـال الـسُّـرى وتـتـالـت الأنـواءُ
عـودوا إلـى تـاريـخ عـز زاخـر　　يـوم انـتـمـت لـجـدودنـا الـعـلـيـاءُ
لـنـعـيـش فـي ظـل الـكـرامـة والإبـا　　غُـلـبًـا فـلا هـنـةٌ ولا اسـتـخـذاءُ
وطـنـي إلـيـك أعـود إن عـز الـحـمـى　　وإلـيـك يـصـبـو الـقـلـب والأهـواء
فـإلـى مـتـى تـغـريـك فـرقـة إخـوة　　وإلام تـسـتـشـري بـك الـدهـمـاء
ومـتـى تـعـود إلـى الـنـهـى فـيـقـودنـا　　الايـمـان حـيـث الـعـز والـنـعـمـاء[1]

هكذا يعتز الشاعر سعيد فياض بأمته العربية وبقوميته، التي كرمها الله بهدي الرسول وكتابه السماوي، أمته التي لا يميز فيها جزءًا عن جزء آخر، فالأمة العربية بنظره نجوم موحدة واحدة، القدس نجمتها الغراء.

(1) سعيد فياض: هتاف الوجدان، ص 425.

إلا أن هذا المذاق الوحدوي سرعان ما تلاشى، وغرق العرب في دياجير الفرقة والتمزق، لذلك يدعوهم الشاعر إلى العودة إلى الجذور، إلى اليوم الذي كانت الأمة في سماء العزة والوحدة والأمجاد، حتى يعيشوا في ظل الكرامة والإباء.

الشاعر سعيد فياض 1921 - 2001

ولد الشاعر المهجري سعيد فياض في بلدة أنصار (قضاء النبطية سنة 1921م، كان الصبى الأول في العائلة بعد خمس بنات، فلاقت ولادته فرحة عامرة للعائلة، والده إبراهيم افندي فياض، كان أحد وجهاء لبنان الجنوبي، لذلك عينته سلطات الانتداب الفرنسي مدير ناحية في ناحية مجلس المديرين الذي يهتم بأمور الأقضية ألتحق في مطلع طفولته بالكتاب في أنصار، ثم تخرج منه وقد جوَّد القرآن، وأظهر تفوقًا لافتًا في الخط، ثم تنقل بعد ذلك بين مدارس النبطية وحاصبيا

تبعا لمكان عمل والده، وما لبث أن دخل مدرسة الأخوة المريميين ثم مدرسة المقاصد في صيدا حيث حصل على الشهادة المتوسطة.

تفتحت موهبته الشعرية باكرًا منذ ان كان فتى سنة 1933م، ومال في مطلع شبابه ومراهقته إلى مطالعة الشعر والأدب، وعزف عن كل المغريات التي كان يمكن ان تقوده إلى الضياع.

انقطع سعيد فياض عن الدراسة وهو في سن الثامنة عشرة وعاد إلى بلدته أنصار ليتزوج إلحاحا من والده.

توفي والده سنة 1943م، فأصبح سعيد ولما يبلغ الثانية والعشرين مسؤولاً عن العائلة وعن المزرعة التي ورثها، لكنه وقع فريسة المرابين الذين كبلوه بالديون والربا الفاحش، إلى ان سلبوه نصيبه من المزرعة وتركوه مفلسًا.

هذه الظروف وما رافقها من تنكر الناس له، ضاعفت من آلامه النفسية وأحساسه بالغبن والمرارة، جعلته يفكر في التفتيش عن وظيفة ما، إلى ان نصحه أحد المقربين بالسفر إلى المملكة العربية السعودية، فغادر إليها وهناك تعاقد مع مجلة (الرياض) في جدة، ومنها انتقل للعمل في الإذاعة السعودية في مكة.

الشاعر نعمة قازان

الشاعر نعمة قازان، قال عنه الكاتب المهجري أسعد زيدان، قازان، الشاعر النابغة، والفيلسوف الحيران، ولعل الشاعر المهجري جورج صيدح لم يقدره حقه كثيرًا عندما تحدث عنه في كتابه (أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية).

ومن أقوال زيدان فيه: شاعر مهجري مرهف الحس الشعري، أفقي الإبداع، دقيق التأمل، سلس العبارة، يقظ الفؤاد، فيلسوف حائر في آفاق الروحانيات وأزقة الصوفية والزهد، ضائع بين عواصف الحب والمحبة، كتب الفلسفة شعرًا وديباجة سلسة، ونظم الشعر فلسفة نكهة كي يستطيعها العقل، وينشق أريجها، ويتسلى بعذوبة ألفاظها الرنانه، ومعنى روحانياتها.

ولد الشاعر قازان في قرية (جديتا الخضراء) المتكئة على الخاصرة الشرقية لجبل الكنيسة في إطلالة على سهل البقاع، وربي بين دوالي الكرمة وعناقيدها البلوريه، وفي ظلال وادي الصوان وأشجاره الوارفه، ولما أكمل دراسته في الكلية الوطنية الشويفات، سنة 1926م، هاجر إلى البرازيل سنة 1927م، وقطن ريو دي جانيرو أجمل مدن العالم قاطبة، يحتضنه جمال شاطئ "كوياكايانسا" الساحر بغانياته، وروعة جبلي "السكر والكور كوفادو" ذات المناظر الخلابة، فلا عجب إذن ان رأينا شعره شلالات من القوافي العذبة المنمقة، ترغي وتطوف موسيقى شعرية يغطيها زبد العاطفة الصافية، وتوحيها فكرة المحبة الصادقة.

نعمة قازان الشاعر:

تذكر الشاعر قازان وطنه وهو في مغتربه في البرازيل، فنفحه أبيات جميلة تنم عن وطنية صادقة وحب جارف لوطن شاءت الظروف ان تدفعه إلى الهجرة:

وطني أيا جبل النسور الشاردين عن الوطن

أعيش وزوجتي فيه كأني ... من العزاب وهي من العذارى

يقولون ارتحل عنه، ومن لي ... بملاك يقول دع الإجارا

ولا مال لدي ولا ثياب ... فما حالي إذا استأجرت دارا

والقصيدة على ما فيها من طرافة، فهي تصور واقع حال الشاعر المزري، وفقره المدقع، وغربته القاتلة، بعيدا عن الأهل والوطن، وهو يعدد الثغرات في هذا المنزل ليدل على معاناته وفقره وضياع أحلامه التي تعب من أجلها وفارق الوطن ليحققها، فإذا بها تتحطم على صخرة الواقع المزري.

وهذا حال كثير من الشعراء المهاجرين، وقد قص علينا الشاعر حالة منزله بأسلوب وصمي دقيق، ويتحدث في ميمية دامعة عن مشاعر ابنه ليلة العيد وهو صفر اليدين، ينظر إلى صغار الحي بحسرة وهم في غنم ويسر:

رأى بُني صغار الحي قد غنموا ... في ليلة العيد أشياء وما غنما

فـجـاء يـسـأل مـالاً لـسـتُ مـالـكـه ولـو أتـى طـالـبًـا روحـي لـمـا حـرمـا
وعـدتُـه وجـفـونـي حـشـوهـا أرقٌ وعـدا تـعـلَّـق فـي أجـفـانـه حـلـمـا
لـمـا رأت أمـه حـالـي وحـالـتـه مـالـتْ لـنـاحـيـة تـذري الـدمـوع دمـا

وانظر إلى هذه اللمحة الأبوية الصادقة، تمتلئ بالأسى والحنان، وهو يحار كيف يلبي حاجة ولده، فليس عنده إلا الوعد، بعد أن سأله مالا ليوم العيد شأنه شأن بقية الأطفال، لكنها الحقيقة الجارحة، تظهر على عين الأم وقلبها.

وينتقد حب الظواهر التي سادت في المجتمع وأساءت إليه، حيث أصبحت قيمة المرء مكانته بمقدار ما يلبس، حتى بات المرء لا يميز بين الصالح والطالح:

حـبُّ الـظـواهـر أعـمـى كـل بـاصـره فـقـيـمـة الـنـاس رهـن الـثـوب والـلـقـب
إذا تـسـاوى لـبـاس اثـنـيـن مـا قـدروا أن يـفـرقـوا بـيـن دجـال وبـيـن نـبـي

كل هذا بلغة بسيطة واضحة ونقد اجتماعي بناء.

مـا كـنـت أعـرف قـبـل هـجـرك مـا الـحـنـيـن ومـا الـشـجـن
هـا ابـنـك الـعـريـان تـلـبـسـه الـمـصـائـب والـمـحـن
لا يـعـرف الـوهـن الأبـيَّ ولـيـس يـعـرفـه الـوهـن
لـم يـرض بـالـدنـيـا ويـرضـى مـن تـرابـك بـالـكـفـن
مـا الـسـر فـي هـذا الـتـراب فـلا يـريـد بـه ثـمـن
فـكـأنـه مـن روحـه قـطـع يـفـتـتـهـا الـزمـن[1]

جميل هذا الحنين وهذا الوفاء، وهو صوت جميع المهاجرين الشعراء أمثاله في المهجر الأميركي، وهو صديق صيدح والياس فرحات والشاعر القروي وسواهم.

ومن جميل ما رأيت له، موقفه من الدنيا وقد قال عنها الإمام علي(ع) يا دنيا غري غيري:

أنـت يـا دنـيـا كـذئـب كـاسـر يـغـوي الـضـعـاف
وسـوسـي فـي صـدر غـيـري لـسـتُ مـن هـذي الـخـراف

وربما في وصف الدمعة لم يسبقه أحد، في جمال الصورة وخيال المعنى، وعذوبة الجرس:

لـمـحـتـك فـي خـيـالـي ألـف مـرة ومـا وقـعـت عـلـيـك الـعـيـن مـره
أأنـت مـن الـتـراب فـدتـك روحـي أم أنـت مـن الـسـمـاء لـمـعـت لـمـعـه

---

(1) أسعد زيدان: شعراء من المهجر البرازيلي، ص 5.

نشقتك في شعاع الشمس عطرا	وذقتك في كؤوس الوحي شعرا
وكم في هيكلي وأنا أصلي	رأيتك فوق عرش الله شمعه
لمحتك لست أذكر أين - أين؟	بربك هل هبطت عيون أمي

الشاعر رياض المعلوف 1912 - 1998م[1]

ولد الشاعر رياض عيسى اسكندر المعلوف في زحلة سنة 1912م، وهاجر إلى البرازيل سنة 1939م، ملتحقا بأشقائه، وهو شاعر مهجري متميز، مثل لبنان في مؤتمر الشعر الدولي الذي عقد في بلجيكا سنة 1952م، تميز بفلسفة الحزن والبكاء التي يمثلها ديوانه (الأوتار المتقطعة) وله خيالات وقد صدر سنة 1945 م، وزورق الغياب.

وله بالفرنسية أربعة دواوين، أولها غيوم (1943م)، وقد قرظه كبار النقاد، وكتب مقدمته الدكتور مونتي دي بيكا وهو من أكبر شعراء البرازيل، ثم ديوان حّبات رمالّ و"الفراشات البيضاء"، وقد ترجمهما الأستاذ صادلر من جامعة أوكسفورد، كما أن الأستاذ يوسف الغريب من جامعة قرطبة (الأرجنتين) ترجم ديوان غيوم إلى الإسبانية، وأخيرًا مسامير العاج وهو ديوان نثري، إصدار باريس 1948.

ولعلو شأن شاعرنا الكبير انتخبه نادي القلم الدولي في الريودي جانيرو عضوًا فيه، ولا شك أن هذا التقدير والاهتمام بنتاج رياض من أعلى المراجع الأجنبية يعزز مكانة الأدب العربي في بلاد الاغتراب، ويدل على مكانة الشاعر في الميادين الغربية، وسعة اطلاعه على آداب الغرب.

عاد شاعرنا إلى زحلة مسقط رأسه سنة 1947م، وأقام في الكوخ الأخضر، حيث كان ينثر خواطره وأحاسيسه الشعرية باللغة العربية وحدها، مستعيدًا ذكريات الصبا ومسارح الجمال في مدينة الجمال.

توفي سنة 1998م، في عروسة البقاع زحلة.

أمتاز شعره بالعذوبة والرقة والغنائية الجميلة والموسيقى الخلابة التي اقتطفها من خرير البردوني ونسيم وادي العرايش، وهو يهتم بالموضوعات البسيطة.

---

(1) أدبنا وأدباؤنا: ص 362، محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 714.

وواضح ما في النص من وضوح وصراحه وطرافة في آن معًا، والشاعر لا يتهرب من النكتة إذا سنحت له.

ويمتاز شعره بالعذوبة والإيقاع الموسيقي الماتع، هذا ما يلوح في هذه الأبيات الراقصة، التي تكشف عن وطنية صادقة:

كـم سـحـت فـي الـمـعـمـور مـا غـرنـي مـنـظـر
فـبـلـدي الـمـهـجـور وأرزي الأخـضـر
أحـلـى مـن الـقـصـور والـذهـب الأصـفـر
هـل يـا تـرى نـعـود إلـيـك يـا لـبـنـان[1]

واسمع هذا النشيد المعبر، لموضوع بسيط، لكن قدم من خلاله نصًا جماليًا ممتعًا في قصيدة (رقصة العصفور):

رقـصـت عـلـى غـصـنـك الأمـلـد فـكـادت تـطـيـر إلـيـك يـدي
تـزقـزق ثـم تـمـيـل ابـتـهـاجًا وتـجـفـل مـن ظـلـك الأسـود
وتـهـوي لـتـنـقـد حـبـة قـمـح بـمـنـقـارك الـراقـص الـمـنـشـد
حـالا تـطـيـر وتـخـفـى رويـدًا رويـدًا فـلـلَّـه مـن مـشـهـد
بـلـغـت الـسـحـاب بـلـمـحـة طرف كـسـهـم تـعـالـى إلـى الـفـرقـد
فـلـيـت جـنـاحـك كـان جـنـاحـي وطـرت إلـى جـوك الأبـعـد
ذهـبـت ولـكـن غـصـنـك يـبـقـى مـشـوقًـا إلـى الـمـلـتـقـى فـي الـغـد
وإن لـم تـجـدْ حـبـة هـاهـنـا تـعـال وحـبـة عـيـنـي انـقـد[2]

القصيدة جميلة، وهذا التناغم بين الشاعر وبين العصفور، والمخاطبة.

الشاعر يوسف المسمار[3]

ولد الشاعر المهجري يوسف المسمار في مدينة الهرمل سنة 1943م، اضطر في أوائل الستينيات إلى الهجرة، فغادر الوطن إلى البرازيل بسبب ملاحقة السلطات اللبنانية له لنشاطه الكبير في أوساط الطلبة، وخاصة في الشأن الإعلامي حيث تولى مسؤوليات عدة.

(1) جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا: ص 363- 364، ط 4، 1970.
(2) رياض المعلوف: زورق الغياب، المكتبة العصرية، صيدا، ص 73 و74.
(3) موقع الشاعر يوسف المسمار: على الإنترنت (فايسبوك).

كان للشاعر نشاط كبير في البرازيل، فشارك في تأسيس جمعية الدراسات العربية البرازيلية في كوريتيا (البرازيل)، وفي الاجتماع التأسيسي لاتحاد الجمعيات العربية الأميركية (فياراب) في البرازيل سان باولو.

كان عضوًا في عصبة الأدب العربي المهجري في البرازيل، ومديرًا لإعلامها، كما أشرف على الصفحة الأدبية للعصبة في جريدة الأنباء التي كانت تصدر في سان باولو، لصاحبها الصحفي والمؤرخ والروائي نواف حردان.

وتولى أيضًا تحرير جريدة الأنباء في سان باولو من العام 1976 وحتى سنة 1979م.

يوسف المسمار الشاعر:

للشاعر يوسف المسمار كتب نثرية وشعرية أصدرها في البرازيل منها:

في الشعر: لهب النهضة - قصائد للنهضة - قصائد مضيئة.

وله أوراق حياة وهي مجموعة مقالات، وقاموس برتغالي عربي، وقاموس عربي برتغالي. كما أنه ترجم عدة مقالات لأنطون سعادة إلى اللغة البرتغالية، وهو في الوقت نفسه محاضر باللغتين العربية والبرتغالية.

من قصائده ميمية بحرها البسيط، دار معظمها حول الشعر وأهميته ودوره، بالإضافة إلى بعض الحكم والمواعظ الشعرية إن صحت التسمية يقول من القصيدة:

الشعر لحن يغذي الروح بالنغم	وحكمة الشعر أن نسعى إلى القمم
وقمة السعي ان تزداد همتنا	ليصبح السعي فوارًا من الهمم
إن أخفق الشعر في تثوير همتنا	لا الشعر شعر ولا نفيع من الكلم
يا حاسب الشعر أوزانًا منسقة	ما أبعد الشعر عن تركيبة النظم
فالشعر يا صاح لا الأبعاد تدركه	أبعاده الضوء يُحيي كلَّ منعدم
وأحكم الشعر شعر حافل أبدًا	بالفكر والنور والإبداع والقيم
فينعش الناس كي يحيوا بعزتهم	ويطلق العزم في الأرواح والشيم
في عالم الشعر كل الناس عائلة	لا خوف فيها ولا تحيا على الظلم
مَنْ نهجُه الخوف روح الشعر ترفضه	أو شرعة الظلم غير النفس لم يلم
لكن من سار في عتم نهايته	لا شيء لا شيء إلا تافه الحلم
حالان في الشعر، حال كلها أمل	وحالة اليأس لم تجلب سوى السقم

الشعر بالعقل نور ساطع أبدًا والشعر بالحمق أطباق من الصمم
فشعر بغداد جرح القدس نكهتُه إلا على العز والتحرير لم ينم
وشعر بيروت أبطال بهم رُفِعتْ مدارج المجد واجتازت مدى اللُّجم
الشعر مشعال أرواح به انبثقت بدائع الخلق من غيب ومن عدم
روائع الشعر للأجيال باقية موجًا من النور والإلهام والجمم
هذا هو الشعر في مفهوم نهضتنا تألُّقُ الذات بعث الروح في الرمم
يعمر الأرض والإنسان يطلقه ويزرع الكون آفاقا من القمم
هذا هو الشعر نبراس حقيقتهُ ان ينصر الحق والانصاف في الأُمم
هذا هو الشعر أشراق منارته من ذروة الآت حتى مطلع القدم
فلنرفع الشعر مصباحًا لأمتنا لنهدي الناس بالإبداع والعظم
شعر الرسالات نور الله مبعثُه إلا النهايات في الإبداع لم يَرُمِ

الشاعر نقولا معلوف

نقولا معلوف، شاعر مهجري مجيد ملهم، ولد في زحلة - لبنان بين 1910 و1912م، من والدين هما توفيق شبلي معلوف، وزمرد معلوف، فهو إذن نشأ في بيت ميسور ماديا وادبيا، يقول بحقه أسعد زيدان: "تجلت فيه تربية البيت اللبناني العريق بصفات الرجولة الحقة، نفس سمحه، ووجدان شريف وكف نظيف، ولسان صادق، جريء المواقف، كان يقول ما يؤمن بأنه حق ولا يبالى، يتحلى بالوعي الوطني، ولا يقيم وزنا للطائفية أو الإقليمية أو القبلية"، عروبي صميم ومن أبياته:

عرب قبل أن نكون نصارى قبل أن يغمر الورى الإسلام

أو قوله في قصيدة أخرى:

لبنان بيت قصيدتي والشام طابت بظلهما لنا الأيام
بلدان بينهما الطبيعة وحَّدت سيان وافق أم أبى الحكام

وطئت قدماه أرض البرازيل سنة 1955م، ودخل إلى صدر إيوان الأدب المهجري، فرع البرازيل، فكان كوكبًا لامعًا وهزارًا صداحًا، انشد أروع القصائد في الأندية المهجرية، حريص على قواعد اللغة، ومتانة الديباجه، وانتقاء الألفاظ، وتطعيم القوافي فنًا وجمالاً، حسبه أنه ابن العائلة المعلوفية التي أغنت خزانة الأدب بالإبداع الشعري والنثري والتاريخ وقواميس اللغة.
وهو كما ينعته أسعد زيدان في كتابه شعراء من المهجر البرازيلي: نقولا معلوف شاعر الحور والخمور، أما وطنيته فلا غبار عليها، بل هي في منتهى الإخلاص والوفاء أنه شاعر الوطنية الواعية:

لـو خـيـرونـي بـيـن تـبـر بـلادهـم | وبـيـن صـخـور فـي تـراب بـلادي
لَخَفَّتْ إليها قبل صرخة فرحتي | خطاي وفات الطائرات فؤادي
وفضلت أن أحيا فقيرة بموطنٍ | نداه شرابي المستحب وزادي
وفي حضن واديه الظليل مجالسي | وقيلولتي في مرجه ورقادي

لعل أفضل حسنة خلفتها الهجرة هي هذا الشعر الخلاب، فلولا الهجرة ربما لم يكن هذا الشعر بهذه القوة والعاطفة. كما ترى في حنينه إلى الأرز الخالد في ذرى الجبال العالية، والظلال الوارفة والربى المنبسطة أو رؤيته لجمالات وطنه، حنين تهيم به جوارحه وتتوق روحه إليه؛ جاء ذلك في أبيات رويها التاء وبحرها الكامل:

الله يشهد ما مررت بساحل | في غربتي أو منهل وقناني
أو ظل وارفة بمرجة روضة | أو ربوة فيها بساط نبات
أو شنفت أذني ذوات رخامه | أو شاهدت عيني ملاحة ذات
إلا وغصت بالحنين جوارحي | وتشوقت روحي إلى الأرزات[1]

ويتألم الشاعر من الفتن والاقتتال الذي في جسد الوطن وزعزع وحدة بينه، في ظل انقسام طائفي بغيض لم نجن منه إلا الويلات، وقد أبت وطنية الشاعر وعروبته إلا أن يعبر عن ألمه وحزنه واشمئزازه ممن لا يرعون للدين حرمة:

ليس العروبة للإسلام مئذنة | أو للنصارى نواقيس بها اختالوا
شقوا مآزرها بالدين وانتهكوا | أقداس حرمتها المثلى وما زالوا
عروبة دينها ما الضاد تشرعه | وشرعة الضاد لا دين ولا مال
الدين لله يسمو في معابده | والمال يحلو لمن جادوا ومن عالوا[2]

الشاعر قيصر سليم الخوري 1891-1977

ولد الشاعر قيصر سليم الخوري في بلدة البرباره (كسروان) سنة 1891م، وهو شقيق الشاعر القروي رشيد سليم الخوري، ولقب قيصر بالشاعر المدنية خريج مدرسة صيدا، هاجر إلى البرازيل بصحبة أخيه سنة 1913، وهناك أنصرف إلى العمل في محل تجاري في مدينة سان باولو، وكان يسكن مع زوجه وصغاره منزلاً تداعت أركانه وتفسخت جدرانه ولا يرضى عنه بديلاً، لأن مالكه (يوسف

(1) أسعد زيدان: شعراء من المهجر البرازيلي، ص 33 - 36.
(2) المصدر نفسه ص 37.

اليازجي) كان يمهله في دفع الإيجار، أو يتجاوز عنه، ويتحدث هو عن ذلك في قصيدته (الطلل المأهول)[1]:

ولـي بـيـت تـطـوف بـه الـعـوادي ... وتـنـشـر فـي جـوانـبـه الـدمـارا
أجـيـل الـطـرف فـيـه ولـسـت أدري ... أأحـذر مـنـه سـقـفـا أم جـدارا
أداريــه مــحــاذرة فــروحــي ... وروح بـنـي فـي كـف الـمـدارى
هـوى مـن سـقـفـه نـصـف ونـصـف ... تـمـسـك بـالـدعـائـم واسـتـجـارا
إذا مـا الـريـح هـبـت عـن يـمـيـن ... عـلـيـه زويـت أولادي يـسـارا
يـسـانـد بـعـضـه أكـتـاف بـعـض ... فـيـضـحـك مـن تـسـانـده الـسـكـارى
شـقـوق مـن تـطـلـع مـن بـعـيـد ... يـرى بـيـتًـا وأبـوابًـا كـثـارا
فـمـنـهـا مـا تـعـلـى أو تـدلـى ... ومـنـهـا مـا اسـتـطـال ومـا اسـتـدارا
فـمـا مـن مـوضـع لـلـسـر فـيـه ... كـأن الـشـر مـعـروض جـهـارا
نـوافـذ كـالـعـيـون بـلا جـفـون ... وقـد تـعـبـت مـن الـنـظـر ازورارا
أغـافـل إن نـضـوت بـه ثـيـابـي ... غـريـب قـد يـمـر بـنـا وجـارا

لائحة باسم شعراء المهجر

شعراء المهجر الاسترالي	الشعر اللبناني المهجري، الشعراء المعاصرون	الشعر اللبناني المهجري شعراء آخرون
إسحاق العشي	إبراهيم عبد علي بيضون	إميل أبو ملهم
أنطوان القزي	اسمهان بدير	جوزف خوري
بسيمة فخري	خليل عكاش	جوزف صايغ
شوقي مسلماني	رشيد معطي	جودت نور الدين
شربل بعيني	شربل داغر	جورج شحادة
نعيم خوري	عماد قاروط	صلاح ستيتيه
وجدي عبد الصمد	عيسى مخلوف	ماهر الخير
وديع سعادة	فينوي خوري ـ غاتا	
	ناديا تويني	
	نهاد سلامة	

(1) جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص 343.

شعراء مهجريون ذو اصول لبنانية	شعراء المهجر الإفريقي	شعراء المهجر العربي الافرو-آسيوي
أديل نجمة	إبراهيم حاوي	أكرم الحلبي
الماظ أبي نادر	إبراهيم فران	إميل باز
إيتل عدنان	أحمد محمد سعد	زينب فواز (كي لا تُنسى)
بن بناني	إكرام قديح	سعيد فياض
جوزف عوض	حسن عياد	علا بدر الدين الهزيم
جوانا قاضي	حسن عبد الأمير شرارة	عمر شبلي
جون عصفور	دنيا فياض طعان	فرج الله نمور
دافيد ويليامز	سامي عازار	فوزي أبو شقرا
حيان شرارة	عبد المنعم فحص	قيصر مصطفى
وسام حامض	علي حسين صالح بيضون (لكي لا ينسى)	محمد زينو شومان
لورانس جوزف	فهد إبراهيم	محمد محمود غبريس
فريغوري أورفلين	محمد علي درويش مكي	محمد عباس أبو شقرا
نيلدا شرارة	موسى الزين شرارة	مروان قاسم نجم الدين
وليد بيطار	محمد يوسف مقلد (لكي لا ينسى)	محمد رضا شرف الدين
ديما هلال	نجيب صعب	مي وجيه الأيوبي
يوجين نصار	نمر توفيق صباح	وائل حسين جشي

شعراء المهجر الأمريكي القسم الشمالي	شعراء المهجر الأمريكي القسم الجنوبي
جميل منصور حداد	الشاعر اكرم فواز
حسين قصفة	الشاعر الياس فرحات
حسين فخر الدين	الشاعر جورج رشوان
حسن فخر الدين	الشاعر حسن حمادة
عبد الله بري	الشاعر حكمت بري
محمد علي بري	الشاعر حبيب الجوهري
مخايل الراسي	الشاعر خليل محمد العقدة
يوسف فخر الدين	الشاعر رشيد سليم الخوري
يوسف بري	الشاعر رياض المعلوف
	الشاعر شفيق المعلوف
	الشاعر شفيق عبد الخالق
	الشاعر شكر الله الجر
	الشاعر فيليب لطفي الله
	الأب الشاعر فيليب الحاج صعيبي
	الشاعر فؤاد معروف الخشن
	الشاعر قيصر سليم الخوري
	الشاعر نعمة قازان
	الشاعر نقولا معلوف
	الشاعر يوسف المسمار

تجليات ظاهرة الاغتراب في الأدب النسوي اللبناني:

د. درية فرحات



- أستاذة محاضرة في الجامعة اللّبنانيّة / كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة الفرع الخامس ـ صيدا.
- أستاذة تعليم ثانوي في اللغة العربيّة وآدابها /ومرشدة في قسم الإرشاد والتّوجيه.
- عضو اتّحاد الكتّاب اللّبنانيين.
- نائب رئيس التحرير لمجلة المنافذ الثّقافيّة. ـ لبنان.
- عضو في الهيئة الإدارية في هيئة تكريم العطاء المميز (محافظة النبطية).
- عضو في ملتقى الأدب الوجيز.
- شاركت في مؤتمرات وندوات ثقافية داخل لبنان وخارجه.
- لها عدة مؤلفات منها:
- المجموعة القصصيّة "احكي يا شهرزاد". دار الأمير الطبعة الأولى 2019.
- كتاب بعنوان "مقاربات سرديّة تقنيات ومفاهيم"، درا المواسم، الطبعة الأولى 2018.
- كتاب بعنوان "التّمرّد في شعر الشّاعرات البحرينيّات" المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر ـ الطبعة الأولى 2014.
- كتاب بعنوان "طرق تدريس قواعد اللغة العربيّة ودورها في تنمية التحصيل اللغوي". منشورات رشاد برس- الطبعة الأولى 2014.
- كتاب بعنوان "الرغيف وطواحين بيروت نموذج لوطنيّة توفيق يوسف عواد". دار المواسم. الطبعة الأولى 2006

المقدمة:

يسعى الإنسان دائمًا إلى البحث عن حياةٍ أفضل، وينشد حياة جديدة، أو يحاول التّخلّص من واقع غير مرغوب، أو يهرب من واقع سياسيّ أليم، لذلك يختارُ مُعظمهم الهجرة إلى دولٍ وأماكنٍ جديدة تُساعدهم على تحسين مُستوى حياتهم وتغيير ظروف واقعهم، فينتشر في هذا العالم الواسع ويعيش حياة الاغتراب.

وتتعدّد أسباب الهجرة، وترتبط بعوامل عديدة منها: السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ والعلميّ. وقد يرتبط عامل الهجرة بالطبيعة البشريّة التي تبحث عن الجديد أو حبّ المغامرة والاكتشاف.

وقد تُشكّلُ الهجرة مجموعةً من الآثار على المهاجرين والدّول التي يتوجّهون لها، فتُؤثّرُ الهجرةُ على بعضِ الأفراد من خلال صعوبة تأقلُمِهم مع طبيعةِ الحياة في البلد الجديد، وخصوصًا مع ظهور الاختلافات الثقافيّة والاجتماعيّة، وكل ذلك يساعد في الانخراط بعالم جديد والوصول إلى ابداعات قد تكون علميّة أو أدبيّة، فكم من مهاجر تألّق وأبدع في بلاد الاغترب.

واللبنانيّ فرد من أفراد هذة الإنسانيّة، انتشر في ربوع الأرض مشرّقًا ومغرّبًا باحثًا عن الجديد، ساعيًّا إلى معيشة أفضل، وإذا تعدّدت أسباب الهجرة عند اللبنانيّ، فإنّ طموحه وسعيه إلى المغامرة يعدّ من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى هجرته، واندماجه في الغربة فبات مغتربًا في بلاد الله الواسعة، واللبنانيون هم الذين الذينَ حَمَلوا الحَرفَ إلى العالمِ، ودأبَ الذين هاجروا إلى أصقاعِ العالمِ على مصاحبةِ الكتابِ. فهو سرٌّ يلازمُهمْ. لهذا قال حافظ إبراهيم عنهم:

ما عـابَـهُـم أنّـهُـم فـي الأرضِ قـد نُثِرُوا　　فالـشُّـهـبُ مَـنثُـورَةٌ مُـذ كـانـت الـشُّـهُـبُ
ولَـمْ يَـضِـرْهُـمْ سُـرَاءَ فـي مَـنـاكِـبِـهـا　　فـكـلّ حَـيٍّ لـه فـي الـكَـوْنِ مُـضْـطَـرَبُ
رَادُوا الـمَـنـاهِـلَ في الـدُّنْـيا ولـو وَجَـدُوا　　إلـى الـمَـجَـرَّةِ رَكـبًـا صـاعِـدًا رَكِـبُـوا

والمرأة اللبنانيّة كانت صنوًّا للرّجل اللبنانيّ في اغترابه وترحاله، فكانت لها صولاتها وجولاتها في بلاد الاغتراب وأصقاع الأرض، التي سافرت إليها إمّا طوعًا وإما لظرف قاهر دفعها إلى ذلك وإمّا مرافقة لهجرة عائلتها. ولذلك فإنّ نتائج هذه الغربة انعكست عليها أيضًا فأبدعت في مجالات متعدّدة، ومنها المجال الأدبي. وإذا تصفّحنا الكتب[1] التي اهتمت بمسرد/ قوائم الكاتبات والشّاعرات اللبنانيّات اللواتي برزن في بلاد الاغتراب لوجدنا الكثير، منهنّ: الشّاعرات والرّوائيات والكاتبات.

ومن هنا فإنّ هذا البحث ينقّب عن المرأة المبدعة في الاغتراب، ويهدف إلى الكشف عن تجلّي ظاهرة الاغتراب في أدبها، والتي احتلت حيّزًا مهمًّا في النّصوص السرديّة لكاتبات لبنانيّات، وستبحث هذه الدّراسة في التجربة السرديّة النسويّة، وخصوصًا عن الأديبات اللبنانيات اللواتي عشن تجربة الغربة وعرفن معنى الاغتراب، بشكل مباشر أو غير مباشر. فكان لهنّ نتاج سرديّ، كتبنَه من خلال انعكاس تجربة الغربة عليهنّ، أو تحدثن عن آثار هذه التجربة في نتاجهنّ.

وتمّ اختيار هذه التجربة لأسباب عديدة، ومنها تصدّع الذّات وتجلّي الإحساس بالضّياع والمعاناة نتيجة الغربة والاغتراب. فالتجربة الإبداعية للكاتبات صادرة عن الوعي بتحوّلات لبنان في تاريخه المعاصر، والأزمات التي أصبح يتخبط فيها على مستوى الهوية، وانعكاساتها على طبقة المثقفين ومحاولاتهم البحث عن ذواتهم وعن الوطن الذي فقد هوّيته، فلم يكن لهم سبيل سوى الغربة والاغتراب واتّخاذ المنفى بديلاً في غياب بديل الواقع.

وقد اتّبعت في هذه الدّراسة المنهج التاريخي الذي يرصد المسار الزمني التّاريخي لكلّ تغيّراته، ويقترن معه اعتماد المنهج التحليلي القائم على تحليل

(1) نازك سابايارد، ونهى بيومي، الكاتبات اللبنانيّات ببيليوغرافيا 1850-1950، بيروت، دار الساقي، ط 1، 2000.

وطوني ضو، معجم القرن العشرين وجه لبنان الأبيض، زوق مصبح، لبنان، دار أبعاد للنّشر والتّوزيع، لا ط، لا ت.

المعطيات والمعلومات المختلفة، واستخلاص ما بها من فائدة، ويعدُّ المنهج التّحليليّ مناسبًا لدراسة المواضيع التي تتعلّق بدراسة الأدب وتحليله، "فلا شيء مستقلّ بذاته. كلُّ علامة تحمل آثارًا من علامات أخرى... والنّصّ المتشظّي هو نصّ غير مكتوب، إلاّ أنّه يفرض حضوره لأنّه محرّض على الكتابة"[1].

أوّلاً: السّرد النّسويّ:

علاقة المرأة بالأدب علاقة حميمة وعريقة، فهي تؤدّي دورًا مؤثّرًا فيه بوصفها قارئة أوملهمة أوناقدة للنّصّ، وقد تكون في داخل النّصّ، أو قد تكون المرأة منتجة هذا النّصّ كاتبة له. وتجاذبت المرأة المبدعة نظريات وآراء متباينة، ما بين وصفه بالأدب الملتزم، وأدب خارج عن الإجماع، أو قد يُتهم أنّه أدب خارج عن القيم الاجتماعيّة. وقد يتهمها بعضهم بأنّها لن تصل قمة الإبداع، بل يرون أنّ عدد النّساء العاملات في حقل الأدب قليل جدًا بالمقارنة بعدد الرّجال[2]، فالمرأة دخلت مجال العلم والتّعلّم متأخرة عن الرّجل، وانسجامًا مع موقع المرأة في المجتمع الشّرقي المتأخر نسبيًّا عن موقع الرّجل فإنّ إبداعها لم ينل حظّه من الاهتمام، فكان ومازال أقلّ شأنًا في تاريخ الأدب العربي، ولكن مع مرحلة بعث النهضة أدرك المتنورون أهمية دور المرأة في نهوض المجتمع، وهو ما استدعى تعليمها وأفسح لها إمكان المشاركة في النّشاطات الاجتماعيّة والثّقافيّة والنتاج الأدبيّ فالنّهضة النّسائيّة لم تبزغ إلاّ في أواخر القرن التّاسع عشر، في ذلك الحين أدركت المرأة المتعلّمة كما أدرك الرجل أنّ لها حقوقًا ضائعة وأنّه من الواجب أن نفتح لها أبواب التقدّم[3]. وقد سعت المرأة إلى رفع شأنها، وإلى التّحرير من القيود المفروضة عليها.

وعليه فقد أثار مصطلح الكتابة النّسويّة إشكالية على مستويي النّقد والإبداع، وأخذ يطرح أسئلة في حضورها وكينونتها على واقع المشهد الأدبيّ، وعلى ظهور المرأة كساردة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين، ولم تكن المرأة

(1) نبيل أيوب، النّقد النّصّي وتحليل الخطاب، نظريّات ومقاربات، مكتبة لبنان ناشرون، 2011م، ص 244.

(2) درية كمال فرحات، التّمرّد في شعر الشّاعرات البحرينيّات، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، ط 1، 2014، ص 17.

(3) أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، بيروت، دار العلم للملايين، ط 2، 1960، ص 252.

اللبنانيّة بعيدة من هذا النتاج السّردي، بل إنّ دورها كان فعّالاً في هذا المجال، وخصوصًا المغتربات منهنّ. ففي سياق البحث الأدب النّسائي وعن الرّائدات في هذا المجال، رأت د.بثينة شعبان بأنّ قبول رواية محمد حسين هيكل "زينب" على أنّها الرّواية العربيّة الأولى لهو أمر يحتاج إلى مزيد من الدّقة والتحرّي والتّنقيب، فرواية زينب قد صدرت عام 1914، وقد وجدت شعبان أنّ هناك أعمالاً سرديّة من إبداع المرأة السّاردة، فقد توصلّت إلى أنّ الكاتبة الرّائدة للرّواية العربيّة هي زينب فوّاز، وقد نشرت روايتها الأولى "حسن العواقب" عام 1899، ثم نشرت بعد سنوات رواية أخرى أسمتها "الملك قورش" وهي قصة تاريخيّة رمزيّة. ولم تقتصر الرّيادة على زينب فوّاز، بل نجد الكاتبة اللبنانيّة التي هاجرت إلى مصر "لبيبة هاشم" قد نشرت رواية عام 1904 بعنوان "قلب الرّجل" عام 1904، لتعود وتنشر في عام 1907 رواية أخرى بعنوان "شيرين ابنة الشّرق"، وفي عام 1904 أيضًا نشرت الكاتبة اللبنانيّة لبيبة ميخائيل صوايا[1] روايتها حسناء سالونيك على حلقات في جريدة الهدى في نيويورك[2]. ومن المهم أيضًا الإشارة إلى النتاج السّرديّ للكاتبة اللبنانيّة وداد سكاكيني[3] "أروى بنت الخطوب" الذي صدر في القاهرة عام 1949.

إنّ هذا العرض التّاريخي، والتّنقيب عن تاريخ النّشر للرّوايات يثبت الدّور الرّائد الذي قامت به المرأة اللبنانيّة، وإذا كانت المرأة اللبنانيّة رائدة في الإبداع السّرديّ، فإنّ صفحات هذه الدّراسة تسعى إلى تبيان تجليّات الاغتراب في الأدب النّسوي اللبنانيّ.

---

(1) تمّت الإشارة إلى الأديبة لبيبة صوايا لتبيان دورها الرّائد في العمل السردي لكن لن يتم الحديث عنها تفصيل الحديث عنها في ثنايا البحث، كونها قد تنقلّت بيين طرابلس وحمص، فلم نعدّ ذلك اغترابا، لتقارب البيئتين معًا.

لبيبة صوايا: ولدت في طرابلس ودرست في مدرسة الأمريكان فيها. بعد أن نالت شهادتها درّست فيها بضعة أعوام. ثمّ أدارت أحدى المدارس الوطنيّة في حمص حيث توفيت.

انظر: نازك سابايارد، ونهى بيومي، الكاتبات اللبنانيّات بيبليوغرافيا 1850-1950، مرجع سابق، ص 101.

(2) بثينة شعبان، 100 عام من الرّواية النسائيّة العربيّة (1899-1999)، بيروت، دار الآداب، ط 1، 1999، ص47.

(3) أديبة لبنانيّة ولدت في صيدا 1913 -1991، لها الكثير من الدّراسات والمؤلّفات، تنقلّت بين لبنان ومصر وسوريا، وكان ذلك بمرافقة زوجها الدكتور زكي المحاسني الذي عيّن ملحقًا ثقافيًا في السّفارة السوريّة في القاهرة.

نازك سابايارد، ونهى بيومي، الكاتبات اللبنانيّات بيبليوغرافيا 1850-1950، مرجع سابق، ص74 إلى 76.

ثانيًّا: تجربة المغتربة العامليّة زينب فوّاز (1844-1914)

1 ـ زينب فوّاز.. المرأة القوية

زينب فوّاز ابنة جبل عامل، ولدت في بلدة تبنين في جبل عامل، ونشأت في أسرة فقيرة. كانت تبنين حينها مقر إمارة آل علي الصغير، وكان الحاكم يومها علي بك الأسعد، فتقرّبت الأديبة زينب فوّاز من نساء آل الأسعد وقضت شطرًا من صباها في قلعة تبنين، ملازمة لهنّ، لا سيما السيّدة فاطمة زوجة علي بك الأسعد التي كانت على دراية حسنة بعلوم الأدب، واستفادت منها، وتعلّمت منها القراءة والكتابة. ثم تزوّجت برجل من حاشية خليل بك الأسعد، ولم تستمر معه لاختلاف الأمزجة. بعد ذلك سافرت إلى دمشق فتزّوجها أديب نظمي الكاتب الدّمشقي ثمّ طلّقها، وفي دمشق تعرّفت إلى ضابط في العسكر المصري فتزوّجت به وصحبها معه لمصر، وهناك ظهرت مواهبها[1].

إنّ الظّروف الاجتماعيّة والسّياسيّة هي التي دفعت بزينب فوّاز إلى البحث عن مكان آخر تنشد فيه الأمان، فالهجرة لمعظم اللبنانيين كانت "هجرة قسريّة بامتياز، وهربًا نحو المجهول غير محكومة بزمن الرّحيل أو مكان الرّحيل"[2]، فمن هنا كان تنقّل فوّاز بين دمش ومصر إلى أنْ استقرّ بها الوضع في القاهرة، ولعلّ زينب فوّاز في انتقالها إلى دمشق لم يكن خروجًا عن بيئتها التي عاشت فيها، فهي تعدّ نفسها في كلّ أعمالها كاتبة سوريّة، وقد يعود ذلك إلى أنّه في عصرها "لم يكن هناك لبنان وسورية كبلدين منفصلي، بل كانت كلّها سوريّة"[3]، وإذا كان هذا قد منحها القوة والصّلابة لمواجهة أوضاعها الاجتماعيّة، وساعدها على تجاوز أزمتها في زواجها الأوّل، فكانت أوّل من طالب بتحرير النّساء العربيّات، وقد كانت رائدة في ذلك أيضًا، فطالبت بإصدار تشريعات لتنظيم حياة النّساء وضمان حقوقهن في التّعليم والعمل. وبهذا كانت أوّل امرأة تتحمّل تلك المسؤولية لقضيتها وتناقشها في المحاكم الدّوليّة، وهي بذلك قد سبقت قاسم أمين في دعوته، فكانت الرّائدة الأولى التي تحمل هذه الرّسالة في المشرق، وأنّه لا يمكن

(1) نازك سابايارد، ونهى بيومي، الكاتبات اللبنانيّات بيبليوغرافيا 1850-1950، مرجع سابق، ص -119- 120.

(2) علي بدر الدّين، الاغتراب اللّبنانيّ آلام وآمال (آراء ومواقف)، لا ن، لا م، لا ط، 2002، ص 12.

(3) بثينة شعبان، 100 عام من الرّواية النسائيّة العربيّة (1899-1999)، مرجع سابق، ص52.

إنجاز الحضارة والتّطوّر والإصلاح من دون المعرفة والعمل، مشيرة إلى أنّ الدور الذي تؤدّيه النّساء يكتسب أهمية بالغة في خلق مجتمع مدنيّ ومتحضّر[1].

إنّ التّلاقح الثقافي الذي خبرته فوّاز في تنقلّها بين جبل عامل ودمشق والقاهرة منحها شخصية قوية، رائدة في أمور عديدة، وقد انعكس ذلك في نتاجها الأدبيّ وعملها الروائي "حُسن العواقب".

2 ـ تجلّيات الاغتراب في رواية حسن العواقب:

أ ـ ملخص الرّواية

تدور أحداث رواية حُسن العواقب[2] حول الصّراع بين أميرين هما تامر وشكيب على حكم منطقة جبل شامخ وكان في وصية الجد أن يلي الحكم من بعده الأرشد سنًا بين ابنائه ثم الأرشد سنًا بين أحفاده، وتتداخل في الرّواية شبكة معقدة من العلاقات العائليّة، فيحتدم الصّراع بين أبناء العمومة وكلّ منهم طامع في تولي العرش. وتقوم حبكة الرواية على قصّة حبّ، فيقع شكيب ولي العهد الذي يتمتّع بخصال أخلاقية حميدة بحبّ ابنة عمّه "فارعة" التي تبادله الحبّ. لكنّ الأمر لا ينتهي عند ذلك، فيدخل ابن عمهما تامر فيطمع بالعرش، ولا يكتفي بعرش السّلطة، إنّما يسعى إلى الحصول على عرش قلب فارعة. وعلى الرّغم من أنّ ما يتمتّع به تامر من ثراء ومستقبل الممتار يرجّح كفّة قبوله في مقابل شكيب اليتيم الذي لا يملك إلاّ اخلاقه، فإنّ فارعة وأهلها لم يقبلوه وقبلوا بشكيب. وهذا ما يدفع تامر إلى حبك الحيل بما فيها ترتيب اختطاف فارعة مرتين، وترتيب قتل شكيب، لكنّ شكيب وفارعة لم يخضعا لهذه المحاولات ويصمدا في مواجهة تامر، فتقع حروب بين شكيب وتامر، إلى أن تستطيع فارعة من الهرب، وتميل كفّة الحرب القائمة بين الطّرفين إلى شكيب، لتنتهي أحداث الرّواية بعقد قران فارعة وشكيب.

ب ـ أبعاد الحبّ في الرّواية

إذا كانت رواية "حُسن العواقب"، رواية تصوّر الصّراع السّياسيّ والتّنازع على

(1) فوزية فوّاز، تحقيق عن زينب فواز وتقديم لكتاب حُسن العواقب، بيروت، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، 1984، ص 20 -21.

(2) زينب فوّاز، حسن العواقب، بيروت، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، ط 1، 1984.

السّلطة، فهي رواية حبّ وعشق، ترسم حبكتها علاقة ثلاثية الأبعاد، بين حبيب وحبيبته، وتطفّل العزول، الذي يسعى إلى إفساد علاقة الحب الصّادقة، فيتم حياكة المؤامرات والحيل، لكنّ الغلبة تكون للحبّ في مواجهة الحاقدين. ولا يتوقّف الأمر عند هذا الأمر، فمن خلال هذه القصة نكتشف الرّسالة التي توجهها زينب فوّاز، فهي تريد من النّساء أن "يتّخذن مواقف حازمة ويعبّرن عن مشاعرهن بصراحة وحزم"[1]، ولا يقتصر الأمر على هذا التّعبير الصّريح، إنّما تتحوّل إلى شاعرة يصدح صوتها في التّعبير عن هذا الحبّ، فتقول بطلتها فارعة في الرّواية:

لقلبي حديث منك أنى خبّأته ... إذا ما خلونا ساعة الوصل قلته
وإنّي إذا أبصرت شخصك مقبلا ... تغيّر مني الحال عمّا عهدته
وقال جليسي ما لوجهك أصفر ... فقلت له بالرّغم عني صبغته[2]

إذا بطلة الرّواية تمتلك إضافة إلى جمالها مهارة امتلاك اللغة، التي تسمح لها بالتّعبير عما يعتمل في داخلها من أفكار، وهو ما يؤكّد رسالة زينب فوّاز التي غرفتها من حياتها، الباحثة عن نهضة المرأة في المجتمع، فلم نعد نميّز بين زينب فوّاز وبطلتها فارعة، ففوّاز في مناسبات عديدة وُصفت "بأنّها موهبة أدبيّة نادرة وأنّها درّة زمانها"[3]، وهكذا كانت بطلتها "تملك قوّة النّباهة وفصاحة اللسان ومعبّرة ومحدثّة بارعة"[4].

ج ـ أبعاد القوّة والحقّ في الرّواية

إنّ القارئ لرواية حُسن العواقب يتلّمس الوعي الفكريّ والثّقافي الذي تمتعت به الكاتبة زينب فوّاز، فما مرّت به في مسيرة حياتها الاجتماعيّة، من زواج وطلاق، وما اكتسبته من انتقالها عبر البلاد، دفعها إلى البحث عن حرية المرأة، وقدرتها على التّعبير عن رأيها، وعدم الخضوع إلى مقاييس المجتمع، وهذا ما برز مع فارعة بطلة الرّواية التي استطاعت الدّفاع عن حبّها، وعن الثّبات على هذا الحبّ. ويمكن القول أيضًا إنّها كانت قادرة على الإعلان عن هذا الحبّ، فهي ليست

(1) بثينة شعبان، 100 عام من الرّواية النسائيّة العربيّة (1899-1999)، مرجع سابق، ص49.
(2) زينب فوّاز، حسن العواقب، مصدر سابق، ص 55.
(3) جميلة أمين حسين، المرأة في الرّواية اللبنانيّة المعاصرة (1899-2009)، بيروت، دار الفارابي، ط 1، 2016، ص 63.
(4) زينب فوّاز، حسن العواقب، مصدر سابق، ص 48.

خجلة أو متحفظة في التّعبير عن مشاعرها، وهذا يرتبط بحقّها كإنسان، وهو ما سعت إليه الكاتبة فوّاز في كتاباتها. فاللافت في هذه الرّواية الرّائدة التي كُتبت في مرحلة زمنيّة متقدّمة هو أنّ النّساء يشكلن عناصر مهمة في مجتمعهن، بل إنّهن أيضًا يفهمن اللعبة السياسيّة[1].

ولأن زينب فوّاز نادت بحقوق المرأة، وكانت مطالبة بتغيير وضع المرأة وإصلاح شأنها، نراها في الرّواية تؤكّد ضرورة استشارة الفتاة في زواجها وهذا ما حدث مع فارعة عندما خطبها تامر، فقد كان جواب والديها أنّ لها حياتها وعليها أن تقرر[2]، وربما لا يعدّ هذا خرقًا أو نداءً تحرّريًّا ذا شأن في يومنا هذا، بينما في حينه أي منذ مئة سنة ويزيد يعدّ استشارة الأنثى بزواجها خرقًا للأعراف[3] وجرأة نشهد فيها لزينب فوّاز.

هذه المرأة التي عجنتها الأيام، فتعلّمت من الحياة ومن غربتها. فكانت قوّة فارعة في الرّواية صرخة من زينب فوّاز تعلن فيها رفضها لما حدث معها، فهي الأنثى في فترة عنفوان مراهقتها، وكغيرها من البشر تمتلك الإحساس والشّعور والرّغبة بالإفصاح والتّعبير عن مشاعرها الدّفينة، ففي بداية فترة صباها صدر قرار زواجها من رجل مسن يعمل في تربية صقور الصيد عند آل الصغير (الأسعديين)، وقد أشار الشّيخ أحمد عارف الزّين بأنّ الطّلاق من الصّقار كان مصدره سوء التّجانس والتّفاهم بين الطّرفين[4]، فكيف يمكن لهذه الفتاة اليافعة أن تعيش مع أميّ وهي التي توقّد فكرها وتوسّع وعيها.

د ـ الأبعاد السّياسيّة والاجتماعيّة في الرّواية:

رواية "حُسن العواقب" هي تاريخ وتأريخ لحقبة زمنيّة مفصليّة في تاريخ جبل عامل، ترسم الصّراع السّياسيّ للتهافت على السّلطة، وتعكس الأسباب الحقيقية الكامنة وراء المصائب السّياسيّة التي "حلّت بالعرب خلال تاريخهم الطويل، التنافس الشخصي والحسد والغيرة والمصالح الأنانية الضيقة [التي] كانت مسؤولة غالبًا عن كوارث سياسية كبرى حلّت بالعالم العربيّ في تاريخه البعيد

(1) بثينة شعبان، 100 عام من الرّواية النسائيّة العربيّة (1899-1999)، مرجع سابق، ص49.
(2) زينب فوّاز، حسن العواقب، مصدر سابق، ص 80.
(3) جميلة أمين حسين، المرأة في الرّواية اللبنانيّة المعاصرة (1899-2009)، مرجع سابق، ص 56.
(4) لطفي فرّان، زرع أخرج شطأه، لا م، لا ن، لا ت، ج 3، ص 11.

والقريب"[1]، إذا هي صورة عن المناخ السّياسيّ وانعكساته الاجتماعيّة، مع تصوير العلاقات العائليّة المرتبطة بالبعد السياسيّ، وتسعى الرواية إلى نقض تلك القاعدة وهدمها في اختيار الأمير، وتقدّم مقابلها قاعدة رجحان العقل والتّعامل الجيد مع النّاس. وهذا من خلال المقابلة بين موقف كلّ من الأميرين شكيب وتامر.

واستطاعت الرّواية نقل الواقع الاجتماعيّ، فالكاتبة فوّاز قد نهلت من بيئتها العامليّة، وقدمت رواية أخلاقية هادفة فيها دعوة إلى الثبات على الحقّ، وهي رواية العبرة والأخلاق الحميدة، و"لا شكّ أنّ الكاتبة كتبت رواية لتثقيف الأجيال وتنويرها، لكنّ الرّسالة ليست مباشرة ولا تعليميّة، بل تنبثق بشكل طبيعيّ من تعاقب الأحداث الممتعة والمقنعة"[2].

ثالثًا: تجربة لبيبة ماضي هاشم (1882-1952)

1 ـ لبيبة ماضي هاشم... داعية الإصلاح

ولدت لبيبة هاشم في بيروت، والبعض قال في كفرشيما، وتلقّت تعليمها في مدرسة الرّاهبات ثم في مدارس الإرساليات الإنجليزية الأمريكيّة، وبدأت في مرحلة مبكرة في مراسلة الصّحف والمجلات وإمدادها بنتاجها الأدبي والشعري. ثمّ رحلت إلى القاهرة مع أسرتها، وفي صالون وردة اليازجي تعرّفت إلى رجال الأدب والفكر، ولقّنها الشّيخ إبراهيم اليازجي أصول اللغة العربيّة وقواعدها وآدابها. وواصلت الكتابة في المجلات الأدبية المعروفة، ثم أصدرت في سنة 1906 مجلتها التي عرفت بها "فتاة الشرق"، وراحت تنتقل بين مصر ولبنان تعتلي المنابر وتخطب، داعية إلى النّهوض والعمل ونشر التّعليم، وقد ألقت سلسلة من المحاضرات في الجامعة المصريّة الأهليّة عن التّربية والتّعليم بعد إنشائها.

ونظرًا لشهرتها في ميدان التّعليم واهتمامها بالتّربية عيّنتها الحكومة السّورية سنة 1920 في وزارة المعارف للتّفتيش على المدارس، لتعود وتترك الوظيفة بعد مدة قصيرة وهاجرت إلى "شيلي"، وأصدرت في سنتياجو العاصمة سنة 1923 مجلة "الشّرق والغرب"، لكنّها لم تستمر في الصّدور أكثر من عام، وعادت إلى مصر لتّشرف على مجلتها "فتاة الشرق".

---

(1) بثينة شعبان، 100 عام من الرّواية النسائيّة العربيّة (1899-1999)، مرجع سابق، ص49.

(2) بثينة شعبان، 100 عام من الرّواية النسائيّة العربيّة (1899-1999)، مرجع سابق، ص50.

وقد كانت لبيبة هاشم من أوائل من نادى بإنشاء جمعيات علميّة أدبية خاصة بالنّساء؛ بهدف تعزيز شأن المرأة في الشّرق، واهتمت بتثقيف المرأة وتنويرها. وكان لصاحبة "فتاة الشّرق" يد كبيرة في التّنديد بالحركة الصّهيونية في فلسطين منذ وقت مبكر، فأخذت المجلة على عاتقها شرح أبعاد المشروع الصهيوني في إنشاء وطن قوميّ لليهود في فلسطين[1].

إنّ لبيبة هاشم التي تنقلّت بين بلدان عديدة تنهل من ثقافة المجتمعات، وتتزوّد بالمعرفة وتضيف إليها ما تنزع إليها نفسها في الدّعوة إلى الإصلاح وخصوصًا ما يتعلّق بتعليم النّساء. فهي ترى أنّ المرأة هي الأساس في المجتمع، فهي التي تربي الأجيال، وعلى نسبة تربيتها يُقاس مدى تقدّم البلاد وتأخرّها"[2]، هذه الدعوة التي تناغمت مع دعوات أدباء وأديبات كثر، فهذا حافظ إبراهيم يقول:

من لي بتربية النّساء فإنّها ... في الشّرق علّة ذلك الإخفاق
الأمّ مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبًا طيب الأعراق
الأمّ روضٌ إن تعهّده الحيا ... بالرّيّ أورق أيّما إيراق[3]

2 ـ تجلّيات الاغتراب في رواية قلب الرّجل:

أ ـ ملخص الرّواية

الحكاية في "قلب الرجل"[4] هي على وجه الخصوص، حكاية أهل الجبل اللبناني، وتشتّت المسيحيين منهم عن قراهم وبلداتهم، عن دير القمر وبيت الدين. إنّها جرّاء هذا التشتت حكاية الأمكنة التي بحثوا فيها عن عيش ورزق لهم: في بيروت مدينة التجارة والفنادق. وفي مصر حيث التجارة متقدّمة، ولا ينال العمل إلاّ من كان ذا كفاءة ومهارة.

---

(1) انظر: نازك سابايارد، ونهى بيومي، الكاتبات اللبنانيّات بيبليوغرافيا 1850-1950، مرجع سابق، ص150-151.
وطوني ضو، معجم القرن العشرين وجه لبنان الأبيض، مرجع سابق، ص 237- 247.

(2) لبيبة هاشم، كتاب في التربيّة، القاهرة، مطبعة المعارف، ا ط، 1911، ص 106.

(3) حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وحقّق له: أحمد أمين وأحمد الزّين وإبراهيم الأبياري، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ط 3، 1987، ص 282.

(4) لبيبة هاشم، قلب الرّجل، سوريا، منشورات دار المدى، ط 1، 2002.

تبدأ أحداث الرّواية بحكاية حبيب نصر الله، والد عزيز، ولقائه بفاتنة التي أحبّ وتزوّج، لتضعنا في قلب الحدث، الفتنة، وتضع حكاية الحب في زمانها وشرطها. تلقي البداية أضواء على الفوضى التي عمّت جبل لبنان. المسلحون يهاجمون حبيب وفاتنة بدوافع غير وطنية، فيتشرّد أحدهما عن الآخر. وتنطوي هذه البداية على موقف فكري نقرأه في تسمية الأحداث "فتنة" ولا يردّها إلى تعصب ديني. هكذا تحكي الرواية عن حُسن معاملة أسرة جنبلاط، الدرزيّة، لـ"فاتنة" المسيحيّة. سيد المختارة يأوي أم فاتنة إثر مقتل زوجها عام 1841 في دير القمر. وعندما تموت الأم تبقى فاتنة الطّفلة في رعاية أهل القصر، تعامل بحسبانها ابنة الأمير. حبيب المسيحي الذي أحبّ فاتنة أحبّها بصفتها درزية، وقبل أن يعلم بأنّها أساسًا مسيحيّة.

وتأخذنا الأحداث بعد ذلك إلى علاقة الحبّ بين عزيز (ابن حبيب) وروزه، وكان مكان اللقاء في القطار بين باريس ومرسليا، حيث كانت روزه عائدة من باريس حيث كانت تدرس، وقد كُتب لهذا الحب في رحلة الباخرة بين مرسيليا والاسكندريّة. إنّه حبّ عرف التّنقل، وترعرع في بلاد الاغتراب، هو "حبّ علامته التّشتت ومصيره الفراق. وإذ تتداخل الأحداث في الرّواية، إنّما لتنسج فضاءات الأمكنة وهوية الشّخصيات ومصائرها المحكومة بشرطها التاريخيّ. هكذا يُفضي بنا السّرد إلى اكتشاف جراح قلب رجل هو عزيز كان يعيش فقدانه لأهله وبلده، ورحلة بحثه عن ذاته"[1].

ب ـ التّحوّل بين الوطن والغربة

لبيبة هاشم التي عرفت التّنقل بين لبنان ومصر وتشيلي، وخبرت معنى الاغتراب، فكشفت التّحوّلات في حياة الإنسان، تستطيع أن تنقل ذلك في رواية "قلب الرّجل"، التي يحكم بنيتها الدّراميّة صراع يجد مرجعيته في الواقع التّاريخيّ للبنان، "وإنّ بنية الشّخصية/ الشّخصيات وما تنسجه من علائق في ما بينها، مرتبطة بمجالات تحرّكها وإقامتها، وبما يترتب على ذلك من مصائر"[2]،

---

(1) يمنى العيد، اكتشاف لبيبة هاشم ورواياتها، ابريل 2002، تمّت زيارة الموقع في 21 أيلول 2019، www.alhayat.com/article.

(2) يمنى العيد، اكتشاف لبيبة هاشم ورواياتها، ابريل 2002، تمّت زيارة الموقع في 21 أيلول 2019، www.alhayat.com/article

فالرّواية تنقل لنا حكاية أبطال يلتقون في مصر وبلاد الشّام، وفي فرنسا أيضًا، وما يجمع بينهم هو العمل المشترك، وقصص الحبّ والصّداقة، وما ينتج من علاقات تنمي حبكة الرّواية، مع نقل معاناة الغربة عن الوطن، ولا تقتصر الغربة في الرّواية على الغربة المكانيّة، إنّما ترسم ملامح الغربة عن الذّات، فعزيز يبدأ رحل البحث عن الذّات، بعد أن ابتعد عن أبيه بسبب الأحداث، وقد فقد أمّه بموتها.

ج ـ أبعاد الحبّ في الرّواية

صورة أخرى تطالعنا بين ثنايا الرّواية تجمع بين ثنائية الحبّ والموت، "ففاتنة" قادتها الظّروف إلى الاغتراب عن بيئتها، وإن ظلّت في لبنان نفسه، فحرب الجبل جعلتها تتربى عند عائلة درزية وهي المسيحيّة، واستطاعت لبيبة هاشم أن تقدّم لنا من خلال شخصية فاتنة معنى الفناء في الحب، ففاتنة هي المرأة العاشقة التي "تتخلّى عن كلّ شيء في مقابل حبيبها لدرجة الموت"[1]، فهي تنقذ حبيبها "حبيب" من قيود سجن والدها الذي ربّاها، وترى أنّ حياتها ملك لمن كان سببًا في بقائها: "إنّ حياة أنت سبب بقائها، لحريّ بأن تبذل لأجلك، وتكون وقفًا عليك والله يعلم أنّي منذ بلغني وقوعك في هذا الأسر لم يأخذني منام، ولا غفلت ساعة عن السّعي إلى أن فزت بأمنيتي"[2]. فالحبّ لم يعد مجرد علاقة بين اثنين، يسعيان إلى الارتباط، إنه علاقة انصهار بين طوائف وديانات، "وتظهر الرّواية أنّ الحبّ ينتصر على التّعصّب والانقسام"[3]، وإن اكتشف الحبيبان لاحقًا أنّهما من الديانة نفسها، عندما تم الزواج على يد ناسك التقى بهما.

أمّا حبكة الحبّ الثانيّة في الرّواية فهي تقوم على قهر الغربة والبعد عن الوطن، فقد بدأت في قطار، وامتدّت على باخرة، لترسو لاحقًا في بحث "عزيز" عن ذاته والتغلّب على معاناة فقد أهله وبلده، أما ما يصيب "روزه" من مأساة يعود إلى البداية، إلى ما وقع لأبيه حبيب نصر الله وأمه فاتنة. "أي هو يعود إلى حال البلد وظروفه التي تتمثل في نسيج العلاقات بين الشخصيات، وفي سلوكاتهم كما في حّلهم وترحالهم"[4].

(1) جميلة أمين حسين، المرأة في الرّواية اللبنانيّة المعاصرة (1899-2009)، مرجع سابق، ص 83.

(2) لبيبة هاشم، قلب الرّجل، مصدر سابق، ص 23.

(3) جميلة أمين حسين، المرأة في الرّواية اللبنانيّة المعاصرة (1899-2009)، مرجع سابق، ص 88.

(4) يمنى العيد، اكتشاف لبيبة هاشم ورواياتها، ابريل 2002، تمّت زيارة الموقع في 21 أيلول 2019، www.alhayat.com/article

د ـ الأبعاد السّياسيّة والاجتماعيّة في الرّواية

تعتمد الرّواية على حبكتها على قصة الحبّ التي بنيت على دلالات اللاتعصب، ولقاء المحبين فيها ليس رهين الصدف، وهذا ما يميّز هذه الرواية، ويشير، في الآن نفسه، إلى ريادتها في تاريخ الرّواية العربية، وهي في الوقت عينه زمن الفتنة الأهلية التي جرت في لبنان 1860، لا لتروي تاريخًا بل لتحي مصائر أناس عانوا من التّشتت والمأساة جرّاء هذه الفتن، وقد استطاعت الكاتبة ببراعة أن تجسّد ملامح الصّراع الاجتماعيّ والنفسيّ والّلغويّ للفئة التي تنتمي إليها[1]، تحاول الرّواية أن تنبذ التّعصب لأنّ الغارقين في تعصّبهم الدّيني والمذهبيّ والطّائفي والأيديولوجيّ حدّ الجهالة والعُمي لا يستطيعون أن يروا في هذا العالم سوى أنفسهم ودينهم وتاريخهم ومذهبيتهم، ويأتون إلى النّاس صارخين عليهم بكلّ البغض والعداء والكراهية والاقصاء والنبذ، فهؤلاء نموذجهم في الحياة واقعٌ من خلاصة التّعصب والتّحزّب والطّائفية يتمثل في البغض والعداء والنبذ والكراهيّة، ولبيبة هاشم ترى أنّ "الرّد على الحربّ والمجازر لا يكون سوى بالانفتاح والتّعايش ونبذ التّعصب"[2].

وتستمر رسالة لبيبة هاشم في نبذ التّعصب عبر تقديم صورة رجل الدّين المتسامح، الذي عليه أن يجعل من الدّين وسيلة للتّلاقي لا التّنافر، وأن يكون فعّالاً في المجتمع يسعى إلى البناء لا الهدم، فكلّما "ابتعد الدين عن العالم المتصارع، كان أكثر نقاء وقدرة على مساعدة البشر"[3]. فإنّ ظاهرة التّعصّب والانغلاق الفكريّ، وعدم قبول رأي الآخر يؤدّي إلى سلسلة لا متناهية من العنف المضاد الذي يوصل المجتمع إلى صراعات مدمرّة.

استطاعت لبيبة هاشم في روايتها أن تكون العين الرّاصدة لواقع لبنان الأليم وللفتنة التي حدثت في جبله، ولواقع الاغتراب الذي مرّ به أبناؤه، ولتكون روايتها محذرّة ممّا سيقع لاحقًا في الحرب الأهليّة.

---

(1) يمنى العيد، اكتشاف لبيبة هاشم ورواياتها، ابريل 2002، تمّت زيارة الموقع في 21 أيلول 2019، www.alhayat.com/article

(2) جميلة أمين حسين، المرأة في الرّواية اللبنانيّة المعاصرة (1899-2009)، مرجع سابق، ص 81.

(3) جميلة أمين حسين، المرأة في الرّواية اللبنانيّة المعاصرة (1899-2009)، مرجع سابق، ص 85.

رابعًا: تجربة عفيفة كرم (1883- 1924)

1 ـ عفيفة كرم... المتمرّدة

هي كاتبةٌ وصحفيةٌ لبنانية، وُلِدت في قرية «عمشيت» بلبنان. كان والِدُها الدكتور «يوسف ميخائيل كرم» أولَ أستاذ لها، عُنِي بتربيتها وتعليمها فأدخَلَها مدرسةَ القرية، وفي الثّالثة عشرة دخلت مدرسة العائلة المقدسة للرّاهبات في جبيل، ولكنّها لم تمكث إلاّ بضعة أشهر، وتزوّجت «كرم حنا صالح» عامَ 1897م. وبعدَ أن حُرِمت مِن استكمالِ تعليمها في الرابعة عشرة، عكفَتْ على الاطّلاع والقراءة، وحلمتْ في سنٍّ مبكرة بالتّعبير عن هموم المرأة، فكانت فاجعةُ زواجها المبكر هي التي أرشدَتْها إلى فكرةِ التنوير ودور الأدب في ذلك.

وفي سنِّ السّادسة عشرة، سافرَتْ مع زوجها إلى الولايات المتحدة الأمريكية واستقرَّت معه في «لويزيانا». ولتحقيقِ ذاتها بدأَتْ في مُراسَلة الصحف العربيّة والكتابة على صفحاتها، وبعدَ مُضِي بعض الوقت وما لقيَتْه كتاباتُها مِن الاستحسان، تولَّتْ رئاسةَ تحريرِ جريدة «الهدى» المعروفة وأثبتَتْ جدارةً تامةً في إدارتها، كما أصدرَتْ مجلةَ «المرأة السورية» لأول مرة عامَ 1911م، قبل أن تفكِّر في إصدارِ مجلةٍ مستقلة تُعنَى بشؤون المرأة العربيّة في بلاد المَهجَر، سُمِّيت «العالَم الجديد» ورأى عددُها الأول النورَ عامَ 1912م.

أصدرَتْ عفيفة كرم رواياتٍ في مَواضيعَ متعدِّدة، نَذكُر منها: "بديعة وفؤاد"، و"غادة عمشيت"، و"فاطمة البدويّة"، و"كليوباترة"، و"محمد علي الكبير"، بالإضافة إلى تعريبها لروايات أجنبيّة منها "ابنة نائب الملك"، و"نانسي ستاير"، وتجدر الإشارة إلى استحالة العثور على معظم نتاجات هذه الأديبة.

وفي عام 1924م تُوفِّيت إثرَ إصابةٍ مُفاجِئة في الدماغ، دونَ أن يَتسنَّى لها أن تَعودَ لبَلدِها بعدَ رحلةٍ من الغُرْبة امتدَّتْ لِمَا يُقارِب الخمسة والعشرين عامًا[1]. تُعَد مِن رائِدات الرواية في الوطن العربي، ويُدرَج اسمُها ضمنَ أهم أدباء القرن التاسع

(1) انظر: نازك سابايارد، ونهى بيومي، الكاتبات اللبنانيّات بيبليوغرافيا 1850-1950، مرجع سابق، ص124 إلى 126.
خير الدين الزّركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط 10، 1992، ص 239.

عشر؛ ففي وقتٍ كان يصعب فيه أن تَخوضَ المرأةُ العربية غِمارَ المجالِ الصحفيّ والأدبيّ، كانت من السّابقات اللاتي مهَّدنَ الطريقَ لإبداع المرأة في هذا المجال.

مضت عفيفة كرم الأديبة العربيّة المهجريّة، وبقي ذكرها خالدًا في العالمين العربيّ والأمريكيّ، ولسوف يظلّ تاريخ الصّحافة يذكر الكاتبة السورية اللبنانية[(1)] في صدر صفحاته، بوصفها مؤسسة أول مجلة عربيّة نسائيّة في المهجر. كما سيظلّ الأدب يذكر رواياتها المتعدّدة التي أصدرتها في الحقبة القصيرة من حياتها. هذا وقد ذكرتها الشّاعرة العربيّة عائشة التيمورية في قصيدة طويلة، منها هذان البيتان:

قد أسفرت عن أصل جوهر عفة قد كان قبل سطورها مجهولا
فعلى العفيفات الثناء لأجلها ما جددت في العالمين فصولا[(2)]

2 ـ تجلّيات الاغتراب في رواية بديعة وفؤاد:

أ ـ ملخص الرّواية

أهدت الكاتبة روايتها إلى الأمّهات اللواتي يستقبلنَنا أوّل دخولنا هذا العالم، وإلى الزّوجات اللواتي يبنينَ لنا البيوت التي نسكنها الآن، وإلى البنات المزمعات أن يبنينَ البيوت للذين يأتون بعدنا، وإلى القراء الذين تلطفوا بحسبان كتاباتنا الماضية، وهم غير متحولين عما تفضلوا علينا به من قبلُ إن شاء الله، وإلى الذين لهم بيوت سعيدة والذين يحتاجون إليها[(3)]. إنّه خطاب موجّه تحاول فيه الكاتبة أن تغيّر ما رأته في مجتمعها، وهكذا كانت رواية بديعة وفؤاد.

وقد بُنيت الرّواية على قصة حبّ يرفضها المجتمع أنذاك، ويبدو ذلك في الأمّ حامية التّقاليد، والرّافضة لزواج ابنها من الخادمة بديعة. وبديعة فتاة فقيرة دفعتها الظّروف إلى أن تعمل خادمة في بيت الخواجة منصور، على أن تظلّ مع صديقتها لوسيا في منزل رأته كمأوى للإنسان والحيوان معًا. وفي أثناء عملها في منزل الخواجة منصور تتوثّق العلاقة بينها وبين السيدة مريم زوجة الخواجة، إلى أن يعود ابنها فؤاد من دراسته في الخارج، فتبدأ علاقة الحبّ بينهما، وتثور ثائرة

---

(1) يقصد بسورية: سورية ولبنان كما كانت تعرف في القرن التاسع عشر.

(2) سليمة محجوب، عفيفة كرم أديبة من المهجر، جريدة الأسبوع الأدبي، دمشق، اتّحاد الكتاب العرب، العدد 1279، 2012/1/14، السنة السادسة والعشرون، ص 14.

(3) عفيفة كرم، بديعة وفؤاد، هاي ستريت، وندسور، اللمملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، لا ط، لا ت، ص 8.

الأمّ، فيقنعها ابن أختها نسيب بخطّة للتخلّص من هذه الأزمة وهي الإدعاء بالموافقة، ومن ثم طرد بديعة عند سفر فؤاد.

وهو ما يتحققّ، فلا تجد بديعة حلاّ إلاّ بسفرها إلى أمريكا مع صديقتها لوسيا، وتبدأ مرحلة جديدة في حياتها، ويلحق بها نسيب ليتابع الخطة وتتواصل الدسائس والمكائد. يحاول نسيب إقناع بديعة بحبّه وعندما يفشل يتوجّه نحو لوسيا التي تقع فريسة له. إنّ أحداث الرّواية تجري بين لبنان والولايات المتحدّة، وستعاني بديعة من حياة الغربة الأمرَّين. ومع وصول فؤاد إلى أميركا بحثًا عن بديعة، وكما يجدر بمُتخيَّل بنت في مُقتبَل الحلم، ستعرف الرواية نهايتها السعيدة بزواج بديعة وفؤاد بعد عودتهما إلى أرض الوطن.

وتستطيع الكاتبة أن تقدّم وصفًا دقيقًا لتفاصيل حياة النّساء ومواقعهن في المجتمعين المحلي والعالمي، وتوجّه الكاتبة انتقادات لكلّ ما هو سلبي في المجتمع اللبنانيّ. وعلى الرّغم من أنّها كتبتها وعمرها 23 سنة فقط، إلا أنّها تبقى، حسب رأي الدّكتور سعيد يقطين بأنّها رواية متكاملة البناء تتميّز بلغتها المتينة وثقافة صاحبتها الغزيرة ووعيها المبكر بالفنّ الرّوائيّ وخصوصيته[1].

ب ـ الرّواية بين الشّرق والغرب

تناولت الكثير من الأعمال الأدبيّة موضوع المثاقفة التي تعدّ من أبرز آليات حوار الثّقافات والحضارات والعلاقات بين الشّعوب والأمم، ويُطرح هذا المصطلح على دراسة التغيير الثّقافي الذي يحصل نتيجة لشكل من أشكال الاتّصال بين الثّقافات، ما يؤدّي إلى اكتساب عناصر جديدة بالنسبة إلى الثّقافتين المتّصلتين. وقد ساهم هذا في بروز ما يُسمّى بإشكالية الأنثروبولوجيا الحضارية، أي إشكالية العلاقات ما بين الشّرق والغرب.

وتقوم رواية "بديعة وفؤاد" على هذه الإشكاليّة، فالكاتبة تعرض أحداث روايتها بين لبنان والولايات المتحدّة الأمريكية، ومن خلال ما حدث لبديعة وصديقتها لوسيا، ومن خلال نظرتهما للبلاد الأخرى، ويتضّح الفرق بينهما في أنّ بديعة ترى الولايات المتحدّة بشكل واقعيّ وعمليّ، بينما لوسيا تنبهر بكلّ شيء،

---

(1) ياسين عدنان، اللبنانيّة عفيفة كرم صاحبة أول رواية عربيّة؟، جريدة الأخبار، العدد 628، 2008/9/16.

ما يؤدّي إلى دمارها في شوراع نيويورك غير قادرة على التّمييز بين الحضاريّ والمدمّر[1].

استطاعت عفيفة كرم التي خبرت الاغتراب وعاشته، أن تنقل لنا موضوعًا مهمًّا ما زال قائمًا إلى اليوم، فتهتمّ بالهُوية الوطنيّة التي يجب الاّ تعزل عن كل شيء جديد في مقابل عدم الذّوبان بالثّقافات الجديدة، وتحقّق "الرّواية توازنًا دقيقًا بين الاشياءالإيجابيّة في الثّقافة العربيّة والأشياء الإيجابيّة التي يمكن للعرب أن يتعلّموها من الثّقافات الأخرى [من] دون أن يصبحوا منغلقين أو أن يفقدوا هوّيتهم"[2].

واللافت في رواية عفيفة كرم أنّها جعلت المرأة قادرة على السّفر والتّرحال، في زمن كان القرار للرّجل، وكان هو المبادر، فلدى الكاتبة "نزعة للدّفاع عن المرأة ليس فقط عبر جعلها بطلة النّصّ ومحركة فصوله، ولكن أيضًا عبر تسليمها زمام المبادرة بالسّفر والعمل والتّعلّم وتشجيع الآخرين". وهذا ما يُشهد للكاتبة ويمنحها الرّيادة في معالجة هذا الموضوع.

ج ـ الأبعاد الطّبقيّة في الرّواية

سيظلّ السّلم الاجتماعيّ هو المحرّك الأساسيّ لتطوّر الأحداث في المجتمعات الشرقيّة، وتمتاز رواية عفيفة كرم باستحضارها الطبقات الاجتماعيّة في لبنان بكل شرائحها وفئاتها، والتي تتمثل في الطبقة العليا التي تضمّ فئة الأغنياء، والطّبقة الدّنيا التي تضمّ فئة الفقراء. وقارئ الرّواية يكتشف شخصية مريم صاحبة البيت الذي عملت فيه بديعة، بأنّها تنتمي إلى الطّبقة الغنيّة، وأنّها تنظر إلى من هو دونها نظرة دونيّة، فهي وإنْ أعجبت ببديعة وجعلتها رفيقة لها في بادئ الأمر، إلاّ أنّها نظرت إلى هذه الصّداقة من منطلق الطّبقية: "إنّها أتت إلينا خادمة، ولكنّها قدرت بآدابها على إيجاد مقام لنفسها حتى أصبحت لي رفيقة وصديقة"[3]، فهي خادمة وإن أُعجبت بها، لهذا عندما عرفت بحبّ ابنها لها، تذكّرت موقع بديعة ونسيت رأيها فيها: "إنّني اختبرت الفتاة وعرفت بأنّها عزيزة جدًّا بآدابها وفضائلها بين

---

(1) بثينة شعبان، 100 عام من الرّواية النسائيّة العربيّة (1899-1999)، مرجع سابق، ص55.

(2) بثينة شعبان، 100 عام من الرّواية النسائيّة العربيّة (1899-1999)، مرجع سابق، ص55.

(3) عفيفة كرم، بديعة وفؤاد، مصدر سابق، ص 23.

النّساء، ولكنّها خادمة واقترانها بولدي يجلب عليّ عارًا لا يُمحى"[1]، فهي لم ترَ في بديعة سوى الخادمة التي لا يمكن لابنها أن يرتبط بمن تقلّ شأنًا عن مستواهم، حتى لو كانت صاحبة فكر وثقافة.

د ـ الأبعاد الاجتماعيّة في الرّواية

أحداث الرّواية متنوّعة، تتّخذ من فضاءات الأمكنة مسرحًا لها، وهذا استدعى تنوّع القضايا الواردة فيها، ومنها القضايا الاجتماعيّة المرتبطة بفكرة الاغتراب، ومنها انغماس لوسيا في الولايات المتحدة، وانجرافها إلى الهاوية، فهي وقعت في أحضان الغرب "لأنّها احتفظت بمفهوم مشوّه وسطحي للحرية ولحقوق النّساء، أمّا بديعة فهي تمتلك مفهومًا أعمق للحريّة، والحريّة بالنّسبة لها هي أن تسافر وتعمل وأن تكون مستقلة"[2]، وهي متى حقّقت هذه الحريّة حصلت على نتائج مرضيّة.

وينسحب هذا الفرق إلى أنّ تحصر لوسيا الحريّة بالحريّة الجنسيّة، أما بديعة فتعبّر عن نظرة متزنة وإيجابيّة للحريّة، وهي حرية مسؤولة نحو نفسها ونحو الآخرين، وتنبهر لوسيا بالغرب فترى كلّ ما فيه جميلاً، بينما تبقى بديعة قادرة على التّمييز بين الخير والشّرّ في الغرب وفي العالم العربيّ[3]. إنّها رواية اجتماعيّة تحرريّة، تستطيع أن تثقّف المجتمع وترفع من قيمه وأفكاره.

وكانت الكاتبة قادرة على رسم التّجربة التي عاشتها شخصيات الرّواية، ومنها التّجارب الجديدة في المجتمع الأمريكي، وقد ارتبط هذا بتزايد الوعي عند المرأة.

رواية "بديعة وفؤاد" نموذج لواقع وظرف معاش، وهي تتميّز بقيمة فنيّة، كما أنّ كاتبها نقلت تجربتها في الاغتراب وأرادت بناء مجتمع جديد، رافضة من خلاله حصر نفسها بتجربة زواج مبكرة، فبنت نفسها فكريًا وثقافيًا. فكانت تستحق ما وصلت إليه من مكانة في عالم الصحافة والأدب.

---

(1) عفيفة كرم، بديعة وفؤاد، مصدر سابق، ص 51.

(2) بثينة شعبان، 100 عام من الرّواية النسائيّة العربيّة (1899-1999)، مرجع سابق، ص56.

(3) بثينة شعبان، 100 عام من الرّواية النسائيّة العربيّة (1899-1999)، مرجع سابق، ص57.

خامسًا: تجربة إملي نصر الله (1931- 2018)

1 ـ إملي نصر الله... المهاجرة من دون هجرة

إملي نصر الله هي أديبة لبنانيّة ولدت في قرية الكفير جنوب لبنان، هي الابنة البكر لعائلة مؤلّفة من ستة أولاد، والدها السيد داوود أبي راشد من كوكبا، ووالدتها السّيدة وطفى أبو نصر من الكفير. عاشت إملي طفولتها، تعمل في الحقول وتشارك في جني المواسم، من قطاف الزّيتون إلى حصاد القمح، وإلى كلّ ما يتعلّق بحياة القرية.

نشرت عددًا من الرّوايات والمجموعات القصصيّة للأطفال وحصلت على جوائز عديدة، منها جائزة الشّاعر سعيد عقل في لبنان وجائزة مجلّة فيروز وجائزة جبران خليل جبران من رابطة التّراث العربيّ في أستراليا، وجائزة مؤسّسة(بالإنجليزية: IBBY) العالميّة لكتب الأولاد على رواية "يوميّات هرّ". تلقت تعليمها الجامعي في الجامعة الأمريكية في لبنان، وحصلت على شهادة الماجستير سنة 1958. تزوجت من فيليب نصر الله وأنجبت أربعة أبناء: رمزي، مها، خليل ومنى.

عملت كروائية، صحفية، كاتبة مستقلة، معلمة، محاضرة، ناشطة في حقوقِ المرأة. أول رواية لها نشرت عام 1962 (طيور أيلول) وحازت على 3 جوائز أدبيه. ترجمت الكثير من رواياتها إلى الإنجليزية والفرنسية، من أعمالها: طيور أيلول (رواية) / شجرة الدفلى (رواية)/ الرهينة (رواية) / تلك الذكريات (رواية)/ الجمر الغافي (رواية)/ روت لي الأيام (قصة قصيرة)/ الينبوع (قصة قصيرة)/ المرأة في 17 قصة (قصة قصيرة).

عرّفها اسكندر حبش ككاتبة تربط عملية الكتابة بعامل الهجرة. فنصر الله التي بدأت عملها في مجال الصّحافة كتبت روايتها الأولى "طيور ايلول" مدفوعة بمعايشتها الشخصية لتجربة الهجرة الصّعبة.

في ذلك الزّمن لم تكن قد عايشت بعد تجربة الهجرة شخصيًّا لكنّها تأثرت بالأجواء النّاتجة عن هجرة إخوة جدتها على محيطها العائليّ. تقول إنّه كان اغتراب الأجيال القديمة حقيقيًّا، فهم كانوا يرحلون ولا يرجعون. كانت وصغار العائلة يقيمون في الحزن والقلق، كما كل الحاضرين، أمّا الغائبون فيمكثون معنا

وجوهًا تبهت ولا تشيخ. استذكرت الكاتبة مشهدًا "يستقر في الذّاكرة"، وهو التقاء المسنين في مركز البريد الذي كان يسمّى حينها "البوسطة". كان "البوسطجي" يأتي مرتين في الاسبوع راكبًا على فرس بسبب وعورة الطّرقات في ذلك الحين. كان يحمل لأهل القرية رسائل الأحبّة التي تكون تارة محمّلة بالأخبار السّارة والمعونة الماديّة، وطورًا ناقلة خبر غياب الأحباب الذي يتحوّل إلى فاجعة.

لقد فكّرت الرّوائية اللبنانية بكتابة رواية تحمل اسم "عودة طيور أيلول"، إلا أنّه بعد بدء الحرب اللبنانيّة الأهليّة سنة 1975، تزايدت حركة الهجرة، وكانت آنذاك تزور المغتربين فتعرّفت على النّاس الذين واكبوا خيالها. كانت تغتنم فرصة اللّقاء بالأقارب، فتنبش الصّناديق القديمة وتقرأ الرّسائل المرسلة وتسمع رواياتهم وأسلوبهم في القصّ.

ظلّت هذه المشاعر تتراكم إلى أن زار والديها أولادهم في كندا لصعوبة حضورهم إلى لبنان بسبب الحرب. عندها استطاعت تسجيل رؤية العالم في عيني "رضوان أبو يوسف"، بطل روايتها "الإقلاع عكس الزمن". تعترف الكاتبة أنّها لم تهاجر بالمعنى المألوف للهجرة، ولكنّ انتقالها من قرية الكفير إلى بيروت جعلها تدرك معنى الابتعاد عن الأرض.

أمّا في رواية "الجمر الغافي"، فتخلّت الكاتبة عن الحنين وأدخلت عناصر جديدة إلى النّظرة إلى المغترب والغربة من خلال أسلوب السّخرية. وفي روايتها "ما حدث في جزر تامايا"، وتامايا هو اسم وهمي لمكان حيث تدور الأحداث في إحدى جزر الكاريبي، استندت إلى لقاء بعض أبناء قريتها إضافة إلى قراءتها بعض رسائل المهاجرين. هذه هي رواياتها الأربع التي تدور حول الهجرة والاغتراب[1]. تنقل الكاتبة حكاية الطّموح اللّبناني من بداياته المحفوفة بالمخاطر وحبّ المغامرة والبحث عن حياة أفضل، مرورًا بالكفاح اليوميّ والسّعي إثر الثّروة بأساليب مشروعة وغير مشروعة، انتهاءً بنهايات فاجعة، ما يجعل من الهجرة

(1) انظر طوني ضو، معجم القرن العشرين وجه لبنان الأبيض، مرجع سابق، 323.
موقع املي نصرالله https://www.emilynasrallah.com/arabic/biography.html
حسين عباس، الرواية والغربة..الكتابة في المنفى والصراع مع الآخر في ندوة لكبار الروائيين العرب في بيروت، /https://www.hdhod.com

حكاية تراجيدية بامتياز، ويحوّل الرواية إلى ملحمة ومختبر لمشاعر وتجارب إنسانيّة شتى.

2 ـ تجلّيات الاغتراب في رواية الإقلاع عكس الزّمن:

أ ـ ملخص الرّواية

رضوان أبو يوسف هو محور رواية الإقلاع عكس الزّمن[1]، وقد قسّمت الكاتبة روايتها إلى ستة مقاطع تبعًا لتوالي الأحداث المهمة فيها. في المقطع الأول تتحدّث الرّواية عن التّحضير للسّفر وركوب الطّائرة، وتبيان الرحلة الطّويلة التي قام بها رضوان مع زوجه، ويتخلّلها عودة بالذّكريات إلى الماضيين القريب والبعيد. وتنتقل أحداث الرّواية في المقطع الثاني بعرض الوصول إلى كندا ولقاء الأبناء والأقارب. أمّا المقطع الثالث فيسرد سفر "رضوان أبو يوسف" إلى نيويورك للبحث عن الأخوة الذين هاجروا وانقطعت أخبارهم، فيعود خائبًا حزينًا لأنّه لم يحصل إلا على معلومات قليلة.

ويعود في المقطع الرابع إلى كندا، ليفجع بوفاة والد زوج ابنته، ووصول أخبار الحرب في لبنان ما يجعله يشعر بقسوة الغربة، وهذا يدفعه في المقطع الخامس إلى اتّخاذ قرار العودة إلى لبنان، وإصراره على ذلك على الرّغم من اعتراض ابنائه، فيعود بمفرده وبقاء زوجه في كندا، أمّا في القسم السّادس، ففيه موت "رضوان أبو يوسف". حيث يوجد جثة هامدة، بعد أن يكون قد خطفه مجموعة من المسلّحين، لتنتهي الرّواية بحوار بين نبيل وحسان ابني رضوان، حول الابتسامة التي علت وجه رضوان عند مماته.

ب ـ الغربة والحرب في الرّواية

في رواية الإقلاع عكس الزّمن سلّطت إملي نصر الله الضّوء على الحرب، ودرست الهجرة النّاتجة عنها. وأشارت الرّواية إلى الحرب ودورها في المجتمعات، فكانت الإشارة إلى الحروب العالمية الأولى والثانية والحرب الأهلية؛ إذ أنّها ساعدت في تكوين شخصية البطل. فمن جانب، "يصمد البطل في وجه اليتم والفقر، بعد أن اقتلعت الحرب العالميّة الأولى أبويه وخلّفته مع ثلاثة إخوة، كبيرهم لا يتجاوز الرّابعة عشرة، واغترب الإخوة عن البلد فظلّوا

(1) إملي نصر الله، الإقلاع عكس الزّمن، بيروت، مؤسسة نوفل، ط 4، 1995.

أسماء في الذاكرة ودخل الإخوة الأربعة عالم اليتم من أوسع أبوابه"[1]. فالحرب أدّت دورًا كبيرًا في حياة بطل الرّواية منذ فتح عيونه.

وتحبك إملي نصر الله نسيج روايتها هذه شاهدًا على العصر والبيئة، فتذكر الظّروف الصّعبة التي مرّ بها لبنان، وتركت هذه الظّروف أثرها على أحداث الرّواية، فتنقل حقبة ما قبل الاجتياح الإسرائيلي الأول عام 1978، وعرضت إلى إهمال الدّولة، وإلى انتشار المسلّحين والحواجز على الطّرقات، كلّ ذلك وبالإضافة إلى الإعتداءات الإسرائيليّة ساهم في دفع الشّباب إلى الهجرة، وقد أصبحت الحرب "مؤامرة دوليّة على لبنان تقودها أمريكا، وكندا لها ضلع فيها من خلال فتح باب الهجرة أمام اللبنانيين"[2]، فالحرب عنصر فاعل وأساسيّ في "تطوّر أحداث الرّواية وفي حركة الشّخصيات، وهي السبب المباشر في وضع الخاتمة ونهاية السّرد"[3].

ج ـ تأثير الغربة على المرأة في الرّواية

حرصت إملي نصرالله في رواياتها على تصوير نماذج للمرأة اللبنانيّة، فصوّرت هذه المرأة القرويّة التي انتقلت إلى المدينة، وبيّنت انعكاس ذلك عليها، فنراها في رواية "طيور أيلول" ترسم معالم الكثير من النّساء في القرية، وكان هذا التّركيز على المرأة ناجمًا عن هجرة الرّجال إلى الولايات المتحدّة الأمريكيّة، وهكذا نراها في نتاجها السّرديّ تضيء جوانبَ من جوانب الغربة وتأثيرها، فكان الانتقاد الاجتماعيّ لهذا المجتمع الذي تغيّرت قيمه الاجتماعيّة وخصوصًا بما يتعلّق بنظرة المجتمع نحو المهاجر العائد الذي نال من الثروة الكثير، فبات له الحقّ بأن يكون قادرًا على اختيار أي امرأة.

وإذا برز اهتمام إملي نصرالله بالمرأة في رواياتها والاهتمام بمعاناة المرأة بين الرّيف والمدينة، فإنّنا نراها في روايتها الخامسة "الإقلاع عكس الزّمن" تخرج عن هذا الموضوع، وتعود للتّركيز على موضوع الهجرة الذي برز بجزء بسيط في روايتها "طيور أيلول". وإذا كان بطل روايتها "الإقلاع عكس الزّمن" هو رجل

---

(1) إملي نصر الله، الإقلاع عكس الزّمن، مصدر سابق، ص 66.

(2) إملي نصر الله، الإقلاع عكس الزّمن، مصدر سابق، ص 144.

(3) زينب جمعة، صورة المرأة في الرّواية- قراءة جديدة في روايات إملي نصر الله، بيروت، الدّار العربيّة للعلوم، ط1، 2005، ص 122.

وليس امرأة، لكنّ لم تغفل حضور المرأة إغفالاً تامًا، وكان ذلك من خلال شخصية "ريّا أبو نجم" زوجة البطل.

وإذا كانت هذه الشّخصية هي شخصية ثانويّة في الرّواية، لكنّها تميزّت بأنها شخصية نامية متطورة، من خلال تحوّلها من حال إلى حال، وكان للغربة والهجرة التّأثير الكبير عليها. فريا أبو نجم هي امرأة جميلة من مستوى اجتماعيّ وحسب رفيع، تتزوّج من "رضوان أبو يوسف" الأقل شأنًا منها، هي المرأة التي تعرف القراءة وهو الأمّي الذي لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك فهي مطيعة له تلبي طلباته من دون تذمّر أو تبرّم، ولا ترفض له رأيًا، وهي الكتومة فقد "تعوّدت منذ عرفته، أن تكتم مشاعرها وتحتفظ بأفكارها لنفسها"[1].

وكانت الهجرة إلى كندا فكان التحوّل في شخصية ريّا، فلم تعد تلك المرأة المطيعة المتلقية للأسئلة، بل أصبحت هي التي تطرح الأسئلة وتقدّم اللوم والعتاب، وعندما قرّر زوجها العودة إلى الوطن وقفت معترضة وبقيت في كندا. إنّ هذا التّحوّل في هذه الشّخصية يُشير إلى تأثير الغربة والاحتكاك بثقافات جديدة، والتّغير الاجتماعيّ الحاصل، وربما في هذا التّحوّل إشارة من الكاتبة إلى رغبتها في تطوير المرأة وحسبانها كيانًا مستقلاً، ولا يعني هذا أنّ إملي تدعو المرأة إلى التّمرّد على حياتها الأسريّة والعائليّة، إنّما هي تبحث عن التغيير الإيجابيّ للمرأة.

د ـ التثاقف والتأثير على الهُوية/ اللغة

طرحت إملي نصرالله في روايتها الإقلاع عكس الزّمن مسألة الهوية التي تعني الكينونة الخاصة بمجتمع بعينه تصف خصوصياته التي غالبا ما تختلف في المضمون عن غيره كمجتمع، وعناصر الهوية الثّقافيّة تتمثّل في العقيدة واللّغة والتّراث. ولم يكن طرح القضية بشكل مباشر وخطابيّ، إنّما كان عبر علاقة بطل الرّواية رضوان مع أحفاده، فهو المسافر إلى كندا بات عاجزًا عن التّفاهم مع حفيده الصّغير وذلك بسبب جهلهم للغة العربيّة، وهذا سبّب خلافًا بينه وبين زوجه، فأخذت تعاتبه "لماذا أثرت موضوع اللّغة يا أبو نبيل؟أخشى أن يأخذ على خاطر الشّباب... وردّ عليها: لكنّ الأمر صعب عليّ، حين لا أستطيع التّفاهم مع

(1) إملي نصر الله، الإقلاع عكس الزّمن، مصدر سابق، ص 73.

أحفادي.. هل تعجبك حالي هذه؟ فقالت بهدوء: لست أفضل منك لكن الفرق بيننا هم أنّك تريد تقويم المقتاية وأنا أتقبّل المور كما تأتي "[1].

جدال بين أبي نبيل وزوجه يكشف قضية مهمة، فهو المتمسّك بأصوله وهويته الرافض للتخلّي عن لغته، وكانت هذه اللغة هي الحاجز الذي منعه من التّواصل مع أحفاده الذين يمثّلون التّأثر بالغرب والذين يحقّقون معنى المثاقفة، وإذا كان هو قد عجز عن التّواصل معهم، فزوجه استطاعت ذلك وقد حلّت المسألة عندما وضعت حفيدها "مايكل" في حضنها "وراحت تلاعبه واستطاعت التّواصل معه عبر اللعب ومن دون الحاجة إلى اللغة، فكانت أقرب إلى الاندماج الثّقافي من زوجها الذي ظلّ رافضًا للثقافة الجديدة.

هذان الموقفان المختلفان بينهما يحقّقان ما قاله باري (J. Berry) عن النّتائج الممكنة للحوار الثّقافي: أوّلها الذوبان والانصهار أي التّخلّي عن الهويّة الثّقافيّة الأصليّة وتبني الثّقافة المهيمنة، وثانيها التّهميش الثّقافيّ أي التّخلّي عن الثّقافة الأصليّة من دون الأخذ من الثّقافة المهيمنة، وثالثها الانفصال الثقافي أي التّمسك بالهويّة الثّقافيّة الأصليّة وترك الثّقافة المهيمنة. وآخرها وهو الاندماج الثقافي ويعني التّمسك بالثّقافة الأصليّة والتّعامل مع الثّقافة المهيمنة[2]. لهذا يتبين أنّ الزّوجة كانت "أكثر مرونة وأكثر قدرة على التّكيّف مع المتغيرات"[3]، ولهذا رفضت موقف زوجها قائلة له: "سوف تظلّ الجورة[4] مقياس كلّ الأمور عندك... المهم أن ينجحوا ويهنأوا بحياتهم أينما كانوا"[5].

وأثارت إملي نصرالله أيضًا في روايتها ما له علاقة بالانتماء، فالأجيال التي تعيش في بلاد الاغتراب تتدرّج ما بين فئة تعيش في كندا متعلّمة اللغة الجيدة ويختلطون بالمجتمع الجديد لكنّهم يعرفون أنّهم لا ينتمون إلى هذا المجتمع بعاداته وتقاليده، فمتى انتهوا من أعمالهم عادوا إلى بيئتهم الخاصة التي يحقّقون فيها ما اكتسبوه من بيئتهم الأصليّة. ومع توالي الأجيال نصل إلى جيل ينتمي أكثر

(1) إملي نصر الله، الإقلاع عكس الزّمن، مصدر سابق، ص 115.

(2) Perry(J),Acculturation et adaptation psychologique, in Acculturation antagoniste, d’apeès DEVERUX(G) anet LOEB (O.M), Voir ici

(3) زينب جمعة، صورة المرأة في الرّواية- قراءة جديدة في روايات إملي نصر الله، مرجع سابق، ص 127.

(4) اسم مكان في قريته رضوان (جورة السنديان).

(5) إملي نصر الله، الإقلاع عكس الزّمن، مصدر سابق، ص 115.

إلى المكان الجديد، فالجيل الجديد بات ينتمي إلى "مكان الهجرة إلى ثقافته ونمط حياته"[1]، فالهويّة الثّقافيّة تمثل كلّ الجوانب الحياتيّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والحضاريّة والمستقبليّة، لأعضاء الجماعة الموحدة التي ينتمي إليها الأفراد بالحسّ والشّعور الانتمائيّ لها. هكذا كانت الأديبة إملي نصر الله المهاجرة والمعبرة عن قضايا الهجرة والاغتراب من دون أن تهاجر فعليًّا، لكنّ الاحتكاك بمن حولها جعل هذه القضية أساسيّة في نتاجها الأدبي، سواء أكان الانتقال من القرية إلى المدينة أو من لبنان إلى بلاد العالم.

خامسًا: تجربة لطيفة الحاج قديح (1947...-)

1 ـ لطيفة الحاج قديح... والحياة الأسريّة

من مواليد ساحل المتن الجنوبي (الغبيري) متزوجة من الفنان مالك قديح من النبطية، ولهما ثلاثة أولاد، وأربعة أحفاد. حاصلة على شهادة دار المعلمين والمعلمات العليا. وليسانس في العلوم الطبيعية من الجامعة اللبنانية، وماجستير في التربية من جامع "كيبيك" الكندية. عملت في حقلي التّربية والتّعليم وناشطة في الحقلين الثقافيّ والأدبيّ.

هاجرت مع عائلتها إلى المملكة العربية السعودية، أبّان الحرب الأهلية ثم إلى كندا، حيث عملت في مدارس "الليسيه الفرنسّية"، وقامت بتأسيس مدرسة للغة العربية (في مونتريال)، ثم عادت لتستقر في لبنان في العام 1993، من مؤلفاتها الأدبية: خمس روايات: مواويل الغربة، صخرة الروشة، البحث عن السعادة، شجرة النور، ومجموعة "حياة جديدة". وسلسلة "مقامات نون النسوة" وهما: الجزء الأول: "بحث عن أوضاع المرأة العربية والمسلمة". والثاني بعنوان "مريم وفاطمة (ع) لؤلؤتا الإنسانية". والثالث رواية بعنوان "آخر النفق"[2].

ولطالما كان راهن المرأة بوصلةً لمجمل نتاجات لطيفة الحاج قديح الروائيّة والبحثيّة على حد سواء، فما يربط بين نتاجها الأدبي هو المرأة والحياة بشكل عام بما فيها من تشعبات.

---

(1) زينب جمعة، صورة المرأة في الرّواية- قراءة جديدة في روايات إملي نصر الله، مرجع سابق، ص 130.

(2) الانترنيت: موقع ويكيبديا https://ar.wikipedia.org
ولقاء مع الكاتبة ومن خلال السيرة الذاتية الخاصة بها.

2 ـ تجلّيات الاغتراب في رواية مووايل الغربة:

أ ـ ملخص الرّواية

هي رواية[1] تتحدث عن عائلة حاتم ووفاء، وهي عائلة لبنانية هربت من شبح الحرب وما تحمله من رسائل موت، وقرّرت الهجرة إلى كندا، لتقع الأسرة هناك ضحية اختلاف الثّقافات بين البلدين، وما آل إليه حال الأبناء بعد تعلّقهم بالغرب وأفكاره. وكان الأب منشغلاً في العمل لتوفير الحياة الكريمة لأسرته، ونسي تقوية العلاقات بينه وبين أبنائه في الغربة. وتتحمّل الأم هذه المهمّة للحفاظ على هويتها وهوية أسرتها، وحمايتها من الثّقافة الغربية المختلفة عن تقاليدهم ومبادئهم. ولكنّها تصطدم بتمرّد ابنتها على هويتها وتقاليدها واندماجها في بلاد المهجر بكل ما تحمل من عادات وأساليب مختلفة.

وتقول الكاتبة عندما كتبت "الرواية" كان هاجسي الأول هو الإنسان، بكل أبعاده الوجوديّة، كيانًا وعقلاً وروحًا، وربما كانت الأسرة هي هاجسي الأشمل، وتحديدًا الأسرة الشرقيّة، العربيّة، المسلمة. وترى الأديبة الرّوائية الأديبة إملي نصرالله، أنّ "لطيفة الحاج" في مواويل الغربة روائيّة متمكّنة من الضّربة الأولى، إن من ناحية الموضوع والأسلوب، أو اللغة، وهي صاحبة نظرة عميقة في فهم مجتمعها، وطنًا ومهجرًا. والرّواية من الرّوايات الجدية الحاملة همّ السؤال، والبحث عن الجواب، وتطرح مشكلة كبرى في تصويرها سلبية المرأة التي تبلغ في بعض المواقف حالة الإلغاء والتغييب"[2].

ب ـ العلاقة بين الشّرق والغرب

إنّ العلاقة بين الشّرق والغرب قضية مهمة، وترد بشكل دائم في الرّوايات التي تتحدّث عن الغربة والهجرة، ويعود ذلك إلى ارتباط هذه القضية بمكونات الهوية التي تعدّ من أهم المؤثرات في سمات الشخصية. فهي تحدّد صاحبها فكرًا وثقافة وأسلوب حياة. ومتى كانت الهوية واضحة مستقرة، تميّزت بالثّبات والرّسوخ. أمّا إذا كانت مهزوزة ومتناقضة، فإنّ المرء يعاني من الانحلال والتّميع في عقيدته وأخلاقه وسلوكه. فالهوية هي التي تحفظ كيان الشخصية، ومن دونها يتحوّل

(1) لطيفة الحاج، مواويل الغربة، بيروت، دار الفارابي، ط 1، 2000.

(2) جريدة الانوار بتاريخ 15_2_ 2001.

الإنسان إلى كائن تابع. والشّباب في الوقت الحالي من تتسم هويته بالفوضى والارتباك والقلق بسبب التّقليد الأعمى والتّشبّه بالغير.

وهذا ما تعالجه رواية مواويل الغربة، ففقدان الهوية الواضحة للابنة لارا جعلها تقع فريسة الغرب، والتّقليد الأعمى لعادات غربيّة لا تنتمي إليها. وتتجسّد المأساة العائليّة في تمرد الابنة "لارا" (بطلة الرواية) على إرادة أهلها رغبة منها في الاندماج والتأقلم مع قيم المجتمع الجديد، حيث وعت وتفتحت رغباتها، بينما تحاول الأم ابقاء ابنتها مقيمة على وفائها وعذريتها وطهارتها المستمدة من قيم مجتمعاتنا الشرقية، "يا للكارثة، ويا لهول ما تسمع، تكاد لا تصدّق أذنيها أمن المعقول أنّ ابنتها لارا البريئة، الدّلوعة، المغناج، التي تربّت في حضنها على الشّرف والفضيلة والأخلاق الحميدة، تحبّ مغني "الروك أند رول" وتسعى للزّواج منه. دون الرّجوع إلى رأي العائلة"[1]، مأساة تواجهها الأم ولا تعرف كيف تتصرّف، خصوصًا مع غياب الأب الذي تركها تتحمّل مسؤولية العائلة بسبب انشغاله في العمل، وتواجه الأمّ أزمة في التّعامل مع ابنتها المدلّلة التي لا يُرفض لها طلب، لكن هذا الأمر من الصّعب القبول به.

ويكبر الصّراع في قلب الأمّ، خصوصًا أنّ في أعماقها امرأة شرقيّة، فبات من المستحيل قبول هذه العلاقة، وتكثر الأسئلة في عقل الأم وتحاور نفسها عن سبب الرّفض، "ما الذي ترفضينه يا وفاء في هذه العلاقة بالتّحديد؟ هل هو عمل توني ستون كمغنٍ أم لأنّه من جنسية مختلفة؟ أو، هل لأنه يدين بيدن آخر، ويؤمن بقيم وعادات مختلفة؟"[2]. نعم عوامل متعدّدة تقف حجر عثرة أمام القبول، فإذا تجاوزت أمرًا وقعت بما هو أصعب، ومشكلتها أنّ زوجها أيضًا رجل شرقيّ متزمّت تربّى على قيم ومفاهيم لا يمكنه تجاهلها، من هنا تبرز هذه المعضلة الدّائمة بين طبيعة مجتمعين يختلفان في القيم والعادات، "ومع ذلك، فإنّ وفاء لم تتخلّ عن الأمل، الأمل في أن تتراجع لارا عن الطّريق الذي تسلكه، وتنتبه إلى ما ترتكبه من خطأ في حقّ نفسها وحقّ عائلتها، فتتخلّى عن هذه العلاقة، أو يتخلّى

(1) لطيفة الحاج، مواويل الغربة، مصدر سابق، ص 136.

(2) لطيفة الحاج، مواويل الغربة، مصدر سابق، ص 133.

الرّجل عنها وهو المعروف باستهتاره وعدم جديّته، أو يحدث أمر ليس في الحسبان يغيّر من حال إلى حال أفضل"[1]. وقد رأى جواد الصّيداوي: "أنّ رواية "مواويل الغربة" تحمل قيما تربويّة وإنسانيّة عالية المضمون، وتشكّل إضافة إلى النّتاج الرّوائي اللبنانيّ. وقد تكون الرّوائيّة في عملها الأول هذا تتابع في ظروف ومعطيات مختلفة الموضوعات التي بدأت مع الحي اللاتيني "لسهيل ادريس"، وعصفور من الشّرق "لتوفيق الحكيم" "[2].

ولم يكن الخلاص من هذه الأزمة سوى العودة إلى أرض الوطن، وإبعاد لارا عن حبيبها المغني، لكنّ ذلك لم يمنع لارا من متابعة تمرّدها على موقف عائلتها، فهي تتمرّد على كلّ قيمها الموروثة وعلى الشّرق الذي في داخلها، وتواجه والدها بحقّها في الحرية التي أعطاها إياها سابقًا، "لقد ربيّتني على الحريّة، وها أنا أمارسها، فأنا حرّة، أفعل ما أشاء، أخرج مع من أشاء، وأحبّ من أشاء. لقد تجاوزت العشرين. أم أنّك نسيت ذلك يا والدي العزيز؟؟ قالت لارا كلماتها بتهكّم واضح، ثمّ أردفت تقول: ألا يكفي أنّكما أرغمتماني على البقاء في هذا البلد البائس؟"[3]، نعم اختلاف في القيم يجعل من حقّ الفتاة متى وصلت إلى سن الثّامنة عشرة من الاستقلاليّة عن العائلة، وهذا ما يتناقض مع المفهوم في الشّرق. وإحساس لارا بفقدانها حريّتها يجعل نظرتها إلى الوطن الأصليّ نظرة كئيبة فبات بلدًا بائسًا، وتكون نهايتها موتًا سقوطًا عن سطح البيت في أثناء هروبها من والدها، واقتياد والدها إلى الشّرطة للتّحقيق معه. وقد رأى الدكتور جان طنوس أنّ الرّوائيّة لطيفة الحاج تدين الواقع وفق ما يتجلّى في أبطالها، فلا الشّرق معصوم، ولا الغرب كامل، كيف لا والزّوج تزوّج سرًّا وهو ما يراه المجتمع بأنّه بتأييد من الشّرع مع ما تعانيه الزّوجة من الحرمان، وأحيانًا خطر الغواية[4]. إنّ إدانة الغرب في تغيير القيم والمفاهيم لا بدّ أن يبدأ بتقويم قيم الشّرق وما فيها من ثغرات تدفع أبناءه إلى الارتماء بمجتمع آخر.

---

(1) لطيفة الحاج، مواويل الغربة، مصدر سابق، ص 137.

(2) كلمة قالها في ندوة أقامها المجلس الثقافي للبنان الجنوبي/ وقد ذكرتها الكاتبة في سيرتها الذّاتية.

(3) لطيفة الحاج، مواويل الغربة، مصدر سابق، ص 223.

(4) جان طنوس، وقائع ندوة حركة الحوار الثقافي حول رواية مواويل الغربة، جريدة النّهار، الخميس 5 نيسان 2002.

ج ـ الهجرة والحرب

تعدّ رواية مواويل الغربة رواية اغترابيّة ومعاصرة للحرب، فعائلة حاتم ووفاء قررت الهجرة هربًا من واقع لبنان وأزماته، ومن الحرب الأهليّة والاعتداءات الإسرائليّة عليه، فكان الهدف البحث عن الأمان وعن الحريّة: حرّيّة الفكر وحرّيّة التّعليم وحرّيّة التّصرّف كما قالت "وفاء"، فالأولاد يكبرون وهم بحاجة إلى ذلك والوطن لم يعد يستطيع أن يقدّم ذلك، "وكالطّيور المهاجرة، قرّرت عائلة حاتم حمزة أن ترحل نحو الشّمال. وكأنّما جاء الغزو الإسرائيلي لبيروت في العام 1982 ليؤكّد للعائلة صحّة ما أقدمت عليه، وليدفعها [إلى] تنفيذه بأقصى سرعة ممكنة، ولم يكن هيّنًا على الأسرة أن تتّخذ قرارًا كهذا على الرّغم من أنّ عائلات كثيرة صديقة كانت قد سبقت إلى هناك..."[1]، أسباب عديدة تدفع العائلات إلى الهجرة، فكانت هذه الرّواية ترسم ملامح الهجرة التي اتّخذها أبناء لبنان على مرّ الزّمن، ومنها واقع الحرب وأزمة لبنان خلال هذه الحروب. ومن الأسباب أيضًا هو البحث عن بلد يمنح صاحبها فرصة للتّخلّص من جواز السّفر اللّبنانيّ الذي أصبح كالعملة المزورة[2]، وبالإضافة إلى ذلك البحث عن بلد يؤمّن الاحتياجات اللازمة، فكانت كندا التي هي كغيرها من البلاد المتطوّرة تضمن للمواطن حقّ الطّبابة المجانيّة مدى الحياة[3].

إنّ عائلة حاتم حمزة في هذه الرّواية تبدو أنموذجًا للعائلة اللبنانيّة التي تعيش التّشتت والتّصارع والتّشرزم، والتّناقضات بين الأشخاص والأحداث والقيم بين مجتمعين محتلفين، فكانت الغربة تعبيرًا عن تنوّع المشاعر نحو الوطن، فالوطن بالنسبة إلى البطلة "وفاء"، صورةٌ وروحٌ، وعندما يبتعد الإنسان يأخذُ معه الصورةَ والروحَ، وربما مع الابتعاد تصبح الصورةُ أكثر لمعانًا، وإشراقًا، وتصبح الروحُ أكثر خفةً وشفافيةً؛ ويبقى الوطنُ حيًّا في الضّمير ولكن بلغة الآخر[4]. والوطن ليس سياجًا ولا حدودًا مشتركة ولا مجموعة خطوط وخيوط... إنّه أزل ننتمي إليه طوعًا، في الرّوح قبل الجسد. هذا الموقف من قبل الأمّ كان مختلفًا عند الأبناء،

(1) لطيفة الحاج، مواويل الغربة، مصدر سابق، ص 31.

(2) لطيفة الحاج، مواويل الغربة، مصدر سابق، ص 30.

(3) لطيفة الحاج، مواويل الغربة، مصدر سابق، ص 30.

(4) لنا عبد الرحمن، مقالة نقديّة عن مواويل الغربة، جريدة الكفاح العربي، 30 / 12/ 2000.

فهذه ابنتها سارة ترفض العودة إلى الوطن بعد الحصول على الجنسية الكنديّة، "لا، لا يا ماما، فأنا سعيدة هما في كندا، وأنا لم أعد أعرف أحدًا في لبنان. حتى أولاد خالتي الذين كنت ألعب معهم أشعر أنّهم أصبحوا غرباء عني"[1].

وتواجه الأمّ معضلة تفكّر فيها، فهل عودتها إلى الوطن الذي تحبّه سيحقّق لها السّعادة بعيدا من أبنائها، فقد وضعتها سارة أمام حقيقة قاسية، فهي ترفض العودة إلى وطن متعب مثخن بالجراح، خصوصًا بعد أن تفتحت عيناها على الحياة خارج الوطن وشعرت بالأمان، "فلم يكن هيّنًا عليها أن تفهم لماذا نحوّل هذا الوطن إلى بلد معاق، مشوّه مقطّع الأوصال، لماذا عليها إذًا أن تمشي في طرقات مليئة بالحفر؟ وأن تقضي الليل على ضوء مصباح لاهث متعب؟ لماذا تترك من عرفتهم وأحبتتهم هناك وتأتي إلى وطن لم تعد تعرف فيه أحدًا؟"[2]. إنّها قضية انسلاخ عن الوطن وهروب ممّا فيه من مآسٍ، فباتت العلاقة مع الوطن علاقة ماديّة وفيها حسبان للخسارة والمكسب، فما بين الأمّ المحبّة لأرض الوطن تحسبه الروح لها، والابنة التي تنظر إلى الوطن بما يمكن أن يقدم لها من منافع، صورة حقيقة استطاعت الرّواية التي تناقش قضية الاغتراب أن تنقلها لنا، بالإضافة إلى أنّ هذه النظرة المرتبطة بالمنفعة الماديّة للوطن عكستها دائمًا فكرة الهجرة والاغتراب. واستطاعت رواية مواويل الغربة أن تعالج قضية الاغتراب وما تتركه من أثر على الأسرة اللبنانيّة وعلى المجتمع اللبنانيّ، بحيث تترك في المتلقي الأثر الكبير الذي يتفاعل الطّابع الإنسانيّ والاجتماعيّ لأحداث هذه الرّواية التي جرت بين لبنان وكندا.

الخاتمة

لقد أفضت بنا الدّراسة التي أردنا من خلالها الرّكائز والسّمات التي تغلّف الكتابة النسائيّة السّرديّة، وعلاقة ذلك بالغربة والهجرة، هذه الهجرة التي عاشها المجتمع اللبناني، فكانت الملاذ والمنقذ له من واقع اجتماعيّ وسياسيّ وماديّ بكلّ ما فيه من آلام وآمال بالجديد.

وتميّزت الرّوائيات اللبنانيّات موضوع الدّراسة بأنّهنّ خبرنَ الهجرة، وعرفنَ

(1) لطيفة الحاج، مواويل الغربة، مصدر سابق، ص 28.

(2) لطيفة الحاج، مواويل الغربة، مصدر سابق، ص 23.

معنى الاغتراب، إن كان بشكل مباشر عبر هجرتهنّ، واحتكاكهنّ، أو عبر هجرة من حولهنّ، فتأثرنَ بهذا الواقع الأليم، ونقلنَ المعاناة. وقد استطعنّ إثارة قضايا عديدة، وكنّ في أكثر من موقف يتّسمن بالرّيادة.

وقد نلمح في نتاجهنّ الأدبيّ سمات مشتركة، فجاءت التّجربة الإبداعيّة عندهنّ تنادي بتحرير المرأة، وكانت نصوصهنّ خطابات موجهة إلى المجتمع، عن طريق فضح سلوكياته المجحفة في حقّ المرأة. فحاولن التّنبيه من محاولة استدراج المرأة إلى كهوف الجهل والتّخلّف، والدعوة إلى منحها الفرصة للمساهمة في تطوير المجتمع ونهوضه.

وبرزت اهتمام الأديبات بدور الأسرة والعائلة، وأهمية الحفاظ على كينونتها، لأنّ في ذلك حفاظًا على المجتمع، والحفاظ على هويته.

والهجرة أدّت دورها في تبيان قضية التّثاقف والتّفاعل بين الشّعوب، فكان الحفاظ على الهوية هاجسًا اهتمت به الرّوائيات اللبنانيات، فظهرت لنا المواقف المختلفة من فكرة الهجرة، وما يمكن أن تقدّمه من إيجابيات، مع كيفية الحفاظ على صورة الوطن وعدم الانسلاخ عنه، مع تصوير الاختلاف في القيم والعادات.

وكان الوطن بمصاعبه وحروبه وفتنه في قلب الأديبات، فبحثن عن معنى التّسامح والتّعايش بين أبناء الوطن الذي تنوّع بطوائفه وفئاته.

ولم تكن الأديبات بعيدات من موضوع السّلطة والسياسة، فكان الصّراع على السّلطة أمام أعينهنّ يبرزنَ الظروف التي نتجت عن المطامع السّياسيّة. فمن السّمات المشتركة بين الرّوايات هو تحقيق الذّات، إلاّ أنّها ذات لا تقوم بنقل حالة فرديّة في المجتمع، وإنّما هي تنشد تخليص جماعتها من السّلطة المزيفة.

والمرأة لا تغفل عاطفتها، فكان الحبّ بارزًا في الأحداث التي توالت عبر حبكة الرّوايات، مع تصوير الصّراع القائم للحفاظ على هذا الحبّ.

قضايا متنوعة وعديدة طرحتها الأديبات اللبنايات موضوع الدّراسة، وكان للهجرة والاغتراب ذلك الدّور في تفعيل أرائهنّ، وقادهنّ إلى نشدان التّغير ورفض الواقع. ولسنا نحصر الإبداع السّردي للمرأة اللبنانيّة في الأسماء التي تمحورت حولها هذه الدّراسة، فالغوص في الكتب والسّير يعرض أمامنا اسماء عديدة، لكنّ اختيار هؤلاء كان مرتبطًا بالتّسلسل التّاريخي من جانب، ومن جانب آخر تميّز بعضهنّ بالرّيادة، وصولاً إلى اختيار نماذج معاصرة، تفاعلت مع قضايا الاغتراب

والوطن. ولن تكون هذه الدّراسة خاتمة، بل إنّها تفتح الأفق للبحث عن أديبات جعلنَ يراعهنّ في خدمة القضايا الإنسانيّة، وقدمنَ للسرد النّسوي الكثير.

إلى هذا انتهت الدّراسة، فأرجو أن أكون قد أضفت ما ينتفع به الآخرون، وحسبي التّطلّع إلى الأفضل، وأن أكون قد جانبت الصّواب، غير مدعيّة أنّه خالٍ من الشّوائب والنّواقص، وما ذلك إلاّ لأنّنا بشر نخطئ في أعمالنا ونصيب، والكمال لله وحدَه، وما توفيقي إلاّ بالله.

المصادر والمراجع:

أ ـ الكتب العربيّة

1 ـ إبراهيم، حافظ، **ديوان حافظ إبراهيم**، ضبطه وحقّق له: أحمد أمين وأحمد الزّين وإبراهيم الأبياري، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ط 3، 1987.

2 ـ أيوب، نبيل، **النّقد النّصّي وتحليل الخطاب، نظريّات ومقاربات**، مكتبة لبنان ناشرون، 2011م.

3 ـ بدر الدّين، علي، **الاغتراب اللّبنانيّ آلام وآمال (آراء ومواقف)**، لا ن، لا م، لا ط، 2002.

4 ـ جمعة، زينب، **صورة المرأة في الرّواية- قراءة جديدة في روايات إملي نصر الله**، بيروت، الدّار العربيّة للعلوم، ط1، 2005.

5 ـ الحاج، لطيفة، **مواويل الغربة**، بيروت، دار الفارابي، ط 1، 2000.

6 ـ حسين، جميلة أمين، **المرأة في الرّواية اللبنانيّة المعاصرة (1899-2009)**، بيروت، دار الفارابي، ط 1.

7 ـ الزّركلي، خير الدين، **الأعلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ط 10، 1992.

8 ـ سابايارد، نازك، وبيومي، نهى، **الكاتبات اللبنانيات ببيليوغرافيا 1850-1950**، بيروت، دار الساقي، ط 1، 2000.

9 ـ شعبان، بثينة، **100 عام من الرّواية النسائيّة العربيّة (1899-1999)**، بيروت، دار الآداب، ط 1، 1999.

10 ـ ضو، طوني، **معجم القرن العشرين وجه لبنان الأبيض**، زوق مصبح، لبنان، دار أبعاد للنّشر والتّوزيع، لا ط، لا ت.

11 ـ فرّان، لطفي، **زرع أخرج شطأه**، لا م، لا ن، لا ت، ج 3.

12 ـ فرحات، درية كمال، **التّمرّد في شعر الشّاعرات البحرينيّات**، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، ط 1، 2014.

13 ـ فوّاز، زينب، **حسن العواقب**، بيروت، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، ط 1، 1984.

14 ـ فوّاز، فوزية، **تحقيق عن زينب فواز وتقديم لكتاب حُسن العواقب**، بيروت، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، 1984.

15 ـ كرم، عفيفة، **بديعة وفؤاد**، هاي ستريت، وندسور، اللمملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، لا ط، لا ت.

16 ـ المقدسي، أنيس، **الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث**، بيروت، دار العلم للملايين، ط 2، 1960.

17 ـ نصر الله، إملي، **الإقلاع عكس الزّمن**، بيروت، مؤسسة نوفل، ط 4، 1995.

18 ـ هاشم، لبيبة، **كتاب في التربيّة**، القاهرة، مطبعة المعارف، ا ط، 1911.
19 ـ هاشم، لبيبة، **قلب الرّجل**، سوريا، منشورات دار المدى، ط 1، 2002.

ب ـ الكتب الأجنبيّة

1 - Perry(J),Acculturation et adaptation psychologique, in Acculturation antagoniste, d'apeès DEVER-UX(G) anet LOEB (O.M), Voir ici

ج ـ المجلاّت والجرائد

1 ـ جريدة الانوار بتاريخ 2001/2/15.
2 ـ طنوس، جان، **وقائع ندوة حركة الحوار الثقافي حول رواية مواويل الغربة**، جريدة النّهار، الخميس 5 نيسان 2002.
3 ـ عبد الرحمن، لنا، **مقالة نقديّة عن مواويل الغربة**، جريدة الكفاح العربي، 30 / 12/ 2000.
4 ـ عدنان، ياسين، **اللبنانيّة عفيفة كرم صاحبة أول رواية عربيّة؟**، جريدة الأخبار، العدد 628، 2008/9/16.
5 ـ محجوب، سليمة، **عفيفة كرم أديبة من المهجر**، جريدة الأسبوع الأدبي، دمشق، اتّحاد الكتاب العرب، العدد 1279، 2012/1/14، السنة السادسة والعشرون.

د ـ المواقع الألكترونيّة

1 ـ موقع املي نصرالله https://www.emilynasrallah.com/arabic/biography.html
2 ـ عباس، حسين، الرواية والغربة...... الكتابة في المنفى والصراع مع الآخر في ندوة لكبار الروائيين العرب في بيروت، https://www.hdhod.com/
3 ـ العيد، يمنى، **اكتشاف لبيبة هاشم وروواياتها**، ابريل 2002، تمّت زيارة الموقع في 21 أيلول 2019، www.alhayat.com/article.
4 ـ الانترنيت: موقع ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org

هـ ـ اللقاءات والمقابلات والندوات

1 ـ جواد الصّيداوي، **ندوة حول رواية مواويل الغربة**، المجلس الثقافي للبنان الجنوبيّ.
2 ـ لقاء مع الأديبة لطيفة الحاج، مع تقديم سيرتها الذاتية.

المسرحيون اللبنانيون المهاجرون الشباب بين الأنا/الذات والآخر (نموذج الهجرة إلى الغرب: كندا - ألمانيا - فرنسا):

أ.د. وطفى البدوي حمادي



- أستاذة في الجامعة اللبنانية، وعضوة في تجمع الباحثات اللبنانيات، حائزة على شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي والمسرحي.
- شاركت في عدد كبير من المؤتمرات والندوات العربية والدولية.
- لها مؤلفات في المسرح النسوي ومسرح الشباب العربي.
- شاركت في عدد كبير من لجان التحكيم للنصوص والعروض المسرحية العربية.
- حازت على جائزة البحث العلمي في أبو ظبي.

"لماذا لا يكون مسرحي عشبا أخضرا، لن يطول عاليا كالنخيل، لكنه سينتشر ويغطي الأرض التي أنا عليها بالخضار"[1]. هذه دعوة المخرج المسرحي العراقي المهاجر إلى السويد كريم رشيد.هي دعوة لانتشار الأنا وتفاعل الذات على أرض المهجر أي على أرض الآخر، وعليها تريد الأنا الذات المهاجرة أن تتفاعل مع هذا الآخر وهي بحاجة له، وليس كما يعتبر ديكارت من منطلق وحدانية الذات Le solipsisme "أ نا وحدي موجود... فالإنسان يعي ذاته بذاته دون الحاجة إلى وساطات الغير حتى ولو كان هذا الغير مشابها لي"[2]. لقد أثار هذا الطرح لدينا التساؤل التالي: كيف يمكن للأنا أن ترى ذاتها وتقيمها؟ أليست الأنا تعي ذاتها من خلال ارتباطها بالآخر، ارتباطا متنوع الأشكال؟

من هذه المساءلات نسعى إلى تقصي طبيعة هذه العلاقة بين الأنا والآخر والذات والموضوع، لأنه في كل منعطف من منعطفات التاريخ العربي يعاد طرح مسألة علاقة الأنا مع الآخر. وقد بدأها النهضويون التنويريون اللبنانيون الذين هاجروا إلى مصر: كالصحفيين(البساتنة وجرجي زيدان) والشعراء خليل مطران والمفكرين (فرح أنطون)، ثم تلاهم رائد المسرح العربي اللبناني مارون النقاش الذي جاء بالمسرح، هذا الذهب الافرنجي وألبسه حلته العربية، وبعدها استخدمه ليعبر من خلاله على خصوصية الهوية العربية، فذهب لاستلهام موضوعات مسرحه من التراث العربي بهدف عدم الذوبان في نتاج هذا الغرب.

أما اليوم، وفي ظل المستجدات التي كثفت من أسباب هجرة اللبنانيين وخاصة

---

(1) كريم رشيد، مسرح المهاجرين العرب، فن طباعة الأثر في الفراغ وحيرة التشظي بين الهنا والهناك، مخطوطة في مكتبتي.

(2) "https://ar-ar.facebook.com/permalink.php

الفنانين ونوعتها، فنجد أن هذه المسألة صارت تطرح على كل المستويات وفي كل المجالات الفكرية والثقافية والاقتصادية، وبرزت تجلياتها في مسرح المهاجرين اللبنانيين الذين انتقلوا من بلادهم إلى ما وراء الحدود، عن طريق الهجرة إلى الغرب، بداعي الدراسة، أو البحث عن عمل، أو طلبا للجوء السياسي حيث يعيشون غربتهم، وحيث سيلتقون بالآخر، فيبرز في مسرحهم سؤال الآخر، الذي يضع هذه الذات مقابل الآخر، بهدف الكشف عن كل جوانب أناهم وذاتهم المعرفية ودرجة الوعي التي بلغتها.

أهمية الدراسة

إزاء طبيعة هذه العلاقة ومن منظور جدلي، تكمن أهمية الدراسة في تناولها لموضوع قلت الدراسات التي تناولته وهو موضوع المسرحيين اللبنانيين المهاجرين، والذي يعالج حالة التثاقف مع الآخر، ويكشف عن الإضافات التي طورت وتتطور مسرحنا اللبناني في الداخل.

هدف الدراسة

نسعى في هذه الدراسة إلى استجلاء مسارات التعبير في مسرح هؤلاء المهاجرين اللبنانيين، على المستوى الفكري من خلال دراسة هذه النصوص، لنتبين إمكانية التعبير عن الذات وجعلها في علاقة ندية مع الآخر، وللكشف عن رؤية هؤلاء المسرحيين في معالجة قضاياهم في بلاد المهجر، ومسارات التأقلم مع هذا الآخر، ومع البيئة الجديدة، أوالإحساس بالتهميش من قبل هذا الآخر، مما يؤدي بالتالي إلى تهميش الذات.

إشكالية الدراسة

تثير هذه الدراسة إشكالية البحث عن الأنا /الذات "الذي لا يفهم إلا في ضوء وعينا بالآخر"[1] لتطرح مساءلة عن تمكن المسرحيين اللبنانيين المهاجرين إلى ما وراء الحدود من التعبير عن هذه العلاقة في مسرحهم، وتحقيق التصالح مع الذات من خلال تغيير طبيعة الحيز الذي وضعوا فيه. وتتعاقب أيضًا معه المساءلات التالية: هل عبر هؤلاء من خلال مسرحهم عن الصراع بين الأنا/ الذات

(1) عبد الله إبراهيم، إلى ما وراء الحدود مركزية الآخر وملفوظات الأنا.. قراءة في الحوار بين الاستشراق والاستغراب اليامين بن تومي، http://www.kalema.net/v1

والآخر؟هل تمكن هؤلاء المسرحيون الذين انفتحوا على العالم وعلى المسرح العالمي من التعبير عن القضايا المشتركة في ظل الإرهاب الذي شمل العالم، ومن التحاور مع مسرح الآخر في مسار إبداعي، أم من الوقوع في فخ الذوبان الذي يدفع بهم للتخلي عن خصوصية الهوية؟هل برزت حالة التثاقف بين المسرح اللبناني وبين مسرح بلاد المهجر؟هل أضاف المسرح اللبناني المهاجر تجارب حداثية ونوعية إلى مسرح الداخل؟ هل عبر هؤلاء عن مفهومهم للعلاقة مع الجسد المرتبط ببيئتهم، أم استعانوا بمفهوم الآخر له وانفتحوا عليه، نظرا لاعتبار هذا الغرب هو المركز الأساس للثقافة والفكر والاقتصاد والسياسة والقيم؟ الغرب المرجع والشرق الموضوع، لأن المهاجرين غالبا ما يرددون، "فليسمعنا الآخر الغرب، فلنعرفه على إنجازاتنا، وعلى إبداعتنا".

مادة الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على تناول بعض الأعمال المسرحية، التي تردّ على هذه المساءلات من خلال بنية فنية استندت إلى النظرية الدرامية الغربية، ولكنها صيغت بقالب عربي، لجهة اللغة والحوار والبعد الفكري. المخرج نبيل الأظن، والكاتب جورج شحادة مؤلف النص المسرحي الشهير "مهاجر بريسبان"، الممثلة ميراي معلوف في فرنسا، والمخرج والكاتب مجدي أبو مطر والكاتبة عبلة فرهود في كندا.

في نص "المهاجر.."، "عالج جورج شحادة حكاية تختلط فيها الشاعرية بالواقع، حكاية تفصح عن معاناة جيل اعتصرته الغربة، وأفضت به إلى متاهات وعوالم غريبة عنه جردته من كل سعادة يمكن أن يحظى بها إنسان، عوالم يتحول فيها الحلم إلى رديف أو بديل عن الواقع. في هذا النص يكشف جورج شحادة ألغاز الغربة ويفكك رموزها، ليرسم بلغة وجدانية صورة ما يعتمل في داخل كل فرد تساوره الرغبة والحنين إلى أرضه، بعد أن تستبد به سنوات الوحشة والغربة التي يمنحها أجمل سنواته"[1].

الممثلة ميراي معلوف

الممثلة التي وقفت ذات يوم على الخشبة لتعرف طريقها إلى العالمية، انتقلت

(1) جريدة الأخبار، ومحمد حجازي

من بيروت الستينيات والسبعينيات التي عرفت يومها «العصر الذهبي» للمسرح. والتحقت بـ «المركز العالمي للبحث المسرحي» الذي يديره المخرج البريطاني في باريس بيتر بروك في الفرقة التي تحوي ممثلين من مختلف البلدان. بدأت تجربتها تتبلور، في تأدية دورها الأول مع بروك في مسرحية شكسبير «تيمون الأثيني» وتألّقت بحضورها في مسرحية «المهابهاراتا»، الملحمة الهنديّة التي جعلها بروك إحدى روائع المسرح العالمي المعاصر في شخصيات (غانداري، غانغا، غوديشنا، فيازا) كان التلاقح الثقافي غنيا مع مسرحه، حيث ستقضي معلوف 17 عامًا[1].

مجدي أبو مطر

المهاجر إلى كندا حيث عرف أنه حسب قوله "لن أوظف في المسرح الكندي. واكتشفتُ أن أحدًا لن يعطيني وظيفة في المسرح، عليّ أن أخلق فرصتي بيَدي. فلمعت في رأسي فكرة قيام مسرح متعدد الثقافات، وأتى اسم MT Space وفي تلك التسمية أيضًا تيمنًا بكتاب Empty Space "آلفضاء الفارغ" لبيتر بروك. وظهرت المؤسسة العام 2004، التي تركز على مسرح قائم على إبراز الأصوات المهمشة وعلى التعددية الثقافية[2].

عبلة فرهود

المهاجرة إلى كندا والروائية والكاتبة المسرحية اللبنانية، كتبت سبعة نصوص مسرحية من بينها: "عندما كنت كبيرة" "بنات 5010-" .15 "ألعاب الصبر" وروايتها الممسرحة "سعادة بذنب أملس" وهي عبارة عن حوار ذاتي طويل مسرحي، تعالج فيها موضوع عذابات الهجرة، وهو كما تقول: "الموضوع الذي لا يرسو على مرفأ الاستقرار"[3].

نبيل الأظن

المخرج اللبناني نبيل الأظن المقيم في باريس منذ 30 عامًا. "شغلته قضايا الصراع بين اللغة الأم ولغة الآخر والحوار والهجرة والحرب والنزوح. وانطلاقًا من واقعه، وقضايا أخرى تناولها كونه مهاجرًا يعاني من اجواء الغربة لكنه يعيشها بكل ما فيها. أخرج مسرحية "مهاجر بريسبان "لجورج شحادة، واختار رواية «LE

---

(1) may.menassa@annahar.com.lb

(2) منى مرعي، لقاء مع مجدي أبو مطر

(3) عبلة فرهود ويكيبيديا

FOU DOMAR مجنون عمر" للكاتبة اللبنانية الكندية عبلة فرهود، لتحويلها إلى مسرحية"[1].

مفاهيم ودلالات

ولمعالجة هذا الموضوع، وطبيعة العلاقة بين الأنا والآخر من خلال مادة الدراسة، لابدَّ بداية، من تحديد بعض المفاهيم/المفاتيح، وهي الأنا/الذات، الآخر، التي سنستخدمها في دراستنا:

الأنا/الذات

سنضع هذا المفهوم ضمن السياق العلائقي الذي تدور حوله ثيمات نصوص المسرحيين، ومواقف الممثلين ورؤية المخرجين، حيث يعبرون عن علاقة الأنا/الذات مع الآخر، وطبيعته. الأنا Ego التي هي ذات الإنسان، ووعيه، وإدراكه لذاته، والجانب المدرك من الذات (على اعتبار أن هناك جوانب غير مدركة ولا واعية Unconscious)[2]، و"الذات أو الأنا التجريبية emperical me" بما هي "المجموع الكلي لكل ما يستطيع الإنسان أن يدعي أنه له: جسده وسماته وقدراته وممتلكاته المادية وأسرته وأصدقاؤه وأعداؤه ومهنته وهواياته". وأيضًا حسب وليم جيمس، الذي حاول الابتعاد عن مفهوم الأنا "الخالصة"، ووجد أنه، في علم النفس الطبيعي، يمكن تعريف الأنا بأنها "ذلك التيار من التفكير الذي يكوّن إحساس المرء بهويته الشخصية"[3].

وسنعتمد في دراستنا مفهومًا يضعه ميد، ويفرق فيه بين "أنا (I) كضمير، وأنا (Me) كذاتي. فأنا كضمير (I) هي أنا كذات المسرحيين، لأنها في بلاد المهجر، وفي علاقتها بالآخر ستكون بمثابة استجابة ورد فعل الفرد، بالنسبة إلى اتجاهات الآخرين، وأنا كذاتي (Me) هي تنظيم مجموعة من اتجاهات الآخرين، التي

(1) محمد حجازي، «مجنون عمر» يختصر ألم الغربة، جريدة الراي 18 يناير 2009 12:00

(2) ديفيد هارفي، حالة ما بعد الحداثة، بحث في أصول التغيير الثقافي، ترجمة محمد شيا، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية 2005، ص. 415المصدر: منتديات ستارزتايمز http://www.startimes.com/?t=26400680

(3) جورج لارين، الأيديولوجية والهوية الثقافية، الحداثة وحضور العالم الثالث، ترجمة فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2002، ص 246

تشكل بناء الذات"[1]. وهي أيضًا - حسب ميد - "مجموعة الخبرات والخصائص والاتجاهات والمواقف التي تميز جماعة معينة عن جماعة ثانية، فتشابه أفراد هذه الجماعة في هذه الخبرات والخصائص والاتجاهات، يجعل منهم ذاتًا واحدة تختلف عن ذوات أخرى لها اتجاهات وخصائص وخبرات مختلفة"[2].

مقابل الذات، نحدد الآخر، كما يعني "آخر" من التأخر، أي المجيء بعد. وهذا لا يفيد الضدية، وإنما يقال "لأحد الشيئين" (هذا باب، وهذا باب آخر). هنا كان كل وجود غير "الأنا"، هو "آخر" بالنسبة إليها، وبالتالي فعلاقة التغاير هي علاقة بين الأنا والآخر ابتداء، وهكذا فالشبكة التي يرى "العقل الأوروبي" العالم من خلالها، وبوساطتها؛ شبكة تستحوذ عليها علاقة أساسية، هي علاقة "الأنا" و"الآخر"، لا علاقة "آخر" "بآخر"[3]. وهذا التعريف الأخير لهذه العلاقة، هو الذي سيشكل منطلقنا في هذا البحث.

والآخر يتجلى بنوعين: داخلي وخارجي. فالداخلي حسب نهوند القادري "الآخر الداخلي أو الجواني هو المختلف ضمن الإطار الديني أو الوطني"[4]، وبرأي الصفار "فالآخر هو المختلف عنا في أي جانب من الجوانب التي نهتم بها، فقد يكون آخر من حيث انتمائه الاجتماعي، أو لجهة انتسابه الديني والثقافي، كما يكون اختلاف التوجه السياسي أو النهج السلوكي سببًا لتشكل الآخرية، والآخر قد يكون جزءًا من بيتنا العائلي وأسرتنا الصغيرة، أو قد يكون شريكًا لنا في الوطن والانتماء الحضاري"[5].

الآخر وموقعه: الآخر الداخل والآخر الخارج

فإذا افترضنا أن الآخر بما أنه - حسب ما يعرفه الطاهر لبيب "عبارة عن مركب من السمات: الاجتماعية، والنفسية، والفكرية، والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو

---

(1) نهوند القادري عيسى، التربية على وسائط الإعلام وصورة الآخر، ورقة قدمت في مؤتمر الاليكسو، تونس، نشرت في أرشيف البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال.

(2) المرجع نفسه.

(3) سفيان ميمون معابر، إشكالية بناء الهوية الثقافية http://taher78.blogspot.com/2010/05/blog-post.html

(4) محمد عابد الجابري، العرب يتكلمون لغة أحدثت في لغتهم www.aljabriabed.net

(5) https://drabbass.wordpress.com الأنا-والآخر-بين-الفلسفة-والسيكولوجي

جماعة، إلى الآخرين"[1]؛ هو غير الشبيه، المختلف عن الـ "ذات" ـ الـ "نحن"، فإن هناك آخرَ قريبًا، وهناك آخر بعيدًا، وآخر بعيدًا جدًا[2]. وهناك آخر الخارج، الذي اتخذت طبيعة العلاقة معه أشكالاً متنوعة، تراوحت بين الإحساس بالدونية تجاه هذا الآخر، المتمثِّل بالغرب، حيث تميد الذاكرة لترسو على علاقته ذات الطبيعة الاستعمارية بعالمنا العربي، والطبيعة الاستعلائية التي تعاطى بها هذا الغرب مع الشعوب العربية، فأنتجت علاقة صراعية، تجسدت فكرتها في ثيمات نصوصهم، حيث سنتبيَّن علاقتهم، أي الأنا/الذات مع مسرحيي بلاد المهجر والاغتراب، وثقافتهم، أي الآخر.

العلاقة الصراعية

بين أنا الداخل

إن العلاقة الصراعية مع الآخر، بدأت من الداخل، أي من آخر/الداخل، كما أن آخر الداخل هو - حسب ما تحدده جوليا كريستيفا: "ليس ذلك القادم من بعيد L'étranger، ومن خارج الجماعة، الذي يهدد وحدة وتماسك وانسجام هذه الجماعة، فوحدة الجماعة وانسجامها ليس سوى مظهر عام يخفي وراءه تناقضات داخلية... فالجماعة تضم غرباء من داخلها قبل أن يأتي الغريب الخارجي، المغاير ثقافيًا ودينيًا وعرقيًا، وهو ما يفيد التعامل مع الآخر الغريب بمنطق الهوية المنفتحة"[3] على اعتبار أن ثقافة الآخر تغني ثقافتي، لأن تعدد الثقافات هو إغناء للتجربة البشرية"[4].

بين أنا والخارج

أما علاقة الأنا/الذات، مع الآخر /الخارج الصراعية "الآخر الخارجي المنتمي إلى حضارة وكيان آخر"[5]، وهو "الآخر المخالف لي والمختلف عني حسب معيار الجنس أو العرق، الدين، الثقافة، اللغة، فالآخر أو الغير هو ذلك الذي لا يشاركني الانتماء نفسه؛ الثقافي، الحضاري، والعرقي، وحسب - معجم روبير-

(1) مجدي أبو مطر، لقاء خاص

(2) نهوند القادري عيسى، المرجع السابق.

(3) معجم روبير

(4) www.alarabiya.net/ar/.../

(5) ندى حمصي، لقاء خاص

فالآخر يتحدد بكونه "من ليس الشخص نفسه". ويتم حصر الآخر في الغريب، المغاير، البعيد، الأجنبي وكل من لا يشاركني الهوى نفسه"[1]. وتترجم هذه العلاقة بـ (العنف، السخرية، التمييز العنصري، التطرف الديني، التعصب العرقي، الصراع الاجتماعي، والإخضاع للسلطة ولشروط هذا الآخر) الذي نجسده بمثال مستوحى من الأسطورة اليونانية، التي تروي أن هناك شخصًا خارجًا على القانون اسمه "بروكست" procuste، عمد هذا الرجل إلى صنع سرير على مقاسه، وبدأ يخطف المارة ويرغمهم على الاستلقاء على سريره الذي صنعه، فمن كانت قامته أقصر من السرير كان "بروكست" يمطّه حتى تطول قامته، أي حتى يفارق الحياة، ومن كانت قامته أطول من مقاس السرير كان "بروكست" يقطع رأسه وأطرافه، ويتركه بجانب الطريق وقد فارق الحياة[2]. تشير هذه الأسطورة إلى طبيعة العلاقة الصراعية التي غالبا ما تربطنا بالغرب، وهي علاقة تفترض الخضوع والاستسلام، وفق المقاييس والشروط التي يضعها الآخر.

ضمن هذا السياق، نتساءل: كيف تبلورت هذه العلاقة بتوجهاتها المتنوعة، من علاقة مواجهة واستعلائية وصراعية إلى علاقة تكاملية في المسرح المهاجر؟وكيف بدت علاقة الأنا بالأخر؟ وسنتبين ذلك انطلاقا من المساءلات الإشكالية التي طرحناها، والتي اتخذنا نماذج لها تتجسد فيها عدة قضايا وهي:

العلاقة مع الآخر الداخل: هي في أغلبها العلاقة المسببة للهجرة:

إن طبيعة هذه العلاقة هي التي كانت دافعًا للاغتراب وهجرة الأوطان، فكما تقول الممثلة السورية ندى الحمصي: "لا أحد يترك بلاده طائعا، ... تبطش الأنظمة العربية القمعية بالعباد والبلاد، فيموت من يموت، ويختفي من يختفي، ويجن من يجن، ويهرب من يهرب، فيتفرق المواطنون في أرجاء الأرض، منجاة أو بحثًا أو استغاثة"[3]. كذلك هاجرت عائلة عبد النور في نص عبلة فرهود من لبنان هربا من الحرب ومن العادات والتقاليد التي تتحكم في سلوك الفرد في وطنه، فيدفعه ذلك إلى الهروب من هذا الواقع التقليدي، وتتناول ذلك عبلة في

---

(1) عبلة فرهود، ويكيبيديا

(2) لقاء مع كريم رشيد

(3) مجدي بو مطر، لقاء خاص.

نصها "عندما كنت كبيرة" حيث تعيش الشابة إكرام، المتعلقة بعمق بالاستقلالية والحرية التي تتمتع بها في أمريكا، والتي تفضلها على بلاد الشمس حيث لا يمكن التعايش مع قمع السلطة الذكورية التي تحول بينك وبين أن تكون وفيا لطموحاتك؟ فتتساءل، تحت الشمس المشعة كيف يمكن أن تتفتح دون أن تحترق: Au Grand Soleil, comment s'épanouir sans se brûler?[1]

قضايا معاناة اللبناني في بلاد المهجر وتشظي الأنا/الذات

التشظي وأشكاله: بين الهنا والهناك

عندما غادر هؤلاء المسرحيون اللبنانيون إلى كندا وفرنسا، لجأوا إلى هذا الغرب حاملين مسرحهم، وهاجروا به، علهم يجدون خشبة مسرحية وحيزًا للبوح ولتفجير المسكوت عنه، وللتحرر من اللضيق الاقتصادي الذي فرضته عليهم أنظمة الحكم في بلادهم، ولكن حالهم ظلت كما وصفها كريم رشيد: "إن الاغتراب سواء أكان مهجرًا أم منفى أم اغترابًا، ذلك الذي حللت به أو سقطت فيه أو انكببت إليه؛ فسيظل الأمر تجسيدًا للرحيل والانقسام والازدواجية والتشظي، مواجهة بين الداخل والخارج، بين الهنا والهناك، بين الذات والآخر"[2]، وكذلك يقول نبيل الأظن المتشظي بين هنا وهناك: «ربما كان الأمر غريبًا لأن كثيرين غادروا هنا وصاروا هناك، انا غادرت، وما زال فيّ الكثير من هنا، اما هناك فإنني اتعاطى معه بالنموذج العملي واليومي".

التشظي وعدم الانخراط مع البيئة الجديدة

أخرج نبيل الأظن نص "مجنون عمر" بعد مسرحته عن الرواية التي كتبتها عبلة فرهود. في هذا النص الذي أمن له الأظن الكاستنغ وفق حيثيات الرواية فأتى بفرنسي وكندي. يبدأ هذا النص لحظة وفاة عمر، الأب القاسي الذي ترك لبنان مع عائلته بسبب الحرب اللبنانية إلى كندا. لكنه اراد دائمًا الا ينسى انه لبناني وانه مسلم، وان عليه عدم خسارة هذه الخصوصية لمجرد انه اضطر للمجيء إلى هنا،

(1) مجدي بو مطر، لقاء خاص

(2) نقاد عرب يرسمون صورة قاتمة للمسرح العربي Zoom IN Zoom OUT طباعة Facebook Twitter حفظ) Comment صورة الآخر في المسرح العماني) تم نشره في السبت 3 كانون الأول / ديسمبر 2005

إلى كندا، فهو ما زال مشدودا نحو التقاليد والتراث وكل شيء في لبنان، لذلك رفض الانخراط في الحياة هناك.

تشظي العلاقة مع أفراد العائلة بعضهم مع بعض

في نص "مجنون عمر" الذي أخرجه الأظن تشظت العلاقة بين الأب والأولاد بسبب الخطأ الكبير الذي ارتكبه الأب حين فرض خصوصية هويته اللبنانية المسلمة على اولاده الستة، وهذا ما كان مستحيلاً تطبيقه لأن الأبناء هم اولاد عصرهم هذا، وليسوا أبناء عصر الوالد، مما ولّد نفورًا بين عمر وابنائه.

التشظي على مستوى اللغة

تقول عبلة فرهود "في حالة البحث عن الحقيقة المهجرية من خلال لغة غير ملائمة: يا بيي يا إمي انا كوكب هذا صعب جدا علي ان اكلمك باللغة العربية".

وفي نص "ألعاب الصبر "تسأل الأم لماذا لاتحتوي مكتبتها(أي مكتبة قريبتها نورما/كوكب) كتابا باللغة العربية ولا كتابا يتكلم عنا ولا حتى قصة شعبية، تجيب مونيك /ككوكب لا أتكلم لغتنا". وفي نص مجنون عمر نجد تعابير عربية وتحديدا باللهجة اللبنانية ولكنها كوبيكوزاية، وهكذا نجد أجزاء من مقاطعة كبيبكية تحت شمس المتوسط، .

تغيير الاسم وقطع الأوصال

ورد في نص "مجنون عمر" أن راوي يعيش في منطقة الريفييرا الفرنسية حيث جمع المال الكثير ولم يعد واثقًا من انتمائه فقرر نزع هويته مبدّلاً اسمه إلى بيار لوك كورانسو، مع ترويج لا ينتهي يقول فيه انه خسر والديه في حادث تحطم سيارتهما، وهذا يعني انه قطع جميع اوصاله لكي لا يعرفه احد.

وحسب الناقد محمد حجازي." طبعًا هذا لم ينفع فأصله في داخله، في ذاته، في وجدانه وتفكيره وهو ما لم يستطعه ليكون اللقاء في بيت الوالد الراحل فتحضر كل المشاكل والمفاتحات بين الاخوين اللدودين رضوان وراوي ومن خلالهما نسترجع ما كان في العائلة، وماذا فعل لها عمر حتى دخلت في هذا النفق؟. وكذلك كوكب في نص عبلة "ألعاب الصبر" jeux de patience مونيك / كوكب وهي قاصة كبيكواز الذي يدل اسمها المزدوج على التباس في الهوية والانتماء.

ومن مفاعيل هذا التشظي:

اختيارموضوعات تسترضي الآخر وتسعى لإرضاء جمهور بلاد المهجر ومسرحييه مثلا :

بدايات التهكم من الذات

يقول مجدي أبو مطر: عبر مسرحية "مواسم الهجرة"، وهي ثاني مسرحية قدمناها كـMT Space، عرضنا مشاهد متفرقة عن مواقف كوميدية يواجهها المهاجرون في كندا. كان واضحًا انه علينا أن نضحك على أنفسنا كمهاجرين وأن نضحك الكنديين معنا. بالنسبة اليّ، كانت هذه التجربة محاولة لفهم أن المسرح الذي تعلمته في بيروت لن ينفع في كندا في المرحلة الأولى، ولا يجب أن يكون سياسيًا، يجب أولاً أن أدخل إلى قلوب الناس". وهذا ما قام يقوم به المسرحيون المهاجرون الآخرون، ويقول مجدي أبو مطر: إن الكثيرين من مهاجري الأمم المسحوقة يقدمون أعمالاً لا تقدم صورة إنسانية مكتملة عن مجتمعاتهم، فهم ينتقدون ما لا يحبون في بلدانهم، وينسون أن يقدموا ما يحبون، فيبدو العمل وكأنه عملية انتقام. وأضرب مثلاً على ذلك فيلم "قندهار" للمخرج الإيراني عباس مخملباف، الذي أراد أن ينتقد حكم طالبان في قمعه للمرأة، فقدم مجتمع أفغانستان على أنه متخلف، سراق، كاذب، ووحده الطبيب الكندي وممرضاته إنسانيون ومتعاونون. وانظروا إلى الجوائز التي حصل عليها الفيلم"[1].

وكذلك عروض "فنانة شابة من أصول هندية تقدم أعمالاً مستقاة من واقع حياة الهند، تحول الثقافة الهندية إلى مادة سياحية اكزوتيكية، يتفرج عليها الأجانب ويضحكون أو يستغربون"[2].

تتعرض هذه الأعمال للنقد من قبل الفنانين المهاجرين الآخرين، كالذي تعلنه المخرجة اليمنية إنصاف علوي، معتبرة أن المسرح العربي مطالب بأن "يكون مرآة عاكسة أنين الشعوب، لا أن نهرج ونضحك ونسخر من آلامنا (...) علينا اليوم ألا نضحك على مأساتنا وقضايانا العربية وألا نتسول الحلول من الغير"[3].

ونحن بدورنا، نرى أن أعمالاً كهذه، لن تحمل المعنى الشامل والكامل

---

(1) جلسة مغلقة، huis clos ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، تقديم زكريا إبراهيم.ص. 27

(2) سفيان ميمون معابر، إشكالية بناء الهوية الثقافية ttp://taher78.blogspot.com/2010/05/3blog-post.html

(3) بافيس

للشراكة الإبداعية، ولكنها تتضمن في طياتها الشعور بالدونية تجاه الغرب، لأنه بنظر أغلب الفنانين المسرحيين هو الأرقى، وهو المرجع الحضاري والثقافي والقانوني. وعليه ستبدو العلاقة مع الآخر على الشكل التالي "أن مفترق الطريق سيؤدي إلى عبور الطرق جزئيًا، وإلى تهجين الأجناس والتقاليد"[1] "ما يحول دون تحقيق الروابط بين الثقافات، لأن هذه الثقافات تلتقي إما عن طريق المرور من بعضها البعض، أو عن طريق إعادة الإنتاج والفضل في ذلك للتهجين"[2]. ولهذا فالمتأثرون بأنماط التحديث الغربي، بما في ذلك النخب ذات المصالح والامتيازات، هم من يمارسون التجهيل والتزييف على بلدانهم وشعوبهم. إنه المنطق الاستعماري عندما يخترق مبادئ الثقافة، فيحولها عن مهام التعارف والتدافع الإيجابي، إلى مهام التبرير والتسويغ والاستغلال[3].

الخوف والحذر الذي يواجهه انتماء اللبناني العربي

ارتبط مجدي أبو مطر بتراثه وبقضاياه اللبنانية اوالعربية، فارتبط مجددًا بالحكاية وبالحكواتي وبسوق عكاظ والشعر العربي والكربلائيات. وعبر عن قضية مهمة جدا هي قضية الإرهاب التي تعيش تحت وطأتها ومخاطرها العالم العربي، والتي جسدها في مسرحيته "آخر 15 ثانية" التي كانت الأكثر رواجًا والأكثر طلبًا،)، وهي مسرحية تقارب موضوعة الإرهاب والتطرف الديني، تحديدًا عمليات التفجير في عمان التي طاولت المخرج مصطفى العقاد مع عدد كبير من الضحايا. ويقول في ذلك: "أحسستُ أنني أنتمي إلى الهوية العربية والمسلمة وأنني أقدّم حكاية عن الإرهاب، كل الناس تتوق لأن تراها، وأنا العربي المسلم حين أقدّم مسرحية عن الحب ليس الأمر بالأهمية نفسها"[4].

العربي وقضاياه وصراع التعبير عن الإرهاب

يعلن مجدي تخوفه من إعلان موقفه: "جعلني هذا العمل في مسرحية "آخر 15 ثانية" (2009-2010) محبطًا. لم أكن راضيًا عن النتائج وكنت أسأل نفسي دومًا "كيف أستطيع أن أقوم بمسرحية عن الإرهاب وأقدّم مسلمًا وأنمطّه كإرهابي؟".

(1) مجدي بو مطر، لقاء مع منى مرعي

(2) ندى حمصي، لقاء خاص

(3) http://ebn-30-khaldoun.com/les_lecons.

(4) المصدر نفسه.

ساورتني شكوك كبيرة حول طرح هذا الموضوع: كيف سأتحمّل مسؤولية تقديم حكاية حول الإرهاب وكيف سأقدّم إرهابيًا على الخشبة وكيف أطرحه كإنسان؟ حاولنا كثيرًا وكلما جربنا، وجدنا أن ما نقوم به خطأ. كما لو أنني أمشي في حقل ألغام، "طالما أننا نهاب العلاقة مع الغرب، الذي نعتبره مركز المعرفة ومركز العدالة. ولهذا ترى ندى حمصي أنه "على الفنان العربي أن ينتقي ما يجب أن يقول للعرب وللأجانب معًا، وأن يعرف كيف يقول بدون أن يزيد طين الإعلام ضد العرب بلة"[1].

كما تأخذ هذه العلاقة مع الغرب طابع علاقة إشكالية، من خلال المقايسة معه، لأنه المعيار الذي منه ينطلق تقييم الثقافي والفكري والحضاري[2]، أو يرتبط الوعي الخاص بالذات - حسب هيجل - بوجود الآخر وفق علاقة صراعية" وخاصة فيما يتعلق بالإرهاب. ولكنه في هذا النص يرتبط بذهن المهاجر العربي، بأن هذا الغرب هو المركز الذي منه تنطلق مفاهيم العدالة والمساواة وحقوق الإنسان. وهذا ما تعبر عنه هو يرتبط بالعلاقة مع الآخر /الهناك، لاعتقاد العرب أن العدالة ستحقق على أيدي الغربيين، أما في الداخل، فنحن نترنح في ظل أنظمة استبدادية، ونخاف دائمًا من تصنيف الغرب لنا (المسلم الإرهابي) ولكننا نجهل أن لبعض الغرب قوانينه ومخططاته بهذا الشأن.

الأمر الذي يطرح المساءلة التالية: كيف يمكن إذن أن تتم عملية التثاقف بمنهج التعارف والتحاور.. في ظل وضع محكوم بمنطق الاستعلاء والاستفراد والهيمنة والاتهامات بالعدائية لثقافات ضد أخرى؟ لقد واجه الفنانون المهاجرون اللبنانيون صعوبات كثيرة في أثناء مواجهة ثقافة الآخر، والسعي نحو خلق ثقافة تفاعلية، أم حالة تثاقف في منحاها الإيجابي، لأنه كما يشير ريك نولز في عدد من كتاباته، فإن السياسة الرسمية للتعددية الثقافية في كندا يمكن فهمها على أنها طريقة لإدارة وتنظيم التنوع العرقي والإثني في المجتمع. فهو يقول: إنها طريقة ليست لإدارة واحتواء هذا التنوع فحسب، بل للسيطرة عليه كليًا عبر تحويل الاهتمام من قضايا الظلم والإجحاف الاجتماعي بحق الأقليات المتنوعة، إلى قضايا الاختلاف

(1) مجدي بو مطر، لقاء مع منى مرعي

(2) باتريس بافيس، المسرح في مفترق طرق الثقافة، ترجمة وتقديم سباعي السيد، وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، ص.24 39

الشكلية في الرقص والطعام والعادات والفلكلور[1]. مما يؤكد على الجهود التي ينبغي أن يبذلها هؤلاء الفنانون المهاجرون في سبيل خلق حالة تفاعلية مع ثقافة المهجر، توازي بين ثقافة الأنا الذات وثقافة الآخر.

ويقول مجدي أبو مطر في ذلك "لقد واجهت صعوبات كثيرة لعدم اعتراف المسرحيين في كندا بكفاءاتي ولرفضهم انضمامي إلى مسرحهم، ولكني أصريت ودرست لكي أتمكن من انتزاع الاعتراف بكفاءتي المسرحية، وعملت على تأسيس فرقة مسرحية لبنانية كندية قدمنا معا النتاج المشترك: اللبناني /الكندي، الفرنسي /اللبناني الذي يفترض -حسب تصور كريستيفا "التأكيد على الطابع المفتوح للمجتمعات المتطورة، فالتطور يقاس بقدر التسامح والاحترام لكل الخصوصيات"[2]، وهذا ما أحس به المهاجرون الآخرون أيضا.

وهو ما يعطي الانطباع بأن الانتماء إلى ذات معينة، يحدده نوع معين من الثقافة، أو بالأحرى تحدده مجموعة متشابهة من الخصائص الثقافية، والظاهر أن بعض التكتلات الإثنية على سبيل المثال، لا تلغي تشكل هوية هذه الجماعات على أساس ثقافي، لأن الانتماء العرقي هو انتماء ثقافي بالدرجة الأولى، وأول مظاهره يكمن في طبيعة نظرة الفرد إلى المجموعة الإثنية التي ينتمي إليها، والتعصب لها"[3]. ومع ذلك، لم تحل هذه العلاقة دون أن يعبر هؤلاء المسرحيون المهاجرون عن قضاياهم ومواقفهم فحملوا هذه القضايا، وقضايا أخرى إلى بلاد المهجر، ليجسدوا رؤيتهم عنها في مسرحهم، ليخلقواحالة من التفاعل معتبرين أن الاختلاف الثقافي يُعتبر مصدر غنى للمسرح، ويتبين ذلك من خلال الثيمات التالية:

العلاقة التثاقفية / التكاملية مجدي

أحيانا تأخذ العلاقة مع الآخر وجهة مغايرة؛ علاقة تضامن وتعايش ما دام الآخر هو الشبيه والصديق. يؤكد استراوس أن الآخر هو أخ لنا في الإنسانية، حيث تعي الأنا ذاتها وفق علاقة تكاملية بالآخر، كما أنها ترتبط به مكانيًا عندما

(1) المرجع نفسه

(2) سعيد شبار، الثقافة والعولمة: قراءة في جدل المحلي والكوني أو ظاهرة التثاقف http://elaph.com/Web/Knowledge/2015/6/575009.html

(3) مي منسى، لقاء مع ميراي معلوف

تعي الهنا بالنسبة إلى الهناك"[1]، أي الآخر بالمعنى الذي لا يفيد الضدية كما حددناه سابقًا، وذلك في سياق ذي بعد أنطولوجي يحمل كل من الأنا/الذات والآخر فكره السياسي والاجتماعي والاقتصادي والإبداعي.

لذلك بدأ المهاجرون اللبنانيون، لاسيما الفنانون منهم، يجتهدون لكي يستولدوا علاقة ذات طبيعة تثاقفية تكاملية، ويسعون إلى التعايش والتثاقف مع الآخر، كالذي قام به مجدي أبو مطر عندما أسس الفرقة اللبنانية /الكندية وكذلك المخرج نبيل الأظن الذي تعامل مع ممثلين فرنسيين ونقلوا تجربته متعاملا مع ممثلين لبنانيين، فخلقت حالة التثاقف التي تستخدم - حسب س. لاتوش - "للدلالة على تفاعل إيجابي عند الاحتكاك بين الثقافات. وعندما تدخل ثقافتان في اتصال، فإذا كانت السمات الثقافية التي يجري تبادلها تتوازن وتحافظ كل منهما على هويتها وديناميتها الخاصتين، بعد دمج واستيعاب العناصر الأجنبية؛ يمكن الحديث عن تثاقف ناجح. وفي إطار هذا التثاقف الناجح، يعمل عدد من الفنانين المهاجرين على التكيف مع الثقافة المهجرية، ثقافة بلد المهجر التي يعتبرونها -حسب تعريف باتريس بافيس لها - "الثقافة الرفيعة التي هي ثقافة جماعة فرعية محدودة تمتلك أو تنسب إلى نفسها المعرفة والتعليم والقدرة على اتخاذ القرار".

هذه الثقافة المكثفة "تصبح شيفرة منهجية أو معرفة يمكننا الإلمام بها لتعميق معرفتنا، كما تصبح أداة تسمح لنا باكتشاف معلومات أخرى مبنية على هذه المعرفة الأولى، وبالتالي تعمق من تحليلنا"[2]. فيبدأ التفاعل المتبادل من قبل الثقافتين: الثقافة المهاجرة وثقافة بلاد المهجر، وقد بدأ المسرحيون هؤلاء بتبادل العمل المسرحي، للانزياح من الهامش إلى المركز، والانقلاب من الموضوع إلى الذات. وهذا ما قامت به الممثلة ميراي معلوف عندما كانت تلقي شعرًا للحلّاج في قلب نيويورك في مسرحية «منطق الطير» للشاعر الصوفي الفارسي فريد الدين عطار (1981)[3].

(1) عبلة فرهود، ويكيبيديا

(2) مجدي بو مطر وندى الحمصي، المسرح في المهجر بوصفه رؤى عربية للشراكة الإبداعية بين الثقافات.

(3) نقاد عرب يرسمون صورة قاتمة للمسرح العربي Facebook Twitter طباعة Zoom IN Zoom OUT حفظ Comment (صورة الآخر في المسرح العماني) تم نشره في السبت 3 كانون الأول / ديسمبر 2005

وعندما لا يتجسد الاتصال في تبادل متوازن، بل في تدفق في اتجاه واحد مصمت، تغدو الثقافة المتلقية مغزوة ومهددة في وجودها ذاته، ويمكن اعتبارها ضحية عدوان حقيقي[1] كما ورد في نص عبلة من خلال تناولها لعائلة لبنانية أقامت في كيبيك، منذ عدة سنوات، حيث يروي أفرادها المهاجرون كل بدوره كيف يعيشون هم مواطنو تلك البلاد ولكنهم لا يتقاسمونها هويتهم بالكامل؟ وتسأل الأم لماذا لاتحتوي مكتبتها كتابا باللغة العربية ولا كتابا يتكلم عنا ولا حتى قصة شعبية، تجيب مونيك /ككوكب لا أتكلم لغتنا.

التنوع الثقافي والقضايا المعاناة المهاجرة المشتركة

وتقوم هذه المهمة على عاتق الفنان والمثقف العربي، وهو كما تقول ندى حمصي: "أليس الفنان المهاجر هو بالفعل رسول ثقافة وطنه الأم إلى ثقافات العالم"[2] وخاصة أن هذا المكان الجديد/مكان الهجرة، حسب اليامين "هو الذي يتيح طرح الأسئلة على العقل العربي، لتبرير الحاجة إلى التفكير من داخل المصب الغربي، من أجل إحداث قطيعة تحتية وبتر التصور التقليدي الذي صورنا في صورة المريد، لتبدأ مسيرة الميلاد من التضاد مع الآخر، حيث تكون مسيرة الأنا في صعود إذا كان الآخر في نزول، والعكس صحيح ومسلم به كما هو في الوقت الراهن"[3].

وفي هذا السياق يقول مجدي أبو مطر: "كان شغفي ولا يزال هو مسرح يؤسس لمجتمع ثقافي متنوع ومتعدد، فأسسنا تجمع الام تي سبيس، لتقديم أعمال إنسانية تمس البشرية، وتعبر عن فكر متقد للإنسان العربي، وتقدمه كمبدع وإنسان مثل بقية البشر، وهنا يدخل هذا العربي المبدع"[4].

وكذلك عملت الممثلة المسرحية اللبنانية، ميراي معلوف، التي كانت عضوًا في فرقة مسرحية عالمية، لمؤسسها المخرج المسرحي العالمي بيتر بروك، عندما

---

(1) المرجع نفسه

(2) ندى حمصي، لقاء خاص ندى الحمصي، الهوية المزدوجة للمسرح العربي في المهجر والصراع بين الهنا والهناك. سعي للانتماء أم نزوع للاختلاف، برنامج المؤتمر الفكري لمهرجان المسرح العربي، الدورة السابعة، نوفمبر 2014 في مكتبتي.

(3) سعيد شبار، الثقافة والعولمة، قراءة في جدل المحلي والكوني أو ظاهرة التثاقف

(4) http://elaph.com/Web/Knowledge/2015/6/575009.html

أدخلت نص "منطق الطير"، وغيرها من النصوص العربية، لتشكل عملاً مسرحيًا من أعمال الفرقة. في تسعينيات باريس، جسّدت دور «جوليا دومنا» التي أعطت اسمها لمسرحيّة من إخراج السوري/ الفرنسي شريف الخزندار، وتقول معلوف "هذا الدور لم يعد دورًا، بل مخاطبة سريّة بين جوليا دومنا وميراي معلوف، بين امرأة من مدينة حمص السورية، - بشغف همت في هذه الشخصية. صرت أمشي على رمال متحرّكة بنباهة ورويّة حتى لا أتيه عن هرمونيا الإلقاء. مشرقية أنا مثلها، جسّدت بأدائي شخصيتها وجهًا تاريخيًا مرموقًا"[1].

وتولى نبيل الأظن الذي مسرح نص اللبنانية الكندية "عمر المجنون" مع ميشال انتيغون وضع سيناريو لثلاثة اشخاص هم ابطال العمل عمر (غبريال يمين) وولديه رضوان (الممثل الوافد من كيبيك ايريك روبيدو) وراوي (باتيست كوبيش من فرنسا) وجرى عرضها في يونيو 2008 في باريس، 2009، وهكذا أُتيحت لنا فرصة الاطلاع على عمل نموذجي عميق، متدفق وصادق عن الغربة وأجوائها بكل تداعياتها وتناقضاتها[2].

تمايز الثقافة: ثقافتي وثقافة الآخر

تقول ميراي معلوف، المهاجرة إلى فرنسا، التي انضمت إلى فرقة بيتر بروك العالمية في المسرح: "حين كنت في سن هؤلاء الشباب، بالطبع كانت لي جذور مما خبرته في فرقة المسرح الحديث مع منير أبو دبس... نعم، ضعت وارتبكت في المرحلة الأولى، ثم عانقت جذوري وجعلتها أجنحة، هكذا حافظت على كياني. بقيت مشرقية، بل ورّطت مسرح بيتر بروك في ثقافتي الأم، فإذا بي أتلو "سورة الزلزلة" ومقاطع من قصيدةالحلاج بالعربية ضمن مسرحيتي "تيمون الأثيني"، و"منطق الطير"، وحينها فقط أدركت مدى جمالية اللغة العربية وثرائها اللفظي، وأوصلت ذلك الشعور إلى المشاهدين أمام دهشة بيتر بروك وترحيبه"[3].

يشير كلام معلوف ذلك، إلى أنه من خلال هذه السيرورة "تنتقل الثقافة بوساطة ما يسمى منذ ذلك الحين "بالوراثة الاجتماعية". وهي مجموعة معينة من التقنيات

---

(1) عبد الله إبراهيم، المرجع السابق.

(2) منتديات ستار تايمز .?www.startimes.com/?t=7692262، ملتقى ابن خلدون للعلوم

(3) مي منسى، مقابلة مع ميراي معلوف

التي يتيح بوساطتها كل جيل ذوتتة (إضفاء الطابع الذاتي) التحديد العام للروح والجسد للجيل التالي، مما يشكل الثقافة"[1].

كذلك يمكن أن نضع هذا الفعل وهذا الإحساس وهذه الرغبة، في التأكيد على ثقافة معلوف وجذورها، ضمن مصطلح التداخل الثقافي interculturalism بدلاً من التعددية الثقافية - multiculturalism حسب تعبير مجدي أبو مطر- أو عبر الثقافية transculturalisme، فيشير ذلك إلى أن النمذجة الفنية قد تلاشت، وبدأت تطفو خصوصية الثقافة الفنية العربية، وتعمل على التفاعل مع الثقافات الأخرى، أي ثقافة الهجرة، وهذا ما توعز به وميراي ومجدي، إذ "يمكننا أن نلاحظ أن فهم الشيفرات الفنية بصفة خاصة، يولد اهتمامًا بفهم الشيفرات الاجتماعية والثقافية على وجه العموم، هذه هي حقيقة استيعاب التوظيف الرمزي لمجتمع ما"[2] ويشير ذلك إلى الانفتاح الذي يتصف به هؤلاء المهاجرون تجاه الآخر وثقافته، دون الشعور بالدونية، ولكن من خلال السعي لإبراز أهمية ثقافتنا.

أعمال تثاقفية مشتركة بين الأنا والآخر الذي يشبهني التنوع الثقافي والقضايا المعاناة المهاجرة المشتركة

تواجه ثقافة الأنا إزاء ثقافة الآخر، مشكلات ذات طبيعة معينة "فهي يجب أن تسجل أسلوب الحياة في مجتمع معين وسلوك أفراده، وينبغي أن تخلق إمكانيات اتصال وتعاون بين المجتمعات المختلفة"[3]. من هذا المنطلق يرى مجدي أبو مطر: "أسست منظمتنا المسرحية (أم تي سبيس) ـ مسرح الثقافات المتعددة ـ عام 2004 مسرحًا ثقافيًا متنوعًا بجوهره وبكافة عناصره، بما فيها بالطبع أن يكون منطلقًا لرؤى عربية إلى جانب الثقافات الأخرى، كالهندية والصينية واللاتينية والأوروبية... الخ، وذلك بهدف خلق شراكة إبداعية بين الثقافات التي تشبهنا، برؤية عربية للشراكة الإبداعية بين الثقافات، وهي تعالج موضوعات عن الاختلاف"[4]، وهذه الرؤية التي يسعى إلى بلورتها "لم تمنع فنانين معينين

(1) 1982كاميليري عن باتريس بافيس المرجع السابق، ص33.

(2) مجدي أبو مطر، لقاء خاص

(3) مجدي أبو مطر، المصدر نفسه.

(4) جاد الحاج، ومن مقابلة قام بها جاد الحاج مع الفنانة اللبنانية ميراي معلوف المهاجرة إلى فرنسا، جريدة الحياة.

مدعومين بدرجة أو بأخرى، من محاولة التبادل الثقافي، وحلت الجغرافيا والأنثروبولوجيا محل تاريخ منهار "[1].

أفسحت هذه القراءة الجديدة، المجال لتأسيس مسرح جديد سمي بالمسرح التعددي، وقد أسس مجدي أبو مطر، وندى الحمصي هذا المسرح "ردًا مباشرًا على واقعنا الثقافي والاجتماعي المحلي، ولا زلنا نعمل في الاتجاه نفسه، هدفنا إنتاج مسرح تعددي، يمثل المجتمع الكندي المعاصر، فهو يستقي مادته من التقاليد والتراث والواقع المتنوع للمشاركين "[2].

كما أنه لم يعتمد دائمًا النص الغربي باعتباره كما يقول مجدي: "أرى أن النص في كندا هو وسيلة استعمارية وقمعية، لأن النص هو المسرح الإنكليزي، الأوروبي الغربي، المستعمر... ثقافة السكان الأصليين في كندا هي ثقافة شفوية، محيت عن الخريطة. أنا أتعاطف معهم لأن ثقافتي العربية قبل الإسلام أيضًا هي ثقافة محكية، ثقافة الشعر المرتجل، ثقافة الحكواتي. قد يتم تصنيف بعض المشاهد على أنها تنتمي إلى المسرح الإثنوغرافي... هنالك حضور قوي لثقافة المنطقة وتراثها "[3] وقد جسد مجدي هذه الأهداف في عرض "إكزت إستراتيجي أو خطة خروج"، حيث تناول موضوعين: هما الهجرة والحرب.

إضافة إلى ذلك، إن العلاقة مع الآخر لا تقتصر فقط على حل الشيفرة الثقافية، والدخول في عملية التثاقف الفكري والاجتماعي، لأن هذه العلاقة ترتبط بموضوع في غاية الأهمية وشديد الحساسية، وهو موضوع الجسد وآلية تبلورعلاقة الذات بالآخر من خلال استخدام الجسد المسرحي، لاسيما وأن الجسد هو الحامل السوسيولوجي والأنثروبولوجي لكل بيئة.

الجسد: ومفهوم العلاقة مع الأنا /الذات والآخر

تطرق المسرحيون العرب إلى العلاقة مع الجسد من خلال عنصرين: العنصر الأول هو تناولهم له في موضوعاتهم المسرحية. والعنصر الثاني هو في تدريب الممثل.

(1) كاميليري، عن باتريس بافيس، المرجع السابق، ص. 28
(2) مجدي أبو مطر، لقاء مع منى مرعي، المرجع السابق
(3) المصدر نفسه

حيز حرية التعبير في لبنان والعالم العربي

يبقى تساؤلنا يدور حول إمكانية طرح هذه الأسئلة على الخشبة المسرحية اللبنانية والعربية، إلى أي مدى يتيح حيز العرض المسرحي العربي تقديم هذه الأعمال على خشبته؟ وما هي حدود حرية التعبير عن الجسد ومن خلاله؟

أما بخصوص تدريب الممثل، فيعتمد مجدي أبو مطر على الثقافة الإثنية لجسد الممثل لتدريبه على الأداء، وآلية التدريب: "عند كل عمل فني، أبدأ أولاً اختيار الكادر الفني، على أن يكون من خلفيات ثقافية وعرقية وإثنية مختلفة ومتعددة، فيكون في العمل الفني الواحد الممثل ذو الأصول الهندية، الإفريقية، الآسيوية، والعربية بالطبع"[1]. في هذا السياق، طرحنا بعض الأسئلة على مجدي أبو مطر، تتعلق بمدى تأثير هذه البيئة المهجرية المختلفة، في التعاطي مع الجسد وكسر التابوهات؟

هل هناك اختلاف في الأداء الجسدي بين بيئة عربية وبيئة غربية؟

نعم هناك اختلاف لأنه وفق ما يقول مجدي[2]: إن علاقة الكندي بجسده تختلف كثيرًا عن علاقة العربي بجسده. فالكندي وليد ثقافة فردية، تعتبر أن الجسد وعلاقة الإنسان بجسده هي مسألة شخصية. أما عند العرب فالجسد هو حالة مجتمعية، تضع التابوهات المقيدة لحرية الجسد، الأمر الذي يدفع الممثل العربي الذي هو ثائر بطبعه، لتحدي هذه الوظائف الخاضعة لتقاليد مجتمعية، فهو يتحدى مجتمعه بكسر هذه التابوهات. والممثلة العربية في الخارج تتحمل مسؤولية شعبها وثقافتها وتاريخها وحكاياتها، فهي ثائرة على التقاليد وعلى القمع الذكوري المجتمعي في بلدها، وفي كندا عندما تحكي حكايتها فهي تتعرى وتصرخ وتغني وترقص بحب وعنف وحميمية شرقية قلما يرى الجمهور الغربي مثلها، أما إذا كان يطلب منها أن تستخدم جسدها لتثبيت النمطية، والمطلوب منها التعري لتؤكد على النظرة الغربية الاستشراقية الإيكزوتيكية، فهي ترفض.

وهذا برأيي ينطبق على الممثلات المهاجرات من ثقافات أخرى مشابهة

(1) المصدر نفسه

(2) المصدر نفسه

للعربية، كالهندية والإفريقية والشرق آسيوية واللاتينية، لذا لا يمكن أن يفصل الجسد عن ذاكرته، وتاريخه الثقافي "[1].

ويدل ذلك على "تعدد إستراتيجيات التعامل مع الجسد كتابو "Tabou هكذا وضحت دراسات نيتشه وفرويد ومارسيل موس... تداخل العلائق الاجتماعية والثقافية والنفسية اللا شعورية في تحديد علاقتنا بالجسد. لذلك نرى كما يقول ميرلوبونتي: "يشكل الجسد رسوخنا في العالم"[2].

يصب كل ما تطرقنا إليه، من طبيعة العلاقة بالآخر، سواء أكانت ذات الطابع الصراعي أم التكاملي التثاقفي؛ في خانة دراسة مفهوم الهوية الذي تعرض لتغيرات متنوعة لدى هجرة هؤلاء المسرحيين إلى بلاد الاغتراب. فننطلق أولاً من تحديد مفهوم الهوية، ثم سنتبين كيف ترجمها هؤلاء الشباب في مسرحهم المهاجر.

الهوية المنفتحة أم المغلقة؟

تعد الهوية "حصيلة لمجموعة من أنساق العلاقات والدلالات التي يستقي منها الفرد معنى لقيمته، ويضع لنفسه في ضوئها نظامًا يشكل في إطاره هويته، بحيث تتوافر له من جراء ذلك إمكانية تحديد ذاته داخل الوسط السوسيوثقافي، باعتباره نظامًا مرجعيًا على المستوى السلوكي"[3]. وأهم ما يميز الهوية هو أن تتمتع بأساس متحرك، إذ أن الهوية لا يجب أن تبقى رهينة موروث ثقافي ثابت، يفرض على جماعة بشرية بحكم انتمائها العرقي أو الجغرافي أو التاريخي، ولكنها عبارة عن "إحساس بالانتماء والتعلق بمجموعة تتحول عن طريق التجريد إلى إطار تخيلي"[4]. لذلك جهد هؤلاء المسرحيون انطلاقًا من صفة الهوية المتحركة لتأكيد انتمائهم، وقد عبروا عن ذلك من خلال الرؤية التي جسدوها في مسرحهم. مثال ذلك استخدامت والدة عبلة فرهود تمسكها بلغتها العربية التي تتواصل بها مع أولادها.

ولكن السؤال هو هل تبقى رهينة هذه اللغة العربية، أم تحاول أن تتفرد بها

(1) المصدر نفسه

(2) باتريس بافيس، المرجع السابق ص. 25

(3) مصطفى حدية ـ التنشئة الاجتماعية والهوية - كلية الآداب ـ الرباط ـ المغرب ـ ط 1 ـ 1996 ـ ص 25 إشكالية بناء الهوية الثقافية سفيان ميمون معابر http://taher78.blogspot.com/2010/05/blog-post.html

(4) المرجع نفسه

كخصوصية انتماء، أم أنها ترى "الانتماء الثقافي متحررة من سلطان الجماعة العرقية أو التاريخية، الذي يجعل الهوية قضية شخصية ينتمي خلالها الأفراد إلى تكتلات وجماعات يختارونها"؟ وكذلك يطرح السؤال نفسه على عمر في نص مجنون عمر، حيث يسافر بنا إلى الشمس ويحفر في إشكالية البحث عن الهوية عندما نغير البلد، ويظهر الكتاب التكيف الضروري عندما نعود إلى البلد، في مونتربال عندما تصل، يجب أن تعتاد الشتاء والبرد. في لبنان يجب أن تعتاد الشمس ومعها كل ما تورطنا به ثقافيًا.

فالهوية إذن، مع قريبتها الروائية اللبنانية الكندية التي ترى الهوية "لا تفهم على نحو موحد، وإنما على أشكال مختلفة ومتباينة، فإذا كانت الهوية بدءًا هي ذلك التميز الذي يطبع جماعة ما في خصائصها وبنياتها الثقافية، من خلال عناصر ثقافية واضحة ومرسومة، فهي من جانب آخر تتجاوز هذا المفهوم إلى مفاهيم أخرى، تتراوح بين ضرورة تطور هذه العناصر وموافقتها للزمان والمكان، إلى إلغاء هذه العناصر ذاتها، والبحث عن عناصر أخرى لتشكيل هوية جديدة، أو نسيان قضية الهوية والانخراط في عالم "اللاهوية" بدعوى إنسانية الثقافة"[1]. هوية تفرض على هؤلاء البحث عن عناصر أخرى، هذا ما قام مجدي عبلة ونبيل وميراي وغيرهم، من الذين هاجروا بمسرحهم إلى خشبات أخرى. وكذلك عبلة التي تتابع بحثها عن السلام الداخلي بتجميع شظايا الهوية التي تسكنها، في لبنان ترى عبلة هذه المدينة التي تضج بالحياة، والممتلئة بالشمس، والغبار والضجيج والصراخ المبكر، باللغة العربية والفرنسية والأرمنية: تنانير قصيرة، حجاب إسلامي، درزية أو فرنسية، طربوش، جينز جلابيات.

ولكن هناك خصوصية لا يجب أن يتخلى عنها المهاجر، فهو يشعر أن حتى اسمه قد بدأ بالتغير والتشظي. تقول المهاجرة ندى حمصي: "لكن الأسماء تتغير حسب لغة البلد، والمعلومات تكتب بلغة البلد، والاسم يتهجأ حسب ما هو عليه في البلد، وعلى سبيل المثال، فلقد جربت اسمي بالأشكال الأربعة المحتملة[2]. وكذلك تغير كوكب اسمها مما يطرح معاناة الازدواجية التي تتجلى في إبداعات

---

(1) المرجع نفسه

(2) ندى حمصي، ندى الحمصي، الهوية المزدوجة للمسرح العربي في المهجر والصراع بين الهنا والهناك، المرجع السابق

فنية، وتجارب مسرحية متزنة، تؤثر في المجتمعات التي يعيش فيها الفنان المهجري، ويتأثر بها في الوقت نفسه" وهذا الانتماء هو الذي يعطي للهوية الخصوصية القومية، التي يعتبر محمد أرزقي بركان أنها "شرط إيجابي لتحقيق التبادل الفكري في التعاون البشري، لأنه إذا افتقدت الخصوصية، اتسم الإنتاج الثقافي بالمماثلة، ولم يعد ثمة منطق لفكرة المبادلة"[1].

الخاتمة

نستنتج مما تقدم، أن علاقة المسرحيين العرب بالآخرين في بلاد المهجر، تبلورت في طبيعتي العلاقة مع الآخر: الصراعية، والتكاملية التثاقفية على الشكل التالي:

ـ الصراعية:

ـ أن مسألة حل الشيفرة الثقافية ومسألة السعي نحو التثاقف ما تزال تواجه معوقات، منها مثلاً ما يؤكده أحد الباحثين الكنديين، آلان فايلوود، عن علاقتها بالمهاجرين "إن التاريخ المعاصر للمسرح الكندي قد فشل في تجاوز تناقضات وأخطاء الاستعمار"[2].

ـ عدم تخلي الغرب عن عنصريته: في موروثات المسرح الغربي المسيطر (مثالاً على هذا اعتماد معظم أعماله على اللغتين الإنكليزية أو الفرنسية)، ولا أن يهرب من انحيازه السياسي والعنصري المتجذر في وعي الإنسان الغربي وثقافة الاستعمار والمستعمرين[3].

ـ لم يستسلم أغلب هؤلاء المسرحيين اللبنانيين ولم يذوبوا في ثقافة الآخر. وبينا ذلك من خلال:

ـ وضع برنامج يقرب بين المهجريين والمهجريين، وبين المهجريين اللبنانيين والجمهور الأجنبي في المهجر والإبداع اللبناني في لبنان.

(1) محمد اشويكة، الجسد في المسرح، لعبة المعنى والامتداد، http://www.aljabriabed.net/n76_04chuikai.(2).htm

(2) المرجع نفسه

(3) روبرتو مانغابيرا أونغر، يقظة الذات، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد، عالم المعرفة عدد375، 2010، ص. 152

ـ البدء بالتغيير عبر "صياغة أسلوب للوجود، أو نمط للذات، الذي نخفض فيه دفاعاتنا بما يكفي لتقوية استعدادنا للجديد، أي ارتباطنا بالحياة، وحبنا للعالم"[1].

ـ إصرارهم على طرح قضايا تخصهم، مثل قضية الإرهاب برؤى عربية فنية وفكرية وأيديولوجية.

ـ الدور الذي يمكن ويجب أن يلعبه الفنان اللبناني في بلاد المهجر، "باعتباره سفيرًا لثقافته وهويته وتاريخه"[2]. مجدي وميراي ونبيل وجورج شحادة وعبلة

ـ رفض هؤلاء التعرض إلى السخرية من ثقافتهم إرضاء للآخر، فالآخر مرآة لهم وهم يواجهونه بثقافتهم.

ـ التكاملية التثاقفية:

ـ السعي نحو التكاملية التثاقفية من خلال تأسيس مسرح غربي ـ عربي لبناني، كما فعل مجدي وميراي بتأسيس مؤسسة دعت إلى حمل الثقافة العربية، ونقلها إلى البلاد الجديدة التي انتقلت إليها ثقافات بلدان أخرى، من آسيا وأوروبا وإفريقيا وأميركا وحتى أستراليا.

ـ التكيف الذي قام به هؤلاء لم يلغ هويتهم - كما أن محاولات مجدي للعمل على تأسيس مهرجان أو مسرح متعدد الثقافات، يضم دلالات على تجربة تنفتح على الآخر، وذلك "للعثور على شيء أفضل من المسافة المتوسطة في علاقتنا بالآخرين، علينا أن نكون قادرين على التجريب على أنفسنا بالسياقات الجماعية، وعلينا أن نكون قادرين على السعي من أجل التغيير في علاقتنا بطبائعنا وعاداتنا الخاصة. ليس بوسعنا التأثير في عالمنا إذا ظللنا نحن أنفسنا غير متأثرين"[3].

ـ بالنسبة إلى الهوية، رأى هؤلاء أن ثبات الهوية هنا هو الذي يصنع الأفراد من خلال مختلف الآليات والوسائل التي تمتلكها الجماعة، لذا "فإن الفرد ملزم بالانتماء إلى جماعته التي تحدد من دون استشارته هويته، ومعاييرها الموجودة في

(1) بافيس، المرجع السابق

(2) ندى الحمصي، المرجع http://www.aljabriabed.net/n76_04chuikai.(2).htm السابق.

(3) مجدي أبو مطر، لقاء على الفيس بوك مع مجدي أبو مطر تاريخ 4/24

صورة قائمة أو جرد تبويبي يجمع علنًا أو ضمنيًا سمات الهوية الإثنية والسمات الثقافية الملازمة لها[1].

ـ على الرغم من هذه العطايا التي يعتقد الغرب/الآخر أنه يمنحها لنا، فلن تستطيع أن تكون البديل عن الوطن، فهي إن كانت قد وهبته بعض الحقوق، فقد سلبته امتياز الانتماء، وأسهمت في تشظي شخصيته ما بين الهنا والهناك(كما يقول نبيل الأظن الذي يرى في علاقته مع بلاد المهجر علاقة براغماتيكية ذرائعية.

ـ بإمكان الآخرين أن يقرروا ما إذا كانت هذه المواجهة المسرحية تفضي إلى مثاقفة acculturation أم تدمير متبادل، أو حتى مواجهة عاشقة أو وظائف غريبة أو مسرح أوروبي آسيوي أو ثقافة روابط[2] وهذا ربما يؤسس لثقافة جديدة، ومن خلال بناء "مشروع نظرية مادية للتكيف عبر الثقافي intercultural appropriation، أدى إلى تأسيس مشروع عبر ثقافي هو في حالة مستمرة من التطور، وذلك لأن "أي نظرية تشير إلى هذه الانزلاقات الثقافية تعاني من الإزاحة الدائرية نفسها"[3].

ومع ذلك، يظل الحنين ويظل الإحساس بالتشظي مسيطرًا. أن تذهب حتى الابد عارفا بانك لن تعود، هوشعور غريب بالتعب والحزن والعذاب في كل أيام الهجرة.

(1) taher78.blogspot.com/2010_05_01_archive.html

(2) محمد أرزقي بركان "التحول هل هو بناء للهوية أم تشويه لها" مجلة فكر ونقد ـ دار النشر المغربية ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ عدد 12 ـ أكتوبر 1998 ـ ص 55

(3) محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية ـ منشورات ثالة والديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003 ـ ص 109.

المحور السابع

المؤسسات الناظمة لشؤون اللبنانيين في المهجر

أيها الاخوة لقد كتب إيليا أبو ماضي في صدر صفحات "السمير" الجريدة اليومية التي أسسها ناطقة بلسان الرابطة القلمية هذين البيتين الرائعين:

أنا لاأهدي اليكم ورقًا غيرُكم يرضى بحبرٍ وورق
إنما أهدي إلى أرواحكم فكرًا إذا الطِرسُ احترق

فما أروع ما قاله شاعر التفاؤل أبو ماضي، ولكن الشاعر العربي السوري نسيب عريضة أضاف موقفًا عربيًا قوميًا صادقًا ومقاومًا في ذلك الحين حيث عزّت عليه نكبة فلسطين عام 1948 وهو يتقفى آثار هذه النكبة والمأساة على شعب فلسطين وأمته العربية فأسمعه ينشد قائلاً:

أرضُ السلام وأرضُ الهنا يعزُّ على الكل أن تحزنا
وخطبُ فلسطين خطبُ العلا وما كان رزءُ العلا هيّنا
سهرنا له فكأن السيوف تحرث بأكبادنا ها هنا

وبعد نحن الآن في الجلسة الأخيرة لهذا المؤتمر تحت عنوان: "المؤسسات الناظمة لشؤون اللبنانيين في المهجر".

فهل آن الأوان أن تقدّر السلطات الحاكمة عندنا في لبنان ما يفعله ويقدّمه ويصدّره أولئك المهاجرون الأفذاذ الذين لنا فيهم أبناء وأخوة وأصدقاء. نعم هناك استثناءات بديعة لبعض مسؤولي هؤلاء المغتربين ممن وطّنوا أنفسهم للعمل من أجل مستقبل الجاليات الاغترابية فتفاعلوا معها، وشاركوها همها وهواجسها وحاجاتها... ومنهم معنافي هذه الجلسة القنصل الأستاذ رمزي حيدر، ورئيس الجالية اللبنانية في دولة التوغو الأستاذ ربيع نصار والأستاذ جميل راجح و... ونحن نبني عليهم وعلى أمثالهم آمالاً عريضة إن شاء الله.

هذه الجلسة المثيرة يديرها الأستاذ الدكتور وسام غيّاض الذي عرفناه تلميذًا عصاميًا في مرحلة التعليم الثانوي الرسمي، وقد حفّزه اجتهاده ودراسته على نيل

شهادة الدكتوراة في الحقوق، ونجاحه ساهم في شغله منصب مدير كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية في صيدا.

هو عضو فاعل في مجلس الخدمة المدنية اللبنانية وفي الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي ومديرية قوى الامن الداخلي...

له مؤلفات في القوانين والانظمة الدولية والمحاكمات الجزائية. شارك في مؤتمرات عديدة حول هذه المواضيع.

أ. إبراهيم سرور

رئيس الجلسة:

المدير السابق لكلية الحقوق والعلوم السياسية

الفرع الخامس:

أ.د. وسام غيّاض



- حائز على دكتوراه دولة في الحقوق من جامعة "مونبلييه" الفرنسية (1999)
- أستاذ في ملاك الجامعة اللبنانية كلية الحقوق والعلوم السياسية (الفرعين الأول والخامس).
- حاصل على رتبة برفسور، ويشرف على رسائل واطروحات في الجامعات اللبنانية، والعربية والاسلامية.
- عضو في لجان مجلس الخدمة المدنية والصندوق الوطني للضمان الاجتماعي ومديرية قوى الامن الداخلي.
- مدير سابق لكلية الحقوق والعلوم السياسية ـ صيدا.
- له مؤلفات عديدة منها: الوجيز في قانون العمل اللبناني ـ الوجيز في اصول المحاكمات الجزائية ـ الشريعة الجزائرية والجريمة ـ المسؤولية الجزائرية والعقوبة...

تعتبر الهجرة مأساة مزمنة يتعامل معها اللبنانيون منذ أن وُجدوا، ويحتل لبنان حاليًا أعلى نسبة مهاجرين في العالم إذ تشير دراسة المنظّمة العالمية للهجرة إلى أنّ لبنان يشكّل البلد الأول في العالم من حيثُ كثافة الهجرة مقارنةً بعدد سكانه.

وبالرغم من أنّ الهجرة تعتبر حلمًا للكثيرين، إلاّ أنها تحوّلت في لبنان إلى عملية تهجير مدروسة تقودها السياسات الأمنية والاقتصادية والعسكرية التي يعاني منها وطننا الصغير بمساحته، الكبير بالأطماع الإقليمية والدولية.

ونلاحظ بأنّ اللبنانيين ينتشرون اليوم على مساحة الكرة الأرضية ويكمّلون حياتهم بعيدًا عن وطنهم ولا تربطهم بلبنان "الوطن الأم" إلاّ زيارات خاطفة أو علاقات مع الأقارب. ومن يفكّر منهم في العودة يعود وفي داخله صراع: "العودة - البقاء".

وفي ظلّ غياب سياسة حكومية واضحة ودقيقة لجهة تثبيت مواطنيها في وطنهم ـ وهو الأمر الغائب حاليًا عن البرامج الإصلاحية للحكومات المتعاقبة، كما عدم وجود أرقام دقيقة عن عدد المهاجرين اللبنانيين وأماكن وجودهم، ما يقلّل من معرفة حول المشكلة ـ يبقى 11 مليون مهاجر لبناني (وهو الإعتقاد السائد) رقمًا قابلاً للزيادة يومًا بعد يوم.

كما أنّ تفاقم ظاهرة الإنتشار اللبناني في كافة أصقاع العالم جعلت من المحافظة على التواصل مع المغتربين واجبًا ملحًا لأسباب عديدة نذكر منها:

1 ـ إنّ التواصل بين لبنان ومغتربيه يجب أن ينطلق من الرغبة في إشراكهم في الشؤون الداخلية لبلدهم الأم ومنحهم لحقوقهم، قبل مطالبتهم بتأدية واجبهم بمعنى أن تنحصر الغاية من التواصل باعتبار أنّ المغتربين يشكّلون موردًا اقتصاديًا مهمًا للبنان.

2 ـ من الضروري تفعيل دور لبنان في الحدّ من تفاقم التحدّيات والمخاطر التي

تواجه بعض الجاليات اللبنانية لا سيّما في إفريقيا (وحادثة إختطاف المغترب اللبناني إبن مدينة النبطية حسن جابر مؤخرًا في أثيوبيا خلال سفره من دولة الغابون الإفريقية إلى لبنان، إنّما هي خير دليل على ماهية هذه المخاطر وشدّتها)...

ومن المعلوم أنّ التواصل الرسمي بين لبنان ومغتربيه قد بدأ منذ بزوغ فجر الإستقلال عام 1946 عندما تمّ تغيير إسم "وزارة الخارجية اللبنانية" إلى "وزارة الخارجية والمغتربين"، كما أُنشئت عام 1993 وزارة خاصة لتولّي شؤون اللبنانيين في بلاد الإنتشار وسمِّيت بوزارة المغتربين التي أبدت إهتمامها بعقد المؤتمرات الاغترابية إلى أن تمّ دمج هذه الوزارة بوزارة الخارجية والمغتربين عام 2000، فضلاً عن السفارات والقنصليات في دول الإنتشار، خدمة للبنانيين هناك.

والى جانب أشكال التواصل الرسمي المذكور آنفًا، ثمّة أشكال تواصل غير رسمية لا تقل أهمية، ولطالما تركّزت على الإهتمام باللبنانيين في دول الإنتشار.

ـ من جهة أولى، ومن خلال العمل على تنظيم جولات وزيارات للمسؤولين اللبنانيين إلى تلك الدول للإطلاع على أوضاع الجاليات اللبنانية وتعزيز صلتها بلبنان.

ـ ومن جهة ثانية من خلال السعي لتأمين الأوضاع القانونية التي تعزّز ثقة المغترب للمشاركة في العملية الإنمائية والاقتصادية في لبنان.

إنطلاقًا مما تقدّم، سيتم التطرّق إلى أشكال التواصل غير الرسمية بين لبنان ومغتربيه في هذه الجلسة، حيثُ نتعرّف مع الأساتذة والزملاء الكرام على أهم نماذج المؤسسات غير الرسمية الناظمة لشؤون اللبنانيين في المهجر وأدوارها الرئيسية على الشكل التالي...

مأسسة الاغتراب وأبعادها:

سيادة وفعالية القوانين الدولية وأزمة القوانين الوطنية:

أ.د. علي أحمد خليفة



- حائز على دكتوراه دولة في العلوم السياسية.
- أستاذ محاضر في كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية.
- له عدة كتب صادرة عن دور نشر لبنانية، تناولت القانون الدستوري العام، والوظيفة العامة، والمؤسسات العامة، والقانون الانتخابي، والسياسات الاجتماعية والبيئية والمائية.
- له دراسات منشورة عالجت العديد من الاشكاليات والمقالات تناولت قضايا متنوعة.
- شارك في العديد من المؤتمرات، وورش العمل، والتدريب المتخصص في مجالات التنمية، وحقوق الإنسان، والمرأة والطفل...
- شارك في منظمات دولية في رسم الاستراتيجيات بين لبنان ومنظمة اليونسف.
- حائز على العديد من التنويهات.

المقدِّمة

للاغتراب والهجرة مفهومين متناقضين التصنيف، متباعدين الغايات، متقاربين الآليات، فإذا كانت الهجرة تؤدي إلى الاغتراب، فالاغتراب، الذي ليس صناعة هجرة، يشكِّل آلية من آلياتها، وإذا كانت الهجرة آلية من آليات الحلول للأزمات السياسية، فالاغتراب مقاربة على مفهوم الهجرة وليس بهجرة. إنه قرار متنوِّع الإندفاعات، مختلف الأسباب، جريء، محفوف بالمخاطر، للبحث في المجهول عن مقاييس تتحقَّق فيها معاني الأهداف والطموحات والتطلُّعات، يتخذه بأسبابه المغترب غير آبه بالمخاطر والنتائج التي تترتب عليه على الصعد كافة.

والمسؤولية الوطنية المفقودة التي تكمن في مواكبة المغتربين الذين اتخذوا قرارهم وحمايتهم، كمرغمين على النتائج التي فرضتها غياب مفهوم المواطن والمواطنة وتشتت المبادرات التي تربطهم بالأمان والاطمئنان، وفقدان الانتماء الفعلي الذي يتحقَّق من خلاله زوال الدوافع المدمرة للشخصية الوطنية، لتحلّ مكانها الأبعاد الأخرى التي تعود بالفائدة على الإنسان المغترب والوطن في آن معًا.

وفي مشتملاته، تنوُّع الأبعاد وخصوصية الأهداف وتغيُّر الظروف وضرورات المرحلة، التي تتكامل إذا ما شكَّل فيه الجناحين المغترب والمقيم من ثنائية وظيفية، متأصلة من عمق الالتزام والانتماء لوطن الإنسان، الذي يشكِّل فيه المقيم حارس الوطن والساهر على أحلامه، ويلعب فيه المغترب دور السفير إلى حضارات الدنيا، ليعليا مجد الوطن.

من هنا، فإن الإجابة عن الأسئلة وإيجاد الحلول لها كانت محل عناية الفقهاء، وكانت محل نقاشات لا تخلو من الأبعاد السياسية والمذهبية، ولها أثرها على

المشرّع والقضاء في البلدان المتعددة، دون أن يمنع ذلك إلى أن تصل هذه المسائل إلى الساحة الدولية. وكل ذلك كوَّن مصادر القانون الدولي الخاصّ لتصبح مصادر فقهية ووطنية ودولية.

فما دام الفرد اليوم في تنقُّل مستمرّ، فإنَّ نتيجة ذلك هي تشابك العلاقات بين أفراد ينتمون إلى بلدان مختلفة، أو يقيمون في بلدان غير بلدانهم الأصلية. وهذا ما يجعل المسائل التي يهتم بها القانون الدولي الخاصّ في تزايد مستمرّ من حيث الكمّ والنوع، لأنَّ كثير من الأفراد الذين يتركون بلدانهم الأصلية، لسبب أو آخر، ويقيمون ويستقرون في بلدان أخرى، يحتاجون إلى إقامة علاقات قانونية فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين مواطني هذه الدول التي يتواجدون فيها.

وعليه فإنه في كل لحظة تطرح، أو يمكن أن تطرح بالنسبة لهؤلاء المغتربين، مسألة تتعلَّق بحالة الأجانب، التي تفترض تحديد مسألة جنسيتهم، وأخيرًا تحديد القوانين الواجب التطبيق في علاقاتهم القانونية ومنازعاتهم القضائية. ولذلك كانت الجنسية وتنازع القوانين هي من المسائل التي يهتم بها القانون الدولي الخاصّ.

إنطلاقًا مما تقدَّم، سنحاول أن نقدِّم في هذا البحث بعض ما نستطيع في موضوع شائك متلاطم الأمواج، سعيًا لإيجاد ملامح مأسسة ناظمة للأفواج الساعية إلى رزقها وأمانها وبعض سلامها في هذا المدّ المترامي الأطراف والجهات. وذلك من خلال قسمين إثنين:

القسم الأول، يبحث في منطلقات الأسباب ومندرجات النتائج، وأثرها على المؤسسات، المعرِّفة للقوانين والهجرة والاغتراب.

القسم الثاني، يستعرض أزمة القوانين الدولية وتحديات لبنان الاغترابية، وإشكاليات التصنيفات والمعالجات.

القسم الأوَّل: منطلقات الأسباب ومندرجات النتائج، وأثرها على المؤسسات، المعرِّفة للقوانين والهجرة والاغتراب

إنَّ تزايد مظاهر الأزمات وتفاقم حدَّتها، قد أصبح من التحدِّيات الكبيرة التي تُظلل عالمنا المعاصر، بحيث باتت تُقلِق، بنتائجها وانعكاساتها، لا سيَّما نتيجة تعقُّدها وتداخلها وترابطها الوطني مع الالتزامات الاقليميَّة والدوليَّة، وتأثيرها الإيجابي أو السلبي على نتائج وتصنيفات الدول. خصوصًا في ظلّ مسار التحوُّلات الذي أصاب المفاهيم والآليَّات على حدٍ سواء، وأدخل معه العالم في

التجاذب المفاهيمي الإشكاليّ المنقسم بين عالميَّة الحقوق ومسارات العولمة وتحدِّيات آلياتها. وبالتالي فإن المشكلات الناجمة عن الهجرة التي ما زالت تهدِّد الإنسان، بأبعادها وتلاوينها، قد فرضت على الدولة واقع تحدِّيات لا يمكن تجاوزه أو القفز فوقه، جديد بآليَّاته وقديم بمنطلقاته، يتهدَّد عناصرها ويطيح بأُسُسها عند اشتداد الأزمة السياسيَّة، وبتحدِّياتٍ تفرض عليها مهامًا أكثر لكي تحافظ على منطلقات وجودها وأسباب بقائها وتجاوز أزماتها.

سنحاول في هذا القسم لإشكالية السيادة الدولية وتأثيرها في سيادة القوانين الدولية على القوانين العادية الوطنية، والأبعاد الدافعة لإدارة الهجرة وتصنيفاتها.

المبحث الأول: إشكالية السيادة الدولية وتأثيرها في سيادة القوانين الدولية على القوانين العادية الوطنية

بالرغم من سعي الدول للتمسك بسيادتها الكاملة، إلا أنه لا يمكن لها أن تعيش منفردة في عالمٍ متحوِّل، شكلت فيه الأزمات الدولية تحديات مشتركة تتطلب إيجاد حلول إنسانية تتجاوز الحدود الوطنية، وتؤسس بنتائجها أزمات جمَّة فرضتها السقوف المزدوجة للسيادة الدولية والنظام الدولي والمعايير المؤسِّسة له، وتترك تداعياتها على واقع سيادة القوانين الدولية على القوانين العادية الوطنية.

أولاً ـ أزمة السيادة الدولية والنظام الدولي والمعايير المؤسِّسة:

إنَّ "**القانون الوضعي**" هو ما تضعه الهيئة العليا في الدولة. فما تصدره هذه الهيئة من أوامر وقرارات، أي من قواعد، تفرض طاعتها واحترامها على الأفراد والهيئات في الدولة كافة، لأنها صادرة عن إرادة المشرِّع القابض على السلطة العليا في الدولة.

وفي مجتمع الدول "المتساوية" بدلالات مفهوم المساواة على خيارات السيادة، باعتبار أن كل دولة لها الحق أن تقرِّر وحدها ما يجب أن تفعله في تنفيذ واجباتها الدولية، لا وجود لمثل هذه الإرادة العليا التي تفرض القاعدة القانونية، إذ لا وجود لسلطة تعلو على سلطات الدول لتفرض إرادتها بما تضعه من قواعد قانونية. وقد دلَّت النظريتين التي بحثت في العلاقة بين القانون الدولي والقانون الداخلي، أنَّه في الأولى تعتبرهم "الثنائية" نظامين قانونيين متساويين، مستقلين ومنفصلين، ولا يمكن أن يحصل مزج بينهما أبدًا، وفي الثانية تصنفهم "الوحدانية" أنهما يشكلان نظامين قانونيين مختلفين أحدهما تابع للآخر، بحيث

يسمو نظام ويتفوَّق على الآخر، وهذه الأحادية قد تكون أولويَّة للقانون الداخلي أو أولوية للقانون الدولي[1].

إلا أنَّه من الممكن أن تُوجد، في مجتمع الدول، دول أقوى من الأخرى، ويمكن أن تفرض إرادتها في بعض الأحيان، على الدول الأضعف. إلا أنَّ هذه الإرادة غير مؤهَّلة قانونًا، فهي ليست إلا قوَّة أو سلطة فعليَّة، وبالتالي غير مختصَّة لأن تصدر قواعد قانونية صحيحة، ومن ثم ملزمة من الناحية القانونية.

كما أنَّ مشكلة أساس القانون الدولي هي في تأمين عالمية المفهوم، وإنَّ البحث في أساس القانون الدولي هو البحث في تفسير القوَّة الملزمة لهذا "القانون، وبالتالي في وجوده وخضوع الدول له. ولكي يكون هناك قانون يحكم الدول، يجب أن تكون قواعده بمنأى عن إرادة الدول، وبالتالي لا بد من "**قانون موضوعي**" يحكم العلاقات بين الدول ويفرض عليها، ولا يكون وليد إرادتها.

فالقانون الموضوعي بخلاف عن القانون الوضعي، لا يدين بوجوده لإرادة الدولة، وإنَّما يملك وجودًا بذاته. وإذا كان "القانون الموضوعي"، في أساسه، خارج عن الدولة وإرادتها، فهذا لا يعني أنَّه يبقى غريبًا عن الدولة وعن إرادتها، بل هو يعلو على الدولة وعلى إرادتها. وهو يجد أساسه في العقل وفي طبيعة الأشياء، والدولة مقيَّدة بالقانون الطبيعي، باعتباره قانون ضروري وثابت يعلو عليها. وإنَّ الدول ذات السيادة، كالأفراد، بحاجة إلى العيش في مجتمع، والعيش في جماعة يحتاج إلى تنظيم، وهذا التنظيم يحتاج إلى قانون دولي ينظِّم تعايش الدول ذات السيادة، ويكون متطوِّر ومتغيِّر يجد أساسه فيما تعتبره الشعوب أنَّه من القانون الطبيعي.

وعليه يكون القانون الدولي بمثابة القانون الوضعي، إلا أنَّه توجد بينه وبين القانون الطبيعي علاقة خضوع ضرورية، فالأوَّل يجب أن يكون متوافقًا مع الثاني، الأمر الذي يحقِّق خضوع الدولة ذات السيادة للقانون الطبيعي[2]، الذي يكون له وجود موضوعي، رغم أنَّ البعض يعتبرها قواعد مفترضة يسلَّم بوجودها. وبالتالي فهي نسبية وليست بموضوعية ولا مطلقة، لأنَّ قواعده تحلّ محل القواعد الوضعية

(1) علي، زراقط، الوسيط في القانون الدولي العام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، 2011، ص 39.

(2) CF. DINH: Droit International Public, 3e, ed, Paris, L.G.D.J, 1987, p. 47.

اللاعقلية أو غير الكافية، أو الذي يفتقد وجودها في قطاع معيَّن كالعلاقات بين الدول[1].

كما أنَّ البعض الآخر اعتبر القانون الموضوعي تؤطِّره الفئة الاجتماعية تلقائيًا، نتيجة المتطلِّبات أو ضرورات الحياة الجماعية المشتركة، وهي تقضي بخضوع الأفراد أعضاء هذه الفئة الاجتماعية إلى قواعد اجتماعية تحدِّد السلوك الإيجابي أو السلبي، الذي يجب أن يتخذه أعضاء هذه الفئة من أجل أن تستطيع هي والأفراد المكونون لها من أن تعيش وتتطوَّر. وإنَّ هذه القاعدة الاجتماعية الأخلاقية أو الاقتصادية تصبح قاعدة قانونية في اللحظة التي يكون فيها شعور الأفراد المكونين لها، تؤمن بأنَّ التضامن الاجتماعي سيلحقه ضرر، إذا كان احترام هذه القاعدة لا يضمن باستخدام القوَّة، وأن يكون ذلك الاستخدام متماشيًا مع الشعور بالعدالة.

وعليه، تصبح القاعدة الاقتصادية أو الأخلاقية قاعدة قانونية، حين يدرك الأفراد المكونون لفئة معينة أنَّ احترامها ضروري لبقاء التضامن الاجتماعي، وأنَّه من العدل أن يضمن هذا الاحترام عن طريق الجزاء. وإذا استطعنا أن نثبت وجود تضامن اجتماعي ليس فقط بين أفراد الفئة الاجتماعية الواحدة، بل بين أفراد عدة فئات اجتماعية، عندها يمكن القول بوجود قانون موضوعي ينظِّم العلاقات بين أفراد هذه الفئات، أيّ قانون دولي[2]. وأنَّ القاعدة الأخلاقية والاقتصادية تصبح قانونية حين يدرك جمهور الأفراد، بسبب التضامن الدولي والحاجة الملحة إلى العدالة، أنَّه من الضروري أن تجاري هذه القاعدة، وبأن يُوضع حدًا لمن يخرق هذه القاعدة. وهذه القواعد لا تطبق على الدول، كما هي كأشخاص، لأنَّ ليس لها هذه الشخصية في الحقيقة، بل تطبَّق على أفراد الدول المختلفة[3].

بينما ذهب آخرون إلى اعتماد مذهب "الوضعية القانونية"، التي تنطلق من أنَّ الدولة هي التي تضع القانون، والدولة ذات سيادة، بمعنى أنَّ إرادتها لا تتقيَّد بما تضعه إلا ذاتيًا. فالدولة تخضع، إذن، بمشيئتها للقانون، أي أنَّها تتقيَّد ذاتيًا بقرار أو تصرف أحادي، وبالتالي فهي تبقى ذات سيادة وإن خضعت للقانون

(1) منذر، الشاوي، الإنسان والقانون، الطبعة الأولى، الذاكرة للنشر والتوزيع، بغداد، 2015، ص 192.
(2) المرجع أعلاه، ص 198- 199.
(3) Duguit, L. Traite de Droit constitutionnel, 3 ed, T1, p. 185-188.

الداخلي[1]. ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك بالنسبة للقانون الدولي، أي بالنسبة للدولة في هذا القانون، ووفق هذا المنظور سيكون من خلق الدول، وهي تخضع له بمشيئتها معبرِّة عن ذلك بالاتفاق فيما بينها. فأساس القانون الدولي سيكون، بالنسبة للوضعية القانونية، في هذا الاتفاق التي تعقده الدول فيما بينها وتلتزم بإرادتها على احترامه. فكما تخضع الدول بإرادتها للقانون الداخلي وتبقى ذات سيادة، فإنَّها تخضع للقانون الدولي بإرادتها المعبَّر عنها باتفاقها مع الدول الأخرى، وتبقى ذات سيادة لأنها تقيَّدت بإرادتها[2].

إنَّ هذه النظرية قد ذهبت إلى أنَّ وجود القانون الدولي سيكون بوساطة الموافقة الطوعية[3]، الصريحة، أو الضمنية، للدول على بعض القواعد، وبالتالي فإنَّ القانون الدولي الذي يكون أساسه الموافقة الاختيارية ليس قانونًا حقيقيًا، وليست قاعدة قانونية إذا لم ترتبط بقاعدة سابقة الوجود وآمرة بذاتها، بالنسبة لأولئك الذين هم طرف في الاتفاق، وهذا ما لم يسلِّم به البعض. فإذا كانت إرادة الدولة هي التعبير عن القانون، وإذا كان كل إظهار لإرادة الدولة قانونيًا، فلا شيء يستطيع من الناحية القانونية تقييد الدولة. فالصفة الملزمة للقاعدة القانونية لم تحددها الشروط الموضوعية للنظام القانوني، بل هي مرتبطة بإرادة الدولة، والنتيجة القانونية لإرادة لا يمكن أن تلغيها إرادة أخرى.

ثانيًا ـ واقع سيادة القوانين الدولية على القوانين العادية الوطنية:

إنَّ العلاقة المتبادلة بين النظامين القانونيّ الدوليّ والقانونيّ الداخليّ تحدِّدها عوامل عدَّة، وإنَّ الدور الذي تلعبه الدول في العالم المعاصر هو دور معقَّد. فوفقًا لنظريات القانون الدولي تعتبر الدول متساوية فيما بينها ولكل منها سيادتها، لكن في الواقع العملي، فإنَّ هذا التطوُّر الحاصل والمتزايد والمشكلات الحادَّة والتحديات الكبيرة التي تواجه العالم اليوم، تدفع الدول إلى عدم بقائها مستقلَّة عن الأحداث ومتمتِّعة بالسيادة الكاملة، وتفرض التداخل والتشابك في المصالح والأهداف التي تفرض ضرورة التنسيق الدولي الواسع في أمور مختلفة كالسياسات

(1) منذر، الشاوي، في الدولة، بغداد، 1965، ص 97.

(2) منذر، الشاوي، الإنسان والقانون، مرجع سابق، ص 204- 205.

(3) H Eraud, G. L Origine juridique et le Pouvoir Originaire, Paris, Sirey, 1946, P. 104.

الهادفة إلى حلّ المشاكل الاقتصادية والبيئية وخطر الإرهاب الدولي، ومواجهة ظاهرة الهجرة الغير شرعية، وغيرها من القضايا التي تقلق الدول جميعها.

ومع نموّ القانون الدولي وتوسُّعه ينمو الاهتمام بالدور الذي تلعبه الدولة ضمن النظام الدولي والعلاقة بين النظام الدولي الداخلي لدولة ما، وبين القواعد والمبادئ السياسية في المجتمع الدولي بأسره. فصحيح أنَّ افتقار القانون الدولي إلى الأجهزة التشريعية والتنفيذية والقضائية المتكاملة يجعل الاستدلال إلى القانون الدولي، واعتبار أحكام خاصَّة قواعد قانونية دولية، يلاقي الصعوبة[1]، لكن ذلك لا يحول دون إقرار المجتمع الدولي بإلزامية قواعد قانونية مستمدَّة من مصادر معترف بها[2].

من هنا، فإنَّ وجود قانونين دوليّ وداخليّ قد دفعت الفقهاء إلى مقاربة العلاقة بينهما من أوجه مختلفة، فبينما ذهب البعض إلى اعتبار أنَّ العلاقة بينهما تنطلق من قاعدة سموّ الدولة والتأكيد على أنَّ إجازة القانون الداخلي بتطبيق قواعد القانون الدولي، إنَّما يدل على سموّ سلطة الدولة داخل إقليمها، ولا يعتبر سموًا للقانون الدولي على القانون الداخلي[3]، ذهب البعض إلى عدم الاعتراف بوجود علاقة متبادلة بين النظامين، ووضعوا النظامين إما على خطين متوازيين أو بإرجاع العلاقة المتبادلة إلى التأثير المتبادل للنظامين، وإلى ضرورة انسجام الواحد على الآخر، وبالتالي إنكار التأثير المتبادل الفعلي بين المعاهدات الدولية والتشريعات الداخلية في عملية التنظيم القانوني. فيما أقرّ آخرون وجود علاقة متبادلة فعليَّة بين القانون الدولي والقانون الداخلي، نابعة من عوامل موضوعية مهمَّة بالنسبة للقانونين، كالتأثير الفعلي في السياسة الداخلية والسياسة الخارجية للدولة، ما يدفع الدولة للقيام بأشكال وطرق متعدِّدة لوضع قواعد القانون الداخلي وقواعد القانون الدولي، والتي تعبِّر عن مصالحها المشتركة.

يقابل "نظرية ازدواج القانونين" "نظرية وحدة القانون"، حيث لا يتصوَّر أنصار هذه النظرية وجود نظامين قانونيين دون سموّ أحدهما على الآخر، وهو ما

(1) M. N. Shaw, International Law 4th Eden, Cambridge, 1999, p. 54.

(2) طالب رشيد، يادكار، أسس القانون الدولي العام، منشورات زين الحقوقية، الطبعة الأولى، بيروت، 2015، ص 67.

(3) Oppenheim, International Law 9th Eden, by Sir R. Jennings and Sir A. Watts, P. 53.

أنشئ رأيين حول ذلك بنيَّت نتائجهما على أساس التدرُّج القانوني، حيث أنَّ كل قاعدة قانونية تستمد قوَّتها الملزمة من القاعدة التي تعلوها. فبينما ذهبت بعض الدول إلى اعتماد سموّ القانون الداخلي وسيلة لتأمين سيادة الدولة المطلقة وعدم التدخُّل في الشؤون الداخلية، قامت بعض الدول باستخدام نظرية وحدة القانون مع سموّ القانون الدولي عن طريق تأويل أحكام ومبادئ القانون الدولي، واعتباره قانونًا أسمى وأعلى وأقوى.

وبالرغم من أنَّ النوع الأول من الدول لا تتصرَّف ضمن نطاقها الداخلي وفقًا لالتزاماتها النابعة من القانون الدولي، إلا أنَّ تصرفها لا يلغي قاعدة قانونية دولية، ويشكِّل انتهاكًا لقاعدة من قواعد القانون الدولي، ومعالجته تقع في نطاق القانون الدولي، سواء كان ذلك عن طريق الاحتجاج الدبلوماسي أم عن طريق القضاء. ولا تنطلق هذه الطريقة لحلّ المشاكل وفق مفاهيم نظرية، إنَّما تحاول أن تنطلق من اعتبارات عملية منسجمة مع ممارسة الدول وقرارات القضاء الدولي[1]. وبالتالي، فإنَّ القاعدة العامة تنطلق بأنَّ الدولة التي تنتهك قاعدة قانونية دولية لا تستطيع أن تتهرب من المسؤولية بالإحالة إلى أحكام قانونها الداخلي، ولا يمكن الدفاع عن انتهاك التزام دولي بحجة أنَّ الدولة تصرَّفت بما أملاه عليها قانونها الداخلي[2].

من هنا، فإنَّ ممارسة الدول والقضاء الدولي قد أكَّدت هذا التوجُّه لمنع الدول المتورطة في نزاعات دولية، أن تستند إلى القانون الداخلي كطريقة للتخلُّص من أحكام القانون الدولي. وقد نصَّت المادة 27 من اتفاقية فيننا لقانون المعاهدات عام 1969، فيما يتعلَّق بالمعاهدات، بأنَّه لا يجوز للأطراف أن تلجأ إلى أحكام قانونها الداخلي لتبرير فشلها في تنفيذ معاهدة دولية[3]. كما أنَّ القضاء الدولي أكَّد على سموّ القانون الدولي على القانون الداخلي، بغض النظر عن مصدر القانون الدولي، سواء أكان معاهدات دولية أم عرفًا دوليًا أم مبادئ قانونية عامة[4].

(1) G. Fitzmaurice, The General principles of Internation Law, Considered from standpoint of the Rule of Law, 92, HR, 1957, 11, P 70-80.

(2) طالب رشيد، يادكار، أسس القانون الدولي العام، مرجع سابق، ص 39.

(3) للتذكير: لقد ورد هذا النص في القواعد التي تحكم النزاع الدولي.

(4) للتذكير: لقد أكدت المحكمة الدولية في قضية تحكيمية عام 1988 على أن القانون الدولي يسمو على القانون الداخلي.

من هنا، فهيئات الدول حين تعقد معاهدة وتصادق عليها تتصرَّف ليس كهيئة دولة، وإنَّما كهيئة من هيئات المجتمع الدولي، وبالتالي فإنَّ ما تصل إليه من قواعد قانونية تكون بمثابة قواعد قانونية وضعتها هيئات دولية، وبالتالي هي قواعد دولية[1]. وهنا يجب التسليم بأنَّ الهيئة تعبِّر عن إرادة دولتها في نفس الوقت الذي تسهم فيه في الهيئة التشريعية للجماعة الدولية، وإنَّ القول بأنَّ إرادة الدول هي مصدر هذه القواعد الدولية، أو القول أنَّ هيئة الدولة حين تسهم في إقامتها، هي في ذات الوقت هيئة لدولتها وهيئة للجماعة الدولية، هما نفس التعبير، لكن بصياغات مختلفة[2].

كما أنَّ هذه القواعد التي تعلو على الدول ليست إلا تعبيرًا عن إرادة الدول، لأنَّ المعاهدة التي تعتبر الدولة مضمونها كقاعدة تحدِّد سلوكها تجاه الدول، ليست إلا نتيجة لإرادتين أو أكثر للدول التي قرَّرت اتباع قواعد معيَّنة تكوِّن مضمون هذه المعاهدة. والأسئلة التي تُطرح تندرج حول أنَّه كيف تستطيع هذه المعاهدة أن تلزم الدولة أو تقيدها؟ وهل من الممكن أن تتحلَّل الدول من التزامها؟ هل المواثيق الملزمة مسلَّم بقيمتها القانونية ولا يمكن تبريرها إلا من الناحية الأخلاقية أو السياسية؟ هل تتردَّد الدول التي هي أكثر احترامًا في الظاهر للقاعدة الدولية أن لا تتردَّد في تجاهلها عندما تكون سيادتها في الميزان؟ ما هو حقيقة أنَّ القانون الدولي يفتقد إلى مشرِّع؟ وهل نفتقد وحدة الرؤية السياسية في المجتمع الدولي؟

المبحث الثاني: الأبعاد الدافعة لإدارة الهجرة وتصنيفاتها

إن ملف الاغتراب لا يمكن أن يحصى أو يقارب إلا بأبعاده المختلفة: الاقتصادي، الثقافي، الاجتماعي، السياسي، الديني، والنفسي...، الذين يدفعون إلى أن تتشكُّل منها الأركان الثلاثة الحسي والإقليمي والميتافيزيقي للاغتراب، التي حدَّدها بعض الفقهاء للمفهوم الفلسفي له، وتدفع الإنسان إلى الإنقلاب على الأوضاع الاجتماعية ورفض الواقع وعدم الاستسلام لها، والسيطرة على حالة العجز واللامعنى واللامعيار، والعزلة والثقافية والعزلة الاجتماعية والغربة الذاتية،

(1) منذر، الشاوي، الإنسان والقانون، مرجع سابق، ص 212.

(2) Walline, M. L Individualisme et le Droit, Paris, 2 ed, 1949, P. 213.

حسب تعبير Lewes Feuer وبعض علماء النفس والاجتماع، وتحويلها إلى حالة قوَّة في مكان آخر. فكم من مغترب ما زال في وطنه يستسلم لهذه المشاعر دون العمل على تغييرها وطنيًا أو خارج الوطن.

إلا أنَّ تنظيم إدارة الهجرة، وبالرغم من أهمية الأبعاد الأخرى، ركَّزت في المسائل الإدارية والاقتصادية، وأفرغت لها حيِّزًا كبيرًا من خلال التشريعات الدولية والوطنية لإدماج المهاجرين في التنمية، نظرًا لارتقاء مفهومها كأولوية في حياة الدول.

سنبحث في هذه المبحث دوافع الأبعاد الاقتصادية والإدارية والمراكز القانونية ذات العنصر الأجنبي وتصنيفاتها.

أولاً ـ دوافع الأبعاد الاقتصادية والإدارية لإدارة الهجرة وانعكاساتها على التنمية:

إنَّ بحث الأبعاد الاقتصادية والإدارية للهجرة، ينطلق من تركيز التشريعات الدولية لواقع تصنيفاتها على أسباب مهمَّة، تشكَّلت بغية مأسسة الهجرة ودفعها في أن تصبح حاجة دولية مؤنسنة، يحميها الاجماع الدولي في اتفاقيَّات شارعة وقوانين ناظمة، تخِّفف من مخاطرها وتنظِّمها، لكي تسهم في رفد حركة التنمية العالمية وتوزيع فوائدها على الدول كافة. وهذا ما سنظهره دون أن نغفل الأبعاد الأخرى فيها، وأزمة التصنيفات حولها، في ظل الوقائع الجديدة التي دفعتها الأزمات المتعدِّدة، وباتت إشكالية إنسانية وسياسية وأمنية تضرب بنتائجها الاستقرار والانتظام.

أ ـ البعد الاقتصادي للهجرة: إنَّ الهجرة، هذه الأيام، تحظى بأهميَّة بالغة في المناقشات السياسية على الصُعُد المحلية والإقليمية والدولية، وقد دفع اتساعها وتعقيدها الدول والمؤسسات الدولية والمجتمع المدني كافة، إلى التوجُّه لدراسة التحدِّيات والفرص التي تحويها هذه الظاهرة الاجتماعية، وكذلك البحث عن الحلول الاجتماعية المناسبة التي يجب تقديمها. خصوصًا وأنَّ الهجرة محكومة بعوامل الدفع والجذب، حيث تدفع الظروف الاقتصادية السيئة والفقر الناس إلى ترك بلدانهم الأصلية إلى مناطق أكثر جاذبية، وهي تتزايد مع تطوُّر التكنولوجيا[1].

(1) رافينستين، قوانين الهجرة، صحيفة جمعية الإحصاء، 1885، لندن، ص.167-227.

يضاف إليها دوافع تتعلَّق بالعرض والطلب للسوق لجذب المزيد من العمالة[1]، في ظل نماذج تقسِّم العالم بين مركز غني ومحيط فقير[2]، يساعد في ذلك الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للدول المحيط والروابط الاجتماعية بين المهاجرين وغير المهاجرين لحثِّهم ومساعدتهم على الهجرة[3].

من هنا جاء المبدأ الأول من بين المبادئ العشر التي تضمَّنها تقرير اللجنة العالمية للهجرة الدولية، يمثِّل الهدف الأساسي الذي يجب تحقيقه، ويتطلَّب تنفيذ سلسلة من التحوُّلات تتمثَّل في الآتي:

- شكل جديد من الحوكمة العالمية.
- إصلاحات سياسية واقتصادية عميقة.
- تنمية على المستوى المطلوب في الدول مصدر تلك الهجرات.
- مسار أمني دقيق للمهاجرين.
- استقبال منظَّم يحمل روح التضامن واحترام حقوق الإنسان من قِبل الدول المستقبلة.

كل ذلك دون أن ننسى أنَّ للثقافة مكانة جوهرية في عملية الهجرة، لا سيما وأنَّ تعدُّد الثقافات هو التعايش المشترك المستقلّ لعدَّة ثقافات، بحيث يشكل التداخل الثقافي خطوة تهدف إلى أخذ مسافات بين الشخص ونفسه وثقافته، من أجل فهم الآخرين والنجاح في إقامة حوار وتواصل. كما تعكس مشكلة هيمنة الثقافة قلقًا حقيقيًا من تفكُّك وتهميش لثقافات الأقليات.

ب ـ البعد الإداري: إنَّ إدارة الهجرة تتعلَّق بالقضايا المرتبطة بتنظيم هجرة العمل (هجرة شرعية)، وكذلك بترحيل المقيمين غير الشرعيين (هجرة غير شرعية). كما تتعلَّق أيضًا بإقامة واندماج المهاجرين في الدولة المستقبلة للهجرة، ومشاركتهم في تنمية دولهم الأصلية (الهجرة عبر الدول والهجرة والتنمية).

1 ـ الهجرة الشرعية: إنَّ هذه الهجرة تتم وفق إجراء لطلب استخراج تصريح

---

(1) تودارو، ميشيل بي إي، نموذج هجرة العمل والبطالة المدنية، 1969، ص. 138 ـ 148.

(2) ساسن، إس، تنقلية العمل ورأس المال- دراسة في الاستثمار الدولي وتدفق العمل، كامبريدج، المملكة المتحدة، مطابع جامعة كامبريدج، 1988.

(3) مونسوتي، ألكساندرو، الحروب والهجرات: الشبكات والاستراتيجيات الاقتصادية، باريس، 2004، ص45.

يتيح لرعايا دولة ما الإقامة والعمل بشكل شرعي على أرض دولة أخرى، بالارتكاز إلى:

ـ تنظيم اتفاقيات ومعاهدات ثنائية بين دولتين.

ـ إقامة قاعدة مشتركة من القوانين لحماية وضمان حقوق العاملين المنحدرين من دول أخرى.

ويدخل في هذه الهجرة، بعض أشكال **لمّ الشمل الأسري، وهجرة العمل، وهجرة الطلاب والأشخاص ذوي المهارات العالية، والهجرة في إطار لمّ الهجرة غير الشرعية أو غير النظامية.**

2 ـ الهجرة غير الشرعية: إنَّ هذا النوع من الهجرة يتمثَّل بالأشخاص الذين يدخلون أو يظلون في دولة ليسوا من مواطنيها، على خلاف ما تقتضيه القوانين الداخلية لتلك الدولة.

3 ـ الهجرة عبر الدول: إنَّ هذه الهجرة تتمثَّل بالمهاجرين الذين يدخلون أو يظلون في دولة دون تصريح، ويصبحون ضحايا التجارة غير المشروعة والإتجار بالبشر، بالإضافة إلى طالبي اللجوء المرفوض طلبهم، والذين لا يمتثلون لأمر الإبعاد، والأشخاص الذين يتحايلون على ضوابط الهجرة بزواج تم الاتفاق عليه.

4 ـ الهجرة والتنمية: إنَّ الهجرة والتنمية عمليتان متلازمتان ومترابطتان تنخرطان في عالم متعولم، وهما أثَّرا في تطوُّر الدول والاقتصاديات والمؤسسات. خصوصًا وإنَّ إعادة التفكير في التنمية الاقتصادية لا يمكن أن يحدث دون إعادة التفكير في الهجرة وعلاقتها بالتنمية، سواء في دول المنشأ أو في دول المقصد. وتتم تلك الهجرة عبر تبادل المعلومات والموارد والارتباطات والزيارات التي تتم بين أعضاء الشتات، أو مع السكان الأصليين. وهي تقدِّم، من جانب المهاجر، مشاركة مستمرَّة في الاقتصاد والسياسة والتنظيم الاجتماعي لدولة منشأة، جنبًا إلى جنب مع الإندماج في هياكل الدولة المستقبلة له.

ويتعارض هذا المفهوم مع النموذج الخطي الذي يجعل حركة الهجرة كحركة أحادية الاتجاه في مساحة ثنائية الوجهة، مقتضيًا التفرُّعات الثنائية مثل: **الرحيل، الوصول، الإقامة، العودة المؤقتة والدائمة، وغيرها**[1].

---

(1) دورية، لويس جاك، طرق وشبكات الهجرة- بخصوص الهجرة عبر الدول، نموذج الكنديين ذوي الأصول الفيتنامية، المنظمة الأوروبية للهجرة الدولية، الإصدار 20 رقم 3، 2004، ص. 49-73.

5 ـ لم الشمل الأسري: وهو هجرة أحد أعضاء أسرة مهاجر تربطه به صله قرابة قبل سفره، أو انتقال عائلة الشخص الذي يملك تصريح الإقامة المؤقَّتة بصفة لاجئ أو حماية بديلة والسكن معه. وينصّ الميثاق الاجتماعي الأوروبي بتاريخ 8 تشرين الأول/أكتوبر 1961 على أنَّ الدول تلزم، قدر الاستطاعة، بتسهيل لمّ الشمل الأسري للمهاجر الذي يزاول عملاً ويحظى بتصريح إقامة على أراضيها.

ثانيًا ـ المراكز القانونية ذات العنصر الأجنبي وتصنيفاتها:

إنَّ القانون الدولي الخاصّ يبحث أساسًا في النظام القانوني لحياة الأفراد وعلاقاتهم، التي يكون فيها بالنسبة لدولة معيَّنة عنصر أجنبي أو ظرف خارجي. وهذه المنظومة من المراكز القانونية ذات العنصر الأجنبي لم يعد ممكنًا قيامها وتطوُّرها إلا بعد قيام الحدود السياسية بين الدول والاعتراف للأجانب ببعض الحقوق، وتوفير الضمانات التي تسمح بممارستها[1].

أ ـ مضامين مراحل العلاقات في منظومة المراكز القانونية ذات العنصر الأجنبي: إنَّ هذه العلاقات الناشئة في إطار الحياة الخاصة الدولية، أيّ العلاقات المتضمِّنة عنصرًا أجنبيًا، تمرّ بمراحل ثلاثة:

1 ـ مرحلة التمتُّع بالحقوق: إنَّ هذه المرحلة محكومة بقواعد تحدِّد بمقتضاها مدى قدرة الفرد على التمتُّع بحقّ من الحقوق داخل الدول، تسمح بالبحث في مسألة أولية، ذات أهمية تتعلَّق بمسألة ثبوت أهلية الوجوب للفرد بخصوص الحقّ المراد ممارسته، قبل البحث في كيفية اكتساب هذا الحق. وهذه المشكلة تثار بالنسبة للأجانب نتيجة حرمانهم في بعض القوانين من أهلية الوجوب بالنسبة لبعض الحقوق (**تملك الأراضي الزراعية، تملك أسهم في بعض أنواع الشركات، تلقي أموال بطريقة الإرث، ....**).

فالقواعد المنظِّمة لمركز الأجانب تبيِّن الحقوق التي يتمتَّع بها الأجنبي، سواء كان شخصًا طبيعيًا أو معنويًا، وسواء كانت حقوقًا خاصَّة كالحقّ في التملُّك أو الحقّ في التقاضي، أو حقوقًا عامة كحقّ الأجنبي في الإقامة داخل الدولة أو الحقّ في الانتفاع بالمرافق العامة.

---

(1) سعيد يوسف، البستاني، القانون الدولي الخاص- تطوُّر وتعدُّد طرق حل النزاعات الخاصة والدولية، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الأولى، بيروت، 2004، ص 21.

2 ـ مرحلة ممارسة الحقوق: تنشئ العلاقة القانونية في هذه المرحلة، حيث يتم فيها اكتساب الحق ونفاذه ومعرفة القانون الذي يحكم الحقّ من لحظة نشوئه إلى حين زواله. فالمشكلة التي يتعيَّن مواجهتها في هذه المرحلة هي اختيار القانون المناسب لحكم العلاقة القانونية المطروحة بين عدة قوانين متزاحمه.

3 ـ مرحلة حماية الحقوق: إنَّ ثبوت الحقّ للأشخاص، بمقتضى القانون، لا تظهر قيمته الفعلية إلا إذا استطاع هؤلاء حمايته عن طريق القضاء، وهي مسألة بالغة الأهمية في العلاقات المدنية والتجارية الدولية.

كما أنَّ هذه المسألة تتولَّى الإجابة عنها ما يسمَّى قواعد تنازع الاختصاص القضائي الدولي، التي تقوم على مشكلة التزاحم، عبر تحديدها للحالات التي ينعقد فيها اختصاص قضاء دولة، القاضي إزاء غيرها من محاكم الدول الأخرى بالمنازعات المتضمِّنة عنصرًا أجنبيًا.

وتعتبر هذه القواعد، من الناحية العملية، من أهم قواعد القانون الدولي الخاصّ على الإطلاق، ذلك أنَّ تحديد الاختصاص الدولي لمحاكم دولة ما، يكشف غالبًا ومنذ البداية عن الحل النهائي للنزاع[1].

ب ـ تصنيفات الهجرة والمهاجرين: إنَّ موضوع الهجرة الدولية يعتبر من المواضيع التي لاقت اهتمامًا دوليًا كبيرًا، نظراَ لما تعانيه هذه الفئة من تهميش، ومن ظروف قاسية في دولة العمل، إلى حدّ الوصول إلى انتهاك العديد من حقوقها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نظرًا إلى طبيعة الظاهرة، باعتبار أنَّ الهجرة تتغيَّر بتغيُّر الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وحتى الثقافية لبلد المنشأ. ولقد تجسَّد هذا الاهتمام اللامتنامي من المجتمع الدولي في العديد من الأمور، أبرزت عناوينها الاتفاقيات الدولية والإقليمية باتجاهاتها المختلفة كافة، نظرًا لعدم تشابه الأوضاع القانونية للمهاجرين وتموضعهم في مصطلحات متعددة: **لاجئ إنساني، مقيم بالضرورة، إقامة مؤقتة تصبح دائمة بمخالفة القوانين (بلد لا فيزا)، وأوضاع أخرى.**

---

(1) سعيد يوسف، البستاني، القانون الدولي الخاص- تطور وتعدد طرق حل النزاعات الخاصة والدولية، مرجع سابق، ص 25.

1 ـ ماهية التمايزات بين المهاجر واللاجئ: إنَّ تلك الاختلافات دفعت بمنظمة الأمم المتحدة إلى وضع تعريف جامع للمهاجر، بغض النظر عن الأوضاع والدوافع، على "أنَّه شخص أقام في دولة أجنبية لأكثر من سنة، بغض النظر عن الأسباب، سواء كانت طوعية أو كرهية، وبغض النظر عن الوسيلة المستخدمة للهجرة سواء كانت نظامية أو غير نظامية". وهذا الاستخدام الشائع له يتضمَّن أنواعًا محدَّدة من المهاجرين قصيري الأجل، مثل عمال المزارع الموسميين الذين يسافرون لفترات قصيرة للعمل بزراعة منتجات المزارع وحصادها. يضاف إإليها ما ورد في اتفاقية العام 1951 بشأن اللاجئين، التي عَرَّفت اللاجئ على أنه كل شخص "يوجد خارج دولة جنسيته بسبب تخوُّف مبرَّر من التعرُّض للاضطهاد لأسباب ترجع إلى عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه لعضوية فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية، وأصبح بسبب ذلك التخوُّف يفتقر إلى القدرة على أن يستظل بحماية دولته، أو لم تعد لديه الرغبة في ذلك"[1].

إنطلاقًا مما تقدَّم، فإنَّ المشكلات والإشكاليات حول الأسباب والنتائج والتصنيفات كانت محط اهتمام منظَّمات الهجرة وعملها ضمن سياقات التدخُّل الدولي بالرعاية[2]، **لشمولها هذه القضايا الإنسانية وتلك المتعلِّقة بالهوية والجرائم والأمن المجتمعي، وأسبابها المتعلِّقة بالنظام والسلطة والمعارضة والمؤامرة والإنقلاب، والديمقراطية الهشَّة في الحرب، أما ما يسمَّى بالديمقراطية المقنَّعة بعد الحرب.**

2 ـ تأثير التصنيفات في عوامل التحديات: إن التحوُّلات التي عرفها مفهوم

---

(1) للتذكير: في العام 2017، بلغ عدد المهاجرين 258 مليون شخص، مقارنة بنحو 173 مليون في عام 2000. ويعتقد إن نسبة المهاجرين من سكان العالم أعلى بقليل من تلك المسجلة على مدى العقود الماضية، أي ما يزيد عن 3,4٪ في عام 2017، مقارنة مع 2,8٪ في عام 2000 و2,3٪ في عام 1980. ويهاجر العديد إلى بلادٍ خارج نطاق الاختيار، وأغلبهم يهاجر بسبب الضرورة. وهناك ما يقرب من 68 مليون مشرد قسري، بما في ذلك أكثر من 25 مليون لاجئ و3 ملايين طالب لجوء وأكثر من 40 مليون مشرد داخليًا. الموقع الالكتروني: https://www.un.org/ar/sections/issues-depth/migration/index.html

(2) للتذكير: المنظمة الدولية للهجرة هي المنظمة الرائدة في مجال الهجرة، والتي أنشئت في عام 1951. وهي تعمل للمساعدة في ضمان إدارة الهجرة بشكل منظَّم وإنساني، وتعزيز التعاون الدولي بشأن قضايا الهجرة، والمساعدة في البحث عن حلول عملية لمشاكل الهجرة، وتقديم المساعدة الإنسانية للمهاجرين المحتاجين من اللاجئين والنازحين. وأبرمت المنظمة الدولية للهجرة في عام 2016 اتفاقًا مع الأمم المتحدة (A / 70/ 976) لتصبح إحدى الوكالات المتخصِّصة التابعة لها.

الأمن بعد الحرب الباردة وسَّعت مدارك التعريف ليصبح أشمل وأوسع، ليغطي بذلك أبعادًا غير عسكرية كالإرهاب، الجريمة، الهجرة وغيرها. فالهجرة تحوَّلت إلى مسألة أمنية منذ فترات الأخيرة وأصبح يُنظر إليها على أنَّها مصدرًا يهدِّد هوية المجتمع. وبالتالي، بينها وبين فرز إحدى القضايا الأخرى المتمثلة بالعلاقة بين الهجرة والتصادم الحضاري والأمن. ويكمن التهديد الأكبر الذي تحمله الهجرة الآتية من الأطراف، والتي تمسّ الأمن المجتمعي للدول التي تتجه إليها وهي دول المركز، خاصَّة ما يتعلق بهوياتها وقيمها. بالتالي، لم يعد التهديد العسكري وحده من يهدد أمن الدول، بل هناك صور ذات بُعد غير عسكري برز في بعض الظواهر الاجتماعية كالهجرة، وحوَّلت المهاجر غير الشرعي إلى إنسان خطير لا بد من مراقبته من أجل الحفاظ على هوية المجتمع وخصوصياته، ما يعني أنَّ الهجرة من خلال هذا المنطق الجديد أصبحت أحد أكبر التحديات التي تشغل مساحة النقاشات السياسية.

كما أنَّ للهجرة تأثير إيجابي على الاقتصاد أجمعت عليه الدراسات المختلفة، فهي رفعت مستوى الابتكار والانتاجية والنموّ الاقتصادي للدول المستضيفة، وأمنت عوائد مالية للدول المصدرة للهجرة والاغتراب.

كل ذلك، دون أن ننسى تأثير الهجرة في موضوع الأثنيات والبعد القومي، لا سيما وأنَّ أهم العوائق التي تجعل دولة معيَّنة ترفض استقبال المهاجرين الراغبين في النزوح إليها، هي تلك المرتبطة بالهوية والنزعة القومية، فسكان البلد الذين يرتبطون ببعضهم البعض بروابط قومية وتاريخية معينة، يحرصون على استبقاء تلك الرابطة على حالها، وتقويتها وعدم التفريط في صيغتها النقية الصافية. كما أنَّ للهوية معنىً مختلفًا في مختلف أنحاء العالم، فالهوية عند البعض من الدول تؤكِّد على الانتماء، بينما هناك التباسًا يحيط بمسألة الهوية المشتركة عند البعض الآخر، وذلك لأنَّ هناك العديد من العناصر الثقافية والتاريخية التي لم تستطع أن تمتزج مع بعضها البعض، أو تنصهر في بوتقة واحدة. فيتحدَّد تجاوب المجتمع مع العناصر الوافدة، من خلال عدد من الأمور، تأتي الثقة وروح التعاون على رأسها جميعًا. فالثقة المتبادلة ما بين الطرفين تؤدِّي إلى إمكانية إقامة علاقة نفعية حقيقية فيما بينهما، فتصبح المصلحة هي الهدف الأعلى المنشود، ويكف الطرفان على العمل للفوز والانتصار على نحو منفرد.

ثالثًا ـ طبيعة المسائل المصنَّفة في القانون الدولي الخاص والمرجعية القانونية المنشأة للحقوق في حالات الاغتراب:

لقد شكلت الهجرة محورًا مهمًا في القانون الدولي عبر منظومة التشريعات الدولية من الاتفاقيات والمواثيق والإعلانات وغيرها، ومن الاتفاقيات الإقليمية والثنائية التي عقدت على غير صعيد. وإذا كانت المعاهدات هي المصدر الدولي الوضعي للقانون الدولي الخاص، فإنَّ مواضيعها القليلة التي نظَّمتها آخذة بالازدياد، ويتوجَّب التمييز بين نوعين:

ـ **المعاهدات المتعدِّدة الأطراف**، التي تأخذ شكل الاتحادات بوجود اتفاق دولي ينظِّم منذ البداية عددًا كبيرًا من الدول، ويتضمَّن نصًا يجيز انضمام دول أخرى إليها، تتحمَّل ذات الالتزامات وتتمتَّع بذات الفوائد. كما أنَّها تهدف إلى تجميع عدد غير محدَّد من الدول تحت لواء قواعد دولية مشتركة.

ـ **المعاهدات الثنائية**، التي تعقد بين دولتين لتنظيم مصالحها الخاصَّة، تكون ملزمة لكليهما ولا تحدث أثرًا بالنسبة للدول الأخرى.

فالأولى تُعقد بين دول عدَّة، وتهدف إلى إقامة قواعد دولية مشتركة ذات قيمة عالمية، تضمن وحدة الحكم القضائي في مختلف الدول. إلا أنَّ الصعوبات التي يلاقيها هذا النوع هي الحصول على الموافقة على الحلول التي تتضمَّنها، لكي يتأمن من خلالها توحيد التشريعات الداخلية للدول بالنسبة للمسائل المطلوب الاتفاق عليها، أو توحيد القواعد التي تحكم تنازع القوانين فيها.

والثانية، تكاد بالكاد تكون مصدرًا دوليًا للقانون الدولي لعدم تمتُّعها بصفة عالمية، ومن الأمثلة على ذلك معاهدات الإقامة التي تعقد بين دولتين لتحديد الوضع القانوني لرعايا كل دولة في الدول الأخرى. خصوصًا وأنَّ المعاهدات التي تبحث حالة الأجانب، تعقد بروح التعامل بالمثل، لكي تضمن كل دولة لرعاياها المعاملة الحسنة في إقليم الدول المتعاقدة والأخرى.

وهنا، فالحساسية المبالغ فيها لكل دولة تجاه هذه المعاهدات، التي تمنع الوصول إلى مثل هذه الاتفاقات هي مبالغ فيها، سواء بتمسُّك الدولة باستقلالها أو الوحدة التي يعتقد أنَّها تتحقَّق من خلال هذه المعاهدات، خصوصًا وأنها تمرّ بثلاث مراحل: دبلوماسية، تشريعية، وقضائية، أي توقع ويصادق عليها ثم تطبق.

كما أنَّ هذه الاتفاقيات التي تبغي توحيد القانون الدولي الخاصّ لا يكون لها

قوَّة حقيقية، إلا أذا اتفقت الدول الموقعة على أن لا تكون تحت رقابة وضمان تطبيقها من قبل السلطات الإدارية والقضائية الوطنية، بل من قضاء دولي ملزم.

أما بالنسبة إلى المسائل التي يرعاها القانون الدولي الخاص، فهي ثلاثة: **الجنسية، حالة الأجانب، وتنازع القوانين.**

أ ـ الجنسية: إنَّ جنسية المواطن تحدَّد من خلال معياري الأرض أو الإقليم ورابطة الدم، فالأول يعطي من يولد على إقليم الدولة الحقّ في جنسيتها، والثاني يفرض تناقل الجنسية بفعل النسب، أي أنَّ الشخص ينقلها إلى خلفه. إلا أنَّه يمكن الملاءمة وبصور مختلفة بين هذين المعيارين للتمتُّع بالجنسية أو فقدانها، الأمر الذي يؤدي إلى تنازع جنسيات إيجابي، فيجمع الفرد بين عدَّة جنسيات، أو إلى تنازع جنسيات سلبي، فيحرم الفرد من أية جنسية.

من هنا، فإنَّ البحث في الحياة الدولية الخاصَّة للفرد أو الإنسان لا تتم بمعزل عن فكرة الدولة، التي هي سلطة وإقليم وشعب. وإنَّ من هذه العناصر الثلاثة للدولة يبرز الشعب أو فكرة الشعب، كشرط متقدِّم لا غنى عنه لتكوين الدولة لأنَّه الوسط الاجتماعي الذي تنطلق منه نشأة الدول، يشكِّل فيه تجمعًّا من الرجال والنساء من أعمار مختلفة، ولا يحتوي فقط على أفراد مقدمين كل منهم بصفته الشخصيَّة، بل كذلك على مجموعات وجمعيات من مختلف الأجناس والاتجاهات مكوَّنة من هؤلاء الأفراد: العائلة، النقابات، اللجان، المقاطعات، المحافظات..[1].. لكن لا يشترط أن يكون هناك عدد معيَّن من الأفراد لا يمكن النزول عنه لقيام الدولة، إذ يختلف التعداد من دولة إلى أخرى[2].

لكنَّ الشعب، بمعنى الأفراد المبعثرين والمضافين بعضهم إلى بعض بصورة حسابية، لا يمارس أيّ تأثير في نشأة الدولة. ويبقى نكرة غامضة قبل أن يمتلك إحساسًا بوجوده، ويتأكَّد من مصيره، ومن الهدف الذي يلاحقه.

من هنا، فإنَّ الشعب هو الوسط الاجتماعي الذي تنطلق منه نشأة الدول، وهو يشير عادة إلى جمهرة المواطنين الذين يتمتَّعون بالأهليَّة القانونيَّة والسياسيَّة، التي تميِّزهم عن غيرهم من شعوب الدول وتربطهم برابطة قانونية تتجلَّى في التابعيَّة أو

(1) أحمد، سرحال، القانون الدستوري والأنظمة السياسيَّة، الطبعة الثانية، منشورات الريف للطباعة والنشر، لبنان، 1990، ص 45.

(2) محسن، خليل، النظم السياسية والدستور اللبناني، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص 54.

الجنسيَّة بالنسبة إلى الفرد، وبالمواطنة من جهة مساهمته في حياة الدولة[1]، وهي ليست علاقة بين الفرد والدولة، وإنما هي حق للمواطن تقره الدولة ولا تمنحه[2].

كما أنَّ التمتُّع بالحقوق السياسيَّة يختلف في معناه تبعًا لاختلاف مدلول الشعب السياسي، فبعض الدول ينطلق من مفهوم الشعب السياسي إلى المفهوم الذي يقارب الشعب الاجتماعي، وذلك بالأخذ بمبدأ الاقتراع العام الذي لا يشترط في شعب الدولة سوى بعض الشروط التنظيمية، التي تتعلَّق غالبًا بالجنسية، أيّ بأن ينتمي الفرد إلى جنسية الدولة، أو بالسنّ، أيّ بضرورة أن يبلغ الفرد عمرًا معيَّنًا، أو بالاعتبار كعدم صدور أحكام مخلَّة بالكرامة أو الشرف. كما أنَّ البعض الآخر فإنَّه يقيِّد هذا المفهوم بالأخذ بنظام الاقتراع المقيَّد، الذي يشترط، علاوة على الشروط التنظيمية، ضرورة توافر قسط من المال أو التعليم أو الانتماء إلى طبقة من الطبقات المعيَّنة، حتى يحقّ للفرد أن يتمتَّع بحقوقه السياسيَّة[3].

وهنا، لا بدَّ من التفريق بين مفهوم شعب ومفهوم سكَّان الدولة، فالأخير يعتبر السكَّان هم جميع من يقيم على إقليم الدولة، سواء أكانوا من شعب هذه الدولة بمدلوله الاجتماعي والسياسي، أو من الأجانب الذين لا ينتمون إلى جنسية الدولة، والذين لا تربطهم بهذه الدولة سوى رابطة الإقامة على إقليمها.

إنَّ ما تقدَّم يمثِّل أوضاعًا قانونية وسياسية يتوقف التمتُّع بها أو ممارستها على الجنسية، التي هي رابطة أساسها الرغبة في العيش المشترك، لأنَّ الشعب ووحدته يقومان على الإنتماء الطوعي لمن يريد أن يكون جزءًا من الشعب، وهي رابطة ذات طبيعة نفسية أو روحية ينظِّمها القانون، وبالتالي، فليس من الدقَّة القول أنَّ الجنسية هي رابطة قانونية بين فرد ودولة ذات سيادة يكون الفرد من الناحية القانونية من رعاياها[4]. لذا، فالجنسية جزء من حالة الشخص أو من خصائص الشخصية، كالإسم والنسب والموطن أيّ المقام، ومن ناحية أخرى تمنح أو تمكِّن الفرد من ممارسة العديد من الأمور ذات الطبيعة السياسية والإدارية، كحق

(1) إدمون، رباط، الوسيط في القانون الدستوري، دار العلم للملايين، بيروت، 1964، ص 23.

(2) منذر، الشاوي، الإنسان والقانون، مرجع سابق، ص 242.

(3) محسن، خليل، النظم السياسية والدستور اللبناني، مرجع سابق، ص 55.

(4) سافاتيه، محاضرات في القانون الدولي الخاص، 1943، ص 2.

التصويت والوظيفة مثلاً. وهذا ما أعطاها وضعًا خاصًا بين القانون الخاص والقانون العام[1].

لكن دراسة الجنسية ضمن القانون الدولي الخاصّ لا يفرضها فقط اعتبار هذا القانون من فروع القانون الدولي، بل أيضًا وخاصَّة لأنَّ على دراستها تتوقَّف دراسة مسألتين في غاية الأهمية، وتكوِّنان جوهر القانون الدولي الخاصّ، وهما حالة الأجانب وتنازع القوانين. ذلك لأنَّه في مسائل الجنسية ووضعية الأجانب لا يلعب العرف الدولي ولا الإقليمي أيّ دور لعدم المس بالمصالح السياسية للدول، بل أنَّ التشريع يعتبر المصدر الوحيد القادر على تغطية سائر المنازعات، التي تتشابه أمورها التنظيمية في البلدان كافة، وذلك بالاستناد إلى مبدأ حقّ الدولة وحريتها في تحديد أحكام جنسيتها، وتحديد حقوق الأجانب على أرضها[2]. كما أنَّ طبيعة العلاقات ذات العنصر الأجنبي من جهة وصعوبة التشريع في مجال تتداخل فيه عناصر الصلة مع أكثر من دولة، هو الذي يجعل مهمَّة المشرِّع أمام صعوبات وتعقيدات، يأتي فيها دور الاجتهاد القضائي ليسد الفراغ حيث يجب التفرقة بين الاجتهاد القضائي الدولي والاجتهاد الوطني.

ب ـ حالة الأجانب: إن صفة "الأجانب" تطلق على الأفراد الذين يقيمون في دول غير دولهم، ولا يتمتَّعون بجنسية الدولة، وهذه المسألة يهتم بها القانون الدولي الخاص، وتعرف ب "حالة الأجانب"، دون استبعاد الأجانب من التمتُّع ببعض الحقوق التي لها علاقة بالقانون العام، كحرية الدخول أو التنقل وغيرها.

وإذا كان قانون الدولة هو الذي يحدِّد حالة الأجانب، فإنَّ ذلك لا يعني بشكل مطلق، بدون الرجوع إلى المبادئ العامة التي تخصّ العلاقات بين الدول. وبالتالي، يمكن أن تترتب، وفقًا للقانون الدولي، التزامات على الدولة التي يقيم الأجنبي على إقليمها تجاه دولته، دون أن تكون مساواة الأجنبي بالوطني

---

(1) للتذكير: لقد ذهبت محكمة النقض الفرنسية، في قرار شهير صدر في 2 شباط 1921، إلى أن الجنسية تعود إلى القانون العام. وبالتالي فقد أخرجت أحكام من القانون المدني الفرنسي لتكون موضوع مدونة خاصة. كما نادى البعض بأن دراستها ليست من اختصاص القانون الدولي الخاص، لأنها ليست من القانون الخاص.

(2) البستاني، سعيد، الجنسية والقومية في تشريعات الدول العربية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2003، ص. 54.

محقَّقة[1]. وهذه المساواة يمكن أن يطالب بها الأجنبي، في حالات معيَّنة، خاصة في موضوع نزع الملكية، وحتى من الممكن لدول أجنبية أن تطالب لرعاياها بمعاملة أفضل من تلك التي يخضع لها الوطنيون[2].

كما يتحمَّل الأجنبي الرسوم التي تُفرض عليه، كرسوم الإقامة أو الرسوم الناجمة على التصرفات القانونية، أو الانتفاع من المرافق العامة، ويمنع عليه أن يكون متساويًا، في بعض الدول، بالحقوق الأخرى الممنوحة للوطنيين، كموضوع الوظيفة العامة أو الانتساب لنقابات المهن الحرة أو غيرها، بالإضافة إلى تقييد مساحة التملُّك بشروط ونسب وقواعد.

وهنا، تطرح مسألة طبيعة القانون الذي يمارس الأجنبي الحقوق التي يتمتَّع بها، وبالتالي يثير حالة تنازع القوانين التي هي جوهر القانون الدولي الخاصّ[3].

ج ـ تنازع القوانين: لقد رسم الفقه صورة مجازية لمسألة اختيار القانون الواجب التطبيق، فصوَّر القوانين المتعدِّدة، التي تتصل بها العلاقة، متنازعة تتجاذب حكم هذه العلاقة، وصوَّر مهمة المشرِّع أو القضاء بأنها مهمَّة فضّ تنازع القوانين، وذلك بإسناد حكم العلاقة إلى قانون معيَّن. وقد غلبت هذه الصورة المجازية، فصار يطلق على الدراسة المتعلِّقة ببيان القانون الواجب التطبيق، وبأنَّ عبارة "تنازع القوانين" هي صميم القانون الدولي الخاص[4].

من هنا، فإنَّ مسألة "تنازع القوانين" المسلَّم بها لا تتم بمعزل عن مسائل القانون الدولي الخاص الأخرى التي ذكرناها، بل هي مترابطة معها وتتوقَّف عليها. وإذا كانت هي مسألة تحديد القانون الواجب التطبيق، إلا أنَّ مسألة اختصاص المحاكم الوطنية في النظر بنزاع تتعلَّق عناصره بعدَّة أنظمة قانونية، والإجراءات الواجبة الاتباع، ومدى نفاذ الأحكام الأجنبية، تنظِّمه قواعد وطنية، فلا يكتفى بتحديد القانون الواجب التطبيق، بل فإنَّ هناك حلّ تشريعي لهذه

---

(1) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في العام 1948، المادة السابعة. "كل فرد له الحق بالاعتراف في كل مكان بشخصيته القانونية".

(2) باتيفول، ولاكارد، القانون الدولي الخاص، الجزء الأول، باريس، 1981، ص. 168- 169.

(3) منذر، الشاوي، الإنسان والقانون، مرجع سابق، ص 251.

(4) سعيد يوسف، البستاني، القانون الدولي الخاص- تطور وتعدد طرق حل النزاعات الخاصة الدولية، مرجع سابق، ص. 51.

المسألة[1]. والجدير بالذكر، فإنَّ قواعد الاختصاص القضائي متشابهة بصورة عامة في معظم الدول المتمدنة[2].

وبالرغم من تشابهها، إلا أنَّه لا يمكن أن نقول تطابقها، وبالتالي فإنَّ معرفة مواءمة الاختصاص القضائي وأحكامه وتعارضها، لا تشكِّل قاعدة واحدة في الكثير من الدول، ويبقى بحثها أحاديًا لكل دولة. علمًا أنَّ نشوء الاتحادات الإقليمية ساعد في العمل على توحيدها بين الدول الملتزمة في كل منها.

لكن في الحقيقة، فإنَّ القواعد القانونية للدول المختلفة يمكن أن تكون موضوع تنازع القوانين. أما القرارات الأجنبية القضائية أو غيرها، فإنَّ مسألة نجاعتها مع غيرها من الدول الأخرى هي التي تطرح معرفة شروط النجاعة لحكم أجنبي مثار بصدد نقطة محددة أمام هيئة وطنية، دون أن يكون طرحها بصدد اختيار أو تفضيل، لأنَّ تحديد اختصاص المحاكم الوطنية وأثر المحاكم الأجنبية والقرارات الأخرى، ليسا بمسألة تنازع ولا تنازع قوانين[3].

أ ـ نطاق تنازع القوانين: إن التنازع بين القوانين، التي تعنى بحلِّه قواعد القانون الدولي الخاصّ، إنَّما ينشأ بين قوانين دول مختلفة يطبق كل منها في حدود مكانية فيه. وإنَّ الفقه عندما يتعرَّض لمسألة نطاق تنازع القوانين، فهو يعني بتحديد شروطه وعناصره، وبصورة خاصَّة لكي يبيِّن مدى سلامة الاتجاه التقليدي، الذي يؤكِّد أنَّ مجال أعمال التنازع يتحدَّد بالعلاقات الخاصَّة من ناحية، وبالصفة الدولية للقوانين المتزاحمة لحكم هذه العلاقة من جهة ثانية. وأنَّ مفهوم التنازع الدولي ينصرف إلى تنازع القوانين من حيث المكان، أيّ تنازع قوانين الدول المختلفة، وهو يختلف عن تنازع القوانين من حيث الزمان، سواء من حيث اتجاهه أو سببه أم حلوله[4].

ب ـ الإدارة الاستثنائية لحلّ تنازع القوانين: تعتبر قواعد الإسناد، أو ما يسمَّى بقواعد "تنازع القوانين" الوسيلة الفنية الغالبة والمألوفة لحلّ مشكلة تنازع

(1) باتيفول، ولاكارد، القانون الدولي الخاص، مرجع سابق، ص. 4.
(2) سافاتيه، محاضرات في القانون الدولي الخاص، مرجع سابق، ص 184.
(3) ماير، القانون الدولي الخاص، مرجع سابق، ص. 177.
(4) صادق، هشام علي، دراسات في القانون الخاص، الدار الجامعية، بيروت، 1981، ص. 10.

القوانين، فهي القواعد القانونية التي ترشد القاضي إلى القانون الواجب التطبيق على المراكز القانونية ذات العنصر الأجنبي[1].

وبذلك يكون الهدف من وجود هذه القواعد هو انتقاء القانون الذي يحقِّق الحلّ المناسب والمتوافق مع مقتضيات المنطق والعدل والإنصاف. وإنَّ هذا الاستثناء المهم والملفت الذي سمح بتطبيق قانون أجنبي أمام القضاء الوطني، هو الذي أخرج إلى الساحة القانونية مولودًا جديدًا غريبًا في طبيعته وبنيته "قواعد الإسناد"، ومميزًا فريدًا في خصائصه، الأمر الذي جعل هذه القواعد أداة استثنائية لحلّ النزاعات الخاصَّة الدولية[2].

إنَّ رسم التساؤلات لمنهج تداعيات أزمة السيادة برهان الثبات، بإشكالية مفهوم الدولة وأزمة بقائها، واستنباط آليات السلطة فيها كمؤطِّر تبريري لتجاوزها، هو من ثبَّت خيار المعالجة على تطوُّرات ومتغيِّرات وتحدِّيات، بمكانها وزمانها، بسيادة دولية مفاهيمية مأزومة تتغيَّر معالمها بمفاهيم نظرية القوَّة حولها وبها، بفشل التأسيس وانحلال المباني وتشعُّب التحفظات.

كما أنَّ أزمة القرارات الدولية كناظم على الدساتير الوطنية لهو من أصعب التحدِّيات، التي بها تتماثل الأزمات وتتفاعل، تتأطر ويُصنع فيها الحلول دون العلاجات التامة. فالحوكمة في الالتزام، والشفافية في التصويت، والمنافسة والتسرُّع في صناعة النتائج، راكم المسائل في أبعاد الهجرة، وخلق تحديات على المشرِّع، بتحفظه أو بلزوم موافقته، بمفاهيم غير متلائمة تعمِّق أزمة الهوية، وتتفاعل على أزمة الوجود، وتؤطِّر الخوف المستمر على البقاء.

وبالتالي، فإنَّ التلازم المعياري والمفهوم التنميطي المتسارع للعلاقات الدولية بأبعادها، والمباني السيادية بتساؤلاتها، هو من محاور تقديمه لمأسسة الاغتراب وأبعادها، وعثرات تنظيمها، ودلالات سقوطنا عن معالجتها.

---

(1) سامي منصور، ، وأسامة، العجوز، دروس في القانون الدولي الخاص، بيروت، 1999، ص. 90.

(2) سعيد يوسف، البستاني، القانون الدولي الخاص- تطور وتعدد طرق حل النزاعات الخاصة والدولية، مرجع سابق، ص 116.

القسم الثاني: أزمة القوانين والاتفاقيات الدولية المتعلِّقة بالهجرة وتحدِّيات لبنان الاغترابية، وإشكاليات التصنيفات والمعالجات

إنَّ الهجرة أو الانتقال هو مبدأ عام مارسته شعوب العالم منذ القدم، بحيث كانت الهجرات تنساب من آسيا باتجاه أوروبا، لتعود بعد اكتشاف العالم الجديد بالتدفُّق من أوروبا نحو أميركا وأستراليا، مولِّدة معضلات سياسية واجتماعية كثيرة تركت آثارًا بالغة في البلاد التي تُركت والبلاد التي شُغلت[1].

لقد شغلت هذه القضية العالم بأسره، نظرًا لأسبابها وتداعياتها، ودفعتهم إلى البحث عن منظومة قانونية تؤمِّن مأسسة واقعهم ودمجهم في الأهداف التي تسعى إليها المنظَّمة الدولية، ويتأمَّن من خلالها أساليب المعالجات التي ترتقي بحماية هذه الفئة، التي تشكل حجمًا كبيرًا عالميًا، إلى مستوى المنظور الحقوقي والإنساني. كما دفعت المنظمات الإقليمية إلى وضع تشريعات تتلاءم مع أهداف نشأتها، تمنع من خلالها ما يهدِّد مصالحها، من خلال تحويل هذه الظاهرة إلى أزمة وإسهامها لتشكِّل مصدرًا للقوة في سياساتها.

سنحاول في هذا القسم استعراض المعاهدات والاتفاقيات الثنائية والمتعدِّدة وواقع انعكاساتها على مسألة الهجرة أو الاغتراب، والتحدِّيات المانعة لتحقيق استراتيجية لبنان الاغترابية، وإشكاليات التصنيفات والمعالجات.

المبحث الأول: اتجاهات الاتفاقيات الشارعة المتعلقة بالهجرة ومنظوماتها

إنَّ الاتفاقيات الشارعة للهجرة تشكِّل المنظومة القانونية التي تتقاطع فيها وعليها التوافقات الجماعية والثنائية لإدارة الهجرة في العالم. وإنَّ هذه الاتفاقيات، التي أصبحت من مصادر القانون الدولي، تلعب دورًا بارزًا في بناء القواعد القانونية والأطر الناظمة لها، وفي تأمين الحلول المطلوبة للأزمات التي تؤثِّر في استقرار المجتمعات والدول.

سنعالج في هذا المجال أهم الاتفاقيات الدولية والاتفاقيات الثنائية، وموقع

(1) محمد، المجذوب، القانون الدستوري والنظام السياسي في لبنان، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الرابعة، بيروت، 2002، ص 20.

لبنان منها، وما تشكِّله في قواعد يستفاد منها في تأمين المنظومة المؤسساتية التي يحتاجها المغتربين لتنظيم وجودهم وتطوير مصالحهم.

أولاً ـ ماهية الاتفاقيات الدولية للهجرة:

يتفق الرأي على مستوى العلاقات الخاصة الدولية أنَّه لا يوجد تشريع ولا مشرِّع دولي مثلما يوجد تشريع ومشرع وطني، وإنَّ الهيئات الدولية التي أوجدته لا تتمتَّع بأي سلطة تشريعية فوق الدولة[1]. رغم أنَّه من الواضح أنَّ المعاهدات قد غدت أهم وسيلة للقضاء على المساوئ، التي تترتب على اختلاف قواعد القانون الدولي بين دولة إلى أخرى، لأنَّ استقلال الدولة وعدم وجود سلطة دولية فوقها يجعل الاتفاق السبيل الوحيد للوصول إلى الغاية.

من هنا، فإنَّ منظمة الأمم المتحدة قد وضعت سبعة صكوكًا معترفًا بها كمعاهدات أساسية لحقوق الإنسان، تتألف من عهدين وخمس اتفاقيات، هدفها جميعًا حماية حقوق الإنسان على جميع المستويات وفي جميع الحالات، ومنها:

- العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام 1966.
- العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام 1966.
- الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التميز العنصري لعام 1965.
- اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة لعام 1979 اللاإنسانية أو المهينة لعام 1984.
- اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية 1990.
- اتفاقية حقوق الطفل لعام 1989.
- الاتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العاملين المهاجرين وأفراد أسرهم لعام 1990.

وتكمن أهمية المعاهدات والاتفاقيات التي طالت الحقوق الإنسانية، التي تنطبق على المهاجرين كما على أي مواطن، في أنَّها تشكِّل مع ذلك أساس حقوق المهاجرين، والمنطلقات المؤسسة للتشريعات الخاصة للهجرة ذات الشأن فيها.

---

(1) سعيد يوسف، البستاني، القانون الدولي الخاص- تطور وتعدد طرق حل النزاعات الخاصة والدولية، مرجع سابق، ص 33.

ولكن تنفيذها يشوبه بعض الالتباس، بسبب تشتتها في صكوك قانونية مختلفة، مما يجعل الربط بينها لا يزال أكثر صعوبة.

وفي هذا المجال سنستعرض أهم تلك الاتفاقيات ذات الشأن، ومنها:

أ ـ اتفاقيات منظمة العمل الدولية: إنَّ حماية العاملين الذين يشغلون وظائف في بلد آخر غير بلدهم الأصلي، كان محلّ الاهتمام الملحوظ لمنظمة العمل الدولية، باعتبارهم الأشخاص الأكثر عرضة للاستغلال وعدم احترام حقوقهم، لاسيما عندما يكونون في وضع غير شرعي. وأيضًا، عملت هذه المنظمة، منذ نشأتها، على تحديد وكفالة حقوق العاملين المهاجرين عن طريق وضع نظام للمعايير الدولية للعمل، تُقدَّم في شكل اتفاقيات وتوصيات ومصنَّفات للتوجيهات العملية، وأهمُّها الصكين الرئيسيين لمنظمة العمل الدولية اللذين يتناولان بشكل خاصّ قضية المهاجرين، وهما[1]: الاتفاقية رقم 97 بشأن الهجرة والعمل (المعدلة) في عام 1949، والاتفاقية رقم 143 بشأن الهجرة في ظروف تعسفية وترقية المساواة في الفرص والمعاملة للعاملين المهاجرين لعام 1975[2].

كما أنَّ هناك اتفاقيات أخرى لمنظمة العمل الدولية تناولت المساواة في المعاملة (1925، 1962)، وشروط العمل (1949)، والأجور (1949، 1970)، والمشاورات الثلاثية (1976)، وسلامة وصحة العاملين (1981)، وحماية الأمومة (2000)، والسلامة والصحة على الترتيب في مجالي التعدين والزراعة (1995، 2001).

وهنا سنتناول بعض النظم وإشكالياتها كنماذج ودلالة:

1 ـ إشكالية نظام الكفالة: يشكِّل نظام الكفالة أحد الأسباب الرئيسية التي تؤدِّي بالعمال إلى أن يصبحوا في وضع غير نظامي. وأنه لدى إلقاء المسؤولية القانونية عن تأشيرات دخول العمال ورخصهم على عاتق صاحب العمل، يفقد العامل كامل السيطرة على وضعه القانوني. كما أنَّ ربط العمال بكفيل واحد يعني أيضًا بأنَّ

---

(1) للتذكير: وهنا لا بد من أن نذكر بأن لبنان لم يصادق على الاتفاقيتين المذكورتين 97 و143.

(2) للتذكير: إن هذه الاتفاقية تعرِّف العامل المهاجر بأنه شخص يهاجر أو هاجر من بلد إلى بلد آخر بغية شغل وظيفة ما، بخلاف عمل لا يكون لحسابه الخاص؛ ويشمل ذلك أي شخص يُقبل (المادة 11)، وهي فكرة نجدها في الاتفاقية الدولية لحماية حقوق المهاجر قانونًا بوصفة عاملاً وجميع العاملين المهاجرين وأفراد أسرهم.

مزاولة أي عمل مع صاحب عمل آخر ممارسة "غير شرعية". وإن هذه الحالة تُولّد مشكلة، نظرًا لأنَّ خطر التحوُّل إلى وضع غير نظامي يُرغم العديد من العمال المهاجرين على تحمُّل ظروف صعبة واستغلالية، عوضًا عن مغادرة صاحب عملهم. وحالما يصبح العامل المهاجر في وضع غير نظامي، سيكون من الصعب عليه مغادرة البلد عبر القنوات القانونية من دون دفع غرامات كبيرة، وقد يواجه أيضًا عقوبة السجن.

2 ـ تعدُّد المسارات النظامية للهجرة وتحدِّيات الإجراءات: تتعدَّد المسارات التي يصبح العمال المهاجرون على أثرها في وضع غير نظامي، ويحصل هذا في معظم الحالات أسباب خارجة عن إرادتهم. وتشمل هذه المسارات إلى أن يبادر صاحب العمل، المسؤول عن العامل، إلى تجديد رخصتي العمل والإقامة في الوقت المحدَّد.

وفي حال استمر العامل في العمل، على الرغم من انتهاء مدَّة رخصتيه، يعتبر عمله غير نظامي، ويتعرَّض العامل وصاحب العمل على السواء إلى إجراءات تأديبية، كدفع الغرامات أو عقوبة السجن لمدة محدَّدة؛ أو قد يتعرَّض العامل إلى الترحيل، إذا لم يتّبع صاحب العمل/ أصحاب العمل الإجراءات الإدارية القانونية الصحيحة خلال نقل الكفالة. وبالتالي إلى أن يكون صاحب العمل الجديد هو الكفيل الرسمي، يُصبح العامل في وضع غير نظامي بسبب أفعال صاحب العمل، ويكون العامل المهاجر غير قادر على مغادرة البلد، رغم انتهاء مدة تأشيرته أو إلغائها، إذا رفض صاحب العمل، كأن يدفع مقابل تذكرة عودة العامل المهاجر إلى بلده، أو إذا لم يعيد إلى العامل المهاجر جواز سفره، يقوم صاحب العمل بالتبليغ عن فرار عامل مهاجر حاصل على رخصة عمل سارية المفعول، من دون أن يكون قد تغيَّب فعلاً عن العمل، أي فرار مزيف. ويشكّل الفرار جرمًا إداريًا قد يؤدِّي إلى فرض غرامات على العامل، أو اعتقاله وترحيله، أو حظرًا إعادة دخوله إلى البلد. ونتيجة لهذا، لن يكون صاحب العمل ملزمًا بدفع سعر رحلة العودة واستحقاقات نهاية الخدمة.

كما أنَّ العامل المهاجر في وضع غير نظامي، الذي يتعرَّض للاستغلال في عمله، سيحجم عن اللجوء إلى مفتّش عمل أو إلى ضابط شرطة لطلب المساعدة، وقد يرغَم العامل المهاجر على دفع الرشاوى لتفادي المواجهة مع الشرطة أو مع

موظفين آخرين. وبالتالي، قد يضطر العمال المهاجرون إلى الانخراط في ممارسات غير مشروعة تتم في الخفاء.

كذلك يتعرَّض العمال المهاجرون المخالفون للأنظمة إلى خطر ترحيلهم من دون مراعاة الإجراءات القانونية واجبة الاتباع. وقد حددت بلدان عديدة حصصًا "كوتا" للترحيل بهدف تخفيض أعداد المهاجرين. ويتقاضى مفتشو العمل أحيانًا "مكافآت" عن كل عامل يكتشفون وضعه غير النظامي خلال عملية التفتيش، وقد أدى ذلك إلى حملات اعتقال وترحيل شرسة لم يتسن خلالها للعمال اللجوء إلى تمثيل قانوني للإعتراض على ترحيلهم، وإلى اعتقالهم لفترات غير محدودة، مما يشكِّل خرقًا للمعايير الدولية. وتؤكِّد المادة 8 من الميثاق العربي لحقوق الإنسان على أنَّه "لكل شخص الحقّ في الحرية وفي الأمان على شخصه، ولا يجوز توقيفه، أو تفتيشه أو اعتقاله بغير سند قانوني ومن دون إحالته بسرعة إلى قاضٍ". كما يتعرَّض الأشخاص الذين يستخدمون عمال مهاجرين في وضع غير نظامي أيضًا للعقوبات، بما في ذلك الغرامات والسجن.

من هنا، لا يصبح غالبية العمال المهاجرين في وضع غير نظامي عن طريق ارتكاب أعمال إجرامية، إنَّما بفعل حالات يمكن تصحيحها من خلال إجراءات إدارية تتخذها الوزارات ذات الصلة، ومنها:

ـ تحميل العمال المهاجرين مسؤولية تجديد تأشيراتهم، ورخص العمل والإقامة الخاصة بهم. بهدف تفادي حالة تضع العامل في وضع غير نظامي، بسبب رقابة إدارية أو إهمال من جانب صاحب العمل، بحيث يجب أن يكون العمال المهاجرون مسؤولين عن تجديد تأشيراتهم بكلفة معقولة أو من دون أي كلفة. وتوخيًا لتقليص تكاليف السفر وتوفير الوقت على العمال المهاجرين، ينبغي البحث عن نماذج مبتكرة لتجديد الرخصة، بما في ذلك الآليات عبر الانترنت، ووحدات جوالة تقوم بزيارة مواقع العمل، ومراكز استقبال المهاجرين. كما تدعم حملات التوعية وخدمات الترجمة قدرة العمال على تجديد الرخصة.

ـ إصدار رخص إقامة تكون صلاحيتها أطول بشهرين على الأقل من مدَّة عقد العمل، يتيح إجراء المهلة الإدارية هذا بعض الوقت للعامل لتجديد عقده مع صاحب العمل ذاته، أو انتقاله إلى صاحب عمل آخر، أو لتسوية شؤونه الخاصة والعودة إلى دياره.

ـ السماح للعمال المهاجرين بالاستقالة وإنهاء عقد عملهم)شرط توجيه إخطار بمهلة كافية)، من دون فقدان وضعهم كمهاجرين شرعيين. ويجب أن يكون العامل المهاجر قادرًا على إنهاء عقده لأي سبب كان، من دون أن يفقد حقه القانوني في البقاء في البلاد، وذلك عن طريق توجيه إخطار بمهلة كافية، بما يتَّفق مع أحكام العقد، ومن دون الحاجة إلى موافقة خطية من صاحب العمل الحالي. وفي الحالات التعسفية، يجب أن يتمكَّن العامل المهاجر من فسخ عقده مباشرة، من دون خسارة وضعه القانوني.

ـ حصول العمال المهاجرون الذين يقيمون دعاوى قانونية على تمديد لتأشيراتهم، ويجب إصدار تمديد لتأشيرة الأشخاص الراغبين في إقامة دعاوى قانونية بحقّ صاحب عملهم من خلال محاكم العمل و/أو محاكم جنائية إلى حين البت في مطالباتهم.

ـ إقامة حد فاصل أو جدار حماية بين تفتيش العمل ومراقبة الهجرة. ويجب أن يبقى العمال المهاجرون في وضع غير قانوني قادرين على الاستفادة من خدمات مفتّشي العمل، الذين يتمثَّل دورهم الأساسي بتحديد ظروف العمل، وعناصر الشرطة، والمرافق العامة. ويتعيَّن النظر في وضع العامل المهاجر على السلطات وتوفير الخدمات والمساعدة من دون تمييز، وضمان ألاّ يتحمَّل العامل المهاجر تكاليف طرده، بما يتَّفق مع المادة (3) من الاتفاقية رقم 143.

ب ـ الاتفاقية الدولية لحماية جميع حقوق العاملين المهاجرين وأفراد أسرهم لعام 1990[(1)]: إن هذه الاتفاقية تتعلَّق بحقوق العمال اللاجئين وأسرهم وحمايتها، الحائزين على الوثائق اللازمة، أو الذين هم في وضع نظامي، والأحكام المنطبقة على فئات خاصة منهم وأفراد أسرهم، **وتعزيز الظروف السليمة والعادلة والإنسانية والمشروعية فيما يتعلَّق بالهجرة الدولية للعمال وأفراد أسرهم،** وكيفية تطبيق الاتفاقية[(2)]. مع الإشارة إلى أنَّه ليس في هذا الجزء من الاتفاقية ما يفسِّر بأنَّه ينطوي على تسوية وضع العمال المهاجرين أو أفراد أسرهم، الذين يكونون غير حائزين للوثائق اللازمة، أو في وضع غير نظامي، أو أي حقّ في مثل هذه التسوية

(1) الاتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم

(2) اعتمدت بقرار الجمعية العامة 45 المؤرخ في 18 كانون الأول / ديسمبر 1990. دخلت هذه الاتفاقية حيز التنفيذ بتاريخ 1 يوليو 2003 بعد 13 عامًا من اعتمادها من قِبل الأمم المتحدة 18 ديسمبر 1990.

لوضعهم، وليس فيه ما يمسّ التدابير الرامية إلى ضمان تهيئة أوضاع سليمة ومنصفة للهجرة الدولية على النحو المنصوص عليه في الجزء السادس من هذه الاتفاقية. (المادة 35).

كما لا بد من الإشارة أنَّ هذه الاتفاقية التي انطلقت من المبادئ التي تعمل عليها منظمة العمل الدولية والاتفاقيَّة المتعلِّقة بالهجرة من أجل العمل رقم 97، والاتفاقية المتعلقة بالهجرة في ظروف تعسفية وتشجيع تكافؤ الفرص والمساواة في معاملة العمال المهاجرين رقم 143، والتوصية بشأن الهجرة من أجل العمل رقم 86، والتوصية بشأن العمال المهاجرين رقم 151، والاتفاقية المتعلِّقة بالسخرة أو العمل القسري رقم 39، والاتفاقية المتعلِّقة بإلغاء السخرة رقم 105. هذا مع الاعتراف بالأعمال المنجزة من قبل المنظمات الدولية ولجان الأمم المتحدة، وبالتقدُّم الذي أحرزته بعض الدول على أساس إقليمي أو ثنائي لحماية حماية حقوق العمال المهاجرين وأفراد أسرهم. فضلاً عن اعترافها بأهمية وفائدة الاتفاقات الثنائية والمتعدِّدة الأطراف في هذا المجال، والاقتناع إلى الحاجة لتحقيق الحماية الدولية لحقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم، مع إعادة التأكيد على القواعد الأساسية ووضعها في اتفاقية شاملة يمكن أن تطبق على المستوى العالمي.

مع الإشارة إلا أنَّ اتفاقية حماية العاملين المهاجرين وأفراد أسرهم لعام 1990، التي تعتبر الصكّ الوحيد المتعلِّق بحقوق المهاجرين، لا تقدِّم حقوقًا جديدة للعاملين المهاجرين، وإنما تكرِّر تأكيد الحقوق الأساسية المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في العام 1948، التي وضعتها المعاهدات الدولية المعتمدة من قِبل معظم الدول، التي تعتبر حماية حقوق العاملين المهاجرين، وخاصة أفراد أسرهم، هي جوهر هذه الاتفاقية، وبأن الحقّ في تأسيس أسرة يعتبر أحد الحقوق الأساسية للإنسان، المعترف به دون قيد أو شرط على الصعيدين الدولي والوطني.

وبالرغم من أنَّ هناك عدة اتفاقيات دولية تمنح حقوقًا للمهاجرين وأفراد أسرهم وتحميهم من جميع أشكال الاعتداء والتمييز، لا سيما اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل لعام 1989 واتفاقية حماية حقوق جميع العاملين المهاجرين وأفراد أسرهم، إلا أنَّ اتفاقية حماية جميع العاملين المهاجرين وأفراد أسرهم هي

الأحدث والأكمل، وهي المعاهدة الدولية الأكثر شمولية فيما يتعلَّق بحقوق المهاجرين وأسرهم، باعتبارها تحدِّد معايير دولية بشأن معاملة وظروف معيشة وحقوق هؤلاء العاملين، أيًا كان وضعهم؛ شرعي أو غير شرعي. كما تضع التزامات ومسؤوليات دول الاستقبال.

إن هذه الاتفاقيات تكفل الحقوق الأساسية لجميع العاملين المهاجرين "الحقوق المدنية والسياسية"، وتحمي المهاجرين ضد التعذيب والسخرة، وتعمل على ضمان حقوقهم في معاملة عادلة، وتؤمِّن الأمن الشخصي وحرية الرأي والدين. كما تعطي المهاجرين حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولاسيما ما يتعلَّق بالرعاية الطبية الطارئة وتعليم أطفال المهاجرين، وتمنح العاملين المهاجرين كذلك الحقّ في التقاضي المباشر ضد صاحب العمل وضد الدولة. وهي تعتبر المصادرة التعسفية لجوازات السفر وبطاقات هوية المهاجرين بمثابة جريمة جنائية.

كذلك تدعو هذه الاتفاقية إلى تعاون أكبر بين الدول، بشأن عودة المهاجرين غير الشرعيين وتنظيم الهجرات العائدة، وتطالب بتطبيق الحقوق الأساسية للعاملين المهاجرين وأفراد أسرهم. كما تدين الاسترقاق والاستعباد والإلزام بالعمل سخرة واحترام الحريات الأساسية. كما وتنص على وجوب احترام شرف وكرامة العامل المهاجر تمامًا، كاحترام حياته الخاصة التي تمتد إلى بيته وأسرته وجميع اتصالاته ومراسلاته (المادة 41)، والحق في وجوب ضمان مبدأ المساواة بين المهاجرين ورعايا دولة العمل، وتحويل الدخول، والحقّ في أن يتم إبلاغهم بمختلف الإجراءات والحقوق.

أما فيما يتعلَّق بالأسرة، فإنَّ هذه الاتفاقية تتوجَّه إلى الدول الأطراف وتدعو إلى الاعتراف بالمعنى الاجتماعي للأسرة، وحقِّها في الحماية من قِبل المجتمع والدولة (المادة 44). كذلك يتعيَّن على الدول اتخاذ التدابير المناسبة لضمان حماية وحدة أسر العاملين المهاجرين. علمًا أنَّه ولا يزال لمّ الشمل الأسري يُمنح للعمال الشرعيين، وعلاوة على ذلك، التزام للدول الأطراف بإتخاذ ما تراه مناسبًا، ويدخل في نطاق اختصاصها، من تدابير رامية إلى تسيير لم شمل العاملين المهاجرين، والنظر بشكل إيجابي، ولاعتبارات إنسانية، في حقوق الأفراد الآخرين من أسر العاملين المهاجرين في إعادة لمّ الشمل الأسري.

ومع ذلك، فإنَّ هذه الاتفاقية الكاملة تشير إلى إشكاليتين لا يمكن تجاوزهما:

الأولى، تتعلَّق بعدم التوقيع وعدم التصديق من قِبل العديد من الدول نتيجة أسباب مختلفة، منها عدم وجود تمييز بين المهاجر الشرعيّ وغير الشرعيّ، التي من شأنها أن تصعِّب إدخال برنامج الهجرة المؤقَّت. وكذلك التي تتعلَّق في الحدّ من سيادة الدولة، لاسيما التحكُّم في دخول أراضيها، والخوف من كون هذه الاتفاقية تمنح الحقّ في لم الشمل الأسري لجميع العاملين المقيمين بصفة شرعية.

الثانية، تخصّ الاهتمام الكبير المعطى للأسرة كمؤسسة، وليس للعناصر المكوِّنة للأسرة، بحيث تطالب الاتفاقية الدول بالاعتراف بأنَّ الأسرة هي الوحدة الجماعية الطبيعية والأساسية للمجتمع، وبأن من حقِّها أن تتوفَّر لها الحماية من قِبل المجتمع والدولة. ولذا يجب على الدولة اتخاذ التدابير اللازمة لتيسير لمّ شمل العاملين المهاجرين بأزواجهم أو بالأشخاص الذين تربطهم بهم علاقات زواج أو نسب، وأخير لأفراد أسر العاملين المهاجرين بالتمتُّع، في دولة العمل، بالمساواة في المعاملة مع رعايا تلك الدولة في مجالات التعليم والتأهيل، والحصول على الخدمات الاجتماعية والمشاركة الثقافية (المادتان 44 ـ 45).

وهنا، لا بد من الإشارة بأنَّ لبنان من الدول التي لم توقع أو تصادق على هذه الاتفاقية لهذه الأسباب ولأسباب أخرى سنشير إليها في مكان لاحق في هذه الدراسة.

ج ـ اتفاقية مراكش لتنظيم الهجرة العالمية 10 كانون الأول/ديسمبر 2018
"الميثاق العالمي لهجرة آمنة ومنظمة واعتيادية": لقد تبنَّى مؤتمر الأمم المتحدة المنعقد في المغرب هذه الاتفاقية، التي لا تعدّ ملزمة قانونيًا، في أوَّل اجتماع له، وهو يعدّ أوَّل وثيقة أممية تعالج قضية الهجرة وتتعامل مع تدفقات المهاجرين في العالم، بالرغم من انسحاب بعض الدول التي تدفعها اتجاهات شعبوية معادية للهجرة، ومن تلك الدول الولايات المتحدة، وأستراليا، وست دول أخرى في الاتحاد الأوروبي[1]. وقد أثارت هذه الاتفاقية جدلاً في عدد من دول الاتحاد

(1) للتذكير: إن لبنان لم يوقع ولم يصادق على هذه الاتفاقية. مراجعة جدول الدول التي وقعت على الاتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم، أو صدقت عليها أو انضمت إليها بتاريخ 15 تشرين الثاني/نوفمبر 2005.

الأوروبي، أدى إلى تفكك الائتلاف الحاكم في بلجيكا، وتقديم وزير خارجية سلوفاكيا لاستقالته.

إنَّ هذه الاتفاقية، التي تُعرف باسم "الميثاق العالمي لهجرة آمنة ومنظَّمة واعتيادية"، قد انتهت المفاوضات بشأنها في الأمم المتحدة في يوليو/تموز، بعد 18 شهرًا من المحادثات، ومن بين الأهداف الثلاثة والعشرون التي ترمي إليها الاتفاقية لتحقيقها هو فتح باب الهجرة القانونية، وعدم تشجيع عبور الحدود بطريقة غير قانونية، والإدارة المتكاملة للحدود، ومنح المهاجرين سُبُل الوصول إلى الاحتياجات الأساسية.

د ـ إعلان نيويورك في أيلول/سبتمبر 2016 بشأن اللاجئين والمهاجرين واختلافات التصنيفات: لقد تولَّد عن إعلان نيويورك من أجل اللاجئين والمهاجرين الذي تم تبنيه في أيلول/سبتمبر 2016 اتفاقان مختلفان:

الأول، يتعلَّق باللاجئين.

الثاني، يخصّ المهاجرين.

وعلى الرغم من أن كلا المجموعتين تضمَّان أناسًا يعيشون خارج بلدانهم الأصلية، إلا أنَّ هناك اختلافات جوهرية بين المصطلحين **"لاجئ" و"مهاجر"**. فاللاجئون هم أشخاص يعيشون خارج بلدانهم الأصلية بسبب الخوف من الاضطهاد، أو بسبب النزاعات أو العنف الواسع، أو غير ذلك من الظروف التي أربكت النظام العام في أوطانهم بشكل خطير، ونتيجة لذلك يحتاج هؤلاء لحماية دولية[1].

وبالرغم من عدم وجود تعريف قانوني رسمي لما يُعرف بـ "المهاجر الدولي"، يتفق معظم الخبراء على أنَّ المهاجر الدولي هو شخص يغيِّر بلد إقامته المعتاد، بغضّ النظر عن سبب الهجرة أو الوضع القانوني. وبشكل عام، يتمّ التمييز بين الهجرة قصيرة الأجل أو الهجرة المؤقتة، التي تغطي فترة الهجرة التي تتراوح بين ثلاثة أشهر و12 شهرًا، وبين الهجرة طويلة الأجل أو الدائمة، في إشارة إلى تغيير بلد الإقامة لمدة سنة واحدة أو أكثر. مع الإشارة إلى أنَّ الاتفاق العالمي الذي بُني على أسس النظام القانوني الدولي القائم للاجئين، ولم يستبدله، بما في ذلك

(1) الموقع الالكتروني: http://www.bbc.com/arabic/world-46506895

اتفاقية اللاجئين لعام 1951، وغيرها من الصكوك القانونية الدولية المتعلِّقة باللاجئين وحقوق الإنسان والقانون الإنساني، وأنَّ اتفاقية اللاجئين تركِّز على حقوق اللاجئين والتزامات الدول بخصوصها، ولا توجِّه اهتمامها لمسألة التعاون الدولي بطريقة واضحة تمامًا.

إن إعلان نيويورك بشأن اللاجئين والمهاجرين، المعتمد من قبل الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في أيلول/سبتمبر 2016، قد تضمَّن خطوتين رئيسيتين فيما يتعلَّق باللاجئين:

الأولى، اعتماد الدول الأعضاء إطار الاستجابة الشاملة للاجئين، والذي يحدِّد مجموعة واسعة من التدابير، يتعيَّن على المجتمع الدولي اتخاذها للاستجابة لحالات اللجوء الضخمة واسعة النطاق.

الثانية، موافقة الدول الأعضاء على مواصلة تطوير الاستجابات الدولية، بالعمل نحو اعتماد "اتفاق عالمي بشأن اللاجئين" في العام 2018. ولهذا الغرض، طُلب من مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين التشاور مع الدول الأعضاء ومع مجموعة واسعة من أصحاب المصلحة الآخرين، وتقديم مقترح هذا الاتفاق. وبالفعل فقد تم إصدار مقترح الاتفاق العالمي بشأن اللاجئين في 20 حزيزان/يوليو 2018.

وفي 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018، وافقت اللجنة الاجتماعية والإنسانية والثقافية (الثالثة) التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة على القرار الذي يعتمد اتفاق اللاجئين بأغلبية ساحقة، وأرسلت نصَّه إلى جلسة الجمعية العامة لاعتماده، كما هو متوقع في صباح يوم الاثنين 17 كانون الأول/ديسمبر 2018.

وعلى الرغم من أنَّه ليس ملزمًا قانونيًا، إلا أنَّ الاتفاق يوجِّه المجتمع الدولي ويقوده في آليات دعم اللاجئين ودعم الدول والمجتمعات التي تستضيف أعدادا كبيرة منهم، وذلك عبر تعبئة الإرادة السياسية، وتوسيع قاعدة الدعم، وتفعيل الترتيبات من أجل مشاركة أكثر عدالة للأعباء والمسؤوليات، وبشكل يمكن التنبؤ به، بالارتكاز على أربعة أهداف هي:

- تخفيف الضغوط على البلدان التي تستضيف أعدادا كبيرة من اللاجئين .
- بناء قدرات الاعتماد على الذات لدى اللاجئين .

ـ توسيع فرص الوصول إلى الدولة الثالثة للاجئين من خلال إعادة التوطين ومسارات الدخول الأخرى .

ـ آليات الدعم التي تمكن اللاجئين من العودة إلى بلادهم الأصلية.

ولا يُقصد بهذا الاتفاق خلق أعباء أو فروض إضافية على البلدان التي تستضيف أعدادًا كبيرة من اللاجئين، ولا تعديل ولاية مفوضية شؤون اللاجئين في الحماية والحلول، بل يسعى إلى البناء على ما هو مشيَّد بالفعل من نظام دولي للاجئين تم تأسيسه على مدى عقود. لكنه ينصّ في حالات محدَّدة في سياقات حركات اللجوء الواسعة النطاق، على **أنَّ الدولة المضيفة أو بلد المنشأ، يمكن أن تطلب من مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين تفعيل منبر دعم للمساعدة في ترتيبات استجابتها الوطنية لهذه الحالات لتأمين متطلِّبات الاستضافة.**

إن الاتفاق العالمي غير منفذ بإلزامه قانونيًا، لكن **الجمعية العامة للأمم المتحدة تعمل على اعتماده للتدليل على وجود التزام سياسي قوي للغاية من جميع الدول الأعضاء البالغ عددها 193 دولة لتنفيذ الاتفاق**، حتى لو لم يكن ملزمًا قانونيًا، **وتضغط لإيجاد إدارة للعمل متعددة الأطراف.**

كما يصمم هذا الاتفاق العالمي بشأن اللاجئين الاستجابة الدولية داخل نهج شراكات واسعة النطاق بشكل كبير. فينظر إلى ما يمكن أن يجلبه القطاع الخاص وما تجلبه المجتمعات الدينية، والمؤسسات المالية الدولية، إلى الطاولة. وقد **أنشأ البنك الدولي أداة مالية محدَّدة موجَّهة للبلدان منخفضة الدخل التي تأثرت بالنزوح القسري، للمساعدة في معالجة الأثر الاجتماعي والاقتصادي لتدفُّقات اللاجئين في جزء من البلد.**

ثانيًا ـ دور الاتفاقيات الإقليمية والثنائية في إدارة الهجرة:

لقد شكَّلت الاتفاقيات الإقليمية والثنائية مساحة مهمَّة في تشكيل منظومة التشريعات الخاصَّة بالهجرة ووضع تنظيمات لها، وإجراء ترتيبات تنطلق من واقعها الجغرافي ومكانتها وتأثرها بنتائج هذه المسألة القضية، وذلك بما يتماشى مع مصالحها وتشريعاتها الوطنية والتزاماتها منظومة الحقوق والحريات العامة.

أ ـ الاتحاد الأوروبي وتشريعات الهجرة:

إنَّ السياسة الأوروبية المشتركة للهجرة، في اتحاد تلاشت الحدود فيه، جعلت من التنسيق بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي أمرًا ضروريًا، وفرضت

تحديد الشروط المشتركة لإدارة تدفقات الهجرة كأمر للدخول في منطقة الـ "شينغن".

فالهجرة وضعت في الاعتبار على جدول أعمال سياسات الاتحاد الأوروبي، بدءًا من معاهدة روما، إلى اعتماد الوثيقة الأوروبية الموحَّدة التي تحدِّد مساحة أوروبية مشتركة بلا حدود، إلى العام 1992، بحيث جعلت معاهدة ماستريخت من حرية الحركة والإقامة والعمل أحد السمات الأساسية للمواطنة الأوروبية (المادة 8)، مع التمييز بين الأوروبيين من الجماعات الأوروبية عن غيرها.

كما أنَّ اتفاقيات التعاون لا تتناول قضية الهجرة نفسها، حيث إنَّ هذه القضية هي موضع اتفاقات خاصَّة "اتفاقات الأيدي العاملة"، موقَّعة بين دول المغرب العربي بعد استقلالها والدول الأوروبية الكبرى التي منها فرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا. ولم تظهر حتى القضايا المتعلقة بالهجرة في علاقتها بالتنمية إلا مؤخرًا بعد مؤتمر برشلونة في العام 1995، بحيث يعترف إعلان برشلونة بالدور المهم الذي تلعبه الهجرات في العلاقات بين شمال وجنوب البحر الأبيض المتوسط، ويدعو إلى تطوير التعاون بين الضفتين، للحدّ من ضغوط الهجرة عبر برامج للتأهيل المهني، والمساعدة في خلق فرص عمل.

وفي العام 1997، أدرجت معاهدة أمستردام اكتساب الـ "شينغن" في معاهدة الاتحاد الأوروبي، ونصَّت على تقديم اللجوء والهجرة من الركن الثالث الحكومي الدولي إلى الركن الأول المشترك. وقد قام زعماء الاتحاد الأوروبي، أثناء انعقاد المجلس الأوروبي في تشرين الأول/أكتوبر 1999 في تامبيري (فنلندا)، بتحديد المبادئ الأساسية لسياسة مشتركة للاتحاد الأوروبي بشأن الهجرة.

ومنذ تلك القمة، أصبح هناك ثلاثة مبادئ متكرِّرة، تثبت عزم المجلس الأوروبي على ضمان عمل إدارة أفضل لتدفقات الهجرة، لتقيم بذلك سياسة شاملة، تأخذ في الاعتبار كل من دولة المقصد ودولة المنشأ ودول العبور. وتركِّز تلك المبادئ أكثر فأكثر على إيجاد تعاون وثيق بين الشركاء من أجل:

- تطوير الهجرة الشرعية من خلال اندماج رعايا الدول الأخرى في دول الاستقبال.
- مكافحة الهجرة غير الشرعية.
- الربط بين الهجرة والتنمية أمرًا ثابتًا.

كما تم بناء هذا المنظور تدريجيًا من قِبل الدول الأعضاء، وأصبح أمر اجتماعاتها وقممها ومجالسها؛ منظور متكامل وشامل ومتوازن، يهدف إلى تعزيز وتعميق، بطريقة جامعة ومتوازنة، التعاون والحوار الدوليين مع دول منشأ وعبور الهجرات. وقد حدَّد برنامج لاهاي، المعتمد خلال انعقاد المجلس الأوروبي في تشرين الثاني/نوفمبر 2004، الأولويات العشر التي تركِّز الثلاث الأولى منها على:

- تعزيز الحقوق الأساسية والمواطنة.

- مكافحة الإرهاب.

- تحديد نهج متوازن للهجرة.

أما المجلس الأوروبي المنعقد في بروكسل 15 و16 كانون الأول/ديسمبر من العام 2005، فقد أكَّد على ضرورة وضع مقاربة متوازنة وشاملة ومترابطة، تشمل سياسات تهدف إلى مكافحة الهجرة غير الشرعية، وتسمح بإقامة تعاون مع الدول الأخرى، مما يمكِّن من جني فوائد من الهجرة الشرعية. ويرى المجلس أنَّه من المهم مجابهة الأسباب الجذرية للهجرة، فعلى سبيل المثال إيجاد سُبل للعيش والقضاء على الفقر في دول ومناطق المنشأ، وفتح الأسواق والعمل من أجل النموّ الاقتصادي والحوكمة الرشيدة، والدفاع عن حقوق الإنسان.

وقد أشار المجلس الأوروبي، المنعقد في لوكسمبورج بتاريخ 16 تموز/يونيو 2008، إلى أنَّه يجب أن يكون من أهداف التحركات ذات الأولوية في مجال الهجرة، **تعزيز الصلات بين الهجرة والتنمية**، وذلك بتسهيل مشاركة المهاجرين في تنمية بلدانهم الأصلية. كما تلمَّس الحلول الموصى بها، كذلك **التحويلات المالية وتكلفة إرسالها، وترقية استخدام التحويلات المالية من أجل أغراض تنموية** (تنمية القروض الصغيرة، دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة، **التعاون مع أفراد مجتمع المغتربين من أجل تعزيز إسهامهم، وتحسين الاستثمارات التي تتم لأغراض تنموية** في دول المنشأ).

كما كانت مسألة **هجرة الكفاءات** أيضًا على جدول الأعمال من خلال قضية الهروب والكسب وتبديد العقول، ولدعم هذه الأحكام والقرارات، ثمة برامج ينبغي تنفيذها. وفي هذا الإطار وضعت المفوضية الأوروبية وأطلقت عدة مشروعات للمساعدة بالتعاون مع مختلف المنظمات الدولية وبتمويل من برنامج

إينياس(AENEAS) بشكل خاص، وذلك في إطار **المبادرة الأوروبية من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان .**

كذلك، بالإضافة إلى البرنامج الإطاري "التضامن وإدارة تدفقات الهجرة" للفترة 2007-2013، والبرنامج الموضوعي للتعاون مع الدول الأخرى فيما يتعلَّق بالهجرة واللجوء، منحت المفوضية تمويلات كبيرة لوكالة فرونتكس (Frontex) لتنفيذ نُظُم المعلومات على نطاق واسع، ولإنشاء مرصد أوروبي للهجرات. وقد وضع الاتحاد الأوروبي توجيهين مهمَّين فيما يتعلَّق بإدارة تدفقات الهجرة.

ويُعد **"توجيه "العودة"**[1]، بمثابة صك يهدف في المقام **لعودة رعايا الدول الأخرى المقيمين بصورة غير شرعية** .وهو بهذا يضفي الشرعية، من ناحية، على اتفاقات تجديد القبول وكل الترسانة القانونية، وعلى لوجستيات ومساعي فرونتكس(Frontex) لمنع وصول المهاجرين غير الشرعيين إلى الأراضي الأوروبية ومن ناحية أخرى، وعلى الاستعانة بإجراءات وضوابط خارجية. لأن احتجاز غير الشرعيين منهم سوف يصبح النظام الطبيعي لإدارة الهجرة في أوروبا، وسوف يجعل من ظهور مخيمات وأماكن تجمعات أمرًا من مظاهر سياسة شاملة لإبعاد الأجانب غير الشرعيين.

وإلى جانب هذا التوجيه الملزم بالنسبة للمهاجرين غير الشرعيين وتنفيذ سياسة الردع تلك، يسعى الاتحاد الأوروبي إلى إيجاد سبل شرعية لتشجيع هجرة الكفاءات التي يحتاج إليها. وهكذا، ثمة توجيه كانت تتم مناقشته منذ العام 2007 وصدر في مايو/أيار 2009 بشأن "البطاقة الزرقاء"[2]، هو بمثابة المبادرة السياسية الرئيسية للاتحاد الأوروبي في العالم لهجرة ذوي المهارات العالية.

وفي أواخر تشرين الثاني/نوفمبر 2009، أعطى البرلمان الأوروبي الضوء الأخضر لهذا المفتاح السحري الجديد للأجانب من العمالة الماهرة. وتعد هذه "البطاقة الزرقاء"، المنشأة على غرار بطاقة الـ "Green card" الأمريكية، بمثابة تصريح يخوِّل لحامله الإقامة والعمل بصورة شرعية في أراضي الاتحاد الأوروبي،

(1) للتذكير: يمكنكم الاطلاع على تعريف اللاجئين في اتفاقية 1951 والصكوك الإقليمية الخاصة باللاجئين، وكذلك على النظام الأساسي للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين.

(2) التوجيه 115/2008، المفوضية الأوروبية، الصادر من البرلمان الأوروبي واالمجلس في 16 ديسمبر 2008 بشأن المعايير والإجراءات المشتركة المطبقة في الدول الأعضاء.

والذهاب إلى أحد الدول الأعضاء الأخرى ليشغل فيها وظيفة تتطلَّب درجة عالية من الكفاءة، وفقًا للأحكام المنصوص عليها في التوجيه[1]. كما تهدف تلك البطاقة إلى جذب ما يصل إلى 20 مليونًا من العمالة الماهرة من الدول الأخرى خارج الاتحاد الأوروبي[2].

ب ـ الاتفاقات الثنائية بشأن الهجرة:

من الضروري التمييز بين نوعين من الاتفاقيات الثنائية:

1 ـ اتفاقيات الجيل الأول:

التي تهدف في المقام الأول إلى توظيف العاملين وإقامتهم، وعودتهم إلى بلد المنشأ، واتفاقيات إدارة الهجرة، واتفاقيات الأيدي العاملة. وهنا نتحدث عن اتفاقات الأيدي العاملة منذ الخمسينات بين الدول الأوروبية، التي كانت تسعى إلى إعادة بناء دولها بعد الحرب العالمية الثانية وبين دول الجنوب، والتي كانت تواجه نسبة بطالة مرتفعة وشريحة كبيرة من الأيدي العاملة تشغُل عمالة محدودة. وقد كانت تهدف تلك الاتفاقيات إلى تنظيم الهجرة والإعداد لوصول الدفعات الجديدة والتعرُّف على متطلِّبات القطاعات الاقتصادية المتخصصة جدًا كالصناعية والزراعية والتعدين والبناء وغيرهم، التي تنقصها الأيدي العاملة.

وفي منتصف السبعينيات، كانت هجرة العمل إلى أوروبا تشهد توقفًا حادًا في أعقاب الأزمة الاقتصادية والصدمة النفطية الأولى في عام 1973. وقد تم تجديد وإعادة صياغة اتفاقات الأيدي العاملة خلال ثلاثين عامًا تقريبًا، بهدف محاولة السيطرة على طلبات العمل وتنظيم حركات الأيدي العاملة من الجنوب إلى الشمال تحت رحمة التقلبات الاقتصادية.

2 ـ اتفاقيات الجيل الثاني:

وتشمل:

ـ اتفاقيات إدارة الهجرة في عام 2000: وهي من الاتفاقيات التي تعكس تطوُّر سياسات الهجرة في المنطقة، وتؤكِّد على ظهور نظام جديد للهجرة وليس للأيدي العاملة فقط، لكن لإدارة مدروسة لتدفقات الهجرة.

(1) التوجيه 50/2009، المفوضية الأوروبية الصادر عن االمجلس في 25 مايو 2009 بشأن شروط دخول وإقامة رعايا الدول الخارجة عن الاتحاد الأوروبي بغرض شغل وظائف عالية المهارة.

(2) ماري، مارتين بوكينس، بطاقة زرقاء لعقول العالم الثالث. مجلة Le Courrier ACP، العدد التاسع.

ومع بدء نفاذ اتفاقيات التعاون بين أوروبا ودول البحر الأبيض المتوسط، شهدنا عملية إضفاء طابع مؤسسي لأطر تنظيمية جديدة لتعزيز إدارة أفضل للتدفقات، بالتوافق مع "اتفاقية شنغن"، وذلك في إطار احترام حقوق العاملين المهاجرين.

ـ اتفاقات التعاون بين الاتحاد الأوروبي ودول البحر الأبيض المتوسط[1]:

ويتناول هذا النوع من اتفاقيات التعاون قضية الهجرة في أبعادها الثلاثة: الهجرة الشرعية وغير الشرعية والهجرة في علاقتها بالتنمية. وإلى جانب النظرة الأمنية التي تقلق اتفاقات القبول، نجد أيضًا أن هناك توجُّهًا نحو تنمية هجرة شرعية دائرية، والتي تتمثَّل في شكل اتفاقيات جديدة حول الهجرة الموسمية والمؤقتة.

إذا كانت الاتفاقيات الدولية تحمي حقوق المهاجرين، فإنَّ الاتفاقات الإقليمية تعمل في مجال الإدارة الشاملة للهجرة، كما تنظِّم الاتفاقات الثنائية بدورها هجرة العمل. وأنَّه من خلال هذه الترسانة القانونية، تحرص الدول على ضمان الحفاظ على سيادتها والاستفادة من قوَّة عمل المهاجرين أو من تحويلاتهم المالية. وباختصار، يشكل الدافع الاقتصادي للهجرة أحد سمات هذه التشريعات.

ج ـ تنظيم الهجرة في العالم العربي:

إن الاتفاقيات التي تمَّت الموافقة عليها من قِبل الجامعة العربية تسعى لتنظيم الهجرة من خلال اتفاقات ثنائية حول هجرة العمل. وقد اعتمدت منظمة العمل العربية (OAT)التي أسسها وزراء العمل العرب في عام 1965، الميثاق العربي للعمل في العام 1968، الذي يحتوي على بنود تضمن الحقوق الأساسية للعاملين المهاجرين. ويعد هذا الميثاق بداية التعاون العربي من أجل تجانس القوانين المتعلقة بالعمل والضمان الاجتماعي.

كما اعتمد المؤتمر السنوي لمنظمة العمل العربية، الذي انعقد في الجزائر شباط/فبراير 2005 بيانًا بشأن المهاجرين. وإنَّ هذا الاهتمام ليس بجديد، ففي السابق في العام 1965، تمَّ اعتماد مجلسًا لتسهيل تحرُّك المواطنين العرب بين مختلف دول الوحدة الاقتصادية العربية. وقد التزمت الدول حتى بتشجيع تشغيل المواطنين من مختلف الدول العربية الأخرى المتواجدين على أراضيها، وذلك

---

(1) هيلين، زويك، البطاقة الزرقاء- محاولة أوروبية لهجرة متنقله، أبريل/ نيسان 2009.

بإلغاء تأشيرات الدخول بين دول المجلس، وبتجديد تصريح الإقامة عند انتهاء صلاحية رخصة العمل. وقد أنشأ المجلس أيضًا لجنة، بالتعاون مع منظمة العمل العربية، مسؤولة عن تحرُّكات العاملين بين الدول العربية. وأوصت هذه اللجنة الدول المعنية بالتصديق على اتفاقيات هجرة العمل، مؤكِّدة تعهداتها بحماية العاملين المهاجرين، وتشجيع هذه الحركات، مُتيحين للأسر إمكانية لم الشمل والتعليم الأولي للأطفال، مع ضمان الحريات الأساسية للعاملين التي تتعلَّق بمتطلبات التنمية الاقتصادية.

إنَّ الاتفاقيات العربية للعمل الخاصَّة بمنظمة العمل العربية متعدِّدة وتسعى إلى ضمان الحقوق الأساسية للمهاجرين العرب في الدول العربية، وإلى تنظيم تحركات الأفراد بين دول المنطقة. ويعد الهدف من الاتفاقية رقم 2 لعام 1967 بشأن حركة العمالة هو تسهيل حركة العاملين من دولة إلى أخرى، وذلك بأن تضمن للعاملين المهاجرين نفس الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها مواطنو دولة العمل، لاسيما في الجوانب المتعلقة بحماية العمل (ساعات العمل والتعويضات بعد التسريح عن العمل والضمان الاجتماعي)، وسوف تكون حرية تحركات العاملين بين الدول العربية بمثابة الوسيلة المناسبة لتعزيز الوحدة العربية، هذا في حال صدقت النوايا والتوجهات العربية نحو قيام عالم عربي جديد متضامن في الأهداف والرؤى.

وفي هذا السياق، جاءت الاتفاقية رقم 4 لعام 1975 بشأن تحركات العاملين، وهي تهدف بشكل أساسي إلى تحقيق هذه الوحدة العربية عن طريق حثّ كل دولة على اعتماد سياسة، قصيرة أو طويلة المدى للهجرة، تتوافق مع متطلباتها الاجتماعية- الاقتصادية.

كما تشمل الاتفاقية الحقّ في لم الشمل الأسري، وتؤمِّن تصاريح إقامة لأفراد أسرة المهاجر. ولم يلبث تنظيم هجرة الكفاءات إلا أن جذب انتباه الاهتمام العربي، بحيث أنَّ الاتفاقية رقم 9 لعام 1977 والتوصية رقم 2 لعام 1977 بشأن تأهيل العاملين، ركزَّت على الحاجة إلى جذب العاملين وتوظيف القدرات الشابة والكفاءات العربية، وذلك لمواجهة نقص العاملين المهرة في الدول العربية. وثمَّة بيان للمجلس الاقتصادي والاجتماعي لجامعة الدول العربية في عام 1984، يضمن للعاملين المهاجرين وأسرهم نفس الحقوق التي يتمتَّع بها مواطنو دولة العمل، ويضمن أفضل وأنسب الظروف لعودة الكفاءات إلى بلدانها الأصلية.

ويمكننا أن نؤكد أنَّه ليست النصوص والاتفاقيات والمعاهدات هي التي يفتقرها العالم العربي، وأنَّ صكوك حماية العاملين المهاجرين موجودة. ولكن غالبًا ما لا يتم التصديق عليها من جانب العديد من الدول العربية، والتي منها الدول المستوردة للأيدي العاملة. ولا يُمكن لهذه الاتفاقيات التي لم يتم تنفيذها أن تضمن حماية العاملين المهاجرين وأفراد أسرهم.

المبحث الثاني: التحدِّيات المانعة لتحقيق استراتيجية لبنان الاغترابية وإشكاليات التصنيفات والمعالجات

إن قضية الاغتراب ومصادرها ومنطلقاتها تطرح مسائل عديدة مهمة، انطلقت عبر البحث عن الحياة الكريمة المؤسسة على مرتكزات العدالة الاجتماعية، والوجود والمنافسة السياسية المنطلقة من مقتضيات المبادئ الانتخابية الساعية إلى تكريس تداول السلطة، والاعتبار الإنساني الذي يوصل الإنسان إلى الغايات والأهداف التي يطمح فيها ويسعى لأجلها، والحصول على جنسية سريعة توفِّر الأمان بجوانبه كافة، بعد غياب المواطنة والمواطنية... المفقودين لديه في دهاليز النظام الطائفي، الذي شارف على القضاء على الثروة الحقيقية للوطن والمجتمع، التي هي إنسانه، وعبر تهجير الأدمغة والكفاءات والطاقات المختلفة.

كما تطرح أيضًا مسائل في غاية الأهمية، تنطلق من الهجرة في الحرب والهوية والبقاء التي تطلب توصيف وتصنيف المغتربين اللبنانيين، كي لا يتساوى المغترب الذي يضع حياته ومستقبله بين كفيه والوطن في وجدانه، بالعملاء الهاربين من العدالة إلى كنف العدو الإسرائيلي، لتأمين الحماية لهم من وطنهم وأبناء جلدتهم. مرورًا بتأمين المفهوم الحقيقي لاستعادة أو لمّ الشمل، وبالتدابير اللبنانية المطلوبة أو المتخذة لحماية المغتربين في العالم، وما يعانية المغتربون من حصار مالي على تحويلاتهم، وصولاً إلى البحث في خيارات مؤسسة بمنطلقات العدالة الاجتماعية، ومضمونة بنتائج تُنشئ فيها أوضاع قانونية وشبكات حماية، لا أن يكونوا مطرح ازدواج ضريبي أو تحويلات دون قوانين استثمار، أو عديد انتخابي دون أدوار ومشاركة في وطنهم. أو كما قال فيهم دولة الرئيس نبيه بري: "يعرفونكم كطائفيين لا كلبنانيين، ويعرفونكم كتجار لا ككادحين.... والحقيقة أنَّهم لا يعرفون أنَّكم لبنان الحقيقي"[1].

---

(1) للتذكير: إن لبنان وافق على هذه الاتفاقية وصادق عليها، وكان تاريخ نفاذها شهر 2006/4.

إن ذلك يطرح دور المجالس الاغترابية اللبنانية في العالم وتسمياتها وظروف نشأتها وإشكالياتها وفعاليتها على مستوى الأهداف وفي تنظيم المجتمع اللبناني الاغترابي المنقسم بانقسام سياسي الدولة، وأزمة فعالية دور السلطات الوطنية المعنية بالاهتمام بالمغتربين، الذين لم يصلوا بعد لإدراك مسؤولياتهم عن أبنائهم، وكذلك السياسة الإعلامية وأبعادها. كي لا يبقى أبناؤنا ومغتربينا متروكين لعربدة العدو الإسرائيلي وملاحقاته في العالم، هائمين ساعين إلى جنسية أخرى تحميهم من مطارداته ومن يدعمه في جعل المغتربين شتاتًا مضطهدين، وتؤمِّن لهم ما فقدوه من وطنهم في وطنهم وفي الأوطان الذين يتواجدون فيها من الكرامة الإنسانية والرعاية والحماية.

كذلك، دون أن ننسى غياب تبديد الخوف عنهم بسياسات اغترابية مقوننة وطنيًا ودوليًا، نهرب من مفاعيلها وتداعياتها في الوطن وعلى الوطن، دون المواطن المهاجر المحكوم لنتائج الاتفاقيات الدولية والإقليمية ذات الشأن التي لم ندخل فيها لأسبابها، أو نلجأ إليها لتحديد مصلحة الوطن والمواطن المقيم والمغترب. وهذا يطرح المعاناة الحقيقية التي تتسبب بتداعياتها وانقسامنا حولها الضغوطات الدولية لفرض وقائع تهدد الكيان والوطن، ومنها قضية اللاجئين المقيمين وليس آخرها قضية النازحين المستضافين، التي ما فتئت مخاطرها تضغط بأثقالها سياسيًا وأمنيًا واقتصاديًا، والتي ما زال البعض في الوطن من أصحاب المشاريع العابرة للحدود يستثمر عليها أوهامًا، ستقوِّض من خلالها الكيان اللبناني والمقيمين والمغتربين على السواء، حتى لا يبقى وطن ومغتربين وقضية.

سنحاول في هذا المبحث استعراض واقع الاستراتيجية الوطنية اللبنانية للاغتراب، والإشكاليات القائمة على الاتفاقيات التي يتحفَّظ عليها لبنان وإشكالية التصنيفات.

أولاً ـ واقع الاستراتيجية الوطنية اللبنانية للاغتراب والتحديات:

لقد حدَّد لبنان استراتيجيته تجاه مسألة الاغتراب عبر تضمينه تقرير الهجرة المتوسطية 2008-2009، الذي أعده اتحاد البحوث التطبيقية للهجرة الدولي (CARIM)، للأهداف التي سيعمل عليها، وهي:

ـ تشجيع وتعزيز الروابط مع لبناني المهجر.

- توطيد الصلات السلمية بين مختلف الجماعات الطائفية اللبنانية، المقيمة في الخارج من خلال سياسة للوفاق.
- تشجيع اللبنانيين في الخارج على تكوين رابطات.
- الاستفادة من الإمكانات البشرية في الخارج في مجال التنمية والتكنولوجيا.
- تشجيع التحويلات.
- تشجيع اللبنانيين على العودة بانتظام إلى البلاد[1].

إن هذه الاستراتيجية دونها عقبات وتحدِّيات، فهي لم ترتقِ بالمعالجات إلى مستوى الحلول المطلوبة، ولم تقدم إطمئنانًا للمغتربين اللبنانيين.

أ ـ انعكاسات الاختلاف في الرؤية السياسية الوطنية على الوصول للمغتربين في الخارج:

إن تلك العناوين التي شكلت أهدافًا رئيسة في الرؤية الوطنية المذكورة آنفًا، تطرح العديد من التساؤلات حول الآلية التي اتبعتها الدولة اللبنانية للوصول إلى اللبنانيين في الاغتراب، والنظرة إلى أبعاد الدور الذي ترجوه لهم في سياساتها، في ظل تراجع أهمية الحدود والموقع المتقدِّم للمغتربين في العالم لحماية مصالح لبنان والدفاع عنه. فهل تكفي مؤتمرات الطاقة الاغترابية لإعادة الثقة وطمأنة اللبنانيين المغتربين، بأنهم ليسوا أعدادًا ناخبة للاستقواء بها في الانتخابات النيابية؟ وهل المطلوب تحشيد اللبنانيين العابرين للقارات للاصطفاف في قوافل التركيبة الطائفية والمذهبية، لتأمين ديمومة النظام السياسي الطائفي، عبر رشوة انتخابية من ستة مقاعد نيابية فولكلورية يطيح بغاياتها تكريس إنقسام فعالية التموضع الاغترابي طائفيًا؟

كما أن الإندفاع لإقرار القانون الرامي لاستعادة الجنسية اللبنانية للمتحدرين من أصل لبناني، الذي أقرَّه المجلس النيابي بتاريخ 2015/11/12، لتمكين المغتربين والمتحدّرين من أصل لبناني باستعادة الجنسية، التي تتم بإثبات الأصل اللبناني من دون أي التزام بالعودة إلى لبنان، لم يبادله المغتربون بالحماسة المعهودة، ليس لعدم الرغبة في أن يكونوا لبنانيين بالجنسية، بل لإنَّها تظهَّرت بأهداف خاصَّة فئوية دون مستوى الأهداف التي يطمحون لها. علمًا أن استعادة الجنسية في هذا القانون

(1) الرئيس نبيه بري، المؤتمر الاغترابي السنوي لحركة أمل، الأحد في 15 نيسان 2018.

يتميَّز عن القانون السابق الصادر بتاريخ 1946/1/31، الذي مكَّن الأشخاص من أصل لبناني أن يستعيدوا جنسياتهم في حال عودتهم نهائيًا إلى لبنان، على أن تسحب منهم جنسياتهم في حال عادوا وتغيّبوا عن لبنان لمدة خمس سنوات، وذلك باكتسابهم إياها دون العودة. فهل المقصود إضافة أرقام على التسجيلات الوطنية لتبديد الخوف من بعضنا في الوطن، بدل أن نقيم الوطن في دولة كريمة خارج التموضعات المذهبية، وفي قلبه المغتربين الذين نبذوا الطائفية قلبًا وقالبًا، وحتى الوطن الطائفي؟

ب ـ توحيد الهيئات الاغترابية بين الاختلافات في المصطلحات وضياع الأهداف:

إن تزايد أهميّة الجالية اللّبنانيّة ودورها على الساحة السياسية الدولية، اليوم، ومع ظهور مجموعة من مجالات السياسة العامة، بما في ذلك الشؤون الخارجية، وإعادة تشكيل النظام السياسي العالمي، وظهور تنمية تكنولوجية واقتصادية جديدة، يفرض النظر في دور المغتربين المتزايد، عبر تأمين منظومة مؤسساتية ذات قواعد وأبعاد قانونية وحماية وطنية ودولية، تسهل تحركه في دول العالم، وتحقِّق له شبكة أمان متكاملة.

كما إن صفة الاغتراب التي حاولنا تمييزها عن مصطلح الهجرة وأبعاده، لإنشاء الحيثية التي اكتسبها هؤلاء اللبنانيون عبر التاريخ، أي قبل صدور الاتفاقيات والقوانين الشارعة والناظمة، هو لإضفاء البعد المؤسساتي والقانوني لوجودهم خارج الوطن. ولن أدخل في مناقشة مفاهيمية أو لغوية أو غائية! أو خلفية! لمفهوم "الانتشار" الذي يتم الالتفاف به على المغتربين، ويقوِّض المكتسبات التي صنعها المغتربون بأنفسهم، ليبقى الإجماع الوطني على مقاربة الأهداف يتركز على وجودهم كرافعة للنجاح الجماعي الوطني، وفرصةٌ لبنان، مهما عظُمت التحديات، نتيجة أهمية الدور المعنوي في الصمود، والمواجهةِ والانتصار الذي يلعبونه، والدور الاقتصاديُّ في النموّ والتطوُّر والازدهار الذي يشكلونه[1]. ولكن دائمًا وللأسف في ظل غياب الدور السياسي الذي يبغونه ويطمحون أن يكونوا من صنَّاعه.

---

(1) اتحاد البحوث التطبيقية للهجرة الدولية (CARIM)، تقرير الهجرة المتوسطية 2008-2009. الصفحات 521-531.

من هنا، فإن الحفاظ على مصطلح موحَّد هو "الاغتراب"، الذي يحفظ المكانة التاريخية للبنان، الذي أخذ مكانته المفاهيمية من خلال وجوده التاريخي، وله نفس الأسباب التي دفعت باللبناني الذي هاجر واغترب قبل وبعد نشوء دولة لبنان الكبير في العام 1920[1]، مع احترامي لبعض المنظرين الحديثين من العام 1983 ولليوم، لهو السلامة بعينها، حتى لا نضيع في المصطلحات في الوقت التي أصبحت فيه المصطلحات عبئًا على المغترب والوطن، نتيجة]المخاطر والأفخاخ الجمَّة التي تتشكَّل فيها هذه المصطلحات المستحدثة، الدافعة إلى تغيير مفهوم الوطن وبنيته الديمغرافية. كما أن العمل على توحيد الهيئات الاغترابية في الخارج[2]، يجب أن يكون الهم الأساس بغية تأمين البنية الاغترابية المتماسكة على مصالح الوطن، والقيام بتصويب بما أخطأت فيه "الدولة" منذ قيامها، ولا سيما معالجة موضوع تسجيل وقوعات الأحوال الشخصية بعد إعلان دولة لبنان الكبير وصدور وثائق لبنانية عن السلطنة العثمانية في أول كانون الثاني 1924 بموجب القرار رقم 2851 الصادر بتاريخ 1924/1/1 المنشور في الجريدة الرسمية بتاريخ 1924/1/16، والتعديلات التي جرت في القوانين اللاحقة، دون أن ندخل المغتربين في تجاذبات الفشل السياسي للنظام اللبناني، بابتعاده عن مسار تحقيق الدولة المدنية التي نطمح لها مقيمين ومغتربين.

كذلك دون أن ننسى غياب تنفيذ التعهُّدات الحكومية بتفعيل العمل الديبلوماسي في الخارج لجهة التواصل مع المغتربين، والعمل على تنظيم الهيئات الاغترابية وتوحيدها[3]، الذي يفاقم في تبعثر الجهود وضياع الإنجازات.

وهنا، فإنني لم أدخل عن قصد في استعراض الدور المهم والمشكور الذي تلعبه الهيئات الاغترابية اللبنانية في العالم، والذي سبق الدولة، في تعزيز وتنمية روح الولاء والوطنية وإنشاء وتنمية أواصر الصداقة والتفاهم وتشجيع النشاطات والتبادلات بين لبنان وبلدان الإقامة واللبنانيين المغتربين، ونشر التراث وتعزيز الثقة والحوار، بل لأنَّ الهدف مما قدمت هو لتفعيل البحث في الوصول إلى

(1) جبران، باسيل، وزير الخارجية والمغتربين اللبناني، كلمة للدبلوماسيين الجدد في افتتاح الدورة التدريبية المعهد الوطني للإدارة، اليرزة في 2016/11/21.

(2) البيان الوزاري لحكومة الرئيس سعد الحريري الأولى، الحكومة 71.

(3) البيان الوزاري لحكومة الرئيس نجيب ميقاتي، الحكومة 72.

"مأسسة للاغتراب" بشكل تلحظ المرتكزات والأقانيم التي تؤمِّن الفعالية المرجوة في ظل التطورات الحديثة التي طرأت على القانون الدولي، بغية الوصول إلى وطن نهائي لجميع أبنائه، موحَّد، متماسك، يحمله جناحيه المقيم والمغترب، يفتخر فيه الإنسان أنَّه لبناني، ويشعر أن هناك دولة فوقه ووراءه وأمامه، ترعى مصالحه وتسهر على آماله.... فلا يشعر المقيم بالغبن لعدم مجازفته في طريق الاغتراب، ولا المغترب باليتم لحرمانه من رعاية أبائه الحقيقيين.

ثانيًا: الإشكاليات القائمة على الاتفاقيات التي يتحفَّظ عليها لبنان والتصنيفات:

إنَّ لبنان الساعي إلى إيجاد ظروف دولية أفضل للمغتربين اللبنانيين، لم يدخل ميادين الالتزام في الكثير من الاتفاقيات الدولية، التي ذكرناها، من خلال عدم التوقيع عليها، باعتباره لها أنها تحدِّي لا يخلو من المخاطرة، يمكن أن تلزم لبنان بشروط لا يستطيع تحملها. كذلك الأمر، فإنَّ لبنان لم يستفد من عوائد الاتفاقيات الإقليمية والاتفاقيات الثنائية، لأسباب مختلفة وطنية ودولية، التي يمكن أن تعود بالفائدة على المغتربين، خصوصًا وأنهم يتوزَّعون القارات الخمس بشرقها وغربها وشمالها وجنوبها. سواء نتيجة الإشكاليات القائمة حول الشروط الموضوعة من الاتحاد الأوروبي للدخول في منظومة الاستفادة من الحقوق الممنوحة للمهاجرين، أو أزمة التوصيف والتصنيف في القارات الأميركية، أم تداعيات الأزمات العربية على المهاجرين/ المغتربين وعلى لبنان خصوصًا، أم التحديات التي تواجه المغتربين اللبنانيين في القارة الإفريقية من جراء التدابير الدولية المصنِّفة سياسية، وأبعاد مخاطر العدو الإسرائيلي عليهم في إفريقيا والعالم.

كل ذلك، دون أن نغفل بأنَّ أزمة التصنيفات تفوق التحدِّيات في الداخل الوطني، وتهدِّد البنيان الداخلي وبنيته المجتمعية، في ظل الانقسامات والاختلافات والتموضعات المؤذية لمستقبل الوطن، والهروب إلى الأمام دون تحمُّل مسؤولية المعالجة.

أ ـ أزمة التصنيفات المختلفة لواقع الوجود السوري الإنساني في لبنان:

إنَّ لبنان الذي يعتبر من الدول الذي تواجه بنيته التحتيه وخدماته الصحية تحدِّيات هائلة من جرَّاء استضافته النازحين السوريين وقبلهم اللاجئين الفلسطينيين، يرفض كل العروض التي تقدم لفرض التوطين، التي تعمل له

المفوضية من خلال أهدافها الساعية إلى توفير مزيد من بلدان إعادة التوطين، وإيجاد سبل إضافية تمِّكن اللاجئين من الانتقال إلى بلدان ثالثة، عبر برامج لم شمل الأسر مثلاً، أو المنح الدراسية للطلاب أو التأشيرات الإنسانية.

إن رفض لبنان لهذه الشروط والتصنيفات يندرج في إطار حقوقه السيادية ومقتضيات دستوره التي تجعل من التوطين أيًا يكن أمرًا محرمًا. وإنه يواجه ضغوط ترغيبيه وترهيبيه لا تدخل ضمن إطار القانون الدولي الملزم، خصوصًا وأن بعض الاتفاقيات كإعلان نيويورك بشأن اللاجئين والمهاجرين وتصنيفاتهم، المعتمد من قبل الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في أيلول/سبتمبر 2016 ليست ملزمة، وإن لبنان لم يصادق على العديد من تلك الاتفاقيات لما تحمله من تداعيات عليه على الصعد كافة، ليس بمقدوره تحملها.

إن ذلك، يفرض على لبنان تحمُّل مسؤولياته وإطلاق الحوار مع سوريا مباشرة لإيجاد السبل المطلوبة لإعادتهم إلى وطنهم بالشكل الذي يحفظ كرامتهم ومستقبلهم، لا سيما وأنَّهم لا يعتبرون ذات تصنيف واحد. فمنهم:

ـ النازحون من المناطق السورية التي زالت عنها مخاطر العودة إلى ديارهم، ولا يحتاجون إلى أي إجراء سوى رعاية وطنهم.

ـ النازحون من مناطق النزاعات التي تحتاج إلى حوار مع المنظمات الدولية والدولة السورية لتأمين البدائل على الأرض السورية.

ـ النازحون غير الراغبين بالعودة لأسباب متنوعة: (التأمر- ارتكاب الجرائم- وغيرها)، وهذا يتطلب العفو العام والعودة الطوعية والضمانات المطلوبة، والتي من شأنها أن تعالج الإشكاليات القائمة حول اتفاقية لبنان وسوريا بشأن الاسترداد بين البلدين. مع إشكالية الحديث فيها عن العلاقات غير الشرعية ومفهوم الإنجاب المكتوم القيد، لإيجاد آليات للبنى أو الاتجار بالبشر، كجريمة دولية مصنَّفة.

ـ النازحون الذين يعانون مشكلة التخلف عن خدمة العلم، ويمكن أن يقدم الحوار فيها حلولاً مختلفة تحتاج إلى تعديل قوانين.

ـ السوريون الذين يعملون في العمالة الموسمية في لبنان، وهذا الأمر يحتاج إلى رؤية جديدة واعية تأخذ بعين الاعتبار مصلحة لبنان، عبر المواءمة بين تحديد الحاجة الوطنية لهذا الوجود وأثره على السوق الوطني والعملة، والبقاء، والهوية، والوجود.

فإسراع السلطة السياسية اليوم في معالجة هذه القضية الخطرة مع أهل الربط والحل، يزيل عن الوطن تحديات وجوده واستقراره، وعن المواطن هواجس البحث في المجهول عن مقتضى أمانه واستقراره، لأنها تجعل من لبنان الدولة مشوَّه حرب ومخيمات لجوء وأحزمة بؤس، سبق أن عانى وما زال لبنان يعاني تداعياتها، فكيف بالأحرى من هذا العديد الهائل وموروثاته. وإن المعالجة ستجنب لبنان مرارة الضغوط الدولية التي يراد من خلالها استخدام لبنان في أجندات داخلية وخارجية، أقلها اللاستقرار وليس آخرها تداعي الكيان بمؤسساته وبنيه.

ب ـ تصنيفات اللاجئ الفلسطيني وأزمة الرعاية:

لقد حمل لبنان المضيف عبء القضية الفلسطينية منذ النكبة، وهو استقبل الوجود الفلسطيني بوجدانه منذ العام 1948، قبل أن يتعاطى مع تصنيفاته كلاجئ ينتظر العودة إلى فلسطين. ثم احتضن اللجوء الفلسطيني بعد العام 1967، وشاركه همه وقضيته جنبًا إلى جنب معه في مقتضيات الصراع العربي الإسرائيلي. وتوالت الأحداث المؤلمة والتموضعات المتعددة وطنيًا وإقليميًا ودوليًا لتخلق من وجوده إشكاليات راهنت على حق البقاء، وحملت الهويات المتناقضة في مرحلة ما بعد الحرب، وما رافقها من دور سلبي، إلى رهن العلاقة مع الأطراف السياسية بإبتزاز رعاية وحماية حق.... دون الضمانات المطلوبة التي تؤمن أبسط المقومات الإنسانية.

إنَّ كل التناقضات والإشكاليات تفرض على الدولة اللبنانية أن لا تحيد عن تمسكها بمبادئ القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة بحقوق الشعب الفلسطيني، ومنها حقه في تقرير المصير والعودة وإقامة دولته المستقلة، وعاصمتها القدس، كما والتزامها التضامن العربي في الدفاع عن هذه الحقوق الوطنية والإنسانية، ومشاركة لبنان الفاعلة في بذل الجهود السياسية والدبلوماسية[1].

كما التأكيد على التزام لبنان بأحكام الدستور لجهة رفض التوطين، من خلال القيام بحملة سياسية ودبلوماسية، لإحقاق هذا الحق، وتعزيز الموقف اللبناني

(1) البيان الوزاري لحكومة الرئيس سعد الحريري الأولى، الحكومة 71، مرجع سابق.

الرافض للتوطين، وتحميل المجتمع الدولي مسؤولية عدم عودة الفلسطينيين إلى ديارهم. ومواصلة العمل على صعيد توفير الحقوق الإنسانية والاجتماعية للفلسطينيين المقيمين على الأراضي اللبنانية، ومطالبة الدول والمنظمات الدولية الاضطلاع بكامل مسؤولياتها حيالهم، وتعزيز الأونروا، بما يؤدي إلى تخفيف الأعباء على لبنان، وتأمين الإقامة تحت سلطة الدولة اللبنانية، حتى عودتهم إلى ديارهم[1]. كي لا ندخل في الإنقسامات والتجاذبات وترك الداخل مشرعًا أمام ضغوط المشاريع التي يسوقها أصحاب النفوذ الدولي، لتكريس هيمنته وتفوقه واستعلائه وتمكين الكيان الإسرائيلي في زعزعة عوامل مرتكزات القوة في لبنان، التي يراد منها جرّ لبنان إلى تسويات وفرض حلول تدميرية خطيرة، ودون قدرة للبنان على تحملها.

هذه القضايا لا تحتمل اعتماد سياسة النأي بالنفس أو سياسة الهروب الممهورة بأشكال الارتهان، للباحثين عن وطن الرماد، بل سياسات المسؤولية الوطنية المضمخة بتضحيات اللبنانيين الذين بذلوا الدماء والأرواح لحفظ لبنان وصونه والدفاع عنه ليكون وطن السيادة والرسالة والعلم والحرف والطاقات، وفي قلبه المغتربين.

إنَّ تحديات التصنيفات على دلالات مفهوم الرعاية محورها أزمة المفاهيم والمعاني والمقدِّمات، للعلائقية المتأرجحة بين الدولي غير المتفهم، والوطني المأزوم، برسالة إدارة الحرب وتحديات السلام الدائم.

الخاتمة: الإشكاليات والاستنتاجات

إن إدارة الهجرة تعد أحد أعمق التحديات أمام التعاون الدولي في عصرنا هذا، فالهجرة تحرِّك النمو الاقتصادي وهي من آليات التوافقات في السياسة والثقافة والاجتماع، وتحد من أوجه عدم المساواة، وتربط مختلف المجتمعات. ومع ذلك، فهي أيضًا مصدرًا للتوترات السياسية والمآسي الإنسانية.

إن غالبية المهاجرين/ المغتربين يعيشون ويعملون على نحو مشروع، ولكن ثمَّة قلة يائسة تعرِّض حياتها للخطر للدخول إلى بلدان قد تواجه فيها الريبة وإساءة المعاملة.

(1) البيان الوزاري لحكومة الرئيس نجيب ميقاتي، الحكومة 72، مرجع سابق.

من المرجح أن تؤدي الضغوط الديموغرافية وتأثير تغير المناخ على المجتمعات الهشة إلى زيادة الهجرة في السنوات المقبلة، في الوقت التي أصبح العديد من المهاجرين يرتهنون لوظائف مهينة وخطرة. وهنا تطرح الأسئلة، هل ما زالت الهجرة مصدرًا للإزدهار والتضامن الدولي، أم أصبحت رمزًا للفوضى والتوتر الاجتماعي؟ هل أن عولمة المأسسة بصناعة آليات وعناوين ومنظمات يؤطِّر التضامن والأسباب، أم يعولم الهروب وأزمات الارتهان؟ هل الضياع يفعل الوحدة مع حقّ الاختلاف؟

أسئلة كثيرة لمعاني صفاتها لا تعكس كل تكييفاتها، فنقدِّم منه الاقتراحات الآتية، عسى أن ترسم فيها أوليات الدلالات:

ـ الاعتراف بمنافع الاغتراب وتعزيزها، وهي منافع كثيرًا ما تضيع في النقاش العام، فالمغتربون يقدمون مساهمات هائلة لكل من البلدان المضيفة والبلدان الأصلية، ويضطلعون بوظائف لا تستطيع القوى العاملة المحلية أن تشغلها، مما يحفز النشاط الاقتصادي. كما يسهم المغتربون أيضًا إسهامًا كبيرًا في التنمية الدولية من خلال إرسال التحويلات المالية إلى بلدانهم الأصلية.

ـ تعظيم فوائد هذا الشكل النظامي المثمر من أشكال الهجرة مع القضاء على الاعتداءات وأوجه التحيّز التي تجعل الحياة جحيمًا لقلة من المهاجرين.

ـ تعزيز سيادة القانون التي تقوم عليها سبل إدارة وحماية المغتربون، وذلك لصالح اقتصاداتها ومجتمعاتها والمهاجرين أنفسهم، فالسلطات التي تضع عقبات كبرى أمام الهجرة، أو تضع قيودًا شديدة على فرص عمل المهاجرين، تلحق بنفسها ضررًا اقتصاديًا لا مسوِّغ له، حيث تفرض حواجز تحول دون تلبية احتياجاتها للعمالة بطريقة قانونية نظامية، وأسوأ من ذلك، فهي تشجع من غير قصد الهجرة غير المشروعة. فالمتطلعون إلى الهجرة، الذين يُحرمون من مسارات مشروعة للسفر، يلجأون حتمًا إلى أساليب غير نظامية.

ـ إتاحة الحكومات لمزيد من مسارات الهجرة القانونية، بإزالة الحوافز التي تدفع الأفراد إلى انتهاك القواعد، مع تحسين تلبية احتياجات أسواق العمل لديها من العمالة الخارجية. والعمل على نحو أوثق لتقاسم منافع الهجرة، وذلك، على سبيل المثال، من خلال إقامة شراكات لتحديد الثغرات في المهارات المهمة في بلد ما، التي يكون المهاجرون من بلد آخر مؤهلين لسدها.

ـ المزيد من التعاون الدولي لحماية الفئات الضعيفة من المهاجرين، ومن اللاجئين، ويجب أن نعيد إرساء سلامة نظام حماية اللاجئين بما يتماشى مع القانون الدولي.

من هنا، يجب أن يكون الهدف هو إيجاد عالم نستطيع يشكل فيه المهاجرون/المغتربون قيمة مضافة ومهمة في الازدهار والتنمية والوحدة على الصعيد الدولي. ويمكن أن يكون الاتفاق العالمي الذي يحمي المهاجرين ومنهم المغتربين، وسيادة الدولة ومصالحها على السواء، معلمًا بارزًا على طريق جعل الهجرة مجدية للجميع حقًا، وعدم تحول المغترب إلى شخص غريب بعيد عن واقعه الاجتماعي.

ـ إعطاء الاغتراب مفهوم يغلب عليه الطابع النظامي والعلمي في أنٍ معًا.

ـ إشراك المغتربين في الاقتصاد من خلال الاستثمار الوطني عبر تحويل العديد من القطاعات إلى مؤسسات مساهمة مشتركة بين القطاعين العام والخاص، يستطيع من خلالها المغتربون الاكتتاب فيها، وبالتالي ربطهم بالاقتصاد الوطني بناحية الانتاجية، وليس فقط جعلهم مساهمين فقط في الإنفاق غير المجدي لتغطية الفاتورة الوطنية المشكوك بجدواها. وبالتالي، فإن جذب المغتربين وتحويلاتهم المنتجة وإشراكهم في الاقتصاد الوطني يستدعي تعديل قوانين الاستثمار.

ـ إنشاء هيئة وطنية لبنانية للاغتراب تضم: المجالس الاغترابية- الجامعات الثقافية- النواب الست المزمع تمثيلهم للاغتراب في العالم، كجزء من السلطة التشريعية- وممثلين عن وزارات (الداخلية- الخارجية- العدل- المالية- الاقتصاد- السياحة، وغيرهم) كجزء من السلطة التنفيذية والقضائية- أهل الاختصاص...

ـ إصدار بطاقة المغترب اللبناني تهدف إلى: (حماية رسمية تتأمن من خلال الاتفاقيات الثنائية والإقليمية ـ خدمات مختلفة- شبكة أمان صحي واجتماعي ـ إحصاء التوزع الاغترابي...).

ـ إعادة تشكيل مفهوم لبنان من خلال التركيز على جوانبه المختلفة وإبرازها، وليس أهمّها فقط، الجنسية اللّبنانيّة، بل كيفية عيش الهويّة اللّبنانية في الخارج.

ـ جعل الشباب جزءًا لا يتجزأ من الحوار، وتمكينهم ليلعبوا دورهم في أن يصبحوا سفراء للمشاريع المبتكرة، وتقديم الكثير من المواهب والخبرة.

إنَّ الرهان على ما استخلصنا يضعنا أمام تساؤلات جوهرية. هل أنَّ القياس على مسلَّمات المأسسة يؤطِّر نتائج غياب ما أبعد عنها؟ هل تتعايش المفاهيم مع مؤثراتها فتتناغم من مدلولات أزماتها؟ هل يعادل الحق أزمة البقاء، أم رسالة الهوية، أم صيرورة الانتماء، أم رجاء الاغتراب؟

إنَّ تحدِّيات ما عرضنا هي من إشكاليات ما ظهَّرنا، وبتساؤلات مفاهيمية غير محددة بتنظير ما أدركنا، أو لم نعالج ولم نحتسب، فنشطر الأفكار لتأمين سياقاتها في مأسسة نعود فيها بالضمانات والبقاء والهوية.

الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم: دورها ومستقبلها:

الرئيس العالمي للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم

القنصل رمزي رشيد حيدر



- سافر إلى دولة الغابون عام 1982، فعمل في مجال التجارة مطورًا عمله في الاستيراد والتصديرثم في قطاع البناء والمقاولات.
- ساهم في نشاطات الجالية اللبنانية في الغابون ثم في الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، فتبوأ منصب أمين عام مركزي مساعد عام 2000، وفي العام 2006 اختاره رئيس جمهورية ساوتومي وبرنسيب قنصلاً فخريًا لبلاده في لبنان تقديرًا لنشاطاته المتعددة في القارة الإفريقية.
- في العام 2010 عُيّن أمينًا مركزيًا للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، ثم انتخب نائبًا أولا" لرئيس الجامعة عام 2015 وبعدها رئيسًا لها عام 2017

تمهيد

"الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم". أنشئت، كرابطة عالمية، تجمع ما بين المغتربين على صعيد التعارف والتضامن والتعاون وتوحيد الصفوف والأهداف لما فيه خيرهم أولا... وخدمة وطنهم لبنان، وطن الجدود ثانيا، وبعد مضي أكثر من خمسين سنة على إنشاء الجامعة، هناك كلام كثير دار ويدور عن دور الجامعة ومستقبلها، وما حققته من أهداف في معرض ما ينتابها من نزاع وصراع بعد أن تلوثت بمرض السياسة والطائفية والحزبية حيث ارخت الخلافت الداخلية اللبنانية بظلالها على هذه المؤسسة ولكنها صمدت وقامت بخطوات هامة، شملت نشاطات في مختلف الحقول الوطنية والتنظيمية والثقافية والاقتصادية والسياحية والخدماتية، مما أكَّد أهمية هذه المؤسّسة الاغترابية ودورها في إبراز وجه لبنان الحضاري في بلدان الاغتراب اللبناني..

مراحل تأسيسها

بعد الاستقصاء من مراجع عدة، اجمعت هذه على ان فكرة إنشاء الجامعة راودت المغتربين منذ الاربعينيات، وقد كان أول من أطلق صفة المغتربين، وليس المهاجرين، هو الشيخ بيار الجميل سنة 1945 وقد صادق على هذه التسمية مجلس الوزراء في عهد فخامة الرئيس بشاره الخوري بإضافة كلمة المغتربين إلى اسم وزارة الخارجية فأصبحت "وزارة الخارجية والمغتربين فكان المؤتمر الأول الخاص بالمغتربين في مدينة زحلة 1945، والثاني في بيروت سنة 1947، والثالث أيضًا في بيروت وزحلة سنة 1953.

وإثرهذه المؤتمرات سارعت الدولة إلى إنشاء رابطة توّحد، وتجمع شمل

الاغتراب اللبناني آنذاك في جميع أنحاء العالم، فاعترض البعض على الإسم، وفي مؤتمر للمغتربين عقد في أوتيل بيت مري سنة 1956، عرضت عدة تسميات ومنها: "**الوكالة اللبنانية**" وبعد اعتراض ونقاش طويل، استقرّ الرأي على اسم "**جامعة اللبنانين في العالم**" وبناء على طلب الوفد الاغترابي البرازيلي تعديل الإسم لأن القوانين البرازيلية لا تسمح بقيام روابط وهيئات لاتحدد هوية الانتماء، فاقترح اعضاء الوفد أن يكون الإسم" الجامعة الثقافية اللبنانية في العالم" فكان لهم ما أرادوه بتوافق الجميع، وقُبِل الاقتراح.

اذن، لقد تكتّل اللبنانيون في مختلف بلدان الاغتراب واسسوا الجمعيات والنوادي في مختلف الدول لقيام تكتل ذات طابع لبناني وطني، وكان اهمها **اتحاد الجمعيات اللبنانية الاميركية** الذي انشيء في هافانا ـ كوبا عام 1959، بدعوة من صاحب الاقتراح اللبناني الاصل ناتاليو شدياق بالتعاون مع الجمعية اللبنانية في هافانا والذي كان قد قدم أثناء وجوده في لبنان عام 1948 للمشاركة مع الوفد الكوبي في مؤتمرالاونيسكو، قدم دراسة حول إنشاء الاتحاد إلى وزير الخارجية وقت ذاك حميد فرنجية.

إنشاء الجامعة

في ضوء ذلك سارعت الدولة إلى تلقُّف الامر وسارعت إلى عقد مؤتمر في صيف 1960، ومنذ ذلك الحين انشئت الجامعة وتم تقديم الطلب طلب الإنشاء إلى المراجع المختصة بغية أن يصار إلى إصدارمرسوم عن رئاسة الجمهورية بالموافقة وإعلان تأليف الجامعة، فلقي هذا الطلب معارضة شديدة من قبل بعض الفئات "مسيحيا وإسلاميا" (مقتبس) خوفا من تغلب فئة من اللبنانين على فئة أخرى كون هذا الطلب، يأتي من فئة واضحة الإنتماء والأهداف وكان لتلك المعارضة فعلها في موقف رئيس الجمهورية بشارة الخوري طوال فترة رئاسته، وبعد انتهاء عهد الشيخ بشارة، جاء الرئيس كميل شمعون الذي انتهى عهده سنة 1958، وبقي مشروع الجامعة في الأدراج: أدارج القصر الجمهوري، ولكن بعد مجيء اللواء فؤاد شهاب رئيسا للجمورية، طالب الوزير بيار الجميل مجددًا بإنشاء الجامعة - كان الشيخ بياروزيرا في أول وزارة في عهد الرئيس شهاب فوعده خيرا، وقال له إننا سننشيء الجامعة..

قرار الإنشاء

وبناء عليه: قررت حكومة الإتحاد الوطني إنشاء الجامعة اللبنانية في العالم واتخذت قرارًا قضى بتشكيل لجنة برئاسة وزيرالخارجية آنذاك أطلق عليها "المكتب الدائم" مهمتها جمع المعلومات والإعداد لمؤتمر اغترابي في بيروت يشترك فيه ممثلون عن مختلف بلدان الاغتراب،

وفي شهرأيلول عام 1960 قرر المكتب عقد اول مؤتمرعالمي للمغتربين في بيروت، وفي 13 كانون الثاني من العام نفسه قررمجلس الوزراء تشكيل لجنة وزارية تتولى الإشراف على إعداد ما يلزم لنجاح المؤتمر.

وفي 31 آذار وجهت وزارة الخارجية تعميمًا إلى بعثاتها الدبلوماسية مرفقًا بالمراسيم والقرارات التي اتخذت في هذا الصدد ودعوة المغتربين للمشاركة في أول مؤتمر اغترابي في لبنان، وفي 15 ايلول عام 1960 انعقد المؤتمر في قصرالأونيسكو بحضورالرئيس شهاب، وفيه أطلقت **الجامعة اللبنانية في العالم** وأقر نظامها الداخلي وتم انتخاب أول مجلس عالمي لها.

وفي صيف 1961، أعلنت حكومة الرئيس رشيد كرامي تأليف الجامعة في مهرجان رسمي وشعبي، في مبنى الأونيسكو **وأسندت الرئاسة للسيد خورخي طرابلسي: مغترب لبناني في المكسيك**، وهو اول رئيس لها فكانت إنطلاقتها وبداية المشوار...

وفي العام 1964 تأسست هذه الجامعة رسميا في مؤتمر عالمي رسمي بإشراف الرئيس شهاب وجميع أركان الدولة اللبنانية في قصر اليونيسكو وتمّ التوافق على نظامها الأساسي والداخلي، وانتخب أعضاؤها رئيسًا للجامعة وأعضاء الهيئة الإدارية. وأعلن السفير فؤاد عمون في نهاية المؤتمر استقلالية الجامعة وأن لا علاقة للدولة اللبنانية بها إلا علاقة الصداقة والمحبة والتعاون.

وتسلم هذا المجلس مهامه من وزيرالخارجية بصفته رئيسا للمكتب الدائم، إلاّ أن وزارة الخارجية استمرت تمارس سلطة الوصاية على الجامعة حيث كان لها دورها في المشاركة في تسمية الأمين العام وفض الخلافات..

كما منحت وزارة الخارجية للجامعة مقرا لها في مبناها وموازنة مالية وتسلّمت الجامعة مكاتبها في مبن الوزارة كمؤسسة شبه رسمية تمثّل الانتشار بصفة شرعية ورسمية، وأعطت لرئيسها وأمينها العام جواز سفر خاصًا.

علم وخبر

وفي العام 1973 حصلت الجامعة على العلم والخبر الصادر عن وزير الداخلية تحت رقم 363 / أ.د ـ تاريخ 1973/12/13 وفقا لقانون الجمعيات اللبناني كجمعية قائمة قانونا في لبنان وإن أهداف هذه الجمعية من حيث المبدأ كانت منتدى لتوق المغتربين إلى اطار يوحدهم تحت مظلة هذه المؤسسة وتقيهم مصاعب الغربة ويكون مركزها بيروت.

الأهداف

ولا بد من الاشارة إلى هذه الاهداف التي وردت في العلم والخبر، فهي مؤسسة اغترابية مدنية مستقلة غير سياسية وغير عنصرية وغير دينية وغيراستثمارية ولا تبغي الربح، ومعترف بها من قبل الدولة اللبنانية كممثل للانتشاراللبناني في العالم، من أهدافها تعزيز وتنمية روح الولاء والوطنية بين أعضاء الجامعة وبين البلدان التي يعيشون فيها، والاهتمام فعليًا بكل ما فيه خير هذه البلدان من الناحية الثقافية والمدنية والاجتماعية والأدبية، وهي مؤسّسة ثقافية خيرية لا تتوخّى أيّ ربح مادي. وتسعى لنشر تراث هذه البلدان التي يقيم فيها أعضاء الجامعة، ونشر تراث هذه البلدان فيما بينها وبين لبنان. كذلك التعريف بلبنان الحضاري وما لعبه من دور مجرد من الغاية في خدمة الإنسانية عبر عصور تاريخه، والحفاظ على الوجود والكيان اللبناني ليتسنّى للبنان أن يثابر على الإسهام في السلم العالمي والتفاهم بين الشعوب، وتعزيز الثقة والسلم والتفاهم بين البشر بتشجيع أعضاء الجامعة على خدمة مجتمعاتهم، بغضّ النظر عن أي كسب شخصي أو مالي والعمل على رفع مستوى القيم المعنوية في حقل التجارة والأشغال العامة والحياة الخاصة، ولكن اين نحن الآن من هذه الاهداف نتيجة تناتشها من قبل بعض الخارجين عليها.

تكوين الجامعة وهيئاتها العالمية:

تتكوّن الجامعة من الفروع والنوادي والجمعيات والرابطات المؤلفة من لبنانيين أو متحدرين من اصول لبنانية ايًا كانت جنسيتهم والتي تلتزم باهداف وغايات الجامعة وتنتسب إليها اصولا.

اذن.. الجامعة تتكون بشكل هرمي يبتدئ من القاعدة وينتهي بالقمة، القاعدة

هي الجاليات اللبنانية المنتشرة في العالم التي تُنظّم في فروع تنشأ في كل مدينة يتواجد فيها اللبنانيون المغتربون والمتحدّرون من أصول لبنانية، ولا يمكن أن يُنشأ أكثر من فرع واحد في كل مدينة، وبإمكان الجمعيات والنوادي والرابطات القائمة، الانتساب إلى الجامعة إذا التزمت بغاياتها وأهدافها وبنظامها الأساسي.

ويشكّل كل ثلاثة فروع أو أكثر في البلد الواحد مجلسًا وطنيًا يمثّل الجالية اللبنانية فيه. وكل ثلاثة مجالس وطنية تؤلّف مجلسًا إقليميًا وتشكّل المجالس الوطنية مع الإقليمية المجلس القاري.

الهيكلية النظامية:

أما هيئاتها العالمية فتتكون من:

* المجلس العالمي.
* المؤتمر العالمي.
* الهيئة الإدارية.
* الأمانة العامة المركزية.

وهنا نرى ان الجامعة عبر مؤسساتها من المجلس العالمي حتى الفروع مرورا بالمجالس القارية والوطنية هي الرمز الفعلي للاغتراب ومن أجل حماية هذا الرمز الذي يمثل الجميع، لذلك كنا وما زلنا، نسعى وسنبقى إلى أن تتوحد كل الطاقات لكل الفعاليات الاغترابية لأداء دورها المطلوب".

مطبات وعثرات

اريد ان اقول هنا ان مسيرة هذه المؤسسة حفلت بمطبات وعثرات وتضمن برنامجها العديد من الثغرات وشابت أعمالها في غالب الأحيان تدخلات... وتداخلات وتدخلات... لا علاقة لها بالاغتراب وحمايته وتفعيله من قريب أو بعيد. ولا اريد ان اتوسع أكثر فان العراقيل معروفة.

فالجامعة بعثت فكرة العمل الجماعي في صفوف المغتربين في فترة ما، واستطاعت تحصيل بعض الإمتيازات للجاليات في فترة أخرى وعممت أجواء فولكلورية في أكثر من مرحلة... كذلك كان لعدد من المسؤولين الذين تولوا رئاستها محاولات مشهود لها لبناء الجامعة على أسس تمثيلية وقانونية ومؤسساتية صحيحة إلا أنهم كانوا يصطدمون بعقبات بعضها يتعلق بوضع المغتربين أنفسهم

وبعضها الآخر يتعلق بنظرة الدولة للاغتراب وبعضها الثالث يتعلق بحسابات طائفية وسياسية وحزبية.

كما ويتفق المعنيون بالشأن الوطني الاغترابي على إن إنجاح الجامعة في تحقيق غاياتها وأهدافها جاء نسبيا وفي أحسن الأحوال وشبه معدوم في الكثير من المواقع. وشعر المواطن اللبناني، المقيم والمغترب، بأن الآمال التي علقها على قيام الجامعة لتفعيل الشطر المغترب مع الوطن الأم لم تتحقق.

وان المتتبع لمسيرة الجامعة يجد أن المسؤولين المعنيين بالوضع الاغترابي لم يستطيعوا استيعاب أهمية الإنتشار بالنسبة إلى لبنان ولم يتعاملوا معه من منطلقات عملية مجردة بعيدة عن إشكالات الوضع الداخلي، والدليل على ذلك أنهم لم يحددوا منذ البداية الحدود الواضحة للعلاقة بين الدولة والجمعية وحصروها بالإتفاق على تعيين أمين عام ومكاتب في وزارة الخارجية وتقديم مساعدة مالية، وكان هذا الغموض في العلاقة كفيل بالإنفلات من الضوابط من الطرفين.

إن هذه الجامعة المسجلة في ملفات وزارة الداخلية نشأت كجمعية لبنانية والتي استنادًا إلى نظاميها 1964 و1985 يجب أن يكون مركزها الرئيسي في بيروت وأن تعقد اجتماعها في لبنان باعتبار أن العلم والخبر أعطي لها من وزير الداخلية في لبنان.

محاولات لاخراجها من حالتها

لقد قامت وزارة المغتربين والمديرية العامة للمغتربين انطلاقا من قانونها حق الاشراف على الهيئات الاغترابية بمحاولات رأب الصدع لكن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح..

لقد حاولت المديرية العامة للمغتربين بشخص مديرها العام الصديق الأستاذ هيثم جمعة اخراج الجامعة من واقعها الذي وصلت إليه وانهاء الخلافات التي كانت قائمة قبل إنشاء وزارة المغتربين.. ولقد تم تشكيل لجان عدة في عهدي الرئيسين اميل لحود وميشال سليمان مع التذكير بأن لجنة كان قد شكلها الرئيس سليم الحص عندما تولى رئاسة الحكومة ووزارة الخارجية.. ولكن كل هذه المساعي لم تجد الحلول بسبب تعنت البعض، مما افشل كل الجهود... ولكن الأستاذ جمعة واصل جهود لم شمل الاطراف تحت ظلال الجامعة في بوتقة واحدة لكن ذلك لم يتحقق.

إنجازات الجامعة

قامت الجامعة منذ تأسيسها بانجازات كثيرة جدا على سبيل المثال:

* قدّمت خدمات وإرشادات وتوجيهات واستشارات للمنتشرين في مختلف الحقول، بخاصة للذين يؤمّون لبنان بين الحين والآخر، ممّا أشعرهم بأنهم في وطنهم وبين أهلهم.

* أنشأت المئات من الفروع في مختلف أنحاء العالم، انبثق عنها مجالس قارية وإقليمية ووطنية، وهي دائبة على إنشاء المزيد منها ليغطي نشاطها العالم كلّه.

* أقامت 18 مؤتمرًا عالميا كان اخر هذه المؤتمرات في 10 تشرين الأول 2019.

* أقامت مؤتمرات متخصّصة في الطب والهندسة والمحاماة والبيئة ورجال الأعمال والفكر. منها على سبيل المثال:

* أصدرت كتاب «حكي لبناني» بالحرف اللاتيني مع أسطوانات لتعليم الشباب المتحدّر اللغة العربية المحكية في لبنان.

* أنتجت ثلاثة أفلام وثائقية بعنوان: لبنان الثقافي ـ لبنان الصناعي ـ لبنان السياحي ووزّعته على كل المغتربات.

* أقامت العديد من المؤتمرات للشبيبة المتحدّرة من أصل لبناني وقد انتخبت خلالها ملكة جمال المغتربين. كما أقامت برامج لتبادل الزيارات بين الشباب المتحدّر والمقيم.

* أصدرت دليل المغترب للجالية اللبنانية في الولايات المتحدة الأميركية وقد احتوى على ما يزيد على مئة ألف اسم وعائلة مع العناوين.

* نشرت ملصقات عن المراكز الأثرية والتاريخية في لبنان بلغات بلدان الانتشار، وشرائح مصدّرة عن التراث اللبناني وحقبة التاريخية كافة.

* حضّت المغتربين على المساهمة في إعادة إعمار لبنان ودعم اقتصاده عن طريق إنشاء المشاريع الاقتصادية والتبادل التجاري سعيًا إلى حلِّ الضائقة التي يعاني منها الوطن الأم.

* نظّمت العديد من المعارض لمنتجات لبنانية في الخارج.

* أصدرت مجلة باسم "العالم اللبناني".

* قامت بتوأمة بعض المدن والبلدات اللبنانية، مع بلدان العالم، ممّا حقّق إنجازات مهمة، سواء على صعيد تبادل المنافع والخدمات الإنمائية والعمرانية، أو على صعيد التبادل الثقافي والرياضي والنشاطات الإنسانية والاجتماعية. على سبيل المثال توأمة مدينة النبطية في جنوب لبنان مع ليبرفيل في الغابون.

* أوفدت العديد من الفرق الفلكلورية إلى بلدان الانتشار اللبناني إحياءً للتراث.

* أقامت مؤتمرًا طبيًا متخصّصا بالأوجاع النفسية والعضوية المتأتية من الحروب بالتعاون مع المؤسّسة الشرقية للصداع والأوجاع ومع مؤسّسات لبنانية تُعنى بهذه المسائل من خلال نقابة الأطباء.

* عقدت المؤتمر الوطني الأول لمواجهة الكوارث بالتنسيق والتعاون مع اللجنة الدولية لإدارة الكوارث والذي أقيم في الخامس والسادس من تشرين الثاني/نوفمبر عام 2009 في قاعة عدنان القصَّار للاقتصاد العربي.

* نظّمت ندوات حول مواضيع تعزّز العلاقات بين لبنان المقيم والمنتشر وكرَّمت العديد من المبدعين والشخصيات الثقافية والعلمية والاغترابية. على سبيل المثال قامت الجامعة بتكريم ماريا موراني نائب في البرلمان الكندي ـ السيناتور سامي الزاخم ـ البروفسور فيليب سالم والصحافي طلال سلمان والفنان مرسيل خليفة.

* استحصلت على ترخيص من وزارة الإعلام لاصدارمطبوعة غير سياسة **باسم "صوت الاغتراب - الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم" بقرارمن الوزيرتحت رقم 2012/614 ومازالت مستمرة في الصدور منذ ذلك التاريخ.**

* اهتمت ميدانيا بالجاليات التي تعرَّضت لمشاكل من خلال مبادرات فردية

* كما ساهمت الجامعة باتصالاتها مع المعنيين بالإفراج عن العديد من اللبنانيين الذين خُطِفوا في العالم: إفريقيا، أميركا اللاتينية

* شجعّت عبر أجهزتها في العالم اللبنانيين والمتحدّرين منهم على دعم المؤسّسات التعليمية والصحية والخيرية في لبنان. وكان لسعيها إيجابيات ملموسة على غير صعيد.

* لعبت الجامعة دورًا بارزًا في تنظيم شؤون الجاليات اللبنانية

خلاصة

اخلص لأقول انني عاصرت الجامعة منذ اغترابي إلى الغابون وكنت عضوا في الجالية اللبنانية هناك ثم كرئيس لفرع ساو تومي ـ برنسيب ثم كأمين عام مركزي لها فنائب اول فرئيس لها في السنتين المنصرمتين.

وفي فترتي الرئاسية اكتشفت الكثير الكثير الكثير لامجال لذكره لا سيما على صعيد ملفاتها التي يمكن وصفها بالهامة جدًا لأنها تسجل تاريخ الجامعة لكن للاسف فهذه الملفات أصبحت ليست ملفات بل أوراق مكدسة في فايلات اذا صح التعبير وان ماليتها شبه معدومة.

"لقد سعينا ضمن الامكانات المتاحة من أجل تعزيز دور الجامعة وحمايتها من العواصف العاتية التي كانت تعصف بالوطن بجناحيه المقيم والمغترب. وبصراحة القول، وكوني واحدا منكم، أعلم ما يعانيه رجل الأعمال من الصعاب التي تعتريه للمثابرة والنجاح في عمله الخاص والجهد الذي يبذله للقيام بواجبه تجاه المؤسسات العامة التي نذر نفسه للمساهمة في انمائها، فَعَملْنا جميعا في هذا المجال هو تفانٍ وتضحية ايمانا منا بالواجبات الملقاة على عاتقنا على قاعدة أن المسؤولية التي نتحملها هي تكليف وليس تشريفا".

وإنني اسأل لماذا لم تتابع الجامعة دورها الذي اضطلعت به منذ تأسيسها...

وعلى رغم ذلك فإن قناعتي ما زالت راسخة بضرورة تعزيز وجود الجامعة وجدواها، "فكرة" و"غايات" و"أهدافًا".

نريد أن يكون للاغتراب مؤسسة فاعلة وقوية ومُمثِلة للمغتربين ونريدها أن تتحول إلى برلمان حقيقي، وأن تضم في فروعها ومجالسها الوطنية ومجلسها العالمي النخب اللبنانية الاغترابية ولا سيما الشباب والموزعة على القطاعات.

نريد أن يكون لها نظام عصري ومناسب يضمن استمرارية عملها.

نريدها أن تعمل من أجل مصلحة الجاليات اللبنانية وليس من أجل الوجاهة والمصالح الشخصية.

نريد وقف الإبتزاز الذي يتعرض له المغتربون في الداخل والخارج، كي يتمكن العقلاء والمخلصون، والغيورون على مصلحة ومصير ومستقبل الجاليات، من تحقيق الغاية الشريفة التي من أجلها أنشئت الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، لتكون "مؤسسة مدنية مستقلة، غير سياسية وغير عنصرية وغير دينية وغير

استثمارية، معترف بها كممثل للإنتشار اللبناني في العالم"، تحمل حضارة لبنان ورسالته القِيَمِيّة الراقية إلى المجتمعات العالمية بمجملها.

فلماذا لا نضع جميعا خارطة طريق واضحة غير معقدة، وبسيطة غير مبهمة، وفاعلة ليست منفعلة، بهدوء من دون ضوضاء، وبرؤية واضحة وقدرات معقولة ليتسنى لنا اعادة طموح الأوائل من مؤسسي الجامعة لنعيد لها نكهتها وفحواها ودورها ومرتجاها وليشعر كل مغترب أينما كان أن هذه الجامعة هي مؤسسته وحاضنه ومبتغاه، فلا تنقصنا الإرادة والتصميم ولا الاعداد والتخطيط ولا الجدارة في المعرفة، فنحن بحاجة لتشابك الأيدي والعزيمة على اكمال المشوارسويا، فهذه الجامعة أمانة في أعناقنا جميعا وهي المظلة الواقية للاغتراب، وهي السفينة التي نبحر على متنها ونعبر البحار والمحيطات، وهي البيت الجامع لأولادنا والأحفاد، وهي احدى وسائل العبور إلى الوطن والدولة وكلنا يدرك كم الوطن بحاجة لأبنائه كافة، بل كم نحن اليوم بأمس الحاجة لانقاذ الوطن وتعزيز مؤسسات الدولة".

فيفخر لبنان عندها، بجامعته الثقافية، وتعتز هي بلبنانيتها ورسالتها وانجازاتها.

المراجع:

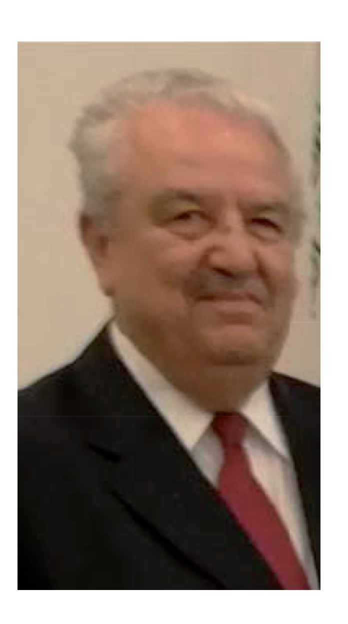
ـ الكتاب الابيض كانون الأول 1994: وزارة المغتربين (الوزير الراحل رضا وحيد).

ـ كتاب جناح وغربة: سعادة الأستاذ هيثم جمعة.

ـ ومعلومات مستقاة من بعض الكتب والمراجع ومؤتمرات الجامعة.

المجلس القاري الإفريقي:

أ. جميل راجح



- مواليد بعقلين ـ الشوف.
- عمل مدرسًا في كلية الشوف الوطنية، ثم عمل موظفًا في شركة طيران الشرق الأوسط.
- غادر إلى ليبيريا في العام 1970 عمل مديرًا لشركة استيراد وتصدير، ثم مالكًا لشركة سيارات تمثل "جنرال موتورز" الاميركية و"اوتواكسبورت" الروسية.
- ناشط اجتماعي.
- أمين عام سابق للجامعة فرع ليبيريا، وعضو حالي في المجلس القاري الإفريقي

يشرّفني ويسعدني أن أتحدث اليكم بإسم المجلس القاري الإفريقي، الذي يمثّل عائلة الاغتراب اللبناني في القارة الإفريقية، وهو الهيئة الناظمة والحاضنة للمجالس الوطنية، الممثلة للجاليات اللبنانية الموجودة / المولودة على امتداد القارة.

ولد هذا المجلس من رحم الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، لتحقيق الغاية النبيلة التي أسست الجامعة من أجل تحقيقها، وفي مقدمتها جمع شمل ورعاية مصالح المغتربين اللبنانيين، والسهرعلى أمنهم وأستقرارهم في البلدان المضيفة، وحثّهم على إحترام القوانين والأنظمة في الدول التي يقيمون فيها، إلى جانب إقامة أمتن العلاقات مع شعوبها، وبالتالي تعزيز وتمتين الروابط والتواصل مع الوطن.

يعتبر المجلس القاري الإفريقي العمود الفقري للجامعة الأم، حتى أنه اليوم المجلس الوحيد الذي يعمل، وينتخب هيئاته الإدارية بإنتظام، ويعقد مؤتمراته كل سنتين. وكل هذا بفضل الذين تعاقبوا على رئاسته مع الهيئة الإدارية التي ساعدته على الاستمرار، نذكر منهم السيد أحمد ناصر، والسيد عباس فواز، والسيد نجيب زهر...

لقد عمل المجلس القاري الحالي ومنذ توليه مهامه برئاسة الحاج عباس فوازعلى تحقيق ما تقدم ذكره، وقام بزيارات متعددة إلى معظم دول القارة الإفريقية، وخصوصًا في غرب إفريقيا حيث يتواجد أكثرية مغتربينا، متفقدًا أحوالهم، مقدمًا الحلول لبعض النزاعات التي كانت قائمة فيما بينهم، وتجديد وتفعيل المجالس المحلية. كما توّج المجلس الحالي نشاطاته بإستضافة مؤتمر الأمن بين لبنان وبعض الدول الإفريقية الذي عقد في بيروت، بمشاركة المديرية العامة للأمن العام على مدى يومين، حيث كان لهذا المؤتمر الأثر البالغ في

التواصل فيما بين الأجهزة الأمنية لهذه الدول والأمن العام اللبناني، وتحقيق الغاية السامية من إنعقاده حيث عزّز العلاقة فينا بين هذه الأجهزة وأهلنا في المغترب الإفريقي. وفي هذا السياق يهمنا التأكيد على استمرارية التواصل مع الأجهزة كما نتمنى على الدولة اللبنانية ومن على هذا المنبر أن تعطي الأهمية اللازمة والأكيدة للتقارب والتواصل مع حكومات بلدان الاغتراب، وتقوية وتنمية العلاقات معها، وعلى أعلى المستويات، وتبادل الزيارات فيما بين المسؤولين اللبنانيين وزملائهم في هذه الدول، وخصوصًا الإفريقية منها. وهنا لابد من التمني على دولتنا الكريمة تفعيل دور البعثات الدبلوماسية إن على صعيد السفراء أم الإداريين، حيث أن هذه القارة التي تستضيف عشرات الآلاف من اللبنانيين تستحق الإهتمام والإلتفات إلى مصالح هؤلاء الذين يرفدون الوطن بما يتيسر من مردود أتعابهم وأعمالهم، مما ينعكس بشكل فعّال ومثمرفي دعم الاقتصاد اللبناني، وكذلك تنمية استثماراتهم في شتى الميادين التجارية والصناعية والزراعية، وإيجاد فرص عمل للكثيرين من شبابنا له أثره البالغ في دفع عجلة الإنماء والتطور في لبنان نحو الأفضل.

إن باريس ولندن وواشنطن وموسكووغيرها... تحظى بأفضل السفراء، فلماذا نبخل على أبيدجان، ولاغوس، ومروبيا، وأكرا وداكار بأمثالهم، لذا نعود ونكررمطالبتنا للسادة المسؤولين في وطننا المفدّى تبادل الزيارات مع نظرائهم في دول الاغتراب وتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية، وإقامة المؤتمرات على شتى الصعد.

المغتربون اللبنانيون لم يقصروا أبدًا في أداء دورهم الريادي لجهة تفعيل وتنشيط مهام الدبلوماسية اللبنانية في أكثر العواصم الإفريقية، حيث أخذوا على عاتقهم بناء عدة سفارات لبنانية وتأثيثها، وتأمين كل مستلزماتها تعبيرًا عن محبتهم لوطنهم، ولكي يعززوا وجه لبنان الحضاري والمشرق. ولم يبخلوا في تقوية أواصر الصداقة مع شعوب البلدان الإفريقية، حيث بنوا المدارس ووهبوها للمجتمعات المحليّة، إلى الكثير من التقديمات العينية والمنح المدرسية وخلافه. فما على دولتنا سوى أن تعمل المطلوب منها، لاستكمال العمل النبيل الذي تقوم به جالياتنا في دول الاغتراب.

في العاشر من الشهر الحالي (تشرين الأول 2019) إنعقد المؤتمر العالمي الثامن عشر للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، وتمّ بالتزكية إختيار الحاج عباس عبد

اللطيف فواز لرئاسة الجامعة، كذلك أعضاء الهيئة الإدارية للمجلس العالمي. إننا إذ نهنيء الجامعة والاغتراب اللبناني في القارات الخمس على حسن الإختيار للسيد فواز لما يتمتع به من ديناميكية وخبرة وذكاء وخصال حميدة وإلمام بشؤون وشجون الاغتراب، نتمنى له النجاح في هذه المهمة الشاقة، وهو أهل لها. كما نأمل تعاون جميع الجهات الاغترابية والمحلية معه على إنجاح يصبو إليه خصوصًا أنه تبنى برنامجًا طموحًا للإرتقاء بالجامعة إلى المستوى اللائق في لبنان والخارج. ونشكربعض وسائل الإعلام التي واكبت الحدث وأعلنت عنه، كما نسجّل عتبنا الصارخ، وأملنا الممزوج بالخيبة والدهشة والاستنكار للمؤسسات الإعلامية الأخرى بكافة فئاتها على تقصيرها الفادح في تغطية أعمال ونتائج هذا المؤتمر.

وهكذا يعزّ على الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم التي تمثل الملايين من اللبنانيين في دنيا الاغتراب والذين هم عصب الاقتصاد اللبناني أن تحجب أكثرية وسائل الإعلام عن تغطية نشاطاتها.

هذا الحدث العالمي الهام. إنه إنه لمن المخجل لا بل من المعيب أن بعض الإعلام لم يعد يتحرك أو يتكلم الا ببدل. ناكرين على المغتربين حقهم المشروع في ذلك، ومتناسين دور الاغتراب والمؤسسات الاغترابية في رفد هذه المراكز الإعلامية بشتى أنواع الإعلانات والتقديمات والمقابلات والدعم... إننا نذكّر لعل هناك من يستيقظ ويتعّظ.

أشكركم جزيل الشكر على اتاحة هذه الفرصة لي لأتكلم من على هذا المنبرالأغر، كما أشكر زملائي في المجلس القاري على ثقتهم.

عشتم، عاشت الجامعة الثقافية اللبنانية في العالم، عاش المجلس القاري الإفريقي وعاش لبنان.

دولة التوغو، المواطنة والعيش المشترك:

رئيس الجالية اللبنانية في دولة التوغو:

أ. ربيع نصار



- مواليد أبيدجان، عاصمة الكوت ديفوار 1979
- هاجر إلى افرسقيا عام 1999 وأسس في لومي عاصمة التوغو مؤسسة رابس (Rabs) التجارية، وعمل في ميدان السياحة حيث أسس اوتيل الغولف (Hotel du Golfe)، ويعمل الآن في ميدان البناء.
- بنى علاقات جيدة مع المهاجرين اللبنانيين في التوغو من الطائفتين الاسلامية والمسيحية.
- يشغل حاليًا منصب رئيس الجالية اللبنانية في دولة التوغو مرسخًا المواطنة الصحيحة وروح التعاون والمحبة بين أفراد الجالية والسلطات المحلية التوغولية.

بسم الله، بسم الوطن المقيم والوطن المهاجر،

رئيس المجلس القاري الإفريقي الأخ الحاج عباس فواز والذي نُبارك له من كلّ قلوبنا ونهنّئه على نجاحه بالتّزكية رئيسًا للجامعة اللبنانية الثّقافيّة في العالم وهو الأجدر وبعون الله سيكون الأنجح في تطوير الجامعة نحو تشبيك الإنتشار اللبناني في العالم في قلب هذه الجامعة اللبنانية، الإخوة الزملاء أعضاء المجلس، رئيس هيئة تكريم العطاء المميز الدكتور كاظم نور الدين والإخوة أعضاء الهيئة، رئيس الجلسة الدكتور وسام غيّاض

أيّها السادة المؤتمرون والإخوة الحضور، أسعد الله مساءكم والسلام عليكم ورحمة الله

بادئ ذي بدء لا بد أن أشكر جميع الإخوة والأصدقاء والأساتذة والباحثين والمشاركين منذ صباح البارحة حتى مساء هذا اليوم، أولاً على دعوتي للمشاركة في هذا المؤتمر البحثي والنوعي والنموذجي والراقي للاغتراب اللبناني على مساحة العالم بأسره، وثانيًا لكي ألقي الضوء على ثروة وطنية راسخة اكتسبناها في بيئتنا وبيوتنا منذ نعومة أظافرنا هي حب الوطن والأرض والذود عنهما والتمسك بهما والتضحية من أجل بقائه بلدًا حرًا سيّدًا مستقلاً، ولكننا ما نراه اليوم ومنذ عدة عقود بدأ يذوي أمام أعيننا وينحدر ويعاني على جميع الصّعد وبشتّى المقاييس، والحمد لله أنّنا في بلاد الاغتراب قد تجاوزنا ومنذ زمن مرض الطّاعون الذي أصاب بلدنا الحبيب لبنان، ألا وهي الطائفية والإنقسام المذهبي والمناطقي والمحاصصة والمحسوبيات ومراكز النفوذ الموزعة هنا وهناك على مساحة الوطن. نعم لقد تجاوزناها ويكفينا أنّنا ندفع وأهلنا في لبنان ضريبة هذا التفسخ الطائفي المستشر جيدًا عند أصحاب النّفوذ، والذي أدى بسياسته وسلوكه إلى تدمير طاقة بلادنا الاقتصادية وتلوث بيئتنا الاجتماعية والصحية والتربوية. فنحن مواطنون

لبنانيون من شماله إلى جنوبه ومن بحره إلى بقاعه وبغض النّظر عما يسجل على بطاقة الهوية (المنطقة والمذهب)، فالدين لله والوطن للجميع، وبيوت الله العامرة من مساجد وكنائس فلتبق لممارسة الطقوس كلّ على طريقته ومعتقده. ونتوحد جميعا بمختلف طوائفنا ومناطقنا، نتوحد في التاريخ والجغرافيا والإنتماء والتربية واللغة والمصير المشترك، تحت راية العلم اللبناني مكلّلا بأرزته الخالدة، كان لا بدّ لي من هذه اللفتة السريعة لكي أدخل إلى موضوع المواطنة والعيش المشترك للجالية اللبنانية في جمهورية التوغو. مع أني أصر على توصيف العلاقات والتفاعل فيما بيننا بالمواطنة وليس العيش المشترك أو التعايش لأنها من مفردات الحرب الأهلية المقيتة.

أيّها الإخوة المؤتمرون:

إنّ دولة التوغو يحدّها من الشرق دولة بنين وعاصمتها كوتونو، ومن الغرب دولة غانا وعاصمتها أكرا، ومن الشمال دولة بوركينا فاسو وعاصمتها واغادوغو، ومن الجنوب المحيط الأطلسي. تبلغ مساحتها 56785 كلم2 ويبلغ عدد سكانها 7,900,000 نسمة. ويعتمد اقتصادها بشكلٍ كبير على تجارة الترانزيت لما لشاطئها العمق البحري ومساحة المرفأ وعلى إنتاجٍ الفوسفات والزّراعة.

وكانت تسمّى بسويسرا إفريقيا (Petit Suisse) حتى اندلاع الأزمة السياسية عام 1994.

إنّ أول لبناني حطّ رحاله في التوغو من عائلة نصر عام 1883، ولا زال أحفاده في التوغو حتى اليوم كان عدد اللبنانيين قبل اندلاع الحرب الأهلية في لبنان لا يتجاوز 250 شخصًا غالبيّتهم من شمال لبنان، وبعد اندلاع الحرب ارتفع العدد إلى أن وصل إلى 2500 شخص، معظمهم من قرى عين طورا المتن ومزيارة في الشّمال وبلداتٍ من الجنوب والبقاع، وقد مارسوا تجارة السيارات الرائجة في تلك الحقبة وفي عام 2000 وبسبب المشاكل في دولة الكوت ديفوار إنتقل بعض رجال الأعمال منها إلى لومي عاصمة التوغو وبنوا فيها المصانع والمعامل التي بلغت بحدود 22 مصنعًا ومعملاً. تستوعب المؤسسات التجارية والصّناعيّة اللبنانية حوالي 30 ألف عائلة توغورية بشكلٍ مباشر وحوالي 90 ألف مواطن توغوري بشكل غير مباشر (أيدي عاملة ومهن حرّة) وتشكّل حركة الإنتاج للوجود اللبناني في التوغو حوالي 30٪ من النّاتج المحلي لاقتصاد التوغو.

عدد اللبنانيين المقيمين حاليا في دولة التوغو حوالي 1700 شخصًا، ويشكلون حقًا العائلة اللبنانية الواحدة المتراصّة والمتضامنة والمتحابّة وذلك بفضل رعاية ومتابعة رئاسة الجالية ومكتبها في العاصمة لومي، ورعاية ومتابعة سعادة القنصل اللبناني الصّديق الأستاذ نديم باسيل، وسعادة قنصل التوغو الفخري في لبنان الصديق السيد إيلي العمار، الذين كان لهم الدور المميّز والمتابعة الدائمة في تنسيق العلاقات اللبنانية اللبنانية واللبنانية التوغورية، وهنا يكمن بيت القصيد.

للاغتراب اللبناني مآثر كثيرة، كبيرة ومهمّة على شتّى الصعد والميادين في الدّاخل والخارج، أمّا المأثرة الخلاّقة والتي سألقي عليها الضوء الآن، هي المواطنة الصحيحة والعلاقات الإنسانية والحميدة بين أفراد الجالية هناك، فمن المزايا التي يتّصفون بها المحبّة أوّلاً والإحترام فيما بينهم ثانيًا، والقيام بالمواجبات المتبادلة في الطّقوس والأعياد الدّينيّة والوطنيّة، حيث ينعمون بروح التعاون والسّعي الدائم نحو الأفضل، يزرعون الأثر الطيب بالسّلوك والممارسة، والذي يترك صدًى إيجابيًا لدى المؤسسات الرّسميّة والسّلطات المحليّة وبين أوساط الشّعب التوغوري، فلا نزاع هنا، ولا فوضى هناك، ولا ممارسات شاذة هنالك، والجميع تحت سلطة القانون وكل في عمله وآدائه وإنتاجيّته، فالقانون ملح الأرض، إسمحوا لي أن أعيد هذه المقولة على مسامع الجميع، وخاصّة من هم في سلطة القرار في دولتنا العزيزة: القانون ملح الأرض، وهنا لا بدّ من التّنويه والإشادة بدور الكنيسة اللبنانية في العاصمة لومي: Notre dame du Liban بإحيائها للمناسبات الدينية والاعياد وأسابيع الترفيه في ساحة الكنيسة والعشاء الريفي وأجواء التسلية المجبولة بالفرح والسّعادة، أمّا نشاطات الجالية عبر مركزها ومكتبها في العاصمة والذي أطلق عليه "البيت اللبناني" من الكرمس السّنوي للاطفال إلى إحياء المناسبات الوطنيّة كعيد الإستقلال وعيد الجيش وغيره، إلى معارض الرسم وحفلات الإستقبال، حيث يتّسم هذا البيت الجامع كأنّه خليّة نحل.

والحدث الأبرز الذي نجح فيه مكتب الجالية هنا هو تعليم لغتنا الأم اللغة العربية. حيث تطوّع من إخواننا وأخواتنا في الجالية بتعليم اللغة العربية للتّلاميذ اللبنانيّين وذلك أيّام العطل المدرسيّة وبعد الدّوام الرسمي لمدارسهم من أجل تنمية العلاقة مع الوطن الأم عبر اللغة الأم، والمفارقة الملفتة هناك أنّك لست بحاجةٍ لتسأل جارك أو زميلك من أيّ منطقةٍ هو ومن أيّ مذهب، فالإنصهار

الوطني والعلاقات الإنسانيّة الرّاقية قد أذابا الفوارق المصطنعة بين أبناء البلد الواحد.

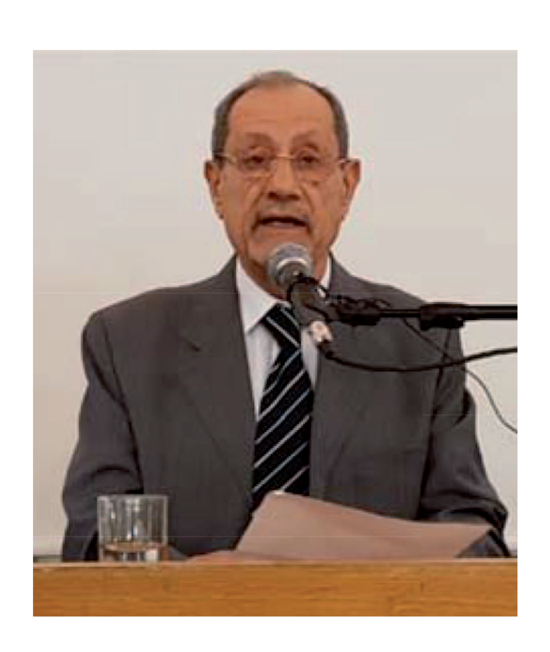
لذلك أيّها الإخوة والأصدقاء نحن هنا في وطننا لبنان بتنا بأمسّ الحاجة للعودة إلى الأصالة، إلى المحبّة والصّدق فيما بيننا، إلى عودة القيم الإنسانيّة والاجتماعيّة السّلوكيّة في حياضنا ومدارسنا وجامعاتنا ومجتمعنا ومؤسّساتنا، فعبرها يعود انتماؤنا إلى الوطن الواحد لبنان، لبنان العدالة الاجتماعيّة وسيادة القانون فوق رؤوس الجميع، ونبذ الطّائفيّة والمذهبيّة والمناطقيّة ونبذ المحسوبيّات والزّبائنيّة، لأنّ الله قد وهبنا جنّته على الأرض، فلا تحوّلوها إلى مزبلةٍ للتّاريخ.

والسّلام عليكم

المجالس الوطنية

الراعية لشؤون اللبنانيين في دول إفريقية:

الأستاذ إبراهيم فقيه



عندما تأسست الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، سعى المؤسسون لتنظيم مؤسساتها بشكل يتلاءم مع إنتشار المغتربين عبر القارات، وفي كافة الدول المضيفة، ليأتي تمثيلهم بشكلٍ يتكامل مع حجم وجودهم، حيث يتم التمثيل بشكل هرمي من القاعدة وصولاً إلى رأس الهرم، ثم يتم التواصل وأخذ القرارات من الرأس حتى القاعدة.

تقدم طلبات الإنتساب من الجالية الموجودة في أي دولة للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، حيث يتأسس فرعًا بعد ان يصبح عدد الأعضاء المنتسبين 25 عضوًا وما فوق.

هؤلاء الأعضاء ينتخبون هيئة ادارية للفرع، وكل ثلاثة فروع تنتخب هيئة ادارية لمجلس وطني.

تتألف الهيئة الإدارية للمجلس الوطني من رئيس ونواب رئيس وامين سر وامين صندوق ورؤوساء لجان ثقافية إعلامية اجتماعية...

مثلاً عندما نقول المجلس الوطني الليبيري يعني المجلس الوطني المنتخب من الفروع الموجودة في عدة مدن في ليبيريا. وهذا المجلس هو المسؤول عن تنظيم شؤون الفروع المنشأة في ليبيريا، والمنتخبة من قبل الأعضاء المنتسبين إلى الجالية اللبنانية قي هذا البلد. وهذا المجلس يمثل الجالية اللبنانية في ليبيريا ويرعى شؤونها، ويدافع عن مصالحها، ويساهم في حل مشاكلها. كما أنه يرعى العلاقة بين الدولة اللبنانية والدولة الليبيرية.

اما الدور الآخر للمجلس الوطني فهو يتمثل بموقعه في المجلس القاري الذي ينتمي إليه في ليبيريا، أو ساحل العاج أو الغابون أو بنين وتوغو.

واستمرارًا لهذا الدور يتمثل في المجلس العالمي للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، سواء في اعداد الخطط والتنفيذ، أو تصحيح وتقويم العمل في الهيئة.

النظام الداخلي للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم لا يلزم المجلس الوطني في أي دولة بعدد محدّد من الأعضاء، فقط يحدد العدد لأعضاء المجلس الوطني الممثلين للفروع الثلاثة ب75 عضوًا كحد ادنى، ويمكن أن يكون عدد أعضاء كل فرع 200 عضوًا أو أكثر وقد يصل إلى الآلاف.

كل عضو يدفع رسم أشتراك ورسم انتساب سنوي لدعم مالية المجلس. وعلى كل مجلس أن يساهم في مالية المجلس القاري الإفريقي، والمجلس العالمي (الجامعة اللبنانية الثقافية)، عبر الأمانة العامة المركزية للجامعة، التي تعتبر صلة الوصل بين رئاسة الجامعة، والمجالس الوطنية والفروع.

اما النظام الداخلي لأي مجلس وطني، فهو ضمن النظام الداخلي والنظام الأساسي للجامعة وللمجلس القاري الإفريقي. ويمكن أن يتماشى مع نظام البلد المضيف وهذا أساسي احترامًا لانظمة الدول المستقبلة.

في القارة الإفريقية يوجد أكثر من عشرين مجلسًا وطنيًا تمثل عشرات الفروع في حوالي 20 دولة إفريقية، كما يوجد في الدول الباقية فروع لم تشكل مجالس وطنية، وهنا يعتبر الفرع وهيئته الإدارية هو الممثل للجالية اللبنانية في هذه الدول.. المجلس القاري يمثل القارة بأكملها.

هناك مجالس وطنية تعود إلى أكثر من اربعين سنة، وهناك مجالس انشئت حديثًا.

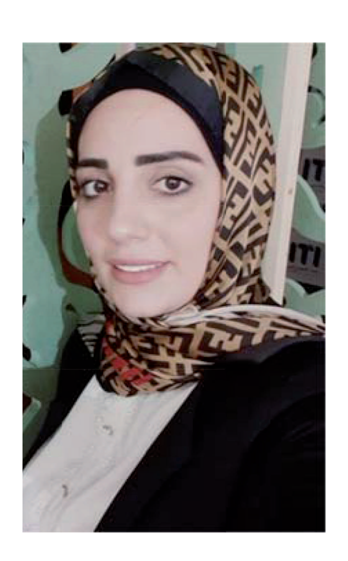
عدد أعضاء المجلس الوطني يبلغ 15 عضوًا، من الذكور والاناث يحددون بالانتخاب، ويرسخون خطة العمل والنشاطات الثقافية والاجتماعية وأحيانًا الرياضية والفنية والتنموية وتوطيد العلاقة مع الشعوب المضيفة.

قام رؤوساء وأعضاء المجالس الوطنية في إفريقيا والمجلس القاري الإفريقي بدور هام ساهم بتوطيد العلاقة بين لبنان وبين الدول الإفريقية، ولطالما دعمت لبنان في المحافل الدولية.

الأوطان بين الغربة والاغتراب:

رئيسة جمعية روح العمل الاجتماعيّة:

أ. غدير حوماني



- طالبة ماستر في إدارة الموارد البشرية.
- مدربة معتمدة لبرنامج أفلاطون على التوازن المالي والاجتماعي في شمال إفريقيا والشرق الأوسط.
- رئيسة جمعية روح العمل الاجتماعية.
- مدربة معتمدة عن التمكين الاقتصادي للمرأة والمهارات الحياتية في مؤسسة عامل الدوليّة، عضو هيئة ادارية في هيئة تكريم العطاء المميز، ناشطة اجتماعية وتربوية..

"الغريب الحق هو ليس الذي نأى عن وطن بني من ماء وطين وفقد أهله وأحباءه، إنما الغريب هو ذلك الإنسان الذي يعيش في وطنه غريبا".

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾.

إن الاغتراب في الأوطان يولّد أشد أنواع المشاعر الإنسانية وأكثرها ألمًا لأنها تنتج عن الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية المحيطة بالبشر، وتسبب لهم انهيار في منظومة العلاقات الاجتماعية واختلال في العلاقة مع الذات، مما يؤدي إلى نشوء فجوة بين الفرد وذاته، وبينه وبين الأفراد الآخرين والمجتمع. إنه الانفصام عن الذات البشرية والاستياء والتذمر، وكذلك العزلة والعداء. وهي حالة غير الغربة التي تكون قرينة سفر المرء أو هجرته من بلده إلى بلد آخر كخيار فردي ولأسباب شخصية اقتصادية كانت أو للتحصيل العلمي، للعمل أو لاكتساب العلوم والمعارف. وربما تكون الغربة عبر السفر أو الهجرة خلاصًا فرديًا من الضغوط المتولدة عن الظروف والصراعات السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية في بلداننا، إلا أنها تبقى شأنًا وقرارًا وخيارًا فرديًا يقدم عليه الفرد طواعية، وهي حالة غير الاغتراب التي نتحدث عنه هنا، بالرغم من تشابك الحالتين في بعض المسببات بخلفية المشهد العام لبلداننا العربية التي بسبب واقعها المقيت دفعت بهجرة حوالي 35 مليون مواطن عربي يمثلون حوالي 8 في المئة من سكان الوطن العربي. الكثير منهم أصحاب كفاءات علمية وتخصصات استراتيجية تسببت بخسارة للعرب تقدر بحوالي 200 مليار دولار وفق التقارير الصادرة عن الجامعة العربية.

إن جاز لنا أن نسأل عن الأسباب التي تجعل المواطن يشعر بالاغتراب في وطنه وبين أهله ووسط مجتمعه، فإن تعددت المسببات وتشابكت إلا أنها تتجلى بصورة

واضحة في الحالة التي يعيشها الإنسان بشكل يومي، فكيف لا ينتاب المواطن العربي الشعور بالاغتراب في وطنه وهو لا يكاد يجد قوت يومه، ويعاني الأمرين لأجل تعليم أبنائه، يكابد ضنك الحياة وارتفاع متزايد في تكاليف المعيشة الأساسية، يجد نفسه مطحونًا وسط حلقة مغلقة من التجاذبات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. يعيش في مجتمع يعاني من نكوص فاضح في الخدمات العامة، وشيوع الفساد الإداري والرشوة والمحسوبية، استفحال ظاهرة البيروقراطية الإدارية والروتين في كافة مفاصل الدولة والمجتمع.

كذلك تفشي الإرهاب الفكري والسياسي والديني، في مناخات لم يعد كافيًا رفض الآخر وعدم الاستماع له، بل أصبح البعض يتبنى ثقافة الإقصاء والاستئصال وإلغاء الآخر كليًا وفعليًا. انتشار الصراعات الداخلية والمذهبية والعرقية والطائفية، وعلو قيم القبيلة والملل فوق قيم المواطنة والقانون، معاناة تسببها ثقافة الجهل والتعصب والتشدد في مجتمع لا يقيم للإنسانية اية أهمية، لا للمرأة ولا للطفل ولا للعجوز، لا إمكانية لرعاية المبدعين، ولا وجود لمراكز أبحاث حقيقية، ولا يصرف على البحث العلمي، مجتمع فاقد لكافة المعايير المرتبطة ببناء الدول، حيث يتم وضع خريجي كلية الشريعة في مراكز الطب البيطري.

إذن هي عديدة وشائكة عوامل الاغتراب ومسبباته، ومادامت مبرراته في الوطن العربي قائمة، فإن حالة التيه والضياع لدى الإنسان العربي سوف تتفاقم في ضوء مجمل الأوضاع الراهنة في المنطقة العربية، وفي مقدمتها القمع والاستبداد السلطوي، القهر والكبت والإرهاب الديني والفكري والسياسي، استمرار حملات تكميم أفواه المعارضين وزجهم في السجون، غياب الحريات العامة، انعدام الحقوق المدنية والسياسية والثقافية، هزالة نظام الرعاية الصحية والاجتماعية، فشل المنظومة التعليمية كادراً ومناهجًا ومؤسسات، الصراعات العرقية والمذهبية والطائفية، ازدياد طوابير العاطلين عن العمل، ارتفاع في مستويات نسب الفقر، سحق الطبقة المتوسطة، تفشي أجواء ومناخات الإحباط وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي، عدم وجود مناخ علمي ولا حريات أكاديمية.

فالواقع العربي الراهن أنتجته الأنماط السياسية القائمة ـ في معظمها ـ على القهر وقمع الحريات العامة، هذا الواقع أوجد دولاً كسيحة تعاني من أزمات بنيوية منهاجية لا تعد ولا تحصى، من استمرار ارتفاع مستويات الفقر والبطالة والأمية

وتفشي الجهل، إلى غياب الرعاية الصحية والاجتماعية للمواطنين الذين يعانون من التهميش، في دول تسيطر عليها أنظمة بوليسية استبدادية لا تقيم للإنسان وحقوقه أي اعتبار. هذه الظروف تحفر بعمق وتخلف ندوبًا في حياة المواطن العربي المعاصر الذي يقف عاجزًا مسلوب الإرادة في مواجهة واقعه ومصيره، ليعاني بالتالي من حالة اغتراب سياسي واجتماعي وروحي وفكري، تدفعه للتساؤل عن مدى أهمية وجوده ودوره وفاعليته، ليدخل في دائرة مغلقة من القنوط والانكسار لا فرصه له بالخروج منها.

قيام معظم الأنظمة العربية بتهميش المواطنين جعل الشعوب تضيق ذرعًا وتتوقف أمام مكانتها وقيمتها ودورها في المجتمع، وتدفع الناس للتساؤل عن هويتهم، من نحن؟ ومن الآخر؟ وفي أي دول نعيش؟ وإلى أين تقودنا هذه الأنظمة المتهالكة؟

وبالرغم من عمق أزمته الإنسانية الكبيرة فإن المواطن العربي لم يفقد ثقته بالمستقبل تمامًا، وهو يرفض قطعيًا بقاء الأنظمة الفاسدة والمفسدة، ويرفض استمرارها في تدبير شؤونه، ونلمس إصرارًا من قبل الشعوب العربية على محاولة استعادة دورهم ومكانتهم في مجتمعاتهم، وعلى إعادة تعريف هويتهم بما تعنيه من إحساس وجداني عميق، يحدد وجودهم وانتماءهم ويمنحهم الأمل، ويساعدهم على تحديد أهدافهم وتحقيقها.

في التراجيديا العربية يبدو المشهد مربكا وشائكًا، حيث تتفكك فيها الذات الشخصية للمواطن العربي وتغترب عن نفسها وعن محيطها، بسبب الحالة العربية في معظم الدول، حيث التراجع الكبير في البنى التحتية الاقتصادية والاجتماعية والصناعية والخدمية، وانعدام المستويات الإنسانية لمعيشة لائقة للبشر. يغترب الإنسان العربي لاستبداد السلطة السياسية، وتغول الأجهزة الأمنية وتطاولها على المواطنين، ضعف المؤسسات التشريعية والحقوقية، انتشار النعرات الطائفية والمذهبية والصراعات الأهلية الداخلية، وتحلل النسيج الاجتماعي.

إن كان الاغتراب الطوعي للكفاءات العلمية والمهنية العربية يتسبب بخسائر اقتصادية ومالية، ويؤثر سلبًا على العملية الإنتاجية برمتها، وعلى الدخل القومي، ويعيق تحقيق الخطط التنموية، فإن الاغتراب القسري للمبدعين والمثقفين والمفكرين يؤدي إلى إحداث فراغ نتيجة ضعف قابلية تشكل بدائل عنهم في

الأوطان التي غادروها بسبب القمع والقهر، وهو ما سوف يؤدي إلى مزيد من التفرد والهيمنة والاستبداد الذي تمارسه السلطات السياسية في معظم الأنظمة العربية على شعوبها، ومحاولة حجبها عن اية محاولات ريادية إصلاحية تسعى للتغيير، مما يجعل هذه الشعوب فريسة للأفكار المتطرفة وللتشدد الديني والسياسي والمذهبي والعرقي.

الصدع الكبير الذي يصيب أوطاننا العربية هو الاغتراب داخلها وفيها ويؤدي إلى تفسخ الرابطة بين الفرد والمجتمع، والصدع الأكبر هو نزيف الأدمغة العربية المستمر نحو الغرب. وهنا لا نعني بهجرة العقول والمثقفين من الوطن العربي فقط حملة الشهادات الجامعية العليا من الدكتوراه والماجستير، بل نعني جميع الكفاءات والخبرات في مختلف الميادين الإنسانية والعلمية في الطب والهندسة والاقتصاد والإعلام والفنون.

إذ يشير التقرير الإقليمي الثالث للهجرة الدولية والعربية الصادر عن جامعة الدول العربية لعام 2014 إلى أن ما يقارب من نصف الأطباء و23 بالمئة من المهندسين، و15 بالمئة من العلماء العرب هاجروا إلى دول أوروبية وإلى الولايات المتحدة وكندا.

هذا النزوح المستمر للعلماء والخبرات من المنطقة العربية سوف يوسع الهوة الحضارية والعلمية بين العرب والدول الغربية أكثر فأكثر. ويؤدي إلى تراجع مستويات التنمية في المنطقة العربية، واستمرار استيراد الخبرات الأجنبية إلى بلداننا لسد النقص الحاصل، والتكلفة الاقتصادية المالية المرتفعة التي نسددها لهم. كما أن هجرة العقول العربية سوف تتسبب كذلك في انخفاض مستويات التعليم الجامعي نتيجة النقص في المؤهلات الأكاديمية والبحثية، وتؤثر في قدرة العرب على الربط بين المستويات التعليمية والحالة الثقافية من جهة وبين متطلبات خطط التنمية من جهة أخرى.

لكن الغربة ليست كما يتصورها الكثيرون. هي تجربة تشوبها الكثير من المصاعب. وصورة الحياة المثالية التي نتخيلها هي ليست الحقيقة الوحيدة، بل هي واجهة تخفي ما خلفها من تحديات وأرق وعوائق..

هاجر رامي إلى أميركا منذ سبعينات القرن الماضي، حين اندلعت الحرب الأهلية، هاربًا من المجازر والقتل والعنف المتفشي. ذهب وبدأ حياة جديدة

مستقرة. لكن تجربة رامي لم تكن مجرد انتقال إلى بلد جديد وكأن النجاح بانتظاره. فسيرته الاغترابية حملت في طياتها رحلة من الشقاء والمعاناة. تخللتها مفترقات طرق صعبة، أولها الاندماج الاجتماعي والثقافي. إذ منذ لحظة وصوله إلى "وطنه الجديد" كان عليه إما الاندماج أو الحفاظ على الجذور. لا ينحصر الاندماج هنا بالعادات والتقاليد، بل يتعداه إلى الأعراف والديانة وثقافة الشعوب والتاريخ والذاكرة الجماعية.

على امتداد حياته توصل رامي إلى صيغة "توافقية" بين هويته الأصلية وهويته الجديدة، بأقل قدر من التناقض.

لم تكن هذه حال حسن في أميركا: "اصطدمت بتفاصيل لم تكن في الحسبان. كان عليّ تقبّل مواقف هي باعتقادي مخالفة لديني. هذا الأمر دفعني إلى المزيد من تعلقي بإسلامي، متمسكًا بكل ما ذكره القرآن. هذه التفاصيل والمعتقدات جعلتني رافضًا لمحيطي. وكنت دائمًا أبحث عن من هم من ديني، ومن هم على نهجه".

تختلف سيرة سعيد الذي ذهب إلى فرنسا للدراسة وسعيًا للبقاء والعيش هناك: "كنت قد مللت من بلدي ومن عقليته المتحجرة. وأردت التحرر من جميع قيودي. ومنذ وصولي رحت أختبر كل ما كان ممنوعًا في بلادي، وكل ما كنت أجهله. كان لدي شغف كبير لخوض جميع التجارب. لم يكن عندي حدود لأي شيء حتى أن البعض اعتقد أنني فقدت السيطرة على نفسي، لكن بالنسبة لي كنت كشخص قد خرج من المستنقع... لا أنكر أن لبنان لا يزال بلدًا جميلاً. لكنه بلد للسياحة وحسب. فأنا لم يعد باستطاعتي العودة إليه".

كمصطلح فلسفي فإن أول من تحدث عن الاغتراب هو الفيلسوف الألماني "جورج فريدرش هيغل" الذي اعتبر أن الاغتراب هو قيام الإنسان بنفي نفسه كفرد فاعل في المجتمع، فيتحول هو ذاته إلى موضوع، فيصاب بالاغتراب ثم ينعزل عن ذاته ثم عن محيطه. ولا تنتهي هذه الحالة إلا حين يلمس الإنسان أن ذاته الشخصية كفرد في المجتمع وموضوعه وأهدافه وأحلامه يتطابقان، وهذا الأمر يتحقق من خلال قيام الفرد في إنشاء هوية خاصة به. وأوضح هيغل أن للاغتراب طريقين أحدهما يؤدي إلى العزلة والانكفاء، والآخر يوصل إلى الإبداع والابتكار. فيما اعتبر "كارل ماركس" الذي حوّل مفهوم الاغتراب من ظاهرة فلسفية إلى فعل تاريخي، أن الوجه الأخر للاغتراب يؤدي إلى صراع طبقي ثم ثورة وتغيير. ويظن

بعض الفلاسفة ومنهم "لودفيغ فورباخ" أن الدين هو الذي يسبب الاغتراب للبشر، على اعتبار أن الأديان هي حلم بالنسبة للأفكار الإنسانية ولابد من تحققها في الواقع. بينما رأى الفيلسوف وعالم النفس الألماني "إريك فروم" صاحب كتاب "الهروب من الحرية" أن غربة الإنسان عن نفسه نتيجة النزعة الاستهلاكية التي تفرضها المجتمعات الصناعية المتطورة التي قفزت فيها الحداثة حيث أصبح الإنسان عبدًا لما ينتجه، بدلاً أن يكون المنتج في خدمة الإنسان، وهو ما أدى إلى أن يصبح الإنسان أكثر شكًا وقلقًا وعزلة وخوفًا في مجتمع لم يعد مهتمًا لبناء علاقات إنسانية طبيعية وسليمة بين أفراده.

إن الأمم التي تحترم وترعى علمائها ومفكريها وخبراتها الوطنية تكون قوية بهم، ولأننا لا نقدر ولا نكرم المثقفين والعلماء فإننا لسنا أقوياء علميًا ولا اقتصاديًا ولا حضاريًا. وما دامت الأسباب التي تقف خلف هجرة الناس وخاصة العقول والكفاءات العلمية من بلداننا، وفي مقدمتها الفساد السياسي، وعدم تقدير الكفاءات العلمية، ومحدودية العائد المالي لأصحاب التخصصات، وهزالة الإنفاق على البحث العلمي، وسياسة وضع العلماء في وظائف لا تتلاءم مع تخصصاتهم، فإن هذا النزيف سوف يتواصل، وما لم يتم وضع استراتيجية عربية واضحة ومحددة لمعالجة هذا الاستنزاف لأهم ثروات الأمة، فإن الأدمغة العربية العلمية سوف تجد نفسها مكرهة للهجرة بحثًا عن بيئة أرقى وأكثر حرية واستقرارًا، وأجدى ماليًا وأكاديميًا، دون أن تتكلف عناء النظر للخلف حيث تقبع الخطط التنموية المتعثرة، ويقف التاريخ هرمًا عند أمجاد لا يمكن استعادتها.

مؤتمرات المغتربين: بين الواقع والطموحات:

أ. حسين قديح



- معاون أول في المديرية العامة لأمن الدولة
- حائز من الجامعة اللبنانية ـ معهد العلوم الاجتماعية ـ الفرع الخامس ـ صيدا، على الشهادات التالية:
  * شهادة الإجازة التعليمية في العلوم الاجتماعية عام 2010.
  * شهادة الجدارة في علم اجتماع العمل عام 2011.
  * شهادة دبلوم الدراسات المعمقة في علم الاجتماع ـ إختصاص علم اجتماع المعرفة والثقافة عام 2015.
- وقريبًا سوف يناقش أطروحة الدكتوراه اللبنانية في المعهد العالي للدكتوراه في سن الفيل ـ بيروت.
- شارك في أعمال المؤتمرات التالية:
- المؤتمر الجنوبي الأول بعنوان: "البيئة والمجتمع" في 27 و28 كانون الثاني عام 2017.
- المؤتمر العلمي للثقافة والرياضة البدنية الذي أقامته المديرية العامة لأمن الدولة عام 2017.
- المؤتمر الجنوبي الثاني بعنوان: "جبل عامل، تاريخ وواقع" في 28 و29 أيلول عام 2018.
- المؤتمر الثالث لإتحاد الأكاديميين والعلماء العرب بعنوان: "التعليم العالي، إستراتيجية وطنية لبناء اقتصاد المعرفة في الوطن العربي" في 3 و4 أيار عام 2019.

مقدمة:

منذ أن وجد لبنان، واللبناني يحب المغامرة والسفر. ويخبرنا التاريخ أن سكان هذا البلد القدماء، قد عبروا البحار وإشتغلوا بالتجارة، وأسسوا مستعمرات ومحطات.. وهذا يدلنا على طوق اللبناني للهجرة، لتحسين أوضاعه الاقتصادية، وهربًا من الظروف القاسية التي كانت تمر بها البلاد من فترة إلى أخرى. هاجر اللبناني رفضًا للحاجة والفقر، فإندفع يجوب أقطار المعمورة لتأمين لقمة عيشه، وجلب الأمان والإستقرار.

لقد عاش المهاجرون في البلدان التي إستضافتهم عيشة قاسية، وقاموا بأعمال مضنية، تحملوا المصاعب والتحديات. وبفضل إرادتهم وتصميمهم إنتصر الكثير منهم، وحقق إنجازات مهمة.

وقد هاجر فيما بعد مجموعة من الأدباء والمفكرين والشعراء، وأسسوا منتديات أدبية وحلقات فكرية ساهمت في النهضة الأدبية بشكل عام، وفي نشر روح الإستقلالية، وقضية لبنان في المحافل الدولية. من هؤلاء: جبران خليل جبران، أمين الريحاني، مخائيل نعمة وغيرهم كثير..

والجدير ذكره أن العديد من المغتربين اللبنانيين، قد توصل إلى مراكز عالية في السياسة والاقتصاد والمال وفي غير مجال، حتى وصل بعضهم إلى المجالس النيابية، ورؤساء جمهورية...

وللبحث في موضوع الاغتراب، والمؤتمرات المتعلقة بالمغتربين اللبنانيين التي عقدت في مختلف أقطار العالم، تواجهنا الإشكالية التالية:

لقد تُرك المغتربون لمصيرهم، منذ هجرتهم إلى المناطق التي يتواجدون فيها الآن، يواجهون صعوبات الحياة، وشظف العيش. يكافحون لوحدهم بكل

الظروف المناخية، في الصقيع والشمس الحارقة، وذلك من أجل الرزق وتحسين أوضاعهم، دون أي إتصال بهم من حكومات بلدنا المتعاقبة، لتنظيم تواجدهم، والوقوف إلى جانبهم، أو المساهمة في حل مشاكلهم التي يواجهونها، وتشجيعهم على المجيء إلى لبنان والاستثمار فيه. ولم يصدروا تشريعات قوانين تحميهم، وتدفع بهم لفتح مشاريع تنموية تفيدهم وتنهض بالبلد. إنما إكتفت حكوماتنا بالأموال التي يرسلونها إلى أهاليهم وذويهم، إلى أن إستفاقت وإنتبهت لهذه الطاقة الضخمة المنتشرة في كل أرجاء الأرض، للإتصال بها وتحقيق الإستفادة المتبادلة.

لقد بقيت العلاقة بين لبنان وأبنائه في بلاد الغربة "في مربع الواجبات الاجتماعية، والحركة الإعلامية، من دون تأسيس لمرحلة جديدة من العلاقة بين أبناء المهجر والوطن، لا على الصعيد الاقتصادي ولا السياسي والاجتماعي، فمسار العلاقة بين الفريقين يوحي بأن لبنان ينظر إلى ساكنيه خارجه بوصفهم "خزنة" أو "رافدًا" إنتخابيًا"[(1)].

ومن هذه الإشكالية تبرز تساؤلات كثيرة منها: هل العلاقة التي إنبنت بين المغتربين والحكومات المتعاقبة في لبنان هي علاقة صحية..؟ وهل كانت هناك علاقة في السابق أصلاً..؟ ماذا قدم لبنان لمغتربيه..؟ وماذا فعل لحمايتهم في الخارج..؟ هل إتبع لبنان سياسة تشجع استثمار المغتربين في وطنهم..؟ هل من إيجابية للمؤتمرات التي إنعقدت في لبنان وفي غيره من البلدان..؟ ما هي دوافع وأهداف هذه المؤتمرات..؟ هل أحسنت الحكومات اللبنانية المتعاقبة الإستفادة من طاقات المغتربين الهائلة..؟

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن حقيقة أوضاع المغتربين، وطبيعة علاقاتهم بالحكومات اللبنانية المتعاقبة، والإنتقادات التي يطلقونها، والتي لا يصرحون بها أيضًا للسياسيين في لبنان، والكشف عن محاولات وزارة الخارجية اللبنانية مؤخرًا لبناء علاقة وثيقة معهم وتمتينها، والإستفادة من طاقاتهم المتنوعة، وتشجيعهم على الاستثمار في بلدهم الأصلي، ومشاركتهم في صناعة القرار اللبناني.

(1) لينا القزي، المغتربون بعيون الدولة: فلوس وأصوات إنتخابية، جريدة الأخبار، الخميس 4 تشرين الأول 2018، على الموقع الإلكتروني: www.Al-Akhbar.com

أولاً: نشاط المغتربين الأوائل وإنجازاتهم:

من المعلوم أن أعدادًا كبيرة من اللبنانيين، منتشرون في أنحاء العالم، قدر عددهم حتى العام 2015 بتسعة ملايين وتسعماية وستين ألفًا وتسعماية وثلاثة وتسعون مغتربًا (9,960,993 مغتربًا)، حسب التوزيع التالي[1]:

أميركا الشمالية 1,274,000

أميركا الوسطى 182,000

أميركا الجنوبية 681,750

البلدان الأوروبية 466,590

الدول العربية 533,770

أستراليا 457,000

إفريقيا 226,500

آسيا 3,433

المجموع = 9,960,993

بالرغم من إنتشار اللبنانيين في معظم أنحاء العالم، فتعتبر البرازيل من الدول التي تحتضن جالية لبنانية يتجاوز عدد أفرادها عن عشرة ملايين لبناني؛ حيث وصل أول مهاجر عام 1878، وكان من عائلة "يافت"، في محاولة منه لإيجاد فرص عمل، بعد هروبه من الأحوال التي سادت لبنان في تلك الفترة. وبعد أن إزداد عدد اللبنانيين هناك بدأوا يحققون أفضل وأعلى المراكز والمناصب، وتفوقوا في مجالات الحياة، وكان منهم رجال أعمال وحكام ووزراء.

ومن نشاطاتهم وبصماتهم في مجال التجارة والإعلام والسياسة والطب والرياضة وغيرها، نذكر ما يلي على سبيل المثال:

- "أول جريدة لبنانية عربية صدرت في البرازيل عام 1895 إسمها الفيحاء، أسسها اللبنانيون من زحلة ومنهم سليم بالش.
- أول غرفة تجارة عربية ـ برازيلية أسسها اللبنانيون عام 1913.
- أول مدرسة لتعليم اللغة العربية أسسها لبنانيون في ريو دي جينيرو عام 1914.

---

(1) علي بدر الدين، الاغتراب اللبناني.. تاريخ وطن (1880 ـ 2016)، شركة شمص للطباعة والنشر ش.م.د.، الطبعة الأولى، تموز 2016، ص 333.

ـ مطلع القرن العشرين، أنتخب اللبناني يوسف بطرس أبو ديب نائبًا في البرلمان البرازيلي، وكان أول لبناني يتبوأ منصب سياسي، وهو شمالي من زغرتا.

ـ عام 1930 فاز اللبناني سليم فرح طنّوس المعلوف بإنتخابات حرة، صوّت فيها أكثر من خمسين مليون برازيلي، وأصبح حينها حاكم ولاية سان باولو البرازيلية.

ـ أول طبيبة لبنانية وعربية في البرازيل كانت هيلينا نصيف عام 1938.

ـ عام 1970 عيّن اللاعب اللبناني باولو زاغالو مدربًا لمنتخب البرازيل، وأعتبر الأفضل على مر التاريخ، وهو أول شخص يفوز ببطولة العالم كلاعب ومدرب.

ـ حاكم مصرف البرازيل ريكاردو يافت، لبناني الأصل.

ـ ألفرد أبو زيد وزير عدل، سعد فرحات وزير الإعلام، ألفريدو كرم وزير التربية، أديب جريصاتي وزير صحة.

ـ أسبيرديو أمين سينايور ولاية سانتا كاترينا، رامز ثابت سيناتور ولاية ماتو غراندي دوسول، خوسيه إدوارد يارا عن ولاية بارنا"[1].

وفي العام 2006 صدر العدد الأول من مجلة "المغترب" وهي المجلة الوحيدة، التي تعنى وتختص بشؤون وقضايا المغتربين اللبنانيين في مختلف بقاع العالم، وهي تتناول الاغتراب بكافة أوجهه، خصوصًا الجوانب الاقتصادية والاستثمارية والمالية التي تجمع بين لبنان ومغتربيه.

كما سلطت الضوء على أوضاع الجاليات اللبنانية في دول الإنتشار وزارت العديد منهم في دولهم، وأجرت تحقيقات عن استثماراتهم وشركاتهم، ودورهم في اقتصاديات تلك الدول، وأبرزها: نيجيريا ـ ألمانيا ـ قطر ـ سويسرا ـ فرنسا ـ بلجيكا ـ الإمارات ـ دبي ـ كوتونو ـ أبيدجان ـ فنزويلا ـ لندن ـ الكويت ـ مصر ـ أستراليا...[2].

ثانيًا: محاولة لتحقيق وحدة المغتربين وتنظيم أحوالهم:

بعد أن عاش المغتربون حالة من التشتت والضياع، توافقوا على إنشاء هيئة تجمعهم وتوحد طاقاتهم وأهدافهم، فكانت "الجامعة اللبنانية الثقافية في

(1) تاريخ الاغتراب اللبناني إلى البرازيل. الموقع الإلكتروني: www.Lebanesemigrationcenter.com مركز الإنتشار اللبناني.

(2) راجع الموقع الإلكتروني: www.almyghtareb.com

العالم"، التي أُعلنت ولادتها في مؤتمر عقد في 15 أيلول عام 1960 في قصر الأونيسكو ـ بيروت، وذلك بدعوة من المغتربين، حضره ممثلين عن 146 بلدًا اغترابيًا. من أهداف هذه الجامعة:

ـ "تعزيز علاقات الصداقة، وتوطيد الروابط الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياحية والإعلامية والرياضية بين بلدان الإنتشار ولبنان، وإنشاء جامعات مشتركة في الطب والهندسة والقانون والعلوم الأخرى.

ـ دعم كيان لبنان وأبراز هوية الإنتشار اللبناني المميزة وتنظيم وتفعيل هذا الإنتشار.

ـ تعزيز التعاون بين الأفراد والمؤسسات الاغترابية فيما بينها وبين هذه ولبنان.

ـ الحفاظ على التراث اللبناني ونشره في بلدان الاغتراب ونشر تراث تلك البلدان في لبنان.

ـ تقديم التسهيلات الممكنة للمغتربين والمتحدرين منهم.

ـ حث اللبنانيين المغتربين والمتحدرين من أصل لبناني على دعم مسيرة الإعمار في لبنان واستثمار طاقاتهم الفكرية والمالية والاقتصادية في وطنهم الأم"[1].

ثالثًا: المؤتمرات الاغترابية:

قبل إنشاء الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم عام 1960، كان هناك لقاءات واجتماعات مبعثرة للمغتربين يتحدثون في شؤونهم وأعمالهم وخططهم.. إلاّ أنه بعد إنشائها توالت المؤتمرات وما زالت مستمرة حتى الآن.

وهنا سنتكلم عن مجموعة إخترناها كعينة وكنموذج عن عمل المغتربين، وعلاقتهم بالوطن الأم والمشاكل التي يعانون منها...

1 ـ المؤتمر العالمي الحادي عشر:

عقد هذا المؤتمر في لبنان، فندق الكورال بيتش، من 9 ـ 11 كانون الثاني عام 1998. أكد هذا المؤتمر على أن الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم هي الممثل

(1) علي بدر الدين، الاغتراب اللبناني...، مرجع سابق، ص 34، 35.

الشرعي والوحيد للاغتراب اللبناني في العالم. وقد خلص المؤتمر للتوصيات التالية:

- "ضرورة تفعيل فروع المجالس.
- دعم موقف الدولة اللبنانية في مسيرة السلم الأهلي.
- مساعدة الوطن على النهوض.
- دعم الدولة اللبنانية في عملية تحريرها للأراضي اللبنانية التي تحتلها "إسرائيل".
- التنسيق بينن المؤسسات الاغترابية الشقيقة والصديقة.
- العمل على إنشاء مراكز ثقافية ومدارس في بلاد الإنتشار لتعليم اللغة العربية لأبناء المغتربين"[1].

2 ـ مؤتمر الطاقة الاغترابية:

عقد من 21 ـ 23 أيار عام 2015، وهو المؤتمر السنوي الثاني للطاقة الاغترابية اللبنانية، حضره ألف ومئة شخصًا من 73 بلدًا، ومعظمهم "روى قصة بلد اغترابه: من البرازيل إلى الأرجنتين ورومانيا والسويد وساحل العاج، ناجحون وناجحات، محافظون وأطباء ورجال أعمال وتربويون ونواب.

كانت جلسته الرابعة للديبلوماسية الاغترابية وقانون إستعادة الجنسية والحفاظ على الهوية للمتحدرين من أصل لبناني"[2].

وكان الهدف من هذا المؤتمر حسب ما جاء في بيان وزارة الخارجية التي نظمته "أنه يسعى إلى تسليط الضوء على نجاحات مغتربين لبنانيين، وحثهم على الحفاظ على إتصالاتهم بلبنان، من خلال التغني بالتراث اللبنانين، وتعزيز صورته الإيجابية في العالم. وتمحور المؤتمر حول قضايا تتعلق بالمغتربين اللبنانيين، والسبل الفعالة للحفاظ على علاقتهم الوثيقة ببلدهم الأم. ويهدف هذا الحدث الضخم إلى خلق فرص للتبادل التجاري والأعمال والخبرات وتعزيز العلاقات في مختلف المجالات، وإلى تنشيط الجهود الديبلوماسية الاقتصادية، وتسويق

(1) علي بدر الدين، الاغتراب اللبناني.. تاريخ وطن، مرجع سابق، ص 52.

(2) راجع: آمال خليل، مؤتمر الطاقة الاغترابية: دعوا المغتربين يأتون إليّ، جريدة الأخبار، الجمعة 22 أيار 2015.

المنتجات اللبنانية في الخارج، تعزيز صورة لبنان والتشجيع على الاستثمار فيه "[1].

3 ـ مؤتمر الاقتصاد الاغترابي:

عقد هذا المؤتمر في فندق فينيسيا ببيروت في 15 كانون الأول عام 2015. نظمته مجموعة الاقتصاد والأعمال بالتعاون مع مصرف لبنان وإتحاد الغرف اللبنانية والمؤسسة العامة لتشجيع الاستثمار (ايدال). حضر المؤتمر حشد من رجال الأعمال المغتربين من 20 دولة عربية وأجنبية. إختتم المؤتمر أعماله بجلسة تحت عنوان: "الصناعة المصرفية اللبنانية ودورها في دعم الاقتصاد الاغترابي". وبحثت في مجالات تطوير الإتفاقات الدولية التي ترعى وتسهل تحويلات المغتربين، ودور المصارف اللبنانية في كيفية المساعدة على تعزيز وتطوير الأرضية الاستثمارية، المتاحة للمغتربين في لبنان وعلى تطوير أعمالهم في بلدان تواجدهم، كما ركزت على دور الاغتراب اللبناني في دعم اقتصاد المعرفة ومبادرات الأعمال الناشئة"[2].

4 ـ أول مؤتمر للاغتراب في أميركا اللاتينية:

نظمت وزارة الخارجية اللبنانية هذا المؤتمر في 28 نوفمبر 2016، بحضور رئيس البرازيل، كحدث وخطوة هامة من قبل الدولة في الإلتفات إلى لبنانيي الاغتراب وربطهم بوطنهم الأم، ولضرورة أحضان المغتربين كطاقة خلاقة وواحدة لمستقبل لبنان على الصعد كافة، وتحديدًا الاقتصادية، وفيما يخص دورهم الحضاري في العالم، لأنهم صمام أمان الاقتصاد اللبناني، عبر تحويلاتهم ومعظمها إستهلاك عائلي وعطاء من دون مقابل.

وخاطب الوزير باسيل المغتربين بكلمته: "إن الوطن نسيكم، وإن الدولة أقفلت الملفات، وقيل لكم أن لا أمل في وطن مولد للأزمات. قيل لكم أنكم باغترابكم أضحيتم كالمهاجرين وأصبحتم ورقة طائرة بلا جذور... وأنا أقول لكم اليوم أن وطنكم لا يمكن الجغرافيا أن تحصره، أو الظروف أن تحاصره، فتاريخه

---

(1) الموقع الإلكتروني: www.Lebanonfiles.com

(2) مؤتمر الاقتصاد الاغترابي يختتم أعماله في بيوت ويناقش قصص نجاح اغترابه. الموقع الإلكتروني: www.eliktisad.com

عابر القارات، وحضارته رابطة للثقافات، وفكره ناشر للمعرفة، وإسمه مرادف للصمود، وطن حدوده العالم، ولا أفق له سوى نجاحاتكم "[1].

5 ـ مؤتمر في جنوب إفريقيا:

عقد هذا المؤتمر في شهر شباط عام 2017، قال آرا خاتشادوريان، القائم بالأعمال اللبناني، أن مؤتمر الطاقة الاغترابية هذا هو منصة لفرص عمل جديدة في إفريقيا. وقد عقد هنا لأهمية الجالية اللبنانية في هذه القارة، وأهمية فرص العمل المتاحة للبنانيين لدخول أسواق إفريقيا.

تناولت الجلسة الأولى منه القطاع المصرفي في لبنان، وتسهيل الاستثمارات بين لبنان وإفريقيا. وكان موضوع الجلسة الثانية الاستثمارات بين الاغتراب ولبنان. والثالثة تحدثت عن الهوية اللبنانية والإطار القانوني لإستعادتها بين الحنين إلى الماضي والفوائد لإستعادتها.

كان مؤتمرًا مهمًا لأنه جمع عددًا كبيرًا من المشاركين على مستوى عال، كل في مجاله، ووجود خبراء اقتصاديين وماليين. وبلغ عدد المسجلين للمشاركة نحو 450 شخصًا من قطاعات المصارف والمال والصناعة والتجارة والخدمات.

واعتبر أن هذا المؤتمر ليس مؤتمر اغترابي فحسب، بل هو مؤتمرًا اقتصاديًا للمغتربين، ومردوده كبيرًا جدًا على لبنان، لأن المغترب اللبناني في إفريقيا يتردد إلى لبنان مستثمرًا فيه، كما يرسل المساعدات المالية لعائلته[2].

6 ـ مؤتمر الطاقة الاغترابية:

عقد هذا المؤتمر من 4 ـ 6 أيار عام 2017 في البيال ببيروت، وبرعاية رئيس الجمهورية ميشال عون تحت عنوان: طريق العودة إلى لبنان. وقد حضره 2000 مغترب من 100 بلد، وهدف إلى ربط لبنان المقيم بلبنان المغترب.

وعن أهمية الاغتراب ومد الجسور بين لبنان وأبنائه في المهجر، ذكر السفير إيلي الترك: "إن الاغتراب هو بترول لبنان الذي لا ينضب، والتركيز على الإنسان المغترب وأهميته وحضوره العالمي والنظر في احتمال تقديمه المساعدة لوطنه

---

(1) أول مؤتمر للاغتراب في أميركا اللاتينية بحضور رئيس البرازيل، 28 نوفمبر 2016. الموقع الإلكتروني: www.Lebanesequora.com

(2) رلى معوض، جوهانسبرغ، 2 شباط 2017. الموقع الإلكتروني: www.newspaper.annahar.com

الأم. لبنان يملك طاقات هائلة في العالم ونحن نكتشف كل يوم أسماء جديدة تتبوأ مراكز صنع القرار في العالم. ونحن نبحث كل يوم عن المغتربين من أصول لبنانية، وهي ليست بالمهمة السهلة، فكثير منهم قام بتغيير إسمه في المهجر، أو الإسم ترجم إلى اللغات الأخرى فتغيرت معالمه ومعانيه"[1].

7 ـ مؤتمر الطاقة الاغترابية في أبيدجان:

عقد هذا المؤتمر في 3 شباط 2018 في ساحل العاج (أبيدجان)، وعنوانه: تأمين التعاون الأمني بين لبنان وإفريقيا.

حضر المؤتمر أكثر من 500 شخصية، وأكدوا أن المغتربين يعملون كمؤسسة لصالح جميع المغتربين. وهذه المؤتمرات تشكل منصة ليفكر المغتربون في العالم بصوت عال لمصلحة لبنان، ومصلحة المغترب، وتساعد على خلق فرص للإتصال بين لبنان المقيم ولبنان المغترب.

والمغترب في إفريقيا يشعر بالأمان في هذه القارة، ويجب أن يشعر بأن الدولة اللبنانية مهتمة لأمره، وتستمع لهواجسه، وتشجع الزيارات الرسمية بين لبنان وإفريقيا، والتبادل بين الطرفين يساعد المغترب اللبناني، والسلطات بإفريقيا تشعر أن خلف المغترب دولة تؤمن به[2].

8 ـ مؤتمر تشاوري للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم:

عقد هذا المؤتمر بمشاركة مجموعة من المجالس الوطنية في العالم في العاصمة الغانية أكرا. وقد حضر ممثلين عن مجالس وفروع الجامعة اللبنانية الثقافية في أستراليا، فرنسا، الأرجنتين، هولندا، لوس أنجلس، البرازيل، ليبيريا، كولومبيا البريطانية، فنزويلا، وغانا. والهدف الأبرز لهذا المؤتمر كان التشاور لإيجاد الصيغة الفضلى لملئ الشواغر والفراغ الرئاسي، والتفكك التنظيمي المسيطر حاليًا على إدارة الجامعة اللبنانية الثقافية في العام على المستويات كافة.

وقد أعرب شكيب رمال رئيس المجلس الوطني في غانا، عن إستياء المغتربين من التدخلات في شؤونهم، ودعى إلى وقف نقل مشاكل السياسيين اللبنانيين إلى

---

(1) إيلي الترك، الاغتراب هو بترول لبنان الذي لا ينضب ـ سهرات باريسية، مؤتمر الطاقة الاغترابية، بيروت/ البيال، 4-6 أيار 2017، الموقع الإلكتروني: www.mc.dovaliya.com

(2) باسكال أبو نادر، السبت 3 شباط 2018، الموقع الإلكتروني: www.elnashra.com

دنيا الاغتراب، وطالبهم بالإبتعاد عن هذه الجامعة. كما تمنى على المغتربين عدم الإنحياز لفريق ضد آخر، وقال: إجعلوا هذه الجامعة "مؤسسة بعيدة عن السياسة، وأقيموا فيما بينكم علاقات وصلات طيبة، كلها ألفة ومحبة وتسامح، ولننسى كل خلافاتنا وأسبابها، ولنعمل بروح وطنية عالية، فيها يحيا الوطن الذي أنجبكم، وبمثلها نكسب ثقة وتقدير شعوب العالم، ونحقق لوطننا الأم ما علق علينا من آمال"[1].

9 ـ مؤتمر الطاقة الاغترابية في إطار الدورة المحلية السادسة:

عقد هذا المؤتمر في عام 2019، ونظمته وزارة الدولة لشؤون التمكين الاقتصادي للنساء والشباب، تحت عنوان النساء والشباب اللبنانيين: قوة التغيير. شارك فيه عدد كبير من النساء والشباب القاطنين في مختلف البلدان حول العالم ناشطين في مجال عملهم، بالإضافة إلى ملحقين اقتصاديين وطلاب من المدارس والجامعات. تحدث في هذا المؤتمر نحو 25 مشاركًا، عن تجاربهم المهنية في مجالات عملهم وإختصاصاتهم، إضافة إلى طموحاتهم المستقبلية للبنان، وكيفية مساهمتهم في إيجاد حلول للشباب في لبنان وفي الهجرة. وخلص المؤتمر إلى التوصيات التالية:

ـ تعديل التشريعات والقوانين التي يمكن أن تساعد في الحد من التمييز بين الجنسين.

ـ إعطاء الأولوية للقضايا المتعلقة بالمرأة والمساواة بين الجنسين.

ـ تشجيع الشركات الناشئة لمواكبة التغيرات السريعة التي تحدث على مستوى العالم.

ـ تعزيز التنسيق مع وسائل الإعلام، من أجل تغيير الصورة النمطية للنساء، وتغيير الذهنية السائدة في المجتمع.

ـ إجراء دراسة لسوق العمل اللبناني لتحديد متطلباته...

ـ إشراك مزيد من الشباب في مراكز القرار"[2].

(1) الوكالة الوطنية للإعلام، السبت 23 شباط 2019، الموقع الإلكتروني: www.nna-leb.gov.lb والموقع الإلكتروني: www.elnashra.com

(2) جريدة البناء، العدد 296 تاريخ 2019/10/14.

10 ـ مؤتمر أميركا اللاتينية في الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم:

عقد هذا المؤتمر في بونس ايرس عاصمة الأرجنتين، وهو المؤتمر القاري لأميركا اللاتينية والبحر الكاريبي.

تداول المجتمعون على مدى ثلاثة أيام قضايا تنظيمية وإدارية ومالية تهم القارة. كما توقفوا عند القضايا الوطنية التي تهم المغتربين، ومنها تجربة إنتخابات المغتربين ومشاريع القوانين الجديدة المقترحة. كذلك تداولوا بموضوعات تهم المؤسسة العالمية، وتوقفوا عند مقررات المؤتمر العالمي الذي عقد في نيويورك، وموضوع القانون الجديد الذي أقرته للجامعة، ومقررات المؤتمر العالمي الذي عقد في باريس، والذي إستمهل الإنتخابات العالمية، وإتخذوا بشأنها التوصيات المناسبة[1].

خلاصة:

بعد هذه الجولة السريعة في أوضاع المغتربين، والمؤتمرات التي عقدوها بدعوة من جامعتهم، أو بدعوة من وزارة الخارجية اللبنانية بعد ذلك، نستنتج ما يلي:

ـ أن المغتربين تُركوا فترة طويلة يصارعون لوحدهم صعوبات الحياة.

ـ كان المسؤولون عندنا لا يرون فيهم سوى كنز يدر على البلد الدراهم التي يرسلونها إلى ذويهم، وأصوات إنتخابية فيما بعد.

ـ لم يتصل المسؤولون في لبنان بالمغتربين في محاولة لتنظيم أوضاعهم، وإنشاء علاقات متينة معهم، وتشجيعهم على الاستثمار في بلدهم.

ـ لم يشعر المغتربون أن دولتهم تحميهم وتدافع عن وجودهم.

ـ بالرغم من النجاحات التي حققها المغتربون في كل المجالات والأصعدة، والتي رفعت إسم لبنان عاليًا، لم يبادلهم الوطن بشيء يوازي هذه النجاحات.

ـ إنتبهت حكوماتنا متأخرة للطاقات التي يمتلكها المغتربون والمهملة من جانبها، فأسرعت للتعامل معهم، وإقامة مؤتمرات لهم.

وأن تأتي متأخرة خير من أن لا تأتي أبدًا. وما نلاحظه أن وضع البلد ينعكس على أوضاع المغتربين، فهم منقسمون فكريًا وثقافيًا ومناطقيًا وطائفيًا، وكل زعيم

---

(1) الموقع الإلكتروني: www.wlcu.world.com

ورئيس حزب في لبنان له جاليته التي يتواصل معها باستمرار، ويزورها ويلتقي بها، ويطلعها على نشاطاته وبرامجه. هذا الواقع الذي يعيشه المغتربون ليس في مصلحتهم ولا في مصلحة لبنان ولا حتى في مصلحة البلدان التي يقطنونها.

على وزارة خارجيتنا بذل الجهود مع مغتربينا حتى تتكامل العلاقة، وتبادل الفائدة المشتركة. أن يكون المغتربون على وعي تام، ولا ينجروا خلف العصبيات، وأن ينبذوا الطائفية المريضة، ويوحدوا جهودهم لتحقيق إنتصارات متكررة في كل مجالات عملهم.

المراجع

- لينا القزي، المغتربون بعيون الدولة: فلوس وأصوات إنتخابية، جريدة الأخبار، الخميس 4 تشرين الأول 2018.
- علي بدر الدين، الاغتراب اللبناني.. تاريخ وطن (1880 ـ 2016)، شركة شمص للطباعة والنشر ش.م.د.، الطبعة الأولى، تموز 2016.
- تاريخ الاغتراب اللبناني إلى البرازيل. الموقع الإلكتروني: مركز الإنتشار اللبناني www.Lebanesemigrationcenter.com.
- مجلة "المغترب"، الموقع الإلكتروني: www.almyghtareb.com
- آمال خليل، مؤتمر الطاقة الاغترابية: دعوا المغتربين يأتون إليّ، جريدة الأخبار، الجمعة 22 أيار 2015.
- بيان وزارة الخارجية اللبنانية، الموقع الإلكتروني: www.Lebanonfiles.com
- مؤتمر الاقتصاد الاغترابي يختتم أعماله في بيوت ويناقش قصص نجاح اغترابه، الموقع الإلكتروني: www.eliktisad.com
- أول مؤتمر للاغتراب في أميركا اللاتينية بحضور رئيس البرازيل، 28 نوفمبر 2016، الموقع الإلكتروني: www.Lebanesequora.com
- رلى معوض، جوهانسبرغ، 2 شباط 2017، مؤتمر في جنوب إفريقيا، الموقع الإلكتروني: www.newspaper.annahar.com
- إيلي الترك، الاغتراب هو بترول لبنان الذي لا ينضب ـ سهرات باريسية، مؤتمر الطاقة الاغترابية، بيروت/البيال، 4-6 أيار 2017، الموقع الإلكتروني: www.mc.dovaliya.com
- باسكال أبو نادر، مؤتمر الطاقة الاغترابية في أبيدجان، السبت 3 شباط 2018، الموقع الإلكتروني: www.elnashra.com
- مؤتمر تشاوري للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، الوكالة الوطنية للإعلام، السبت 23 شباط 2019، الموقع الإلكتروني: www.nna-leb.gov.lb والموقع الإلكتروني: www.elnashra.com
- جريدة البناء، مؤتمر الطاقة الاغترابية في إطار الدورة المحلية السادسة، العدد 296 تاريخ 2019/10/14.
- مؤتمر أميركا اللاتينية، بونس ايرس ـ الأرجنتين، الموقع الإلكتروني: www.wlcu.world.com

جلسة إصدار التوصيات

رئيس الجلسة:

رئيس الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم:

الأستاذ عباس فواز



برفقة والده الحاج عبد اللطيف فواز، وعن عمر 13 سنة، بدأت رحلته من بلدته الغسانية في جنوب لبنان إلى أبيدجان في إفريقيا.

تنقّل بين ليبيريا وغانا، حيث عمل في التجارة الحرة، لكن ذلك لم يمنعه من متابعة دراسته. فكان يعمل في النهار ويدرس في الليل، حتى حصل على ماجستير في إدارة الأعمال من جامعة "بورك" في الولايات المتحدة الاميريكية.

مثله الأعلى في الحياة الصبر والعمل الدؤوب وحسن التعامل مع الآخرين، والقبول بالنتائج والعمل للأفضل.

خلال المؤتمرات تتولد علاقات علمية وعملية، اقتصادية واجتماعية، وتتكون شبكات علمية ومجموعات بحثية وتبادل للخبرة والمعلومات.

لذلك يعد عقد المؤتمرات واللقاءات العلمية ظاهرة صحية، يجب دعمها لتؤتى ثمارها. ولكل مؤتمر أو ندوة علمية معرفية أهداف وغايات مختلفة، فقد يكون الهدف منها مجرد تلاقح الافكار، وإثراء المعرفة، إلا أن مثل هذه اللقاءات تجعل

الباب مفتوحًا أمام تعاون وتعارف العلماء والمتخصصين والمثقفين والمهتمين، وهذا دون شك هدف نبيل، وغاية سامية لمد جسور العلم والمعرفة في جميع المجالات، إلى جانب تبادل الخبرات، وكذلك التعارف وخلق فرص منفعية أخرى، إضافة إلى الخروج بتوصيات ختامية يمكن تطبيقها على أرض الواقع، بحيث تعمل على التطوير، وتحسين الأداء، وجودة المخرجات، التي ينتظرها المجتمع من المؤسسات العامة والخاصة. بيد أن إهمال هذه التوصيات وجعلها حبيسة الأدراج يتطلب اعادة النظر في الامر ومتابعة تنفيذ هذه التوصيات، أو تقنين هذه المؤتمرات.

وهناك من يرى أنه من الاجدى أن يتم في بداية كل مؤتمر وضع لجنة متخصصة لجمع التوصيات من المؤتمرين ودراستها، وفرزها، من خلال معايير الجودةالمطلوبة، ومن ثم نشرها ومتابعة تنفيذها، لحصد الفائدة المرجوة من المؤتمر.

ونحن في هذا المؤتمر شكلنا لجنة مؤلفة من عدد من الاساتذة المشهود لهم في ميادين المعرفة، لجمع التوصيات من المؤتمرين والمشاركين، قاموا بتبويبها وتصنيفها على أمل أن نناقشها في هذه الجلسة، ونضيف إليها بعض التوصيات التي لم نتمكن الحصول عليها، على أمل أن نصدرها في الكتاب الذي سيجمع أبحاث هذا المؤتمر، والذي سيصدر قريبًا.

كما أننا سنشكل لجنة لمتابعة هذه التوصيات لتحقيق تنفيذ ما يمكن منها لمزيد من نجاح فعاليات هذا النشاط.

لجنة جمع التوصيات وصياغتها وتبويبها:

الأستاذ يوسف نصار



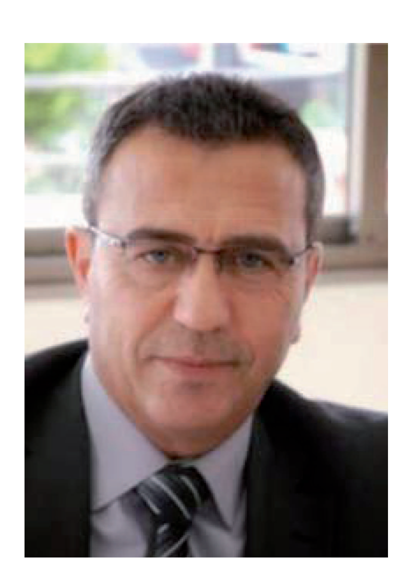
- مارس التعليم الرسمي بعد أن تخرج من دار المعلمين والمعلمات 1972.
- سافر إلى دولة "الكوت ديفوار" في إفريقيا بسبب الحرب اللبنانية.
- عاد لممارسة التعليم في العام 1989.
- عضو في الهيئة الإدارية لنادي الشقيف (أمين الشؤون الثقافية).
- نائب رئيس هيئة تكريم العطاء المميز.
- له العديد من الإطلالات المنبرية والمطالعات والكتابات الأدبية والحضور الاجتماعي والتربوي اللافت.
- مسؤول الإعلام في لقاء الأندية والجمعيات المدنية في النبطية.

الأستاذ علي توبة



- حاصل على الاجازة في اللغة العربية وآدابها عام 1969، وعلى شهادة الماجستير عام 1980.
- مارس التعليم الرسمي منذ 1960، والرسمي الثانوي ابتداء من العام 1999.
- مدير سابق لثانوية ميفدون الرسمية.
- رئيس رابطة المتقاعدين المدنيين في النبطية.
- عضو اداري في عدد من الاندية والجمعيات: نادي الشقيف ـ نادي ميفدون الثقافي ـ هيئة تكريم العطاء المميز ـ جمعية النجدة الشعبية اللبنانية ـ اللقاء الأدبي العاملي...
- له كتابات متعددة وشارك في ندوات ومؤتمرات داخل لبنان.

الأستاذ إسماعيل رمال



- متقاعد (الأمن العام)
- حائز على إجازة من كلية الحقوق والعلوم السياسية.
- إنخرط في العمل التربوي الثانوي بعد التقاعد.
- عضو هيئة ادارية في اللقاء الأدبي العاملي.
- عضو في رابطة المتقاعدين المدنيين في النبطية.
- عضو منتدى الأرز الثقافي وبيت الشعر.
- عضو هيئة ادارية في هيئة تكريم العطاء المميز.
- ناشط ثقافي واجتماعي وله اطلالات شعرية على منابر ثقافية، كما له منشورات في بعض الصحف.

الأستاذ علي جوني



- حائز على إجازة في الفلسفة.
- مدير مدرسة جرجوع الرسمية.
- عضو هيئة ادارية في هيئة تكريم العطاء المميز.
- ناشط تربوي واجتماعي.
- شارك في العديد من الندوات وورش العمل والمؤتمرات.

الحاج حسيب عواضة



- حائز على دبلوم في المحاسبة
- عضو سابق في بلدية النبطية.
- رئيس هيئة الخدمات الاجتماعية في النبطية.
- عضو هيئة ادارية في هيئة تكريم العطاء المميز.
- عضو مؤسس في جمعية تجار النبطية.
- عضو مؤسس وعضو هيئة ادارية في جمعية حماية البيئة والتراث.
- أمين صندوق جمعية أصدقاء مستشفى الشيخ راغب حرب.
- ناشط ثقافي واجتماعي.

الخاتمة

عرف اللبنانيون الهجرة منذ الزمن العثماني، خصوصًا من جبل لبنان منذ أواسط القرن التاسع عشر. لكن بعد نشوء "دولة لبنان الكبير"، بدأت موجة هجرة اللبنانيين منذ ثلاثينات القرن العشرين، وازدادت في العقود التي تلت، بسبب الاضطرابات والأزمات المختلفة. ثم أتت الموجة الثانية من الهجرة مع اندلاع الحرب الأهلية. أما الموجة الثالثة فكانت بعد نهاية الحرب مباشرة. وهي لم تتوقف حتى أيامنا هذه، بسبب انعدام الاستقرار وتوالي الحروب والأزمات.

وعلى الرغم من امتداد عمليات الهجرة زمنيًا، لم يتجاوز عدد اللبنانيين من حاملي الجنسية سبعة ملايين، حسب "الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم". وهذا على عكس ما يقال دائمًا بأن المغتربين هم ثلاثة أو أربعة أضعاف عدد اللبنانيين المقيمين. فبرأي "الجامعة اللبنانية الثقافية.." أنه إذا إفترضنا أن نصف اللبنانيين قد هاجروا، فالمنطق أن يتساوى عددهم مع عدد المقيمين، وإن تضخيم أعدادهم في الإعلام يهدف إلى المبالغة في التدليل على حجم الظاهرة، أو للمبالغة في مديح المغتربين وأهمية مكانتهم وما يحققونه من إنجازات ونجاحات في بلدان الاغتراب. لكن، وبغض النظر عن الأرقام، فالمؤكد أن لبنان هو من الدول الأكثر اغترابًا نسبة إلى عدد سكانه، حسب المنظمة العالمية للهجرة.

الاغتراب هو قدر الذين ولدوا على شاطئ البحرالابيض المتوسط عندما استجاب ابناء هذه المنطقة إلى صوت المجاديف فانتشروا في مشارق الأرض ومغاربها. وكتب ميشال شيحا في هذا المجال: "نحن أمة المقطورين على السفر، موجودون في كل مكان".

هذه الظاهرة تعتبر نعمة أم نقمة؟ الذين غادروا هذا الوطن، ما هي احتمالات وظروف عودتهم؟ هل تبقى مشاعرهم وهويتهم وتطلعاتهم لبنانية؟ أم أن حقائق حياتهم واحكامها قضت وتقضي بإندماجهم في عالمهم الجديد وإنتمائهم اليه؟

هل أوضاع من غادر إلى الاميريكيتين واستراليا واوروبا تختلف عن أوضاع من غادر إلى القارة الإفريقية، ومن هم في دول الخليج؟ هل هم حقًا مغتربون أخذًا بالمفهوم التقليدي للاغتراب؟ ماذا في شأن المتحدرين منهم وعلاقتهم بلبنان؟ ومدى مشاركتهم في الحياة السياسية والانتخابية والاقصادية والاجتماعية؟ وكذلك عطاءاتهم التاريخية للوطن في كل الميادين.

من منظور تاريخي ـ سوسيولوجي ـ أكاديمي عالج الباحثون الذين شاركوا في مؤتمر البحث العلمي حول الاغتراب اللبناني هجرة اللبنانيين: جذورها الضاربة في جغرافيتنا وعمق تاريخنا وصولاً إلى الازمنة الحديثة جاهدين لاستكشاف المستقبل وماتخبئه لنا الايام، فتابعوا هذا الموضوع وهم المتخصصون في الموضوعات التي تطرقوا اليها، شغوفين بلغة أرقام تضيء على الحقائق...

وقد تقدم الباحثون بمجموعة من التوصيات، جُمعت وصُنفت، وشُكلت لجنة لمتابعتها، ومن هذه التوصيات:

1 ـ تنظيم العلاقة بين الدولة اللبنانية والمغترب، والمتابعة الجديّة لشؤون اللبنانيين، كل اللبنانين في الخارج أينما حلوا وإلى أي طائفة إنتموا، أو إلى أي فئة اجتماعية، أو أي تصنيف مادي... وكذلك تسهيل شؤون اللبنانيين الذين تسمح ظروفهم للاستثمار في الوطن.

2 ـ إنشاء مرصد اغترابي مركزه لبنان من مهامه:

* اجراء مسوح للبنانيين المغتربين وتوزعهم في القارات والدول.
* اجراء مسوح احصائية للمهارات العالية والكفاءات الاغترابية.
* رصدالنتاج الثقافي الشبابي والنسائي قي بلاد الاغتراب.

3 ـ إنشاء مركز ثقافي اغترابي من مهامه:

* الاهتمام بثقافة الاغتراب والسعي إلى تدريسها في المناهج اللبنانية.
* تحديد منح جامعية سنوية للطلاب المتفوقين لمتابعة دراساتهم في موضوعات تتعلق بالاغتراب اللبناني...
* إعداد افلام وثائقية عن الاغتراب اللبناني. وتوثيق الانتاج الثقافي والفكري والفني.
* التخطيط لاقامة ندوات، ورش عمل، ومؤتمرات يشترك فيها المقيم

والمغترب، تساهم في تنظيم العلاقة بين المغتربين ونقل خبراتهم إلى الوطن.(في لبنان والخارج)

* القيام بدراسات تتعلق بالأسباب النفس- اجتماعية التي تدفع المهاجرين اللبنانيين إلى اتباع استراتيجيات التثاقف في بلاد الاغتراب.

4 ـ التمني على الهيئات والجمعيات والمؤسسات وبعض الباحثين والمثقفين في بلاد الاغتراب اجراء أبحاث ودراسات واحصائيات عن واقعهم للاستفادة منها والتخطيط على أساسها.

5 ـ إيلاء الأهمية الوطنية لتدريس اللغة العربية في بلاد الاغتراب على قاعدة جوهرية هادفة، تتمثل في بعث الوجدان الوطني المولّد لمحبة الوطن الأم. والتي تكمن أهمية تدريسها في حفظ المغتربين في دائرة الإرتباط الحيوي بأرض الوطن، والتفاعل مع قضايا شعبهم المصيرية، والمساهمة الفعلية بالطاقات العلمية والأدبية المبدعة.

كما التمني على المغتربين اللبنانيين الإكثار من فتح المدارس التي تعنى بتعليم اللغة العربية.

وأن يحرص المغتربون اللبنانيون على تعليم اولادهم في مدارس تعتمد المنهج اللبناني في التعليم، لتسهيل دخولهم إلى الجامعة اللبنانية، الجامعة الأم.

6 ـ تسجيل الملكيات الفكرية للمغتربين في وزارة الثقافة في لبنان، وإنشاء قسم خاص في الوزارات المختصة لتسهيل الاستشارات القانونية والاكاديمية و...

7 ـ وضع برامج مشتركة بين الجامعة اللبنانية الثقافية قي العالم والوزارات اللبنانية(الخارجية، الصناعة، الزراعة، الصحة، التربية...)

8 ـ إصدار بطاقة المغترب اللبناني والتي تهدف إلى حماية رسمية تتأمن من خلال الاتفاقات الدولية والخدمات الصحية والاجتماعية للانتشار الاغترابي.

9 ـ إنشاء هيئة وطنية لبنانية للاغتراب (تتبع للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم): تضم ممثلين عن:

* المجالس الاغترابية.

* النواب الست المزمع تمثيلهم للاغتراب في العالم (مستقبلاً اذا طبق)

* ممثلين عن وزارات: الداخلية، الخارجية، المالية، العمل، السياحة...

10 ـ العمل مع الدول المستقبلة للمهاجرين لتبني سياسات تشجيع التثاقف والاندماج.

11 ـ وضع خارطة طريق للمشاركة بطريقة مجدية ودائمة، وفق خطة عمل استراتيجية للحكومات الراغبة في إشراك الشتات والتكامل معها، حيث يتم وضع السياسات المطلوبة، وتحديد البرامج وبناء المؤسسات وتفعيلها، ثم إختيار الوسائل لتحقيق الأهداف، وهي العناصر الأساسية لنجاح الخطة، وإشراك الشتات، وتتلخص وفق الآتي:

* بناء القدرات من أجل التنفيذ الفعّال.
* متابعة التقدم المحرز وقياس الأثر.
* تعزيز المؤسسات وإزالة العقبات وتتم من خلال:

أ ـ بناء أجهزة إدارية فعّالة داخل الجهاز الحكومي، وتضم مكاتب ووكالات، هيئات ومراكز تحددها الحكومات لتنظيم العلاقات مع الشتات.

ب ـ التغلب على الحواجز، وإلغاء غالبية الأنظمة والقوانين التي تقيّد أو تعرقل التنقل بين بلدان المنشأ والمقصد.

12 ـ إنشاء بوابات العبور: وتحديد ستة مجالات عمل لإشراك الشتات، ثم تحليل المجالات الرئيسية، التي تؤمن لهم المشاركة المركزية والإنتاجية، وأهمها: التحويلات والاستثمار الأجنبي المباشر، ونقل رأس المال البشري، والتبرعات الخيرية، والاستثمار في الأسواق المالية، والاستثمار في السياحة.

13 ـ الحرص على حماية المساهمات المرتجاة من المغتربين عن طريق إبعاد مسألة الاغتراب عن الجدل والمناكفات التي تعيق تحقيق التنمية وتنشيط الاقتصاد الوطني.

14 ـ السعي مع البلد المضيف لارساء تشريعات تحمي حقوق المغتربين وتراعي مصالح بلدانهم في استثمار العمالة الاجنبية وتنمية الاقتصاد.

15 ـ توحيد الطاقات الاغترابية كي تساهم في تشكيل اتحاد يضمن تحديث القوانين الاستثمارية اللبنانية، مما ينقل لبنان من بلد استهلاكي إلى بلد منتج.

16 ـ انتساب المغتربين إلى جمعيات ونواد في الوطن متنوعة الاهتمامات، والمشاركة في نشاطاتها، وحتى عبر وسائل التواصل الشائعة.

المحتويات